جان لابلانش
ج.ب. بونتاليس

معجم مصطلحات التحليل النفسي



ترجمة
الدكتور مصطفى حجازي

من منشوراتنا

الصادرة موسوعات ومعاجم

- **تاريخ العلوم العام (في اربعة مجلدات)**
  إشراف رينه تاتون
  ترجمة د. علي مقلد
  المجلد الأول: العلم القديم والوسيط
  من البدايات حتى سنة 1450
  المجلد الثاني: العلم الحديث
  من سنة 1450 إلى سنة 1800م.
  المجلد الثالث: العلم المعاصر القرن
  القرن التاسع عشر
  المجلد الرابع: العلم المعاصر القرن
  القرن العشرون
- **المعجم النقدي في علم الإجتماع**
  بوردون وبوريكو
  ترجمة د. سليم حداد
- **معجم مصطلحات الديموغرافيا**
  رولان برسا
  ترجمة د. حلا نوفل
- **المعجم الموسوعي لعلم النفس**
  اعلام علم النفس
  نوربير سيلامي
  ترجمة د. رالف رزق الله
- **معجم المصطلحات الجغرافية**
  بيار جورج
  ترجمة د. حمد الطفيلي
- **معجم العالم الاسلامي**
  كلوس كريزر - فارنر ديم - هانس ماير
  ترجمة د. ج. كتورة
- **المعجم الموسوعي لعلم الكمبيوتر**
  والإلكترونيك
  لوغارف
  ترجمه واضاف عليه
  د. عبد الحسن الحسيني
- **المعجم الدستوري**
  اوليفه دوهاميل - إيف ميني
  ترجمة منصور القاضي /
  مراجعة د. زهير شكر
- **معجم المؤلفات السياسية**
  شاتليه و دهاميل
  ترجمة د. محمد عرب صاصيلا

مُعجَم مُصطلحات

التحليل النفسي

الطبعة الثالثة
منقحة ومزيدة
1417هـ ـ 1997م

مجد/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
الحمراء ـ شارع إميل إده ـ بناية سلام ـ ص.ب 6311/ 113 بيروت
هاتف: 802407 ـ 802428 ـ فاكس: 603654 بيروت
المطبعة: 311898 ـ 311985 ـ هاتف خليوي: 621721/ 03

مُعجم مُصطلحات
التحليل النفسي

طبعة ثانية منقحة

تأليف

جان لابلانش و ج. ب. بونتاليس

ترجمة

الدكتور مصطفى حجازي

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

هذا الكتاب ترجمة :

Vocabulaire de la

Psychanalyse

Par

J. LAPLANCHE et J.B. PONTALIS

sous la direction de daniel LAGACHE

Presses Universitaires de France

الإهداء:

- إلى الدكتور نزار الزين تقديراً لجهوده الرائدة في مضمار تعريب علم النفس.
- إلى زوجتي نهى وإلى ولدي حاتم ودانية تعبيراً عن محبتي.

تصدير الطبعة الثالثة

يتزامن صدور هذه الطبعة الثالثة من معجم مصطلحات التحليل النفسي مع العيد المئوي لهذا العلم. ففي مثل هذه الأعوام من القرن الماضي بدأت تتشكل أسس هذا العلم وتتوطد نظرياته وتطبيقاته العيادية والفكرية. وبسرعة كبيرة رسّخ هذا العلم مكانته كواحد من النماذج المعرفية الكبرى خلال القرن العشرين. وكان ذلك بفضل الغنى المتميز الذي تمتع به في الكشف عن كوامن النفس البشرية وبناها وديناميانها، كما كان نتيجة لإظهاره مدى حيوية الذات الإنسانية وتعقيدها وفرادتها.

عرف التحليل النفسي ككل نموذج فكري أصيل وخصب، تاريخاً زاخراً بالعطاء والجدل والتحولات والإشتقاقات والتطبيقات، كما في الإعتراضات والانتقادات. وكان الحماس له معادلاً لعنف ردود الفعل عليه. ذلك هو دوماً حال النماذج المعرفية الكبرى في قدرتها على إخصاب الفكر وإثراء الممارسة والإرتقاء بهما. وبذلك احتل مكانته المستحقة بين النماذج المعرفية الأساسية في العلوم الإنسانية.

هذه الميزة وحدها كافية لاستمرار تزويد المكتبة العربية بهذه الأداة العلمية ذات القيمة الفعلية والفاعلة في التكوين الفكري والمنهجي في عصر الاقتدار المعرفي.

لعل هذه الطبعة كما سبقها من طبعات تلبي الآمال المعقودة عليها.

بيروت 1997

دليل القارىء

نورد التوضيحات التالية لتسهيل مهمة القارىء في الرجوع إلى هذا المعجم .

1 ـ التبويب :

1.1 ـ هذه الترجمة مبوبة ألفبائياً باللغة العربية ، ويجد القارىء في رأس كل صفحة إسم المصطلح المعروض فيها .

2.1 ـ تقدم المصطلحات في المعجم باللغة العربية ويقابلها على اليسار المصطلح الفرنسي ، وتحته بخط أصغر المصطلح الإنجليزي ويدل عليه بالأحرف .ENG ، ثم يأتي تحته المصطلح الألماني ويدل عليه بالحرف .D . ولقد إعتمدنا في اختيار المصطلح العربي أساساً المصطلحات التي وضعت في قسم علم النفس في الجامعة اللبنانية ، من ضمن عملية تعريب علم النفس التي تمت فيه . ولكن هذا المصطلح أتبع أحياناً بمصطلحات أخرى وضعها باحثون من أقطار عربية أخرى. كما أنه إقترح في عدد محدود من المرات عدة كلمات تجريبية للتعبير عن بعض المصطلحات المتخصصة جداً والتي لم يوضع لها بعد مقابل وحيد بالعربية .

3.1 ـ وضعت في نهاية المعجم ثلاثة قوائم من المصطلحات :

أ ـ القائمة الأولى والأساسية ، تبوب المصطلحات العربية ألفبائياً مع رقم الصفحة في العمود الأول ويليها المصطلح الفرنسي في العامود الثاني ، والمصطلح الإنجليزي في العامود الثالث .

ب ـ القائمة الثانية تعرض المصطلحات الفرنسية مع أرقام الصفحات وبجوارها في العامود الثاني المصطلحات العربية المقابلة لها .

جـ ـ القائمة الثالثة تعرض المصطلحات الإنجليزية مع أرقام الصفحات ، وبجوارها في العامود الثاني المصطلحات العربية المقابلة لها .

2 ـ بنية المقالة :

خصص لكل مصطلح تعريف مطبوع بالخط الأسود وموضوع بين مربعين

صغيرين يشيران إلى بدايته ونهايته . ويأتي الشرح الخاص بالمصطلح بعد هذا التعريف ، بالخط الأبيض .

د ـ المراجع :

د.1 ـ وضعت في بداية المعجم قائمة بأعمال فرويد باللغات الأجنبية ، الفرنسية والألمانية والانجليزية ، تبعاً لمكان نشرها ، متسلسلة تاريخياً حسب سنة كتابتها . وألحقت بها مراجع من مؤلفين آخرين ، استعين بها في مختلف المقالات وقدمت ترجمة عربية لهذه الأعمال والمراجع مبوبة تاريخياً أيضاً .

د.2 ـ وضعت المراجع الأصلية لكل مقالة كما وردت في النص الفرنسي في آخر كل مقالة . ولقد أشير في نص المقالة إلى هذه المراجع بالأرقام والأحرف اللاتينية .

ـ الهوامش :

تتضمن بعض المقالات تعليقات وتذييلات متفاوتة في عددها . ولقد أشير إليها في النص بالأحرف العربية مرتبة أبجدياً .

مقدمة الترجمة العربية

إكتسب التحليل النفسي مكانته المميزة بين مناهج المعرفة في العلوم الإنسانية ، إنطلاقاً من بداياته المتواضعة في العلاج النفسي للمرضى الهستيريين ، محدثاً ثورة كاملة في مجال علم النفس من خلال كشفه عن ذاك البعد اللاواعي من النفس البشرية ، وفك رموز لغته والوقوف على قوانين عمله ، وتبيان مدى وعمق تسييره للسلوك البشري . هذا الإسهام الرئيس في معرفة النفس البشرية جعل النظرة إلى الإنسان مختلفة بلا جدال بعده عما كانت عليه قبله . إكتشاف اللاوعي ومفاتيح لغته وقوانين عمله جعل من المعرفة التحليلية النفسية منهجاً لا يمكن إغفاله بدون جعل فهمنا للظواهر الإنسانية الفردية منها والجماعية يقع في الإجتزاء والقصور .

أما القول بأن التحليل النفسي ، قد إختزل الواقع الإنساني برده إلى بعد جنسي وحيد ، فهو يصدر عن عدم معرفة بالإسهام الحقيقي لهذا العلم ، كطريقة في العلاج ومنهج في البحث . القضية الأساس التي وقف عليها في لا وعينا هي الرغبة والقانون وعلاقتهما الجدلية في تاريخ علائقي ومؤسسي ، تنبني الشخصية الإنسانية إنطلاقاً منه . لغة اللاوعي هي نتاج ذلك التفاعل ما بين الرغبة والقانون الذي يحكم علاقات المولود الجديد بمحيطه الإنساني ، حيث تأتي الأسرة في المقام الاول منه .

وهكذا يكتسب التحليل النفسي مكانته كمنهج في المعرفة على مستوى الظواهر المؤسسية فيما يتجاوز منطلقه الفردي الاول . هذا الواقع هو الذي يبرر في نظرنا ذلك الجهد الكبير الذي بذل في نقل هذا المعجم إلى العربية ، إنطلاقاً من قناعة تتزايد في رسوخها بضرورة إنفتاح الفكر العربي على كل منهجيات المعرفة الإنسانية وتزوده بها وإثرائه منها في فهم واقعنا والتصدي لقضايا إنساننا .

على أن ما يلفت النظر هو عدم إحتلال التحليل النفسي كطريقة في العلاج وكمنهج في المعرفة مكانته المفترضة في عالمنا العربي رغم الأهمية التي تحتلها اللغة عندنا ، وما تزخر به من دلالات ، تبلغ في الكثير من الأحيان حد الشفافية في قوة تعبيرها عن لاوعينا . تلك مسألة متعددة الأسباب والأبعاد بالطبع ، وقد يكمن جانب من الإجابة عليها في كون الإنسان العربي لايزال يدور حول واقعه الذاتي والإجتماعي دون أن ينفذ إليه ويسيطر عليه . الإنسان العربي لايزال يدور حول قضية التعبير ذاتياً وإجتماعياً . وقد تكون الغزارة اللغوية المميزة للخطاب العربي ، بشكل ملغز ، أداة تمويه على التعبير الحقيقي طالما لم يقيض له التحكم بزمام جدلية السلطة والرغبة . إن استعادة التعبير

الحقيقي تشكل سيطرة على التاريخ الذاتي ، ومفتاحاً للسيطرة على التاريخ الإجتماعي . فإذا كان الكبتُ والقمع هما وجها نفس العملية ، فإن استرداد التعبير على هذين الصعيدين ، لازم ومتلازم .

***

لا يحتاج وضع المعاجم الى تبرير نظراً لكونها أدوات لا يستغنى عنها في البحث والفهم ، ودقة المعالجة . إلا أن ترجمة هذا المعجم لم تأت عفو الخاطر ، بل هي ثمرة تفكير متعمق حول قيمته والفوائد المرجوة من ترجمته .

تكمن أولى هذه الفوائد في منهجية البحث النقدية التاريخية المتبعة فيه . فهي لا تبتغي العرض المدرسي التقريري لمادته العلمية ، بقدر ما تستحث القارىء على التفكير فيما تطرحه من إشكالات ، وما ألمّ بها من تحولات خلال مسيرة فرويد الفكرية . إنها تدعو القارىء الى البحث والتأمل وصولاً إلى اتخاذ موقف من مختلف القضايا التي يطرحها كل مصطلح . وهو ما يضع بين يدي القارىء العربي أداة تساعده على تجاوز الأحكام المتسرعة ، والتعميمات القطعية المبنية على نظرة مجتزأة لفكر فرويد وآرائه ، وصولاً إلى تكوين موقف علمي موضوعي ، مهما كان منحاه من تأييد أو معارضة . يخرج القارىء لاي من مقالات هذا المعجم وقد أدرك مختلف أوجه إستخدام المصطلح الذي تعالجه ، في الممارسة والنظرية التحليليين ، ودلالاته ، وما يتضمنه من إشكالات ، ومدى إسهامه المعرفي . وهو ما يتيح له تكوين موقف علمي رزين من أعمال فرويد يتجاوز الحماس المشتط في تأييده في كل ما ذهب إليه ، كما هو شأن أنصاره ، أو الرفض القاطع لكل ما قال به ، كما هو شأن معارضيه .

لقد وصل فرويد إلى مرتبة الريادة فيما كشف عنه من مكنونات النفس البشرية ، واللغة التي توسلها في التعبير ، والقوانين التي تحكمها ، من خلال إلزام نفسه كباحث ، بالصرامة والجدّية ، والاستعداد لاعادة النظر فيما يقول به من آراء حين تتكشف له جوانب جديدة من الواقع النفسي خلال الممارسة العيادية . ولقد تصل عملية إعادة النظر هذه حد التناقض في الرأي بصدد الكثير من الموضوعات خلال مسيرته العلمية . وإذا كان قد أوغل ، نظراً لولعه ببناء النظريات الفلسفية الكبرى ، في التفكير الإفتراضي ، الذي أخذه عليه الكثيرون عن حق ، إلا أن ذلك لا يجوز أن يطمس إنجازاته الكبرى ، كما لا يجوز لهذه الإنجازات ذاتها أن تسكت صوت النقد فيما ذهب إليه من آراء إفتراضية .

ومن الفوائد المتوخاة من هذه الترجمة أيضاً ، الطرح المحدد والعلمي للمصطلحات التحليلية النفسية بغية حسن استعمالها ودقته . لقد دخل العديد من هذه المصطلحات في اللغة الدارجة أو في الإستعمال غير المتخصص بشكل غامض يجعله في الكثير من الأحيان مدعاة للإشكال واللبس ، أكثر من كونه وسيلة للتوضيح والضبط العلمي . ولا يتيسر للقارىء غير المختص الوقوف بسهولة على الدلالة العلمية المضبوطة لهذه المصطلحات نظراً لأنها عرضت على فترات متفاوتة من مسيرة فرويد ومن جوانب مختلفة ، كما دخل عليها العديد من التعديلات ، مما يستدعي القيام باستقصاءات ليست سهلة ولا سريعة ، للإحاطة بمعنى كل مصطلح وحدود إستخدامه . ولقد أخذ المؤلفان على

عاتقها عبء القيام بهذا الاستقصاء المتعمق الذي لا يدخر جهداً ولا يوفر بحثاً ، مما جعل عرضهم لكل مصطلح يأتي شاملاً ووافياً وواضحاً للأمور في نصابها ، وهو ما يستحق التقدير فعلاً .

•••

لا بد في هذا المقام من وقفة قصيرة عند قضية ترجمة نصوص علمية من مثل نصوص هذا المعجم ، حيث لا زال هناك من يشكك بإمكانية نقل مثل هذا الفكر التحليلي إلى العربية بالمستوى المقبول من الأمانة والدقة العلمية . وإذا كان هؤلاء يقررون سلفاً بأن المترجم سيصطدم بصعوبات لا قِبَل له بالظفر عليها ، فإن تجربتنا الفعلية في ترجمة هذا المعجم ، تجعلنا نجزم بعكس ما يذهبون إليه .

إننا لم نجد في بنية اللغة العربية أي قصور فعلي عن التعبير الأمين عن المعنى الوارد في النص الأصلي . حتى أنه ليمكننا القول بدون شطط بأن النص العربي لا يقل في بيانه وإستقامة أسلوبه عن النص الفرنسي بأي حال من الأحوال ، بالرغم مما تتطلبه الترجمة الأمينة والكاملة من نقل دقيق لأفكار مصاغة في بنية لغوية أصيلة إلى بنية لغوية أخرى مغايرة لها تماماً . ولقد أتيحت لنا العديد من المناسبات خلال هذه الترجمة ، لاكتشاف جمال اللغة العربية ومدى قدرتها التعبيرية ، حين نتوقف عندها ونمعن النظر فيما تقدمه لنا من إشتقاقات ممكنة وما تتضمنه جذورها من تنوع في المعاني ، رغم كونها لم تستخدم بعد كثيراً في إنتاج فكر تحليلي نفسي أصيل .

وأما ما سيلمسه القارىء ، بلا شك ، من غموض في المعنى أو تردد في إستقامة الأسلوب ، في بعض المواضع ، فهو لا يعود إلى القدرة التعبيرية للغة العربية بحد ذاتها ، بل هو يرجع إلى حدود قدرة المترجم التعبيرية أحياناً ، أو إلى غموض في النص الأصلي يعكس بدوره تردداً وغموضاً في فكر فرويد نفسه حول المسألة المعروضة ، أحياناً أخرى . ذلك أن فرويد قد توقف متردداً في صياغاته النظرية الكبرى لما اكتشفه من وقائع الحياة النفسية خلال ممارسته التحليلية ، أمام العديد من القضايا التي لم تجد لديه حلاً نظرياً نهائياً لها . وهو أمر طبيعي ومحتوم حين التعامل مع ظواهر جديدة لا تتكشف مضامينها وأبعادها وتناقضاتها الداخلية التي تشكل ديناميتها إلا تدريجياً ، ومن خلال جهود مضنية .

أما مسألة المصطلحات المغايرة للقدرة التعبيرية لبنية اللغة التي تبقى الأساس في الترجمة ، فهي مسألة فنية محضة ، توضع عند الحاجة من قبل الباحث أو الدارس للدلالة على ما يطرحه عليه موضوع بحثه من وقائع ، كما يقوم العلماء المتخصصون بمساعدة علماء اللغة بوضع مصطلحات مقابلة لها في لغتهم . ونظراً لجدة التحليل النفسي وخصوصية الظواهر التي يتصدى لها فإن له مصطلحاته الخاصة به ، التي وضعها المحللون أو إستعاروها من مصطلحات علم النفس والإحياء واللغة المعاصرة . ولذلك كان لا بد من وضع مصطلحات عربية مقابلة لها ، وهو عمل قام بشطر هام منه نفر ممن حملوا لواء تعريب علوم النفس في العالم العربي . ونخص بالذكر هنا تجربة تعريب علم النفس في قسم علم النفس في كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية . فلقد أسهمت هذه التجربة التي قادها الدكتور نزار الزين في تغطية الشطر الأكبر من المصطلحات العربية المعتمدة في هذه

الترجمة ، وهناك مصطلحات أخرى مأخوذة عن العلماء الذين إهتموا بالموضوع في العالم العربي ، وخصوصاً في مصر .

وبفضل ذلك كله ، لم نجد على صعيد المصطلحات العربية ، صعوبات تفوق كثيراً تلك التي وجدها المؤلفان في فرنسة بعض المصطلحات الألمانية . ولقد عبّر هؤلاء المؤلفان في العديد من المواضع عن الصعوبات التي إعترضتهم ، وعن عدم تيسر إيجاد الكلمة الفرنسية المناسبة التي تغطي كل الدلالات التي تحملها بعض المصطلحات الألمانية . كما أنهما إعتمدا في بعض المرات ، مصطلحات مغايرة لتلك الشائعة بين مترجمي فرويد من الفرنسيين .

ولقد مررنا بنفس التجربة في ترجمتنا . فهناك في بعض الأحيان عدة مصطلحات عربية مقترحة من قبل باحثين مختلفين ، ولقد رجحنا في كل حالة من بينها ، ذاك الذي كنا نشعر أنه يوفي بالمعنى أكثر من غيره فاعتمدناه . إلا أننا أشرنا في العديد من المواضع إلى المصطلحات الأخرى ، المعادلة له والشائعة في الاستعمال في هذا القطر أو ذاك . كما أننا أسهمنا في وضع بعض المصطلحات التي لم تطرح سابقاً ، واقترحنا بعضها الآخر بشكل تجريبي . وهو كله أمر جد طبيعي في هذه المرحلة العلمية من نمو الفكر العربي ، وصولاً إلى انتاج أصيل بالعربية في هذه المجالات .

ولقد كنا نتناقش حول هذه القضايا مع زملائنا من أساتذة قسمي علم النفس واللغة العربية ، مما شكل عوناً كبيراً لنا على اعتماد الأنسب من المصطلحات المقترحة .

●●●

لا بد من كلمة أخيرة حول تجربتنا الذاتية خلال هذه الترجمة . لقد إخترنا منذ البدء ترجمة هذا المعجم ، ترجمة أمينة وصارمة ليس فيها أدنى قدر من التصرف . كما ألزمنا أنفسنا بأكبر قدر مستطاع من وضوح التعبير وتماسكه . ولقد استغرق منا ذلك وقتاً طويلاً وجهوداً كبيرة للوصول الى غايتنا . وكنا نقف إزاء بعض الجمل المفرطة في طولها وتعقيدها ، وقفة أستاذ الرياضيات أمام مسألة رياضية مستعصية . وكم كانت فرحتنا كبيرة بعد أن نظفر بتحويلها بأمانة الى بنية لغوية عربية .

لقد أردنا لهذا العمل أن يكون لنا درساً شخصياً في إلزام النفس بالدقة والصرامة العلميين . ولقد إكتشفنا من خلال التعامل مع هذا النص العلمي المتين البنيان ، والدقيق المعنى ، كم أن قوالبنا التعبيرية الشائعة فضفاضة ، نظراً لطغيان التجربة الوجدانية عليها . وليس ذلك عيب في اللغة العربية ، بل هو مشكلة في الإعداد العلمي ، ومنهجيات التفكير يتعين علينا علاجها وتجاوزها .

ترجم هذا المعجم خلال سنوات ثلاث كان يتخللها فترات انقطاع لإلتقاط الأنفاس ، أو بسبب الأوضاع الأمنية العصية التي ألمّت بلبنان . ولقد كان إصرارنا كبيراً على الاستمرار في العمل رغم قساوة ظروف الحرب ، وهو إصرار أخذ طابع ظفر نزوات الحياة على نزوات الموت ، التي كادت تكتسح العمران والبشر . ولقد كان الإنغماس في العمل هو دفاع الحياة في نفوسنا ضد الجزع الذي كانت تحمله نزوات الموت التي انطلقت بدون ضابط مهددة بأن لا تبقي ولا تذر .

●●●

أملنا كبير في أن تشكل هذه الترجمة إسهاماً في إغناء المكتبة العربية ، مزودة الفكر العربي بالمزيد من الأدوات والمنهجيات والوسائل التي هو بأمسّ الحاجة إليها في نهضته المعاصرة . ولا شك أنه رغم ما بذل فيه من جهد وعناية ، سيظل محدوداً بالضرورة بحدود إمكاناتنا العلمية والتعبيرية ، ويحمل في طياته العديد من الهنات والسقطات سواء في المعنى ، أو المبنى ، أو المصطلح ، مما لا يفوت الدارس الفطن إكتشافه . وكلنا أمل في أن يتفضل القراء علينا بإبلاغنا بما يقفون عليه منها ، كي نوليها العناية اللازمة ونعمل على تصويبها في الطبعات اللاحقة .

بيروت في 25 / 10 / 1984

الدكتور مصطفى حجازي

- تقديم -

مبررات وتاريخ هذا المؤلَّفْ

يتخذ التعبير عن النفور من التحليل النفسي أحياناً طابع التهكم الذي يستهدف لغته . ولا يتمنى المحللون النفسيون بالطبع اللجوء إلى الاستخدام المفرط أو الذي في غير موضعه لكلمات تقنية تغطي ما قد يعانيه فكرهم من تشويش . إلا أن التحليل النفسي يحتاج ، شأنه في ذلك شأن بقية العلوم والمهن ، إلى كلمات خاصة به . إذ كيف يمكن لاكتشافاته ومفاهيمه الجديدة والمستحدثة ، باعتباره يشكل طريقة في الاستقصاء والعلاج ، ونظرية في النشاط الوظيفي السوي والمرضي للجهاز النفسي ، أن تصاغ بدون اللجوء إلى مصطلحات جديدة ؟ ذلك أنه بالامكان القول عن أي اكتشاف علمي ، بأنه يتكون بالرغم عن الإتجاه الشائع وضده ، وليس من خلال قولبته في ذلك الاتجاه الشائع ؛ إذ لا تكمن الفضيحة التي أثارها التحليل النفسي في المكانة التي أفردها للجنسية ، بل هي تكمن في إدخال الهوام اللاواعي على نظرية النشاط العقلي للانسان الذي يصارع العالم ، ويصارع ذاته ؛ فليس بحوزة اللغة الدارجة كلمات للدلالة على بنى وحركات نفسية غير موجودة أصلاً بالنسبة لهذا التعارف الشائع ؛ ولهذا كان لا بد من نحت كلمات يتفاوت عددها ما بين ـ مئتين وثلاثمئة ـ تبعاً لدقة وصرامة قراءة النصوص ، ولمحكات تقنية المصطلحات .

وما عدا الرجوع إلى الكتابات التحليلية النفسية ، ليس لدينا إلا القليل من المصادر للاحاطة بمعنى هذه الكلمات من مثل : قوائم المصطلحات في آخر المؤلفات التعليمية ، والتعريفات الواردة في مفردات وقواميس علم النفس وعلم النفس المرضي المنشورة منذ مدة تتراوح ما بين العشرين والثلاثين سنة ، إلا أنه لا توجد عملياً أداة عمل خاصة وكاملة ؛ فأقرب محاولة من أداة كهذه ، كانت محاولة الدكتور ريشارد ف. شتربا بعنوان « معجم مفردات التحليل النفسي » Handwörterbuch der psychoanalyse ، إلا أن الظروف قد أوقفت كتابة هذه المحاولة عند الحرف « ل L » ، كما أوقفت الطبع عند مصطلح النُفاج (جنون العظمة) «Grössenwahn» . ولقد كتب الدكتور ريشارد ف. شتربا إليّ قائلاً : « لست أدري هل يرجع هذا الأمر إلى ميلي الخاص إلى النفاج ، أم هو يعود إلى نفاج هتلر » ؛ ولقد تلطّف الدكتور شتربا فأرسل إليّ الكرّاسات الخمس المنشورة من هذا المؤلف ، وهي كرّاسات جدّ نادرة إن لم تكن مفقودة (إذ لا يمكن العثور عليها إلا من دار النشر الدولية للتحليل النفسي بالألمانية ما بين العامين 1936 -1937 : (Internationale psychoanalytische verlag) ؛ كما يمكننا أن نشير أيضاً إلى كتاب آخر ذي منحى

مختلف كلياً ، هو عبارة عن مصنف الفباني للنصوص الفرويدية المترجمة إلى الانجليزية والتي قام بنشرها فودور وغاينور عام1950 مع تقديم بقلم تيودور رايك بعنوان : فرويد : معجم التحليل النفسي ، نيويورك المكتبة الفلسفية ، عدد الصفحات208 مع12 صفحة تمهيدية (Fodor N. and Goynor F., Freud: Dictionary of psychoanalysis, préface de theodor Reik, New york, philosophical library, 1950, XII — 208 pages).

إن المصطلحات التقنية للتحليل النفسي هي في المقام الأول من وضع فرويد ؛ ولقد اغتنت وتوسعت بالتلازم مع اكتشافاته وفكره . وعلى عكس ما حدث في تاريخ علم النفس المرضي التقليدي ، فلم يستعر فرويد إلا القليل من اللاتينية واليونانية ، صحيح أنه استعان بعلم النفس ، وعلم النفس المرضي ، والفسيولوجيا العصبية الشائعة في زمانه ؛ إلا أنه بحث عن كلماته وصيغه في اللغة الألمانية أساساً مُستقياً بذلك من الموارد والتسهيلات التي قدمتها له لغته الألمانية هذه . وقد يحدث أن تكون الترجمة الأمينة لها مسألة صعبة ، مما يجعل المصطلحات التحليلية تعطي انطباعاً خارجاً عن المألوف ، لا تتضمنه لغة فرويد ذاتها ، ويعود ذلك إلى عدم الإستغلال الكافي دوماً لموارد وإمكانات لغة المترجم ؛ كما أن بساطة التعبير الفرويدي هي التي تضيّع في حالات أخرى البعد التقني لذلك التعبير . على أن الصعوبة الفعلية لا تكمن هنا ، إذ أنها ليست ذات طابع ألسني إلا بشكل ثانوي . فإذا كان فرويد الكاتب قد أظهر مقدرة ابتكارية ، إلا أنه كان قليل الاهتمام بالوصول بمفرداته إلى مستوى الاتقان وبدون أن نتكبَّ على تعداد أنماط الصعوبات التي يمكن مصادفتها ، يمكن الاقتصار على القول بأن ما تشكو منه المصطلحات التحليلية هو ما تشكو منه العديد من اللغات عموماً ؛ حيث لا يغيب عنها تعدد معاني الكلمة الواحدة ، كما لا يغيب عنها تداخل الدلالات ؛ مما يجعل العديد من الكلمات المختلفة لا تعكس على الدوام فروقاً بيّنة على مستوى الأفكار .

وهكذا تقوم المعركة بالكلمات ، إنما هي لا تقوم من أجل الكلمات . فما يتعين علينا العثور عليه وراء الكلمات هي الوقائع والأفكار ، وهو التنظيم المفهومي للتحليل النفسي . وهي مهمة يجعلها التطور الطويل والخصب لفكر فرويد تتطلب الكثير من الجهد ، وهذا هو نفسه شأن الأدبيات ذات المدى الواسع ، التي تشغل عناوينها وحدها تسعة مجلدات من قائمة مراجع جرينشتاين . وأكثر من ذلك فكما هو شأن الأفكار ، وجنباً إلى جنب معها ، لا تقتصر الكلمات على مجرد الولادة ، بل انها تلقى مصيرها أيضاً ؛ فيخرج بعضها من التداول ، أو ينحسر مجال استخدامها ، مفسحة المجال لغيرها من تلك التي تستجيب للتوجهات الجديدة في مضمار البحث والنظرية . إلا أن الشطر الأعظم من المصطلحات الفرويدية قد صمد مع الزمن ؛ إذ أمكن إدراج التجديدات وهي محدودة على كل حال في عددها ، ضمن هذه المصطلحات بدون أن تؤثر على تنظيمها أو صبغتها . ومن هنا ، لا يمكن لمعجم مصطلحات أن يقتصر هنا على التعريفات التي تميز ما بين المعاني المختلفة التي أمكن للمصطلحات التحليلية النفسية أن تكتسبها ؛ بل يتوجب أن يبرر التعليق المسند بالمراجع والاستشهادات ، ما يتوصل إليه من طروحات بصددها . ويقتضي تعليق كهذا رجوعاً مستفيضاً إلى الأدبيات كما أنه يتطلب على الأخص إلماماً كافياً بالكتابات الفرويدية ، إذ أن أسس التنظير

والمصطلحات توجد فعلياً في هذه الكتابات الفرويدية ، باعتبار أن حجم الأدبيات التحليلية يتحدى إمكانات باحث منعزل أو إمكانات فريق بحث محدود العدد . كما أن مثل معجم للمصطلحات هذا لا يمكن أن يقوم على مجرد التبحّر النظري وحده ، بل هو يتطلب جهد اختصاصيين على ألفة كافية بالتجربة التحليلية النفسية . إلا أنه لا يجوز لتوجو بتجاوز الكلمات وصولاً إلى الوقائع والأفكار أن يوقعنا في قاموس للمعارف . وأخيراً يقتضي الأمر القيام بإحصاء للاستعمالات وإيضاحها من خلال مقارنتها ببعضها البعض ، والإشارة إلى الصعوبات ، بدون الادعاء بحسم للأمور ، ومن خلال اقتصار التجديد المحدود على جوانب من مثل اقتراح ترجمات أكثر أمانة . والطريقة الأنسب هي في المقام الأول تاريخية نقدية كالطريقة المتبعة في « معجم المصطلحات الفلسفية التقنية والانتقادية » الذي وضعه أندريه لالاند . تلك كانت التطلعات الأولية حين ابتدأ تنفيذ مشروع معجم مصطلحات التحليل النفسي حوالي الأعوام1937 -1939 . ولكنّ المعطيات التي تمّ تجميعها فقدت ؛ كما أن الظروف ، وبعض الانشغالات الأخرى ، وغياب التوثيق حكمت على المشروع بالركود ، إن لم نقل بالاهمال ، إلا أن هذا الركود لم يكن تاماً ، بمعنى أن الاهتمامات المصطلحية لم تغب عن مختلف الأعمال . ولم يتم إعادة تحريك المشروع إلا في عام1958 ، وبنفس الروحية التاريخية النقدية المميزة لمعجم مصطلحات الفلسفة الذي وضعه لالاند ، ولكنّ هذه الروحية قد اتخذت عندها أساليب مغايرة .

وبعد شيء من التلمّس والمحاولة وجدت ضرورات المهمة والرغبة في إنجازها جواباً عليها في التعاون ما بين جان لابلانش و ج. ب. بونتاليس . ولقد تطلب منهما استشارة الأدبيات التحليلية النفسية ، والتفكير حول النصوص ، وتحرير مشاريع المقالات ، ومراجعة هذه المشاريع ووضعها في صيغتها النهائية ما يقارب الثمان سنوات من العمل ، وهو عمل خصب بالطبع إلا أنه مكبّل أيضاً وأحياناً مملّ ومتعب . ولقد تمت قراءة ومناقشة معظم مشروعات المقالات فيما بيننا ، ولا زلت أحتفظ بذكرى حية عن الصخب الذي ساد هذه المقابلات التي لم يكن التفاهم الطيب يخشى خلالها التباين في وجهات النظر من ناحية ، ولا يسيء في شيء إلى الصرامة العلمية بدون أي تنازل من ناحية ثانية . ولولا هذا الجهد « الرائد » الذي بذله لابلانش وبونتاليس ، لما قيض للمشروع الذي خطط له منذ عشرين سنة سلفت أن يصبح هذا الكتاب الذي بين يدينا .

ولم يخلُ توجه هذا المؤلف من التغيير خلال سنوات الجهد هذه ، وخصوصاً الأخيرة منها ، مما لا يشكل مؤشر ضعف بل هو دليل حيوية . وهكذا ركّز لابلانش وبونتاليس أبحاثهما وتفكيرهما بشكل متزايد على الكتابات الفرويدية ، مع ميل واضح للإستعانة بالنصوص التحليلية النفسية الأولى ، وبكتاب « مشروع علم نفس علمي عام1895 » والذي نشر لتوه . إلا أن الأهمية الكبرى المعطاة إلى ولادة الأفكار والمصطلحات لم تقلل في شيء من الاهتمام بمصيرها ومداها . وهكذا يحمل « معجم مصطلحات التحليل النفسي » الصبغة الشخصية لكل من لابلانش وبونتاليس ولكن بدون أن يتنكر للمبادىء التي ألهمت المشروع المبدئي لمثل هذا المؤلف .

لقد كان هدفه ولا زال تلبية حاجة وضرورة شعرنا بها نحن ، واعترف بها الآخرون ، ولم تتعرض للتنكر لها إلا نادراً . وأملنا أن يكون « مفيداً » ، وأن يصبح أداة عمل للباحثين وللطلاب في

التحليل النفسي ، وكذلك للاختصاصيين في مجالات أخرى ، أو حتى للفضوليين . ومهما بذلنا من عناء وتنبه في وضعه ، إلا أن القراء العارفين والمتأنيين الذين يتمسكون بالمستوى لن يفوتهم بدون شك اكتشاف بعض الثغرات ، وبعض أخطاء تتعلق بالوقائع أو بتأويلها ؛ فإذا تلطف هؤلاء القراء بإرسال انتقاداتهم ، فإنها لن تضيع ، بل ستستقبل بحرارة ، وتدرس باهتمام . ومن ناحية ثانية يبدو أن موضوع ومحتوى وشكل « المعجم » لا يحول دون ترجمته إلى لغات أخرى . ولا شك أن الملاحظات ، والانتقادات حوله ، والترجمات له ستلبي طموحاً ثانياً وهو : أن لا يكون « معجم مصطلحات التحليل النفسي » مجرد « أداة عمل » فقط بل كذلك « وثيقة عمل » أيضاً .

دانيال لاجاش

تمهيد

يهتم هذا المؤلف بالمفاهيم الرئيسية للتحليل النفسي ؛ وهو يتضمّن عدداً من الخيارات :

أولاً : فبمقدار ما قام التحليل النفسي بتجديد فهمنا لمعظم الظواهر النفسانية ، والنفسية المرضية ، ولفهمنا للانسان بوجه عام ، كان بمقدورنا أن لا نقتصر على مجرد علاج مفاهيم الليبدو والنقلة ، في معجم ألفبائي يطرح على ذاته مهمة تغطية مجمل إسهامات التحليل النفسي ، بل نتعداهما الى علاج مسائل الحب والحلم والجنوح والسريالية أيضاً . ولكن قصدنا كان مختلفاً كلياً عن ذلك : فلقد اخترنا عمداً تحليل البنيان المفهومي للتحليل النفسي ، أي تحليل مجمل المفاهيم التي أرصنها تدريجياً لتبيان اكتشافاته العلمية. لايستعرض هذا « المعجم » إذاً كل ما يود التحليل النفسي تفسيره ، بل هو يستعرض بالأحرى الأدوات (المصطلحية) المستعملة في هكذا تفسير .

ثانياً : لقد مضى على ولادة التحليل النفسي ما يقارب ثلاثة أرباع القرن . ولقد شهدت « حركة » التحليل النفسي تاريخاً طويلاً ومضطرباً ، إذ أنشئت العديد من جماعات المحللين في العديد من البلدان حيث لم تفلت المفاهيم نفسها من إنعكاسات مختلف العوامل الثقافية عليها . وبدلاً من القيام بإحصاء لتعدد الاستخدامات الظاهرية على الأقل ، على مر الزمان واختلاف المكان ، لهذه المفاهيم ، فلقد فضّلنا العودة إلى الإحاطة بها في أصالتها الخاصة ، رغم ما ألمّ بها غالباً من غموض وذبول ، مما جعلنا نُولي أهمية خاصة للحظة اكتشافها .

ثالثاً : أدى بنا التمسك بهذا الخيار إلى الرجوع في القضايا الأساسية إلى أعمال سيجموند فرويد التأسيسية . ذلك أن أي استقصاء حتى ولو كان جزئياً ، يجرى على هذه الكتلة الهائلة من الأدبيات التحليلية النفسية ، سيبرهن لنا بلا شك ، إلى أي مدى ترجع أصول الغالبية العظمى من المفاهيم التي تستعملها هذه الأدبيات ، إلى الكتابات الفرويدية . وبهذا المعنى أيضاً يفترق « معجمنا » عن أي مشروع آخر ذي مرمى موسوعي .

ويتضمّن هذا الاهتمام عينه في العودة إلى الاسهامات المفهومية الأساسية ، أخذ كتّاب آخرين غير فرويد بعين الاعتبار . وهكذا نذكر على سبيل المثال ، بأننا قد قدمنا بعضاً من المفاهيم التي أدخلتها ميلاني كلاين .

رابعاً : أما في مضمار علم النفس المرضي فإن هناك ثلاثة مبادىء قد وجهت اختيارنا كالتالي :

أ ـ القيام بتعريف المصطلحات التي وضعها التحليل النفسي ، سواء أتم الحفاظ على

استخدامها (من مثل : عصاب القلق) أم لا (من مثل هستيريا الإمساك) ؛

ب ـ القيام بتعريف المصطلحات المستخدمة من قبل التحليل النفسي ولو من مدلول يختلف ، أو كان بإمكانه أن يختلف عن المدلول الطبي العقلي المتعارف عليه عموماً (من مثل تعريف العظام ، والفصام الهذياني) ؛

جـ ـ القيام بتعريف المصطلحات ذات المدلول الموحد في كل من التحليل النفسي ، وفي الممارسة العيادية الطبية العقلية ، والتي تتمتع بقيمة محورية في التصنيف المرضي التحليلي ؛ من مثل : العصاب ، والذهان ، والشذوذ . فلقد حرصنا في الواقع على تقديم مؤشرات مرجعية للقارىء ذي الإلمام المحدود بالممارسة العيادية على الأقل .

***

المقالات معروضة تبعاً للتسلسل الألفبائي . ولقد اعتمدنا تعبير « أنظر هذا المصطلح » للدلالة على العلاقات الموجودة ما بين مختلف الأفكار ، فهو يعني أن المسألة موضع البحث مطروحة أو معالجة أيضاً ، وبشكل غالباً ما يكون أكثر شمولاً ، في المقالة المشار إليها . وهكذا فإننا نود دعوة القارىء إلى إقامة العلاقات ذات الدلالة ما بين الأفكار بنفسه ، وإلى أن يجد سبيله في شبكات الترابطات المميزة للّغة التحليلية النفسية . ونظن أننا نتجنب بذلك عقبة مزدوجة : أي الإعتباط الذي يهدد بأن يقودنا إليه تصنيف ألفبائي محض ، والعقبة الأكثر شيوعاً منها التي تتمثل في التزمت المرتبط بالطروحات ذات المنحى الإفتراضي ـ الاستنتاجي . وإننا لنأمل بذلك أن تظهر سلاسل ، وعلاقات داخلية ، و« نقاط تقاطع » مختلفة عن تلك التي تستند إليها العروض المنهجية للمذهب الفرويدي .

لقد وضعنا لكل مصطلح تعريفاً ، ثم اتبعناه بتعليق . يحاول التعريف أن يكثّف مدلول الفكرة ، كما تستخلص من استعمالها الدقيق في النظرية التحليلية النفسية . وأما التعليق فهو يمثل القسم النقدي ويشكل جوهر دراستنا للمصطلح . ويمكن تعريف الطريقة التي طبّقناها من خلال أبعاد ثلاثة التاريخ ، والبنية ، والإشكالية . أما على الصعيد التاريخي : فإننا أردنا أن نبين بالنسبة لكل مصطلح ، وبدون أن نلزم أنفسنا بنظام زماني صارم في العرض ، أصوله ، والمراحل الرئيسية من تطوره . ولا يقتصر مثل هذا البحث عن الأصل ، بالنسبة إلينا ، على مجرد اهتمام بالتبحر في المسألة : إذ أننا نفاجأ حين نقارن المفاهيم الأساسية من جديد مع التجارب التي أدت إلى نشأتها ، ومع المشكلات التي تخللت تطورها وأثّرت عليه ، كيف أنها تكتسب وضوحاً وتستعيد مقوّماتها الحية ، وحدودها ، وتناسقها المتبادل .

ولا بد لهذا البحث التاريخي من أن يحيلنا فيما لو قدمناه بالنسبة لكل مفهوم بمعزل عما عداه ، إلى تاريخ مجمل الفكر التحليلي النفسي . وبالتالي فلن يفوته أن يأخذ بعين الإعتبار وضعية عنصر معين بالنسبة إلى البنية التي يتموضع فيها . يبدو استخلاص هذه الوظيفة سهلاً أحياناً ، حيث تحظى بالاقرار الصريح بها في أدبيات التحليل النفسي . إلا أنه غالباً ما تكون التطابقات ، والتعارضات والعلاقات ضمنية تماماً ، وذلك مهما بلغت درجة أهميتها لإستيعاب مفهوم معين في أصالته : ويمكننا أن نأخذ بعض الأمثلة الفصيحة بدلالتها بشكل خاص ، فمثلاً لم يُصَغْ التعارض ما بين

« النزوة » و« الغريزة » على أهميته وضرورته لوضوح النظرية التحليلية النفسية ، بشكل واضح عند فرويد في أي موضع من أعماله ؛ وكذلك فالتعارض ما بين « اختيار الموضوع بالاستناد » و« إختيار الموضوع النرجسي » لم يربط غالباً مع ما يلقي الضوء عليه عند فرويد ، رغم عودة معظم المؤلفين إليه : إذ سرعان ما فقد كل من « استناد » « النزوات الجنسية » على وظائف « حفظ الذات » ؛ والتناسق ما بين « النرجسية » و« الغلمة الذاتية » وهو الذي يتيح لنا دون ما عداه أن نموضع هاتين الفكرتين ، وضوحهما الأول ، حتى عند فرويد نفسه .

وأخيراً فإن بعض الظواهر البنيوية هي مدعاة لدرجة أشد بكثير من الحيرة والتشويش : فليس من النادر ، أن نجد أن وظيفة بعض المفاهيم ، أو مجموعات المفاهيم ، في النظرية التحليلية النفسية ، وقد تحولت إلى عناصر أخرى من النظام (النظري) في مرحلة لاحقة . إن التأويل وحده هو الكفيل بأن يتيح لنا العثور على بعض البنى الثابتة للفكر والتجربة التحليليين النفسيين ، خلال أمثال هذه التحولات .

ولقد حاول تعليقنا حول الأفكار الرئيسية التي صادفها ، أن يُزيل ما يحيط بها من غموض ، أو أن يوضحه على الأقل ، وأن يبرز بالمناسبة تناقضاتها ؛ وليس من النادر أن تقودنا هذه التناقضات إلى إشكالية كفيلة بأن تُصادَف على مستوى التجربة نفسها .

ولقد أتاحت لنا هذه المناقشة ، من وجهة نظر أكثر تواضعاً ، أن نبيّن بعض الصعوبات المصطلحية المحضة ، وأن نقدم بعض الإقتراحات الرامية إلى تثبيت المصطلحات (التحليلية النفسية) باللغة الفرنسية ، والتي لا زالت تفتقر في معظم الأحيان إلى التماسك .

●●●

لقد أشرنا في رأس كل مقالة إلى المعادلات (المصطلحية) لها في الألمانية بالأحرف(.D) ، والإنجليزية(.Eng) ، والإسبانية(.Es) والإيطالية(.I) ، والبرتغالية(.P) .

وأما الملاحظات والمراجع ، فلقد وضعت في آخر كل مقالة . ولقد أشير إلى الملاحظات بالأحرف اليونانية ، وإلى المراجع بالأرقام .

ولقد تمّت ترجمة المقاطع المقتطفة ، وكذلك عناوين المؤلفات التي تمّ الرجوع إليها في سياق النص ، من قبل المؤلّفينْ .

ج. لابلانش
ج . ب . بونتاليس

شكر وتقدير

شكراً لكل أولئك الذين أبدوا إهتماماً بهذا المؤلَّفْ وأسهموا في صياغته .

وبالرغم من صغر حجمه ، فإن « معجم المصطلحات الألمانية ـ الإنجليزية » الـذي أُعيد نشره في العام 1943 بواسطة ألكس ستراشي ، قد شكّل لنا ، منذ فترة طويلة ، أداة عمل جليلة الفائدة . ولكن كيف يمكننا أن نعبّر عن تقديرنـا لـ « الطبعـة المعيارية لأعمال سيجمونـد فرويد النفسانية الكاملة » والتي تمّت ترجمتها ونشرها بإشراف البروفسور جيمس ستراشي ، وبالتعاون مع آنا فرويد ، ومساعدة ألكس ستراشي ، وآلن تايسون ، إلا بالتعبير عن الاهتمام الذي استقبلنا به كل من مجلداتها ؟ ذلك أن الترجمات والهوامش ، والجهاز النقدي ، والفهارس ، تجعل من هذا العمل الكبير مصدراً مرجعياً للبحث لا يضاهي .

وأما بصدد اختيار المعادلات الأجنبية ، فلقد استفاد « معجم مصطلحات التحليل النفسي » من إسهام كل من الدكتورة أنجل جارما والدكتور فيدباس شيزيو والدكتورة ماري لانجر بالنسبة للمعادلات الإسبانية ؛ ومن إسهـام الدكتـور ألفيو فاشينللي (ميلانـو) وهـو مترجـم فرويد إلى الإيطالية ، يساعده السيد ميشال دافيد المحاضر في اللغة الفرنسية في جامعة بادوا ، بالنسبة للمعادلات الإيطالية ؛ ومن إسهام كل من السيدة إليزا ريبيارو هافيلكا والدكتور دورفال ماركوندس ، بالنسبة للمعادلات البرتغالية .

لقد كانت السيدة إليزا ريبيارو هافيلكا ، وهي المعاونة التقنية لكرسي أستاذية علـم النفس المرضي في (كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، باريس ، السوربون) منذ بداية هذا المشروع وحتى نهايته مساعِدَة متفانية ، مرموقة في همتها وعنايتها ، وإلمامها بلغات عديدة .

ولقد أبدت كل من الأنستين فرانسواز لابلاش منذ ربيع عام 1965 ، وإيفلين شاتيليه ، المعاونة التقنية في المركز الوطني للبحث العلمي ، والملحقة بمختبر علم النفس المرضي ، منذ كانون الثاني / يناير 1966 تفانياً مماثلاً .

وهكذا حظي هذا المؤلف بالدعم المباشر ، وخصوصاً بالدعم غير المباشر من كلية باريس للآداب والعلوم الإنسانية (السوربون) ، ومن المركز الوطني للبحث العلمي .

ولا يمكننا هنا أن ننسى الإستقبال المُشجع الذي أبداه ناشرو المطابع الجامعية لفرنسا منذ العام 1959 لمشروع « معجم مصطلحات التحليل النفسي » ، وهو الإستقبال الطيب الذي لم يتزعزع حين بلغ حجم المُؤَلَّفْ ضعف التقديرات المبدئية تقريباً .

المراجع
والإختصارات المرجعية

المراجع مثبتة في نهاية كل مقالة . وأما هنا فإننا نقدم تفسير الإختصارات المستعملة في النص .

أولاً : أعمال فرويد

- تدل الأحرف : .G.W على مجموعة أعمال فرويد بالألمانية والتي تقع في 18 مجلداً ، والمنشورة في لندن . 1940 -1952 .
- تدل الأحرف : .S.E على الطبعة المعيارية لأعمال سيجموند فرويد السيكولوجية الكاملة والمنشورة بإشراف جيمس ستراشي في 24 مجلداً في لندن 1953 -1966 .
- تدل الأحرف .A.L.L إلى كتاب ولادة التحليل النفسي ، رسائل إلى فيلهلم فلايس ، مع مذكرات ، ومخططات .
- تدل الأحرف .Angl على أصول التحليل النفسي ، لندن 1954 .
- تدل الأحرف .R.F.P على المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

ولا يوجد في الفرنسية ترجمة كاملة لأعمال فرويد ، ولذلك يحيل المؤلفان القارىء إلى الترجمات الفرنسية الموجودة ويقدمان قائمة مفصلة بأعمال فرويد المترجمة مبوبة زمنياً مع الإشارة إلى المرجع الفرنسي الذي توجد فيه كل مقالة .

أما في العربية فإن الأعمال المترجمة ترجمة علمية يعتمد عليها لا زالت محدودة وسنشير إليها خلال ترجمة عناوين أعمال فرويد المعروضة زمنياً بدون الزعم بالإحاطة الشاملة بها .

1887-1902 *Aus den Anfängen der Psychoanalyse (La naissance de la psychanalyse, lettres à Wilhelm Fliess, notes et plans)*, Paris, P.U.F., 1956.

1887 -1902 : ولادة التحليل النفسي ، رسائل إلى فيلهلم فلايس مع مذكرات ومخططات .

1893 *Über den psychischen Mechanismus hysterischer Phänomene*, en coll. avec J. Breuer *(Les mécanismes psychiques des phénomènes hystériques)*, in *Études sur l'hystérie*, Paris, P.U.F., 1956, pp. 1-13.

1893 : الأواليات النفسية للظواهر الهستيرية ، في كتاب دراسات حول الهستيريا .

1895 *Studien über Hysterie (Études sur l'hystérie)*, en coll. avec J. Breuer, Paris, P.U.F., 1956.

1895 : دراسات حول الهستيريا ، بالتعاون مع جوزف بروير .

1895 *Entwurf einer Psychologie (Esquisse d'une psychologie scientifique)*, in *La naissance de la psychanalyse, lettres à Wilhelm Fliess, notes et plans*, Paris, P.U.F., 1956, pp. 307-396.

1895 : مخطط إجمالي لعلم نفس علمي ، في كتاب ولادة التحليل النفسي .

1900 *Die Traumdeutung (L'interprétation des rêves)*, Paris, P.U.F., 1967 (nouv. éd. augmentée).

1900 : تأويل الأحلام (مترجم إلى العربية بعنوان تفسير الأحلام ، دار المعارف مصر) .

1901 *Über den Traum (Le rêve et son interprétation)*, Paris, Gallimard, 1925.

1901 : الحلم وتأويله .

1901 *Zur Psychopathologie des Alltagslebens (Psychopathologie de la vie quotidienne)*, Paris, Payot, 1948.

1901 : سيكوباثولوجية الحياة اليومية .

1904 *Die Freudsche psychoanalytische Methode (La méthode psychanalytique de Freud)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 1-8.

1904 : طريقة فرويد التحليلية النفسية ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1904 *Über Psychotherapie (De la psychothérapie)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 9-22.

1904 : حول العلاج النفسي ، في كتاب حول تقنية التحليل النفسي .

1905 *Bruchstück einer Hysterie-Analyse (Fragment d'une analyse d'hystérie : Dora)*, in *Cinq psychanalyses*, Paris, P.U.F., 1954, pp. 1-91.

1905 : شطر من تحليل نفسي للهستيريا ـ حالة دورا ، في كتاب خمس حالات في التحليل النفسي ، (مترجم إلى العربية) .

1905 *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie (Trois essais sur la théorie de la sexualité)*, Paris, Gallimard, coll. « Idées », 1962.

1905 : ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية ، (مترجم إلى العربية ، دار المعارف ، مصر) .

1905 *Der Witz und seine Beziehung zum Unbewussten (Le mot d'esprit et ses rapports avec l'inconscient)*, Paris, Gallimard, 1953.

1905 : النكتة وعلاقاتها باللاوعي .

1906 *Tatbestandsdiagnostik und Psychoanalyse (La psychanalyse et l'établissement des faits en matière judiciaire par une méthode diagnostique)*, in *Essais de psychanalyse appliquée*, Paris, Gallimard, 1933, pp. 43-58.

1906 : التحليل النفسي وإقامة الدليل في المسألة القضائية من خلال طريقة تشخيصية ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي التطبيقي .

1907 *Der Wahn und die Träume in W. Jensens « Gradiva » (Délires et rêves dans la « Gradiva » de Jensen)*, Paris, Gallimard, 1949.

1907 : الهذيانات والأحلام في الـ « جراديفا » ليانسن .

1907 *Zwangshandlungen und Religionsübungen (Actes obsédants et exercices religieux)*, in *L'avenir d'une illusion*, Paris, Denoël & Steele, 1932, pp. 157-183.

1907 : الأفعال الهجاسية والممارسة الدينية ، في كتاب : مستقبل وهم .

1908 *Der Dichter und das Phantasieren (La création littéraire et le rêve éveillé)*, in *Essais de psychanalyse appliquée*, Paris, Gallimard, 1933, pp. 69-82.

1908 : الإبداع الأدبي والحلم اليقظ ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي التطبيقي .

1909 *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben (Analyse d'une phobie d'un petit garçon de cinq ans : Le petit Hans)*, in *Cinq psychanalyses*, Paris, P.U.F., 1954, pp. 93-198.

1909 : تحليل خواف عند صبي صغير في الخامسة من العمر : هانز الصغير ، في كتاب خمس حالات في التحليل النفسي ، (مترجم إلى العربية) .

1909 *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose (Remarques sur un cas de névrose obsessionnelle : L'homme aux rats)*, in *Cinq psychanalyses*, Paris, P.U.F., 1954, pp. 199-261.

1909 : ملاحظات حول حالة في العصاب المجلمي : رجل الفئران ، في كتاب : خمس حالات في التحليل النفسي ، (مترجم إلى العربية) .

1909 *Über Psychoanalyse*, rééd. sous le titre *Cinq leçons sur la psychanalyse*, à la suite de *Psychologie collective et analyse du moi*, Paris, Payot, 1950, pp. 117-177.

1909 : خمس دروس في التحليل النفسي ، وهي تلي علم النفس الجماعي وتحليل الأنا .

1910 *Beiträge zur Psychologie des Liebeslebens* : I. *Über einen besonderen Typus der Objektwahl beim Manne (Contribution à la psychologie de la vie amoureuse : I. D'un type particulier de choix objectal chez l'homme)*, in *R.F.P*, 1936, 9, n° 1, pp. 2-10.

1910 : إسهام في سيكولوجية الحياة الغرامية : I حول نمط خاص من اختيار الموضوع عند الرجل .

1910 *Die zukünftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie (Perspectives d'avenir de la thérapeutique analytique)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 23-34.

1910 : آفاق مستقبل العلاج التحليلي ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1910 *Über « wilde » Psychoanalyse (A propos de la psychanalyse dite « sauvage »)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 35-42.

1910 : حول التحليل النفسي المسمى « وحشياً » ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1910 *Eine Kindheitserinnerung des Leonardo da Vinci (Un souvenir d'enfance de Léonard de Vinci)*, Paris, Gallimard, 1927.

1910 ـ ذكرى طفولة عند ليونارد دي فنشي .

1910 *Über den Gegensinn der Urworte (Des sens opposés dans les mots primitifs)*, in *Essais de psychanalyse appliquée*, Paris, Gallimard, 1933, pp. 59-68.

1910 : حول المعاني المتضادة في الكلمات البدائية ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي التطبيقي .

1911 *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides) (Remarques psychanalytiques sur l'autobiographie d'un cas de paranoïa (Dementia paranoides) : Le Président Schreber)*, in *Cinq psychanalyses*, Paris, P.U.F., 1954 pp. 263-324.

1911 : ملاحظات تحليلية نفسية حول السيرة الذاتية لحالة عظامية : الرئيس شرايبر ، في كتاب : خمس حالات في التحليل النفسي (مترجم إلى العربية) .

1911 *Die Handhabung der Traumdeutung in der Psychoanalyse (Le maniement de l'interprétation des rêves en psychanalyse)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 43-49.

1911 : ممارسة تأويل الأحلام في التحليل النفسي ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي

1912 *Zur Dynamik der Übertragung (La dynamique du transfert)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 50-60.

1912 : دينامية النقلة ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1912 *Beiträge zur Psychologie des Liebeslebens : II. Über die allgemeinste Erniedrigung des Liebeslebens (Contribution à la psychologie de la vie amoureuse : II. Considérations sur le plus commun des ravalements de la vie amoureuse)*, in *R.F.P.*, 1936, IX, n° 1, pp. 10-21.

1912 : إسهام في سيكولوجية الحياة الغرامية : II إعتبارات حول أكثر حالات إنحطاط الحياة الغرامية شيوعاً .

1912 *Ratschläge für den Arzt bei der psychoanalytischen Behandlung (Conseils aux médecins sur le traitement psychanalytique)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953. pp. 61-71.

1912 . نصائح إلى الأطباء حول العلاج التحليلي النفسي ، في كتاب حول تقنية التحليل النفسي .

1912 *Einige Bemerkungen über den Begriff des Unbewussten in der Psychoanalyse (Quelques observations sur le concept d'inconscient en psychanalyse)*, in *Métapsychologie*, Paris, Gallimard, 1940, pp. 9-24.

1912 : بعض الملاحظات حول مفهوم اللاوعي في التحليل النفسي ، في كتاب ما وراء علم النفس .

1912 *Totem und Tabu (Totem et tabou)*, Paris, Payot, 1947.

1912 : الطوطم والمقدس .

1913 *Zur Einleitung der Behandlung (Le début du traitement)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 80-104.

1913 : بداية العلاج ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1913 *Die Disposition zur Zwangsneurose (La prédisposition à la névrose obsessionnelle)*, in *R.F.P.*, 1929, 3, n° 3, pp. 437-447.

1913 ـ الإستهياء للعصاب الحجاسي ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1914 *Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung (Contribution à l'histoire du mouvement psychanalytique)*, in *Essais de Psychanalyse*, Paris, Payot, 1936 (1re éd.,), pp. 266-320.

1914 : إسهام في تاريخ حركة التحليل النفسي ، في كتاب محاولات في التحليل النفسي .

1914 *Erinnern, Wiederholen und Durcharbeiten (Remémoration, répétition et élaboration)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 105-115.

1914 : الإستذكار ، التكرار ، والإرصان ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1915 *Triebe und Triebschicksale (Les pulsions et leurs destins)*, in *Métapsychologie*, Paris, Gallimard, 1952, pp. 25-66.

1915 : النزوات ومصيرها ، في كتاب : ما وراء علم النفس .

1915 *Mitteilung eines der psychoanalytischen Theorie widersprechenden Falles von Paranoia (Un cas de paranoia qui contredisait la théorie psychanalytique de cette affection)*, in *R.F.P.*, 1935, 8, n° 1, pp. 2-11.

1915 : حالة عظامية تناقض النظرية التحليلية النفسية حول هذه الإصابة في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1915 *Die Verdrängung (Le refoulement)*, in *Métapsychologie*, Paris, Gallimard, 1952, pp. 67-90.

1915 : الكبت ، في كتاب : ما وراء علم النفس .

1915 *Das Unbewusste (L'inconscient)*, in *Métapsychologie*, Paris, Gallimard, 1952, pp. 91-161.

1915 : اللاوعي ، في كتاب ما وراء علم النفس .

1915 *Bemerkungen über die Übertragungsliebe (Observations sur l'amour de transfert)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 116-130.

1915 : ملاحظات حول غرام النقلة ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1915 *Zeitgemässes über Krieg und Tod (Considérations actuelles sur la guerre et la mort)*, in *Essais de psychanalyse*, Paris, Payot, 1951, pp. 219-250.

1915 : إعتبارات راهنة حول الحرب والموت ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي .

1916 *Einige Charaktertypen aus der psychoanalytischen Arbeit (Quelques types de caractères dégagés par la psychanalyse)*, in *Essais de Psychanalyse*, Paris, Gallimard, pp. 105-136.

1916 : بعض أنماط الطبع التي إستخلصها التحليل النفسي ، في كتاب محاولات في التحليل النفسي .

1916-1917 *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse (Introduction à la psychanalyse)*, Paris, Payot, 1951.

1916-1917 : محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي (مترجمة إلى العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر) .

1917 *Über Triebumsetzungen insbesondere der Analerotik (Sur les transformations des pulsions, particulièrement dans l'érotisme anal)*, in *R.F.P.*, 1928, 2, n° 4, pp. 609-616.

1917 : حول تحولات النزوات ، وخصوصاً في الغلمة الشرجية ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1917 *Trauer und Melancholie (Deuil et mélancolie)*, in *Métapsychologie*, Paris, Gallimard, 1952, pp. 189-222.

1917 : الحداد والسوداوية ، في كتاب : ما وراء علم النفس .

1917 *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre (Complément métapsychologique à la doctrine des rêves)*, in *Métapsychologie*, Paris, Gallimard, 1952, pp. 162-188.

1917 : ملحق ما وراء نفساني حول مذهب الأحلام ، في كتاب : ما وراء علم النفس .

1917 *Eine Schwierigkeit der Psychoanalyse (Une difficulté de la psychanalyse)*, in *Essais de psychanalyse appliquée*, Paris, Gallimard, 1933, pp. 137-147.

1917 : واحدة من صعوبات التحليل النفسي ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي التطبيقي .

1917 *Beiträge zur Psychologie des Liebeslebens* : III. *Das Tabu der Virginität (Contribution à la psychologie de la vie amoureuse* : III. *Le tabou de la virginité)*, in *R.F.P.*, 1933, 6, n° 1, pp. 2-17.

1917 : إسهام في سيكولوجية الحياة الغرامية III حول تقديس العذرية ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1918 *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose (Extrait de l'histoire d'une névrose infantile : L'homme aux loups)*, in *Cinq psychanalyses*, Paris, P.U.F., 1954, pp. 325-420.

1918 : مقتطفات من تاريخ عصاب طفلي : رجل الذئاب ، في كتاب : خمس حالات في التحليل النفسي (مترجم إلى العربية) .

1918 *Wege der psychoanalytischen Therapie (Les voies nouvelles de la thérapeutique psychanalytique)*, in *De la technique psychanalytique*, Paris, P.U.F., 1953, pp. 131-141.

1918 : المسارات الجديدة للعلاج التحليلي النفسي ، في كتاب : حول تقنية التحليل النفسي .

1919 « *Ein Kind wird geschlagen* » *(« On bat un enfant »)*, in *R.F.P.*, 1933, 6, n° 3-4, pp. 274-297.

1919 : (« طفل يُضْرَبُ ») في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1919 *Das Unheimliche (L'inquiétante étrangeté)*, in *Essais de psychanalyse appliquée*, Paris, Gallimard, 1933, pp. 163-211.

1919 : الغرابة المقلقة ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي التطبيقي .

1920 *Über die Psychogenese eines Falles von weiblicher Homosexualität (Psychogenèse d'un cas d'homosexualité féminine)*, in *R.F.P.*, 1933, 6, n° 2, pp. 130-154.

1920 : المنشأ النفسي لحالة من الجنسية المثلية الأنثوية ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1920 *Jenseits des Lustprinzips (Au-delà du principe de plaisir)*, in *Essais de psychanalyse*, Paris, Payot, 1951, pp. 5-75.

1920 : ما فوق مبدأ اللذة ، (مترجم إلى العربية) في كتاب : محاولات في التحليل النفسي .

1921 *Massenpsychologie und Ich-Analyse (Psychologie collective et analyse du moi)*, in *Essais de psychanalyse*, Paris, Payot, 1951, pp. 76-162.

1921 : علم النفس الجماعي وتحليل الأنا ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي .

1922 *Über einige neurotische Mechanismen bei Eifersucht, Paranoia und Homosexualität (De quelques mécanismes névrotiques dans la jalousie, la paranoia et l'homosexualité)*, in *R.F.P.*, 1932, 5, n° 3, pp. 391-401.

1922 : حول بعض الأواليات العصابية في الغيرة ، والعظام ، والجنسية المثلية ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1923 *Das Ich und das Es* (sous le titre : *Le moi et le soi*), in *Essais de psychanalyse*, Paris, Payot, 1951, pp. 163-218.

1923 : الأنا والهو ، في كتاب محاولات في التحليل النفسي (مترجم إلى العربية بعنوان الذات والغرائز ، مكتبة النهضة المصرية) .

1923 *Eine Teufelsneurose im siebzehnten Jahrhundert (Une névrose démoniaque au XVII° siècle)*, in *Essais de psychanalyse appliquée*, Paris, Gallimard, 1933, pp. 213-254.

1923 : عصاب شيطاني في القرن السابع عشر ، في كتاب : محاولات في التحليل النفسي التطبيقي .

1924 *Das ökonomische Problem des Masochismus (Le problème économique du masochisme)*, in *R.F.P.*, 1928, 2, n° 2, pp. 211-223.

1924 : المشكلة الإقتصادية في المازوشية ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1924 *Der Untergang des Ödipuskomplexes (Le déclin du complexe d'Œdipe)*, in *R.F.P.*, 1934, 7, n° 3, pp. 394-399.

1924 : أفول عقدة الأوديب ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1925 *Die Verneinung (La négation)*, in *R.F.P.*, 1934, 7, n° 2, pp. 174-177.

1925 : النفي ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1925 *Selbstdarstellung (Ma vie et la psychanalyse)*, Paris, Gallimard, 1949.

1925 : حياتي والتحليل النفسي (مترجم إلى العربية ، دار المعارف مصر) .

1926 *Die Frage der Laienanalyse* (sous le titre : *Psychanalyse et médecine*), in *Ma vie et la psychanalyse*, Paris, Gallimard, 1949, pp. 117-239.

1926 : التحليل النفسي والطب ، في كتاب : حياتي والتحليل النفسي (مترجم إلى العربية ، دار المعارف مصر) .

1926 *Hemmung, Symptom und Angst (Inhibition, symptôme et angoisse)*, Paris, P.U.F., 1965 (nouv. éd.).

1926 : الصد ، العارض ، والقلق (مترجم إلى العربية ، بعنوان القلق ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر) .

1927 *Die Zukunft einer Illusion (L'avenir d'une illusion)*, Paris, P.U.F., 1971 (nouv. éd.).

1927 : مستقبل وهم .

1930 *Das Unbehagen in der Kultur (Malaise dans la civilisation)*, Paris, P.U.F., 1971 (nouv. éd.).

1930 : ضيق في الحضارة .

1932 *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse (Nouvelles conférences sur la psychanalyse)*, Paris, Gallimard, 1936.

1932 : محاضرات جديدة في التحليل النفسي (مترجم إلى العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر) .

1937 *Die endliche und die unendliche Analyse (Analyse terminée et analyse interminable)*, in *R.F.P.*, 1938-1939, 10-11, n° 1, pp. 3-38.

1937 : التحليل المنتهي والتحليل اللامنتهي ، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي .

1938 *Abriss der Psychoanalyse (Abrégé de psychanalyse)*, Paris, P.U.F., 1950

1938 : الموجز في التحليل النفسي (مترجم إلى العربية ، دار المعارف ، مصر) .

1939 *Der Mann Moses und die monotheistische Religion (Moïse et le monothéisme)*, Paris, Gallimard, 1948.

1939 : موسى والتوحيد .

ثانياً : مراجع المؤلفين الآخرين

Karl ABRAHAM. Nous renvoyons à l'édition française (Fr.) des *Œuvres complètes* en 2 vol., Paris, Payot, 1965-1966.

- كارل أبراهام : نحيل القارىء إلى الطبعة الفرنسية لأعمال كارل أبراهام الكاملة في جزئين .

Joseph BREUER. Dans les *Studien über Hysterie* (*Études sur l'hystérie*, 1895) publiées avec S. FREUD, J. BREUER est l'auteur de deux chapitres : « Fräulein Anna O. » (Mademoiselle Anna O.), « Theoretisches » (Considérations théoriques).

Pour ces textes, All. renvoie à l'édition originale des *Studien über Hysterie*, Leipzig und Wien, Deuticke, 1895 ; S.E. renvoie à la Standard Edition ; Fr. renvoie aux *Études sur l'hystérie*, Paris, P.U.F., 1956.

- جوزف بروير : دراسات حول الهستيريا ، المنشور بالتعاون مع فرويد ، حيث كتب بروير فصلين من هذا الكتاب هما : « الآنسة آنا أو » ، و« إعتبارات نظرية » .

Sandor FERENCZI. Nous renvoyons aux trois volumes de langue anglaise, Londres,. Hogarth Press : *First Contr.* : *First contributions to psycho-analysis*, 1952 ; *Further Contr.* : *Further contributions to the theory and technique of psycho-analysis*, 1950 ; *Final Contr.* : *Final contributions to the problems and methods of psycho-analysis*, 1955.

- ساندور فرنزي : نحيل القارىء الى المجلدات الثلاثة باللغة الإنجليزية وهي كالتالي :
- إسهامات أولى في التحليل النفسي .
- إسهامات إضافية في نظرية وتقنية التحليل النفسي .
- وإسهامات أخيرة في مشكلات وطرائق التحليل النفسي .

Melanie KLEIN, *Contributions* : *Contributions to Psycho-analysis*, Londres, Hogarth Press, 1950.

- ميلاني كلاين : إسهامات : إسهامات في التحليل النفسي .

KLEIN (M.), HEIMANN (P.), ISAACS (J.), RIVIERE (J.), *Developments* : *Developments in Psycho-analysis*, Londres, Hogarth Press, 1952.

- ميلاني كلاين وآخرين : تطويرات في التحليل النفسي .

ثالثاً : مجلات ومجموعات

Bul. Psycho. : *Bulletin de Psychologie* **édité par le groupe d'études de Psychologie de l'Université de Paris.**

ـ نشرة علم النفس ، تصدرها جماعة الدراسات النفسانية في جامعة باريس ويرمز إليها بالاختصار : Bul. psycho.

I.J.P. : *International Journal of Psycho-analysis.*

ـ المجلة الدولية للتحليل النفسي ويرمز إليها بـ : I.J.P.

Psa. Read. : *The psycho-analytic reader*, **édit. par Robert Fliess, Londres, Hogarth Press, 1950.**

ـ قارىء التحليل النفسي ويرمز إليه بالاختصار : Psa.Read

Psycho-analytic Study of the child, **New York, I.U.P.**

ـ الدراسة التحليلية النفسية للطفل .

R F.P. : *Revue française de Psychanalyse.*

ـ المجلة الفرنسية للتحليل النفسي ويرمز إليها بـ : R.F.P.

إتحاد - إنفصال (النزوات)

Union- Désunion (des pulsions)

Eng.: Fusion- Defusion (of instincts)

D.: Triebmischung- Triebentmischung

■يستخدم فرويد هذين المصطلحين في إطار نظريته الأخيرة حول النزوات ، لوصف علاقات نزوات الحياة ونزوات الموت ، كما تتبدى في هذه أو تلك من التجليات المحسوسة .

يشكل إتحاد النزوات مزيجاً حقيقياً يمكن أن يدخل فيه كل واحد من مكونيه الإثنين بنسب متفاوتة ؛ بينما يشير الأنفصال إلى عملية تنتهي في حدها الأقصى بنشاط كل من النوعين من النزوات بشكل منفصل عن الآخر ، حيث يتابع كل منهما هدفه الذاتي مستقلاً عن الآخر ■ .

إن نظرية النزوات الأخيرة بما تذهب إليه من تعارض جذري ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت ، هي التي تفرض هذه المسألة : أي ما هو الإسهام النسبي ، وما هو نموذج الترابط بين النمطين الكبيرين للنزوات في هذا أو ذاك من التصرفات أو الأعراض ؟ ما هي تفاعلاتهما المتداخلة وجدليتهما خلال مختلف مراحل تطور الشخص ؟

بإمكاننا أن نفهم أن هذه الثنائية النزوية الجديدة هي التي حدت بفرويد لبحث ميزان القوى بين النزوات المتضادة (1) .

في الحقيقة ، أصبحت القوى التدميرية تحظى بنفس القوة التي تحظى بها الجنسية ؛ فهي تجابه في نفس المجال ، وتتواجد في تصرفات (سادو - مازوشية) ، وفي أركان (الأنا أعلى) ، وفي أنماط من علاقة الموضوع ، قابلة للإستقصاء التحليلي النفسي .

إنما تجدر الإشارة ، إلى أن فرويد لم يتصدَ لمشكلة اتحاد النزوتين الكبريين بشكل متناظر فيما يختص بطرفي العلاقة . فهو حين يتكلم عن الإنفصال ، يشير صراحة أو ضمناً إلى واقعة نجاح « العدوانية » في فصم عرى العلاقة تماماً مع الجنسية .

■■■

كيف يمكن تصور إتحاد النزوتين ؟ لم يكترث فرويد كثيراً لتوضيح هذه المسألة . فمن بين

الأفكار المختلفة التي تدخل في تعريف النزوة يجب اللجوء خصوصاً إلى فكرتي الموضوع والهدف. فإذا أخذت كل من النزوتين معزولة في ديناميتها عن الاخرى ، لا يمكن لتلاقيهما على موضوع واحد بعينه ، أن يعرّف الاتحاد بمفرده ؛ ذلك أن التجاذب الذي يتطابق مع هذا التعريف ، يشكل بالنسبة لفرويد المثال الأبرز على الإنفصال ، أو على « إتحاد لم يكتمل »(1 a) . إذ لا بد فوق ذلك من إقامة إنسجام في الأهداف ، ولا بد من نوع من التوليف تصبغه النزوة الجنسية بصبغتها النوعية : « إننا نرى أن السادية والمازوشية تقدمان لنا مثالين ممتازين على إتحاد نوعي النزوات ، أي الإيروس والعدوانية ، وإننا نفترض أن هذه العلاقة تشكل النمط الأولي ، وأنّ كل الحركات النزوية التي يمكننا دراستها هي إتحاد أو مزيج من (هذين النوعين من النزوات ؛ وتتفاوت النسب بالطبع في هذا الإتحاد تفاوتاً كبيراً . إن النزوات الغلمية هي التي تدخل تنوع أهدافها الجنسية في هذا الإتحاد ، بينما لا يمكن أن يكون هناك بالنسبة للنزوات من النوع الآخر (العدوانية) ، إلا نوع من التلطف ودرجات تنازلية في نزعتها التي تظل رتيبة »(2) . يبين لنا فرويد ، في نفس هذا الخط الفكري ، خلال وصفه لتطور الحياة الجنسية ، كيف تدخل العدوانية في هذا التطور لخدمة النزوة الجنسية(3) .

وطالما أن إتحاد النزوات يكوّن نوعاً من المزيج ، يلحّ فرويد في مناسبات عديدة على أن كل النسب ممكنة في هذا المزيج ما بين الإيروس والعدوانية ، حتى أنه ليمكن القول بوجود نوعٍ من السلسلة المكملة : « إذ تؤدي التغيرات في نسب النزوات المتحدة إلى نتائج بارزة . فقد يحوّل فيض من العدوانية الجنسية العاشق إلى قاتل سادي ، بينما يجعله نقصان شديد في العامل العدواني خجولاً أو عاجزاً »(4 a) .

وعلى العكس من ذلك يمكن تعريف الإنفصال على أنه نتيجة لعملية تعيد إلى كل من النزوات إستقلالية هدفها . لا يمكن إستيعاب استقلالية كل من النوعين الكبيرين من النزوات ، التي افترضها فرويد في المنشأ الأسطوري للكائن الحي ، إلا كحالة قصوى لا تستطيع التجربة العيادية أن تقدم عنها إلا صوراً تقريبية تشكل ، بوجه عام ، حالات نكوصية بالنسبة إلى الحركة النموذجية التي تكامل العدوانية بإضطراد في الوظيفة الجنسية . يقدم التجاذب في العصاب الهجاسي ، تبعاً لفرويد ، أحد أفضل الأمثلة على إنفصال النزوات(1 b) .

يمكننا إذاً أن نتصور ، بشكل مجرد ، وجود سلسلتين مكملتين لبعضهما بعضاً : السلسلة الأولى « كمية » وتتوقف على نسبة الليبدو والعدوانية المتحدين فيما بينهما في كل حالة ؛ بينما تتراوح ، في السلسلة الثانية ، حالة الإتحاد أو الإنفصال النسبين بين كل من النزوتين . يتعلق الأمر ، في الواقع بالنسبة لفرويد بأسلوبين متباينين للتعبير عن نفس الفكرة . ذلك أنه لا يجوز إعتبار الليبدو والعدوانية كمقومين متناظرين . فالليبدو هو كما نعلم ، بالنسبة لفرويد عامل إرتباط ، (Bindung) وإتحاد ؛ بينما تميل العدوانية على العكس من ذلك بطبيعتها إلى « حل الروابط »((4b) . مما يتيح لنا القول انه بقدر ما تكتب الغلبة للعدوانية ينزع الإتحاد النزوي إلى التفكك ؛ وعلى العكس من ذلك ، فكلما ساد الليبدو تحقق المزيد من الإتحاد : « . . . يستند جوهر نكوص الليبدو من المرحلة التناسلية إلى المرحلة السادية ـ الشرجية على سبيل المثال ، إلى إنفصال النزوات ، بينما يشترط التقدم

من المرحلة السابقة إلى المرحلة التناسلية النهائية ، على العكس من ذلك ، إنضمام المكونات الغلمية إلى هذه المرحلة » (1c) .

●●●

إستخدم فرويد تعابير متنوعة لتبيان الفكرة القائلة بإمتزاج نزوات الموت ونزوات الحياة فيما بينهما : مثل ، « ذوبان Verschmelzung » ؛ و « خليط Legierung » ؛ و « إمتزج Sich Kombinieren »(4c) . ولكنه إعتمد الثنائي «Mischung» أو (Vermischung) ـ و «Entmischung» ، وهو الثنائي الذي تكرّس في مصطلحات التحليل النفسي . تعني «Mischung» مزيج (مثل مزيج سائلين بنسب متفاوتة) ؛ بينما تعني « Entmischung » إنفصال عناصر هذا المزيج .

أما في الفرنسية فلقد شاع إعتماد الثنائي : تشابك ـ إنفكاك Intrication- désintrication ، بناء لإقتراح لجنة الألسنية التابعة للجمعية الباريسية للتحليل النفسي في (24 تموز 1927) . وإذا كان لهذين المصطلحين ميزة إبراز تكامل هاتين العمليتين المتعارضتين ، فإنهما يتضمنان ، في رأينا ، مآخذ عدة :

1 ـ تأتي كلمة تشابك intriquer من اللاتينية «intricare» التي تعني : « شوش ، أو أربك » ، وتشتق من الأصل اليوناني « شعرة » الذي يوحي بتشابك عارض « لا فكاك منه » بين عناصر تظل بطبيعتها متميزة عن بعضها البعض »

2 ـ لا ينسجم هذا المصطلح جيداً مع الفكرة الأساسية للمصطلح الفرويدي التي تذهب إلى القول بمزيج حميم يمكن أن يتم بنسب متغيرة .

3 ـ إن المصطلح الأول في الثنائي (تشابك ـ إنفكاك) هو الذي يتضمن حالة التعقيد غير الملائمة ، بينما يوحي مصطلح الإنفكاك على العكس من ذلك بفكرة النجاح في تخليص ربطة خيوط معقدة . أولا يمكننا بهذا المعنى مقارنة عملية العلاج التحليلي بعملية إنفكاك ؟

أما في الإنجليزية فيُعْتَمَدُ عموماً الثنائي « ذوبان ـ انفصال Fusion-defusion » . يتضمن هذا المصطلح حين نقله إلى الفرنسية بعض اللبس ، نظراً لتعدد معاني مصطلح الذوبان (فهو لا يعني المزج فقط في الفيزياء ، بل التحول من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة أيضاً ؛ ونتحدث عن حالة دمجية (ذوبانية) على سبيل التشبيه ليس إلا ، إلخ . . .) ، كما أن تعبير « الانفصال بمعنى Defusion » المستحدث لا يوحي بالمقصود تماماً .

وهكذا توقفنا عند الثنائي إتحاد ـ إنفصال ، في غياب مصطلح مقابل لمصطلح المزج .

(أ) ومما يجدر ذكره ، أن الحاجة إلى مفهوم يتضمن إتحاد نزوة عدوان مع نزوة الجنس برزت منذ ظهور فرضية نزوة العدوان مستقلة في التحليل النفسي : يتحدث أدلر عن تلاقي وتقاطع النزوات (Triebverschränkung) لوصف واقعة « استخدام الموضوع نفسه لإرضاء عدة نزوات في آن معاً » .

(1) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. — *a)* G.W., XIII, 270, S.E., XIX, 42 ; Fr., 197-8. — *b)* Cf. G.W., XIII, 270 ; S.E., XIX, 42 ; Fr., 197. — *c)* G.W., XIII, 270 ; S.E., XIX, 42 ; Fr., 197.

(2) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1933. G.W., XV, 111-2 ; S.E., XXII, 104-5 ; Fr., 143.

(3) Cf. Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. — *a)* G.W., XIII, 57-8 S.E., XVIII, 53-4 ; Fr., 62. — *b)* Cf. G.W., XIII, 59 ; S.E., XVIII, 55 ; Fr., 63.

(4) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 149 ; Fr., 9. — *b)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 8. — *c)* Cf. G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 149 ; Fr., 9.

(5) Cf. Freud (S.). « *Psychoanalyse* » und « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 233 ; S.E., XVIII, 258-9.

(6) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 215 ; S.E., XIV, 123 ; Fr., 35.

إتكالي (صفة)

Anaclitique (adj.)

Eng.: anaclitic, attachment-
D.: Anlehnungs

أنظر : إستناد ، وإختيار الموضوع بالاستناد .

1 ـ أدخلت صفة « إتكالي » (من اليونانية : إستند إلى ، إستلقى على) في أدبيات التحليل النفسي الإنجليزية ، واعتمدت من قبل المترجين الفرنسيين للدلالة على المصدر الألماني Anlehnungs في تعابير من مثل : Anlehnungstypus Der objektwahl (والتي تترجم عادة بـ « النمط الإتكالي في اختيار الموضوع ») . إنما ما يفوت بالضرورة القارىء الذي يقرأ أعمال فرويد مترجمة ، هو أن مفهوم Anlehnung يشكل أحد حجارة الزاوية الأساسية في النظرية الفرويدية الأولى حول النزوات ؛ يرجع فرويد إلى هذا المفهوم في العديد من المناسبات الأخرى التي لا يعالج فيها مسألة إختيار الموضوع « الإتكالي » : إذ تصادف ، في مرات عدة ، إما الصيغة الإسمية ، أو صيغ فعلية من مثل Sich An (Etwas) Anlehnen . والواقع أن هذه الصيغ تترجم بأشكال متفاوتة في كل من الإنجليزية والفرنسية (أ) ، مما جعل متعذراً إستخلاص مفهوم «Anlehnung» بوضوح من قبل قراء فرويد .

تطرح إذاً حالياً مسألة تتعلق بالمصطلحات . فلقد أصبح مصطلح إتكالي يشكل جزءاً من المفردات الدولية للتحليل النفسي ؛ مما لا يبيح لنا إلغاءه . ولكن الصيغة الإسمية Anaclise (الإتكال) غير مقبولة (ب) . وتعاني تعابير الإتكال والإتكالي (الأجنبية) على كل حال من مأخذ كونها كلمات « متكلفة » منحوتة بشكل مصطنع ، بينما تمت الكلمة الألمانية المقابلة إلى اللغة الدارجة . ولهذا نقترح من جانبنا كلمة Etayage = إستناد كمقابل للكمة الألمانية ، ولقد سبق أن إستخدمها بعض المترجين (خصوصاً ب . رفرشون ـ جوف في ترجمته لثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905) والتي تمتاز بإمكانية إستخدامها بصيغة الفعل s'étayer sur = إستند على ، تماماً كالكلمة الألمانية . حتى التعبير المكرس « النمط الإتكالي في اختيار الموضوع » يتوجب إبداله بـ « نمط اختيار الموضوع بالاستناد » .

2 ـ يستخدم مصطلح الإتكالي أحياناً بمعنى أكثر تراخياً لا يرتبط مباشرة مع إستخدام هذا المفهوم في النظرية الفرويدية ، من مثل تعبير(anaclitic depression) الخور الإتكالي .

(أ) من مثل الصيغة الفعلية : أن يكون متعلقاً بـ ، ان يكون قائماً على ، إرتكز على ، إلخ . . .
(ب) وبالمقابل لا يوجد في الألمانية صفة مشتقة من كلمة Anlehnung توازي الصفة Anaclitique .

أثر ذاكري
Trace Mnésique

Eng.: Mnemic- Trace, memory trace-
D.: Erinnerungspur, Erinnerungsrest.

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح خلال أعماله كلها للدلالة على كيفية تسجيل الأحداث في الذاكرة . تحفظ الآثار الذاكرية ، تبعاً لفرويد في مختلف الأنظمة ؛ وتبقى هناك بشكل دائم ولا تثار إلا بعد أن توظف نفسياً ■

يتضمن تعبير الأثر الذاكري الذي ينتمي إلى علم النفس الفيسيولوجي ، والمستخدم بشكل دائم في النصوص ما وراء النفسانية ، مفهوماً عن الذاكرة لم يقم فرويد أبداً بعرضه بشكل شمولي . وهو لذلك مُعرّض لتأويلات خاطئة ؛ ذلك أن مصطلحاً من نوع « الأثر الذاكري » لا يعدو كونه وريث فكر عصبي فيسيولوجي بائد . وبدون أن ندعي هنا عرض نظرية فرويدية عن الذاكرة، نود التذكير بالمقتضيات المبدئية الكامنة وراء إستعارة فرويد لمصطلح الأثر الذاكري: إذ يرمي فرويد إلى موضعة الذاكرة موقعياً ، وإلى إعطاء تفسير اقتصادي لنشاطها الوظيفي .

1 ـ تؤدي ضرورة تعريف كل نظام نفسي إنطلاقاً من الوظيفة التي يقوم بها ، إلى اعتبار الإدراك ـ الوعي وظيفة يقوم بها نظام خاص (أنظر : الوعي) ؛ إلى فرضية التعارض ما بين الوعي والذاكرة : « ليس من السهل علينا الاعتقاد بأن الآثار الدائمة للإثارة تترك أيضاً في نظام الإدراك ـ الوعي . إذ أنها لو ظلت واعية دوماً لأدت في وقت قصير إلى الحد من كفاءة النظام على تلقي إثارات جديدة ؛ ولكن إذا أصبحت ، على العكس من ذلك لا واعية ، فإنها تحتم علينا تفسير وجود عمليات لا واعية في نظام ما يرافق في نشاطه الوظيفي ظاهرة الوعي . وبذلك ، لا نكون في هذه الحالة قد حققنا أي تغيير أو أي كسب من خلال فرضيتنا التي تحصر واقعة الوعي (بظاهرة معينة) في نظام خاص »(1) . تعود هذه الفكرة إلى بدايات التحليل النفسي . يعبّر بروير عنها لأول مرة في « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » قائلاً : « يستحيل على عضو واحد وفريد أن يلبي هذين الشرطين المتناقضين . إذ لا يمكن لمرآة تلسكوب عاكس أن تكون في الوقت نفسه لوحة فوتوجرافية »(2) . حاول فرويد أن يوضح هذا المفهوم الموقعي بالمقارنة مع طريقة عمل « دفتر ـ المذكرات السحري »(3) .

2 ـ حتى في الذاكرة نفسها يجري فرويد تمييزات موقعية . فيُسجّلُ حدث ما في مختلف

« الأنظمة الذاكرية» . واقترح فرويد نماذج عدة تتفاوت في درجة خياليتها لتدرج الذاكرة هذا في أنظمة متنوعة . فهو يقارن تنظيم الذاكرة ، في كتابه « دراسات حول الهستيريا » بنظام أرشيف معقد ترتب فيه الذكريات تبعاً لنماذج تصنيف متنوعة : التسلسل الزمني ، الإرتباط في سلاسل التداعيات ، ودرجة قابلية النفاذ إلى الوعي(4) . ويعود إلى مفهوم التسلسل المنظم للتسجيل في أنظمة ذاكرية مختلفة بأسلوب يتصف بالمزيد من المنهجية، في رسالته إلى فلايس بتاريخ 6-12-1896 وفي كتابه « تفسير الأحلام عام 1900 » : حيث يرد التمييز بين ما قبل الوعي واللاوعي إلى تمييز بين نظامين ذاكريين . كل الأنظمة الذاكرية لا واعية بالمعنى « الوصفي » إنما لا تتمكن آثار نظام اللاوعي من الوصول إلى الوعي بحالتها الأصلية ، بينما يمكن أن تتجسد الذكريات ما قبل الواعية (أي الذاكرة بالمعنى الشائع للكلمة) في هذا التصرف أو ذاك .

3 ـ يمكن أن يوضح لنا مفهوم النسيان الطفلي، الذي قال به فرويد النظرية ما وراء النفسانية للآثار الذاكرية . ومن المعلوم ، تبعاً لفرويد ، أننا إذا لم نكن نتذكر أحداث السنوات الأولى ، فليس ذلك بسبب قصور في تثبيت الذكريات ، بل بسبب الكبت .

من حيث المبدأ كل الذكريات تسجل بوجه عام . إنما يتوقف استرجاعها على ما تتعرض له من توظيف ، أو سحب توظيف ، أو توظيف مضاد . يستند هذا المفهوم على التمييز ، الذي أبرزته الممارسة العيادية ، ما بين التصور وبين مقدار العاطفة : « هناك مبرر لأن نميز من بين الوظائف النفسية شيئاً ما (من مثل مقدار العاطفة ، أو الإثارة) [. . .] يكون قابلاً للزيادة ، والنقصان ، والإزاحة والتفريغ والإنتشار على الأثار الذاكرية للتصورات ، على غرار إنتشار شحنة كهربائية على سطح الأجسام »(5) .

●●●

وهكذا نرى أن المفهوم الفرويدي عن الأثر الذاكري يختلف بوضوح عن المفهوم الإجرائي القائل بإنطباع يُعرّف بأنه مشابه للواقع . ويمكن عرض جوانب الإختلاف كما يلي :

أولاً : يُسجل الأثر الذاكري دوماً في أنظمة يكون فيها على علاقة بآثار ذاكرية أخرى . حتى أن فرويد حاول أن يميز بين مختلف الأنظمة التي يترك نفس الموضوع آثاره فيها تبعاً لأنماط من الترابطات (ترابط بالتآني أو بالسببية الخ)(6,7a) . أما على مستوى الإسترجاع ، فيمكن تحريك إحدى الذكريات في سياق معين من التداعيات ، بينما تظل نفس الذكرى غير قابلة للنفاذ إلى الوعي في سياق آخر (أنظر : عقدة) .

ثانياً : يصل الأمر بفرويد حد إنكار أي صفة حسية على الآثار الذاكرية . حيث يقول : « لا تتضمن الذكريات حين تعود إلى حالة الوعي أي صفة حسية ، أو هي لا تتضمن من ذلك ، إلا القليل بالمقارنة مع الإدراك »(7b) .

نجد أفضل مدخل الى ما يشكل أصالة النظرية الفرويدية حول الذاكرة ، في كتاب « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » بإعتبار أن منحاه العصبي الفسيولوجي هو أحسن ما يبرز في الظاهر مقارنة الأثر الذاكري بالصورة المشبهة « Simulacre » . يحاول فرويد في ذلك الكتاب ، أن يبيِّن تسجيل الذكرى في الجهاز العصبي دون اللجوء إلى التشابه ما بين الآثار وموضوعاتها الأصلية . لا

يتعدى الأثر الذاكري كونه ترتيباً خاصاً للانفعالات العصبية يفضل خلاله سلوك أحد الطرق على غيره . يمكن تقريب قيام الذاكرة بوظيفتها على هذا الشكل مما يطلق عليه إسم « الذاكرة » في نظرية الآلات القبطانية Cybernetiques التي تبنى إستناداً إلى مبدأ التعارض المزدوج Binaire ، تماماً كما يحدد الجهاز العصبي تبعاً لفرويد إنطلاقاً من التشعبات المتلاحقة .

إلا أنه تجدر الملاحظة أن أسلوب فرويد في إثارة مسألة الأثار الذاكرية - التي يغلب عليه استخدام « الصور الذاكرية » كمرادف لها - في كتاباته اللاحقة ، يبين لنا أنه ، حين لا يطرح عملية تكوينها للبحث ، ينساق إلى الحديث عنها وكأنها إعادة إنتاج أشياء بالمعنى الذي يرمي إليه علم النفس الإجرائي .

(1) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W. XIII, 24 ; S.E., XVIII, 25 ; Fr., 27.

(2) Breuer (J.). *Theoretisches*, 1895. All., 164, n. ; S.E., II, 188-9, n. ; Fr., 149-50, ..

(3) Cf. Freud (S.). *Notiz über den « Wunderblock »*, 1925. G.W., XIV, 3-8 ; S.E., XIX, 227-32.

(4) Cf. Freud (S.). *Zur Psychotherapie der Hysterie*, 1895. G.W., I, 296 sqq. ; S.E., II, 291 sqq. ; Fr., 235 sqq.

(5) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 74 ; S.E., III, 60.

(6) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 186 ; Angl., 174 ; Fr., 154-5.

(7) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* Cf. G.W., II-III, 544 ; S.E., V, 538-9 ; Fr., 442-3. — *b)* G.W., II-III, 545 ; S.E., V, 540 ; Fr., 543-4.

إجتياف

Introjection
Eng.: Introjection
D.: Introjektion

■ أثبت الإستقصاء التحليلي هذه العملية التي : يقوم الشخص فيها بنقل موضوعات ، أو صفات خاصة بهذه الموضوعات من « الخارج » إلى « الداخل » تبعاً لأسلوب هوامي .

يقترب الإجتياف من الإدماج الذي يشكل نموذجه الجسدي الأول ولكنه لا يستلزم بالضرورة الرجوع إلى الحدود الجسدية (من مثل الاجتياف في الأنا ، والاجتياف في المثل الأعلى للأنا ، الخ) .

والإجتياف على صلة وثيقة بالتماهي ■ .

ساندور فرنزي هو الذي قدم مصطلح الإجتياف حيث نحته في مقابل مصطلح الإسقاط . فهو يكتب في « الإجتياف والنقلة عام 1909 » ما يلي : « بينما يطرد العظامي الميول التي أصبحت مزعجة من أناه ، يبحث العصابي عن الحل بإدخال أكبر قدر ممكن من العالم الخارجي في أناه ، جاعلاً من ذلك موضوعاً لهواماته اللاواعية . وهكذا يمكننا إذاً إعطاء إسم الإجتياف لهذه العملية بالتعارض مع الإسقاط »(1a) . إلا أنه من العسير إستخلاص معنى دقيقاً لفكرة الإجتياف ، من مجمل هذه المقالة ، إذ يبدو أن فرنزي يستخدم هذه الفكرة بمعنى واسع ، هو « هوى النقلة » الذي يؤدي بالعصابي إلى « إخماد انفعالاته العائمة بشكل حر من خلال توسيع دائرة إهتماماته »(1b) .

وهكذا يصل به الأمر إلى حد إطلاق مصطلح الإجتياف على نمط من السلوك (عند الهستيري أساساً) مما يمكن أن نطلق عليه أيضاً إسم الإسقاط .

يتبنى فرويد مصطلح الإجتياف ويقيم تعارضاً واضحاً بينه وبين الإسقاط . وأكثر النصوص وضوحاً بهذا الصدد هو « النزوات ومصير النزوات عام1915 » ، حيث يطرح تكوين التعارض ما بين الشخص (الأنا) - والموضوع (العالم الخارجي) بإعتباره متلازماً مع التعارض ما بين اللذة والإنزعاج : إذ « يتشكل « الأنا - اللذة الخالصة » من خلال إجتياف كل ما هو مصدر لذة وإسقاط كل ما هو عامل إزعاج على الخارج (أنظر : أنا - لذة ، أنا - واقع) . ونجد نفس التعارض في المقالة حول « الإنكار - عام1925 » حيث يقول : « . . . يريد الأنا - اللذة [. . .] إجتياف كل ما هو طيب ونبذ كل ما هو سيء من ذاته »(2 a) .

يتميز الإجتياف أيضاً بإرتباطه مع الإدماج الفمي . حتى أن المصطلحين يستعملان غالباً كمترادفين من قبل فرويد والعديد من المؤلفين . ويبين فرويد كيف يتجسد التعارض ما بين الإجتياف والإسقاط في البداية تبعاً للنمط الفمي قبل أن يصل مستوى التعميم . « . . . وهكذا تفصح هذه العملية عن نفسها بلغة النزوات الأكثر قدماً ، أي النزوات الفمية على شكل : أريد أن آكل هذا أو أن ألفظه ؛ وتترجم في تعبير أكثر عمومية على شكل : أريد أن أدخل هذا في ذاتي ، أو أن أنبذ ذاك من ذاتي »(2b) .

يجدر بنا إذاً الحفاظ على التمييز ما بين الإدماج والإجتياف ، والذي يوحي به ذاك المقطع السابق حيث يشكل الحد الجسدي ، في التحليل النفسي ، النموذج الأول لكل فصل ما بين الداخل والخارج ؛ إذ ترجع عملية الإدماج صراحة إلى هذا الوعاء الجسدي . بينما أن مصطلح الإجتياف أكثر شمولاً : فلا يقتصر الأمر على داخل الجسد فقط ، بل يتعداه إلى داخل الجهاز النفسي ، وإلى داخل أحد أركان الشخصية ، الخ . وهكذا يرد ذكر الاجتياف داخل الأنا ، أي إجتياف المثل الأعلى للأنا ، الخ .

أبرز فرويد الإجتياف بادىء ذي بدء في تحليل السوداوية(3) ثم أقر به كعملية أكثر عمومية(4) . ولقد حدد الإجتياف ، من هذا المنظور النظرية الفرويدية حول التماهي .

وبالقدر الذي يظل فيه الإجتياف متأثراً بنموذجه الجسدي الأول ، فإنه يترجم في هوامات تنصب على الموضوعات ، سواء أكانت كلية ، أم جزئية . وهكذا لعبت هذه الفكرة دوراً كبيراً عند مؤلفين من أمثال كارل إبراهام ، وخصوصاً عند ميلاني كلاين التي إنكبت على وصف رواح ومجيء الموضوعات « الطيبة » و« السيئة » هوامياً (أي الإجتياف ، والإسقاط ، وإعادة الإجتياف) . يتحدث هؤلاء الكتاب أساساً عن « موضوعات » مجتافة ، ويبدو في الحقيقة أن هذا المصطلح يجب أن يخصص للحالات التي تكون فيها الموضوعات ، أو الصفات الخاصة بها ، موضع خلاف . وليس بالإمكان الحديث بالدرجة المبتغاة من الضبط والدقة عن « إجتياف العدوانية »(5) كما يتأتى لفرويد أحياناً ؛ إذ من المستحسن في هذه الحالة إستخدام مصطلح « الإرتداد على ذات الشخص » .

(1) FERENCZI (S.). In *First Contr.*, 1909. — *a)* 40. — *b)* 43.
(2) FREUD (S.). *a)* G.W., XIV, 13 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 175. — *b)* G.W., XIV, 13;

S.E., XIX, 237; Fr., 175.

(3) Cf. Freud (S.). *Trauer und Melancholie*, 1917. G.W., X, 42-6; S.E., XIV, 243-58; Fr., 189-222.

(4) Cf. Abraham (K.). *Versuch einer Entwicklungsgeschichte der Libido auf Grund der Psychoanalyse seelischer Störungen*, 1924. Fr., II, 272 sq.

(5) Cf. Freud (S.). *Das Unbehagen in der Kultur*, 1930. G.W., XIV, 482; S.E., XXI, 123; Fr., 58.

إحباط
Frustration

Eng.: Frustration
D.: Versagung

■ الإحباط هو وضع ذلك الشخص الذي يُحال دونه وإشباع أحد مطالبه النزوية أو الذي لا يبيح هذا الاشباع لنفسه ■

لقد أدى إستعمال مفهوم الإحباط الذي راج كثيراً في أدبيات التحليل باللغة الإنجليزية إلى شيوع ترجمة المصطلح الألماني Versagung بنفس هذا المصطلح. تستدعي هذه الترجمة بعض الملاحظات:

1 - يميل علم النفس المعاصر، خصوصاً في الأبحاث حول التعلّم، إلى المزاوجة ما بين الإحباط والإرضاء وإلى تعريفهما على أنهما حالة المتعضي الخاضع على التوالي لغياب أو حضور أحد المثيرات المتعة. ومن الممكن ربط مفهوم كهذا ببعض آراء فرويد، خصوصاً بتلك التي يبدو أنه يرد فيها الإحباط إلى غياب موضوع خارجي كفيل بإشباع النزوة. وهو يقيم بهذا المعنى في مقالته بعنوان «صياغات حول مبدأي النشاط الوظيفي النفسي عام 1911» تعارضاً ما بين نزوات حفظ الذات التي تتطلب موضوعاً خارجياً، وبين النزوات الجنسية التي يمكن أن تشبع لفترة طويلة بشكل غلمي ذاتي وبطريقة هوامية: فالفئة الأولى من النزوات هي وحدها التي يمكن إحباطها(1).

2 - إنما يحمل مصطلح الـ Versagung الفرويدي، في الغالب مضامين أخرى: فهو لا يقتصر على الدلالة على مُعطى واقعياً بل يدل أيضاً على علاقة تتضمن رفضاً (كما يشير إلى ذلك المصدر Sagen الذي يعني القول) من جانب العنصر المُحْبِط ومطلباً متبلوراً بدرجات متفاوتة من جانب الشخص.

3 - يبدو مصطلح الإحباط وكأنه يدل على إحباط يلقاه الشخص بشكل فاتر، بينما لا يدل مصطلح الـ Versagung مطلقاً على الجهة التي ترفض. ويبدو أن الصيغة الإنعكاسية «يمتنع عن» تسود في بعض الحالات.

يبدو أن لهذه التحفظات ما يبررها من خلال مختلف النصوص التي كرسها فرويد لمفهوم الـ Versagung. إذ يتحدث فرويد في مقالته بعنوان «أنماط إنطلاق العصاب عام 1912» عن الـ Versagung كي يشمل بذلك كل عقبة - خارجية أو داخلية - تحول دون الإشباع الليبيدي. وخلال تمييزه ما بين الحالة التي يتسارع فيها بروز العصاب بسبب من نقص في الواقع (من مثل فقدان موضوع الحب) والحالة التي يمنع فيها الشخص عن نفسه الإشباعات التي يقدمها الواقع للذي،

نتيجة لصراعات داخلية أو لتثبيت ما ، يرى فرويد في مفهوم الـVersagung ذلك المفهوم القادر على احتوائهما كليهما . وإذا قاربنا ما بين مختلف أساليب تكوين العصاب ، نستخلص إذاً الفكرة التي تذهب إلى أن ما يتغير هو العلاقة ، وهو نوع من التوازن الذي كان مرهوناً بالظروف الخارجية ، وبخصائص الشخص الذاتية في آن معاً .

ويشير فرويد في « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عامي1916 و1917 » إلى أن الحرمان الخارجي ليس مولداً للمرض بحد ذاته ، وأنه لا يصبح كذلك إلا بمقدار ما ينصب على « الإشباع الوحيد الذي يتطلبه الشخص »(2) .

يبرز لنا لغز « أولئك الأشخاص الذين يقعون مرضى في نفس اللحظة التي يبلغون فيها النجاح »(3) بجلاء الدور الغالب « للإحباط الداخلي » ؛ إذ نخطو هنا خطوة إضافية : حيث أن ما يمنعه الشخص عن نفسه هنا هو الإشباع الفعلي لرغبته .

يظهر من هذه النصوص ، تبعاً لفرويد أن لبّ مسألة الإحباط لا يكمن في غياب موضوع واقعي بل يكمن في غياب الجواب على مطلب يتضمن أسلوباً معيناً من الإشباع ، أو مطلب لا يمكن أن يلقى أي إشباع من أي نوع كان .

أما من الناحية الفنية ، فإن الفكرة القائلة بأن العصاب يستمد شرط وجوده من الإحباط Versagung ، هي التي تبرر مبدأ الامتناع ؛ إذ يستحسن رفض تلبية كل الإشباعات البديلة للمريض والتي يمكنها تسكين مطلبه الليبيدي : مما يفرض على المُحَلِّلْ التمسك بالإحباط .

(أ) آثرنا الإحتفاظ بتعبير الإحباط للدلالة على الـVersagung ، نظراً لشيوع إستعماله ولصعوبة إيجاد معادل يصلح لكل الحالات بدون الحاجة إلى الرجوع إلى السياق .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., VIII, 234-6 ; S.E., XII, 222-3.
(2) Freud (S.). G.W., XI, 357 ; S.E., XVI, 345 ; Fr., 371.
(3) Freud (S.). *Einige Charaktertypen aus der psychoanalytischen Arbeit*, 1916. G.W., X, 364-91 ; S.E., XIV, 311-33 ; Fr., 105-36.
(4) Cf. Freud (S.). *Wege der psychoanalytischen Therapie*, 1918-19. G.W., XII, 183-94 ; S.E., XVII, 159-68 ; Fr., 131-41.

إختبار الواقع

Épreuve de réalité
Eng.: Reality- testing
D.: Realitätsprüfung

■ إفترض فرويد هذه العملية التي تتيح للشخص التمييز ما بين المثيرات الصادرة عن العالم الخارجي والمثيرات الداخلية ، وتحول دون الخلط الممكن بين ما يدركه الشخص وما يتصوره ، وهو الخلط الذي تقوم عليه الهلوسة . ■

لا يظهر مصطلح اختبار الواقع إلا في عام1911 في « صياغات حول مبدأي النشاط الوظيفي النفسي » ، ولكن المشكلة التي يرتبط بها قد طرحت منذ أوائل كتابات فرويد النظرية .

تذهب إحدى الافتراضات الأساسية « لمشروع عام 1895 » (حول علم نفس علمي) إلى القول بأن الجهاز النفسي لا يمتلك في الأصل محكاً للتمييز ما بين « تصور » مفرط في توظيفه لإحدى الموضوعات المُشْبِعَة (أنظر : تجربة الإشباع) وبين إدراك هذا الموضوع . صحيح أن الإدراك (الذي يرده فرويد إلى نظام متخصص من الجهاز العصبي) هو على صلة مباشرة مع الموضوعات الخارجية الواقعية ، ويبدي « مؤشرات عن الواقع » ، إلا أنه بالإمكان إثارة هذه الموضوعات نفسها من خلال توظيف ذكرى تؤدي إلى الهلوسة حين تبلغ حداً كافياً من الشدة . ولا بد لكي تتمتع إشارة الواقع (التي تسمى أيضاً : إشارة الكيفية) بقيمة المحك الأكيد ، من حدوث صد لتوظيف الذكرى أو الصورة ، وهو ما يفترض تكوّن الأنا .

وهكذا نرى أنه في هذه المرحلة من الفكر الفرويدي ليس « الإختبار » هو الذي يحدد واقعية ما يتصور ، بل إنّ ما يحدده هو أسلوب من أساليب النشاط الداخلي للجهاز النفسي . وتُطرح المشكلة بتعابير مشابهة في كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » : حيث ينظر إلى الإنجاز الهلاسي للرغبة ، في الحلم على وجه الخصوص ، كنتيجة « لنكوص » يؤدي إلى توظيف نظام الإدراك بالإثارات الداخلية .

ولا تناقش هذه المشكلة بشكل أكثر منهجية إلا في « الملحق ما وراء النفساني لنظرية الحلم عام 1917 » :

1 ـ كيف يؤدي تصور ما ، سواء في الحلم أم في الهلوسة ، إلى الإعتقاد بواقعيته ؟ إذ لا يشكل النكوص تفسيراً للمسألة إلا بالقدر الذي يحدث فيه توظيف جديد ليس للصور الذكروية وحدها بل أيضاً لنظام ما قبل الوعي ـ الوعي نفسه .

2 ـ ويُعرّف اختبار الواقع بأنه جهاز يسمح بإجراء تفريق ما بين الإثارات الخارجية ، التي ينصب عليها الفعل الحركي ، والإثارات الداخلية التي لا يمكن لهذا الفعل أن يلغيها . ويتبع هذا الجهاز لنظام الوعي بإعتباره المتحكم بالحركية ؛ ويدرجه فرويد ضمن « أنظمة الأنا الكبرى » (1a) .

3 ـ وبالإمكان تعطيل نشاط إختبار الواقع في الإصابات الهلاسية وفي الأحلام ، بمقدار تلازم الإنصراف الجزئي أو الكلي عن الواقع مع حالة من سحب التوظيف من نظام الوعي : وهكذا يصبح الوعي حراً كي يتلقى أي توظيف صادر عن الداخل . « تجد الإثارات التي [. . .] إنخرطت في مسلك النكوص ، هذا المسلك نفسه ممهداً وصولاً إلى نظام الوعي الذي تكتسب فيه قيمة الواقع الذي لا مراء فيه »(1b) .

يبدو أنه يتواجد في هذا النص مفهومان مختلفان حول ما يمكن أن يفرق الإدراك عن التصور ذي المنشأ الداخلي . فهناك من جهة مفهوم إقتصادي : فإختلاف توزيع التوظيفات ما بين الأنظمة هو الذي يفسر الإختلاف ما بين الحلم وحالة اليقظة . وأما من الجهة الأخرى ، فيقوم التمييز ، تبعاً للمفهوم التجريبي ، إنطلاقاً من إستكشاف حركي .

ولقد عاد فرويد إلى هذه المسألة في واحد من آخر كتاباته ، أي في « الموجز في التحليل النفسي ـ عام1938 » . حيث يعرّف إختبار الواقع « كنظام خاص » لا تفرض ضرورته إلا حين

ظهور إمكانية قيام عمليات داخلية بإعلام الوعي بطريقة مغايرة عن إعلامه من خلال التفاوت الكمي للذة والإنزعاج(2a) . « بما أنه يمكن للآثار الذكروية أن تصبح واعية أيضاً ، خصوصاً من خلال إرتباطها مع بعض البقايا اللفظية ، بنفس مقدار وعي الإدراكات ، فإن ذلك الواقع يتضمن إمكانية خلط جديرة بأن تؤدي إلى التنكر للواقع . ويحمي الأنا نفسه من هذه الحالة بواسطة إقامة جهاز « إختبار الواقع » . . . »(2b) .

يهتم فرويد في هذا النص ، بإستخلاص مبرر وجود اختبار الواقع ، ولكنه لا يهتم بوصف مكوناته .

***

في الواقع يبقى مصطلح إختبار الواقع الذي يشيع إستعماله كثيراً في أدبيات التحليل النفسي في حالة من الاتفاق الظاهري على معناه ، غير محدد ومشوش : إذ يرجع إليه ضمن إطار مشكلات مختلفة من المفيد التمييز بينها .

أولاً : في حالة تَمَسُّكِنا حرفياً بصياغة فرويد :

1 ـ يثار إختبار الواقع في الأعم الأغلب بصدد التفريق ما بين الهلوسة والإدراك ؛

2 ـ إلا أنه من الخطأ الزعم بأن اختبار الواقع كفيل بالتمييز ما بين الهلوسة وبين الإدراك بالنسبة للشخص . ذلك أنه حين تنشأ حالة الهلوسة أو الحلم ، لا يعود هناك أي « إختبار » يتيح تعطيلها . حيث يبدو أنه في الحالات التي يجب أن يلعب فيها إختبار الواقع نظرياً دوراً تمييزياً ، فإنه يجرد رأساً من فعاليته (وهكذا فاللجوء إلى الفعل الحركي عند الهلاسي بغية التمييز ما بين الذاتي والموضوعي ، يظل بدون طائل) .

3 ـ وهكذا أدى الأمر بفرويد إلى تحديد الشروط الكفيلة بتجنب مجرد ظهور الحالة الهلاسية ، أي بمنع العبور من إحياء الصورة إلى الإعتقاد بواقعيتها . ولكننا لا نكون في هذه الحالة بصدد « إختبار » مع ما يتضمنه هذا المصطلح من أفكار تذهب إلى القول بمهمة تجرى في الزمن وتقبل المقاربة والتجربة والخطأ . يلجأ فرويد عندها إلى مجموعة من الشروط ما وراء النفسانية ذات الطبيعة الإقتصادية والموقعية أساساً متخذاً منها مبدأ تفسيرياً .

ثانياً : وبالإمكان من أجل الخروج من هذا التناقض في الرأي أن نعتبر أن النموذج الفرويدي للإشباع الهلاسي عند الرضيع لا يشكل تفسيراً للواقعة الهلاسية كما تصادف في الممارسة العيادية ، بل نرى فيه فرضية تكوينية على علاقة بتكوين الأنا خلال مختلف أوجه التعارض ما بين الأنا واللا أنا .

وإذا حاولنا تبسيط هذا التكوين تمشياً مع فرويد (أنظر : أنا ـ لذة ، أنا ـ واقع) يمكننا عندها التعرف على ثلاث خطوات : فهناك خطوة أولى يكون فيها ولوج العالم الواقعي سابقاً على أي إشكالية ؛ « إذ يميز الأنا ـ الواقع في البداية ما بين الداخل والخارج إنطلاقاً من محك موضوعي جيد »(3) . فهناك « معادلة إدراك ـ واقع (عالم خارجي) »(2c) . « فوجود التصور في الأصل هو ضمانة لواقعية المُتَصَوَّر »(4a) . بينما لا يُعْلَمْ الأنا ، من الداخل ، من خلال أحاسيس اللذة والإزعاج ، إلا بالتغيرات الكمية للطاقة النزويه .

وأما في الخطوة الثانية ، المسماة « أنا ـ لذة » فلا يظل زوج التعارض ما بين الذاتي والموضوعي ، بل يصبح ما بين السار والمزعج ، ويصبح الأنا مماثلاً لكل ما يشكل مصدر لذة ، بينما يصبح اللا أنا مماثلاً لكل ما هو مزعج . ولا يقارب فرويد صراحة ما بين هذه المرحلة وبين مرحلة الإشباع « المهلوس » ، إنما يبدو من الجائز إجراء هذا التقارب ، لأنه لا يوجد أي محك بالنسبة « للأنا ـ اللذة » يتيح لنا أن نميز إذا كان الإشباع مرتبطاً بموضوع خارجي أم لا .

وأما الخطوة الثالثة المسماة « الأنا ـ الواقع النهائي » فتتلازم مع ظهور تمييز بين ما هو « مُتصَوَّرْ » محض ، وما هو « مُدْرَك » . وإختبار الواقع هو بالضبط ما يتيح هذا التمييز ، وهو بالتالي ما يتيح تكوين الأنا الذي يتمايز عن الواقع الخارجي خلال نفس العملية التي تنصِّبه كواقع داخلي . وهكذا يصف فرويد في مقالته بعنوان « الإنكار عام 1925 » . إختبار الواقع بإعتباره في أساس مبدأ الحكم على الوجود (الذي يؤكد أو ينفي أن تصوراً ما يجد ما يطابقه في الواقع) . ويصبح وجود إختبار الواقع ضروري بسبب « . . . إمتلاك الفكر للقدرة على إستحضار شيء ما سبق أن أدرك فيما مضى ، من خلال إعادة إنتاجه بواسطة التصور ، وبدون أن يتطلب ذلك بالضرورة وجود الموضوع في الخارج حالياً »(4b) .

ثالثاً : يبدو أن استعمال مصطلح إختبار الواقع لا زال مدعاة للخلط بين وظيفتين مختلفتين نسبياً : تتلخص الوظيفة الأولى الأساسية في التفريق بين ما هو مجرد مُتصوَّر وبين ما هو مدرك وتقيم بالتالي التمايز ما بين العالم الداخلي والعالم الخارجي ، وتتلخص الوظيفة الثانية في مقارنة ما هو مدرك موضوعياً بما هو متصور مما يتيح تصويب تحويراته المحتملة . ولقد أدرج فرويد نفسه هاتين الوظيفتين تحت نفس باب إختبار الواقع(4c) . وهكذا فهو لا يطلق إسم اختبار الواقع على الفعل الحركي الكفيل وحده بتأمين التمييز ما بين الخارج والداخل فقط(1c) ، بل يطلقه أيضاً ، في حالة الحداد مثلاً ، على واقعة تُعليم الشخص الذي يُجابه بفقدان الموضوع المحبوب ، أن يعدِّل من عالمه الشخصي ، ومشاريعه ، ورغباته ، إنطلاقاً من هذه الخسارة الواقعية .

ومع ذلك ، لم يوضح فرويد صراحة هذا التمييز في أي مناسبة ، ويظهر أن الخلط الملازم لفكرة « إختبار الواقع » قد إستمر وحتى أنه تعزز في الإستعمال المعاصر لهذه الفكرة . ويبدو أن هذا التعبير يدفع بنا إلى اعتبار الواقع هو ما يضع على المحك ، ما يقيس ، ويبروز درجة واقعية رغبات الشخص وهواماته ، ويستخدم كمعيار لها .

وهكذا قد نصل كحد أقصى إلى رد العلاج التحليلي إلى الإختصار التدريجي لما يتضمنه عالم الشخص الذاتي من جوانب « لا واقعية » . ولكننا لو فعلنا فسيغيب عن بالنا أحد المبادىء الأساسية المكوِّنة للتحليل النفسي : « لا يجوز أبداً أن ندع أنفسنا تنجرف إلى إدخال معيار الواقع في التكوينات النفسية المكبوتة ؛ ذلك أننا قد نتعرض عندها للحط من قيمة الهوامات في تكوين الأعراض من خلال الزعم خصوصاً بأنها ليست واقعية ، أو قد نتعرض كذلك لاشتقاق شعور عصابي بالذنب من مصدر غير مصدره الأصلي ،لأننا لا نتمكن من البرهنة على وجود جريمة قد ارتكبت فعلياً »(5) . وهكذا فإن تعابير من مثل « واقعية الفكر » و« الواقعية النفسية » تأتي حاملة في طياتها الفكرة التي لا تقتصر على القول بوجوب إعتبار البنى اللاواعية على أنها تتمتع بواقعية خاصة ، تخضع لقوانينها

الذاتية ، بل تذهب أيضاً إلى القول بأن هذه البنى قد تأخذ بالنسبة للشخص معنى الواقع بقيمته الكاملة (أنظر : هوام) .

(أ) يشاهد عند فرويد بعض التردد بصدد الوضعية الموقعية لاختبار الواقع . فهو يطلق في فترة ما من مراحل تفكيره ، الفكرة الطريفة القائلة بأنه قد يتوقف على المثل الأعلى للأنا(6) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., X, 424 ; S.E., XIV, 233 ; Fr., 184. — *b)* G.W., X, 425 ; S.E., XIV, 235 ; Fr., 186. — *c)* Cf. G.W., X, 423-4 ; S.E., XIV, 232 ; Fr., 183.

(2) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., XVII, 84 ; S.E., XXIII, 162 ; Fr., 25. — *b)* G.W., XVII, 130 ; S.E., XXIII, 199 ; Fr., 74-5. — *c)* G.W., XVII, 84 ; S.E., XXIII, 162 ; Fr., 25.

(3) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 228 ; S.E., XIV, 138 ; Fr., 58.

(4) Freud (S.). *Die Verneinung*, 1925. — *a)* G.W., XIV, 14 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 176. — *b)* G.W., XIV, 14 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 176. — *c)* Cf. G.W., XIV, 14 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 176.

(5) Freud (S.). *Formulierungen über die zwei Prinzipien des psychischen Geschehens*, 1911. G.W., VIII, 238 ; S.E., XII, 226.

(6) Cf. par exemple : Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 126 ; S.E., XVIII, 114 ; Fr., 128.

إختيار العصاب

Choix de la névrose
Eng.: Choice of Neurosis
D.: Neurosenwahl

■ هو مجمل العمليات التي ينخرط الشخص بواسطتها في تكوين نمط ما من أنماط النفاس دون سواه ■ .

المشكلة التي يطرحها تعبير « إختيار العصاب » هي في صلب علم النفس المرضي التحليلي أي : كيف ولماذا تتخصص العمليات العامة التي تبين كيفيّة تكوين العصاب (الصراع الدفاعي مثلاً) نوعياً في تنظيمات عصابية ـ متمايزة بالقدر الذي يسمح بوضع تصنيف للأمراض ؟

لقد شغلت مثل هذه المسألة فرويد خلال أعماله كلها ؛ إذ أنها لا تنفصل عن التوضيح المتعمق للبنية العصابية . ولقد تفاوت جواب فرويد على هذه المسألة ؛ ولا يمكننا هنا التفكير باستعراض التاريخ الذي يتضمن أفكاراً من مثل الصدمة ، والتثبيت ، والإستهياء ، وتفاوت نمو الليبدو والأنا ، الخ . . . إذ تخرج المشكلة باتساعها عن حدود هذا المعجم .

وإذا اكتفينا بالجانب المصطلحي من المشكلة ، يمكننا التساؤل عما دعى فرويد إلى استخدام مصطلح « الإختيار » والتمسك به (1) . فمن الواضح أن هذا المصطلح لا يرجع إلى مفهوم فكري يفترض إمكانية إنتقاء أحد الممكنات المختلفة التي تتواجد معاً ؛ ونفس الأمر ينطبق على فكرة « إختيار الموضوع » . على كل حال ، لا يمكن تجاهل ظهور مصطلح يوحي بضرورة تدخل شخصي كي تأخذ مختلف العوامل التاريخية والجبليّة التي أبرز التحليل النفسي معناها وقيمتها

الدافعة ، ضمن مفهوم (أي التحليل النفسي) يدّعي الإنتماء إلى جبرية مطلقة .

(1) Cf. par exemple FREUD (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902, lettre du 20-5-1896, et *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 442 ; S.E., XII, 317 ; Fr., 437.

إختيار الموضوع

Choix d'objet, choix objectal
Eng.: object- choice
D.: Objektwahl

■ إنه فعل إصطفاء شخص أو نمط من الأشخاص كموضوع للحب . ونميز ما بين اختيار موضوع طفلي وبين إختيار موضوع مراهق حيث يشق أولها الطريق للثاني .
ويرى فرويد أن هناك اسلوبين رئيسين يتدخلان في إختيار الموضوع : نمط إختيار الموضوع بالإستناد ونمط إختيار الموضوع النرجسي ■ .

قدّم فرويد تعبير إختيار الموضوع في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » ، واستمر هذا التعبير شائع الإستخدام في التحليل النفسي منذ ذلك الحين .
ولا بد من أخذ الموضوع هنا (أنظر هذه الكلمة) بمعنى موضوع الحب . أما مصطلح الإختيار ، فلا يجوز أخذه بالمعنى الفكري (أي إختيار واحد من إمكانات متنوعة ومتواجدة معاً) ولا بمعناه كما في تعبير « إختيار العصاب » . إنه يبرز ذلك الجانب المُحَدِّدْ وغير القابل للتحوّل في إصطفاء الشخص لنمط موضوع حبه ، خلال المرحلة الحاسمة من تاريخه . ويتحدث فرويد أيضاً في ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عن (العثور على الموضوع واكتشافه) .
ومما يجدر ملاحظته أن تعبير « إختيار الموضوع » يستخدم إما للدلالة على إختيار شخص محدد (كأن نقول مثلاً : « يقع إختياره للموضوع على أبيه ») ، أو على إختيار نمط ما من الموضوعات (مثلاً « إختيار موضوع جنسي مثلي ») .
ونحن نعلم أن تطور وجهات نظر فرويد حول صلة الجنسية الطفلية بالجنسية البالغة قادته للتقريب المتزايد بينهما لدرجة القبول بوجود « إختيار موضوع كامل » منذ الطفولة [1] .
ولقد ردّ فرويد في مقالته بعنوان « من أجل تقديم النرجسية ، عام 1914 » تنوع إختيارات الموضوع إلى نمطين كبيرين هما : إختيار الموضوع بالإستناد ، وإختيار الموضوع النرجسي ، (أنظر هذه المصطلحات) .

(أ) أنظر بهذا الصدد تلخيص فرويد لهذا التطور في بداية مقالته بعنوان : « التنظيم التناسلي الطفلي ، عام 1923 »(1) ؛ وكذلك مقالاتنا حول : المرحلة التناسلية ، التنظيم ، والمرحلة القضيبية .

(1) Cf. FREUD (S.). G.W., XIII, 293-4 ; S.E., XIX, 141-2.

Choix d'objet par étayage
Eng.: Anaclitic type of object - choice
D.: Anlehnungstypus Der objektwahl

إختيار الموضوع بالإستناد

■ يُنتقى موضوع الحب ، في هذا النمط من إختيار الموضوع ، على غرار الصور الوالدية ، باعتبارها تؤمن للطفل الغذاء والعناية والحماية . ويستمد هذا النمط أساسه من كون النزوات الجنسية تستند أصلاً إلى نزوات حفظ الذات ■ .

نحيل القارىء ، بصدد ترجمة المصطلح الألماني Anlehnungstypus der objecktwahl بمصطلح « إختيار الموضوع بالإستناد » إلى المقالة حول الإتكال Anaclitique حيث يجد بعض الإعتبارات المصطلحية .

يتحدث فرويد في مقالته « من أجل تقديم النرجسية عام1914 » عن « نمط إختيار الموضوع بالإستناد » في مقابل النمط النرجسي لإختيار الموضوع .

يقدم فرويد في هذا النص أساساً فكرة وجود نمطين أساسيين لإختيار موضوع الحب ، مع وصف لإختيار الموضوع النرجسي . أما وصف النمط الأخر لإختيار الموضوع فلقد سبق تقديمه في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » في صلته بالنظرية العامة للإستناد التي تفترض وجوده المسبق . لقد بيّن فرويد في تلك المقالة كيف تظهر الاشباعات الجنسية الأولى في الأصل خلال قيام أجهزة حفظ الحياة بوظائفها ، وكيف تحدد وظائف حفظ الذات إنطلاقاً من هذا الإستناد ، أول موضوع للرغبة الجنسية : وهو ثدي الأم . « . . . يتعلم الطفل ، لاحقاً ، أن يحب أشخاصاً آخرين يمدون له يد العون أثناء عجزه ، ويشبعون حاجاته ؛ ويتكون هذا الحب على غرار العلاقات مع الأم المرضعة خلال فترة الرضاعة ، وكامتداد لها »(1) . وهذا ما يوجه اختيار الموضوع اللاحق للبلوغ ، الذي يتم تبعاً لفرويد بالإستناد الوثيق إلى صور الأهل .

« إننا نحب (كما يقول فرويد في مقالته من أجل تقديم النرجسية) تبعاً لنمط إختيار الموضوع بالإستناد : كل من أ) المرأة التي تطعم ؛ ب) والرجل الذي يحمي وسلسلة الأشخاص البديلين الذين يتحدرون عنهما »(2a) .

وهكذا ، نرى أن فكرة إختيار الموضوع بالإستناد تتضمن في نفس الوقت إستناد النزوات الجنسية إلى نزوات حفظ الذات ، على المستوى النزوي ، وإختياراً غرامياً يقدم فيه « الأشخاص الذين هم على صلة بتغذية الطفل والعناية به وحمايته » النموذج الأول للموضوع الجنسي الذي يحوز الرضى ، على مستوى الموضوعات .

(1) FREUD (S.). G.W., V, 124 ; S.E., VII, 222-3 ; Fr., 133.
(2) FREUD (S.). *a)* G.W., X, 157 ; S.E., XIV, 90. — *b)* G.W., X, 153-4 ; S.E., XIV, 87.

إختيار الموضوع النرجسي

Choix d'objet narcissique
Eng.: Narcissistic object - choice
D.: Narzisstische objektwahl

■ **يتمّ إختيار الموضوع في هذه الحالة على غرار علاقة الشخص بنفسه، وحيث يمثل (الموضوع المختار) هذا المظهر أو ذاك من الشخص عينه ■ .**

« كان الدافع الأقوى الذي أجبر فرويد على الإعتراف بوجود النرجسية »(1a) هو إكتشافه بأن بعض الأشخاص، وخصوصاً اللواطيين منهم، « . . . يختارون موضوع حبهم [. . .] على غرار شخصهم نفسه » . ويتعارض إختيار الموضوع النرجسي مع إختيار الموضوع بالإستناد في كون الأول ليس مجرد إعادة إنتاج لعلاقة سابقة، بل تشكيل لعلاقة الموضوع على غرار علاقة الشخص بذاته . ولقد اعتبر فرويد، في أول محاولاته لإرصان فكرة النرجسية أن الإختيار النرجسي اللواطي هو مرحلة تؤدي بالشخص من النرجسية إلى الجنسية الغيرية : حيث يختار الطفل بادىء ذي بدء موضوعاً تتشابه أعضاؤه التناسلية بأعضائه هو(2) .

ولكن حتى في حالة اللواط، فإن فكرة الإختيار النرجسي ليست بسيطة : حيث يختار الشخص موضوعه على نموذج الصورة التي كان عليها في طفولته الأولى أو مراهقته، ويتماهى بالأم التي كانت تعتني به قديماً (3) .

ويوسّع فرويد في مقالته « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » فكرة النرجسية ويقدم عنها البيان التالي :

« إننا نحب :
« [. . .] تبعاً للنمط النرجسي :
« أ ـ ما نحن عليه (أنفسنا ذاتها) ؟
« ب ـ ما كنا عليه ؛
« ج ـ ما نود أن نكونه ؟
« د ـ الشخص الذي كان يشكّل جزءاً من شخصنا الذاتي » (1b) .

تغطي هذه الفئات ظواهر جد مختلفة . فنحن في الثلاثة الأولى منها نكون بصدد اختيار موضوع شبيه بالشخص نفسه، إنما تجدر الإشارة إلى أن نموذج الاختيار هذا هو صورة أو مثل أعلى، هذا من ناحية ؛ أما من الناحية الأخرى، فإن الشبه بين الموضوع المنتقى ونموذجه قد يكون جزئياً تماماً، ولا يتجاوز بعض العلامات المفضلة . أما في الفئة د، فإن فرويد يستهدف الحب النرجسي الذي تكنّه الأم لولدها الذي سبق له أن كان « جزءاً من شخصها » . يختلف الأمر هنا كلياً، حيث أن الموضوع المنتقى ليس شبيهاً بالوحدة الذاتية للشخص إنما هو يتيح لهذا الشخص العثور على وحدته المفقودة وإستعادتها .

يقابل فرويد في مقالته « من أجل تقديم النرجسية » بين إختيار للموضوع عند الرجل والذي يتم عموماً من خلال الاستناد، واختيار الموضوع عند المرأة الذي يتم على الأغلب نرجسياً . ولكن

فرويد يشير إلى الطبيعة المبسّطة لهذا التعارض على إعتبار « أن كلا الطريقين المؤديين إلى اختيار الموضوع مفتوحان أمام كل إنسان »(1c) .

وهكذا يظل نمطا الإختيار مجرد حالة مثالية ، ويظلان قابلين للتناوب أو هما يمتزجان في كل حالة فردية .

إنما تظل إمكانية التعارض بين الإختيار النرجسي والإختيار بالإستناد، مشكوكاً فيها ، حتى ولو إعتبرا أنماطاً مثالية . ففي « غمرة حب الموضوع تبعاً لنمط الإستناد يجد فرويد « التقدير الجنسي المفرط والملفت للنظر الذي يستمد مصدره من نرجسية الطفل الأصلية ، متخذاً طابع نقلة هذه النرجسية على الموضوع الجنسي »(1d) » . وعلى العكس من ذلك ، يصف فرويد حالة تلك « النسوة النرجسيات » اللواتي « . . . لا يحببن على وجه الدقة سوى أنفسهن ، بنفس حرارة حب الرجل لهنّ تقريباً . إذ لا تدفعهن حاجتهن إلى الحب بل إلى أن يكنّ موضوع الحب ، ولا يجوز رضاهن سوى الرجل الذي يستوفي هذا الشرط » (1c) . ويمكننا التساؤل بصدد هذه الحالات ، التي توصف على أنها نرجسية ، عمّـا إذا كان الشخص لا يرمي في النهاية سوى إلى إستعادة العلاقة الطفلية بالأم المرضعة ، وهو ما يشكّل تبعاً لفرويد ، الإختيار الإستناد .

(1) Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. — *a)* G.W., X, 154 ; S.E., XIV, 88. — *b)* G.W., X, 156 ; S.E., XIV, 90. — *c)* G.W., X, 154 ; S.E., XIV, 88. — *d)* G.W., X, 154 ; S.E., XIV, 88. — *e)* G.W., X, 155 ; S.E., XIV, 89.

(2) Cf. Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. G.W., VII, 297 ; S.E., XII, 60-1 ; Fr. 306.

(3) Cf. Freud (S.). *Eine Kindheitserinnerung des Leonardo da Vinci*, 1910. G.W., VIII, 170 ; S.E., XI, 99-100 ; Fr., 112.

Perception- conscience (pc- CS) — إدراك ـ وعي

En.: Perception- Consciousness
D.: Wahrnehmung- Bewusstsein

■ أنظر بهذا الصدد : تعريف مصطلح وعي ، بالمعنى (ب) ■ .

Incorporation — إدماج

Eng.: Incorporation
D.: Einverleibung

■ هي عملية يقوم الشخص فيها بإدخال موضوع ما إلى داخل جسده ويحتفظ به هناك ، بأسلوب يتفاوت في درجة هواميته . يشكل الإدماج هدفاً نزوياً وأسلوباً من علاقة الموضوع مميزاً

للمرحلة الفمية ؛ فمع أنه ذو صلة مفضلة مع النشاط الفمي وتناول الطعام ، إلا أنه يمكن أن يعاش أيضاً على صلة مع مناطق أخرى مولدة للغلمة ، ومع وظائف أخرى . وهو يشكل النموذج الجسدي الأول للإجتياف والتماهي ■ .

قدّم فرويد مصطلح الإدماج(1) خلال إرصانه لفكرة المرحلة الفمية (عام 1915) ، التي تشدد على العلاقة مع الموضوع ، بينما كان فرويد يصف النشاط الفمي سابقاً ، خصوصاً في الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » ، من زاوية محدودة نسبياً وهي لذة الإمتصاص .

تداخل في الإدماج عدة أهداف نزوية . يؤكد فرويد عام 1915 في إطار ما كان يشكل عندها نظريته في النزوات (أي التعارض ما بين النزوات الجنسية ونزوات الأنا أو حفظ الذات) أن نشاطي ـ الجنس والطعام ـ يمتزجان بشكل وثيق . وأما في إطار آخر نظرية عن النزوات (أي التعارض ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت) ، فإن التركيز أصبح ينصبّ على إتحاد الليبدو والعدوانية : « لا تزال سطوة الحب على الموضوع تتطابق خلال مرحلة التنظيم الفمي لليبدو ، مع تدمير هذا الموضوع »(2) . ولقد قام كل من إبراهام وميلاني كلاين من بعده بتوسيع هذا المفهوم لاحقاً (أنظر : مرحلة سادية ـ فمية) .

تمثل في الواقع ثلاثة معانٍ في الإدماج : الحصول على اللذة من خلال إدخال موضوع ما داخل الذات ، وتدمير هذا الموضوع ؛ وتمثل صفات هذا الموضوع من خلال الإحتفاظ بها داخل الذات . هذا الجانب الأخير هو الذي يجعل من الإدماج ركيزة الإجتياف والتماهي .

لا يقتصر الإدماج لا على النشاط الفمي الفعلي ، ولا على المرحلة الفمية ، مع أن الفمية تشكل نموذج كل إدماج . ففي الواقع بإستطاعة مناطق أخرى مولدة للغلمة ، ووظائف أخرى أن تشكل سنداً له (الإدماج من خلال الأحاسيس الجلدية ، التنفس ، البصر ، والسمع) . كذلك هناك إدماج شرجي بقدر ما يرد التجويف الاستي إلى الفم ، وإدماج تناسلي ، يتجلى خصوصاً في هوام الاحتفاظ بالعضو الذكري داخل الجسد .

ولقد بيّن ابراهام وميلاني كلاين من بعده أن عملية الإدماج أو الإفتراسية ، يمكنها أن يكونا جزئيين أيضاً ، أي أنهما قد ينصبّان على موضوعات جزئية .

(1) Cf. Freud (S.), section 6 ajoutée en 1915 : G.W., V, 98 ; S.E., VII, 197 ; Fr., 95.

(2) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 58 ; S.E., XVIII, 54 ; Fr., 62.

إرتباط

Liaison
Eng.: Binding
D.: Bindung

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح كي يضمنه بشكل عام جداً وفي مجالات متنوعة نسبياً - سواء على المستوى البيولوجي أم على مستوى الجهاز النفسي - تلك العملية التي تنحو إلى تحديد السيلان الحر للإثارات، وإلى ربط التصورات فيما بينها، وإلى تكوين أشكال مستقرة نسبياً والحفاظ عليها ■.

إذا كان الأمر يستوجب إقامة الصلة ما بين مصطلح الإرتباط وبين التعارض المعروف : الطاقة الحرة - الطاقة المربوطة، فإن معناه لا يقتصر أبداً على هذا المفهوم الإقتصادي المحض : فهذا المصطلح الذي يصادف في مختلف مراحل أعمال فرويد يشير إلى مطلب ثابت للتنظير، فيما يتجاوز معناه التقني المحض. وبدلاً من حصر إستخداماته المختلفة، فإننا نفضّل إدراج مدى تأثيره في فترات ثلاث من تاريخ نظرية ما وراء علم النفس حيث يلعب دوراً من الدرجة الأولى.

أولاً : ففي « مشروع علم نفس علمي عام1895 » يدل مصطلح الارتباطBindung بادىء ذي بدء على واقعة مرور طاقة الجهاز العصبي من الحالة الحرة إلى الحالة المربوطة أو هو يدل أيضاً على أن هذه الطاقة توجد في حالتها المربوطة. ويتضمن هذا الإرتباط بالنسبة لفرويد وجود كتلة من الأعصاب مربوطة جيداً ببعضها، وتقوم بينها مسالك ممهدة جيداً هي التي تكوّن ما يسميه الأنا : « فالأنا نفسه هو كتلة من الأعصاب من هذا النوع تحافظ على توظيفها، أي أن هذه الأعصاب توجد في الحالة المربوطة، مما لا يمكن أن يتم بلا شك إلا من خلال التأثير المتبادل التي تمارسه فيما بينها »(1a).

تمارس هذه الكتلة المربوطة ذاتها تأثيراً له طابع الصد أو الإرتباط على بعض العمليات الأخرى. وحين يتساءل فرويد مثلاً عن مصير بعض الذكريات المتعلقة بتجارب مؤلمة والتي « . . . تثير حين إسترجاعها الإنفعال والإنزعاج معاً »، فإنه يطلق عليها إسم الذكريات « غير المروضة » : « إذا حدث أن إصطدم مجرى التفكير بواحدة من هذه الصور الذاكرية التي لم تروض بعد، فإننا نشهد بروز مؤشراتها المميزة، ذات الطبيعة الحسية غالباً، أي بروز أحاسيس الإنزعاج والميول نحو التفريغ، وهي عناصر يميز إمتزاجها إنفعالاً من نوع محدد ؛ مما يؤدي إلى إنقطاع مجرى التفكير ». ولكي تروّض ذكرى كهذه، يتوجب قيام « . . . علاقة بالأنا وبتوظيفات الأنا . . . » ؛ يتوجب « . . . إرتباط صادر عن الأنا، متكرر وعلى درجة عالية من القوة حتى يصبح بالإمكان مجابهة وموازنة ذلك المسلك الممهد الذي أدى إلى الإنزعاج »(1b).

يبدو لنا أنه يتعين التأكيد على فكرتين في هذا المقام :

1 - يشترط الإرتباط الطاقوي إقامة علاقات، أي مسالك ممهدة مع نظام سبق توظيفه ويشكل كلاً متكاملاً : إنه نوع من « . . . إدماج عصبونات جديدة » في الأنا (1c).

2 - وطوال كل كتاب « مشروع علم نفس علمي » يتضمّن الإرتباط قطبه المضاد له، أي الـ

Entbindung (الذي يعني حرفياً « الإنفصال ») ؛ ويدل هذا المصطلح الأخير على عملية إنطلاق وتحرر فجائي للطاقة ، من مثل ذلك الذي يحدث في العضلات والغدد ، حين يصبح الحجم الكمي للأثر أعلى بكثير من الطاقة التي أطلقته . ونعثر على هذا المصطلح أساساً في الصيغ التالية : Unlustentbindung (إنطلاق اللذة) Lustentbindung (إنطلاق الإنزعاج) ، Sexualentbindung (إنطلاق الإثارة الجنسية) ، Affektentbindung (إنطلاق الإنفعال) ، كما نجد في نصوص أخرى Angstentbindung (إنطلاق القلق) . في كل هذه الحالات نكون بصدد ظهور مفاجىء لطاقة حرة تميل إلى التفريغ بشكل قسري .

ولا تمر المقاربة بين هذه المصطلحات المختلفة من دون إثارة دهشتنا بصدد المفهوم الإقتصادي الذي تتضمنه ؛ ذلك أن إستخدام نفس المصطلح ، في الواقع ، لوصف إنطلاق اللذة والإنزعاج سواء بسواء ، هو ظاهرياً ضرب للفكرة الأساسية القائلة بأن اللذة والإنزعاج هما عمليتان متضادتان تنصبان على نفس الطاقة (أي إنخفاض التوتر في الحالة الأولى ، وزيادتها في الحالة الثانية) ، هذا إلا إذا افترضنا أن اللذة والإنزعاج يتطابقان على التوالي مع طاقتين متميزتين عن بعضهما البعض نوعياً ، وهو ما يتعارض تماماً مع الفرضية الفرويدية .

يبدو التعارض ما بين الإنفصال والإتصال مفيداً جداً للخروج من هذه الصعوبة . فكل تحرر للعمليات الأولية ،في تعارضه مع الإرتباط الذي يميز طاقة الأنا ، سواء أذهب في إتجاه زيادة أو نقصان مستوى التوتر المطلق ، يشكل إعتداءً على مستوى توتر الأنا الثابت نسبياً . وقد يكون من الممكن التفكير ، بأن تحرر الإثارة الجنسية هو الذي يُفشّل ، تبعاً لفرويد ، وظيفة الإرتباط الخاصة بالأنا (أنظر : بعدي ، وغواية) .

ثانياً : ومع ظهور « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » لم تعد تقتصر مشكلة الإرتباط على إحتلال مكان الصدارة في تفكير فرويد ، بل أصبحت وضعيته أكثر تعقيداً . ولقد لجأ فرويد من جديد إلى فكرة الإتصال ، بصدد تكرار الشخص للصدمة ، ذلك التكرار الذي إتخذ كنموذج لتكرار التجارب المزعجة . فهو يعود إلى مفهوم سبق أن ورد منذ « المشروع » ينذهب إلى أن النظام القادر على الربط النفسي لسيل من الطاقة هو بالضرورة نظام سبق أن تعرض لتوظيف مفرط للطاقة فيه . ولكن حالة الصدمة بإعتبارها إختراق واسع لحدود الأنا تسمح بإستيعاب قدرة الإرتباط هذه التي يتمتع بها الأنا في نفس اللحظة التي تتعرض فيها للتهديد . مما ينتج عنه وضعية غير متنظرة من الإرتباط بالنسبة لمبدأ اللذة وللعمليات الأولية . وإذا كان الإرتباط يعتبر عموماً على أنه تأثير الأنا على العمليات الأولية ، أي إدخال الصد المميز للعمليات الثانوية ومبدأ الواقع على هذه العمليات الأولية ، فإن فرويد يجد نفسه هنا مدفوعاً إلى التساؤل حول ما إذا كانت « سيادة مبدأ اللذة [نفسها] » تفترض التنشيط المسبق « . . . لمهمة [. . .] ضبط الإثارة أو ربطها ، وهي مهمة لا تسود بلا شك على ما عداها من خلال التعارض مع مبدأ اللذة ، بل بشكل مستقل عنه وبدون أن تأخذه إلى حد ما بعين الإعتبار »(2) .

ولكن إذا كان الإرتباط ينشط في النهاية لمصلحة الأنا ، إلا أنه يبدو أن فرويد يعترف له على الأقل بمعنى خاص به ، وذلك بالقدر الذي يرى فيه الأساس لإضطرار التكرار ، وحيث يجعل من هذا الإضطرار ، في نهاية المطاف ، السمة المميزة لكل ما هو نزوي . يبقى إذاً السؤال حول

وجود نمطين من الإرتباط مفتوحاً : أما النمط الأول ، الذي اكتشف منذ مدة طويلة ، فهو إمتداد لفكرة الأنا وتطورها ؛ وأما الثاني فهو أقرب إلى القوانين التي تضبط الرغبة اللاواعية ، وتناسق الهوامات وهي نفسها قوانين العمليات الأولية : ذلك أن الطاقة الحرة نفسها ، كما بينها التحليل النفسي ، ليست مجرد تفريغ كثيف للإثارة ؛ إنما هي سريان على إمتداد سلاسل التصورات ، وهو سريان يتضمّن « صلات » ترابطية .

ثالثاً : وأخيراً، أصبح الإرتباط ، ضمن إطار النظرية الأخيرة للنزوات، الصفة الرئيسية الكبرى لنزوات الحياة في مقابل نزوات الموت : « فهدف الإيروس هو إقامة وحدات متزايدة في كبرها على الدوام ، أي أن هدفه هو المحافظة (على هذه الوحدات) وذلك هو الإرتباط . وعلى العكس فإن هدف النزوة الأخرى ، هو كسر هذه الصلات ، أي تدمير الأشياء »(3) .

وفي الصياغة الأخيرة لهذه النظرية ، يقع ركن الأنا وما في حوزته من طاقة نزوية أساساً في جانب نزوات الحياة: « فمن خلال إستعمالها لإنشاء هذا الكل الموحد الذي يميز الأنا ، أو يميز نزعته ، تضع [هذه الطاقة] نفسها دوماً بتصرف القصد الرئيسي الكبير للإيروس ، وهو التوحيد والربط »(4) .

* * *

وأخيراً ، يبدو لنا أن المشكلة التحليلية النفسية للإرتباط يمكن أن تطرح إنطلاقاً من ثلاثة إتجاهات دلالتية لغوية يشير إليها هذا المصطلح : أي فكرة العلاقة بين عدة أطراف مرتبطة ببعضها في سلسلة ترابطية ، على سبيل المثال ، وفكرة كل يحظى بشيء من التماسك ، أو شكل يتحدد من خلال بعض الأبعاد أو الحدود (أنظر بهذا الصدد التعبير الإنجليزي Boundary الذي يتضمن المصدر Bind) ، وأخيراً فكرة تثبيت كمية معينة من الطاقة في مكانها مما يحول دون سيلانها الحر الطليق .

(1) Freud (S.). *a)* All., 447 ; Angl., 425 ; Fr., 379. — *b)* All., 459 ; Angl., 438; Fr., 390. — *c)* All., 448 ; Angl., 426 ; Fr., 379.

(2) Freud (S.). G.W., XIII, 36 ; S.E., XVIII, 35 ; Fr., 40.

(3) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 8.

(4) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 274 S.E., XIX, 45 ; Fr., 202.

إرتداد على الشخص ذاته

Retournement sur la personne propre

Eng.: Turning round upon the subject's own self

D.: Wendung gegen die eigene person

■ هي العملية التي تستبدل فيها النزوة موضوعاً مستقلاً بالشخص ذاته . أنظر : القلب إلى أنظر : القلب إلى الضد ■

إرصان نفسي

Élaboration psychique
Eng.: Psychical working over, - out
D.: Psychische verarbeitung أو (Bearbeitung, أو Ausarbeitung, أو Aufarbeitung)

■ أ ـ هو مصطلح إستعمله فرويد للدلالة على العمل . الذي ينجزه الجهاز النفسي ، في سياقات مختلفة ، بقصد السيطرة على المثيرات التي تصل إليه والتي يتعرض تراكمها لأن يصبح مرضياً . ويتلخص هذا العمل في مكاملة الإثارات في النفس وإقامة صلات ترابطية فيا بينها .
ب ـ غالباً ما يستعمل المترجمون المصطلح الفرنسي إرصان كمعادل للألماني **Durcharbeiten** أو الإنجليزي **Working through** ونحن نفضل عليه بهذا المعنى مصطلح **Perlaboration** أي عمل الاستيعاب ■ .

نصادف نفس مصطلح Arbeit (العمل) في العديد من تعابير فرويد ، من مثل Traumarbeit (عمل الحلم) Trauerarbeit (عمل الحداد) وDurcharbeiten (عمل الإستيعاب) كما في العديد من التعابير من مثل Verarbeitung وBearbeitung ، وAusarbeitung وAufarbeitung والتي تترجم جميعها إلى الفرنسية بمصطلح Elaboration أي الإرصان . نحن هنا بصدد إستخدام مبتكر لمفهوم العمل مطبقاً على عمليات نفسية داخلية . وهو يفهم بالرجوع إلى المفهوم الفرويدي عن الجهاز النفسي الذي يحول وينقل الطاقة التي يتلقاها ، باعتبار أن النزوة تعرّف في هذا المنظور « ككمية عمل مطلوبة من النفس »(1) .

ويمكن أن يدل الإرصان النفسي ، بالمعنى الواسع ، على مجمل عمليات هذا الجهاز ؛ إلا أن إستعمال فرويد له يبدو أكثر تخصيصاً : فالإرصان النفسي هو تحويل كمية الطاقة مما يتيح السيطرة عليها من خلال تعديل مسارها أو بربطها .

صادف كل من فرويد وبروير هذا المصطلح عند شاركو الذي يتحدث بصدد الهستيريا عن فترة من الإرصان النفسي ما بين الصدمة وبين ظهور العارض(2) . وهما يلجآن إلى هذا المصطلح من منظور مختلف في نظريتهما عن الهستيريا على مستوى كل من العوامل السببية والعلاج . وعادة ما يصفى الأثر الصدمي للحادث إما من خلال التصريف ، أو من خلال مكاملته في « مركب الترابطات الكبير »(3) الذي يمارس بذلك عملاً تصحيحياً . وهناك عوامل مختلفة تمنع هذه التصفية عند الهستيري (أنظر الهستيريا التنويمية ، وهستيريا الدفاع) ؛ فليس هناك إرصان ترابطي (Verarbeitung) حيث تظل ذكرى الصدمة في وضعية « المجموعة النفسية المنفصلة » . وتكمن فعالية العلاج في إقامة الصلات الترابطية التي تتيح تصفية تدريجية للصدمة (أنظر : تفريج) .

ويستعمل مصطلح الإرصان أيضاً في نظرية الأعصبة الراهنة : إذ أن غياب الإرصان النفسي للتوتر الجنسي الجسدي هو الذي يؤدي إلى تحويله المباشر إلى أعراض . تتشابه أوالية هذه الحالة مع أوالية الهستيريا(4) ، إنما يكون قصور الإرصان أكثر جذرية في الأعصبة الراهنة : « . . . يتحول التوتر الجنسي إلى قلق في كل الحالات التي لا يخضع فيها ، رغم شدة إنتاجه ، إلى إرصان نفسي يحوله إلى عاطفة »(5) .

ويعود فرويد في مقالته « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » إلى الفكرة القائلة بأن غياب أو حالات قصور الإرصان النفسي مع ما يجره من إحتباس لبيدي ، يشكل أساس العصاب والذهان تبعاً لنماذج مختلفة ، ويطوّرها .

وإذا قاربنا ما بين إستخدام فرويد لفكرة الإرصان النفسي في كل من نظرية الهستيريا ونظرية الأعصبة الراهنة ، يمكننا الوصول إلى تمييز مظهرين إثنين : أولهما تحويل الكمية الفيزيائية إلى كيفية نفسية ؛ وثانيهما إقامة مسالك ترابطية تفترض حصول هذا التحويل كشرطٍ مسبق لها .

ويقترح نفس التمييز أيضاً في مقالته « من أجل تقديم النرجسية » حيث يجعل فرويد من العصاب الحالي أساس أي نفاس مفترضاً بالتالي خطوتين متاليتين هما الإحتباس اللبيدي والإرصان النفسي .

وهكذا تقدم فكرة الإرصان نقطة الإتصال ما بين السجل الإقتصادي والسجل الرمزي للفرويدية . ونحيل القارىء بصدد نقاش هذه المسألة إلى مقالتنا حول مصطلح : الإرتباط .

وفي النهاية تجدر الإشارة إلى التقارب الذي يفرض نفسه ما بين الإرصان وعمل الإستيعاب : فهناك تماثل ما بين عمل العلاج وأسلوب النشاط الوظيفي التلقائي للجهاز النفسي .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 67 ; S.E., VII, 163 ; Fr., 56.
(2) Cf. Charcot (J.-M.). *Leçons du mardi à la Salpêtrière*, 1888, Paris, I, 99.
(3) Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 87 : S.E., II, 9 ; Fr., 6.
(4) Cf. Freud (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1894. G.W., I, 336, 342 ; S.E., III, 109, 115.
(5) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 103 ; Angl., 93 ; Fr., 84.

إرصان ثانوي
Élaboration secondaire
Eng.: Secondary revision , or Elaboration
D.: Sekundäre Bearbeitung

■ إنه تعديل للحلم بغية تقديمه على شكل سيناريو مفهوم ومتماسك نسبياً ■ .

يتلخص أساس ما أسماه فرويد بإسم الإرصان الثانوي أو « أخذ الوضوح بعين الإعتبار » في نزع المظهر اللامعقول واللامتماسك من الحلم ، وسد الثغرات ، وإجراء تعديل جزئي أو كلي لعناصره من خلال الغربلة والضم ، في محاولة لخلق شيء ما شبيه بحلم اليقظة . وهو كما يدل إسمه عليه ، يشكل خطوة ثانية في عمل الحلم ؛ فينصب إذاً على منتجات تم إرصانها بواسطة الأواليات الأخرى (التكثيف ، الإزاحة ، وقابلية التصوير) . إلا أن فرويد يعتبر أن هذا الإرصان الثانوي لا ينصب على تكوينات جاهزة يعدلها بشكل لاحق ؛ بل هو على العكس « . . . يمارس منذ البداية [. . .] تأثيراً إيحائياً وإنتقائياً على أساس أفكار الحلم »(1) . وهكذا يميل عمل الحلم إلى استعمال أحلام يقظة جاهزة سلفاً (أنظر : هوام) .

ونرى الإرصان الثانوي ، بإعتباره من آثار الرقابة ـ التي يشير فرويد إلى عدم إقتصارها على دور سلبي ، بل هي قد تنتج أيضاً بعض الإضافات ـ فاعلاً على وجه الخصوص حين يقترب الشخص من حالة اليقظة ، ومن باب أولى حين يقوم برواية الحلم . ولكنه يعاصر في الواقع كل من لحظات الحلم .

ولقد قارب فرويد في كتابه « الطوطم والمحرم عام1912 » ما بين الإرصان الثانوي وتكوين بعض أنظمة الفكر . « تشترط إحدى الوظائف العقلية المميزة لنا على كل المواد التي تطرق باب إدراكنا أو تفكيرنا ، إتصافها بالتوحيد ، والتماسك والوضوح ؛ وهي لا تتردد إزاء إقامة روابط غير صحيحة حين تعجز عن إلتقاط الروابط الصحيحة ، نتيجة لبعض الظروف . ونحن على علم ببعض الأنظمة التي لا تميز الأحلام وحدها ، بل هي تميز أيضاً المخاوف ، والتفكير المجاسي ، ومختلف أشكال الهذيان . إذ يكون النظام في أكثر حالاته جلاءً في الإصابات الهذيانية (العظام) ، حيث يطغى على اللوحة العيادية ، ولكنه لا يجوز أن يُتجاهل أيضاً في أشكال النفاس الأخرى . فبالإمكان أن نبيّن ، في كل من هذه الحالات ، أن هناك تعديلاً قد طرأ على المادة النفسية ، إنطلاقاً من هدف جديد ، وغالباً ما يكون هذا التعديل قسرياً أساساً ، رغم أنه يظل مفهوماً إذا نظرنا إليه من منظار النظام »(2) . ويمكن مقاربة الإرصان الثانوي ، بهذا المعنى من التبرير .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 503 ; S.E., V, 499 ; Fr., 371.
(2) Freud (S.). G.W., IX, 117 ; S.E., XIII, 95 ; Fr., 133.

إزاحة

Déplacement
Eng.: Displacement
D.: Verschiebung

■ إنها قابلية إنفصال توكيد ، أو إهتمام ، أو شدة تصور معين عنه كي تلتحق بتصورات غيره تكون في الأصل قليلة الشدة وعلى إرتباط به من خلال إحدى سلاسل الترابط .

تصادف هذه الظاهرة التي نقع عليها خصوصاً في تحليل الحلم ، في تكوين الأعراض النفاسية ، وفي كل تكوين لا واعٍ ، على وجه العموم .

تستند النظرية التحليلية النفسية للإزاحة على فرضية إقتصادية تقول بطاقة توظيف قابلة للإنفصال عن تصوراتها الأصلية كي تنساب على طول خطوط الترابط .

تشكل الإزاحة « الحرة » لهذه الطاقة إحدى الخصائص الرئيسية للعملية الأولية كما تحكم النشاط الوظيفي لنظام اللاوعي ■ .

1 ـ تبرز فكرة الإزاحة منذ نشوء النظرية الفرويدية للأعصبة (1) . إنها ترتبط بما تبيّن للممارسة العيادية من إستقلال نسبي للعاطفة عن التصور ، كما ترتبط بالفرضية الإقتصادية التي

توضح هذا الإستقلال : أي الفرضية التي تقول بطاقة توظيف « . . . . قابلة للزيادة أو النقصان ، أو الإزاحة ، أو التفريغ »(2a) . (أنظر: إقتصادي، وكذلك مقدار العاطفة Quantum d'Affect).

نجد هذه الفرضية أوضح تفصيل لها في النموذج الذي قدمه فرويد عن عمل « الجهاز العصبي » في « مشروعه من أجل علم نفس علمي عام 1895 » حيث يقول : تتحرك «الكمية » على طول المسالك العصبية ، التي لا تنزع سوى إلى التفريغ الكامل تبعاً « لمبدأ القصور العصبي » . تحدد العملية « الكلية أو الأولية » بإزاحة كامل الطاقة من تصور إلى آخر . وهكذا فيما يتغير في تكوين العارض ، أي تكوين «رمز ذاكري» من نمط هستيري مثلاً : « . . . هو التوزيع (في الطاقة فقط) . حيث يسحب شيء ما من التصور ب كي يضاف إلى التصور أ. تؤلف العملية المرضية إزاحة شبيهة بتلك التي يطالعنا بها الحلم ، أي أنها عملية أولية »(3a) .

تصادف الإزاحة ، في العملية الثانوية ، ولكنها تكون محدودة في مسارها وتنصب على كميات صغيرة من الطاقة(3b) .

يلاحظ عند فرويد تذبذباً واضحاً بصدد المدى الذي يجب أن يُعطى لمصطلح الإزاحة من وجهة نظر نفسانية . فهو يعارض أحياناً ما بين الإزاحة ، بإعتبارها ظاهرة تحدث فيما بين التصورات وتميِّز خصيصاً العصاب الهجاسي (أي تكوين بديل ما بواسطة الإزاحة) ، وما بين الإقلاب حيث يُلغى الانفعال ، وتغير طاقة التوظيف مجالها فتنقله من الميدان التصوري إلى الميدان الجسدي(2b) . بينما يبدو في أحيان أخرى ، أن الإزاحة تميز كل تكوين عارضي حيث يمكن أن يصبح الإشباع « . . . محصوراً ، من خلال الإزاحة ، بتفصيل صغير من مجمل المركب اللبيدي »(4a) . وبهذا القدر يتضمن الإقلاب ذاته إزاحة ، من مثل إزاحة اللذة التناسلية إلى منطقة أخرى من الجسم (4 b) .

2 ـ أوضح فرويد الإزاحة في الحلم على وجه الخصوص . ففي الحقيقة تبين مقارنة المحتوى الظاهر بأفكار الحلم الكامنة إختلافاً في مركز الثقل : حيث تُمثَّل أهم عناصر المحتوى الكامن بواسطة تفاصيل تافهة إما أن تكون وقائع معاصرة وغير ملفتة للنظر ، وإما أن تكون وقائع قديمة وقعت عليها إزاحة في الطفولة . يتوصل فرويد ، في هذا المنظور الوصفي إلى التمييز ما بين أحلام لا تتضمن إزاحة وبين أخرى تتضمن إزاحة(5a) . في هذا النوع الأخير من الأحلام « . . . يمكن أن تحتفظ مختلف العناصر ، خلال عمل الحلم ، بنفس الموقع الذي كانت تشغله تقريباً في أفكار الحلم »(5b) . يبدو هذا التمييز مدعاة للدهشة إذا ما أردنا الحفاظ على توكيد فرويد بأن الإزاحة الحرة هي من أنماط النشاط الوظيفي الخاصة بالعمليات اللاواعية . لا ينكر فرويد إمكانية حدوث إزاحات على كل عنصر من عناصر الحلم ؛ ولكنه غالباً ما يستخدم في كتابه « تأويل الأحلام عام 1900 » مصطلح « التحويل » للدلالة على عبور الطاقة النفسية في عموميتها من تصور إلى آخر ، بينما يحتفظ بالإزاحة للدلالة على ظاهرة ملفتة للنظر ، أكثر بروزاً في بعض الأحلام عنها في غيرها ، ويمكن أن تؤدي هذه الظاهرة إلى نقل مركز عملية إستجلاء غوامض الحلم كلها أي : « تحويل القيم النفسية »(6) .

ترتبط الإزاحة ، في تحليل الحلم ، إرتباطاً وثيقاً بأواليات عمل الحلم الأخرى : فهي في الواقع ، تسهل التكثيف بالقدر الذي تؤدي فيه الإزاحة على طول سلسلتين من الترابطات ، إلى تصورات أو تعابير لفظية تشكل نوعاً من ملتقى الطرق . كذلك تيسر إمكانية قابلية التصوير حين يحدث إنتقال من فكرة مجردة إلى صورة بصرية مكافئة لها ، بواسطة الإزاحة ؛ وهنا يترجم مقدار الأهمية النفسية بشدة الإحساس البصري . وأخيراً يتابع الإرصان الثانوي للحلم عمل الإزاحة ، من خلال إخضاعها إلى غائيته الخاصة .

●●●

تقوم الإزاحة بوظيفة دفاعية بيّنة في مختلف التكوينات التي يكشف المحلل عن وجودها : ففي الخواف مثلاً تسمح الإزاحة بحصر وموضعة وتجسيد القلق في موضوع خارجي . إرتباط الإزاحة مع الرقابة في الحلم يجعل الأولى تبدو وكأنها من نتائج هذه الرقابة : «Is fecit, cui prodest» . ومن الممكن الموافقة على أن الإزاحة تحدث في الحلم بتأثير من الرقابة ، أي بتأثير من الدفاع النفسي الداخلي »(5c) . إنما الإزاحة هي في جوهرها المؤشر الأكثر وثوقاً على وجود العملية الأولية ، بالقدر الذي يمكن تصورها بإعتبار أنها تعمل بشكل حر : « يسود [في اللاوعي] مقدار كبير من الحركية في شدة التوظيفات . . . إذ يمكن لإحدى التصورات أن يترك لغيره كل مقدار التوظيف الخاص به من خلال عملية الإزاحة . . . »(7) . ولا تتعارض هاتان الأطروحتان : إذ لا تؤدي الرقابة إلى الإزاحة إلا بالقدر الذي تكبت فيه بعض التصورات ما قبل الواعية ، والتي تقع تحت حكم قوانين العملية الأولية منذ لحظة إنجذابها إلى اللاوعي . وتستخدم الرقابة أوالية الإزاحة من خلال تفضيل التصورات غير الملفتة للإهتمام ، والراهنة ، أو تلك التصورات المعرضة للإندماج في سياقات التداعيات البعيدة جداً عن الصراع الدفاعي .

لا يتضمن مصطلح الإزاحة عند فرويد تفضيلاً لهذا أو ذاك من إرتباطات التداعي التي يتجسد من خلالها : أي التداعي بالتجاور ، أو بالتشابه . ولقد تمكن عالم الألسنية رومان جاكوبسون حين إقامة الصلة ما بين الأواليات اللاواعية التي وصفها فرويد ، وبين أساليب المجاز والكناية في علم البلاغة اللذين يشكلان تبعاً له القطبين الأساسيين في كل لغة ؛ وهكذا قارب ما بين الإزاحة والكناية حيث نكون بصدد الإرتباط بالتجاور ، بينما تتطابق الرمزية مع البعد المجازي حيث يسود الإرتباط بالتشابه(8) . ويرد جاك لاكان ، الذي إقتبس هذه المعطيات ووسعها الإزاحة الى الكناية والتكثيف إلى المجاز(9) ؛ إذ تنبني الرغبة الإنسانية أساساً تبعاً لقوانين اللاوعي وتبلغ غاية الكمال في تشكّلها على شكل كناية .

(1) Cf. FREUD (S.). *Brief an Joseph Breuer*, 29-6-1892. G.W., XVII, 3-6; S.E., I, 147-8.

(2) FREUD (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. — *a)* G.W., I, 74 ; S.E., III, 60. — *b)* Cf. G.W., I, 59-72 ; S.E., III, 45-58.

(3) FREUD (S.). *a)* All., 429 ; Angl., 407 ; Fr., 361. — *b)* Cf. All., 446 sqq. ; Angl., 423 sqq. ; Fr., 377 sqq.

(4) FREUD (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. — *a)* G.W., XI, 381 ; S.E., XVI, 366 ; Fr., 394. — *b)* Cf. G.W., XI, 336 ; S.E., XVI, 324-5 ; Fr., 349-50.

(5) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* Cf. G.W., II-III, 187 ; S.E., IV, 180-1 ; Fr., 138-9. — *b)* G.W., II-III, 311 ; S.E., IV, 306 ; Fr., 229. — *c)* G.W., II-III, 314 ; S.E., IV, 308 ; Fr., 230.
(6) Freud (S.). *Über den Traum*, 1901. G.W., II-III, 667 ; S.E., V, 656 ; Fr., 76.
(7) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 285 ; S.E., XIV, 186 ; Fr., 130.
(8) Cf. par exemple : Jakobson (R.). Deux aspects du langage et deux types d'aphasie, trad. fr., in *Essais de linguistique générale*, Éd. de Minuit, Paris, 1963, 65-6.
(9) Cf. Lacan (J.). L'instance de la lettre dans l'inconscient ou la raison depuis Freud, in *La psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1957, vol. III, 47-81.

إستجابة علاجية سلبية

Réaction thérapeutique négative
Eng.: Negative therapeutic reaction
D.: Negative therapeutische reaktion

■ تصادف هذه الظاهرة في بعض حالات العلاج بالتحليل النفسي على شكل نمط من مقاومة الشفاء التي تستعصي على التغلب عليها : ففي كل مرة يُتوقع فيها تحسنٌ من تقدم التحليل يحدث تردٍ . وكأننا ببعض الأشخاص يفضلون الآلام على الشفاء . يربط فرويد هذه الظاهرة بشعور لا واعٍ بالذنب يشكل جزءاً لا يتجزأ من بعض البنى المازوشية ■ .

يقدم فرويد أوفى وصف وتحليل للإستجابة العلاجية السلبية في كتابه « الأنا والهو عام 1923 » . إذ يلاحظ عند بعض الأشخاص « . . . أن كل حل جزئي يفترض فيه أن يؤدي إلى تحسن أو إلى زوال عابر للأعراض ـ كما هو الحال بالفعل عند الآخرين ـ يحدث عندهم تعزيزاً مؤقتاً لآلامهم ؛ فتردى حالتهم خلال العلاج بدل أن تتحسن »(1a) .

ولقد سبق لفرويد أن لفت النظر إلى مشكلة « تردي الحالة في العلاج »(2) في « الإستذكار، التكرار وعمل الاستيعاب Perlaboration عام 1914 » على سبيل المثال . ويمكن تفسير إستشراء الأعراض من خلال عونة المكبوت الذي يشجع على بروز إتجاه أكثر تسامحاً تجاه العصاب ، أو تفسيره أيضاً من خلال رغبة المريض في أن يُبينَ للمحلل أخطار العلاج .

ويسجل فرويد أيضاً « إستجابات سلبية » في « مقتطفات من تاريخ عصاب طفلي عام 1918 » : « في كل مرة يُحَلُّ فيها أحد الأعراض حلاً جذرياً ، يحاول [رجل الذئاب] أن ينفي أثر العلاج لفترة من خلال تفاقم العارض »(3) ؛ ولكن لم تُقدّم نظرية أكثر خصوصية لهذه الظاهرة إلا في « الأنا والهو » . ويجدر بنا تمييز الإستجابة العلاجية السلبية عن أساليب المقاومة الأخرى التي قد نتوسلها لتبيان هذه الاستجابة من مثل : تشبث الليبيدو ، بمعنى مصادفة الشخص لصعوبة فعلية في التخلي عن تثبيتاته ، والنقلة السلبية ، والرغبة في إثبات التفوق على المحلل (من خلال تفشيله) ، و« المانع النرجسي » في بعض الحالات الخطيرة ، وكذلك الكسب الناتج عن المرض . نحن هنا ، تبعاً لفرويد ، بصدد إستجابة « معكوسة » حيث يفضل المريض في كل مرحلة من مراحل العلاج التمسك بالآلام بدلاً عن الشفاء . يرى فرويد في ذلك تعبيراً عن شعور لا واعٍ بالذنب يتعذر جداً جلاؤه : « . . . يكون هذا الشعور بالذنب صامتاً بالنسبة للمريض ، فهو لا يبوح له بذنبه ، ولا

يشعر الشخص أنه مذنب بل مريض »(1b) .

يعود فرويد إلى هذه المشكلة مرة أخرى في « المسألة الإقتصادية في المازوشية عام1924 » : إذا جاز لنا الكلام عن كسب من خلال المرض ، بصدد الإستجابة العلاجية السلبية ، فذلك لأن المازوشي يجد إرضاءه في الآلام ، ويحاول التمسك بأي ثمن « بمقدار ما من هذه الآلام »(4) .

هل يمكننا أن نرى في الإستجابة العلاجيه السلبية فعل مقاومة صادرة عن الأنا الأعلى ؟ يبدو أن هذه هي وجهة نظر فرويد ، على الأقل بالنسبة للحالات التي يمكن أن نلمس من خلالها ، في الشعور بالذنب ، شيئاً « . . . مستعاراً ، أي نتيجة للتماهي مع شخص آخر سبق له أن كان موضوع توظيف غُلمي »(1c) . وأما في كتابه « الصد ، العارض ، والقلق عام1926 » فإنه يلمح إلى الإستجابة العلاجية السلبية حين يثير مسألة مقاومة الأنا الأعلى .

إنما ، ترك فرويد منذ البداية ، مكاناً لشيء آخر لا يقبل دوماً الرد إلى دور الأنا الأعلى والمازوشية الثانوية وحدهما وهي فكرة نجد أفصح تعبير عنها في « التحليل المنتهي والتحليل اللامنتهي عام1937 » حيث تُربط الإستجابة العلاجية السلبية مباشرة بنزوة الموت (أنظر هذا المصطلح) .

لا يمكن موضعة آثار هذه الإستجابة كلياً في صراع الأنا مع الأنا الأعلى (أي الشعور بالذنب ، والحاجة إلى العقاب) ؛ إذ لا يقتصر الأمر هنا على مجرد « . . . ذلك الجزء المربوط نفسياً من قبل الأنا الأعلى إذا جاز التعبير ، والذي يصبح بالتالي قابلاً للتعرف عليه ؛ فهناك كميات أخرى من نفس القوة قد تكون فاعلة ، في موقع ما ، على شكل قوة حرة أو مربوطة »(6) . وإذا تعذر أحياناً التغلب على الإستجابة العلاجية السلبية ، أو حتى تأويلها بشكل ملائم ، فذلك لأن سببها النهائي يكمن في الخاصية الجذرية لنزوة الموت .

وهكذا نرى أن تعبير « الإستجابة العلاجية السلبية » يدل ، في قصد فرويد على الأقل ، على ظاهرة عيادية جد نوعية حيث تبدو مقاومة الشفاء مستعصية على التفسير من خلال الأفكار التي تطرح عادة . لقد أدت مفارقتها ، التي لا تقبل الإختزال إلى مجرد تدخل مبدأ اللذة - مهما إفترضناه معقداً - بفرويد من ضمن أسباب أخرى ، إلى القول بفرضية المازوشية الأولية (أنظر : مازوشية)

وعلى كل حال ، غالباً ما يستعمل المحللون النفسيون تعبير « الإستجابة العلاجية السلبية » بطريقة أكثر وصفية ، وبدون حصر معناها ضمن هذا الإطار الضيق ، للدلالة على أي شكل مستعصٍ حقاً من أشكال مقاومة التغيير في العلاج .

(1) Freud (S.) a) G.W., XIII, 278 ; S.E., XIX, 49 ; Fr., 206-7. — b) G.W., XIII, 279 ; S.E., XIX, 50 ; Fr., 207. — c) G.W., XIII, 279, n. ; S.E., XIX, 50, n. ; Fr., 207, n.
(2) Freud (S.). G.W., X, 131-2 ; S.E., XII, 152 ; Fr., 111.
(3) Freud (S.). G.W., XII, 100 ; S.E., XVII, 69 ; Fr., 376.
(4) Freud (S.). G.W., XIII, 379 ; S.E., XIX, 166 ; Fr., 219.
(5) Cf. Freud (S.). G.W., XIV, 193 ; S.E., XX, 160 ; Fr., 89.
(6) Freud (S.). G.W., XVI, 88 ; S.E., XXIII, 242-3 ; Fr., 28.

إستدخال

Intériorisation
Eng.: Internalization
D.: Verinnerlichung

■ أ ـ يستخدم هذا المصطلح غالباً كمرادف للإجتياف .
ب ـ وأما بالمعنى الأكثر تخصيصاً ، فيدل على العملية التي تتحول فيها العلاقات بين الذات والآخرين ، إلى علاقات داخل الذات (من مثل إستدخال صراع ، أو منع ، الخ) ■ .

يشيع إستخدام مصطلح الإستدخال في التحليل النفسي . وهو غالباً ما يؤخذ تبعاً لمدرسة ميلاني كلاين خصوصاً ، بمعنى الإجتياف ، أي بمعنى العبور الهوامي لموضوع « طيب » أو « سيء » ، كلي ، أو جزئي ، إلى داخل الشخص .
ونتكلم عن الإستدخال بمعنى أكثر تخصيصاً حين تنصب العملية على « العلاقات » . فيقال مثلاً أن علاقة السلطة ما بين الأب والابن تُستدخل في علاقة الأنا الأعلى بالأنا . تفترض هذه العملية تمايزاً بنيوياً ضمن النفس بما يتيح لبعض العلاقات أو الصراعات أن تعاش على الصعيد النفسي الداخلي . وهكذا يتلازم الإستدخال مع مفاهيم فرويد الموقعية وخصوصاً مع تلك التي تمّت إلى النظرية الثانية للجهاز النفسي .
ولقد ميّزنا توخياً للدقة المصطلحية معنيين (أ) و (ب) في تعريفنا . والواقع أنهما وثيقي الإرتباط : فمع أفول الأوديب يمكن القول بأن الشخص يجتاف الصورة الأبوية الهوامية ، وأنه يستدخل صراع السلطة مع الأب .

إستناد

Etayage
Eng. : Anaclisis
D. : Anlehnung

■ قدم فرويد هذا المصطلح للدلالة على العلاقة البدائية التي تربط النزوات الجنسية بنزوات حفظ الذات : تستند النزوات الجنسية التي لا تصبح مستقلة إلا في مرحلة ثانوية ، على الوظائف الحيوية التي تمدها بمصدرها العضوي ، وباتجاهها وبموضوعها . وبالتالي نتحدث عن الإستناد أيضاً للدلالة على إرتكاز الشخص في إختياره لموضوع حبه على الموضوع ، الذي يشبع له نزوات حفظ الذات ؛ وهو ما أطلق عليه فرويد إسم إختيار الموضوع بالإستناد ■ .

نحيل القارئ إلى المقالة حول « إتكالي Anaclitique » بصدد ترجمة المصطلح الألماني Anlehnung بمصطلح الإستناد ، حيث يجد بعض الإعتبارات المصطلحية .
تشكل فكرة الإستناد ركيزة أساسية من ركائز المفهوم الفرويدي حول الجنسية . ومنذ بروزها في الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات حول نظريته الجنسية عام 1905 » إستمرت في الترسخ في

السنوات اللاحقة .

يصف فرويد في إرصانه النظري الأول لفكرة النزوة ، عام 1905 ، العلاقة الوثيقة التي تقوم ما بين النزوة الجنسية وبعض الوظائف الجسدية الكبرى . تتجلى هذه العلاقة في أوضح صورها في النشاط الفمي للرضيع : ففي اللذة التي يجدها في إمتصاص الثدي « ... يرتبط إشباع المنطقة المولدة للغلمة في البداية إرتباطاً وثيقاً بإشباع الحاجة إلى الطعام »(1 a) . إذ تقوم الوظيفة الجسدية بإمداد الجنسية بمصدرها أو منطقتها المولدة للغلمة ؛ فتحدد لها رأساً موضوعاً هو الثدي ؛ وتؤمن لها أخيراً لذة لا تختزل إلى مجرد إرواء بسيط للجوع ، أي تؤمن لها نوعاً من المكافأة على شكل لذة : « ... ولا تلبث الحاجة لتكرار الإشباع الجنسي أن تنفصل عن الحاجة إلى التغذية »(1 b) . لا تصبح الجنسية مستقلة إذاً إلا ثانوياً ، وحين يتم التخلي عن الموضوع الخارجي ، حيث تنشط تبعاً لنمط الغلمة الذاتية (أنظر : غلمة ـ ذاتية) .

ويقوم الإستناد أيضاً في حالة النزوات الجزئية الأخرى : « فالمنطقة الشرجية ، كما هو حال المنطقة الشفوية ، مؤهلة نظراً لوضعيتها ، أن تتيح إستناد الجنسية على وظائف جسدية أخرى »(1c) .

أخيراً ، إن تكوين إختيار الموضوع كما يصفه فرويد منذ عام 1905 ، وطوال الفصل الخاص بـ « اكتشاف الموضوع » هو من النوع عينه الذي يطلق عليه فيما بعد وصف « نمط إختيار الموضوع بالإستناد » (1d) .

وتظل فكرة الإستناد حاضرة في النصوص التي يستخلص خلالها فرويد التعارض الكبير ما بين نزوات الجنس ونزوات حفظ الذات ، خلال الأعوام 1910 -1912 : فهي تدل على العلاقة الأصيلة ما بين نوعين كبيرين من النزوات : « ... إذ تجد النزوات الجنسية أولى موضوعاتها بالإستناد إلى القيم المعترف بها من قبل نزوات الأنا ، تماماً كما تحصل الإشباعات الجنسية الأولى بالإستناد إلى الوظائف الجسدية الضرورية لحفظ الحياة »(2) .

ولا يغير التعارض الذي أدخله فرويد في العام 1914 ما بين نمطين من إختيار الموضوع شيئاً من فكرة الإستناد ؛ إذ هو يقتصر فقط على الحد من مدى إختيار الموضوع بالإستناد ، الذي يقابله الآن نمط آخر هو إختيار الموضوع النرجسي .

وأخيراً يبرز فرويد بمزيد من الجلاء في الطبعة الثالثة من « ثلاث مقالات » عام 1915 ، مصطلح الإستناد والمدى الذي يخصه به ، من خلال بعض الإضافات . وهكذا يجعل من « الإستناد إلى واحدة من الوظائف الجسدية الهامة للحياة »(1e) أحد خصائص الجنسية الطفلية الأساسية الثلاث .

***

لا يبدو لنا حتى الآن أن فكرة الإستناد قد إستخلصت تماماً من أعمال فرويد ؛ إذ لم نصادفها تتدخل في غالب الأحيان ، إلا في مفهوم إختيار الموضوع الذي يفترض وجودها في قلب نظرية حول النزوات ، أكثر مما يعرّفها كاملة .

يكمن معناها الرئيس في الواقع في إقامة علاقة وتعارض ما بين النزوات الجنسية وبين نزوات حفظ الذات .

1 - فحتى فكرة إستعارة نزوات الجنس في الأصل مصادرها وموضوعاتها من نزوات حفظ الذات تتضمن وجود فروق بين طبيعة كل من نوعي النزوات هذه ؛ فبينا يتحدد النشاط الوظيفي لنزوات حفظ الذات مسبقاً من خلال جهازها الجسدي ، كما يثبت موضوعها رأساً ؛ تعرف النزوات الجنسية على العكس من ذلك بادئ ذي بدء من خلال نمط معين من الإشباع الذي لا يعدو كونه في البداية مكسباً يتم على هامش قيام الأولى بوظيفتها . يؤكد هذا الفارق الجوهري ، إستخدام فرويد المتكرر لمصطلحات من مثل « وظيفة » و« حاجة » في الحديث عن نزوات حفظ الذات . وقد نتساءل في نفس التفكير هذا ، عما إذا لم يكن من المجدي ، بغية الوصول إلى مزيد من الدقة المصطلحية، الدلالة بمصطلح « الحاجات » على ما يسميه فرويد بإسم « نزوات حفظ الذات » ، مما يميزها بذلك بصورة أفضل عن النزوات الجنسية .

2 - تتيح فكرة الإستناد توضيح موقع الجنسية في نظرية فرويد ، من خلال المساعدة على فهم منشأها . فلقد وجه اللوم دوماً إلى فرويد على ما ذهب إليه من شمولية جنسية بينما دفع هو عن نفسه هذه التهمة من خلال التأكيد على ثبات ما قال به من ثنائية نزوية ؛ وهو مما يجعل مفهوم الإستناد يتيح جواباً أكثر تمييزاً في هذا المجال . وهكذا قد تصادف الجنسية ، بمعنى من المعاني ، في كل مكان ، بإعتبارها نابعة من قيام النشاطات الجسدية بوظيفتها نفسها، كما أنها تتواجد أيضاً تبعاً لما أشار إليه فرويد في « ثلاث مقالات » في كل أنواع النشاطات الأخرى ، كالنشاطات الفكرية على سبيل المثال ؛ ولكنها لا تنفصل إلا في خطوة لاحقة كما أنها نادراً ما تصادف كوظيفة مستقلة بشكل مطلق .

3 - تلقى إحدى المشكلات التي يشيع مناقشتها في التحليل النفسي وهي - هل يجب إفتراض وجود « حب موضوع أولي » أم لا بد من الإعتراف بأن الطفل يكون بادئ الأمر في حالة غلمة ذاتية أو نرجسية - من فرويد جواباً أكثر تعقيداً مما يطرح عموماً . إذ تُشبع النزوات الجنسية ؛ من خلال الغلمة الذاتية قبل أن تجتاز التطور الذي يؤدي بها إلى إختيار الموضوع . بينما تكون نزوات حفظ الذات ، على العكس من ذلك على علاقة مباشرة مع الموضوع ؛ وهكذا ، فطالما نشطت النزوات الجنسية بالإستناد إلى نزوات حفظ الذات ، يكون لها أيضاً علاقة بالموضوع ؛ ولا تتحول الجنسية إلى الغلمة الذاتية إلا حين تنفصل عن نزوات حفظ الذات . « وحين كان الإشباع الجنسي يتم في الأصل من خلال الإرتباط بإبتلاع الطعام ، كانت النزوة الجنسية تمتلك موضوعاً جنسياً خارج إطار الجسد الذاتي : وهو ثدي الأم . . وهي لا تفقد هذا الموضوع إلا لاحقاً [. . .] . وعندها تتحول النزوة الجنسية كقاعدة عامة إلى الغلمة الذاتية [. . .] . وهكذا فإيجاد الموضوع هو في الأساس العثور عليه من جديد »(1F) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., V, 82 ; S.E., VII, 181-2 ; Fr., 74. — *b)* G.W., V, 82 ; S.E., VII, 182 ; Fr., 75. — *c)* G.W., V, 86 ; S.E., VII, 186 ; Fr., 79. — *d)* Cf. G.W., V, 123-30 et n. 1, p. 123 (ajoutée en 1915) ; S.E., VII, 222-30 et n. 1, p. 22 ; Fr., 132-40 et n. 77, p. 186. — *e)* G.W., V, 83 ; S.E., VII, 182 ; Fr., 76. — *f)* G.W., V, 123 ; S.E., VII, 222 ; Fr., 132.

(2) Freud (S.). *Beiträge zur Psychologie des Liebeslebens*, 1910. G.W., VIII, 80 ; S.E., XI, 180-1 ; Fr., 12.

إسقاط Projection

Eng.: Projection

D.: Projektion

■ أ ـ يستعمل هذا المصطلح بمعنى عام جداً في كل من الفسيولوجيا العصبية وعلم النفس للدلالة على العملية التي تزاح فيها واقعة عصبية أو نفسية كي تُموضع في الخارج ، إما بالإنتقال من المركز إلى الأطراف ، أو بالإنتقال من الشخص إلى الموضوع . ويتضمن هذا المعنى عدة مفاهيم مختلفة نسبياً (أنظر : التعليق) .

ب ـ وأما بالمعنى التحليلي النفسي المحض ، فيدل على العملية التي ينبذ فيها الشخص من ذاته بعض الصفات ، والمشاعر ، والرغبات وحتى بعض « الموضوعات » التي يتنكر لها أو يرفضها في نفسه ، كي يموضعها في الآخر ، سواء أكان هذا الآخر شخصاً أم شيئاً .نحن هنا بصدد دفاع ذي أصل أثري جداً ، نجده فاعلاً بشكل خاص في العُظام . وكذلك في بعض أساليب الفكر « السوية » من مثل التطيّر ■ .

أولاً : ـ شاع إستعمال مصطلح الإسقاط في أيامنا هذه كثيراً سواء في علم النفس ، أم في التحليل النفسي ؛ وهو يتضمّن كما أشير إلى ذلك غالباً ، مفاهيم متنوعة لا تتميز جيداً عن بعضها البعض . وقد يكون مناسباً أن نعدد ، ما يتضمنه مصطلح « الإسقاط » ، مقتصرين بادئ ذي بدء على الصعيد الدلالي .

أ ـ نتحدث في « علم الأعصاب » عن الإسقاط بمعنى مشتق من معناه في الهندسة حيث يدل المصطلح على تطابق في جميع النقاط ما بين شكل في الفضاء وشكل مسطح ، على سبيل المثال . وهكذا نقول عن منطقة دماغية ما بأنها تشكل إسقاطاً لهذا أو ذاك من أجهزة الجسد ، سواء أكان مستقبلاً أم مستجيباً : وندل بذلك على تطابق قد يقوم تبعاً لقوانين محددة ، إما بين كل نقطة والنقطة المقابلة لها ، أو بين بنية وبنية أخرى ، وذلك في إتجاه جاذب أم في إتجاه طارد على حد سواء .

ب ـ وهناك مفهوم آخر يشتق من السابق ، ولكنه يتضمّن هنا حركة من المركز نحو الأطراف . وهكذا أمكن القول بلغة نفس فسيولوجية أن الأحاسيس الشمية على سبيل المثال ، تتموضع بواسطة الإسقاط على مستوى جهاز الإستقبال . ويتحدث فرويد بهذا المعنى نفسه عن « إحساس بالحكة أو بالإثارة ذات المصدر المركزي والمسقطة على المنطقة الغلمية الطرفية »(1) . وفي هذا المنظور نفسه ، قد يمكن تعريف الإسقاط « منحرف المركز » ، كما فعل كل من هـ . ب . إنجلش و أ . ث . إنجلش ، باعتباره « موضعة لأحد المعطيات الحسية في الموضع الذي يشغله الموضوع المثير في المكان بدلاً من موضعته في نقطة الإثارة على الجسد »(2) .

وأما في علم النفس فنتكلم عن الإسقاط كي نضمنه العمليات التالية :

جـ ـ يدرك الشخص الوسط المحيط به ويستجيب له إنطلاقاً من مصالحه الخاصة ، وقدراته ، وعاداته ، وحالاته العاطفية الدائمة أو العابرة ، وتوقعاته ، ورغباته ، إلخ . يشكل هذا التلازم ما بين البيئة الداخلية (Innenwelt) والبيئة المحيطة(Umwelt) إحدى مكتسبات البيولوجيا

وعلم النفس المعاصرين ، بدفع من « علم الشكل على وجه الخصوص ». وتتحقق صحته على كل مستويات السلوك : إذ يقوم الحيوان بإقتطاع بعض المثيرات المفضلة التي توجه كل سلوكه ، من ضمن مجاله الإدراكي ؛ كما أن رجل الأعمال يقدر كل موضوعاته من وجهة نظر ما يمكنه أن يُشتري أو يُباع أي (« الإنحراف المهني ») ؛ ويميل الرجل المعتدل المزاج إلى رؤية « الحياة في وجهها المشرق » إلخ . وعلى مستوى أكثر عمقاً قد تتبدى بعض البنى أو السمات الأساسية للشخصية في السلوك الصريح . وتشكل هذه الواقعة المبدأ الذي تقوم عليه التقنيات التي يطلق عليها إسم التقنيات الإسقاطية : فرسم الطفل يفصح عن شخصيته ؛ كما يوضع الشخص في الإختبارات المقننة التي تكوّن الروائز الإسقاطية الفعلية (من مثل رورشاخ وروائز تبصر المتون T. A. T) إزاء وضعيات ضئيلة الإنبناء ، وإزاء مثيرات غامضة ، مما يتيح « . . . قراءة بعض سمات طبعه ، وبعض منظومات تنظيم سلوكه وإنفعالاته ، تبعاً لقواعد التفسير الخاصة بنمط المادة أو النشاط الخلاق المطلوب منه »(3) .

د ـ يبين الشخص من خلال موقفه أنه يأخذ هذا الشخص على أنه شخص آخر : ويقال عندها ، مثلاً ، أنه « يسقط » صورة أبيه على رئيسه . ويدل بذلك وبشكل غير دقيق على ظاهرة إكتشفها التحليل النفسي تحت إسم « النقلة » .

هـ ـ يشبه الشخص ذاته بأشخاص غرباء ، أو هو على العكس من ذلك يشبه بشخصه أشخاصاً أو كائنات حية ، أو جامدة . وهكذا يشيع القول بأن قارئ الروايات يسقط ذاته على هذا أو ذاك من أبطالها ، وأن لافونتين على سبيل المثال ، أسقط على حيوانات قصصه الخرافية مشاعر وتفكير مؤنسنين . والأصوب إدراج أمثال هذه العمليات في مجال ما يسميه المحللون النفسيون بإسم التماهي .

و ـ يلصق الشخص بالآخر تلك الميول والرغبات ، إلخ . ، التي يتنكر لها في نفسه : وهكذا يسقط الشخص العنصري على سبيل المثال ، أخطاءه الذاتية ، وميوله غير المعترف بها ، على الجماعة الملعونة . يبدو أن هذا المعنى الذي أطلق عليه إنجلش وإنجلش إسم « الإسقاط غير المعترف به » (2b) ، هو الأقرب مما وصفه فرويد تحت إسم الإسقاط .

ثانياً: لجأ فرويد إلى الإسقاط لتبيان العديد من التجليات المختلفة في علم النفس السوي والمرضي :

1 ـ إكتشف الإسقاط بادئ ذي بدء في العظام . إذ كرّس فرويد لهذه الإصابة منذ الأعوام 1895 -1896 مقالتين قصيرتين(4a) والفصل الثالث من كتابه بعنوان « ملاحظات جديدة حول حالات نفاس الدفاع عام1896 » . إذ يصف الإسقاط في ذلك الفصل كدفاع أولي هو عبارة عن سوء إستخدام لأوالية سوية تأخذ شكل البحث في الخارج عن مصدر الإنزعاج . يسقط العظامي تصوراته التي لا يطيق لها إحتمالاً كي تعود إليه من الخارج على شكل ملامات : « . . . حيث يظل المحتوى الفعلي على حاله ، ولكن يحدث التغيير في موقع مجمل العملية »(4b) .

ويلجأ فرويد إلى الإسقاط في كل المناسبات اللاحقة التي عالج فيها مسألة العظام ، وخصوصاً في دراسته « لحالة شرايبر » . إنما لا بد من التنبه إلى الصيغة التي يجد فيها فرويد من دور

الإسقاط : فهو لا يعدو كونه جزءاً من الأوالية الدفاعية العظامية ، كما أنه لا يظهر بنفس القدر في كل اشكال هذه الإصابة (5ه) .

2 ـ ويصف فرويد في العام 1915 مجمل البنيان « الخوافي » باعتباره « إسقاطاً » حقيقياً للخطر النزوي على الواقع إذ : « يتصرف الأنا وكأن خطر تصاعد القلق لا يصدر عن حركة نزوية ، بل عن إدراك (خارجي) ، وهكذا يكون بمقدوره أن يستجيب في مواجهة هذا الخطر الخارجي من خلال محاولات الهروب ، والتجنبات الخوافية »(6) .

3 ـ كما يرى فرويد تدخل الإسقاط(7) ، فيما أسماه باسم « الغيرة الإسقاطية » والتي يميزها عن الغيرة « السوية » وعن هذيان الغيرة العظامي في آن معاً : فيدافع الشخص عن نفسه ضد رغباته هو في الخيانة ، من خلال إلصاق تهمة الخيانة بقرينه ؛ وهو يحول بذلك إنتباهه عن لاوعيه الخاص ، ويركزه على لا وعي الآخر ، مما قد يكسبه بذلك قدراً من البصيرة فيما يختص بالآخر ، مساوياً لمقدار التنكر الذي يصيب ما يتعلق به هو ذاته . وهكذا فمن المستحيل أحياناً ، ومن غير المجدي دوماً أن ندين الإسقاط باعتباره إدراكاً مغلوطاً .

4 ـ أصر فرويد في أكثر من مناسبة على الطابع « السوي » لأوالية الإسقاط . وهكذا فهو يرى الإسقاط فاعلاً في التطيّر ، والأساطير ، وفي النزعة « الإحيائية » . حيث : « تنعكس المعرفة الغامضة (أو بمعنى آخر إدراك الواقع الذاتي الداخلي) للعوامل النفسية ، وللصلات التي توجد في اللاوعي [. . .] في بنيان « واقع فوق حسي » ، يتعين على العلم أن يعيد تحويله إلى « سيكولوجية اللاوعي »(8) .

5 ـ وأخيراً لا يثير فرويد الإسقاط بصدد الوضعية التحليلية ، إلا في مناسبات نادرة . فهو لا يدل أبداً على النقلة بشكل عام باعتبارها إسقاطاً ، ولا يستخدم مصطلح الإسقاط هذا إلا لكي يضمنه ظاهرة خاصة هي على صلة به : إذ يلصق الشخص بمحلله كلاماً أو أفكاراً يخصانه بالواقع هو نفسه (من مثل « قد تظن أن . . . ولكن هذا ليس صحيحاً » . (9ه) .

يتضح لنا من هذا الإستقصاء أنه إذا كان فرويد يصادف الإسقاط في ميادين شتى إلا أنه يعطيه مع ذلك معنى دقيقاً نسبياً . إذ يبدو الإسقاط دوماً كدفاع ، أو كالصاق لبعض الصفات والمشاعر والرغبات التي يرفضها الشخص أو يتنكر لها في نفسه ، في الآخر ، سواء أكان هذا الآخر شخصاً أم شيئاً . يبيّن لنا مثال النزعة الإحيائية أفضل تبيان كيف أن فرويد لا يأخذ الإسقاط بمعنى مجرد رد الآخر إلى الذات . فغالباً ما فُسِّرت المعتقدات الإحيائية في الواقع من خلال إفتراض عجز البدائيين عن فهم الطبيعة إلا على النسق الإنساني ؛ وغالباً ما قيل كذلك ، بصدد الأساطير ، أن القدماء « كانوا يسقطون » الصفات والأهواء الإنسانية على قوى الطبيعة . وأما فرويد نفسه ، فهو يزعم بأن هذا الاحلال يجد مبدأه وغايته في عملية « التنكر » ـ التي تشكل إسهامه الأكبر في هذا المجال ـ : إذ تجسد « الشياطين » و « الأشباح » الرغبات السيئة اللاواعية .

ثالثاً: يتجنب فرويد ، في معظم الحالات التي يتكلم فيها عن الإسقاط ، طرح المشكلة برمتها . وهو يفسر في « حالة شرايبر » هذا الموقف على الشكل التالي : « . . . بما أن فهم

الإسقاط يتضمّن مشكلة نفسانية أعم ، فإننا نقرر تنحية مشكلة الإسقاط جانباً ومعها أوالية تكوين العارض العظامي عموماً ، كي ندرسهما ضمن مجموعة أخرى من القضايا »(Sb) . ويمكن أن تكون مثل هذه الدراسة قد كتبت فعلاً ، إلا أنها لم تنشر أبداً . على أن فرويد قد أعطى في العديد من المناسبات ، مؤشرات حول ما وراء نفسانية الإسقاط . وبالإمكان هنا محاولة تجميع عناصر نظريته وما تطرحه من مشكلات على النحو التالي :

1 ـ يجد الإسقاط مبدأه الأعم في مفهوم النزوة الفرويدي . فمن المعلوم أن المتعضي يخضع تبعاً لفرويد ، لنوعين من الإثارات المولدّة للتوتر : يتكون النوع الأول من الإثارات التي يمكنه التهرب منها أو حماية نفسه منها ، بينما يتكون النوع الثاني من الإثارات التي لا يمكنه تجنبها ، ولا يوجد أي جهاز حماية أو صد للإثارات في مواجهتها في البداية ؛ ذاك هو المحك الأول لتميز الداخل عن الخارج . ويظهر الإسقاط عندها باعتباره الوسيلة الدفاعية الأصلية ضد الإثارات الداخلية التي تصبح مزعجة جداً نظراً لشدتها : يسقط الشخص هذه الإثارات على الخارج ، مما يتيح له أن يتهرب منها (على غرار التجنب الخوافي) أو أن يحمي ذاته منها . فهناك « . . . ميل لمعاملتها وكأنها لا تتحرك من الداخل ، بل من الخارج كي يصبح بالإمكان إستعمال وسيلة دفاع صد الإثارات ضدها . ذاك هو أصل الإسقاط »(10) . ويقابل هذا الكسب كما أشار فرويد إلى ذلك ، إضطرار الشخص إلى إضفاء اليقين الكامل على ما يخضع لمقولات الواقع ، إنطلاقاً من تلك العملية(4c) .

2 ـ يعطي فرويد دوراً جوهرياً للإسقاط ، من خلال مزاوجته مع الإجتياف ، في تكوين التعارض ما بين الشخص (الأنا) وبين الموضوع (العالم الخارجي) . « . . . يأخذ الشخص إلى داخل أناه الموضوعات التي تعرض له باعتبارها مصدر لذة ، أي إنه يجتافها (تبعاً لتعبير فرنزي) ، بينما يطرد بعيداً عنه ، كل ما يشكل في صميم داخله سبباً للإزعاج (أوالية الإسقاط) »(11) . تعبّر عملية الإجتياف والإسقاط هذه عن ذاتها « بلغة النزوة الفمية » (9b) من خلال التعارض ما بين الإبتلاع وبين النبذ . تلك هي مرحلة ما أطلق عليه فرويد إسم « الأنا ـ اللذة الخالصة» (أنظر : أنا ـ لذة ، أنا ـ واقع » . يتساءل المؤلفون الذين ينظرون في هذا المفهوم الفرويدي من منظور زماني إذا ما كانت حركة الإسقاط ـ الإجتياف تفترض مسبقاً تمايز الداخل عن الخارج أم أنها هي التي تشكّل ذلك التمايز . وهكذا تكتب آنا فرويد قائلة : « نحن نعتقد أن الإجتياف والإسقاط يظهران في الفترة التي تلي تمايز الأنا عن العالم الخارجي »(12) . وهي تتعارض بذلك مع مدرسة ميلاني كلاين التي أحلت جدلية إجتياف وإسقاط الموضوع « الطيب » والموضوع « السيء » في مكان الصدارة معتبرة أنه يشكل الأساس الفعلي لتمايز الداخل والخارج .

رابعاً: وهكذا يكون فرويد قد دلّ على ماهية المحرك ما وراء النفساني للإسقاط ، في نظره . إنما يترك مفهومه هذا سلسلة من المسائل الأساسية معلقة ، لا نجد لها جواباً قاطعاً لديه .

1 ـ تتعلق أول الصعوبات بتحديد « ما » يُسقط . فغالباً ما يصف فرويد الإسقاط كتحوير لعملية سوية تدفعنا إلى البحث عن « سبب » إنفعالاتنا في العالم الخارجي : ويبدو أنه يفهم الإسقاط على هذا الغرار حين يراه فاعلاً في الخواف . وبالمقابل ، يبدو اللجوء إلى السببية ، في تحليل

أوالية العظام كما نعثر عليه في دراسة « حالة شرايبر » كتبرير بعدي للإسقاط : « . . . إذ تحول جملة « أنا أكرهه » من خلال الإسقاط إلى هذه الجملة الأخرى : « هو يكرهني » (إنه يضطهدني) ، وهذا ما يعطيني ساعتها الحق في أن أكرهه »(5c) . إن ما يُسقط هنا هو إنفعال الحقد (أي « النزوة » بحد ذاتها إذا جاز القول) . أخيراً نجد في نصوص ما وراء نفسانية من مثل « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » و« الإنكار عام 1925 » ، أن ما يُسقط هو « المكروه » و« السيء » . نحن هنا قريبون جداً من مفهوم « واقعي » للإسقاط سيتخذ كل مداه عند ميلاني كلاين : فما يُسقط بالنسبة إليها هو الموضوع « السيء » ـ الهوامي وكأنه يتحتم على النزوة أو الإنفعال كي ينبذان حقيقة ، أن يتجسدا بالضرورة في موضوع معين .

2 ـ وتبرز ثاني الصعوبات الكبرى من خلال المفهوم الفرويدي للعظام . ذلك أن فرويد لا يضع الإسقاط على الدوام في نفس الموضع في مجمل العملية الدفاعية الخاصة بهذه الإصابة . فهو يتصور الإسقاط العظامي ، في النصوص الأولى التي يعالجه فيها كأوالية دفاع أولي تتضح خصائصه بالتعارض مع الكبْت الفاعل في العصاب الهجاسي : اذ يتمثل الدفاع الأولي في هذا العصاب في كبت مجمل الذكرى المولدة للمرض في اللاوعي ، وفي استبدالها « بعارض دفاع أولي » هو الإرتياب من الذات . ويتعين فهم الدفاع الأولي في العظام بشكل متناظر : فهنالك كبت أيضاً ، إنما في العالم الخارجي ، ويتكون العارض الأولي للدفاع من الحذر تجاه الغير . ويُفهم الهذيان هنا كفشل لهذا الدفاع ، و« كعودة للمكبوت » الذي يأتي من الخارج(4d) .

موقع الإسقاط مختلف تماماً في « حالة شرايبر » ؛ إذ يندرج في مرحلة « تكوين العارض » . ويؤدي مفهوم كهذا إلى تقريب أوالية العظام من أوالية الأعصبة : إذ يكبت الشعور الذي لا يطلق (أي الحب الجنسي المثلي) في الداخل ، في اللاوعي ، في مرحلة أولى ويحول إلى نقيضه ؛ وفي مرحلة ثانية يسقط على العالم الخارجي : ويشكل الإسقاط هنا أسلوب عودة ما هو مكبوت في اللاوعي إلى الوعي .

يتيح لنا هذا الفارق في مفهوم أوالية العظام إستخلاص تصورين للإسقاط :

أ ـ فهنالك معنى مماثلاً للمعنى السينمائي : حيث يرسل الشخص إلى الخارج صورة ما هو موجود بشكل لا واع في داخله . ويُعرّف الإسقاط هنا كأسلوب من التنكر لما هو موجود عند الشخص تحديداً مع ما يقابله من إعتراف بوجود موضوع التنكر هذا عند الآخر ؛

ب ـ وهنالك التصور القائل بعملية طرد شبه واقعي : إذ يلقي الشخص ما لا يريده في نفسه خارجاً عن ذاته ، كي يعود فيجده بعدها في العالم الخارجي . ويمكن القول هنا باختصار أن الإسقاط لا يعرّف بإعتباره أنه « ما لانريد الإعتراف به » بل بإعتباره « ما لا نريد أن نكونه » .

يرد المنظور الأول الإسقاط إلى حالة من الوهم ، بينما يرسخه المنظور الثاني في إنقسام ثنائي أصيل ما بين الشخص والعالم الخارجي (أنظر : Forclusion إغفال) .

ولا يغيب هذا الأسلوب الثاني في النظر إلى الأمور على كل حال من دراسة « حالة شرايبر » كما تشهد عليه السطور التالية : « لم يكن صحيحاً القول بأن الإحساس المقموع داخلياً قد أسقط على الخارج ؛ بل لا بد من الإعتراف بمعنى أحق بأن ما ألغي في الداخل يعود من الخارج »(5d) .

يلاحظ في هذا المقطع أن فرويد يدل بمصطلح الإسقاط على ما وصفناه لتونا كأسلوب من التنكر البسيط ؛ ولكنه يعتبر تحديداً بأن الإسقاط لا يعود كافياً بهذا القدر لتفسير الفهان .

3 ـ كما ستصادفنا صعوبة جديدة في علاج الموضوع عند طرح النظرية الفرويدية التي تعتبر كل من الهلوسة والحلم إسقاطاً . فإذا كان المزعج هو الذي يسقط ، كما يعبر فرويد في تلك النظرية ، كيف يمكننا عندها تفسير إسقاط إنجاز الرغبة ؟ لم تفت فرويد هذه المشكلة ، التي يقدم لها جواباً يمكن صياغته كما يلي : إذا كان الحلم يحقق في محتواه رغبة محببة ، إلا أنه دفاعي في وظيفته الأولية : إذ يتلخص هدفه الأول في إستبعاد كل ما يمكنه أن يزعج النوم : « . . . فعوضاً عن التحريض الداخلي الذي قد يشغله [أي النائم] كلياً ، تقوم تجربة خارجية مما يؤدي إلى تخلصه [النائم] من تحريضها . فالحلم هو إذاً اسقاط أيضاً من ضمن أشياء أخرى : أي أنه إستخراج لعملية داخلية »(13) .

خامساً: 1 ـ ولكن بالرغم من هذه الصعوبات الأساسية ، فإن الإستعمال الفرويدي لمصطلح الإسقاط يظل موجهاً بدقة ، كما نرى . إذ تتلخص العملية دوماً في إلقاء ما نرفض الإعتراف به في أنفسنا ، أو ما نرفض أن نكونه ، إلى الخارج . على أنه يبدو أن معنى الإلقاء هذا ، أو النبذ لم يكن سائداً في الإستعمال الألسني قبل فرويد ، كما تشهد على ذلك السطور التالية من رينان على سبيل المثال : « يسقط الطفل على كل الأشياء ما يحمله بين جوانحه من روعة » . ولقد صمد هذا الإستعمال بالطبع ، أمام المفهوم الفرويدي ، مما يفسر بعض أوجه الغموض الراهنة لمصطلح الإسقاط في علم النفس وحتى عند المحللين النفسيين أحياناً (١) .

2 ـ حتى ولو حرصنا على الحفاظ على المعنى المحدد جيداً الذي يعطيه فرويد لمفهوم الإسقاط ، إلا أنه ليس في نيتنا مع ذلك إنكار وجود كل العمليات التي صنّفناها وميزناها في الأقسام السابقة (أنظر القسم الأول) . ومن ناحية ثانية لا يفوت المحلل أن يبين أن الإسقاط باعتباره نبذاً أو باعتباره تنكراً يظل ناشطاً في هذه العمليات المختلفة .

حتى أن إسقاط حالة ما من التوتر ، أو من الألم المنتشر على أحد أعضاء الجسد ، يسمح بتركيز هذا الألم ، وبالتنكر لأصله الحقيقي (أنظر القسم الأول أعلاه الفقرة ب) .

كما أنه من اليسير البرهنة في الروائز الإسقاطية (أنظر القسم الأول أعلاه ، الفقرة ج) على أننا لا نكون هنا بصدد مجرد إنبناء المثيرات بالتطابق مع بنية الشخصية : صحيح أن الشخص يسقط بالتأكيد على لوحات رائز تبصر المتون تخصيصاً ، ما هو عليه ، إلا أنه يسقط أيضاً ما يرفض أن يكون عليه في آن معاً . حتى أنه لمن المستطاع التساؤل حول ما إذا كانت التقنية الإسقاطية تثير بشكل إنتقائي أوالية إسقاط «السيء» إلى الخارج .

كما تجدر الملاحظة أيضاً أن المحلل النفسي لا يرد النقلة بمجملها إلى الإسقاط (أنظر القسم الأول أعلاه ، الفقرة د) ؛ ولكنه يقر بالمقابل كيف أنه بإمكان الإسقاط أن يلعب دوراً فيها . فهو يقول ، على سبيل المثال ، أن الشخص يسقط أناه الأعلى على محلله ويجد في هذا الطرد وضعية أكثر ملاءمة له ، إذ يتخفف من صراعه الداخلي .

وأخيراً تختلط الصلات ما بين التماهي والإسقاط بشكل حاد ، وهو ما يعود جزئياً إلى الإستعمال

التراخي للمصطلحات . إذ يقال أحياناً وبدون أدنى تمييز ، أن الهستيري على سبيل المثال « يسقط ذاته على شخص ما أو هو يتماهى به . ويصل التشويش حداً أمكن معه حتى لفرّنزي نفسه أن يتحدث عن الإجتياف للدلالة على هذه العملية . وبدون أن ندّعي البتة علاج مسألة التناسق ما بين أواليتي التماهي والإسقاط إلا أننا نعتقد أننا هنا بصدد إستخدام يتميز بالشطط لمصطلح الإسقاط . إذ نفقد تماماً في هذه الحالة الإفتراض المسبق والدائم الذي يقوم عليه التعريف التحليلي النفسي للإسقاط أي : الإنقسام الثنائي داخل الشخص ونبذ ذاك القسم الذي نرفضه في أنفسنا من خلال إلصاقه بالآخر .

(أ) توضح الطرفة التالية هذا التشويش . إذ صرّح أحد المشاركين خلال ملتقى بين فلاسفة من إتجاهين مختلفين ، قائلاً : « أوليس عندنا نفس البرنامج ؟ » فيا كان من أحد أنصار الجماعة المقابلة إلا أن أجاب « آمل أن لا » . ويمكن القول بالمعنى النفساني الشائع أن الأول قد « أسقط » ، بينما يمكن الإفتراض بالمعنى الفرويدي بأن الثاني هو الذي أسقط بمقدار ما يدل موقفه على رفض جذري لأفكار محدثه ، وهي أفكار يخشى أن يكتشفها في نفسه .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 85 ; S.E., VII, 184 ; Fr., 78.

(2) English (H. B.) and English (A. C.). *A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms*, 1958. — *a)* Article « Projection-Eccentric ». — *b)* Article « Projection », 3.

(3) Anzieu (D.). *Les méthodes projectives*, P.U.F., Paris, 1960, 2-3.

(4) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 118-24 et 163-4 ; Angl., 109-15 et 152-4 ; Fr., 98-102 et 135-6. — *b)* All., 120 ; Angl., 111 ; Fr., 99. — *c)* Cf. All., 118-24 et 163-4 ; Angl., 109-15 et 152-4 ; Fr., 98-102 et 135-6. — *d)* Cf. All., 118-24 et 163-4 ; Angl., 109-15 et 152-4 ; Fr., 98-102 et 135-6.

(5) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia*, 1911. — *a)* Cf. G.W., VIII, 302-3 ; S.E., XII, 66 ; Fr., 311. — *b)* G.W., VIII, 303 ; S.E., XII, 66 ; Fr., 311. — *c)* G.W., VIII, 299 ; S.E., XII, 63 ; Fr., 308. — *d)* G.W., VIII, 508 ; S.E., XII, 71 ; Fr., 315.

(6) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 283 ; S.E., XIV, 184 ; Fr., 126.

(7) Cf. Freud (S.). *Über einige neurotische Mechanismen bei Eifersucht, Paranoia und Homosexualität*, 1922. G.W., XIII, 195-8 ; S.E., XVIII, 223-5 ; Fr., in *R.F.P.*, 1932, V, 3, 391-3.

(8) Freud (S.). *Zur Psychopathologie des Alltagslebens*, 1901. G.W., IV, 287-8 ; S.E., VI, 158-9 ; Fr., 299.

(9) Cf. par exemple : Freud (S.). *Die Verneinung*, 1925. — *a)* G.W., XIV, 11 ; S.E., XIX, 235 ; Fr., 174. — *b)* G.W., XIV, 13 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 175.

(10) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 29 ; S.E., XVII, 29 ; Fr., 32.

(11) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 228 ; S.E., XIV, 136 ; Fr., 58.

(12) Freud (A.). *Das Ich und die Abwehrmechanismen*, 1936. Fr., *Le moi et les mécanismes de défense*, Paris, P.U.F., 1949, 47.

(13) Freud (S.). *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1917. G.W., X, 414 ; S.E., XIV, 223 ; Fr., 165.

إشارة القلق
Signal d'angoisse

Eng.: Signal of Anxiety- D.: Angstsignal

■ أدخل فرويد هذا المصطلح في إطار تنقيحه لنظريته في القلق (عام1926) للدلالة على

جهاز يقوم الأنا بتشغيله إزاء وضعيات الخطر، مما يتيح له تجنب طغيان فيض الإثارات عليه. تكرر إشارة القلق بشكل مخفف ردّ فعل القلق الذي سبق أن عاشه الشخص في وضعية صدمية، مما يتيح له إطلاق عمليات الدفاع ■.

أدخل هذا المصطلح في كتاب « الصد، العارض، والقلق على 1926 »، وهو يشكل الفكرة الرئيسة فيما يُطلق عليه عموماً إسم نظرية القلق الثانية. ولا نرمي هنا إلى عرض هذا التنقيح، أو مناقشة مداه أو وظيفته في تطور الأفكار الفرويدية. إنما يستدعي مصطلح « إشارة القلق » الذي نحته فرويد بعض الملاحظات على الأقل نظراً لإقتضابه.

أولاً: فهو يكثف الإسهام الأساسي للنظرية الجديدة. ذلك أن القلق كان يعتبر كنتيجة في التفسير الإقتصادي الذي قدمه فرويد عنه بادئ ذي بدء: إنه التفصح الذاتي لواقعة إفلات كمية من الطاقة من الضبط. أما مصطلح « إشارة القلق » فهو يبرز وظيفة جديدة للقلق تجعل منه محركاً لدفاع الأنا.

ثانياً: لا يخضع إنطلاق إشارة القلق بالضرورة لعوامل إقتصادية؛ ذلك أن إشارة القلق يمكنها أن تنشط « كرمز ذاكري » أو « كرمز عاطفي »(1) يدل على وضعية لم تبرز بعد، ويتعين تجنبها.

ثالثاً: إلا أن إعلاء شأن فكرة إشارة القلق، لا يلغي رغم ذلك التفسير الإقتصادي كلياً. فمن جهة، لا بد أن يكون الإنفعال الذي يتكرر على شكل إشارة قد سبق له أن فرض على الشخص في الماضي في حالة إستسلام على شكل قلق يسمى القلق الآلي، حين وجد هذا الشخص نفسه مغلوباً على أمره إزاء فيض الإثارات. كما يفترض إنطلاق الإشارة، من ناحية ثانية تحريك كمية معينة من الطاقة.

رابعاً: ومما يجدر ذكره أخيراً أن فرويد يلحق إشارة القلق بالأنا. تقترب هذه الوظيفة المكتشفة حديثاً للقلق، قابلة لأن تُرَدّ إلى ما دأب على وصفه في إطار العملية الثانوية، حيث يبيّن كيف يكون بمقدور بعض الإنفعالات المزعجة التي تتكرر بشكل مخفّف أن تحرّك الرقابة.

(1) Freud (S.). G.W., XIV, 120-1 ; S.E., XX, 93-4 ; Fr., 9-10.

Réparation إصلاح

Eng.: Reparation- D.: Wiedergutmachung

■ تصف ميلاني كلاين هذه الأوالية التي يحاول الشخص من خلالها إصلاح آثار هواماته التدميرية على موضوع حبه. ترتبط هذه الأوالية بالقلق وبالشعور بالذنب الخوري: إذ يتيح الإصلاح الهوامي للموضوع الأمومي الخارجي والداخلي تجاوز الوضعية الخورية من خلال تأمين تماهٍ مستقر للأنا مع الموضوع الخيّر ■.

تجدر الإشارة بادئ ذي بدء إلى أننا نصادف ، في كتابات ميلاني كلاين ، العديد من المصطلحات ذات المعاني المتقاربة جداً : منها بالانجليزية (Restoration = ترميم) ومنها بالإنجليزية أيضاً (Restitution = إستعادة ، أو Reparation = إصلاح وتفضل الكاتبة هذا المصطلح الأخير في أحدث كتاباتها) . ولا بد من التعامل مع هذه المصطلحات في دلالاتها المتنوعة والمتفاوته ، خصوصاً مصطلح الإصلاح الذي نصادفه في كل من « أصلح شيئاً ما » و « عوّض على إنسان ما » .

تندرج فكرة الإصلاح ضمن المفهوم الكلايني عن السادية الطفلية المبكرة ، التي تترجم في هوامات تدمير ، وتفتيت ، والتهام ، إلخ . يرتبط الإصلاح أساساً بالوضعية الخورية (أنظر هذا المصطلح) المعاصرة لحلول العلاقة مع موضوع كلي . ويحاول الطفل كجواب على القلق والشعور بالذنب الملازمين لهذه الوضعية ، أن يحافظ على جسد الأم أو يعيد إليه تكامله . يتجسد هذا الميل لإصلاح « الكارثة المتأتية عن ساديته »(1a) في هوامات مختلفة من مثل : حَفظ جسد الأم من هجمات « الموضوعات السيئة » ، جمع شتات هذا الجسد ، إحياء ما سبق أن قُتِلْ ، إلخ . فمن خلال إعادة التكامل إلى موضوع الحب ، ومن خلال إلغاء كل الأذى الذي أُلحِقَ به ، يضمن الطفل لنفسه إمتلاك موضوع « طيب » تماماً ومستقر يساعد إجتيافه على تعزيز أناه . وهكذا تلعب هوامات الإصلاح دوراً إنبنائياً في نمو الأنا .

وقد تقترب أواليات الإصلاح ، إذا لم يقيض لها النجاح ، من الدفاعات الإهتياجية (الشعور بالجبروت) أحياناً ، ومن الدفاعات الهجاسية (التكرار الإضطراري لأفعال الإصلاح) أحياناً أخرى . ويفترض نجاح الإصلاح ، تبعاً لميلاني كلاين ، إنتصار نزوات الحياة على نزوات الموت (أنظر هذه المصطلحات) .

ولقد بينت ميلاني كلاين الدور الذي يلعبه الإصلاح في كل من عمل الحداد والتسامي : « ... إذ أن الجهد المبذول لإزالة حالة التفكك التي أخضع لها [الموضوع] ، يفترض مسبقاً ضرورة جعله جميلاً وكاملاً » (1b, 1c) .

(1) Klein (M.). *Contributions o Psycho-Analysis*, 1921-45. — *a)* 289. — *b)* 290. — *c)* Cf. 227-235.

إضطرار ، إضطراري ، قهري

Compulsion, compulsionnel
Eng.: Compulsion, compulsive
D.: Zwang, Zwangs

■ هو عيادياً نمط من التصرفات يُدفع الشخص إلى القيام بها تحت وطأة إرغام داخلي . وتوصف الأفكار (كالهجاس) أو الأفعال ، أو العمليات الدفاعية ، وحتى بعض السلاسل المعقدة من السلوك ، بأنها إضطرارية حين يُعاش عدم القيام بها على أنه جالبة لتصعيد القلق ■ .

1 - تستعمل كلمة إضطراري في المصطلحات الفرويدية للدلالة على قوة داخلية لها طابع الإرغام . وأكثر ما يشيع إستخدامها في إطار العصاب الهجاسي : حيث تتضمن إحساس الشخص بأن هذه القوة ترغمه على التصرف ، أو التفكير رغماً عنه ، وهو لذلك يحاول مقاومتها .

أما خارج إطار العصاب الهجاسي ، فقد تبرز هذه الظاهرة أحياناً دون أن تتضمن طابع الإرغام : حيث لا يشعر الشخص بشكل واع بأنه على خلاف مع الأفعال التي يقوم بها على كل حال انسجاماً مع أنماط أولية لا واعية . وهذا ما يحدث خصوصاً في الحالة التي يسميها فرويد (إضطرار التكرار) وكذلك (المصير القهري) (أنظر في هذا الصدد : عصاب المصير أو المكتوب) .

وبشكل عام ، إذا أخذ الإضطرار بمعناه الأساسي الأكثر عمومية ، والذي يتجاوز الحالة العيادية التي يبدو فيها في العصاب الهجاسي ، فإنه يكشف ، تبعاً لفرويد ، عن أقصى ما هو جذري في النزوة : « يمكن التعرف في اللاوعي النفسي على هيمنة إضطرار تكرار صادر عن الطاقة الحركية للنزوات ، ومرتبط على ما يبدو بطبيعتها الأكثر خفاء ، والتي تكون على درجة من الشدة تضعها فوق مبدأ اللذة ، مما يعطي لبعض أوجه الحياة النفسية طابعها الشيطاني (1) . . . » .

نقع على هذا المعنى الأساسي للإضطرار الذي يجعله أقرب إلى القدر المحتوم في حديث فرويد عن إسطورة أوديب ، حيث يسبغ هذا الطابع القدري على كلام العرّافة ، كما يشهد عليه ذلك المقطع من الموجز في التحليل النفسي عام 1938 « . . . إن قضاء العرافة المحتوم ، الذي يجب أن ينزل لتبرئة البطل ، هو إعتراف بحتمية المصير الذي يحكم على كل الأبناء بالمرور في عقدة الأوديب » (أ ، 2) .

2 - تشتق كلمات إضطرار وإضطراري في الفرنسية من نفس الأصل اللاتيني (Compellere) لكلمة إرغام : أي الذي يدفع نحو ، أو يرغم . ولقد اختيرت هذه الكلمات كمعادل للكلمة الألمانية Swang . ومن ناحية أخرى درجت الأبحاث العيادية الفرنسية على إستخدام مصطلح الهجاس أيضاً للدلالة على الأفكار التي يحس الشخص بأنه مرغم عليها والتي تحاصره من كل صوب . لذلك يعتمد الهجاس في بعض الحالات للتعبير عن مصطلح الإضطرار Zwang : وهكذا تترجم كلمة Zwangsneurose بمصطلح العصاب الهجاسي ؛ وكلمة Swangsvorstellung (التكوين الإضطراري) بالتصورات الهجاسية ، أو هجاس الـ . . . وعلى العكس من ذلك ، فحين نكون بصدد التصرفات ، نتحدث عن الإضطرار والفعل الإضطراري وإضطرار التكرار الخ . . .

وتجدر الملاحظة أخيراً ، أن كلمة إضطرار تندرج في الفرنسية ، من حيث جذرها في نفس سلسلة الإشتقاق إلى جوار نزوة وإندفاع . وتتوافق كلمتي الإضطرار والنزوة من حيث أصلهما الإشتقاقي تماماً مع فكرة الإرغام (Zwang) عند فرويد . إنما هناك فروق ملموسة في إستخدام كل من كلمتي إضطرار وإندفاع . حيث يدل الإندفاع على بروز نزعة مفاجئة تكتسي طابع الإلحاح للقيام بهذا العمل أو ذاك ، تحت وطأة الإنفعال ، وخارجاً عن كل ضبط ؛ حيث لا نجد لا الصراع والتعقيد اللذين يميزان الهجاس الإضطراري ولا الطابع الذي يتخذ منحى السيناريو الهوامي كما في إضطرار التكرار .

(أ) لاحظ هذا المقطع المبكر من رسالة إلى فلايس بتاريخ 15 / 10 / 97 : حيث يرد « تضع الأسطورة اليونانية يدها على إضطرار يتعرّف عليه كل منا لأنه لاحظ وجوده في ذاته »(3) .

(1) Freud (S.). *Das Unheimliche*, 1919. G.W., XII, 251 ; S.E., XVII, 238 ; Fr., 191.
(2) Freud (S.). G.W., XVII, 119 ; S.E., XXIII, 192 ; Fr., 63.
(3) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 238 Angl., 223 ; Fr., 196.

إضطرار التكرار

Compulsion de répétition
Eng.: Repetition compulsion
D.: Wiederholungszwang

■ أ ـ إذا طرح إضطرار التكرار على مستوى علم النفس المرضي المحسوس ، فإنه يتخذ طابع عملية لا تقاوم ذات مصدر لا واعٍ . ينشط فيها الشخص لزجّ نفسه في وضعيات مؤلمة ، مكرراً بذلك تجارب قديمة بدون تذكر نموذجها الأصلي . بل هو يعيش على العكس من ذلك إنطباعاً على درجة عالية من الحيوية بأن المسألة ترتبط بشيء يجد تبريره الكامل في الواقع الراهن .
ب ـ يُعتبر إضطرار التكرار ، في الإرصان النظري الذي يقدمه عنه فرويد ، كعامل مستقل غير قابل للإختزال في نهاية التحليل إلى الدينامية الصراعية التي تقتصر على لعبة تداخل مبدأ اللذة ومبدأ الواقع . بل هو يرتد أساساً إلى أكثر صفات النزوات عمومية : أي صفة المحافظة ■ .

تحتل فكرة إضطرار التكرار موقع الصدارة في كتاب « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » الذي يشكل المحاولة التي يعيد فيها فرويد النظر بأهم مفاهيم نظريته . وهكذا فمن الصعوبة تحديد معناها الدقيق ومشكليتها الخاصة بها سواء بسواء ، ذلك أنها تسهم في أبحاث فرويد الإفتراضية في تلك اللحظة الحاسمة ، بكل ترددها ومآزقها وحتى بتناقضاتها . ذلك هو أحد أسباب التشويش الذي يحيط بمناقشة هذا المصطلح في التحليل النفسي ، وإعادة طرحه مراراً : ذلك أنها (أي المناقشة) تطرح بالضرورة خيارات حول أكثر الأفكار خطورة في أعمال فرويد ، من مثل مبدأ اللذة ، النزوة ، نزوة الموت والارتباط .

●●●

من الواضح تماماً أن التحليل النفسي جابه منذ البداية ظواهر تكرار . فإذا نظرنا في الأعراض على وجه الخصوص ، فسنجد أن بعضها تكراري بشكل بيّن (كالطقوس الهجاسية مثلاً) هذا من ناحية ، وأما من الناحية الأخرى ، فإن ما يعرّف العارض في التحليل النفسي ، هو بالضبط كونه يعيد إنتاج بعض عناصر صراعٍ ماضٍ بشكل متفاوت في تستره (ذلك هو المعنى الذي يصف فيه فرويد ، في بداية أعماله ، العارض الهستيري ، باعتباره رمزاً ذاكرياً) . ويحاول المكبوت عموماً أن « يعود » إلى الحاضر ، على شكل أحلام ، أو عارض ، أو تفعيل Mise en acte : « . . . فكل ما ظل مستغلقاً على الفهم يعود من جديد ، كروح معذبة ، لا يعرف الراحة

إلا حين يجد له حلاً وخلاصاً »(1) .

تشهد ظواهر النقلة ، خلال العلاج ، على المطلب الخاص بالصراع المكبوت في أن يتجسد في العلاقة مع المحلل . وإن الضرورة المتزايدة ، لأخذ هذه الظواهر وما تطرحه من مشكلات فنية بعين الإعتبار ، هي التي أدت بفرويد إلى استكمال نموذجه النظري في العلاج من خلال إبراز التكرار في النقلة وعمل الإستيعاب ، بإعتبارهما لحظات أساسية في العملية العلاجية ، إلى جانب الإستذكار (أنظر : نقلة) . ومن خلال إحلال فكرة إضطرار التكرار محل الصدارة في « ما فوق مبدأ اللذة » التي طرحت منذ « الإستذكار ، التكرار ، وعمل الاستيعاب عام1914 » ، يعيد فرويد تجميع بعضاً من وقائع التكرار التي سبقت ملاحظتها ، كما يعزل أخرى يظهر فيها التكرار في رأس القائمة العيادية (من مثل عصاب القدر ، والعصاب الصدمي) . تبدو له هذه الوقائع كأنها تستلزم تحليلاً نظرياً جديداً . إذ أن ما يتكرر في الحقيقة هي التجارب المزعجة ، مما يجعل من العسير منذ التحليل الأول معرفة أي من أركان الشخصية يمكنه أن يجد إشباعاً له في هذا التكرار ؛ ومع أن المسألة تتعلق ظاهرياً بتصرفات قسرية مصطبغة بذلك الإضطرار المميز لكل ما يبرز من اللاوعي ، فإنه من العسير إثبات تحقيق رغبة مكبوتة في مثل هذا التكرار حتى ولو على شكل تسوية .

•••

لا ترفض مسيرة فرويد الفكرية في الفصول الأولى من « ما فوق مبدأ اللذة » الفرضية الأساسية التي تذهب إلى القول بأن هناك بحثاً عن تحقيق رغبة ، وراء المعاناة الظاهرية التي تميّز العارض على سبيل المثال . وأكثر من ذلك فإن فرويد يقدم في هذا النص أطروحته المعروفة جيداً والقائلة بأن ما هو مؤلم بالنسبة لأحد أنظمة الجهاز النفسي هو نفسه ممتع بالنسبة لجهاز آخر . ولكن محاولات الشرح هذه لا توضح تبعاً لفرويد كل شيء . ويمكن من خلال الإستعانة بالمصطلحات التي قدمها لاجاش ، تلخيص المسألة المطروحة كما يلي : هل من الواجب إفتراض وجود حاجة للتكرار جنباً إلى جنب مع تكرار الحاجات ، حاجة تكون متميزة جذرياً عنها وأكثر جوهرية منها ؟ .
ومع اعتراف فرويد بأنه لا يمكن الوقوف على إضطرار التكرار في حالته الصافية ، بل هو يتعزز دوماً بدوافع خاضعة لمبدأ اللذة ، فإنه لا ينفك حتى نهاية أعماله عن إعطاء مزيد من الأهمية لهذه الفكرة(2,3) . فهو يرى في كتابه « الصد ، العارض ، والقلق عام 1926 » أن إضطرار التكرار يشكل النموذج الأبرز على المقاومة المميزة للاوعي ، أي على « التأثير الجاذب الذي تمارسه النماذج الأولية اللاواعية على العملية النزوية المكبوتة »(4) .

•••

وإذا كان هناك إعتراف ، بأن التكرار الإضطراري لما هو مزعج ، أو حتى لما هو مؤلم ، هو أحد المعطياتّ التي لا يمكن إنكارها في التجربة التحليلية النفسية ، فإن هناك على العكس تبايناً بين المؤلفين حول التفسير النظري الذي يجدر إعطاؤه لهذه الظاهرة . ويمكن القول بشكل مبسط أن النقاش يتمحور حول المسألتين التاليتين :

1 ـ ماذا تخدم النزعة إلى التكرار في تحركها ؟ هل يتعلق الأمر بمحاولات يقوم بها الأنا للسيطرة

على التوترات المفرطة في شدتها بغية تفريجها بشكل مجزأ وتدريجي ، كما تبينه لنا الأحلام المتكررة التي تعقب الصدمات النفسية ؟ أم أن علينا الإقرار بأن التكرار يجب أن يربط في التحليل النهائي ، بأقصى ما هو « نزوي » و« شيطاني » في كل نزوة ، أي بالميل إلى التفريغ المطلق الذي يتجلى في فكرة نزوة الموت ؟ .

2 ـ هل يضع إضطرار التكرار غلبة مبدأ اللذة موضع التساؤل كما يؤكد فرويد ؟ يمكن توضيح التناقض في مختلف الصياغات التي نجدها عند فرويد ، وكذلك توضيح التنوع في الحلول التي حاول المحللون النفسيون إيجادها لهذه المسألة ، في رأينا ، من خلال مناقشة مسبقة لكل أوجه اللبس التي تشوب مصطلحات مبدأ اللذة ، ومبدأ الثبات ، والإرتباط إلخ . . . ومن الواضح ، إذا ما اقتصرنا على مثال واحد فقط ، إننا إذا اعتبرنا مبدأ اللذة « في الخدمة المباشرة لنزوات الموت »(5) ؛ فإن إضطرار التكرار ، حتى ولو أخذ بمعناه الأكثر جذرية كما يذهب إليه فرويد ، لا يمكن وضعه « ما فوق مبدأ اللذة » .

والواقع أن هاتين المسألتين شديدتا الترابط ، فالجواب على إحداهما في إتجاه ما يقيد ـ الجواب على الأخرى . وتتضمن الحلول المقترحة خامة كاملة من الإمكانيات إنطلاقاً من الأطروحة التي ترى في إضطرار التكرار عاملاً مطلق الأصالة ، وانتهاءً بمحاولات إختزاله إلى مجرد أواليات ، ووظائف سبق الاعتراف بها .

يوضح مفهوم إدوارد بايبرنغ جيداً محاولة حل وسيط . يقترح هذا الكاتب التمييز ما بين « نزعة تكرارية » تعرف « الهو » وبين « نزعة استردادية » (أو تعويضية) » هي من وظائف الأنا . ومن الممكن جداً تسمية الأولى بـ « ما فوق مبدأ اللذة » بالقدر الذي يتساوى فيها الألم بالمتعة في التجارب المكررة ، ولكنها لا تشكّل رغم ذلك مبدأً يتعارض مع مبدأ اللذة . أما النزعة الإستردادية فهي وظيفة تحاول بشتى الوسائل إستعادة الوضعية السابقة على الصدمة ؛ مستخدمة الظواهر التكرارية لصالح الأنا . ولقد إقترح بايبرنغ التمييز ، في هذا المنظور ، ما بين أواليات الدفاع حيث يظل الأنا تحت رحمة إضطرار التكرار وبدون أي حل للتوتر الداخلي ، وبين عملية التفريج التي تفرّغ الإثارة بشكل مباشر أو مؤجل ، وبين ما يسمى بأواليات التخلّص (Dégagement) التي تقوم « . . . بوظيفة الحل التدريجي للتوتر من خلال تغيير الشروط الداخلية المولّدة له »(6) .

(1) FREUD (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*. 1909. G.W., VII, 355 ; S.E., X, 122 , Fr., 180
(2) Cf. FREUD (S.) *Das ökonomische Problem des Masochismus*. 1924 *Passim*.
(3) Cf. FREUD (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937 *Passim*
(4) FREUD (S.). G.W., XIV, 192 , S.E., XX, 159 ; Fr., 85
(5) FREUD (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 69 , S.E., XVIII, 63 ; Fr., 74.
(6) BIBRING (E.). *The conception of the repetition compulsion*, 1943, in *Psychoanalytic Quarterly*, XII, 486-519.

إغفال ، نبذ ، إبطال ، إلغاء

Forclusion
Eng.: Repudiation أو Forclosure
D.: Verwerfung

■ قدّم جاك لاكان هذا المصطلح للدلالة على أوالية نوعية تشكل منشأ الواقعة الذهانية ؛ وهو يتلخص في نبذ أولي « لدال » أساسي (من مثل : القضيب باعتباره دالاً على عقدة الخصاء) إلى خارج العالم الرمزي للشخص . ويتايز الإغفال عن الكبت بمعنيين :

1 ـ حيث لا تكامل الدلالات المغفلة في لا وعي الشخص ؛

2 ـ كما أنها لا تعود من « الداخل » ، بل تعود من قلب الواقع . وفي الظاهرة الهلاسية بشكل فريد ■ .

إستند جاك لاكان إلى إستخدام فرويد لمصطلح Verwerfung (النبذ) أحياناً بصدد الذهان وإقترح له مصطلح الإغفال كمعادل فرنسي .

يستدعي الإنتهاء الفرويدي الذي قال به لاكان حول هذه النقطة تقديم سلسلتين من الملاحظات بصدد المصطلحات والمفاهيم الفرويدية الخاصة بالدفاع الذهاني .

أولاً : يتيح لنا القيام « باستقصاء مصطلحي » في مجمل النصوص الفرويدية التوصل إلى الإستنتاجات التالية :

1 ـ يستخدم فرويد تعبير Verwerfung (أو فعل Verwerfen) بمعان متنوعة نسبياً يمكن إرجاعها من باب التبسيط إلى ثلاث :

أ ـ فهناك المعنى العائم الذي يدل على الرفض والذي قد يتم على غرار الكبت ، على سبيل المثال(1) ؛

ب ـ وهناك معنى النبذ على شكل حكم واعٍ بالإدانة . ويغلب أن نجد بهذا المعنى الكلمة المركبة Urteilsverwerfung والتي يشير فرويد نفسه إلى ترادفها مع كلمة Verurteilung وتعني (حكم الإدانة) ؛

ج ـ وأما المعنى الذي يبرزه لاكان فيتأكد بشكل أفضل في نصوص أخرى . وهكذا يكتب فرويد في « حالات نفاس الدفاع عام 1894 » بصدد الذهان ما يلي : « هناك نوع من الدفاع أكثر زخماً ، وأكثر فعالية يتلخص في نبذ الأنا للتصور غير المحتمل ورفض الإنفعال المصاحب له في آن معاً ، مع التصرف وكأن التصور لم يصل إلى الأنا أبداً » (2a) .

وكان النص الذي أقبل لاكان على الإستناد إليه أكثر من غيره ، من أجل ترويج فكرة « الإغفال » هو ذاك الذي يحمل عنوان « رجل الذئاب » حيث ترد كلمات نبذ ، والنبذ عدة مرات . وأرجح المقاطع في هذا الصدد هو بلا شك ذاك الذي يذكر فيه فرويد تواجد العديد من المواقف نحو الخصاء عند الشخص حيث يقول : « . . . إن ثالث هذه التيارات ، وأقدمها وأعمقها بلا شك ، ذاك الذي نبذ الخصاء بكل بساطة ، والذي لم تكن لتطرح فيه بعد مسألة الحكم على واقعية هذا الخصاء ، هذا التيار لا زال قابلاً للتنشيط بلا جدال . ولقد أوردت في نص آخر هلوسة خبِرَها هذا

المريض في سن الخامسة . . . »(3a) .

2 ـ ونصادف عند فرويد مصطلحات أخرى غير النبذ Verwerfung بمعنى يبدو أنه يجيز لنا مقاربته تبعاً للسياق من مفهوم الإغفال :

- فهناك Ablehnen (أي إستبعد ، تنصّل)(5b) ؛
- وهناك Aufheben (ألغى ، أبطل)(4a) ؛
- وهناك Verleugnen (أنكر ، نفى) .

وخلاصة القول ، يمكننا أن ندرك ، إذا ما إقتصرنا على وجهة النظر المصطلحية ، أن إستعمال مصطلح Verwerfung لا يحيط دوماً بما يتضمنه مصطلح الإغفال Forclusion ، وأنه على العكس من ذلك هناك مصطلحات فرويدية أخرى تدل على ما سعى لاكان إلى تبيانه .

ثانياً : ـ بالإمكان أن نبينّ فيما يتعدى هذا الإستقصاء المصطلحي البسيط ، أن تقديم لاكان لمصطلح الإغفال يشكل إمتداداً لـ « مطلب ثابت عند فرويد » يتمثل : بتعريف أوالية دفاعية خاصة بالذهان . يمكن أن تكون خيارات فرويد المصطلحية مضللة هنا أحياناً ، وخصوصاً حين يتكلم عن « الكبت » بصدد الذهان . ولقد أشار فرويد نفسه إلى هذا الغموض حيث يقول : « . . . يمكن أن نشك فيما إذا كانت العملية التي تسمى كبتاً لا زالت تشترك في حالات الذهان بأي شيء مع الكبت الذي يحدث في أعصبة النقلة »(5) .

1 ـ ومن الممكن إيجاد مثل هذا الخط الفكري المتعلق بالذهان طوال أعمال فرويد كلها . فهو يتأكد في النصوص الفرويدية الأولى من خلال مناقشة أوالية الإسقاط على وجه الخصوص ، إذ تعتبر هذه الأوالية ، عند الذهاني كنبذ حقيقي ومباشر إلى الخارج ، وليس كعودة ثانوية للمكبوت اللاواعي . وحين ينزع فرويد لاحقاً إلى تأويل الإسقاط بإعتباره مجرد فترة ثانوية تالية على الكبت العصابي ، فإنه يجد نفسه مضطراً للقبول بأن الإسقاط ـ « مأخوذاً بهذا المعنى ـ لم يعد المحرك الجوهري للذهان : « لم يكن صحيحاً القول بأن الإحساس المقموع في الداخل قد أسقط على الخارج ؛ بل لا بد من الإقرار عوضاً عن ذلك ، بأن ما ألغي في الداخل يعود فيأتي من الخارج »(4b) (أنظر : إسقاط) .

ولا بد من فهم مصطلحات « سحب التوظيف من الواقع »(4c) و« فقدان الواقع »(6) أيضاً بإعتبارها تدل على هذه الأوالية « الأولية » المتمثلة في فصل ونبذ « الإدراك » الذي لا يطاق إلى الخارج .

وفي النهاية يركّز فرويد تفكيره في أعماله الأخيرة حول فكرة Verleugnung أو « إنكار الواقع » (أنظر هذا المصطلح) . وإذا كان يدرس هذه الفكرة أساساً في حالة التّيمُّة ، إلا أنه يشير صراحة إلى أن مثل هذه الأوالية تخلق صلة قربى ما بين هذا الشذوذ وبين الذهان (7)et (8a) . إذ يؤخذ الإنكار الذي يقابل به كل من الطفل ، والتّيمي والذهاني ، هذا « الواقع » ، أي واقع غياب العضو الذكري عند المرأة ، على أنه رفض للإقرار بـ « الإدراك » نفسه ، ومن باب أولي رفض لإستخلاص النتيجة المترتبة عليه ، ونعني بذلك « النظرية الجنسية الطفلية » حول الخصاء . يقيم فرويد في العام 1938 تعارضاً ما بين أسلوبين في الدفاع هما : « إستبعاد مطلب نزوي صادر عن العالم الداخلي »

ود إنكار شطر من العالم الخارجي الواقعي »(8b) . ولقد سبق له أن وصف في العام 1894 الدفاع الذهاني بتعابير متطابقة تقريباً : « ينتزع الأنا نفسه من التصور الذي لا يطاق ، ولكن هذا التصور مرتبط بشطر من الواقع بشكل لا فكاك منه ، وبالتالي ، فالأنا ينفصل كلياً أو جزئياً عن هذا الواقع ، من خلال إنجاز فعل الإنتزاع هذا »(2b) .

2 ـ كيف يتعين علينا إذاً أن ندرك في نهاية المطاف ، هذا النوع من « الكبت » في العالم الخارجي ، الذي يتناظر مع الكبت العصابي ؟ يصفه فرويد على الأعم الأغلب بتعابير إقتصاديه من نوع : سحب التوظيف من المدرك ، أي سحب نرجسي لليبدو قد يصاحبه سحب « للإهتمام » غير الليبدي . وفي مناسبات أخرى يبدو أن فرويد يتوصل إلى القول بما يمكن تسميته تجريد من الدلالة ، أو رفض إعطاء معنى للمدرك . على أن هذين المفهومين لا يتنافيان في ذهن فرويد : إذ أن سحب التوظيف هو في نفس الوقت تجريد من الدلالة(9) .

ثالثاً : تشكل فكرة الإغفال إستمراراً لهذا الخط الفكري الفرويدي ، ضمن إطار نظرية « الرمزية » التي وضعها جاك لاكان . يستند هذا المؤلف خصوصاً إلى نصوص « رجل الذئاب » حيث يبين فرويد كيف أن العناصر المدركة أثناء المشهد الأولي لا تأخذ معناها ولا تلقى تأويلها إلا بشكل « بعدي » . ذلك أن الشخص كان عاجزاً في لحظة التجربة الصدمية ـ أي في عمر سنة ونصفاً ـ عن إرصان هذا المعطى الخام المتكون من غياب العضو الذكري عند الأم ، على شكل نظرية في الخصاء ، يقول فرويد في هذا الصدد: « لقد نبذ [الخصاء] وإستمر على رأيه في حدوث الجماع من خلال الشرج [. . .] . وبذلك ، لم يُطلق أي حكم على وجود الخصاء ، إذا أردنا الدقة في القول ، إنما تم التصرف وكأن هذا الخصاء لم يوجد أصلاً »(3c) .

هناك غموض أكيد في مختلف نصوص فرويد حول ماهية ما ينبذ ، أو يُنكر ، حين يرفض الطفل الخصاء . فهل هو الخصاء بحد ذاته ؟ (3d) في هذه الحالة نكون بصدد نظرية تأويلية حقيقية للوقائع وليس بصدد نبذ لإدراك بسيط . أم يتعلق الأمر « بفقدان العضو الذكري » عند المرأة ؟ ولكنه من الصعب الكلام ساعتئذٍ عن « إدراك » يتعرض للتنكر له ، ذلك أن « الغياب » لا يشكل واقعة إدراكية إلا بمقدار إرتباطه « بحضور » ممكن .

يتيح لنا تأويل لاكان أن نجد حلاً للصعوبات التي بيّناها هنا . فهو يعرّف الإغفال إستناداً إلى نص فرويد بعنوان الإنكار (Die Verneinung عام 1925) من خلال صلته « بعملية أولية »(10) تتضمن عمليتان متكاملتان هما : «Einbeziehung ins ich ، أي الإدخال في الذات و Ausstossung aus dem ich ، أي الطرد خارج الذات » . يسمي لاكان العملية الأولى أيضاً باسم « الترميز » « الأولي » أو Bejahung (أي وضع ، توكيد) . أما الثانية « . . . فتشكل الواقع بإعتباره الحيز الذي يظل خارجاً عن الترميز » . ويتمثل الإغفال عندها في عدم ترميز ما كان يتعين ترميزه (أي الخصاء) : إننا بصدد « إلغاء رمزي » . ومن هنا الصيغة التي يعطيها لاكان عن الهلاس (مترجماً بذلك في لغته الخاصة ذلك المقطع الذي ذكرناه أعلاه عن فرويد : « . . . لم يكن من الصواب القول . . . » حيث يقول : « . . . إن ما أُغفِلَ من الرمزي يعود فيظهر في الواقع » .

ولقد قام لاكان لاحقاً بتطوير فكرة الإغفال ضمن إطار المفاهيم الألسنية ، في مقالته بعنوان « حول المسألة التمهيدية بصدد أي علاج ممكن للذهان »(11) .

(1) Cf. par exemple : Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*. 1905. G.W., V. 128 ; S.E., VII, 227 ; Fr., 137.

(2) Freud (S.). *a)* G.W., I, 72 ; S.E., III, 58. — *b)* G.W., I, 73 ; S.E., III, 59.

(3) Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. — *a)* G.W., XII, 117 ; S.E., XVII, 85 ; Fr., 389. — *b)* Cf. G.W., XII, 49 ; S.E., XVII, 25 ; Fr., 339. — *c)* G.W., XII, 117 ; S.E., XVII, 85 ; Fr., 389. — *d)* Cf. G.W., XII, 117 ; S.E., XVII, 86 ; Fr., 389.

(4) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall fon Paranoia*, 1911. — *a)* Cf. G.W., VIII, 308 ; S.E., XII, 71 ; Fr., 315. — *b)* G.W., VIII, 308 ; S.E., XII, 71 ; Fr., 315. — *c)* G.W., VIII, 307 ; S.E., XII, 70 ; Fr., 314.

(5) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 31 ; S.E., XIV, 203 ; Fr., 159.

(6) Cf. Freud (S.). *Der Realitätsverlust bei Neurose und Psychose*, 1924. G.W., XIII, 363-8 ; S.E., XIX, 183-7.

(7) Cf. par exemple : Freud (S.). *Fetischismus*, 1927. G.W., XIV, 310-7 ; S.E., XXI, 152-7.

(8) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* Cf. G.W., XVII, 132 sqq. ; S.E., XXIII, 201 sqq. ; Fr., 77 sq. — *b)* G.W., XVII, 135 ; S.E., XXIII, 204 ; Fr., 80-1.

(9) Freud (S.). *Neurose und Psychose*, 1924. G.W., XIII, 389 ; S.E., XIX, 150-1.

(10) Lacan (J.). Réponse au commentaire de Jean Hyppolite sur la « Verneinung » de Freud, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, I, 46.

(11) Lacan (J.). In *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, IV, 1-50.

إفترامي

Cannibalique
Eng: Cannibalistic
D.: Kannibalisch

■ يستخدم هذا المصطلح ، بالمقارنة مع ممارسة أكل لحوم البشر عند بعض الشعوب ، لوصف بعض علاقات الموضوع والهوامات الملازمة للنشاط الفمي . وهو يبين بشكل تصويري مختلف أبعاد عملية الإدماج الفمي : حب ، تدمير ، تملّك صفات الموضوع والإحتفاظ بها داخل الذات . ويصار إلى الكلام أحياناً عن مرحلة إفتراسية كمعادل للمرحلة الفمية ، أو على الأدق ، كمعادل للمرحلة الفمية الثانية ، تبعاً لتقسيم إبراهام (المرحلة الفمية - السادية) ■ .

مع أننا نصادف تلميحاً إلى الإفتراسية في طبعة عام 1905 من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية » فإن هذه الفكرة لم توسع لأول مرة إلا في كتاب « الطوطم والمحرم عامي 1912-1913 » . يؤكد فرويد على الإعتقاد المتضمن في ممارسة الشعوب البدائية للإفتراسية وهو « . . . أن إفتراس بعض أجزاء جسد شخص ما يؤدي أيضاً إلى إمتلاك خصائص هذا الشخص »(1a) . وتعطي المفاهيم الفرويدية حول « قتل الأب » و« الوجبة الطوطمية » مدى كبيراً لهذه الفكرة : « إجتمع الأخوة في ذات يوم ، فقتلوا الأب وإفترسوه واضعين بذلك حداً للرهط البدائي [. . .] ولقد

حققوا التماهي بالأب من خلال فعل الإفتراس هذا ، حيث إمتلك كل منهم قسطاً من قوته »(1b) .

وبصرف النظر عن قيمة آراء فرويد الأناسية ، فلقد اتخذ مصطلح « الإفتراس » معنى محدداً في علم النفس التحليلي . تميز الإفتراسية مرحلة النمو النفسي الجنسي للتنظيم الفمي الذي أدخل فرويد فكرته في طبعة عام 1915 من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية » . ولقد صار الحديث يجري أحياناً ، على أثر فرويد ، عن المرحلة الإفتراسية للدلالة على المرحلة الفمية . وحين يقسم كارل إبراهام المرحلة الفمية . إلى مرحلتين هما مرحلة الإمتصاص ما قبل المتجاذبة ، ومرحلة العض المتجاذبة ، فإنه ينعت الثانية بالافتراسية .

يؤكد مصطلح الإفتراس على بعض خصائص علاقة الموضوع الفمية ، أي : إتحاد اللبيدو والعدوانية ، وإدماج وإمتلاك الموضوع وصفاته . كما تتضمن فكرة الإفتراسية الصلات الوثيقة ما بين علاقة الموضوع الفمية ، وبين النماذج الأولى للتماهي (أنظر : التماهي الأولي) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., IX, 101 ; S.E., XIII, 82 ; Fr., 115. — *b)* G.W., IX, 171-2 ; S.E., XIII, 141-2 ; Fr., 195-6.

أفكار الحلم (الكامنة)

Pensées (latentes) du rêve
Eng.: (Latent) Dream thoughts
D.: (Latente) Traumgedanken

■ أنظر بهذا الصدد : مصطلح محتوى كامن ■ .

إقتصادي (صفة)

Économique (Adj.)
Eng.: Economic
D.: Ökonomisch

■ يطلق وصف الإقتصادي على كل ما يتصل بالفرضية القائله بأن العمليات النفسية تتمثل في سريان وتوزيع طاقة قابلة للتكميم (هي الطاقة النزوية) . أي أنها قابلة للزيادة والنقصان والتعادلات ■ .

1 ـ نتحدث في التحليل النفسي بشكل عام عن « وجهة نظر إقتصادية » . وهكذا يعرّف فرويد ما وراء علم النفس بتوليف ثلاث وجهات نظر : دينامية ، وموقعية ، وإقتصادية ؛ ويقصد بهذه الأخيرة « . . . محاولة متابعة مصير كميات الإثارة بقصد الوصول إلى تقدير نسبي لكبرها على الأقل »(1) . وتتلخص وجهة النظر الإقتصادية في أخذ التوظيفات بعين الإعتبار لجهة حركيتها ، وتقلبات شدتها ، والتعارضات التي تقوم فيما بينها أي (فكرة التوظيف المضاد) ، إلخ . تظل

الإعتبارات الإقتصادية حاضرة ، خلال كل أعمال فرويد ؛ إذ لا يمكن في رأيه القيام بوصف كامل لعملية نفسية ما طالما لم نتوصل إلى تقدير إقتصاد التوظيفات .

يجد هذا المطلب الخاص بالفكر الفرويدي الدافع إليه في ذهنية علمية وأدوات مفهومية مشبعة بالأفكار المتعلقة بالطاقة من ناحية ، وفي التجربة العيادية التي فرضت على فرويد منذ البدء عدداً من المعطيات بدا له أنه لا يمكن الإحاطة بها إلا بإستخدام لغة إقتصادية ، من ناحية أخرى . من مثل : الطابع المستعصي على القمع الذي يتصف به العارض العصابي (والذي يترجم غالباً في لغة المريض بتعبير من نوع : « هذا أقوى مني ») ، وكذلك بروز إضطرابات ذات منحى عصابي على أثر بعض إضطرابات التفريغ الجنسي . (الأعصبة الراهنة) ؛ وعلى العكس من ذلك أيضاً ظواهر من مثل التخفف من الإضطرابات وتصفيتها حين يتمكن الشخص ، خلال العلاج ، من التحرر (تفريج) من العواطف « المحتجزة » فيه (تصريف) ؛ وكذلك الإنفصال ما بين التصور والعاطفة التي كانت مرتبطة به في الأصل (في حالة الإقلاب ، والكبت ، إلخ) والذي يلاحظ في العارض فعلياً خلال العلاج ، ومنها أيضاً إكتشاف سلاسل تداعيات ما بين أحد التصورات الذي لا يثير إلا القليل من الإستجابات العاطفية ، أو هو لا يثير أي منها على الإطلاق ، وتصور آخر تافه ظاهرياً ولكنه يثير استجابات عاطفية : وتوحي هذه الواقعة الأخيرة بالفرضية التي تذهب إلى القول بشحنة عاطفية حقيقية تنتقل من عنصر إلى آخر على طول مسار موصل لتلك الشحنات .

شكلت أمثال هذه المعطيات نقطة الإنطلاق للنماذج الأولى التي وضعها كل من بروير تحت عنوان « إعتبارات نظرية » في كتاب « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » وفرويد في كتاب « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » والتي تقوم جميعها على فكرة كمية إثارة تنتقل على مدى السلاسل العصبية ؛ وكذلك في الفصل السابع من كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » .

ولقد أتت فيما بعد سلسلة من البيّنات العيادية والعلاجية كي تعزز الفرضية الإقتصادية ، ومنها على سبيل المثال :

أ ـ دراسة الحالات من أمثال الحداد أو الأعصبة النرجسية التي تفرض فكرة « موازنة الطاقة » الحقيقية ما بين مختلف توظيفات الشخص ، حيث يتلازم الإنفصال عن العالم الخارجي مع إزدياد التوظيف المرتبط بالتكوينات النفسية ـ الداخلية (أنظر : النرجسية ، لبيدو الأنا ـ لبيدو الموضوع ، وعمل الحداد) ؛

ب ـ وكذلك الإهتمام الموجه إلى أعصبة الحرب ، والأعصبة الصدمية عموماً ، حيث تبدو الإضطرابات ناجمة عن « صدمة مفرطة الشدة » ، أي فيض من الإثارة المفرطة بالمقارنة بطاقة الشخص على التحمل ؛

جـ ـ ومنها أيضاً حدود فعالية التأويلات والعمل العلاجي عموماً في بعض الحالات المستعصية ، والتي تبْرزُ القوة النسبية للأركان النفسية الفاعلة في العملية ، وخصوصاً القوة الجبلية أو الراهنة للنزوات .

2 ـ كانت الفرضية الإقتصادية ماثلة على الدوام في النظرية الفرويدية حيث تترجم بطائفة كاملة من الأدوات المفهومية : يبدو أن فكرتها الرئيسة هي فكرة « الجهاز » (الذي اعتبر عصياً في

بداية الأمر ، ثم أصبح نفسياً بصورة نهائية فيما بعد) والذي تتلخص وظيفته في الإحتفاظ بالطاقة التي تسري فيه عند أدنى حد ممكن لها (أنظر : مبدأ الثبات ، ومبدأ اللذة) . وينجز هذا الجهاز « عملاً » معيناً وصفه فرويد بأشكال مختلفة : فهو إما أن يكون تحويل للطاقة الحرة إلى طاقة مربوطة ، أو تأجيل التفريغ ، أو « الإرصان » النفسي للإثارات ، الخ . ويفترض هذا الإرصان التمييز ما بين التصور وبين « مقدار العاطفة » أو « مجموع الإثارة » القادرة على السريان على مدى سلاسل الترابطات موظفة ، خلال ذلك ، هذا التصور أو ذاك المركب التصوري ، إلخ . ومن هنا الطابع الإقتصادي ، الذي ترتديه رأساً أفكار « الإزاحة » و« التكثيف » .

يتلقى الجهاز النفسي إثارات ذات منشأ خارجي أو داخلي ، وتمارس هذه الأخيرة (وهي النزوات) إندفاعاً ثابتاً يشكل « مطلباً للعمل » . وبشكل عام يمكن وصف كل النشاط الوظيفي للجهاز النفسي بمصطلحات إقتصادية من مثل لعبة التوظيفات ، وسحب التوظيفات ، والتوظيفات المضادة ، والتوظيفات المفرطة .

تقوم صلة وثيقة ما بين الفرضية الإقتصادية وبين وجهتي النظر الماوراء نفسانيتين الباقيتين : أي الموقعية والدينامية . إذ يُعرّف فرويد في الواقع كل من أركان الجهاز من خلال أسلوب نوعي لسريان الطاقة : وهكذا فهو يخص ضمن إطار النظرية الأولى للجهاز النفسي ، النظام اللاواعي بالطاقة الحرة ، والنظام ما قبل الواعي بالطاقة المربوطة ، ويخص الوعي بطاقة التوظيف المفرط المتحركة .

كما تتضمن الفكرة الدينامية حول الصراع النفسي ، تبعاً لفرويد ، ضرورة أخذ ميزان القوى الحاضرة بعين الإعتبار (أي قوة النزوات ، وقوة الأنا ، وقوة الأنا الأعلى) . ونجد في « التحليل المنتهي واللامنتهي عام 1937 » تأكيداً قاطعاً في وضوحه ، على أهمية « العامل الكمي » في نشأة المرض ، كما في مصير العلاج .

•••

غالباً ما إعتبرت وجهة النظر الإقتصادية أكثر جوانب ما وراء علم النفس الفرويدي إمعاناً في الإفتراضية . فما هي إذاً هذه الطاقة التي لا ينفك المحللون عن القول بها ؟ نبدي حول هذا الموضوع بعض الملاحظات :

1 ـ حتى العلوم الفيزيقية نفسها لا تدلي برأي محدد حول الطبيعة النهائية للمقادير التي تدرس تغيراتها ، وتحولاتها ، وتعادلاتها . بل هي تقتصر على تعريفها من خلال آثارها (فمثلاً القوة هي ما ينتج عملاً ما) ، وعلى مقارنتها فيما بينها (فتقاس قوة ما من خلال قوة أخرى ، أو بكلمة أدق تقارن آثارها فيما بينها) . ولا يشكل موقف فرويد إستثناء في هذا الصدد : فهو يعرّف إندفاع النزوة بإعتبارها « . . . كمية مطلب العمل المفروض على النفس »(2) ، وهو يقر طوعاً « . . . بأننا لا نعلم شيئاً عن طبيعة عملية الإثارة في عناصر الأنظمة النفسية ، ولا نحس بأننا مخولون لصياغة أية فرضية حول هذا الموضوع . إننا نتصرف إذاً مع بقاء (س) كبيرة نحملها معنا إلى كل معادلة جديدة »(3) .

2 ـ وهكذا لا يثير فرويد مسألة الطاقة إلا كأساس لتحولات يبدو له أن العديد من وقائع

التجربة تؤكدها . فهو يهتم بالليبدو ، أو طاقة النزوات الجنسية ، بإعتباره قادر على تبيان تغيرات الرغبة الجنسية على مستوى الموضوع ، والهدف ومصدر الإثارة . وهكذا يستقطب العارض كمية معينة من الطاقة ، مما يؤدي بالمقابل إلى تضاؤل على مستوى نشاطات أخرى ، كما تتعزز النرجسية ، أو التوظيف الليبيدي في الأنا ، على حساب توظيف الموضوعات ، وهكذا دواليك .

ولقد ذهب فرويد إلى حد التفكير عن حق بإمكانية قياس هذا المقدار الكمي ، وقد تتحقق هذه الإمكانية في الواقع مستقبلاً .

3 ـ وإذا ما حاولنا إضفاء مزيد من الدقة على نظام الوقائع الذي تحاول وجهة النظر الإقتصادية شرحه ، فإنه بالإمكان القول انطلاقاً من منظور أكثر قرباً من التجربة ، بأن ما فسّره فرويد بلغة ذات منحى فيزيائي ، هو نفسه ما يمكن إعتباره على أنه عالم « القيم » . يؤكد لاجاش على الفكرة المستوحاة من الظواهرية على وجه الخصوص ، والتي تذهب إلى أن المتعضي يبني (أو ينظم) محيطه ، وحتى إدراكه للموضوعات ، إنطلاقاً من إهتماماته الحيوية ، معلياً شأن هذا الموضوع ، أو ذاك المجال ، أو ذلك الفرق الإدراكي ، في محيطه (أي فكرة العالم الخاص Umwelt) ؛ فالبعد التقويمي موجود في كل متعضي ، شريطة عدم إقتصار فكرة القيمة على المجالات الخلقية ، والجمالية والمنطقية ، حيث تتحدد القيم بطالعها الكوني ، وتجاوزها للوقائع وإشتراط إنجازها القطعي ، إلخ . وهكذا يُستهدف الموضوع الموظف بالنزوة الفمية ، بإعتباره يجب أن يلتهم ، أي بإعتباره كقيمة غذائية . كذلك الحال بالنسبة للموضوع الخوافي ، فالموقف منه لا يقتصر على مجرد التجنب ، بل أيضاً على « لزوم التجنب » الذي يؤدي إلى إنتظام بنية زمانية مكانية معينة حوله .

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن منظوراً كهذا لا يمكنه الإحاطة بكل محتوى الفرضية الإقتصادية ، إلا بشرط النظر إلى « القيم » موضوع البحث على أنها قابلة للإبدال فيما بينها ، وقابلة للإزاحة والتعادل ضمن نظام تكون فيه « كمية القيمة » المتوفرة للشخص محدودة . ولا تفوتنا الإشارة إلى أن فرويد لا يهتم بالإقتصاد في مجال نزوات حفظ الذات ـ رغم بروز الإهتمامات ، والشهوات ، والموضوعات ـ القيم ـ بقدر إهتمامه به في مجال النزوات الجنسية التي قد تحصل على إشباعها في موضوعات جد بعيدة عن موضوعها الطبيعي . وما يقصده فرويد بالإقتصاد الليبيدي ، هو بالتحديد سريان القيمة الذي يتم غالب الأحيان داخل الجهاز النفسي ، في حالة من التنكر التي تحول دون إدراك الشخص لما تتضمنه آلام العارض من إرضاء جنسي .

(1) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 280 ; S.E., XIV, 181 ; Fr., 121.

(2) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 214 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 33.

(3) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 30-1 ; S.E., XVIII, 30-1 ; Fr., 34.

إقلاب Conversion

Eng.: Conversion D.: Konversion

■ إنه أوالية تكوين الأعراض التي تنشط في الهستيريا عموماً وفي هستيريا الإقلاب على الأخص (أنظر هذا المصطلح) .

قوام الإقلاب هو تحويل الصراع النفسي إلى أعراض جسدية أو حركية (كالشلل مثلاً) أو حسية (تخدّر أو آلام موضعية مثلاً) ومحاولة حله بواسطتها .

يتلازم مصطلح الإقلاب بالنسبة لفرويد مع مفهوم إقتصادي : حيث يتحول الليبدو المنفصل عن التصور المكبوت إلى طاقة تعصيب . ولكن ما يميز الأعراض الإقلابية هو دلالتها الرمزية : فهي تعبّر عن التصورات المكبوتة من خلال الجسد ■ .

أدخل فرويد مصطلح الإقلاب على علم النفس المرضي لتبيان تلك « القفزة النفسية في التعصب الجسدي » والتي اعتبرها ، هو نفسه ، مستغلقة على الفهم (1) . وكما نعلم ، عرفت هذه الفكرة ، التي كانت جديدة في أواخر القرن التاسع عشر ، إنتشاراً كبيراً جداً خصوصاً مع تقدم الأبحاث النفس جسدية . مما يجعل من الضروري تحديد ما يمكن إلحاقه بالإقلاب بشكل نوعي من ضمن هذا الحقل الذي أصبح رحباً جداً ؛ ويجدر بالذكر أن هذا الإهتمام برز عند فرويد خصوصاً في التمييز ما بين الأعراض الهستيرية وبين الأعراض الجسدية في الأعصبة الراهنة .

يعاصر مصطلح الإقلاب أبحاث فرويد الأولى حول الهستيريا : حيث يصادف أولاً في حالة مدام إيمي فون ن . . . في « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » وكذلك في « نماس الدفاع عام 1894 » . وأول معنى له إقتصادي : إذ أنه طاقة لبيدية تتحول ، (أو تُقلب) إلى تعصيب جسدي . ويتلازم الإقلاب مع إنفصال الليبدو عن التصور الخاص به ، في عملية الكبت ؛ حيث « . . تنقل الطاقة اللبيدية المنفصلة هكذا إلى المستوى الجسدي » (2a) .

لا ينفصل هذا التفسير الإقتصادي للإقلاب عند فرويد عن المفهوم الرمزي : حيث « تتكلم » (3) التصورات المكبوتة التي شوّهتها أواليتا التكثيف والإزاحة ، من خلال الأعراض الجسدية . يشير فرويد إلى أن الصلة الرمزية التي تربط ما بين العارض والمعنى هي بحيث يمكن لنفس العارض أن لا يعبر عن عدة معان دفعة واحدة فقط بل يمكنه أيضاً التعبير عنها على التوالي : « فقد يغيّر العارض على مر السنين معانيه ، أو معناه السائد [. . .] فمن الصعب جداً إنتاج عارض من هذا النوع ، لأن تحويل إثارة نفسية محضة إلى نطاق الجسد - وهو العملية التي أطلقت عليها إسم الإقلاب - يتوقف على إسهام العديد من الشروط الملائمة ، مما يؤدي بإندفاع الإثارة الصادرة عن اللاوعي نحو التفريغ إلى الرضى ما أمكن بمسلك التفريغ المتوفر ، نظراً لصعوبة الحصول على المسايرة الجسدية اللازمة للإقلاب » (4) .

أما فيما يتعلق بالدواعي التي تؤدي إلى تكوين أعراض الإقلاب وليس سواها - من مثل الأعراض الخوافية أو الهجاسية - فإن فرويد يشير في البداية فكرة « القدرة على الإقلاب » (2d) ، التي يعاود الرجوع إليها في تعبير « المسايرة الجسدية » وهو عامل جبلّي أو مكتسب يهيء شخصاً ما بشكل

عام إلى الإقلاب ، أو يهيء عضواً أو جهازاً ما ، بشكل نوعي، لاستخدامه في هذا الإقلاب. وهكذا تحيلنا هذه المسألة إلى مسألة « إختيار العصاب » ومسألة خصوصية البنى العصابية .

- أين هو يا ترى موقع الإقلاب على مستوى وصف الأعراض ؟

1 - في مجال الهستيريا : بدا لفرويد بادئ ذي بدء أنه أوالية فاعلة دوماً وبدرجات متفاوتة في الهستيريا . ولقد قاد التعمّق في بنية الهستيريا فرويد فيما بعد إلى إلحاق شكل من العصاب بها (أي الهستيريا) لا يتضمّن أعراضاً إقلابية ، ويتمثل أساساً بمرض خوافي ميّزه عما عداه على أنه هستيريا القلق ، مما أتاح له بالمقابل أن يحدد هستيريا الإقلاب .

هذا الميل إلى عدم المطابقة ما بين الهستيريا والاقلاب يصادف في أيامنا حين الحديث عن الهستيريا ، وعن البنية الهستيرية ، بدون أن يكون هناك أعراض إقلابية .

2 - أما في المجال الأعم « للأعصبة » : فتصادف أعراض جسدية في أعصبة أخرى غير الهستيريا على علاقة رمزية مع هوامات الشخص اللاواعية (أنظر على سبيل المثال الإضطرابات المعوية عند رجل الذئاب) . فهل يكون لزاماً علينا فهم الإقلاب كأوالية أساسية في تكوين الأعراض التي نصادفها، بدرجات متفاوتة في مختلف فئات العصاب، أم أنه يجب علينا الإستمرار في إعتباره خاصاً بالهستيريا ، مع القول بوجود « نواة هستيرية » حين نصادفه (أي الاقلاب) في إصابات أخرى ، أم أنه يجدر الحديث عن « عصاب مختلط » ؟ هذه المسألة ليست لفظية لأنها تؤدي إلى التفريق ما بين الأعصبة على مستوى بنيتها ، وليس فقط على مستوى الأعراض .

3 - وفي المجال المعروف حالياً بالنفسدي : يبدو أن هناك نزعة في أيامنا هذه ، وبدون الزعم بحسم نقاش مفتوح دوماً ، إلى تمييز الإقلاب الهستيري عن العمليات الأخرى لتكوين الأعراض التي يقترح لها مثلاً إسم الجَسْدَنة Somatisation: على أن يكون عارض الإقلاب الهستيري في هذه الحالة على علاقة رمزية أكثر وضوحاً مع تاريخ المريض ، وأقل قابلية للعزل كوحدة وصفية مرضية جسدية (من مثل قرحة المعدة وإرتفاع ضغط الدم) وأقل ثباتاً ، إلخ . وإذا أمكن أن يفرض التمييز العيادي ذاته في العديد من الحالات ، فإن التمييز النظري يظل أصعب بلورة .

(1) Freud (S.). *Bemerkungen uber einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. G.W., VII, 382 ; S.E., X, 157 ; Fr., 200.

(2) Cf. Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. — *a)* G.W., I, 63 ; S.E., III, 49. — *b)* G.W., I, 65 ; S.E., III, 50.

(3) Cf. par exemple : Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 212 ; S.E., II, 148 ; Fr., 117.

(4) Freud (S.). *Bruchstück einer Hysterie-Analyse*, 1905. G.W., V, 213 ; S.E., VII, 53 ; Fr., 38.

إلتيات الأنا

Altération du Moi

Eng. Alteration of the ego

D.: Ichveränderung

■ إنه مجمل قيود الأنا وإتجاهاته البائدة التي إكتسبها خلال مراحل الصراع الدفاعي ، والتي تنعكس سلباً على إمكاناته التكيفية ■ .

يرد مصطلح « التياث الأنا » في أوائل أعمال فرويد وفي أواخرها ، وذلك في سياقين مختلفين نسبياً . إذ يميز فرويد في مقالته بعنوان : « ملاحظات جديدة حول حالات نفاس الدفاع عام1896 » ، بصدد . الحديث عن العظام ، ما بين الهذيان بإعتباره عودة للمكبوت وبين هذيان ثانوي ، هو هذيان التأويل الذي يطلق عليه أيضاً إسم الهذيان « المزيج » أو هذيان « التمثل » كما ورد في مكان آخر . يشكل هذا الأخير مؤشراً على تكيف الأنا للفكرة الهذيانية : ينتهي العظامي إلى أن يصبح ذهناً زائفاً في محاولته تخفيف حدة التناقضات ما بين الفكرة الهذيانية الأولية ، وبين النشاط الذهني المنطقي .

ويعالج فرويد بشكل منهجي نسبياً المسألة التي « . . . يشار إليها بصيغة عائمة بمصطلح « التياث الأنا »(1a) في كتابه بعنوان « التحليل المنتهي والتحليل اللامنتهي عام1937 » . فهو يبيّن في هذا المؤلف إستمراراً لكتاب آنا فرويد الذي صدر حديثاً حول أواليات الدفاع عام 1936 ، كيف أن هذه الأواليات ، التي تشكلت في الأصل لمجابهة أخطار داخلية محددة ، قد ينتهي بها الحال لأن « تتثبت في الأنا » مكونة بذلك « . . . أساليب إستجابية نظامية في الطبع » يكررها الشخص خلال حياته كلها ، مستخدماً اياها كأنظمة بائدة مع أن التهديد الأول (الذي ولّدها) قد زال(1b) . ويؤدي رسوخ أمثال هذه العادات الدفاعية إلى بروز بعض « الإنحرافات » و« القيود» . ويبينها العمل العلاجي بشكل جلي تماماً حيث تقوم مقاومة حقيقية في وجه الكشف عن المقاومات نفسها .

وقد يكون من الصواب مقاربة إلتياث الأنا من حالة من تركيب السلوك يمكنها أن تنشط في « الفراغ » ، كما بينته لنا مدرسة علم دراسة سلوك الحيوان حول السلوك الغريزي ، وقد يصل بها الأمر إلى خلق وضعيات دافعة بشكل مصطنع : إذ يجد الأنا نفسه « . . . مدفوعاً إلى البحث في الواقع عن وضعيات كفيلة بالحلول محل الخطر الأصلي عن وجه التقريب »(1c) . يختلف ما يرمي إليه فرويد في هذا الصدد ، عن مسألة الإنعكاس المباشر للصراع الدفاعي على الأنا (إذ يمكن إعتبار العارض نفسه كتعديل في الأنا ، أو كجسم غريب ؛ وهكذا يُعدِّل التكوين العكسي الأنا بدوره) .

يشترك هذان النصان اللذان يتحدث فيهما فرويد عن إلتياثات الأنا في أكثر من نقطة . إذ ينظر إلى إلتياث الأنا في الحالتين بإعتباره أمراً ثانوياً ، وعلى مسافة من الصراع وبما يحمل علامة اللاوعي . وهو بهذا المعنى يطرح صعوبة خاصة على العلاج ، إذ لا يكون لجلاء الصراع وتبيانه إلا القليل من التأثير على التعديلات التي طرأت على الأنا بشكل لا تحوّل فيه ، حتى أنه أمكن مقارنتها « بالاضطرابات الناتجة عن الكلوم التي تصيب بالمتعضي »(2) . ومن ناحية ثانية نجد الرجوع إلى الذهان ، الذي يحتل مكانة مركزية في النص الأول ، ماثلاً أيضاً في النص الثاني : إذ يقترب الأنا عند أي كائن إنساني « . . . من أنا الذهاني في هذا أو ذاك من أجزائه وبمقادير متفاوتة في كبرها »(1d) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., XVI, 80 ; S.E., XXIII, 235 ; Fr., 21. — *b)* G.W., XVI, 83 ; S.E., XXIII, 237 ; Fr., 24. — *c)* G.W., XVI, 83 ; S.E., XXIII, 238 ; Fr., 24. — *d)* G.W., XVI, 80 ; S.E., XXIII, 235 ; Fr., 21.

(2) Cf. Nacht (S.). *Causes et mécanismes des déformations névrotiques du moi*. 1958. In *R.F.P.*, 2, 199-200

إلغاء رجعي

Annulation (Rétroactive)
Eng.: Undoing (what has been done)
D.: Ungeschehenmachen

■ هو أوالية نفسية يجهد الشخص من خلالها أن تصبح بعض الأفكار ، أو الكلام ، أو الحركات ، أو الأفعال الماضية وكأنها لم تكن أصلاً ؛ وهو يستخدم لهذا الغرض تفكيراً أو تصرفاً لها معنى مضاداً .

يتعلق الأمر هنا بإضطرار ذي منحى « سحري » مميز للعصاب الهجاسي على وجه الخصوص ■ .

قدّم فرويد وصفاً موجزاً للإلغاء في « رجل الفئران » ، حيث يحلل « . . . أفعالاً إضطرارية ، تحدث على مرحلتين ، تلغي الثانية فيها الأولى [. . .] . ويكمن معناها الحقيقي في كونها يمثلان صراعاً بين توجهين متعارضين ومتساويين في شدتهما تقريباً ، هذا التعارض هو دوماً ، تبعاً لتجربتي ، تعارض ما بين الحب والحقد »(1a) .

إستخلص فرويد هذه العملية في « الصد ، العارض ، والقلق عام 1926 » باسم Ungeschehenmachen (تعني حرفياً = جعله باطلاً) ؛ وهو يرى فيها ، إضافة إلى أوالية العزل ، أحد أشكال الدفاع المميزة للعصاب الهجاسي ، واصفاً إياها بأنها إجراء سحري ؛ كما أنه يبين كيف تكون ناشطة على وجه الخصوص في الطقوس الهجاسية(2a) .

تذكر آنا فرويد الإلغاء الرجعي في جردتها للأواليات الدفاعية للأنا(3) ؛ وهو يعرف عموماً كأوالية دفاعية للأنا في أدبيات التحليل النفسي(4a) .

تجدر الإشارة إلى أن الإلغاء الرجعي يتخذ أساليب متنوعة نسبياً . فأحياناً يُلغى أحد التصرفات من خلال التصرف المضاد له مباشرة (وهكذا يعود « رجل الفئران » مثلاً فيضع على الطريق الحجر الذي سبق له أن نحّاه كي لا تتعرض عربة صديقته لخطر الإصطدام به) ؛ وفي أحيان أخرى يكرر ذات الفعل ، ولكن بمعانٍ واعية أو لا واعية ، متعارضة ؛ وقدي تلوّث فعل الإلغاء بالفعل الذي ينزع إلى محوه . ويوضح المثل الذي قدّمه لنا فنيكل(4b) هذين الأسلوبين الأخيرين : يلوم أحد الأشخاص نفسه لتبذيره النقود على شراء صحيفة يومية ، ويود لو ألغى هذه النفقة من خلال إستعادة نقوده ؛ وحيث أنه لا يجرؤ على ذلك ، يفكر عندها بأن شراء صحيفة أخرى قد يدخل الراحة إلى نفسه . ولكن حيث أن كشك بيع الصحف مقفل ؛ يرمي الشخص عندها أرضاً قطعة معدنية من العملة بنفس قيمة الصحيفة . يتحدث فرويد عن أعراض « ثنائية الطور » للإحاطة بأمثال هذه التواليات : « فالفعل الذي يضع إيعازاً ما موضع التنفيذ يتلوه مباشرة فعل آخر يوقف أو يلغي الأول ، حتى ولو لم يصل إلى حد تنفيذ ما يتناقض مع الفعل الأول »(2b) .

يستدعي إدراج الإلغاء العكسي بين أواليات دفاع الأنا الملاحظة التالية أيضاً : هل يكون

علينا إعتبار « الخطوة الثانية » كمجرد نتاج للدفاع ؟ يؤدي بنا تنوع الأمثلة العيادية إلى جواب غير قاطع . ففي الواقع تغلب مشاهدة الدوافع النزوية فاعلة في كلا الخطوتين ، معظم الوقت ، وخصوصاً على شكل تجاذب وجداني ما بين الحب والحقد ؛ حتى ان الخطوة الثانية في بعض الاحيان هي التي تبينّ انتصار النزوة أجلى بيان . أما في مثال كالذي قدمه لنا فنيكل ، فإن السلوك بمجمله هو الذي يكون كلاً عارضياً .

ويلاحظ على كل حال في هذا المنظور ، أنه في الفترة التي لم يكن التأكيد قد إنصب فيها بعد على أواليات دفاع الأنا ، لم يبدُ على فرويد أنه قد أفسح المجال أمام تدخل الفعل الدفاعي إلا في تبرير يموه بشكل ثانوي ، مجمل العملية(1b) .

ويمكننا أن نستخلص في نهاية المطاف من كل ذلك ، مفهومين لا يتعارضان على كل حال إلا كمستويين من التأويل ، أو كمستويين من الصراع النفسي ، يؤكد المستوى الأول فيهما على الصراع ما بين النزوات ، حيث نجد في نهاية التحليل التجاذب ما بين الحب والحقد ، بينما يركز المستوى الآخر الصراع ما بين النزوات وبين الأنا ، حيث يحاول الأنا إيجاد حليف له في نزوة تتعارض مع تلك التي يحمي ذاته منها .

***

وقد يصح التساؤل حول مدى ملاءمة إلحاق أوالية الإلغاء العكسي بسلوك سوي جد شائع من قبيل : الرجوع عن تأكيد ، أو إصلاح غرم ، أو إعادة تأهيل محكوم ، أو تخفيف وقع فكرة ، أو قول ، أو فعل ، من خلال نفي مسبق أحياناً (من مثل : « أرجو ألا تعتقد أن . . . ») إلخ .

تجدر الملاحظة أننا نكون في كل هذه الحالات بصدد تخفيف أو إلغاء معنى أو قيمة سلوك ما ، أو الآثار المترتبة عليه . أما الإلغاء الرجعي ـ بالمعنى المرضي ـ فإنه يستهدف « واقعية » الفعل ذاتها ، التي يتوجب إلغاؤها جذرياً من خلال التصرف وكأن الزمن قابل للرجوع إلى الوراء .

ولا شك أن تمييزاً كهذا قد يبدو مبسطاً : أولا يحاول الشخص حتى إلغاء الفعل نفسه ، من خلال تنشيط معانٍ متعارضة ؟ ولكن الممارسة العيادية تبين لنا أن الهجاسي لا يرضى بمجرد عملية سحب التوظيف أو حتى القيام بتوظيف مضاد . فما يستهدفه هو الإلغاء المستحيل للحدث الماضي بحد ذاته .

(1) FREUD (S.). *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. — *a)* G.W., VII, 414 ; S.E., X, 192 ; Fr., 224. — *b)* Cf. G.W., VII, 414 ; S.E., X, 192 ; Fr., 224.

(2) FREUD (S.). *a)* Cf. G.W., XIV, 149-50 ; S.E., XX, 119-20 ; Fr., 41-2. — *b)* G.W., XIV, 142 ; S.E., XX, 113 ; Fr., 33.

(3) Cf. FREUD (A.). *Das Ich und die Abwehrmechanismen*, 1936, éd. Imago, Londres, 1946, 36 ; P.U.F., Paris, 1949, 38-9.

(4) Cf. par exemple FENICHEL (O.). *The psychoanalytic Theory of Neurosis*, Norton, New York, 1945, éd. fr., P.U.F. 1953. — *a)* Angl., 153-5 ; Fr., 189-92. — *b)* Angl., 154 ; Fr., 190-1.

إمتناع (قاعدة -) Abstinence (Règle d'-)

Eng.: Abstinence (rule of -)

D.: Abstinenz (Grundsatz der-)

■ **هي واحدة من قواعد الممارسة التحليلية التي تذهب إلى أن العلاج يجب أن يجري بأسلوب يجد فيه المريض أقل قدر ممكن من الإرضاءات البديلة لأعراضه . كما تتضمن بالنسبة للمحلل التقيد بمبدأ رفض أرضاء طلبات المريض . أو القيام بالأدوار التي يميل هذا الأخير إلى فرضها عليه . ويمكن أن تتخصص قاعدة الإمتناع ، في بعض الحالات ، وبعض فترات العلاج ، في تعليمات تتعلق ببعض تصرفات الشخص التكرارية التي تعرقل عمل الاستذكار والإرصان** ■ .

يستند تبرير هذه القاعدة أساساً على إعتبارات إقتصادية . إذ يتعين على المحلل تجنب السماح لكميات اللبيدو المحررة بواسطة العلاج ، أن توظف مباشرة من جديد في موضوعات خارجية ؛ بل يجب أن تحول بقدر الإمكان إلى الوضعية التحليلية . حيث ترتبط الطاقة اللبيدية بواسطة النقلة ، وتمنع عنها كل إمكانية أخرى للتفريغ ما عدا التعبير اللفظي .

يشتق العلاج مصدره ، من وجهة نظر دينامية ، من وجود معاناة ناتجة عن الإحباط ؛ والواقع أن هذا الإحباط يميل إلى أن يخف بمقدار ما تترك الأعراض مكانها لتصرفات بديلة أكثر إرضاءً . من المهم إذاً الحفاظ على الإحباط أو إعادته لتجنب ركود العلاج .

ترتبط فكرة الامتناع ضمنياً بمبدأ الطريقة التحليلية نفسه ، بإعتبار أن هذه الطريقة تجعل من التأويل عملها الأساسي بدلاً عن إشباع الحاجات اللبيدية للمريض . وليس علينا أن ننُدهش إذا علمنا أن فرويد تعرّض لموضوع الامتناع صراحة في العام 1915 بصدد طلب جدُ ملح وهو الطلب ، الملازم للحب الناتج عن النقلة : « أريد وضع تلك القاعدة التي توجب الإبقاء على الحاجات والطموحات عند المرضى كقوى دافعة نحو العمل والتغيير والحذر من إسكات صوتها من خلال وصفات بديله »(1) .

ومع فرنزي ، إحتلت المشكلات الفنية التي يطرحها الإلتزام بقاعدة الإمتناع ، مكان الصدارة في المناقشات التحليلية . فلقد أوصى فرنزي في بعض الحالات بإجراءات تهدف إلى محاربة الاشباعات البديلة التي يجدها المريض في العلاج وخارجاً عنه . ولقد صادق فرويد في خطابه الختامي في مؤتمر بودابست (عام 1918) ، على هذه الإجراءات في مبدأها العام وقدم تبريراً نظرياً لها حيث يقول « يجب علينا السهر كي لا ندع آلام المريض تزول بشكل مبكر وشديد ، مهما بدا ذلك قاسياً ظاهرياً . ففي الحالات التي تتحلل فيها الأعراض وتفقد قيمتها ، وحيث تخفف الألام ، يتعين علينا أن نخلقها (أي الألام) من جديد في موضع أخر على شكل حرمان مؤلم »(2) .

ويبدو من المهم ، من أجل توضيح المناقشه المتجددة أبداً حول فكرة الامتناع ، أن نميز تماماً ما بين الإمتناع كقاعدة يفرضها المحلل على نفسه - كنتيجة تلقائية لحياده - من جانب ، وبين الإجراءات النشطه التي نطلب من خلالها إلى المريض أن يحافظ بدوره على حالة م من الإمتناع من

ناحية ثانية . تتراوح هذه الإجراءات من التأويلات التي قد تعادل الإيعاز من خلال طابعها الملحاح ، إلى الأوامر الصريحة . وإذا كانت هذه الأوامر لا تهدف إلى منع المريض من ممارسة العلاقة الجنسية ، إلا أنها تنصب عموماً على بعض النشاطات الجنسية (الشذوذ) أو بعض الممارسات ذات الطابع التكراري التي يبدو أنها تشل العمل التحليلي . يبدي معظم المحللين تحفظاً شديداً حيال اللجوء إلى أمثال هذه الإجراءات النشطه ، مشيرين بذلك خصوصاً إلى إحتمال تعرض المحلل عندها لخطر مساواته بالسلطة القمعية .

(1) Freud (S.). *Bemerkungen über die Übertragungsliebe*, 1915. G.W., X, 313; S.E., XII, 165; Fr., 122-3.
(2) Freud (S.). *Wege der psychoanalytischen Therapie*, 1918. G.W., XII, 188; S.E., XVII, 163 Fr. 136.

أنا

Moi
Eng.: Ego
D.: Ich

■ إنه ركن يميزه فرويد في نظريته الثانية حول الجهاز النفسي ، عن الهو والأنا الأعلى . يخضع الأنا ، من وجهة النظر الموقعية ، لمطالب الهو ، ولأوامر الأنا الأعلى ، ولمتطلبات الواقع في آن معاً . ورغم أنه يلعب دور الوسيط ، بإعتباره مكلفاً بالحفاظ على مصالح الشخص في كليته ، فإن إستقلاله لا يعدو كونه نسبياً تماماً .

أما من وجهة النظر الدينامية ، فيمثّل الأنا القطب الدفاعي للشخصية ، في الصراع العصابي أفصح تمثيل ؛ إذ أنه يحرك سلسلة من أواليات الدفاع ، التي يثيرها إدراك إنفعال مزعج (وتلك هي إشارة القلق) .

وأما من وجهة نظر إقتصادية ، فيبدو الأنا كعامل إرتباط ما بين العمليات النفسية ؛ ولكنّ محاولات ربط الطاقة النزوية تتلوث في العمليات الدفاعية ، بالخصائص المميزة للعملية الأولية : إذ تأخذ هذه المحاولات طابعاً إضطرارياً وتكرارياً ولا واقعياً .

تحاول النظرية التحليلية النفسية أن تبين تكوين الأنا من خلال سجلين متباينين نسبياً ، فإما أن ترى فيه جهازاً تكيفياً تمايز عن الهو بالإحتكاك مع الواقع الخارجي ، أو هي تعرّفه كنتاج للتماهيات التي تفضي إلى تكوين موضوع حب ضمن الشخصية ينصب عليه توظيف الهو .

يتخذ الأنا ، بالنسبة للنظرية الأولى عن الجهاز النفسي ، مدى أكثر إتساعاً من نظام ما قبل الوعي ـ الوعي ، على إعتبار أن عملياته الدفاعية تكون لا واعية في شطرها الأكبر .

وأما من وجهة نظر تاريخية ، فإن المفهوم الموقعي للأنا هو تتويج لفكرة كانت حاضرة على الدوام عند فرويد منذ بدايات فكره ■ .

بالقدر الذي يوجد فيه عند فرويد نظريتان موقعيتان للجهاز النفسي تقول أولاهما بأنظمة اللاوعي ، ما قبل الوعي والوعي ، بينما تقول الثانية بالأركان الثلاثة الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى ، فإنه من الشائع في التحليل النفسي الإعتراف بأن فكرة الأنا لم تأخذ معنى تحليلياً نفسياً مضبوطاً ، وتقنياً ، إلا بعد ما أطلق عليه إسم « تحول » عام1920 . ولقد تطابق هذا التغيير العميق في النظرية مع توجه جديد في الممارسة ، يرتكز حول تحليل الأنا وأوالياته الدفاعية ، أكثر مما يتوجه نحو جلاء المحتويات اللاواعية . صحيح أنه لا يوجد من يجهل كلام فرويد عن «الأنا» منذ كتاباته الأولى ، إنما كان هذا الحديث يتخذ طابعاً عاماً غير متخصص(أ) ، إذ كان هذا المصطلح يدل عندها على الشخصية في مجملها . تعتبر المفاهيم الأكثر تخصصاً حيث يُعطى الأنا وظائف محددة جيداً ضمن الجهاز النفسي (كما ورد مثلاً في « مشروع علم نفس علمي عام1895 ») كإرهاصات معزولة تبشر بالنظرية الموقعية الثانية . وكما سنرى ذلك ، فإن فكر فرويد في الحقيقة ، هو أكثر تعقيداً بما لا يقاس : فمن ناحية أولى لا تجيز لنا دراسة مجمل النصوص الفرويدية أن نحدد بدقة مفهومين للأنا يتطابقان مع مرحلتين مختلفتين : فلقد كانت فكرة الأنا موجودة على الدوام ، حتى ولو أنها تعرضت للتجديد من خلال إسهامات متلاحقة (النرجسية ، إستخلاص فكرة التماهي ، إلخ .) . وأما من ناحية ثانية ، فلا يمكن إقتصار تحول عام1920 على مجرد تعريف الأنا كركن مركزي للشخصية : إذ أنه يتضمن ، كما نعلم ، العديد من الإسهامات الأخرى الأساسية التي عدلت بنية مجمل النظرية ، ولا يمكن تقدير أهميتها تماماً إلا من خلال ما يقوم بينها من ترابطات . وأخيراً لا يبدو لنا مستحباً محاولة الطرح المباشر للتمييز القاطع ما بين الأنا « كشخص » والأنا « كركن » إذ أن تمفصل هذين المعنيين فيما بينهما يقع تحديداً في موقع القلب من مشكلية الأنا . كانت هذه المسألة حاضرة ضمنياً عند فرويد منذ مرحلة مبكرة ، كما أنها إستمرت حتى بعد عام1920 . فاللبس المصطلحي الذي يزعم بعضهم التنديد به وجلائه يغطي مشكلة جدية وأساسية .

وبصرف النظر عن الإهتمامات المتعلقة بتاريخ الفكر الفرويدي ، قام بعض المؤلفين ، إنطلاقاً من الحرص على توضيح الأمور ، بتأكيد الإختلاف المفهومي ما بين الأنا بإعتباره يشكل ركناً ، أو بنية فرعية من بنى الشخصية ، وبين الأنا بإعتباره يُطرح كموضوع لحب الفرد ذاته ـ وهو أنا الإعتبار الذاتي تبعاً للاروشفوكو ، والأنا الموظف بالليبدو النرجسي تبعاً لفرويد . وعلى سبيل المثال ، فلقد إقترح هارتمان إزالة اللبس الذي تتضمنه فكرة النرجسية كما يتضمنه أيضاً مصطلح من مثل توظيف الأنا (Ego-Cathexis) كالتالي : « يبدو أننا نخلط غالباً ، حين إستعمال مصطلح النرجسية ، ما بين زوجين متقابلين : يختص أولهما بالذات(Self) ، أي بالشخص عينه في مقابل الموضوع ، ويختص الثاني بالأنا [بإعتباره نظاماً نفسياً] في مقابل البنى الفرعية الأخرى للشخصية . ولكن ما يقابل توظيف الموضوع ليس توظيف الأنا (Ego Cathexis) ، بل هو توظيف الشخص عينه ، أي توظيف الذات (Self Cathexis) ؛ وحين نتكلم عن توظيف الذات ، فإن ذلك لا يتضمن أن التوظيف يقع في الهو ، أو في الأنا ، أو في الأنا الأعلى [. . .] . وهكذا بمقدورنا أن نوضح الأمور إذا ما عرّفنا النرجسية كتوظيف لبيدي للذات وليس للأنا »(1) .

يبدو لنا أن هذا الموقف يستبق الجواب على مشكلات رئيسية ، من خلال اللجوء إلى تمييز

مصطلحي محض . وبشكل عام هناك خطر الوقوع في التنكر الجزئي لما يقدمه التحليل النفسي من إسهام من خلال مفهوم الأنا الذي يقول به ، إذا ما إقتصرنا على مجرد الجمع ما بين مفهوم تحليلي نفسي نوعي للمصطلح ، وبين مفاهيم أخرى تقليدية ، ومن باب أولى إذا ما أردنا التعبير رأساً عن معانٍ مختلفة لنفس المصطلح ، بكلمات منفصلة . إذ لا يقتصر فرويد على إيجاد وإستعمال مفاهيم تقليدية ، من خلال ما يقيمه من تعارض ما بين المتعضي والمحيط ، الفاعل والموضوع ، الداخل والخارج ، على سبيل المثال ، بل هو يستخدم أيضاً مصطلح الأنا نفسه على هذه الصعد المختلفة ، حتى أنه يستفيد في ذلك من الغموض الذي يحيط بهذا الإستخدام ، مما يدل على أنه لا يستبعد من مجاله أي من الدلالات المرتبطة بمصطلحات الأنا أو ضمير المتكلم(Ich) (ب) .

أولاً : إستعمل فرويد فكرة الأنا منذ أعماله الأولى ، ومن الطريف أن نلاحظ برورز عدد من الموضوعات والمشكلات من نصوص مرحلة 1894 -1900 ، والتي سنعود فنصادفها لاحقاً .

إن التجربة العيادية مع الأعصبة ، هي التي قادت فرويد إلى التطوير الجذري لمفهوم الأنا التقليدي . فلقد أدى علم النفس عموماً وعلم النفس المرضي على وجه الخصوص حوالى سنوات 1880 إلى تفكيك فكرة الأنا الواحد والدائم ، من خلال دراسة « إلتباسات الشخصية وإزدواجاتها » ، ودراسه « الحالات الدخيلة Etats seconds » ، إلخ . وأكثر من ذلك يبين لنا كاتب من مثل بيار جانيه وجود إزدواج متزامن في الشخصية في حالات الهستيريا : « . . . تتكون في الذهن مجموعتان من الظواهر : تشكل إحداها الشخصية العادية ؛ بينما تشكل الأخرى المعرضة بدورها للإنقسام ، شخصية غير سوية مختلفة عن الأولى وتتعرض للتجاهل تماماً من قبلها »(2) . يرى جانيه أن هذا الإزدواج في الشخصية هو نتيجة « لإنحسار حقل الوعي » ، و« لضعف التوليف النفساني » ، مما يؤدي عند الهستيري إلى حالة « بتر ذاتي (نفسي) » . « لا تستطيع الشخصية إدراك كل الظواهر ، فهي تضحي ببعضها نهائياً ؛ إننا هنا بصدد نوع من البتر الذاتي (لقطاع من النفس) ، وتنمو هذه الظواهر المهجورة بشكل منعزل بدون أن يلمّ الشخص بنشاطها »(3) . ومن المعلوم أن إسهام فرويد في تأويل أمثال هذه الظواهر يتلخص في إعتبارها تعبير عن صراع نفسي : إذ تخضع بعض التصورات لوطأة « الدفاع » لأنها غير قابلة للتوافق مع الأنا .

في الفترة ما بين 1900 و1915 إستعمل فرويد كلمة أنا غالباً في سياقات متنوعة . وقد يكون ملائماً أن نرى كيف تعمل هذه الفكرة تبعاً للسجل الذي تستعمل فيه : في « نظرية العلاج » ، أو في « نموذج الصراع الدفاعي » ، أم في « ما وراء نفسانية الجهاز النفسي » . .

1 ـ يصف لنا فرويد في الفصل الذي يحمل عنوان « العلاج النفسي للهستيريا » من كتاب « دراسات حول الهستيريا » كيف أنه لا يمكن السيطرة على المادة اللاواعية المولدة للمرض والتي يؤكد على طابعها العالي التنظيم ، إلا بشكل تدريجي . يشير فرويد إلى الوعي أو إلى « وعي الأنا » (في ذلك الموضع) كمسيرة لا تدع سوى ذكرى مرضية واحدة تمر في نفس الوقت ، كما قد تتعرض هذه الذكرى إلى الصد والتوقف طالما أن عمل الإستيعاب لم يتغلب تماماً على المقاومات : « فقد تبقى إحدى الذكريات التي هي في طور البروز ماثلة أمام المريض حتى يتوصل هذا الأخير إلى إستيعابها في حيز الأنا »(4a) . يتأكد هنا الرباط الوثيق ما بين الوعي والأنا (حيث يشهد مصطلح

وعي الأنا على ذلك) ، كما تتأكد أيضاً فكرة كون الأنا أكثر شمولاً من الوعي الراهن ؛ فهو مجال حقيقي (لن يلبث فرويد أن يرده إلى « ما قبل الوعي ») .

توصف المقاومات التي يبديها المريض في تحليل أول في كتاب « دراسات حول الهستيريا » باعتبارها صادرة عن الأنا « الذي يجد متعة في الدفاع » . وإذا صدف أن سمحت إحدى الأساليب التقنية (في التحليل) بالإفلات مؤقتاً من حيطته ، « فإن الأنا يسترد يقظته ويستعيد أهدافه ويتابع مقاومته ، في كل المناسبات الجدية فعلياً »(4b) . ولكن من ناحية ثانية تتسرب « النواة المولدة للمرض » واللاوعية إلى الأنا حتى ليبدو أحياناً وكأن الحدود بينهما هي مجرد مسألة متعارف عليها . وأبعد من ذلك ، « فإن المقاومة تصدر عن هذا التسرب ذاته »(4c) . ترسم هنا ملامح مسألة مقاومة لا واعية على وجه التخصيص ، تلك المسألة التي تثير ، فيما بعد ، جوابين مختلفين عند فرويد وهما : اللجوء إلى فكرة أنا لا واعٍ واللجوء أيضاً كذلك إلى فكرة مقاومة خاصة بالهو .

2 ـ كانت فكرة الأنا حاضرة على الدوام في الإرصانات الأولى التي قدمها فرويد عن الصراع العصابي . فهو ينكب على تخصيص الدفاع إلى « أساليب » و « أواليات » و « عمليات » و « ترتيبات » مختلفة تتطابق مع مختلف حالات النفاس : من هستيريا ، وعصاب هجاسي ، وعظام ، وخلط هلامي ، إلخ . وتنطلق مختلف هذه الأساليب الصراعية من التضارب ما بين الأنا وأحد التصورات .

إذ يتدخل الأنا في الهستيريا على سبيل المثال كركن دفاعي ، وإنما بصيغة معقدة . ذلك أنه لا يمكن القول بأن الأنا « يدافع » عن ذاته بدون الوقوع في اللبس . ويمكن إستيعاب هذه الصيغة على النحو التالي : حين يجد الأنا نفسه ، باعتباره مجال الوعي ، إزاء وضعية صراعية (من مثل صراع المصالح ، أو الرغبات ، أو حتى صراع الرغبات والموانع) ، ويعجز عن السيطرة عليها فإنه يدافع عن ذاته من خلال تجنبها ، أي من خلال رفض الإلمام بأي شيء عنها ؛ ويكون الأنا ، بهذا المعنى ، ذلك المجال الذي يتعين تجنيبه الصراع ، بواسطة النشاط الدفاعي . ولكن هناك بعداً آخر للصراع الدفاعي الذي يراه فرويد فاعلاً هنا : فالأنا « باعتباره كتلة سائدة من التصورات » هو الذي يتعرض لتصور معين لا يقبل التوفيق بينه وبين الأنا بأي حال : وهذا ما يؤدي إلى كبت يقوم به الأنا . توضح حالة لوسي ر . . . ، وهي من أوائل الحالات التي يستخلص فيها فرويد فكرة الصراع ودور الأنا فيه ، هذا اللبس بجلاء تام : ذلك أن فرويد لا يرضى بمجرد التفسير الذي يذهب إلى أن الأنا يرفض الإلمام بأي شيء عن «صراع الإنفعالات » الذي يزعجه ، بسبب من نقص « الشجاعة الأدبية » الضرورية لهذا الإلمام ؛ إذ لا يتقدم العلاج إلا بالقدر الذي ينخرط فيه في إستجلاء « الرموز الذاكرية» المتتالية ، وهي رموز المشاهد تظهر خلالها إحدى الرغبات اللاوعية المحددة ، مع ما تتضمنه من تناقض مع صورة الذات التي تحرص المريضة على التمسك بها .

وبما أن الأنا هو طرف فعلي في الصراع ، فإن محرك العمل الدفاعي ، أو « إشارته » ، كما يقول فرويد منذ ذلك الحين، هو تحديداً الشعور بالإنزعاج الذي يصيب الأنا ،والذي يرتبط مباشرة ، تبعا لفرويد أيضا ، بعدم إمكانية التوفيق بينه (الشعور) وبين الأنا(4d) .

وأخيراً ، إذا كانت العملية الدفاعية في الهستيريا ترد إلى الأنا ، فإن ذلك لا يتضمن بالضرورة

أن يقتصر النظر إليها على كونها واعية وإرادية فقط . تتلخص إحدى النقاط الهامة التي أراد فرويد تفسيرها في كتابه « مشروع علم نفس علمي » حيث يقدم صميمة للدفاع الهستيري ، في التساؤل التالي : « . . . لماذا تصاحب عملية من عمليات الأنا آثار لا نجدها عادة إلا في العمليات الأولية » (4a) : إذ يزاح كل مقدار العاطفة وتزاح الدلالة بكاملها ، في تكوين « الرمز الذاكري » الذي يكوّن العارض الهستيري ، من المرموز إليه ، إلى الرمز ، وهو ما لا يحدث عادة في التفكير السوي . ولا يتدخل هذا التحريك للعملية الأولية الذي يقوم به الأنا ، إلا حين يجد هذا الأخير نفسه عاجزاً عن تشغيل دفاعاته العادية (من مثل الإنتباه ، والتجنب) . يفاجىء الأنا في حالة ذكرى صدمة جنسية (أنظر : بعدي ، وغواية) بهجوم داخلي مما لا يترك له أي مجال آخر سوى « تحريك عملية أولية » (5b) . لا تتحدد وضعية « الدفاع المرضي » إذاً بالنسبة للأنا بشكل لا لبس فيه : فالأنا هو فعلياً عنصر الدفاع ، بمعنى من المعاني ، ولكنه بالقدر الذي لا يستطيع فيه الدفاع عن ذاته إلا من خلال الإنفصال عما يتهدده ، فإنه يتخلى عن التصور غير المقبول باللجوء إلى نمط من العمليات التي لا سيطرة له عليها .

3 - تحتل فكرة الأنا دوراً من الدرجة الأولى في الإرصان « ما وراء النفساني » الذي قدمه فرويد عن النشاط الوظيفي النفسي . ففي كتاب « مشروع علم نفس علمي » تكون وظيفة الأنا صادة أساساً . يتدخل الأنا ، فيما يصفه فرويد « كتجربة إشباع » (أنظر هذا المصطلح) ليحول دون إكتساب توظيف الصورة الذاكرية لموضوع الإشباع الأول قوة كفيلة بأن تطلق بصدده « مؤشر واقع » على قدم المساواة مع إدراك الموضوع الواقعي . ولا بد لكي يتخذ مؤشر الواقع قيمة المحك بالنسبة للشخص ، أي لا بد لكي يتم تجنب الهلوسة ، ولكي لا يحدث التفريغ في غياب الموضوع الواقعي ، كما في حضوره سواء بسواء ، من صد العملية الأولية التي تتلخص في انتشار الإثارة بشكل حر وصولاً إلى الصورة . وهكذا نرى أنه إذا كان الأنا هو الذي يتيح للشخص أن لا يخلط ما بين عملياته الداخلية والواقع ، فإن ذلك لا يتأتى عن تمتعه بمنفذ مفضل إلى ما هو واقعي ، أي أنه لا يتأتى عن إمتلاكه لمعيار مرجعي يقارن به التصورات . يخصص فرويد هذا المنفذ المباشر إلى الواقع لنظام مستقل يسمى « نظام الإدراك » (ويشار إليه باللاتينية واليونانية بالحرفين W أو W) ، وهو نظام مختلف جذرياً عن النظام الذي يشار إليه في اليونانية بالحرف ψ أي (النظام النفسي) الذي يشكل الأنا جزءاً منه ، والذي ينشط وظيفياً تبعاً لنمط مغاير كلياً .

يصف فرويد الأنا « كتنظيم » من العصبونات (أو كتنظيم من التصورات ، كما ورد في نصوص أخرى ، إذا أردنا أن نترجم الأمر إلى لغة أقل إغراقاً فيما هو « فسيولوجي ») يتصف بالعديد من السمات كالتالي : شق مسالك ترابطات داخلية ضمن هذه المجموعة من العصبونات ، توظيف دائم بطاقة ذات منشأ داخلي ، أي ذات أصل نزوي ، والتمييز ما بين قسم دائم وقسم متغير . إن إستمرار مستوى معين من التوظيف داخل الأنا ، هو الذي يتيح له صد العمليات الاوليه ، ليس فقط تلك التي تؤدي إلى الهلوسة ، بل أيضاً صد تلك التي قد تُسبِّبُ الإنزعاج (« الدفاع الأولي ») . « نحن نطلق إصطلاح « العمليات النفسية الاوليه » على أي توظيف للرغبه إلى حد

هلوستها ، وعلى أي تفاقم كلي للإنزعاج يتضمن تبديداً كاملاً للدفاع ؛ بينما نطلق إصطلاح « العمليات النفسية الثانوية » على تلك العمليات التي لا تتاح إلا بفضل توطيف جيد للأنا ، والتي تشكل تلطيفاً للأولى »(5c) (حـ) .

وهكذا نرى أن فرويد لا يعرّف الأنا بإعتباره مجمل الفرد ، ولا حتى بإعتباره مجمل الجهاز النفسي : فهو لا يعدو كونه جزءاً من هذا الجهاز . على أنه لا بد من إستكمال هذه الأطروحة بالقدر الذي تقوم فيه علاقه مفضلة ما بين الأنا والفرد ، سواء في بعده البيولوجي (أي المتعضى) أم في بعده النفسي . يرجع هذا الغموض الذي يلف الأنا إلى صعوبة إعطاء معنى لا لبس فيه لفكرة الداخل ، والإثارة الداخليه . فلقد إعتبرت الإثارة الداخليه على التوالي وكأنها صادرة من داخل الجسد ، في مرحلة أولى ، ثم من داخل الجهاز النفسي في مرحله ثانيه ، وأخيراً كأنها مختزنة في الأنا الذي يعرّف كخزّان للطاقة : نحن هنا بصدد سلسلة من التشابكات المتلاحقة التي تحضّنا على تصور فكرة الأنا كنوع من المتعضي المجازي ، فيما لو رغبنا إستبعاد الصمانم الميكانيكية التفسيريه التي توسلها فرويد لتفسير الأنا .

ثانياً : ـ يظهر الفصل ما وراء النفساني من كتاب « تأويل الأحلام » الذي يعرض النظرية « الأولى » للجهاز النفسي والتي تبدو في الواقع كأنها نظرية ما وراء نفسانية ثانية في ضوء نصوص فرويد المنشورة بعد وفاته) فروقاً بيّنة بالنسبة إلى المفاهيم السابقة . حيث يتم التفريق المنهجي ما بين أنظمة اللاوعي ، ما قبل الوعي ، والوعي ، ضمن إطار « جهاز » لا تتدخل فيه فكرة الأنا .

يركز فرويد أساساً في اكتشافه للحلم « كطريق ملكي إلى اللاوعي » على الأواليات الأوليَة « لعمل الحلم » ، وعلى الكيفية التي تفرض فيها قانونها على المواد ما قبل الواعية . يتخذ العبور من نظام إلى آخر طابع الترجمة ، أو هو يتخذ ؛ إذا شئنا إجراء مقارنة مع المجال الضوئي ، طابع العبور من مجال إلى آخر ذي مؤشر إنكسار مختلف . ولا يغيب العمل الدفاعي من الحديث عن الحلم ، إنما لا يدرجه فرويد ، بأي حال من الأحوال ، تحت مصطلح الأنا . إذ تتوزع هنا مختلف جوانبه التي يمكن مصادفتها في الأعمال السابقة على مستويات مغايرة :

1 ـ يتواجد الأنا كعامل دفاعي جزئياً في الرقابة ؛ مع أنه يجدر بناملاحظةكونهدهالرقابة تقوم بدور مانع أساساً يحول دون رده إلى تنظيم معقد يمكنه أن يستدعي تدخّل أواليات متمايزة من ذلك النوع الذي يجعله فرويد فاعلاً في الصراعات العصابية ؛

2 ـ يُصادف الدور الملطّف والصادّ الذي يمارسه الأنا على العمليات الأولية في نظام ما قبل الوعي ، بالصيغة التي ينشط فيها خلال الفكر المتيقظ . إلا أنه تجدر الإشارة بهذا الصدد ، إلى الاختلاف ما بين المفهوم الوارد في « المشروع » ، وذاك الذي ورد في « تأويل الأحلام » . يشكل نظام ما قبل الوعي مركز النشاط الوظيفي للعمليات الثانوية ، بينما كان الأنا يعتبر في « المشروع » بأنه هو الذي يثير العمليات الثانوية إنطلاقاً من تنظيمه الخاص ؛

3 ـ يُطرح الأنا ، بإعتباره تنظيماً موظفاً لبيدياً ، بصراحة على أنه حامل للرغبة في النوم ، والتي يرى فرويد فيها الدافع الأصلي لتكوين الحلم (د)(6) .

ثالثاً : يمكن وصف مرحلة 1900 إلى 1915 ، بأنها مرحلة تلمس الدرب بالنسبة لفكرة الأنا . حيث نرى البحث الفرويدي يتوجه ، بشكل إجمالي في إتجاهات أربعة :

1 ـ يعود فرويد على الدوام في أكثر العروض إيغالاً في النظرية التي قدمها عن نشاط الجهاز النفسي ، إلى النموذج الذي إستخلصه عام 1900 على غرار الحلم ، دافعاً إياه إلى أقصى نتائجه ، بدون اللجوء إلى استخدام فكرة الأنا فيما أجراه من تمايزات موقعية ، وبدون اللجوء كذلك إلى فكرة « نزوات الأنا » في ما طرحه من إعتبارات طاقوية(7) .

2 ـ أما فيما يختص بعلاقات الأنا مع الواقع ، فإننا لا نستطيع الكلام عن تغيير حقيقي في حل المشكلة ، إنما يمكن الحديث عن تحول في الجانب الذي يتم عليه التأكيد . إذ تظل تجربة الإشباع والهلوسة البدائية هي المرجع الأساسي بحيث :

أ ـ تعطى قيمة كبيرة لدور « تجربة الحياة » : « إن الغياب الدائم للإشباع وما يرافقه من خيبة أمل ، هو وحده الذي يؤدي إلى التخلي عن محاولة الإشباع بواسطة الهلوسة . ولقد تعين على الجهاز النفسي عوضاً عن ذلك أن يجزم أمره ويستدعي حالة العالم الخارجي الواقعية باحثاً عن تعديل واقعي فيها » (8a) ؛

ب ـ يضيف إستخلاص المبدأين الكبيرين للنشاط الوظيفي النفسي شيئاً جديداً إلى التمييز ما بين العمليات الأولية والعمليات الثانوية . إذ بدا مبدأ الواقع كقانون أتى ليفرض من الخارج متطلباته على الجهاز النفسي الذي يميل بدوره إلى تبنيها تدريجياً ؛

جـ ـ يعطي فرويد سنداً مفضلاً لمتطلبات مبدأ الواقع . فنزوات حفظ الذات هي التي لا تلبث أن تترك بسرعة نشاطها الوظيفي تبعاً لمبدأ اللذة ، وتقدّم ، بسبب قابليتها الأكبر على سرعة التدريب من قبل الواقع ، الركيزة الطاقوية « للأنا ـ الواقع » الذي « . . . لا هم له سوى التوجه نحو المفيد وتأمين الضمانات ضد الأضرار » (8b) . يفلت نفاذ الأنا إلى الواقع في هذا المنظور إذاً من أي إشكالية ممكنة : إذ يغير نمط إنهاء الأنا للإشباع الهلاسي للرغبة من إتجاهه ؛ فهو يقوم بإختبار الواقع من خلال نزوات حفظ الذات محاولاً من ثمّ فرض معايير الواقع على النزوات الجنسية (أنظر من أجل مناقشة هذا المفهوم : إختبار الواقع والأنا ـ اللذة ، وكذلك الأنا ـ الواقع) ؛

د ـ وهكذا نصبح علاقة الأنا بنظام ما قبل الوعي ـ الوعي ، وخصوصاً علاقته بالإدراك والحركة وثيقة جداً ؛

3 ـ تتعزز مكانة الأنا بإعتباره الركن الذي يعارض الرغبة في وصف الصراع الدفاعي ، وخصوصاً في الدراسة العيادية للعصاب الهجاسي . يشير الإنفعال المزعج إلى هذا التعارض الذي يتخذ منذ البداية طابع النزاع ما بين قوتين حيث تبدو آثار النزوة في كل منهما على حد سواء ؛ يكتشف فرويد ، خلال محاولته إظهار وجود عصاب طفلي « كامل » عند « رجل الفئران » أن هناك : « نزوة غلمية وتمرد عليها ، وهناك رغبة (لم تبلغ بعد حد الإضطرار) وخشية (بلغت حد الإضطرار) تناضل ضدها ، وهناك كذلك إنفعال مؤلم ونزوع للقيام بأعمال دفاعية » . ولقد أدى بفرويد حرصه على إعطاء الأنا سنداً نزوياً بالتناظر مع السند النزوي للجنسية ، إلى وصف الصراع على أنه تعارض ما بين النزوات الجنسية ، ونزوات الأنا .

ويتساءل فرويد ، في نفس السياق الفكري ، حول نمو نزوات الأنا ، ذلك النمو الذي يجب أخذه بعين الإعتبار على قدم المساواة مع النمو الليبيدي ، كما يقترح أن نمو نزوات الأنا قد يسبق في حالة العصاب الهجامي نمو النزوات الجنسية(10) .

4 ـ ويبرز في هذه الفترة مفهوم جديد ، هو مفهوم الأنا كموضوع للحب ، إنطلاقاً من أمثلة الجنسية المثلية وحالات الذهان على وجه الخصوص ؛ كما سيصبح هذا المفهوم سائداً في بعض نصوص عامي 1914 -1915 التي تشكل تحولاً حقيقياً في فكر فرويد .

رابعاً : وستتبلور خلال هذه الفترة الحاسمة(1914 -1915) ثلاثة أفكار وثيقة الترابط فيما بينها وهي : النرجسية ، التماهي بإعتباره مكوناً للأنا ، وتمايز بعض المكونات « المثالية » ضمن الأنا .

1 ـ وبالإمكان أن نلخص إنعكاسات إدخال النرجسية على تعريف الأنا على الوجه التالي :

أ ـ لا يبرز الأنا مباشرة ، حتى أنه لا يظهر أيضاً كنتيجة لتمايز تدريجي . إنه يشترط « فعلاً نفسياً جديداً » كي يتكون ؛ (11a)

ب ـ كما يعرّف الأنا « كوحدة » بالمقارنة مع النشاط الوظيفي الفوضوي والمفتت للجنسيه التي تميز الغلمة الذاتية ؛

جـ ـ ثم إنه يُطرح على الجنسية كموضوع حب ، شأنه في ذلك شأن أي موضوع خارجي .

حتى أن فرويد ينساق ، من منظور نشأة إختيار الموضوع ، إلى طرح التوالي الآتي : غلمة ذاتية ، ثم نرجسية ، ثم إختيار موضوع جنسي مثلي ، وصولاً إلى إختيار موضوع جنسي غيري ؛

د ـ ويمنع هذا التعريف للأنا كموضوع ، الخلط بينه وبين مجمل عالم الشخص الداخلي . وهكذا يتمسك فرويد ، على العكس من يونغ ، بالتمييز ما بين إنطواء الليبيدو إلى المستوى الهوامي وبين « إرتداده إلى الأنا » (11b) .

هـ ـ أما من وجهة نظر إقتصادية « فلا بد من إعتبار الأنا كخزان كبير لليبيدو الذي ينطلق منه نحو الموضوعات ، كما أن الأنا يظل على إستعداد دائم لامتصاص الليبيدو الذي يرتد ثانية من الموضوعات »(12) . يتضمن هذا التصوير للأنا كخزّان إعتباره ليس كمجرد نقطة عبور لطاقة التوظيف ، بل هو كمكان الإستقرار الدائم لهذه الطاقة حتى أنه يتخذ شكله من خلال هذه الشحنة الطاقوية . ومن هنا إستخدام صورة المتعضي ، أو صورة « الحوين الجِبْلي » في وصفه ؛(11c) .

و ـ وأخيراً يعتبر فرويد من الأمور النموذجية وصف « إختيار الموضوع النرجسي » حيث يتحدد موضوع الحب من خلال تشابهه مع الأنا الخاص للفرد . ولكن فيما وراء هذا النمط الخاص أو ذاك من أنماط إختيار الموضوع الذي توضحه بعض حالات الجنسية المثلية على سبيل المثال ، يتوصل فرويد إلى تعديل مجمل فكرة اختيار الموضوع بما فيه نمط إختيار الموضوع بالإستناد ، وصولاً إلى إدخال أنا الشخص فيها .

2 ـ تزداد في نفس الفترة ، درجة غنى فكرة التماهي إلى حد بعيد : فإضافة إلى أشكاله التي يمكن التعرّف عليها رأساً في الهستيريا حيث تبدو عابرة ، وكوسيلة للدلالة على تشابه لا واعٍ ما بين الشخص والآخر في العارض الهستيري الحقيقي ، يستخلص فرويد أشكالاً أكثر أهمية ورسوخاً ؛ حيث أن هذا التماهي لا يقتصر على كونه تعبيراً عن العلاقة ما بيني وبين شخص آخر : إذ قد يتعرض

الأنا لتغيير عميق بواسطة الكبت حتى أنه ليصبح عبارة عن الأثر الذاتي الداخلي للعلاقة الثنائية بين الشخص والآخر . وهكذا ففي الجنسية المثلية الذكرية « لا يترك الفتى أمه ، بل هو يتماهى بها ، ويتحول على غرارها [. . .] . وما يلفت النظر فعلاً في هذا التماهي ، هو آثاره : فهو يغيّـر الأنا في أهم جوانبه على الإطلاق ، أي في صفته الجنسية ، على غرار النموذج الأولي لما كان يشكل موضوع (الحب) السابق »(13) .

3 ـ تخرج فكرة الأنا من تحليل السوداوية وما تظهره من عمليات ، وقد تعرضت لتغيير عميق .

أ ـ حيث يؤوّل التماهي بالموضوع المفقود الذي يكون بادياً عند السوداوي، كحالة نكوص إلى تماه أكثر تبكيراً وبدائية منه ينظر إليه كمرحلة أولية من مراحل إختيار الموضوع « . . . حيث يريد الأنا خلاله إدماج هذا الموضوع في ذاته »(14a) . تفتح هذه الفكرة الطريق أمام بروز مفهوم للأنا لا يقتصر على جعله يتشكل من خلال التماهيات الثانوية ، بل يتعداه إلى جعله يتكون منذ البدء من خلال تماهٍ يتخذ له من الإدماج الفمي نموذجاً أولياً ؛

ب ـ يصف فرويد الموضوع المجتاف في الأنا بتعابير تأخذ طابع التشبيه الإنساني حيث يتعرض لأشد أنواع المعاملة سوءاً ، ويتألم ، ويذهب الأمر إلى حد تصوير الانتحار على أنه يرمي إلى قتله ، إلخ . . . ؛ (14b) .

جـ ـ وفي الواقع ، نكون مع إجتياف الموضوع ، بصدد إستدخالٍ تام لعلاقة بأكملها . وهكذا ينتقل الصراع المتجاذب نحو الموضوع ، في حالة السوداوية ، إلى العلاقة مع الأنا ؛

د ـ لم يعد ينظر إلى الأنا على أنه الركن الوحيد المشخصن والمتكامل داخل النفس . إذ تستطيع بعض أجزائه أن تنفصل عنه من خلال الإنشطار ، وخصوصاً ركنه الإنتقادي ، أو الضمير الخلقي : وهكذا يقوم جزء من الأنا في وجه جزء آخر منه ، فيحاكمه بشكل إنتقادي ، ويعامله كموضوع إذا جاز القول .

وهكذا تتأكد الفكرة التي سبق أن ظهرت في مقالة « من أجل تقديم النرجسية » والقائلة بأن التعارض الكبير ما بين ليبدو الأنا وليبدو الموضوع لا يكفي لتبيان كل حالات الإنسحاب النرجسي لليبدو . فقد يتخذ الليبدو « النرجسي » كموضوعات له سلسلة كاملة من الأركان التي تكون نظاماً معقداً يتأكد إنتماؤها إلى « نظام الأنا » من خلال الأسماء التي يطلقها فرويد عليها أي الأنا المثالي والمثل الأعلى للأنا ، والأنا الأعلى .

خامساً : ثم يأتي « تحول » عام1920 : حيث نرى أن الصيغة المتعلقة بتقديم فكرة الأنا ، لم يعد بالإمكان قبولها إلا مع التحفظ . إلا أنه ليس بالإمكان الطعن بشهادة فرويد نفسه حول التغير الجوهري الذي طرأ عندها . ويبدو أنه إذا كانت النظرية الموقعية الثانية تجعل من الأنا نظاماً أو ركناً ، فذلك لأنها كانت ترمي في المقام الأول إلى مزيد من التلاؤم مع أساليب الصراع النفسي ، وهو ما لم تفعله النظرية الأولى التي يمكن أن يقال عنها عموماً بأنها كانت تتخذ لها من مختلف أنماط النشاط العقلي (أي العمليات الأولية والعمليات الثانوية) مرجعاً أساسياً . إن الأطراف الداخلة في الصراع ، أي الأنا كعامل دفاعي ، والأنا الأعلى كنظام موانع ، والهو كقطب نزوي ، هي التي

رفّعت الآن إلى مصافّ « أركان » الجهاز النفسي . ولا يتضمن الإنتقال من النظرية الموقعية الأولى إلى النظرية الموقعية الثانية ، قيام « التقسيمات » الجديدة بإلغاء التحديدات السابقة ما بين اللاوعي ، وما قبل الوعي ، والوعي . ولكن تعود فتجمع في ركن الأنا وظائف وعمليات كانت تتوزع في إطار النظرية الموقعية الأولى ، بين عدة أنظمة :

1 ـ كان الوعي يشكل في أول نموذج ما وراء نفساني نظاماً مستقلاً حقيقياً (هو نظام هام في مشروع علم نفس علمي) ، ولكن فرويد عاد فألحقه بنظام ما قبل الوعي (أنظر : وعي) إنما بشكل لا يخلو من الصعوبات ؛ وهكذا تحددت الآن وضعيته الموقعية : فهو « نواة الأنا » ؛

2 ـ كما أصبح الأنا يضم إلى حد كبير الوظائف المعترف بها لنظام « ما قبل الوعي » ؛

3 ـ ويؤكد فرويد خصوصا على نقطة معينة ، وهي أن الأنا هو « لا واعٍ » في جزئه الأكبر . تشهد الممارسة العيادية على ذلك ، وخصوصاً المقاومات اللاواعية خلال العلاج : « لقد عثرنا في الأنا ذاته على شيء لا واعٍ بدوره ، يتصرف تماماً كالمكبوت ، أي أنه يولّد آثاراً قوية بدون أن يصبح واعياً بحد ذاته ، وهو يحتاج إلى عمل خاص لإخراجه إلى حيِّز الوعي »(15a) ، لقد شقّ فرويد هنا طريقاً أفاض من أتوا بعده في إستكشافه : حتى أنه عُرضت تقنيات دفاعية للأنا لا تقتصر على كونها لا واعية ، بمعنى أن الشخص يجهل أسبابها وأوالياتها ، بل هي تتخذ أيضاً منحى إضطرارياً تكرارياً ، ولا واقعياً مما يقربها من المكبوت الذي تصارعه .

يتضمّن هذا التوسيع لفكرة الأنا إعطائه وظائف متنوعة جداً في النظرية الموقعية الثانية من مثل : ضبط الحركة والإدراك ، وإختبار الواقع ، والإستباق ، والتنسيق الزمني للعمليات العقلية ، والتفكير العقلاني ، إلخ . . ويضاف إليها أيضاً وظائف من مثل التنكر ، والتبرير ، والدفاع الإضطراري ضد المطالب النزوية . وبالإمكان تجميع هذه الوظائف ، كما لاحظ البعض ، في أزواج متضادة (من مثل مقاومة النزوات وإشباع النزوات ؛ والإستبصار والتبرير ، والتعرُّف الموضوعي والتحريف المنظم ، والمقاومة وإزالة المقاومة ، الخ) ، وتعكس هذه المتضادات بقوة الوضعية المفروضة على الأنا بالنسبة إلى الركنين الآخرين (من أركان الشخصية) ، وللواقع في آن معاً (د) . يركز فرويد تبعاً لوجهة النظر التي ينطلق منها ، على تبعية الأنا أحياناً وعلى إمكانيات الإستقلال النسبي التي تتوفر له أحياناً أخرى . يبدو الأنا أساساً كوسيط يحاول أن يأخذ بعين الإعتبار متطلبات متعارضة ؛ فهو « . . . يخضع لثلاثة أشكال من العبودية ، وتتهدده بالتالي ثلاثة أنواع من الأخطار : أي الخطر الصادر عن العالم الخارجي والخطر الآتي من اللبيدو والخطر الصادر عن تشدد الأنا الأعلى [. . .] ويحاول الأنا ، بإعتباره كائناً بينياً أن يتوسط ما بين العالم والهو ، وذلك بأن يطوّع الهو للعالم ، وبأن يجعل العالم متمشياً مع رغبة الهو ، بفضل الفعل العضلي »(15 b) .

سادساً : يشهد على المدى الذي إتخذته فكرة الأنا في النظرية التحليلية النفسية ، ذلك الإهتمام الذي أبداه العديد من المؤلفين بها ، وتنوع مقاربتهم لها في آن معاً . وهكذا وضعت إحدى هذه المدارس لنفسها هدفاً يتلخص في ربط معطيات التحليل النفسي مع معطيات المجالات الأخرى أي : علم النفس الفسيولوجي ، وعلم نفس التعلم ، وعلم نفس الطفل ، وعلم النفس الإجتماعي

بشكل تتوصل معه إلى إقامة علم نفس عام وحقيقي للأنا (و) . تلجأ محاولة كهذه إلى أفكار تقول بأن الأنا يتمتع بطاقة غير جنسية ومحيّدة ، ويمتلك وظيفة « توليفية » كما يتميّز بحيّز بظل خارج دائرة الصراع . كما يُنظر هنا إلى :الأنا في المقام الأول باعتباره جهاز تنظيم وتكيف للواقع يتعين البحث عن تكوينه من خلال عمليات النضج والتعلم ، إنطلاقاً من العدّة الحسية الحركية التي يمتلكها الرضيع . حتى ولو كان بالإمكان إيجاد سند لأصل أمثال هذه المفاهيم في الفكر الفرويدي . إلاّ أنه يبدو من الصعب فعلاً القبول بأن آخر نظرية فرويدية عن الجهاز النفسي تجد في هذه المفاهيم التعبير الأكثر ملاءمة عنها . صحيح أنه ليس مطروحاً أن نقدم في مقابل هذا التوجه الذي يقول « بسيكولوجية الأنا » عرضاً لما يشكل النظرية الفرويدية « الحقيقية » للأنا . إذ أن ما يدهشنا فعلاً هو صعوبة إدراج مجمل إسهامات التحليل النفسي حول فكرة الأنا في خط فكري واحد . وبإختصار ، فبالإمكان محاولة تجميع المفاهيم الفرويدية في إتجاهين ، وذلك من خلال إستعراض المشكلات الثلاث الكبرى التي تطرحها نشأة الأنا ، ووضعيته الموقعية ـ بالنسبة للهو بشكل رئيسي ـ ، وأخيراً من خلال إستعراض المقصود بطاقة الأنا ، من وجهة نظر دينامية وإقتصادية .

أ ـ يبدو الأنا ، في منظور أول ، كنتاج لتمايز تدريجي عن الهو صادر عن تأثير الواقع الخارجي ؛ ينطلق هذا التمايز من نظام الإدراك ـ الوعي الذي يقارن بالطبقة اللحائية من حويصلة مادة حية : وهكذا « . . . تطور الأنا إنطلاقاً من طبقة الهو اللحائية المعدّة لإستقبال وإبعاد الإثارات ، والتي تحتك نتيجة لذلك ، مباشرة بالخارج (أي الواقع) . وإنطلاقاً من إستناده إلى الإدراك الواعي ، يقوم الأنا بإخضاع مجالات أكثر فأكثر إتساعاً وطبقات أكثر فأكثر عمقاً من الهو لنفوذه »(16) .

وهكذا يمكن تعريف الأنا عندئذٍ على أنه العضو الحقيقي المكرّس في الأساس لتأمين السيطرة التدريجية على النزوات ، بإعتباره ممثل الواقع ، وذلك مهما كانت حالات الفشل الفعلية التي يتعرض لها : « فهو يحاول توطيد نفوذ العالم الخارجي على الهو ونزعاته ، وهو يسعى إلى إحلال مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة الذي يسود في الهو بدون أي قيود . ويلعب الإدراك على مستوى الأنا ، نفس الدور الذي تلعبه النزوة على مستوى الهو »(15c) . وهكذا يتطابق عندئذٍ التميز ما بين الأنا والهو ـ مع التعارض ما بين العقل والهوى ، كما يشير إلى ذلك فرويد نفسه(15d) .

لا تخلو مشكلة الطاقة التي هي بتصرف الأنامن الصعوبات في هذا المفهوم . فإذا كان الأنا هو النتاج المباشر لفعل العالم الخارجي ، فكيف يمكنه عندها أن يستمد من هذا العالم طاقة كفيلة بأن تعمل بنفسها ضمن جهاز نفسي ينشط وظيفياً من حيث المبدأ بطاقته الذاتية ؟ يصل الأمر بفرويد أحياناً حد جعل الواقع يتدخل ليس كمجرد معطى خارجياً يتعين على الفرد أخذه بعين الإعتبار لضبط نشاطه الوظيفي ، بل هو يعطيه الوزن الكامل لركن حقيقي فاعل في دينامية الصراع(17) (وذلك على قدم المساواة مع ركنين آخرين للشخصية النفسية وهما الأنا والأنا الأعلى) . ولكن إذا كانت الطاقة الوحيدة المتوفرة للجهاز النفسي هي الطاقة الداخلية الصادرة عن النزوات ، فإن الطاقة المتوفرة للأنا لا يمكن والحالة هذه إلا أن تكون ثانوية ، مشتقة من الهو . يجرنا هذا الحل ، الذي

يحظى بأكبر مقدار من القبول عند فرويد ، لا محالة إلى فرضية « سحب التوظيف الجنسي » من الليبدو ، وهي فرضية نعتقد أنها لا تقوم بأكثر من تركيز إحدى صعوبات المذهب الفرويدي (ر) ، في فكرة تعاني هي بدورها من الإشكال .

يثير المفهوم الذي نشير إليه هنا ، إذا ما أخذ بمجمله ، قضيتين رئيسيتين : فكيف نفهم ، من جهة ، الأطروحة التي يقوم عليها هذا المفهوم ، والقائلة بتمايز الأنا ضمن كيان نفسي غير محدد المعالم بشكل دقيق ، ومن جهة أخرى أوليس من الصعب مكاملة سلسلة بأكملها من إسهامات التحليل النفسي الجوهرية والخاصة في فكرة الأنا ضمن هذا التكوين شبه المثالي للجهاز النفسي ؟

إن فكرة تكوين الأنا مثقلة بأوجه الغموض التي تمسك بها فرويد طوال أعماله كلها ، والتي إزدادت خطورة مع طرحه للنموذج الذي عرضه في كتاب « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » . ذلك أنه يمكن فهم تطور « الحويصلة الحية » الذي لجأ إليه في ذلك النص ، على عدة مستويات : فهناك نشوء النوع الإنساني ، أو تطور المتعضي الإنساني ، أو كذلك تمايز الجهاز النفسي إنطلاقاً من حالة اللاتمايز . أي قيمة يستحسن إذاً الإقرار بها لهذه الفرضية القائلة بمتعضي مبسط يقيم حدوده الخاصة به ، كما يقيم جهازه الإستقبالي وجهازه الخاص بصد الإثارات تحت تأثير الإثارات الخارجية ؟ فهل نحن بصدد مجرد مقارنة ترمي « لإيضاح » علاقة الفرد النفسي بما هو خارج عنه ، من خلال إستعارة صورة تتفاوت في قيمتها من مجال علم الأحياء (أي صورة الكائنات وحيدة الخلية) ؟ يجب إعتبار الجسد في هذه الحالة ، إذا توخينا الدقة ، على أنه جزء من « الخارج » بالنسبة لما يمكن أن يمثل حويصلة نفسية ، إنما نكون عندها بصدد فكرة تتعارض تماماً مع فكر فرويد : ذلك أنه لم يطرح مطلقاً أي تعادل ما بين الإثارات الخارجية ، وبين الإثارات الداخلية ، أو النزوات ، التي تهاجم بإستمرار الجهاز النفسي ؛ وحتى تهاجم الأنا ، من الداخل ، وبدون أي إمكانية للإفلات منها . علينا إذاً أن نبحث عن علاقة أكثر وثوقاً بين هذا التصور البيولوجي وترجمته النفسية . يستند فرويد أحياناً على تشابه فعلي يقوم مثلاً ما بين وظائف الأنا وبين أجهزة الإستقبال وأجهزة الحماية في المتعضي : فكما يشكل الغشاء سطح الجسد ، فإن نظام الإدراك ـ الوعي هو « سطح » النفس . تقودنا نظرة كهذه إلى تصور الجهاز النفسي وكأنه نتاج لتخصص الوظائف الجسدية ، وتصور الأنا وكأنه الناتج النهائي لعملية تطور تحدث لجهاز التكيف .

وأخيراً ، يمكن التساؤل ، على صعيد آخر ، حول ما إذا كان إصرار فرويد على استعمال هذه الصورة للشكل الحي الذي يتحدد من خلال اختلافه في المستوى الطاقوي مع الخارج ، ويمتلك حدوداً معرضة للإختراق ، وهي حدود لا بد من الدفاع عنها وإعادة تشكيلها على الدوام ، لا يجد له (أي هذا الإصرار) أساساً في علاقة فعلية ، ما بين تكوين الأنا وبين صورة المتعضي ، وهي علاقة لم يقم فرويد بالتعبير عنها صراحة إلا في مناسبات نادرة : « إن الأنا هو قبل أي شيء آخر أنا جسدياً ، فهو ليس مجرد كائن سطحي ، بل انه هو نفسه إسقاط للسطح » (15e) . « يشتق الأنا ، في نهاية المطاف ، من الأحاسيس الجسدية ، ومن تلك التي تصدر أساساً عن سطح الجسد . وهكذا يمكن اعتباره كإسقاط ذهني لسطح الجسد ، إضافة إلى كونه [. . .] يمثل مساحة الجهاز الذهني » (حـ) . تدعونا إشارة كهذه إلى تعريف ركن الأنا بإعتباره يرتكز على عملية نفسية

فعلية تتمثل في « إسقاط » المتعضي على النفس .

ب ـ تحضنا هذه الملاحظة الأخيرة بحد ذاتها على تجميع سلسلة بأكملها من الأفكار المركزية في التحليل النفسي ، والتي تتيح لنا تحديد منظور آخر . لا يتجنب هذا المنظور مشكلة تكوين الأنا ؛ بل هو يبحث عن حل له ، ليس باللجوء إلى فكرة التمايز الوظيفي ، بل من خلال الإستعانة بعمليات نفسية خاصة تتلخص بتركيز حقيقي لسمات ، وصور ، وأشكال مستعارة من كائن إنساني آخر ، في النفس (أنظر خصوصاً : تماهي ، إجتياف ؛ نرجسية ، مرحلة المرآة ، الموضوع « الطيب » والموضوع « السيء ») . إنكب المحللون النفسيون على البحث عن اللحظات الإنتقائية والمراحل التي تحدث خلالها هذه التماهيات ، وعلى تحديد التماهيات النوعية الخاصة بمختلف أركان الشخصية أي : الأنا ، الأنا المثالي ، المثل الأعلى للأنا ، والأنا الأعلى . وهكذا نلاحظ أن علاقة الأنا بالإدراك وبالعالم الخارجي تتخذ عندها معنى جديداً دون أن يؤدي ذلك إلى إلغائها : فليس الأنا إذاً هو ذلك الجهاز الذي ينمو إنطلاقاً من نظام الإدراك الوعي بقدر ما هو تكوين داخلي يشتق أصله من « بعض الإدراكات » المفضلة التي لا تصدر عن العالم الخارجي عموماً ، بل تصدر عن عالم العلاقات الإنسانية .

اما من وجهة نظر موقعية ، فلا يعود الأنا يعرّف على أنه نابع من الهو ، بل يحدد على أنه موضوع مستهدف من قبل ذلك الهو : وهكذا فإن نظرية النرجسية والفكرة الملازمة لها عن الليبدو الذي قد يتوجه إلى الأنا أو إلى الموضوع الخارجي ، تبعاً لتوازن طاقوي حقيقي لم تترك من قبل فرويد مع إطلالة النظرية الموقعية الثانية ، بل عمل ، على العكس من ذلك على توكيدها حتى آخر كتاباته . ولقد أبدت الممارسة العيادية التحليلية النفسية في مجال الذهان أساساً هذا المفهوم : حيث يلاحظ تبخيس للأنا وحقد عليه عند السوداوي ، وتضخيم له حتى يكاد يندمج تماماً مع الأنا المثالي عند الإهتياجي ، وفقدان « حدود » الأنا من خلال سحب التوظيف منها في حالات غربة الشخصية Depersonnalisation (كما قام فيدرن بإبرازه) ، إلخ .

وأخيراً يمكن التغلب على المسألة الصعبة المتعلقة بالسند الطاقوي الذي يجب الإقرار به لنشاطات الأنا ، إذا بحثناها من خلال علاقاتها مع فكرة التوظيف النرجسي . هنا تصبح المشكلة هي في أن نفهم كيف يتمكن الأنا ، بإعتباره موضوعاً لبيدياً من طرح نفسه كفاعل يحدد التوظيفات اللبيدية التي تصدر عنه ، وليس كمجرد « خزّان » لها ، بينما كانت المشكلة قبلاً هي أن نعرف معنى ذلك التغيير الكيفي والإفتراضي الذي يطلق عليه تعبير سحب التوظيف الجنسي أو التحييد .

يُطرح هذا الخط الفكري الثاني ، الذي قدمنا هنا بعض عناصره ، بالقدر الذي يظل فيه أكثر قرباً من التجربة العيادية ومن إكتشافات التحليل التي لا تتمتع بنفس الميزة التوليفية التي كانت تتمتع بها الطروحات النظرية ؛ على أن هذا الخط الفكري يترك بدون حل المهمة الضرورية والتي تتلخص بربط سلسلة بأكملها من العمليات والنشاطات في نظرية تحليلية نفسية فعلية عن الجهاز النفسي ، تلك العمليات والنشاطات التي أدرجتها إحدى مدارس التحليل النفسي خلال سعيها الحثيث لإقامة علم نفس عام ، بين وظائف الأنا وكأنها مسألة مفروغ منها .

(أ) ورغم ذلك نرى فرويد يحسن في المقاطع من « دراسات حول الهستيريا عام1895 » التي تصدى فيها لمسألة الأنا ، إستعمال مصطلحات اخرى متخصصة للدلالة على الفردية Das individuum وعلى الشخص Die person .

(ب) كما تؤكده الصيغة الشهيرة التي تكفي بحد ذاتها والتي إختتم بها عرض مطول حول الأنا والهو والأنا الأعلى ، والتي تقول «Wo es war Soll Ich werden» والتي تعني حرفياً « حيث يكون الهو ، لا بد أن أصير » .

(جـ) تسمح بعض خصائص الأنا بمقارنة الأنا المطروح في كتاب « مشروع علم نفس علمي » ، مع ما أطلق عليه الفكر المعاصر إسم جشطلت او شكل : اي حدود ثابتة نسبياً ، مع إمكانية حدوث بعض التذبذبات التي لا تخل بتوازن الشكل ، ذلك التوازن الذي يضمنه إستمرار النواة وثباتها ؛ وكذلك ثبات المستوى الطاقوي بالنسبة إلى بقية النفس ؛ ومنه أيضاً السريان الجيد للطاقة داخل الأنا والذي يتضارب مع الحاجز الذي تشكله تخومه ؛ ثم هناك تأثير الجذب والتنظيم (الذي يصفه فرويد تحت إسم التوظيف الجانبي) والذي يمارسه الأنا على العمليات التي تجري خارج حدوده الذاتية . كما أن الجشطلت يستقطب وينظم الحقل الذي يتمايز عنه ، ويؤدي إلى تنظيم بنيته الأساسية . يتجاوز الأنا كثيراً كونه حيز ووسيلة الفكر والعمليات الثانوية عموماً ، فهذه لا تعدو أن تكون أثراً من آثار قدرته على الضبط .

(د) بالإمكان إذاً صياغة الفرضية التالية : إذا كان ركن الأنا نفسه ووظيفته الدفاعية يخفتان في البحث ما وراء النفساني الوارد في كتاب « تاويل الأحلام » أولا يرجع ذلك إلى أن الانا يكون أثناء النوم في وضعية مختلفة تماماً عن تلك التي يشغلها في الصراع الدفاعي؟إذ لا يعود هنا قطباً في هذا الصراع إذ يمكن القول ، بأن توظيفه النرجسي (أي الرغبة في النوم) توسع مداه كي يبلغ أبعاد مشهد الحلم ، في نفس الوقت الذي يميل فيه هذا التوظيف النرجسي إلى جعله يتطابق مع الأنا الجسدي(18) .

(هـ) يمكن الرجوع من أجل الإستعراض الإنتقادي لجوانب عدم التماسك والقصور في النظرية العامة لوظائف الأنا ، إلى عمل دانيال لاجاش تحت عنوان « التحليل النفسي وبنية الشخصية »(19) .

(و) أنظر خصوصاً اعمال هارتمان ، وكريس ولوفنشتاين ، وكذلك أعمال د. رابابورت بهذا الصدد .

(ز) حاول بعض الكتاب المتنبهين لهذه الصعوبة أن يزودوا الأنا بنزوة نوعية تتضمن أجهزتها ، وصمائم التنفيذ الخاصة بها ، ومتعتها الخاصة . وهكذا عرض أ . هندريكس ما أسماه « بغريزة السطوة » (أنظر نزوة السطوة) .

(حـ) لا ترد هذه الملاحظة في الطبعات الألمانية من « الأنا والهو » كما أشار إلى ذلك ناشرو « الطبعة المعيارية » . فهي تظهر في الترجمة الإنجليزية التي ظهرت عام1927 ، حيث أشير إلى أنها حظيت بموافقة فرويد(20) .

(1) HARTMANN (H.). Comments on the Psychoanalytic Theory of the Ego, in *Psychoanalitic Study of the Child*, vol. V, p. 84-5.

(2) JANET (P.). *L'automatisme psychologique*, Alcan, Paris, 1889, p. 367.

(3) JANET (P.). *L'état mental des hystériques*, Alcan, Paris, 1893-94, p. 443 (de la 2e éd., 1911).

(4) BREUER (J.) et FREUD (S.). *a)* G.W., I, 295-6 ; S.E., II, 291 ; Fr., 236. — *b)* G.W., I, 280 ; S.E., II, 278 ; Fr., 225. — *c)* G.W., I, 294-5 ; S.E., II, 290 ; Fr., 235. — *d)* Cf. G.W., I, 174 ; S.E., II, 116 ; Fr., 91.

(5) FREUD (S.). *a)* All., 432 ; Angl., 410 ; Fr., 364. — *b)* All., 438 ; Angl., 416 ; Fr., 369. — *c)* All., 411 ; Angl., 388-9 ; Fr., 344.

(6) Cf. FREUD (S.). *Über den Traum*, 1901. G.W., II-III, 692-4 ; S.E., V, 679-80 ; Fr., 151-5.

(7) Cf. FREUD (S.). *A note on the Unconscious in Psycho-Analysis*, 1912. *Das Unbewusste*, 1915. *Die Verdrängung*, 1915.

(8) FREUD (S.). *Formulierungen über die zwei Prinzipien des psychischen Geschehens*, 1911. — *a)* G.W., VIII, 231 ; S.E., XII, 219. — *b)* G.W., VIII, 235 ; S.E., XII, 223.

(9) FREUD (S.). *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. G.W., VII, 389 ; S.E., X, 163 ; Fr., 205.

(10) FREUD (S.), *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 451 ; S.E., XII, 324-5.

(11) FREUD (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. — *a)* G.W., X, 142 ; S.E., XIV, 77. — *b)* G.W., X, 146 ; S.E., XIV, 80-1. — *c)* G.W., X, 141 ; S.E., XIV, 75.

(12) Freud (S.). « *Psychoanalyse* » *und* « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 231 ; S.E., XVIII, 257.
(13) Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 111 ; S.E., XVIII, 108 ; Fr., 121.
(14) Freud (S.). *Trauer und Melancholie*, 1915. — *a)* G.W., X, 436 ; S.E., XIV, 249 ; Fr., 204. — *b)* Cf. G.W., X, 438-9 ; S.E., XIV, 251 ; Fr., 207.
(15) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. — *a)* G.W., XIII, 244 ; S.E., XIX, 17 ; Fr., 170. — *b)* G.W., XIII, 286 ; S.E., XIX, 56 ; Fr., 214. — *c)* G.W., XIII, 252-3 ; S.E., XIX, 25 ; Fr., 179. — *d)* G.W., XIII, 253 ; S.E., XIX, 25 ; Fr., 179. — *e)* G.W., XIII, 253 ; S.E., XIX, 26 ; Fr., 179.
(16) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 129 ; S.E., XXIII, 198-9 ; Fr., 74.
(17) Cf. particulièrement Freud (S.). *Neurose und Psychose*, 1924, et *Der Realitätsverlust bei Neurose und Psychose*, 1924.
(18) Cf. Freud (S.). *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1915. G.W., X, 413 ; S.E., XIV, 223 ; Fr., 165.
(19) In *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, vol. 6. plus particulièrement chap. VI.
(20) Cf. S.E., XIX, 26.

أنا أعلى

Surmoi
Eng.: Super-ego
D.: Über-ich

■ إنه أحد أركان الشخصية كما وصفها فرويد في إطار نظريته الثانية عن الجهاز النفسي : يماثل دوره مع دور القاضي أو الرقيب تجاه الأنا . يرى فرويد في الضمير الخلقي ، وملاحظة الذات ، وتكوين المثل العليا بعضاً من وظائف الأنا الأعلى .

يعرّف الأنا الأعلى تقليدياً كوريث لعقدة الأوديب ، إذ يتشكل من إستدخال المتطلبات والنواهي الوالدية .

يرد بعض المحللين النفسيين تكوين الأنا الأعلى إلى مراحل أكثر تبكيراً ؛ إذ يرون هذا الركن ناشطاً منذ المراحل قبل - الأوديبية (ميلاني كلاين خصوصاً) ، أو على الأقل من خلال البحث عن تصرفات وأواليات نفسانية جد مبكرة تشكّل بوادر للأنا الأعلى (من أمثال جلوفر وشبيتز) ■ .

قدم فرويد مصطلح الأنا الأعلى Uber ich في كتابه « الأنا والهو عام1923 » (1) . فهو يُبينّ أن الوظيفة النقدية التي أطلقت هذه التسمية عليها ، قد إنفصلت عن الأنا ، ويبدو أنها تتحكم به ، كما يظهر من حالات الحداد المرضي ، أو السوداوية حيث يجد الشخص نفسه موضع إنتقاد وتبخيس ذاتي : « وهكذا نرى كيف يقوم جزء من الأنا ضد الجزء الآخر ، يحاكمه بطريقة إنتقادية ، ويتخذه كموضوع إذا جاز القول »(1) .

تنتمي فكرة الأنا الأعلى إلى النظرية الفرويدية الموقعية الثانية . ولكن حتى قبيل تمييزه والدلالة عليه على هذا الغرار ، إعترفت الممارسة العيادية والنظرية التحليليتان النفسيتان بالدور الذي تلعبه هذه الوظيفة التي ترمي إلى منع إنجاز الرغبات والوعي بها في الصراع النفسي : من مثل الرقابة في الحلم . وأكثر من ذلك إعترف فرويد بأنه يمكن لهذه الرقابة أن تعمل بطريقة لاواعية - وذلك ما يميز

رأساً مفهومه عن الآراء التقليدية حول الضمير الخلقي . كما أنه يشير إلى أن الملامات الذاتية الشائعة في العصاب الهجاسي ، قد لا تكون واعية بالضرورة : « . . . إذ يتصرف الشخص الذي يعاني من الإضطرارات والنواهي ، وكأنه محكوم « بشعور بالذنب » يجهل كل شيء عنه ، مما يتيح لنا تسميته شعور لا واع بالذنب ، رغم ما تتضمنه هذه التسمية من تناقض ظاهري في المصطلحات »(2) .

إلا أن ضرورة أخذ هذيانات الملاحظة ، والسوداوية والحداد المرضي بعين الإعتبار هي التي حدت بفرويد إلى تمييز جزء من الأنا ينتصب ضد الجزء الأخر ، ضمن الشخصية ، أي « أنا أعلى » يحتل بالنسبة للشخص قيمة النموذج ويلعب وظيفة القاضي . ولقد إستخلص فرويد في البداية هذا الركن في الأعوام 1914 -1915 كنظام يتضمّن بدوره إنبناءين جزئيين : المثل الأعلى للأنا بمعنى الكلمة ، وركن آخر إنتقادي (أنظر : المثل الأعلى للأنا) .

وإذا أخذت فكرة الأنا الأعلى بمعنى عريض وإجمالي ، كما هو الحال في « الأنا والهو » ـ حيث يرد هذا التعبير لأول مرة ـ فإنها تتضمن وظائف المنع والمثل الأعلى في آن معاً . أما إذا قلنا بالمثل الأعلى للأنا ، كبنية فرعية خاصة ، فيظهر الأنا الأعلى عندها أساساً كركن يجسد القانون ويمنع خرقه .

***

يتلازم تكوّن الأنا الأعلى ، تبعاً لفرويد ، مع أفول عقدة الأوديب : فمن خلال تخليه عن إشباع رغباته الأوديبية التي يطالها التحريم ، يحوّل الطفل توظيفه على الأهل ، إلى تماهٍ معهم ، مستدخلاً التحريم من خلال ذلك .

ولقد أشار فرويد في هذا الصدد إلى الفرق في تطور كل من الصبي والبنت : إذ تصطدم عقدة أوديب عند الصبي لا محالة بتهديد الخصاء : « . . . فيحل محلها أنا أعلى صارم »(3a) . أما عند البنت، فعلى العكس من ذلك « . . . تهيىء عقدة الخصاء السبيل لظهور عقدة الأوديب، بدلاً من الإجهاز عليها [. . .] . تظل البنت الصغيرة على هذه العقدة مدة غير محددة من الزمن ولا تحطمها إلا لاحقاً وبشكل غير تام . وهكذا لا يستطيع الأنا الأعلى الذي يظل تكوينه مهدداً في هذه الظروف ، الوصول لا إلى القوة ، ولا إلى الاستقلالية الضروريين له ، من وجهة نظر ثقافية . . . »(3b) .

وإذا كان تكوين الأنا الأعلى يقوم على التخلي عن الرغبات الأوديبية الغرامية والعدائية (في آن معاً) ، فإنه يغتني لاحقاً ، تبعاً لفرويد ، من خلال مدد المتطلبات الإجتماعية والثقافية (أي التربية ، والدين ، والأخلاق) . وعلى العكس من ذلك ، هناك من ذهب إلى القول إما بوجود أنا أعلى مبكر ، أو بوجود مراحل تهيىء السبيل للأنا الأعلى ، حتى قبل الفترة التقليدية لتكوين الأنا الأعلى . وهكذا يصر العديد من الكتاب على أن استدخال النواهي سابق فعلاً على أفول الأوديب : إذ يتبنى الطفل التعاليم التربوية منذ سن مبكرة ، وخصوصاً تلك المتعلقة بالتربية الشرجية ، كما أشار إليه فرنزي عام 1925 في « التحليل النفسي للعادات الجنسية » . أما بالنسبة لمدرسة ميلاني كلاين ، فهناك أنا أعلى ، منذ المرحلة الفمية ، يتكون من إجتياف الموضوعات « الطيبة »

و« السيئة » ، وتجعله السادية الطفلية التي تكون في أوجها ، مفرط القسوة(4) . ويبين كتّاب آخرون ، حتى بدون القول بأنا أعلى ما قبل أوديبي ، أن عملية تكوين الأنا الأعلى تبدأ في مرحلة جد مبكرة . فمثلاً يقر شبيتز بثلاث شروط مسبقة للأنا الأعلى هي النشاطات الفيزيقية المفروضة (على الطفل) ، ومحاولة السيطرة من خلال التماهي بالحركات ، والتماهي بالمعتدي ، وتلعب هذه الأوالية الأخيرة الدور الأكثر أهمية(5) .

***

من العسير أن نحدد ، من بين التماهيات ، تلك التي تلعب دوراً نوعياً في تكوين كل من الأنا الأعلى ، والمثل الأعلى للأنا ، والأنا المثالي ، وحتى الأنا نفسه . يكتب فرويد في « دروس إضافية في المحاضرات التمهيدية للتحليل النفسي عام 1932 » « أن إرساء الأنا الأعلى يمكن إعتباره كحالة ناجحة من التماهي بالسلطة الوالدية »(3c) . ويكفي تعبير السلطة الوالدية بمفرده للإشارة إلى أنه لا يجوز إعتبار التماهي المكوِّن للأنا الأعلى كمجرد عملية تماهٍ بالأشخاص . ولقد حدد فرويد هذه الفكرة ، في مقطع بالغ الوضوح حيث يقول : « لا يتكون الأنا الأعلى على صورة الأهل ، بل هو يتكون على صورة أناهم الأعلى هم أنفسهم ؛ فهو يمتلىء من نفس المحتوى ، ويصبح ممثلاً للتقاليد ، ولكل الأحكام القيمية التي تتناقل هكذا عبر الأجيال »(3d) . ولقد وجهت أكبر إدانة

ولقد وجهت أكبر إدانة للتشبيهات الإنسانية لمفاهيم النظرية الموقعية الثانية الفرويدية ، بصدد الأنا الأعلى . إنما كما أشار إليه دانيال لاجاش ، يعد إستجلاء وجود التشبيهات الإنسانية في عمل ونشأة الجهاز النفسي واحد من إسهامات التحليل النفسي الذي كان له الفضل في إكتشاف « جزيرات إحيائية » فيه (6) . وبالقدر الذي تبين فيه الممارسة العيادية التحليلية النفسية أن الأنا الأعلى يعمل تبعاً لنموذج « واقعي » ، وكركن « مستقل » (« الموضوع السيء » الداخلي ، و« الأصوات الغليظة » إلخ . .) ، أشار العديد من المؤلفين بعد فرويد ، أن هذا الأنا الأعلى بعيد جداً عن التعاليم والنواهي الصادرة فعلياً عن الأهل والمربين ، لدرجة تكاد تكون معها « قسوة » الأنا الأعلى مناقضة تماماً لتشددهم .

(أ) المصطلح المعتمد في الفرنسية هو الأنا الأعلى Surmoi ، ولكننا نجد احياناً خصوصاً عند ربنيه لافورج في أعماله العديدة حول هذه المسألة مصطلح Superego .

(ب) أكد فرويد على الفكرة القائلة بأن الأنا الأعلى يتضمن أساساً تصورات كلمات ، وبأن محتوياته تصدر عن الإدراكات السمعية ، وعن التعاليم ، والقراءة(7) .

(1) FREUD (S.). *Trauer und Melancholie*, 1917. G.W., X, 433 ; S.E., XIV, 247 Fr., 199.

(2) FREUD (S.). *Zwangshandlungen und Religionsübungen*, 1907. G.W., VII, 135 ; S.E., IX, 123 ; Fr., 172-3.

(3) FREUD (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. — *a)* G.W., XV, 138 ; S.E., XXIII, 129 ; Fr., 177. — *b)* G.W., XV, 138 ; S.E., XXII, 129 ; Fr., 177. — *c)* Cf. G.W., XV, 70 ; S.E., XXII, 63-4 ; Fr., 90. — *d)* G.W., XV, 73 ; S.E., XXII, 67 ; Fr., 94-5.

(4) Cf. KLEIN (M.). The Early development of Conscience in the Child, 1933, in *Contributions*, *passim*.

(5) Cf. Spitz (R.). On the genesis of superego components, *Psa. Study of the Child*, 1958, XIII, 375-404.
(6) Cf. Lagache (D.) La psychanalyse et la structure de la personnalité, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1961, vol. VI, 12-3.
(7) Cf. Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923, G.W., XIII, 282; S.E., XIX, 52-3; Fr., 210-1.

أنا لذة ـ أنا واقع

Moi-Plaisir — Moi-réalité
Eng.: Pleasure- ego — Reality ego.
D.: Lust -ich — Real-ich

■ يستعمل فرويد هذين المصطلحين بالرجوع إلى تكوين علاقة الشخص مع العالم الخارجي والعبور إلى الواقع . يُطرح هذان المصطلحان دوماً من موقع التعارض بينهما . إنما يطرحان بدلالات جد مختلفة مما يحول دون إقتراح تعريف لا لبس فيه لهما ، كما يعطيان من ناحية ثانية معانٍ تتداخل كثيراً فيما بينهما مما يحول أيضاً دون تثبيتهما في تعرفين مختلفين ■ .

يطرح فرويد التعارض ما بين أنا ـ لذة وأنا ـ واقع في الكتابات التالية أساساً : « صياغات حول مبدأي النشاط الوظيفي النفسي عام1911 » ، و« النزوات ومصير النزوات عام1915 » وكذلك « الإنكار عام1925 » . وتجدر الملاحظة بادىء ذي بدء أن هنالك إستمرارية فيما بين هذه النصوص التي تتوافق مع مراحل مختلفة من فكر فرويد ، وهي لذلك لا تعكس مطلقاً التغيرات التي أدخلت على تعريف الأنا ، أثناء الإنتقال من النظرية الموقعية الأولى إلى النظرية الموقعية الثانية .

1 ـ يرتبط التعارض ما بين الأنا ـ لذة والأنا ـ واقع في « صياغات حول مبدأي النشاط الوظيفي النفسي » بالتعارض الموجود ما بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع . ويستعمل فرويد في هذا المقام مصطلحي أنا ـ لذة وأنا ـ واقع ، للدلالة على تطور نزوات الأنا . إذ تخضع النزوات التي تنشط في البداية تبعاً لمبدأ اللذة ، تدريجياً لمبدأ الواقع ، إنما يظل هذا التطور أقل سرعة وأقل إكتمالاً في حالة النزوات الجنسية التي يصعب « تربيتها » كما هو الحال بالنسبة لنزوات الأنا . « وكما أنه لا يسع الأنا ـ لذة سوى أن يرغب ، ويجهد من أجل الحصول على اللذة وتجنب الإنزعاج ، كذلك فإن الأنا ـ واقع لا عمل له سوى الميل نحو المفيد ، وتأمين ذاته ضد الأضرار الممكنة »(1) . تجدر الملاحظة أن الأنا مطروح هنا أساساً من زاوية النزوات التي يفترض أن تقدم له السند الطاقوي ؛ وهكذا لا يُمثّل الأنا ـ لذة والأنا ـ واقع شكلين مختلفين جذرياً من أشكال الأنا ، بل هما يحددان فقط أسلوبين من نشاط نزوات الأنا ، تبعاً لمبدأ اللذة أو تبعاً لمبدأ الواقع .

2 ـ ويظل المنظور الذي تطرح منه المسألة تكوينياً في « النزوات ومصير النزوات » ولكن ما يعالج هنا ، ليس الصلة التفاعلية ما بين المبدأين ، ولا هو تطور نزوات الأنا ، بل إن ما يعالج هو تكوين تعارض الفاعل (أنا) والموضوع (العالم الخارجي) بإعتباره متلازماً مع التعارض ما بين اللذة والإنزعاج . .

يميز فرويد ، في هذا المنظور ، ما بين مرحلتين : ففي الأولى « . . . يتطابق الشخص مع ما

هو ممتع ، والعالم الخارجي مع ما لا يثير الاهتمام »(2a) . أما في الثانية فيتعارض الشخص مع العالم الخارجي تعارض ما هو ممتع مع ما هو مزعج . يوصف الشخص في المرحلة الأولى بالأنا ـ واقع ، أما في المرحلة الثانية ، فيوصف بالأنا ـ لذة ؛ وهكذا نرى أن هذين المصطلحين يتتابعان هنا بشكل عكسي عن تتابعهما في النص السابق ، إنما لا يؤخذ هذان المصطلحان ، وخصوصاً مصطلح الأنا ـ واقع ، في هذا السياق ، بنفس الدلالة : إذ يأتي التعارض ما بين الأنا ـ واقع والأنا ـ لذة هنا سابقاً على تقديم مبدأ اللذة ، « . . . حيث يتم (العبور من الأنا ـ واقع إلى الأنا ـ لذة) تحت سيادة مبدأ اللذة »(2b) . .

يصف فرويد « الأنا ـ واقع الإبتدائي » هذا على النحو التالي « . . . إنه يميّز ما بين الداخل والخارج تبعاً لمحك موضوعي جيد »(2c) ، وهو وصف يمكن فهمه على الشكل التالي : إنها فعلاً لوضعية موضوعية منذ البداية ، أن تُحمَل الأحاسيس السارة والمزعجة إلى الشخص ، بدون أن يُجعل منها صفات للعالم الخارجي المحايد بحد ذاته .

فكيف يتشكل الأنا ـ لذه ؟ ينشطركل من الشخص والعالم الخارجي سواء بسواء إلى جزء سار وجزء مزعج ؛ مما ينتج عنه توزيع جديد ، يتطابق فيه الشخص مع كل ما هو سار ، ويتطابق العالم مع كل ما هو مزعج ؛ ويتم هذا التقسيم من خلال إجتياف ذلك الجزء الذي يشكل مصدراً للذة من موضوعات العالم الخارجي، ومن خلال إسقاط كل ما يشكل في الداخل مصدراً للإنزعاج ، علـى الخارج . وتتيح وضعية الشخص الجديدة هذه له أن يُعرّف « كأنا ـ لذة منقّاة » بعد أن يصبح كل ما هو مزعج في الخارج .

وهكذا نرى أن مصطلح الأنا ـ لذة لا يعود يقتصر معناه في « النزوات ومصير النزوات » على أنا محكوم بمبدأ الإنزعاج واللذة وحده ، بل يتعداه كي يصبح أنا متماهياً مع كل ما هو سار بالتعارض مع كل ما هو مزعج . يقوم التعارض ، في هذا المفهوم الجديد ما بين مرحلتين من الأنا تعرّفان في هذه الحالة من خلال التعديل الذي يصيب حدوده ومحتوياته .

3 ـ ويستمر فرويد باستعمال التميز ما بين الأنـا ـ لذة ، والأنـا ـ واقـع ، في مقالتـه عن «الإنكار»، وذلك في نفس المنظور الذي إنطلق منه في النص السابق : أي كيف يتشكل التعارض ما بين الشخص والعالم الخارجي ؟ لم يعد فرويد إلى تعبيره الأنا ـ واقع الابتدائي » بحرفيته ؛ إنما لا يبدو أنه قد عدل عن هذه الفكرة ، حيث أنه يتمسك بالقول بأن الشخص يمتلك راساً منفذاً موضوعياً إلى الواقع : « فوجود التصور بالأصل ، هو ضمانة لواقعية المُتصوَّر »(3a) .

وأما في المرحلة الثانية ، أي مرحلة « الأنا ـ لذة » فتستخدم في وصفها نفس المصطلحات الواردة في « النزوات ومصير النزوات » : « يرغب الأنا ـ لذة الاصلي [. . .] بإجتياف كل ما هو طيب من ناحية ونبذ كل ما هو سيء خارجاً عنه من ناحية ثانية .. إذ يتطابق في البداية بالنسبة إليه السيء ، مع الغريب عن الأنا ، ومع ما هو موجود خارجه »(3b) .

يتطابق « الأنا ـ واقع النهائي » مع مرحلة ثالثة يحاول الشخص خلالها العثور في الخارج على موضوع واقعي يتمشى مع تصور الموضوع المفقود الذي كان يحقق الإشباع البدائي (أنظر : تجربة الإشباع) : ذاك هو منطلق إختبار الواقع ومحركه .

يتوقف هذا العبور من الأنا ـ لذة إلى الأنا ـ واقع على قيام مبدأ الواقع ، كما هو أوارد في « صياغات حول مبدأي النشاط النفسي الوظيفي » .

***

لمْ يحدث أبداً أن قام فرويد بإدماج التعارض ما بين الأنا ـ لذة ، والأنا ـ واقع في مجمل وجهات نظره ما وراء النفسانية ، وخصوصاً في نظريته عن الأنا باعتباره ركناً من أركان الجهاز النفسي . وذلك رغم وضوح أهمية إقامة صلة كهذه ؛ إذ أن هذا التقريب بينهما يسهل حل عدد من صعوبات نظرية الأنا التحليلية النفسية :

1 ـ تشكل وجهات النظر الفرويدية حول تطور الأنا ـ لذة والأنا ـ واقع محاولة لإقامة وسيط ، أو أصل ، حتى وإن كان أسطورياً ، ما بين الفرد البيولوجي النفساني (الذي يمكن رده في رأينا إلى « الأنا ـ الواقع الإبتدائي » الذي طرحه فرويد) وبين الأنا باعتباره أحد أركان الشخصية ؛

2 ـ وهي تضع ،كنقطة إنطلاق ومحرك لتكوين كهذا ، عمليات نفسية بدائية تتلخص بالإجتياف والإسقاط اللذين تتشكل من خلالهما حدود أنا يتضمن داخلاً وخارجاً ؛

3 ـ كما أن لها ميزة تبديد اللبس ، الذي ما زال يرتهن النظرية التحليلية النفسية والمتعلق بمصطلحات من مثل النرجسية الأولية ، وذلك بالقدر الذي نقصد فيه غالباً بهذه النرجسية الحديث عن حالة أصلية افتراضية لا يتوفر خلالها للفرد أي منفذ مهما كان ضئيلاً على العالم الخارجي .

(1) Freud (S.). G.W., VIII, 235 ; S.E., XII, 223.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., X, 227 ; S.E., XIV, 135 ; Fr., 57. — *b)* G.W., X, 228 ; S.E., XIV, 135-6 ; Fr., 58. — *c)* G.W., X, 228 ; S.E., XIV, 135-6 ; Fr., 58.
(3) Freud (S.). *a)* G.W., XIV, 14 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 176. — *b)* G.W., XIV, 13 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 175-6.

أنا مثالي

Moi idéal
Eng.: Ideal ego
D.: Idealich

■ هو تكوين نفسي داخلي يفرّقه بعض الكتاب عن المثل الأعلى للأنا . ويعرّفونه كمثل أعلى للجبروت النرجسي المبني على غرار النرجسية الطفلية ■ .

وضع فرويد مصطلح الأنا المثالي الذي نقع عليه في كتاب « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » وفي « الأنا والهو عام 1923 » . إنما لا نعثر عنده على تمييز مفهومي ما بين الأنا المثالي (Idealich) والمثل الأعلى للأنا (Ichideal) .

ولقد عاد بعض الكتاب ، على أثر فرويد ، إلى الثنائي المكوّن من هذين المصطلحين للدلالة على تكوينين نفسيين داخليين مختلفين .

يجعل نانبرج على وجه الخصوص ، من الأنا المثالي تكويناً سابقاً على الأنا الأعلى من الناحية النشوئية : « يتطابق الأنا الذي لم ينتظم بعد ، والذي يشعر أنه متحد مع الهو ، مع وضعية مثالية . . . »(1) . يترك الشخص وراءه هذا المثل الأعلى النرجسي ، خلال نموه ويتطلع إلى العودة إليه في لحظة ما ، وهذا ما يحدث في حالات الذهان ، مع أنه لا يقتصر عليها .

ولقد أكّد دانيال لاجاش على أهمية التمييز ما بين قطب الماهيات التي يمثلها الأنا المثالي وبين الثنائي المكوّن من المثل الأعلى للأنا ـ والأنا الأعلى . يتعلق الأمر بالنسبة إلى لاجاش بتكوين نرجسي لا واعٍ ، إنما لا يتطابق مفهوم لاجاش مع مفهوم نانبرج حول هذه المسألة : « لا يتلخص الأنا المثالي باعتباره مثلاً أعلى للجبروت النرجسي في مجرد إتحاد الأنا مع الهو ، بل هو يتضمّن تماهياً أولياً مع كائن آخر يحاط بالجبروت ، أي مع الأم »(2a) . يقوم الأنا المثالي بدور السند لما وضعه دانيال لاجاش تحت إسم « التماهي البطولي (أي التماهي بأشخاص خارقين وذوي شهرة عريضة) : « يتجلى الأنا المثالي من خلال الإعجاب المتطرف بعظماء الشخصيات التاريخية أو المعاصرة التي تتميز بإستقلاليتها ، وكبريائها وسطوتها . تبدأ ملامح الأنا المثالي بالإرتسام والظهور مع تقدم العلاج ، بإعتباره تكويناً متمايزاً عن المثل الأعلى للأنا »(2b) . ويحمل تكوين الأنا المثالي ، بالنسبة الى لاجاش ، مضامين سادو مازوشية ، وخصوصاً تلك التي تلغي الآخر ؛ إلغاءً يتلازم مع توكيد الذات (أنظر : التماهي بالمعتدي) .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى جاك لاكان ، حيث يشكل الأنا المثالي تكويناً نرجسياً أساسياً ، يجد أصله في مرحلة المرآة ، وينتمي إلى السجل الخيالي(3) .

يلتقي مختلف هؤلاء الكتاب ، رغم تباين المنظورات التي ينطلقون منها حول توكيد أهمية تخصيص الأنا المثالي كتكوين لا واع ضمن النظرية التحليلية النفسية ، كما يلتقون حول إحلال الطابع النرجسي لهذا التكوين في موضع الصدارة . وتجدر الملاحظة على أي حال ، أن النص الذي يقدم فيه فرويد هذا المصطلح ، يردّ أصل تكوين الأركان المثالية للشخصية ، إلى عملية المثلنة التي يهدف الشخص من خلالها إلى إسترداد الحالة التي يُطلق عليها إسم جبروت النرجسية الطفلية .

(1) Nunberg (H.). *Allgemeine Neurosenlehre auf psychoanalytischer Grundlage*, 1932, trad. fr., *Principes de psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1957, 135.
(2) Lagache (D.). La psychanalyse et la structure de la personnalité, 1958, in *La Psychanalyse*. P.U.F., Paris, VI. *a)* 43. — *b)* 41-2.
(3) Lacan (J.). *Remarques sur le rapport de Daniel Lagache*, 1958, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, VI, 133-46.

أنانية
Égoisme

Eng.: Egoism
D.: Egoismus

■ هو الإهتمام الذي يبديه الأنا تجاه ذاته ■ .

إستخدم فرويد مصطلح الأنانية ، بادىء ذي بدء ، لوصف الأحلام ؛ إذ أنها توصف

« بالأنانية » بمعنى أن « . . . الأنا المحبوب يظهر في كل منها »(1a) . ولا يعني ذلك إستحالة ظهور أكثر المشاعر « تجرداً عن الهوى » في حلم ما ، إنما يعني فقط أن أنا الحالم يكون حاضراً فيها دوماً شخصياً أو من خلال التماهي(1b) .

ولقد أدى إدخال النرجسية بفرويد إلى التميز على المستوى المفهومي ما بينها وبين الأنانية : فالنرجسية هي « . . . المكمل الليبيدي للأنانية »(2) وغالباً ما يحدث الخلط بينهما ، إلا أن ذلك ليس حتمياً . ويقوم هذا التمييز على التفريق ما بين النزوات الجنسية ونزوات الأنا : فتعرّف الأنانية أو « الإهتمام بالأنا » (أنظر : إهتمام) كتوظيف من قبل نزوات الأنا ، أما النرجسية فتعرّف كتوظيف من قبَل النزوات الجنسية في الأنا .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 274 ; S.E., IV, 267 ; Fr., 202. — *b)* Cf. G.W., II-III, 328 ; S.E., IV, 323 ; Fr., 240.

(2) Freud (S.). *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1917. G.W., X, 413 ; S.E., XIV, 223 Fr., 164.

إنتباه (عائم)

Attention (également) flottante

Eng.: Attention (evenly suspended)

D.: Gleichschwebende aufmerksamkeit

■ هو تبعاً لفرويد الأسلوب الذي يجب أن يستمع فيه المحلل للشخص المحَلل : إذ يجب أن لا يفضل بشكل مسبق أيٍ من عناصر خطاب هذا الأخير ، مما يتضمن ترك المُحَلَلْ لنشاطه اللاواعي كي يعمل بأكبر قدر ممكن من الحرية ، معلقاً الدوافع التي توجه الإنتباه عادة . تشكل هذه التوصية الفنية الوجه المقابل لقاعدة التداعي الحر التي يطلب إلى المُحَلَلْ إتباعها ■ .

أعلن فرويد هذه التوصية الأساسية التي تحدد موقف المحلِّل الذاتي خلال إنصاته إلى المريض ، وبيّنها ، خصوصاً في مقالته : « نصائح إلى الأطباء من أجل العلاج التحليلي عام 1912 » . وتتلخص في أكمل تعليق ممكن لكل ما يركز الإنتباه عادة : أي الأهواء الشخصية ، والأحكام المسبقة ، والفرضيات النظرية حتى تلك الأكثر وثوقاً من بينها . « وكما يتوجب على المريض أن يروي كل ما يخطر على باله ، مع إلغاء كل إعتراض منطقي أو عاطفي قد يدفع به إلى الإختيار ، كذلك يتوجب على الطبيب أن يكون قادراً على تأويل كل ما يسمعه كي يكتشف كل ما يخفيه اللاواعي ، وذلك بدون أن يحل رقابته الذاتية محل الإختيار الذي تراجع المريض عنه »(1a) .

هذه القاعدة هي التي تتيح للمحلل ، تبعاً لفرويد ، اكتشاف الصلات اللاواعية في خطاب المريض . فبفضلها يتمكن المحلل من الإحتفاظ في ذاكرته بالعديد من العناصر العديمة المعنى ظاهرياً ، والتي لا تتضح الإرتباطات بينها إلا لاحقاً .

يطرح الإنتباه العائم مشكلات نظرية وعملية يكفي للإشارة إليها المصطلح نفسه لجهة تناقضه الظاهر .

1 - إذا استعرضنا المسألة بالنسبة للمُحَلَّلْ ، يبدو السند النظري لهذا المفهوم واضحاً : تتجلى البنى اللاواعية ، كما وصفها فرويد ، من خلال العديد من أشكال التحوير ، من مثل هذا « التحوّل في كل القيم النفسية »(2a) والذي غالباً ما يجعل أهم الأفكار اللاواعية تستتر خلف أكثر العناصر إفتقاراً للمعنى في الظاهر . وهكذا يكون الإنتباه العائم هو الموقف الوحيد « الموضوعي » ، باعتباره الأكثر تلاؤماً مع موضوع محوّر أساساً . وتجدر الإشارة أصلاً إلى أن فرويد قد عرض منذ « تأويل الأحلام » عام 1900 وقبل أن يستخدم مصطلح الإنتباه العائم ، موقفاً عقلياً مشابهاً يرى فيه الشرط الضروري للتحليل - الذاتي للأحلام(2b) .

2 - أما من ناحية المحلل ، فإن الانتباه العائم كذلك يطرح بالمقابل مسائل عويصة :

من المفهوم أن المحَلِلْ ، كما هو شأن المحَلَّلْ ، يجهد لإلغاء الأثر الذي قد تمارسه تحيزاته الواعية ، وحتى دفاعاته اللاواعية ، على إنتباهه . والواقع أن فرويد قد أوصى بالتحليل التعليمي من أجل القضاء ما أمكن على هذه المقاومات اللاواعية لأن « . . . كل كبت لم يُصفَّ يشكّل ما نعته شيتكل عن حق بالنقطة العمياء في الملكات الإدراكية للمحلل »(1b) .

ولكن فرويد يطلب المزيد : فالهدف المبتغى هو التواصل الحقيقي ما بين اللاوعيين(1) (لا وعي المحلل مع لا وعي المريض) : « إذ يجب أن يتصرف لا وعي المحلل تجاه لا وعي المريض المنبثق ، كما يتصرف مستمع الهاتف تجاه الميكرفون »(1c) . وهذا ما أسماه أوتو رايك فيما بعد ، بشكل مجازي « الإنصات بالأذن الثالثة »(3) .

وهكذا ، وكما أشار إلى ذلك فرويد نفسه ، بصدد التداعيات الحرة ، لا يمكن أن يكون لتعليق «التصورات - الأهداف»، الواعية من آثار سوى إستبدالها بـ « تصورات - أهداف » لا واعية(2c) . ينجم عن ذلك صعوبة خاصة بالنسبة للمحلل حين يضع نفسه في موقف الإنتباه العائم : فكيف يمكن لإنتباهه ألا يكون موجهاً من قبل دوافعه الخاصة اللاواعية ؟ يكمن الجواب على ذلك هنا في كون المعادلة الشخصية للمحلل لا تنحسر فقط - بفضل التحليل التعليمي - بل يجب أيضاً تقديرها وضبطها من خلال التحليل الذاتي للنقلة المضادة .

وبشكل عام ، يجب فهم قاعدة الانتباه العائم ، كقاعدة مثالية تعترضها في الممارسة متطلبات مضادة : فكيف يمكن تصور الإنتقال إلى التأويل والبنيان مثلاً إذا لم يَقْدِمْ المحلل في لحظة ما على تفضيل مادة على ما عداها ، وعلى مقارنتها وتبسيطها ، الخ . . . ؟

***

من الممكن إستخلاص توجهات مختلفة ، من حركة التحليل النفسي المعاصرة ، حول مسألة الإنتباه العائم والتي تجدر الملاحظة بصددها ، أن فرويد لم يقدم على إعادة صياغتها في إطار نظريته الموقعية الثانية .

أ - يميل بعض الكتاب الذين يقتفون أثر تيودور رايك (المصدر أعلاه) إلى دفع الإنصات ما

بين اللاوعيين في إتجاه التعاطف الذي يتم في الجزء الأهم منه على مستوى دون لفظي . تشهد النقلة المضادة التي توصف كإدراك والتي هي أبعد ما تكون عن مقاومة الإتصال ، على الطابع العميق لهذا الإتصال .

ب ـ أما بالنسبة للبعض الآخر ، فإن قاعدة الإنتباه العائم الفنية تتطلب شيئاً من التراخي في وظائف الصد والإنتقاء الخاصة بالأنا ؛ فهي لا تتضمن أي إعلاء لقيمة المشاعر ، إنما تتضمن مجرد « إنفتاح » من قبل المحلل على تحريضات جهازه النفسي الخاص ، وهو انفتاح يهدف إلى تجنب تدخل إضطراراته الدفاعية . بينما يتابع الجزء الأهم والأساس من الحوار التحليلي على مستوى أنا المحلل وأنا المريض .

جـ ـ وأخيراً ، وفي منظور نظري يركّز على التشابه ما بين أواليات اللاوعي ، وأواليات اللغة (لاكان) ، يتعيّن إفساح المجال أمام هذا التشابه البنيوي بين كل الظواهر اللاواعية كي ينشط بأقصى ما يمكن من الحرية ، في موقف الإنصات التحليلي النفسي .

(أ) نقتطف حول هذه المسألة مقطعين لفرويد : « . . . يملك كل إنسان في لا وعيه الخاص، أداة تمكنه من تأويل تعبيرات لا وعي الآخرين »(4) . « يمكن أن يستجيب لا وعي الشخص مباشرة للاوعي الآخر ، بدون المرور بالوعي . ويستلزم ذلك إستقصاءً دقيقاً ، وخصوصاً لكي نقرر ما إذا كان النشاط ما قبل الواعي يلعب دوراً في هذه الظاهرة أم لا . إنما على المستوى الوصفي لا تقبل هذه الواقعة التشكيك فيها »(5) .

(1) Freud (S.): *a)* G.W., VIII, 381 ; S.E., XII, 115 ; Fr., 66. — *b)* G.W., VIII, 382 ; S.E., XII, 116 ; Fr., 67. — *c)* G.W., VIII, 381 ; S.E., XII, 115-6 ; Fr., 66.

(2) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 335 ; S.E., IV, 330 ; Fr., 246. — *b)* Cf. G.W., II-III, 108 ; S.E., IV, 103 ; Fr., 79. — *c)* Cf. G.W., II-III, 533 ; S.E., V, 528-9 ; Fr., 435.

(3) Cf. Reik (Th.). *Listening with the third ear. The inner experience of a psychoanalyst*, Grove Press, New York, 1948.

(4) Freud (S.). *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 445 ; S.E., XII, 320 ; Fr., in *R.F.P.*, 1929, III, 3, 441.

(5) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 293 ; S.E., XIV, 194 ; Fr., 142-3.

إنجاز الرغبة

Accomplissement de désir

Eng.: Wish- Fulfilment

D.: Wunscherfüllung

■ هو تكوين نفساني تصور فيه الرغبة خيالياً وكأنها قد تحققت . إن إنتاجات اللاوعي (من مثل الحلم ، والعارض ، وأبرزها إطلاقاً الهوام) هي إنجازات رغبة ، حيث تفصح هذه الرغبة عن نفسها بشكل متفاوت في درجة تمويهه ■ .

لسنا هنا بصدد عرض النظرية التحليلية النفسية للحلم ، التي نعرف أن القضية الأساسية فيها ـ أي «إن الحلم هو تحقيق رغبة» ـ تبدو لفرويد كالإشارة الفاتحة لإكتشافه . ولقد إنكب في « تأويل الأحلام عام 1900 » على البرهنة على كونية هذه القضية والتحقق منها حتى في الحالات التي

تحمل تكذيباً ظاهراً لها (من مثل أحلام القلق ، وأحلام العقاب ، الخ . .) . إنما يجدر التذكير بأن مشكلة تكرار أحلام الحوادث في عصاب الصدمات ؛ قد أدت بفرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » إلى وضع وظيفة الحلم كإنجاز رغبة ، موضع التساؤل ، وإلى البحث عن وظيفة أكثر أوليّة للحلم(1) (أنظر : إضطرار التكرار ؛ وإرتباط) .

فرض التشابه ما بين الحلم والعارض نفسه على فرويد منذ البداية ؛ إذ لاحظه منذ عام 1895 (2a) وفهم كل مداه بعد « تأويل الأحلام » . وهاك على سبيل المثال ، هذه الأسطر الموجهة إلى ف . فلايس : « إن تعميمي الأخير يصمد جيداً ، ويبدو أنه بصدد التقدم إلى مالا نهاية له . فليس الحلم وحده هو إنجاز لرغبة بل النوبة الهستيرية أيضاً . يصحّ هذا على العارض الهستيري ويصحّ كذلك بدون أدنى شك على كل الوقائع العصابية ، وهو ما تبينته (ب) سابقاً في الهذيان الحاد »(2b) .

تجدر الملاحظة أن فرويد يقدم بالصيغة الإسمية الفكرة القائلة بأن الحلم يحقق رغبة ؛ وهكذا يصادف القارىء صيغاً من مثل يتواجد إنجازان للرغبة في المحتوى الكامن لحلم كذا . . . الخ .

وبناء على ذلك ، يتخذ مصطلح إنجاز الرغبة قيمة مستقلة ، وكأنه لا يشير فقط إلى وظيفة من وظائف الحلم ، بل أيضاً إلى بنية داخلية للحلم قابلة لأن تمتزج مع بنية أخرى . وهو يصبح بهذا المعنى مرادفاً للهوام عملياً .

تؤدي هذه الملاحظة إلى التأكيد على أنه ولا واحدة من إنتاجات اللاوعي يمكن أن يطلق عليها إسم إنجاز « رغبة » ؛ إذ تبدو كل واحدة منها كنتيجة للصراع وللتسوية : « لا يحدث العارض الهستيري إلا حيث يتضافر ، في تعبير وحيد ، إنجازان لرغبتين متعارضتين ، تجد كل منهما مصدرها في نظام نفسي مختلف »(3) .

●●●

يرجع التعبير الأنجلو- سكسوني المسمى « التفكير المحبب Wishful thinking » والذي يقابل التعبير الفرنسي الدارج أي « النظر إلى رغباته كحقائق » إلى مفهوم إنجاز الرغبة التحليلي النفسي . على أنه من الخطأ الخلط بينهما بكل بساطة . ذلك أننا عندما نتكلم عن التفكير المحبب ، فإن التأكيد ينصب على الواقع الذي يتنكر الشخص له ، إما من خلال إهمال الشروط التي تتيح له حقاً تحقيق رغبته ، أو من خلال تحوير إدراكه للواقع ، إلخ . أما حين نتكلم عن إنجاز الرغبة فإن التأكيد ينصب على الرغبة وإخراجها الهوامي ؛ وليس على الشخص عموماً أن يتنكر هنا لبعد الواقع لأنه غير موجود أصلاً (الحلم) . ومن ناحية أخرى يغلب استخدام تعبير « التفكير المحبب » حين نكون بصدد أمنيات ، أو مشاريع ، أو رغبات ، لا يكون الرجوع إلى اللاوعي أساسياً بصددها .

(أ) أنظر : الرسالة إلى فلايس بتاريخ 12 -6 -1900 على سبيل المثال حيث يرد : « أوتعتقد حقاً أنه سيأتي يوم توضع فيه على البيت لوحة من رخام يمكننا أن نقرأ عليها : « في هذا البيت ، وبتاريخ 24 تموز 1895 ، إنجلى سر الحلم للدكتور سيجموند فرويد ؟ » .

(ب) يومىء فرويد هنا إلى مفهوم قال به في « حالات نفاس الدفاع عام 1894 » .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 31 sq. ; S.E., XVIII, 31 sq. ; Fr., 35 sq.
(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* Cf. All., 419-20 ; Ang., 397-8 ; Fr., 352. — *b)* All., 295-6 ; Ang., 277 ; Fr., 246.
(3) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 575 ; S.E., V, 569 ; Fr., 466.

إنحباس لبيدي

Stase libidinale
Eng.: Damming up of libido
D.: Libidostauung

■ إفترض فرويد هذه العملية الإقتصادية على إعتبار أنها قد تكون مصدر الوقوع في العصاب أو الذهان : إذ يتراكم الليبدو الذي لا يجد سبيلاً للتفريغ ، في تكوينات نفسية داخلية ؛ وتلقى الطاقة التي تراكمت هكذا إستخداماً (جديداً) لها في تكوين الأعراض ■ .

يعود أصل فكرة الإنحباس الليبدي الإقتصادية إلى نظرية الأعصبة الحالية كما عرضها فرويد في كتاباته الأولى : فهو يرد العامل السببي لهذه الأعصبة إلى تراكم التوتر الجنسي الذي يتعذر عليه إيجاد سبيل للتفريغ نظراً لفقدان الفعل النوعي الملائم .

أما في مقالة « أنماط تفجّر العصاب عام1912 » فإن فكرة الإنحباس الليبدي تصبح فكرة جامعة ، إذ تصادف في مختلف أنماط الوقوع في العصاب التي ميزها فرويد حيث يقول : « تتنوع المسالك التي تؤدي إلى بروز تشكيل مرضي معين في الإقتصاد النفسي ، أي إلى بروز حالة إنحباس لبيدي لا يتمكن الأنا ، بما لديه من وسائل ، من مقاومتها بدون أضرار »(1) . إلا أن الوظيفة السببية للإنحباس تتضمن تمايزات هامة :

1 ـ فلا يجعل فرويد الإنحباس عاملاً أولياً في كل أنماط التفجّر ؛ إذ يبدو أنه يلعب دوراً حاسماً في الحالات الأكثر قرباً من العصاب الراهن (الإحباط الفعلي) . أما في الحالات الأخرى ، فلا يعدو أن يكون أثراً من آثار الصراع النفسي .

2 ـ ليس الإنحباس بحد ذاته مولداً للمرض . إذ قد يؤدي إلى تصرفات سوية : تسامي ، تحويل التوتر الحالي ، إلى نشاط ينتهي بالحصول على موضوع مشبع .

ومنذ مقالته « من أجل تقديم النرجسية عام1914 » توسّع نطاق فكرة الإنحباس الليبدي كي تشمل أوالية الأذهنة : أي انحباس الليبدو الموظف في الأنا . « إذ يبدو من المتعذر تحمّل تراكم الليبدو النرجسي إذا تجاوز حداً معيناً »(2) . وهكذا يترجم الهكع ، الذي يصادف غالباً كمرحلة إنتقالية في تطور الفصام ، ذلك التراكم غير المحتمل لليبدو النرجسي ؛ ويمثل الهذيان ، من منظور إقتصادي ، محاولة لإعادة صب الطاقة الليبدية على عالم خارجي حديث التكوين .

(1) Freud (S.). G.W., VIII, 329-30 ; S.E., XII, 237.
(2) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 436 ; S.E., XVI, 421 ; Fr., 450.

إندفاع ، ضغط (النزوة)

Poussée (de la pulsion)
Eng.: Pressure
D.: Drang

■ إنه عامل كمي متفاوت ، تتأثر به كل نزوة . وهو الذي يفسر في التحليل النهائي إنطلاقة الفعل للحصول على الإشباع ؛ وحتى لو كان هذا الإشباع فاتراً (من مثل أن يرى المرء . أو أن يُضرب) ، فإن النزوة بإعتبارها تمارس « إندفاعاً » (بإتجاه الهدف) تكون نشطة ■ .

يحدد فرويد ، في تحليله لمفهوم النزوة ، الوارد في بداية مقالته بعنوان « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » إضافة إلى مصدرها وموضوعها وهدفها ، إندفاعها أيضاً في هذه التعابير : « نقصد بإندفاع النزوة ، مظهرها المحرك ، أي مجموع القوة ، أو كمية متطلبات العمل التي تمثلها . فكل نزوة هي شطر من النشاط ؛ وحين نتحدث بتراخٍ عن النزوات الفاترة ، فلا يمكن أن نقصد بهذا القول شيئاً آخر سوى أنها نزوات ذات هدف فاتر »(1) .

يؤكد فرويد في هذا النص على صفتين للنزوة :

أولاً : ذلك العامل الكمي الذي أكد عليه فرويد دوماً ، والذي يرى فيه عنصراً محدداً للصراع المرضي (أنظر : اقتصادي) ؛

ثانياً : الطابع النشط لكل نزوة . ويستهدف فرويد في هذه النقطة ألفرد أدلر الذي يجعل النشاط حكراً على نزوة متميزة عما عداها ، هي النزوة العدوانية : « يبدو لي أن أدلر قد حصر خاطئاً في نزوة خاصة ، خاصية عامة ولا غنى عنها لكل النزوات ، وهي تحديداً ما تتضمنه هذه النزوات من دفع ، و« نبض » ، أي ما يمكننا وصفه بإعتباره القدرة على إطلاق الحركية »(2) .

تمتُّ فكرة تعريف النزوات أساساً من خلال الإندفاع الذي تمارسه إلى أصول الفكر الفرويدي النظري المتأثرة بمفاهيم هلمهولتز . إذ يبدأ كتاب « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » بالتمييز الأساسي ما بين الإثارات الخارجية التي يتمكن المتعضي من الإفلات منها بالهروب وبين الإثارات ذات المنشأ الداخلي الصادرة عن العناصر الجسدية : « حيث لا يستطيع المتعضي الإفلات منها . [. . .] بل يتعين عليه أن يتعلّم تحمّل كمية مختزنة (منها) »(3) . إن إلحاح الحياة (وضغوطها) هي التي تدفع المتعضي إلى القيام بالفعل النوعي الكفيل وحده بحل التوتر .

(1) Freud (S.). G.W., X, 214-5 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 34.
(2) Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*, 1909. G.W., VII, 371 ; S.E., X, 140-1 ; Fr., 193.
(3) Freud (S.). All., 381 ; Angl., 357-8 ; Fr., 317.

إنشطار الأنا

Clivage du moi
Eng.: Splitting of the ego
D.: Ichspaltung

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح للدلالة على ظاهرة خاصة جداً يراها فاعلة على وجه التحديد في (التيميَّة Fetichisme) والذهان : حيث يتواجد ضمن الأنا، موقفان نفسيان تجاه الواقع الخارجي بإعتباره يشكل العقبة التي تعرقل مطلباً نزوياً معيناً : يأخذ أحد الموقفين الواقع بعين الإعتبار . بينما ينفي الموقف الآخر هذا الواقع مستبدلاً إياه بأحد منتجات الرغبة . ويستمر هذان الموقفان جنباً إلى جنب بدون أن يمارسا أي تأثير متبادل على بعضهما البعض ■ .

أولاً : هناك إستخدامات قديمة ومتنوعة ، في كل من التحليل النفسي والطب العقلي لمصطلح Spaltung الذي نعتمد له « الإنشطار » معادلاً فرنسياً ؛ حيث إستخدمه كتاب عديدون ، من ضمنهم فرويد نفسه ، للدلالة على واقعة إنقسام الإنسان على نفسه بصورة أو بأخرى . وفي أواخر القرن التاسع عشر ، تشبعت الدراسات النفسية المرضية ، خصوصاً حول الهستيريا والتنويم المغناطيسي بأفكار من مثل « إزدواج الشخصية » ، و« إزدواج الوعي » ، و« تفكك الظواهر النفسانيه » الخ . . .

تتضمن تعابير « إنشطار الوعي » ، و« إنشطار محتوى الوعي » ، و« الإنشطار النفسي » الخ . . . بالنسبة لكل من بروير وفرويد ، إمتداداً لنفس الوقائع : فإنطلاقاً من حالات الإزدواج المتناوب في كل من الشخصية والوعي ، كما تبينها الدراسة العيادية لبعض حالات الهستيريا ، أو كما يحدثها التنويم المغناطيسي ، توصل كل من جانيه وبروير وفرويد إلى فكرة تواجد مجموعتين من الظواهر ، أو حتى شخصيتين يمكنهما تجاهل بعضهما البعض ، ضمن النفس الإنسانية . « إنطلاقاً من الأعمال الرائعة لكل من بيار جانيه وجوزف بروير وغيرهما ، أمكن الوصول إلى الإعتراف بشكل عام بأن مركّب الأعراض في الهستيريا يبرّر فرضية إنشطار الوعي مع تكوين مجموعتين نفسيتين منفصلتين . ولكن الآراء تظل أقل وضوحاً بصدد أصل إنشطار الوعي هذا ، وحول الدور الذي تلعبه هذه الخاصية في مجمل العصاب الهستيري »(1) . وإنطلاقاً من هذا التباين في التقدير تتكون فكرة اللاوعي الفرويدية بإعتبارها منفصلة عن مجال الوعي بفعل الكبت ، وهو مفهوم يتعارض مع وجهة نظر جانيه « حول ضعف القدرة على التوليف Synthèse النفساني » كما أنه يتمايز بسرعه عن أفكار بروير حول « الحالة التنويمية المغناطيسية » و« الهستيريا التنويمية » .

الإنشطار ، تبعاً لفرويد ، هو نتيجة للصراع ؛ وهكذا فإذا كان لهذه الفكرة من قيمة وصفية بالنسبة له ، فإنها لا تتضمن في حد ذاتها أي قيمة تفسيرية . بل هي تطرح على العكس من ذلك ، السؤال : لماذا وكيف إنفصل الشخص الواعي هكذا عن جزء من تصوراته ؟

ولا يفوت فرويد خلال إستعراضه لتاريخ السنوات التي تم خلالها إكتشاف اللاوعي ، أن يستخدم مصطلح الإنشطار ، ومصطلحات قريبة منه والتي تدل كلها على القضية الرئيسية ذاتها : الإنقسام داخل النفس . ولكنه لا يستخدم مصطلح الإنشطار إلا عرضاً ، وبدون أن يجعل منه أداة

مفهومية ، خلال إرصانه لأعماله ، وبالذات حين يشير إلى واقعة إنقسام الجهاز النفسي إلى أنظمه هي (اللاوعي ، وما قبل الوعي ، والوعي) ، وإنقسامه كذلك إلى أركان هي : (الهو ، والأنا ، والأنا الاعلى) أو أيضاً إزدواجية الأنا ، إلى جزء يراقب ، وجزء آخر مراقب .

***

ومن المعروف جيداً ، من ناحية ثانية ، أن بلويلر إستخدم مصطلح الإنشطار للدلالة على العارض الرئيسي ، في رأيه ، لمجموعة الإصابات التي أطلق عليها إسم الفصام (1) . يتجاوز الإنشطار ، بالنسبة لهذا المؤلف ، الإحاطة معطيات الملاحظة ، كي يطرح فرضية معينة حول عمل الذهن (أنظر : فصام) .

ولا يفوتنا في هذا الصدد الإشارة إلى التماثل الملفت للنظر ما بين نمط التفسير الذي قدمه بلويلر لتبيان الإنشطار الفصامي وبين نمط جانيه الذي يعتبر إنشطار النفس إلى مجموعات من الترابطات المتميزة عن بعضها البعض كوسيلة لإعادة تجميع ثانوية لشتات عالم نفسي متفكك بفعل الضعف الترابطي الأولي .

ولا يتبنى فرويد فرضية بلويلر ، بل ينتقد مصطلح الفصام الذي يحيلنا إليه ، وهو حين يعود في أواخر حياته إلى فكرة الإنشطار ، فإنه يفعل ذلك من منظور مختلف تماماً .

ثانياً : إستخلص فرويد فكرة إنشطار الأنا ، أساساً في مقالاته حول « التيمّية عام 192، » ، و« إنشطار الأنا في العمليات الدفاعية عام 1938 » ، وكذلك في موجز في التحليل النفسي عام 19د8 » ، في إطار تفكير حول الذهان والتيمّية . يرى فرويد أن هذه الإصابات تضع أساساً علاقات الأنا والواقع موضع التساؤ ل . وإنطلاقاً منها ، دعّم بإضطراد إستخلاصه لوجود أواليه نوعية هي الإنكار (Verleugnung) التي تجد نموذجها الأولي في إنكار الخصاء .

ولكن الإنكار وحده لا يسمح لنا بالإحاطة بما تلاحظه الممارسة العيادية في كل من الذهان والتيمية . فالواقع « أن مشكلة الذهان تصبح بسيطة وواضحة ، كما يلاحظ فرويد ، لو كان بإمكان الأنا الإنفصال الكامل عن الواقع ، إنما لا يحدث ذلك إلا نادراً أو هو قد لا يحدث أبداً » (2a) . ففي أي ذهان ، حتى ولو كان على أشده ، يمكن العثور على موقفين نفسيين يتواجدان معاً : « ... يأخذ أولهما ، وهو الموقف السوي ، الواقع بعين الإعتبار ، بينما يفصل الاخر الأنا عن الواقع ، تحت وطأة النزوات » (2b) . هذا الموقف الثاني ، هو الذي يترجم في إنتاج واقع جديد هذياني . أما في التيمّية ، فيعثر فرويد على تواجد موقفين متناقضين ضمن الانا بصدد « حقيقة » الخصاء : « فمن جهة ، ينكر التيميون واقعة إدراكهم لغياب القضيب في العضو التناسلي الأنثوي » ؛ ويترجم هذا الإنكار في خلق التيمة التي تشكل بديل القضيب عند المرأة ؛ ولكنهم « ... يعترفون من ناحيه أخرى بنقص القضيب عند المرأة مع ما يستتبعه من إستنتاجات مضبوطة . ويتواجد هذان الموقفان جنباً إلى جنب طوال الحياة بدون أن يمارسا أي تأثير متبادل على بعضهما البعض . وهو ما يمكن أن يسمى إنشطار الأنا » (2c) .

وكما نرى ، فإن هذا الإنشطار ليس في الحقيقة دفاعاً صادراً عن الأنا ، بل هو طريقة للحفاظ على تواجد دفاعين ، يتوجه أحدهما نحو الواقع (الإنكار) بينما يتوجه الاخر نحو النزوة ؛ وهذا الاخير يمكن أن يؤدي إلى تكوين أعراض عصابية (عارض خوافي على سبيل المثال) .

ولقد تساءل فرويد ، بصدد تقديمه لمصطلح إنشطار الأنا ، عما إذا كان هذا التقديم « ... معروفاً ومفروغاً منه منذ زمن بعيد أم أنه مفاجيء وجديد تماماً »(3) . ذلك أن ، تواجد « ... موقفين نفسيين مختلفين ، متعارضين ومستقلين عن بعضهما البعض »(2d) عند نفس الشخص ، هو في صلب النظرية التحليلية النفسية للشخصية . ولكن فرويد يريد من خلال وصف إنشطار في الأنا (أي داخل نفس النظام ، وليس انشطار بين الأركان (بين الأنا والهو) أن يدلل على وجود عملية جديدة في مقابل نموذج الكبت وعودة المكبوت . ذلك أنه من خصائص هذه العملية أن لا تؤدي إلى تكوين تسوية بين الموقفين الماثلين معاً ، بل تحتفظ بهما كليهما في آن معاً بدون قيام أي علاقة جدلية بينهما .

وقد يكون من الطريف الملاحظة بأن إحساس فرويد بالحاجة إلى صياغة مفهوم معين عن إنشطار الأنا ، كان على وجه التحديد في مجال الذهان (وهو نفس المجال الذي يتحدث فيه بلويلر ، وإن من مفهوم نظري مختلف ، عن الإنشطار) . ورغم قلة رجوع المحللين النفسيين إلى هذا المفهوم فلقد بدا لنا أنه من المفيد إبرازه في هذا المقام ؛ ذلك أن له الفضل في التأكيد على ظاهرة نموذجية ، حتى ولو لم يقدم لها الحل النظري الذي يجوز الرضى التام .

(أ) يعتمد الأطباء العقليون العرسيون عموماً مصطلح التعكك للدلالة على الإنشطار الفصامي

(1) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 60 ; S.E., 45-6.
(2) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 132 ; S.E., XXIII, 201 ; Fr., 77. — *b)* G.W., XVII, 133 ; S.E., XXIII, 202 ; Fr., 78. — *c)* G.W., XVII, 134 ; S.E., XXIII, 203 ; Fr., 79. — *d)* G.W., XVII, 134 ; S.E., XXIII, 204 ; Fr., 80.
(3) Freud (S.). *Die Ichspaltung im Abwehrvorgang*, 1938. G.W., XVII, 59 ; S.E., XXIII, 275.

إنشطار الموضوع

Clivage de l'objet
Eng.: Splitting of the object
D.: Objektspaltung

■ ميلاني كلاين هي التي وضعت هذه الأوالية واعتبرت أنها تشكل الدفاع الأكثر بدائية ضد القلق : إذ يشطر الموضوع المستهدف من قبل النزوات الغلمية والتدميرية إلى موضوع « طيب » وموضوع «سيء» ويلقى كل منهما بعدها مصيراً مستقلاً نسبياً في لعبة الإجتيافات والإسقاطات . ينشط إنشطار الموضوع خصوصاً في الوضعية شبه العظامية ـ شبه الفصامية حيث ينصب على موضوعات جزئية . كما يصادف ثانية في الوضعية الخورية ، حيث ينصب على الموضوع الكلي .

ويستتبع إنشطار الموضوعات ، إنشطار موازٍ في الأنا إلى أنا « طيب » وأنا «سيء » على إعتبار أن الأنا ، تبعاً لمدرسة كلاين ، يتكوّن من إجتياف الموضوعات أساساً ■ .

يمكن الرجوع بصدد مصطلح الإنشطار إلى الشرح الوارد في المقالة حول إنشطار الأنا . تنتمي مفاهيم كلاين هذه إلى بعض إشارات فرويد الخاصة بأصول علاقة الشخص بالموضوع (أنظر مصطلحات : الموضوع ؛ الأنا ـ اللذة ، الأنا ـ الواقع) . وأما بصدد إسهام كلاين في هذا الموضوع ، فنرجع القارىء إلى المقالات بعنوان : الموضوع « الطيب » والموضوع « السيء » ، وكذلك الوضعية شبه العظامية ، والوضعية الخورية .

إنطواء

Introversion
Eng.: Introversion
D.: Introversion

■ قدّم يونغ هذا المصطلح للدلالة بشكل إجمالي على إنفصال الليبيدو عن موضوعاته الخارجية وإنسحابه إلى عالم الشخص الداخلي .

تناول فرويد هذا المصطلح من جديد ، إنما مع تحديد إستعماله على حالة سحب الليبيدو الذي يفضي إلى توظيف التكوينات النفسية الداخلية ذات الطابع الخيالي ، وهو ما يتعين تمييزه عن سحب الليبيدو إلى الأنا (كما هو الأمر في حالة النرجسية الثانوية) ■ .

ظهر مصطلح الإنطواء لأول مرة عند يونغ عام1910 في مقالته « حول صراعات الروحAme الطفلية » . ونعود فنصادفه في العديد من النصوص اللاحقة ، خصوصاً في « تحولات ورموز الليبيدو عام1913 » . ولقد لاقى هذا المصطلح شهرة ذائعة منذ ذلك الحين في تصنيفات الأنماط التي تلت يونغ (من مثل التعارض ما بين النمط المنطوي والنمط المنبسط) .

وإذا كان فرويد قد قبل مصطلح الإنطواء ؛ إلا أنه أبدى رأساً تحفظات حول المدى الذي يجب إعطاؤه لهذا المفهوم .

يشير الإنطواء ، تبعاً لفرويد ، إلى سحب الليبيدو إلى موضوعات خيالية ، أو إلى الهوامات ؛ ويشكل الإنطواء ، بهذا المعنى أحد خطوات تكوين الأعراض العصابية ، وهي خطوة تلي الإحباط عادة ويمكنها أن تؤدي إلى النكوص . « . . . يتحول الليبيدو عن الواقع الذي فقد قيمته بالنسبة للشخص بفعل الإحباط المستمر الذي يصدر عن هذا الواقع ويتوجه نحو الحياة الهوامية حيث يخلق تكوينات جديدة للرغبة ، ويوقظ آثار تكوينات الرغبة السابقة والمنسية »(1) .

وينتقد فرويد في مقالته حول « من أجل تقديم النرجسية عام1914 » الإستعمال الفضفاض في نظره لمصطلح الإنطواء والذي أدى بيونغ إلى إدراج الذهان في فئة عصاب الإنطواء . إذ يقيم

فرويد تعارضاً ما بين مفهوم النرجسية (الثانوية) باعتبارها سحب الليبدو إلى الأنا ، وبين مفهوم الإنطواء بإعتباره سحباً لليبدو إلى بعض الهوامات ، مدرجاً الذهان في فئة العصاب النرجسي .

(1) Freud (S.). *Über neurotische Erkrankungstypen* (1912). G.W., VIII, 323-4; S.E., XII, 232.

إنكار (Dé) négation

Eng.: Negation
D.: Verneinung

■ هي وسيلة يلجأ إليها الشخص الذي يبوح بإحدى رغباته أو أفكاره ، أو مشاعره التي كانت مكبوتة حتى تلك اللحظة ، في نفس الوقت الذي يستمر فيه بالدفاع عن نفسه ضدها من خلال إنكار تبعيتها له ■ .

تستدعي هذه الكلمة ، بادىء ذي بدء ، بعض الملاحظات ذات الطابع المصطلحي .

1 ـ لا يوجد دوماً في كل لغة ، في الوعي الألسني الشائع ، تمييزات واضحة بين المصطلحات التي تعني فعل النفي ، كما أن التطابقات القاطعة من لغة إلى أخرى بين مختلف المصطلحات هي أكثر ندرة .

تعني كلمة Verneinung في الألمانية النفي بالمعنى المنطقي أو النحوي (حيث لا يوجد في تلك اللغة فعل Neinen أو Beneinen) ، ولكنها تعني أيضاً الإنكار بالمعنى النفساني (أي رفض توكيد صرحت به أو الصق بي ، من مثل : لا ، أنا لم أقل هذا ، أو لم أفـر بذلك) . وتقترب كلمة Verleugnen (أو Leugnen) من Verneinen بمعناها الثاني النفساني : أنكر ، نفى ، رفض الإعتراف ، كذّب النبأ .

يمكن التمييز في الفرنسية ما بين النفي Négation بالمعنى النحوي أو المنطقي من ناحية ، والنفي بمعنى الإنكار الذي يتضمن إعتراضاً أو رفضاً من ناحية ثانية .

2 ـ في الإستخدام الفرويدي : يبدو أنه من الجائز التمييز ما بين إستخدامين مختلفين لكلمتي Verneinen و Verleugnen إذ تميل كلمة Verleugnen في الواقع لأن تخصص ، في أواخر أعمال فرويد ، للدلالة على رفض إدراك واقعة تفرض نفسها في العالم الخارجي ؛ ولقد قرر ناشرو الطبعة المعيارية Standard edition بالإنجليزية ، والذين إعترفوا بالمعنى الخاص الذي تأخذه كلمة Verleugnen عند فرويد ، ترجمة هذا المصطلح بكلمة الإنكار Disavowal(1) . ونقترح من جانبنا في الفرنسية ترجمته بكلمة نفي Deni (أنظر هذه الكلمة) .

أما بخصوص إستخدام فرويد لمصطلح Verneinung ، فإن اللبس بين النفي والإنكار لا بد

واقع للقارىء الفرنسي . وقد يكون هذا اللبس أحد أوجه عنى المقالة التي خصصها فرويد لكلمة Verneinung . فمن المستحيل على المترجم أن يختار في كل مقطع ما بين « نفي » أو « إنكار » ؛ ولذلك فالحل الذي نتبناه هو ترجمة Verneinung بكلمة إنكار (Dé) négation .

كما تجدر الملاحظة أنه يصادف أحياناً عند فرويد المصطلح الألماني ذو الأصل اللاتيني « النفي » Negation (2) .

لم توضع إلى الآن التمييزات المصطلحية والمفهومية ، من النوع الذي نقترحه هنا ، في أدبيات التحليل النفسي وفي الترجمات بشكل منتظم . وهكذا يستخدم المترجم الفرنسي لكتاب آنا فرويد (الأنا وأواليات الدفاع عام 1936) تعبير « نفي Négation » لترجمة مصطلح Verleugnung الذي تستخدمه آنا فرويد بمعنى مماثل لذلك الذي يستخدمه فيه سيجموند فرويد .

***

أبرز فرويد نسق الإنكار من خلال تجربة العلاج . فلقد صادف منذ فترة جد مبكرة شكلاً خاصاً من المقاومة عند الهستيريين الذين كان يعالجهم حيث يقول : « . . . تزداد صعوبة تقبل الذكريات المنبعثة ، كلما ذهبنا في العمق ، إلى أن تأتي اللحظة التي تصادف فيها ذكريات ، قريبة من النواة ، ينكر المريض حتى أنه إستعادها »(3) . ويقدم لنا « رجل الجرذان » مثلاً طيباً عن الإنكار : فلقد ظن طفلاً أنه سيحصل على محبة بنت صغيرة شريطة أن يحل به مكروه : « . . . وكانت الفكرة التي فرضت نفسها عليه أن هذا المكروه يمكن أن يكون موت أبيه . وما لبث أن دفع عنه هذه الفكرة بقوة ؛ ولا زال حتى اليوم يدفع عن نفسه إمكانية أن يكون قد سبق له التعبير عن « رغبة » من هذا القبيل . ولم يعدُ ذلك في زعمه سوى مسألة « تداع للأفكار » . ـ ولقد إعترضت عليه : إذا لم تكن تلك رغبة ، فلِمَ تقوم ضدها ؟ ـ بكل بساطة بسبب محتوى هذا التصور في أن والدي يمكن أن يموت »(4a) . ولقد أثبتت بقية التحليل أن هناك فعلاً رغبة عدائية تجاه الأب : « . . . إذ لم يلبث أن إنضم توكيد غير مباشر في أول الأمر ، إلى الـ « لا » الأولى »(4b) .

تشكل فكرة الإشارة الشائعة « بالإنكار » ، إلى الوعي بالمكبوت ، أثناء العلاج ، نقطة الإنطلاق للمقالة التي خصصها فرويد لهذا الإنكار عام 1925 . « ليس هناك من برهان أقوى على نجاحنا في إكتشاف اللاوعي ، من رؤية رد فعل المحَلَّلْ بهذه الكلمات : « لم أفكر هكذا » أو بصورة أفضل « لم أفكر (أبداً) بهذا »(5a) .

يحتفظ الإنكار بنفس القيمة التوكيدية حين يستخدم لمجابهة تأويل المحلل . ومن هنا لم يفت فرويد هذا الإعتراض المبدئي : إذ يتساءل في مقالة « البنيانات الذهنية في التحليل عام 1937 » حول ما إذا كانت فرضية كهذه تحمل خطر ضمانة الإنتصار للمحلل على الدوام ؟ « . . . إذا وافقنا المحَلَّلْ ، فهو على صواب ، أما إذا عارضنا فليس ذلك سوى إشارة على مقاومته ، وبالتالي فهو يؤكد صحة ما نذهب إليه »(6a) . ولقد أعطى فرويد جواباً ملطفاً على هذه الإنتقادات ، وذلك بتحفيز المحلل للبحث عن توكيد تأويله من خلال سياق وتطور العلاج (6b) . إنما لا يمنع ذلك كله من احتفاظ « الإنكار » بقيمته كمؤشر بالنسبة لفرويد ينبىء باللحظة التي تبدأ فيها فكرة أو رغبة لا واعيتان بالبروز ، سواء خلال العلاج أو خارجه .

ولقد قدم فرويد ، خصوصاً في مقالته حول الإنكار Die Verneinung عام 1925) شرحاً ما وراء نفسانياً بالغ الدقة لهذه الظاهرة ، من خلال عرض ثلاث توكيدات وثيقة التضامن فيما بينها :

1 ـ « الإنكار هو وسيلة لوعي المكبوت [. . .] ؛

2 ـ « . . . إن ما يلغى ، هو فقط إحدى نتائج عملية الكبت ، أي أن المحتوى التصوري لا يصل إلى الوعي . ينتج عن ذلك نوع من القبول الفكري بالمكبوت بينما يستمر جوهر الكبت على حاله ؛

3 ـ « يتحرر الفكر من قيود الكبت بواسطة رمز الإنكار . . . »(5b) .

يبين لنا هذا العرض أن الإنكار الذي نتعامل معه في التحليل النفسي والنفي بالمعنى المنطقي والألسني (« رمز النفي ») لهما ، بالنسبة إلى فرويد ، نفس الأصل ، وهذا ما يشكل الأطروحة الأساسية لمقالته حول الموضوع .

(1) Cf. S.E., XIX, 143, n.
(2) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 285 ; S E., XIV, 186 ; Fr., 130.
(3) Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 293 ; S.E., II, 289 ; Fr., 234.
(4) Freud (S.). *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. - *a)* G.W., VII, 402 ; S.E., X, 178-9 ; Fr., 214-5. — *b)* G.W., VII, 406, n. ; S.E., X, 183, n. 2 ; Fr., 218, n. 1.
(5) Freud (S.). *Die Verneinung*, 1925. — *a)* G.W., XIV, 15 ; S.E., XIX, 239 ; Fr., 177. — *b)* G W., XIV, 12-3 ; S.E., XIX, 236 ; Fr., 175.
(6) Freud (S.). *a)* G.W., XVI, 43 ; S.E., XXIII, 257. — *b)* Cf. G.W., XVI, 49-52 ; S.E., XXIII, 262-5.

إهتمام أو (إهتمام الأنا)

Intérêt ou intérêt du moi

Eng.: Interest, Ego interest
D.: Interesse, Ichinteresse

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح في إطار ثنائيته النزوية الأولى . أي ثنائية طاقة نزوات حفظ الذات في مقابل الليبيدو أو طاقة النزوات الجنسية ■ .

برز المعنى الخاص لمصطلح « الإهتمام » الذي أشرنا إليه في التعريف ، في كتابات فرويد خلال الأعوام 1911-1914 . ومن المعلوم أن الليبيدو يدل على طاقة توظيف النزوات الجنسية ، إنما هناك في موازاة ذلك ، بالنسبة لفرويد ، طاقة توظيف نزوات حفظ الذات .

يغطي «الإهتمام» في بعض الإستخدامات ، إذا أخذ بمعنى عام قريب من معناه الدارج ، مجمل هذين النوعين من التوظيف ، ولنأخذ على سبيل المثال ذلك المقطع الذي يقدم فيه فرويد مصطلح الإهتمام : قد لا يقتصر العظامي على سحب « . . . توظيفه الليبيدي ، بل يتجاوزه إلى سحب إهتمامه بشكل عام ، أي سحب التوظيفات الصادرة عن الأنا أيضاً »(1) . لدت أطروحة يونغ (1) الذي يرفض التمييز ما بين الليبيدو «والإهتمام النفسي بشكل عام » بفرويد إلى تأكيد هذا

التعارض، خصصاً مصطلح الإهتمام للتوظيفات الصادرة عن نزوات حفظ الذات ، أو نزوات الأنا دون سواها(2) (أنظر : أنوية) .

يمكن الرجوع بصدد هذا الإستخدام النوعي إلى « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عام 1917 »(3) .

(أ) يرى يونغ أن مصطلح الإهتمام قد إقترح من قبل كلاباريد ، كمرادف لمصطلح الليبدو على وجه التحديد(4) .

(1) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia*, 1911. G.W., VIII, 307, n 3 ; S.E., XII, 70, n. 2 ; Fr., 314, n. 3.
(2) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus* 1914. G.W., X, 145-7 ; S.E., XIV, 79-81.
(3) Cf. Freud (S.). G.W., XI, 430 ; S.E., XVI, 414 ; Fr., 444.
(4) Jung (C. G.). Versuch einer Darstellung der psychoanalytischen Theorie. *Jahrbuch psa. Forsch.*, V, 1913, pp. 337 sq.

أواليات التخلص

Mécanismes de Dégagement
Eng.: Working - Off mechanisms
D.: Abarbeitungsmechanismen

■ قدم إدوار بايبرنغ هذه الفكرة عام 1946 . ورجع إليها دانيال لاجاش من بعده عام 1956 في إطار الإرصان الذي قام به للنظرية التحليلية النفسية للأنا . وذلك لتبيان حلّ الصراع الدفاعي . في العلاج خصوصاً . يقيم دانيال لاجاش تعارضاً ما بين أواليات التخلص وأواليات الدفاع : فبينما لا ترمي هذه الأخيرة إلا إلى الإختزال العاجل للتوترات الداخلية ، تبعاً لمبدأ اللذة والألم ، ترمي الأولى إلى تحقيق الإمكانات الذاتية ، حتى ولو كان ذلك من خلال زيادة التوتر . يأتي هذا التعارض من كون أواليات الدفاع - أو الإضطرارات الدفاعية - آلاتية ولا واعية ، تظل تحت سطوة العمليات الأولية ، وتنحو نحو وحدة الإدراك ، بينما تخضع أواليات التخلص لمبدأ وحدة التفكير ، وتسمح للشخص تدريجياً بالتحرر من التكرار ومن تماهياته الإستلابية ■ .

إن إدوار بايبرنغ هو الذي إقترح وصف بعض أواليات الأنا التي يستحسن تمييزها عن أواليات الدفاع ، تحت إسم أواليات التخلص ، وذلك بالإرتباط مع مفهومه عن إضطرار التكرار . ففي الواقع يتيح تكرار التجارب المؤلمة ، تبعاً لهذا المؤلف ، تحت سيطرة الأنا إختزالاً للتوترات ، أو تمثلاً تدريجياً لها : « إذ لا تهدف أواليات تخلص الأنا إلى الوصول إلى حالة من التفريغ [التصريف] ، ولا إلى إزالة خطر التوتر [الأواليات الدفاعية] ؛ بل إن وظيفتها تتلخص في الحل التدريجي للتوتر من خلال تغيير الشروط الداخلية التي تولده »(1) . ويصف بايبرنغ طرائق متنوعة من التخلص ، من مثل إنفصال الليبدو (خلال عمل الحداد) ، ومن مثل الألفة بالوضعية

المولدة للقلق ، الخ .

ولقد أشار دانيال لاجاش ، في نفس هذا المنحى الفكري ، إلى التوسيع المسرف لمفهوم أوالية الدفاع التي يستعان بها في آن معاً لتبيان الإضطرارات الآلاتية واللاواعية التي يرمي التحليل النفسي إلى تدميرها ، ولتبيان العمليات التي يطلق عليها إسم « الدفاع الناجح » والتي تهدف تحديداً إلى القضاء على هذه الاضطرارات .

يضع دانيال لاجاش فكرة أوالية التخلص في إطار التعارض الذي يقيمه ما بين الوعي وبين الأنا : إذ يمكن أن يتماهى الوعي (الأنا ـ الفاعل) بالأنا ـ الموضوع ، أو أن يستلب فيه (في حالة النرجسية) أو على العكس من ذلك يمكنه أن يموضع الأنا وبالتالي أن يتخلّص منه(2) .

رجع لاجاش إلى هذه الفكرة من جديد وطوّرها في الإرصان الإجمالي الذي قدّمه عن بنية الشخصية ؛ حيث يخصص أساليب التخلص بالرجوع إلى تجربة العلاج : « ... إذ يتم الإنتقال من التكرار المتجسد بالأفعال ، إلى الإستذكار العقلاني والمنطوق [...] ؛ ويتم الإنتقال أيضاً من التماهي الذي يختلط فيه الشخص مع مُعاشِهِ ، إلى الموضعة ، التي يبتعد بواسطتها عن هذا المُعاش ؛ والإنتقال من التفكك إلى التكامل مع إستكمال الانفصال عن الموضوع الخيالي بتغيير هذا الموضوع ؛ وكذلك الألفة مع الوضعيات الخوافية التي تحل محل التوقع القلق للوضعية الصدمية والهوامية ؛ واستبدال الصد بالضبط الواعي ، وكذلك إستبدال الخضوع بالتجربة . ولا يبطل مفعول العملية الدفاعية ؛ في كل هذه الأمثلة ، إلا بمقدار إستبدالها بعملية تخلّص »(3a) .

وهكذا إذاً نميّز نشاطاً دفاعياً للأنا في مواجهة نزوات الهو ، ونشاط تخلص للأنا في مواجهة عملياته الدفاعية الذاتية . وإذا كان من المناسب ، بالرغم من ذلك ، أن نمحض الأنا بوظائف متضادة على هذا الغرار ، فذلك لأنها تشترك في قدرتها على الإختيار والرفض(3b) .

(1) Bibring (Ed.). The Conception of the Repetition Compulsion, 1943, In *Psychoanalytic Quarterly*, XII, n° 4.

(2) Cf. Lagache (D.). Fascination de la conscience par le Moi, 1957, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, vol. 3, 33-46.

(3) Lagache (D.). La psychanalyse et la structure de la personnalité, 1958, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, vol. 6. — *a)* 34. — *b)* Cf. 34.

أواليات الدفاع

Mécanismes de défense*

Eng.: Defence mechanisms

D.: Abwehrmechanismen

■ هي أنماط مختلفة من العمليات التي يمكن للدفاع أن يتخصص فيها . وتتنوع الأواليات السائدة تبعاً لنمط الإصابة موضع البحث ، وتبعاً للمرحلة التكوينية موضع الدراسة ، وكذلك تبعاً لدرجة إرصان الصراع الدفاعي ، الخ .

هناك إجماع على القول بأن الأواليات الدفاعية تستخدم من قبل الأنا ، وهو ما يترك السؤال

النظري ، حول ما إذا كان تحريكها يفترض مسبقاً وجود أنا منظماً يدعم هذا الإستخدام ، بدون جواب نهائي ■

إستخدم فرويد مصطلح « الأوالية » منذ البداية كي يحيط بواقعة التناسق التي تبديها الظواهر النفسية ، ذلك التناسق الذي يمكن ملاحظته وتحليله علمياً ؛ ونكتفي هنا بذكر عنوان « المداخلة الأولية » التي قدمها بروير وفرويد عام 1893 وهو : « الأوالية النفسية للظواهر الهستيرية » .

وفي نفس الوقت الذي إستخلص فيه فرويد فكرة الدفاع وجعلها في أساس الظواهر الهستيرية (أنظر : هستيريا الدفاع) ، فإنه إنكب على تمييز إصابات نفاسية أخرى من خلال شكل الدفاع الخاص الذي يُمارس فيها : « . . . تصدر مختلف الإصابات العصابية عن مختلف العمليات التي ينخرط فيها « الأنا » كي يتحرر من تعارضه [مع أحد التصورات] »(1) .

وهكذا فهو يميز ما بين أواليات الإقلاب الهستيري ، وبين الإبدال الهجاسي ، وبين الإسقاط العظامي في مقالته بعنوان « ملاحظات جديدة حول حالات نفاس الدفاع عام 1896 » .

يصادف مصطلح « الأوالية » بشكل متقطع خلال كل أعمال فرويد . فمثلاً يبرز مصطلح « أوالية الدفاع » في الكتابات ما وراء النفسانية عام 1915 ، وذلك بمعنيين مختلفين إلى حد ما : إما للدلالة على « مجمل » العملية الدفاعية المميزة لأحد أشكال العصاب (2) ؛ أو لتضمينها الإستعمال الدفاعي ، لهذه أو تلك من حالات « المصير النزوي » أي : الكبت أو الإرتداد إلى الذات ، أو القلب إلى الضد(3) .

يبرر فرويد في كتابه « الصد ، العارض والقلق عام 1926 » ما يطلق عليه تعبير « إحيائه لمفهوم الدفاع القديم »(4a) ، وذلك من خلال إثارة ضرورة إمتلاكنا لفكرة جامعة تتضمن « طرائق دفاعية » أخرى إضافة إلى الكبت ، ومن خلال التأكيد على إمكانية إقامة « رباط وثيق بين أشكال خاصة من الدفاع ، وبين إصابات محددة » ، وأخيراً من خلال طرح الفرضية التي تذهب إلى أن « . . . الجهاز النفسي يستعمل قبل الإنفصال القاطع ما بين الأنا والهو ، وقبل تشكيل الأنا الأعلى ، طرائق دفاعية مختلفة عن تلك التي يستعملها بعد بلوغ هذه المراحل من التنظيم النفسي »(4b) .

حتى ولو بدا هنا أن فرويد يقلل من شأن واقعة وجود أفكار كهذه في أعماله بشكل دائم ، فمن الأكيد أن دراسة أواليات الدفاع قد أصبحت بعد عام 1926 موضوعاً هاماً من موضوعات البحث في التحليل النفسي ، وخصوصاً مع ظهور كتاب آنا فرويد الذي خصص لهذه الأواليات . تنكب هذه المؤلفة إنطلاقاً من أمثلة محسوسة على وصف تنوع ، وتعقيد ، ومدى إنتشار أواليات الدفاع ، مبينة على وجه الخصوص كيف يمكن أن يستعمل المرمى الدفاعي أكثر النشاطات تنوعاً (من هوامات ، ونشاطات ذهنية) ، وكيف يمكن أن ينصب الدفاع ليس فقط على مطالب نزوية ، ولكن أيضاً على كل ما يمكنه أن يثير تصعيداً للقلق : من إنفعالات ، ووضعيات ، ومتطلبات الأنا الأعلى ، إلخ . وتجدر الملاحظة بأن آنا فرويد لا ترمي إلى وضع نفسها لا في منظور يستنفد كل حالات الدفاع ، ولا في منظور منتظم ، وخصوصاً فيما تقدمه من تعداد لأواليات الدفاع خلال عرضها للموضوع أي لأواليات : الكبت ، والنكوص ، والتكوين العكسي ، والعزل ، والإلغاء

الرجعي ، والإسقاط ، والإجتياف ، والإرتداد على الذات ، والإنقلاب إلى الضد ، والتسامي . .
وهناك العديد من العمليات الدفاعية الأخرى التي أمكن وصفها . فآنا فرويد نفسها تشير أيضاً في هذا الإطار إلى النفي بواسطة الهوام ، والمثلنة ، والتماهي بالمعتدي ، إلخ . وتصف ميلاني كلاين ما تعتبره كدفاعات جد أولية أي : إنشطار الموضوع ، والتماهي الإسقاطي ، وإنكار الواقع النفسي ، والضبط الجبروتي للموضوع ، إلخ .

●●●

يطرح الإستخدام المعمم لفكرة أوالية الدفاع بعض الأسئلة لا محالة : فهل نكون بصدد إستعمال مفهوم إجرائي فعلاً حين ترد إلى وظيفة وحيدة عمليات جد مختلفة من مثل التبرير الذي يلجأ إلى أواليات عقلية معقدة ، والإرتداد على الذات الذي يشكل « مصير » القصد النزوي ، وهل نكون بصدد إستعمال مفهوم إجرائي فعلاً حين ندل بنفس المصطلح الدفاعي على عمليات إضطرارية حقيقة من مثل الإلغاء الرجعي وعلى البحث عن سبيل « للخلاص » الذي تتكون منه بعض حالات التسامي (أنظر أوالية التخلص) ؟
لا يهمل العديد من الكتاب ، عند الحديث عن « أواليات دفاع الأنا » الإعتراف بوجود بعض الفروق : « فإلى جانب تقنيات من مثل العزل ، والإلغاء الرجعي ، تصادف عمليات غريزية حقيقية من مثل النكوص ، والقلب إلى الضد ، والإرتداد على الذات »(5a) . يصبح من الضروري عندها أن نبيّن كيف يمكن لنفس العملية أن تنشط وظيفياً على مستويات عدة : فالإجتياف على سبيل المثال ، والذي يشكل في البداية أسلوباً من علاقة النزوة بموضوعها ، والذي يجد بدوره نموذجه الأول الجسدي في عملية الإدماج ، قد يستخدم بشكل ثانوي كدفاع من قبل الأنا (دفاعاً إهتياجياً على وجه الخصوص) .
ويتعين علينا أن لا نُهمل، في هذا الصدد، تمييزاً نظرياً أساسياً : وهو التمييز الذي يفرّق الكبت عن كل الإجراءات الدفاعية الأخرى ، وهو تمييز لم يفتْ فرويد التذكير به ، حتى بعد أن قال عن الكبت أنه حالة دفاعية خاصة(6) . ليس فقط بإعتباره يعرّف أساساً ، كما أشارت إليه آنا فرويد ، كتوظيف مضاد دائم ، ويصبح بالتالي أكثر الأواليات الدفاعية « فعالية وخطورة » في آن معاً ، وإنما أيضاً لأنه يلعب بحد ذاته وظيفة تكوينية للاوعي (أنظر : كبت) .
وأخيراً فإننا ننجرف بسهولة ، من خلال مَحْورة النظرية حول فكرة دفاع الأنا ، إلى إقامة التناقض ما بين الدفاع وبين المطلب النزوي المحض ، والذي يبدو عندها من حيث المبدأ بعيداً كلياً عن أي صيغة جدلية : « فإذا لم تمارس متطلبات الأنا أو متطلبات القوى الخارجية التي تمثل في الأنا أي ضغط ، فلن يكون للنزوة سوى مصير واحد : وهو الإشباع »(5b) .
وهذا ما يؤدي بنا إلى إعتبار النزوة قطباً إيجابياً محضاً ، لا يخضع بحد ذاته إلى أي نوع من أنواع التحريم . أولاً تتعارض أواليات العمليات الأولية بحد ذاتها (من إزاحة ، وتكثيف وخلافها) بما تتضمنه من إنبناء للنشاط النزوي ، مع مفهوم كهذا ؟

(1) Breuer (J.) et Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 181 ; S.E., II, 182 ; Fr., 96.
(2) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 283 ; S.E., XIV, 184 ; Fr., 126.
(3) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. G.W., X, 249-50 ; S.E., XIV, 147 ; Fr., 70.
(4) Freud (S.). *a)* G.W., XIV, 197 ; S.E., XX, 164 ; Fr., 93. — *b)* G.W., XIV, 197 ; S.E., XX, 164 ; Fr., 93-4.
(5) Freud (A.). *Das Ich und die Abwehrmechanismen*, 1936. Fr : *Le moi et les mécanismes de défense*, P.U.F., Paris, 1949. — *a)* 44-5. — *b)* 38-9.
(6) Cf. par exemple : Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. G.W., XVI, 80 ; S.E., XXIII, 235 ; Fr., 22.

إيروس (نفسها في الإنجليزية والألمانية) Éros

■ كان اليونانيون يدلّون بهذا المصطلح على الحب وإله الحب . ويستعمله فرويد في نظريته الأخيرة حول النزوات كي يضمنه مجمل نزوات الحياة في مقابل نزوات الموت ■ .

نحيل القارىء إلى المقالة حول : نزوات الحياة ، ونقتصرها هنا على بعض الملاحظات حول إستخدام مصطلح الإيروس كي يتضمن تلك النزوات .

الكل يعلم مدى عناية فرويد برد مفاهيمه حول النزوات ، إلى أفكار فلسفية عامة أي : التعارض «الرائج» ما بين الحب والجوع في نظريته الأولى ، والتعارض الأمبيدوقلي ما بين الحب والخصام في نظريته الثانية .

يرجع فرويد في العديد من المناسبات إلى الإيروس الأفلاطوني حيث يجد فيه فكرة شديدة القرب مما يقصده بالجنسية ؛ إذ أكد في الواقع منذ البداية على أن هذه الجنسية لا تتطابق فقط مع الوظيفة التناسلية(1) . فبعض الانتقادات التي تؤكد على أن فرويد يختزل كل شيء إلى الجنسية (بالمعنى المبتذل لهذا المصطلح) لا تصمد طويلاً ، حين يزول هذا اللبس : إذ يجدر بنا إستعمال كلمة الجنسي « . . . بالمعنى الذي يشيع فيه إستعمالها في التحليل النفسي حالياً - أي بمعنى الإيروس »(2) .

وعلى العكس من ذلك ، لم يفت فرويد الإشارة إلى سيئات إستخدام مصطلح الإيروس ، إذا كان سيؤدي إلى طمس الجنسية . وإليك هذا المقطع على سبيل المثال : « إن أولئك الذين يعتبرون الجنسية كمدعاة لخجل الطبيعة الإنسانية ، والذين يحطون من قدرها ، هم أحرار في استعمال مصطلحات الإيروس والإيروسي الأكثر رقياً . ولقد كان بإمكاني أنا نفسي تجنب الكثير من المعارضات فيما لو ذهبت نفس المذهب منذ البداية ، ولكنني لم أرد ذلك لأنه لا يسرني أن أقدم تنازلات للتخاذل . إذ لا نعلم إلى أين سيقودنا ذلك : إذ نبدأ بالتنازل على مستوى الكلمات وننتهي بالتنازل عن الشيء نفسه »(3) . ففي الواقع أن إستعمال مصطلح الإيروس يهدد بمزيد من إختزال مدى تأثير الجنسية لصالح تجلياتها المتسامية .

وإذا كان فرويد يكثر من إستعمال الإيروس كمرادف لنزوة الحياة ، إنطلاقاً من « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » فما ذلك إلا لكي يدرج نظريته الجديدة حول النزوات ضمن تقليد فلسفي

وأسطوري ذي مدى كوني (من مثل ، أسطورة أريسطوفان ، في المأدبة لأفلاطون) . وهكذا يفهم الإيروس على أنه يهدف إلى « . . . تعقيد الحياة ، من خلال تجميع المادة الحية ، المفتتة إلى جزيئات ، في وحدات أكثر إمتداداً على الدوام ، وإلى الحفاظ عليها في تلك الحالة بالطبع »(4) .

ستخدم مصطلح الإيروس عموماً للإحاطة بنزوات الجنس في نية تخمينية مقصودة ؛ ولنذكر السطور التالية على سبيل المثال : « يحوّل التخمين النظري هذا التعارض [بين النزوات الليبيدية ونزوات التدمير] إلى تعارض ما بين نزوات الحياة [إيروس] وبين نزوات الموت »(5a) .

كيف نعينّ الصلة ما بين مصطلحي الإيروس والليبدو ؟ يبدو أن فرويد يردهما إلى بعضهما البعض ، حين يقدم الإيروس في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » : « . . . يبدو أن الليبدو الخاص بنزواتنا الجنسية يتطابق مع إيروس الشعراء والفلاسفة والذي يحافظ على تماسك كل ما هو حي »(5b) . وتجدر الإشارة إلى أن كلاً من هذين المصطلحين مستعار من لغات قديمة ، ويدلان على إهتمام تنظيري يتجاوز حقل التجربة التحليلية (أ) . إنطلاقاً من هذا الواقع ، كان مصطلح الليبدو دوماً ـ وهو سيظل بعد تقديم الإيروس ـ مستخدماً في منظور إقتصادي ؛ فهو يدل على طاقة النزوات الجنسية (أنظر مثلاً هذه الكلمات الواردة في « موجز في التحليل النفسي عام1938 » : « كل طاقة الإيروس التي سنطلق عليها إبتداءً من الآن فصاعداً إسم ليبدو »)(6) .

(أ) لنذكر بهذا الصدد مقطعاً من « دراسات حول الهستيريا عام1895 » حيث يستخدم بروير مصطلح الإيروس للدلالة على قوة ذات منحى شيطاني : « توجست البنت الشابة في الإيروس قوة رهيبة ستحسم مصيرها وتقرره ، وهذا ما يدخل الرعب في نفسها »(7) .

(1) Cf. par exemple : Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, préface de 1920. G.W., V, 31-2 ; S.E., VII, 133-4 ; Fr., 11-13.

(2) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900 ; n. de 1925. G.W., II-III, 167 ; S.E., IV, 161.

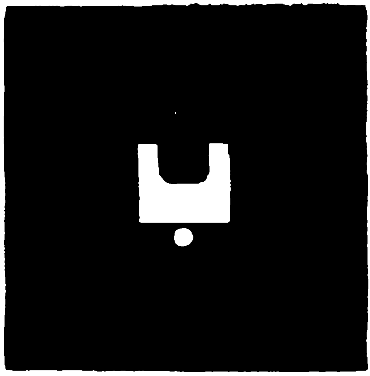
(3) Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 99 ; S.E., XVIII, 91 ; Fr., 101.

(4) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 269 ; S.E., XIX, 40 ; Fr., 196.

(5) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 66, n. ; S.E., XVIII, 61, n. ; Fr., 70, n. — *b)* G.W., XIII, 54 ; S.E., XVIII, 50 ; Fr., 58.

(6) Freud (S.). G.W., XVII, 72 ; S.E., XXIII, 149 ; Fr., 9.

(7) Breuer (J.). All., 216 ; S.E., II, 246 Fr., 199.



Substitut
Eng.: Substitute
D.: Ersatz

بديل

■ أنظر : تكوين بديل ■ .

Après-Coup (Subst., adj., adv.)
Eng.: Deffered action.
D.: Nachträglichkeit

بعدي ، مؤجل ، لاحق (إسم وصفة ، وحال)

■ يشيع إستخدام فرويد لهذا المصطلح في علاقته بمفهومه عن الزمانية والسببية النفسيين : إذ تتقّع التجارب ، والإنطباعات والآثار الذكروية لاحقاً إنطلاقاً من التجارب الجديدة ، ومن العبور إلى درجة أخرى من النمو . وقد يسبغ عليها عندها معنى جديداً وفعالية نفسية في آن معاً ■ .

إستخدام مصطلح Nachträglich متكرر وثابت ، من قبل فرويد الذي يستعمله غالباً مع التشديد عليه . كما تصادف عنده أيضاً ، ومنذ فترة مبكرة ، الصيغة الإسمية ، مما يبين أن فكرة « البعدية » تشكل بالنسبة لفرويد جزءاً من نظامه المفهومي ، حتى ولو لم يعطها تعريفاً محدداً ، أو يقدم عنها نظرية إجمالية . ولقد كان لجاك لاكان الفضل في لفت الإنتباه إلى أهمية هذا المصطلح . وتجدر الإشارة إلى أن الترجمات الفرنسية والإنجليزية لفرويد ، لا تسمح لنا بتحديد دقيق لاستعماله ، نظراً لأنها لم تعتمد له معادلاً وحيداً .

ولا نقصد في هذا المقام إقتراح نظرية في « البعدية » ، بل نكتفي بالإشارة المقتضبة إلى معناه ، وإلى أهميته في إطار المفهوم الفرويدي عن الزمانية والسببية النفسيين .

1 ـ تأتي هذه الفكرة بادىء ذي بدء كي تحول دون تأويل متسرع يختزل المفهوم التحليلي

النفسي لتاريخ الشخص ، إلى مجرد حتمية طولية لا تأخذ بعين الإعتبار سوى تأثير الماضي على الحاضر . وغالباً ما أخذ على التحليل النفسي إختزاله لمجمل الأفعال والرغبات الإنسانية إلى الماضي الطفلي ، ولقد تفاقمت خطورة هذه النزعة على الدوام مع تطور التحليل النفسي ، حيث يبالغ المحللون في العودة إلى مراحل (من الطفولة) أبعد باستمرار : إذ يحسم مصير الإنسان ، بالنسبة إليهم ، منذ الشهور الأولى من الحياة ، وحتى منذ الحياة الرحمية . . . .

بينما أكد فرويد منذ البدء على التعديل اللاحق الذي يدخله الشخص على أحداث الماضي ، هذا التعديل هو الذي يسبغ على هذه الأحداث معنى ، وفعالية ، أوحتى قدرة على توليد المرض . فهو يكتب بتاريخ 6 -12 -1896 إلى فلايس قائلاً : « . . . إنني أعمل على الفرضية القائلة بأن أواليتنا النفسية تقوم على التدرج (التنضيد) : إذ تخضع المواد الموجودة على شكل آثار ذاكرية ، من آن لآخر ، إلى عملية إعادة « تنظيم ، وإعادة تسجيل » إنطلاقاً من الشروط الجديدة »(1a) .

2 ـ وقد تؤدي بنا فكرة كهذه إلى آراء تقول بأن كل ما نصادفه من ظواهر في التحليل النفسي يقع تحت راية المفعول الرجعي ، وحتى تحت وهم المفعول الرجعي . وهكذا يتحدث يونغ عن هوامات رجعية : إذ يعيد الراشد ، تبعاً له ، تأويل ماضيه في هوامات تشكل تعبيراً رمزياً عن مشكلاته الحالية ، بقدر ما هي ترمز إلى الماضي . إن إعادة التأويل ، في هذا المنظور ، هي بالنسبة للشخص وسيلة للهروب من « متطلبات الواقع » الراهن إلى الماضي الخيالي .

وقد تثير فكرة « البعدية » أيضاً ، إنما من منظور مختلف ، مفهوماً عن الزمانية أفردت له الفلسفة المقام الأول ، وأخذته عنها الإتجاهات المختلفة في التحليل النفسي الوجودي ، يذهب هذا المفهوم إلى القول : بأن الوعي يشكل ماضيه ، وينقح معناه على الدوام تبعاً « لمشروعه » .

***

يبدو لنا مفهوم « البعدية » الفرويدية أكثر وضوحاً بما لا يقاس . ويمكن ، في تقديرنا أن نجمّع ما يميزه على الشكل التالي :

1 ـ فليس المعاش بشكل عام هو الذي ينقّح بشكل بعدي ، وإنما تنصب العملية بشكل إنتقائي على ما لم يكامل تماماً في مساق ذي دلالة ، في اللحظة التي كان يعاش فيها . يشكل الحدث الصدمي نموذجاً لمعاش من هذا النوع .

2 ـ ويتسارع التنقيح البعدي بفضل حدوث أحداث أو وضعيات أو بفضل النضج العضوي ، والتي تتيح جميعها للشخص أن يرقى إلى نمط جديد من الدلالات وأن يعيد إرصان تجاربه السالفة .

3 ـ ويعمل التطور الجنسي ، من خلال التفاوت الزمني الذي يتضمنه عند الإنسان ، على تيسير ظاهرة « البعدية » تيسيراً بيّناً .

تتجلّ هذه الآراء في العديد من النصوص التي يستعمل فيها فرويد مصطلح « بعدي Nachträglich » . وهناك نصّان يبدوان لنا الأكثر تدليلاً على ذلك .

يتساءل فرويد حين يدرس الكبت المستيري ، في « مشروع علم نفس علمي عام1895 » : لماذا ينصب الكبت على الجنسية بشكل إنتقائي ؟ وهو يبين من خلال أحد الأمثلة كيف يفترض

الكبت حدثين منفصلين بوضوح في السلسلة الزمانية . يتكون أولهما زمنياً من مشهد جنسي (غواية من قبل الراشد) ، لا يكون له وقتها معنى جنسياً بالنسبة للطفل . ويتصف الثاني ببعض أوجه الشبه مع الأول ، ولو كانت سطحية ؛ ولكن الإنفعال الجنسي ممكن هذه المرة ، بفضل إقبال البلوغ في هذا الوقت ، وهو إنفعال يربطه الشخص على المستوى الواعي بالحدث الثاني ، بينما هو يثار واقعياً من خلال ذكرى الحدث الأول . لا يستطيع الأنا أن يستخدم هنا دفاعاته السوية (من مثل التجنب بتركيز الإنتباه) ضد هذا الإنفعال الجنسي غير السار : « يتوجه الإنتباه نحو الإدراكات لأنها هي التي تساعد في العادة على التحرر من الإنزعاج . ولكن ما يطلق الانزعاج بشكل مفاجىء في هذا المقام هو الأثر الذاكري وليس الإدراك ، ولا يتنبه الأنا لذلك إلا بعد فوات الأوان »(1b) . وعندها يستخدم الأنا الكبت ، وهو أسلوب « دفاعي مرضي » حيث يتصرف تبعاً للعملية الأولية .

وهكذا نرى أن الكبت يجد هنا في « تأخر البلوغ » الذي يميز الجنسية الإنسانية تبعاً لفرويد ، شرطه العام : « لدى كل مراهق آثار ذاكرية لا يمكنه فهمها إلا بعد إقبال الأحاسيس الجنسية الفعلية »(1c) . « ويجعل ظهور البلوغ المتأخر حدوث عمليات أولية بعدية ، أمراً ممكناً »(1d) .

في هذا المنظور ، المشهد الثاني هو وحده الذي يعطي للأول قيمته المولدة للمرض : أي أن « الذكرى المكبوتة ، لم تصبح صدمية إلا بعدياً »(1c) . وهكذا ترتبط فكرة « البعدية » إرتباطاً وثيقاً بالإرصان الفرويدي الأول لفكرة الدفاع : أي نظرية الغواية .

وقد يعترض معترضٌ بأن إكتشاف الجنسية الطفلية ، الذي قام به فرويد بعد ذلك بقليل ، يجرد هذا المفهوم من أي قيمة خاصة به . نجد أفضل جواب على هكذا إعتراض في « رجل الذئاب » حيث تثار عملية البعدية نفسها على الدوام ، ولكن مع ردها إلى السنوات الأولى من الطفولة . فهي تقع في صميم التحليل الذي يقدمه فرويد عن الحلم المولد للمرض ، في علاقاته بالمشهد الأصلي : لم يفهم رجل الذئاب الجماع « . . . إلا في فترة الحلم ، أي في عمر 4 سنوات ، وليس في الفترة التي لاحظه فيها . فلقد كوّن في عمر السنة والنصف الإنطباعات التي تسنى له فهمها بشكل بعدي ، في فترة الحلم ، وذلك بفضل نموه ، وإثارته الجنسية ، وبحثه الجنسي »(2a) . يشكل الحلم ، في تاريخ هذا العصاب الطفلي ، لحظة إنفجار الخواف ، كما بينه فرويد : « . . . يعطى الحلم للإطلاع على الجماع فعالية بعدية »(2b) .

وفي العام 1917 ، أضاف فرويد مناقشتين طويلتين لحالة « رجل الذئاب » حيث أبدى إستغرابه إزاء أطروحة يونغ القائلة بالهوام الرجعي . فهو إذ يوافق على أن المشهد الأصلي ، بإعتباره يشكل نهاية عملية إعادة البناء في التحليل ، قد يكون بالفعل من صنع الشخص نفسه ، إلا أنه يتمسك بإصرار بأن الإدراك قد قدّم بعض المؤشرات على الأقل ، حتى ولو كانت هذه عبارة عن مشاهدة نكاح بين الكلاب . . . ولكنه في نفس الوقت الذي يبدو فيه وكأنه قد تراجع عن تمسكه بالسند الذي يمكنه أن يشكل أرضية واقعية لهذه المسألة ـ يظهر التدقيق أنها هشة تماماً على أي حال ـ نراه يقدم فكرة جديدة ، هي فكرة الهوامات الأصلية ، أي فكرة أساس ، أو بنية تشكل في نهاية

التحليل ، مرتكز الهوام ، متجاوزة بذلك المعاش الفردي والمتَخَيَّل ، في آن معاً (أنظر : هوامات أصلية) .

***

تبينّ النصوص التي ناقشناها تعذر إختزال مفهوم(Nachtraglich = البعدي) الفرويدي إلى فكرة « الفعل المؤجل » ، إذا كنا نقصد بها مجرد فاصل زمني متفاوت في طوله راجع إلى أثر التراكم ، ما بين الإثارات والإستجابة . إذ تبيح الترجمة المعتمدة بتعبير « الفعل المؤجل » في (Standard edition = الطبعة المعيارية) الإنجليزية هكذاتأويل. يستندناشرو « الطبعة المعيارية »(2b) فيا ذهبوا إليه في ترجمتهم ، على مقطع من « دراسات حول الهستيريا لعام1895 » . حيث يتكلم فرويد بصدد هستيريا الامساك Retention ، عن « تخلص لاحق من الصدمات المتراكمة »(3a) خلال فترة من الزمن. قد تُفهم« البعدية » هنا للوهلة الأولى ، وكأنها تفريغ مؤجل ، إنما تجدر الملاحظة أن المسألة بالنسبة لفرويد تتعلق بعملية إرصان حقيقية ، « بعمل تذكري » لا يمكن إعتباره مجرد تفريغ لتوتر متراكم ، بل هو جملة معقدة من العمليات النفسية حيث يقول : « في كل يوم ، تستعرض [المريضة] كل تعبير ، فتبكي بصدده ، ونعود فتواسي نفسها ، كما يطيب لها ، إذا جاز لنا القول . . . »(3b) . من الأفضل ، في تقديرنا ، أن نوضح مفهوم التصريف ، بواسطة مفهوم « البعدية » ، من أن نختزل هذه « البعدية » إلى نظرية إقتصادية ضيقة في التصريف .

(1) FREUD (S.) *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 185 ; Angl., 173 ; Fr., 129. — *b)* All., 438 ; Angl., 416 ; Fr., 369. — *c)* All., 435 ; Angl., 413 ; Fr., 367. — *d)* All., 438 ; Angl., 416 ; Fr , 369. — *c)* All., 435 ; Angl., 413 ; Fr., 366.

(2) FREUD (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918 (1914). — *a)* G.W., XII, 64, n. 4 ; S.E., XVII, 37-8, n 6 ; Fr., 350, n. 3. — *b)* Cf. G.W., XII, 144 ; S.E., XVII, 109 ; Fr., 409. — *c)* G.W., XII, 72 n. ; S.E , XVII, 45 n. ; Fr., 356 n.

(3) FREUD (S.). *a)* G.W., I, 229 ; S.E , II, 162 ; Fr., 129. — *b)* G.W., I, 229 ; S.E., II, 162 ; Fr., 129

بقايا نهارية

Restes diurnes
Eng.: Day's residues
D.: Tagesreste

■ إنها تبعاً للنظرية التحليلية النفسية للحلم ، عناصر من حالة اليقظة في اليوم السابق ، تصادف من جديد في رواية الحلم وفي التداعيات الحرة للحالم ؛ وهي على إرتباط قريب أو بعيد مع الرغبة اللاواعية التي تتحقق في الحلم . ويمكننا أن نجد كل الحالات الوسيطة ما بين حالتين متطرفتين : أي الحالة التي يبدو فيها وجود أمثال هذه البقايا النهارية مبرراً ، على الأقل في التحليل الأولي ، بإنشغالات أو برغبة من الأمسية السابقة ؛ والحالة التي تختار فيها عناصر نهارية عديمة المعنى ظاهرياً ، إنطلاقاً من صلتها الترابطية مع رغبة الحلم ■ .

يبدو أن العناصر التي تصادف في معظم الأحلام تشتق ، تبعاً لمفهوم تقليدي جرت مناقشته في

الفصل الأول من « تأويل الأحلام عام1900 » ، من الحياة في الأيام الماضية . إلا أن العديد من الكتاب لاحظوا أن العناصر التي تبرز في الحلم لا تمت دوماً إلى أحداث وإهتمامات ذات شأن ، بل تتعلق بتفاصيل تافهة ظاهرياً .

يعود فرويد إلى هذه الوقائع ولكن مع إعطائها معنى جديداً من خلال إدماجها في نظريته التي تجعل من الحلم تحقيق رغبة لا واعية . وبالإمكان تحديد طبيعة ووظيفة مختلف البقايا النهارية بالرجوع إلى الأطروحة الأساسية القائلة بأن طاقة الحلم تكمن في الرغبة اللاواعية .

فقد يتعلق الأمر برغبات أو إنشغالات متنوعة عرضت للشخص خلال يقظته ، وعادت فبرزت في الحلم ؛ وتظهر مشكلات اليقظة هذه على الأغلب ، في الحلم على شكل مُزَاحٍ ورمزي . وتخضع البقايا النهارية لأواليات عمل الحلم على قدم المساواة مع كل أفكار الحلم . وعندها تلعب البقايا النهارية ، تبعاً لتشبيه شهير قال به فرويد ، دور « مقاول » الحلم ، إذ تنشط كمحرض (وتستطيع الإنطباعات الجسدية خلال النوم أن تلعب دوراً مشابهاً) . ولكن ، حتى في هذه الحالة ، لا يمكن تفسير الحلم تماماً إلا من خلال تدخل الرغبة اللاواعية التي تقدم قوة النزوات ، أي « رأس المال » . لا يمكن للرغبة الواعية ، في تقديري ، أن تثير حلماً ما ، إلا إذا تمكنت من إيقاظ رغبة أخرى ، لاواعية ، تتناغم معها وتعززها »(1a) .

وقد يصل الأمر حد إستغناء الصلة ما بين البقايا النهارية والرغبة اللاواعية عن وساطة الإنشغال الحالي : فعندها لا تكون البقايا النهارية سوى عناصر ، وإشارات تستعملها الرغبة اللاواعية . في هذه الحالة يصبح المظهر الإعتباطي لإختيارها أكثر جلاءً . ما هي إذاً وظيفتها في هذه الحالة ؟ بالإمكان تلخيصها كالتالي :

أ ـ يُعطل الحلم ، من خلال إختيارها ، عمل الرقابة . إذ تعبر المحتويات المكبوتة عن نفسها ، تحت غطاء هذا المظهر الذي لا دلالة له ؛

ب ـ كما أنها قابلة للدخول في إرتباطات مع الرغبة الطفلية ، أكثر من الذكريات المحمّلة بالاهتمام والتي تمت مكاملتها نتيجة لذلك في مركبات غنية من الترابطات ؛

جـ ـ يظهر أن طابعها الراهن يجعلها أكثر تفضيلاً في نظر فرويد الذي يثير فكرة « التحويل » كي يبرر تواجد « الأحداث الراهنة » في أي حلم . « لا تقتصر البقايا النهارية على الإستعانة باللاوعي بعض الشيء ـ أي الإستعانة بقوة النزوة الموضوعة بتصرف الرغبة المكبوتة ـ حين تتمكن من الإسهام في تكوين الحلم ؛ بل هي تقدم أيضاً للاوعي شيئاً لا غنى عنه ، ونعني به ، نقطة الإرتكاز الضرورية للتحويل »(1b) . تتأكد أهمية الحاضر في الحلم من خلال واقعة عثورنا فيه غالباً ، على بقايا من نفس النهار الذي يسبقه .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 558 ; S.E., V, 553 ; Fr., 454. — *b)* G.W., II-III, 569 ; S.E., V, 564 ; Fr., 462.

بُنيان ، تركيب

Construction
Eng.: Construction
D.: Konstruktion

■ يقترح فرويد هذا المصطلح للدلالة على قيام المحلل بإرصان المادة التحليلية بشكل أوفى وأوسع مدى من التأويل . ويكرس هذا الإرصان أساساً لإعادة بناء جزء من تاريخ الشخص الطفلي في جوانبه الحقيقية والهوامية في آن معاً ■ .

قد يكون من العسير ، وربما من غير المرغوب فيه ، الإحتفاظ بالمعنى الضيق لمصطلح البنيان الذي يمحضه إياه فرويد في مقالته بعنوان « البنيانات في التحليل عام1937 » . يهدف فرويد قبل أي شيء آخر في مقالته هذه إلى الإشارة إلى صعوبة بلوغ الهدف المثالي للعلاج ، أي الوصول إلى إستذكار كامل ورفع ستار النسيان الطفلي : وهكذا يجد المحلل نفسه يقوم بإرصان بنيانات حقيقية يطرحها على المريض مما يؤدي في الحالات الناجحة (حين يكون البنيان مضبوطاً ويطرح على المريض في اللحظة التي يكون فيها مستعداً لتقبله) إلى إمكانية إحياء الذكرى المكبوتة أو أجزاء منها(1) . يتمتع البنيان بفعالية علاجية ، تبعاً لفرويد ، حتى في غياب ذلك التأثير (أي إحياء الذكرى) : « يغلب أن لا يحالفنا النجاح في دفع المريض إلى تذكر المكبوت . فإذا قُدْنا التحليل بشكل صحيح ، نحصل عنده ، عوضاً عن ذلك أي (عن إستعادة الذكرى) على قناعة ثابتة بحقيقة البنيان ، وتتمتع هذه القناعة بنفس التأثير العلاجي الذي تتمتع به الذكرى المستعادة »(2) .

***

لا يمكن أن تردّ الفكرة ذات الأهمية الخاصة التي يتضمنها مصطلح البنيان ، إلى الإستخدام شبه الفني الذي يقول به فرويد في مقالته عام1937 . حيث نقع في أعماله على العديد من الإشارات التي تشهد بأن مصطلح البنيان،وتنظيم المادة (التحليلية) حاضر رأساً وعلى أكثر من وجه . فمنذ اللحظة التي إكتشف فيها فرويد اللاوعي ، نجده يصفه كتنظيم يفترض في العلاج أن يسمح بإعادة بنائه . فالواقع أن « . . . مجمل كتلة المادة المولدة للمرض الممتدة مكانياً في خطاب المريض يشدّها شق ضيق ، وتتصل بالتالي إلى الوعي وكأنها مجزأة إلى قطع أو إلى شرائط . ومن مهمة المعالج النفسي أن يعيد تركيب التنظيم المفترض ، إنطلاقاً من ذلك ، على غرار تركيب إحدى ألعاب الألغاز »(3) .

يجهد فرويد في إستعادة تركيب التطور الكامل لأحد الهوامات في كتابه « طفل يُضرب عام 1919 » ، فبعض مراحل هذا التطور، تفلت بطبيعتها من الذاكرة،ولكن هناك منطق داخلي حقيقي (للهوام) يجعل من الضروري إفتراض وجودها وإعادة بنائها .

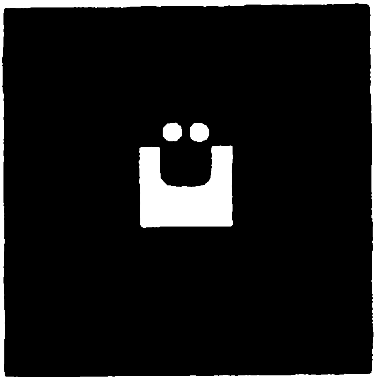
وعلى وجه العموم ، لا يمكن القول فقط ببنيان يقوم به المحلل أو يتم خلال العلاج : إذ يفترض المفهوم الفرويدي للهوام أن هذا الأخير هو نفسه أسلوب من الإرصان يقوم به الشخص ويجد له مرتكزاً جزئياً في الواقع ، كما يوضحه جيداً وجود « نظريات » جنسية طفلية . وفي نهاية

المطاف يثير مصطلح البنيان كل مشكلة البنى اللاواعية ومشكلة إعادة البناء بواسطة العلاج .

(1) Cf. Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 103-4 ; S.E., XXIII, 178 ; Fr., 46-7.

(2) Freud (S.). *Konstruktionen in der Analyse*, 1937. G.W., XVI. 53 ; S.E., XXIII, 265-6.

(3) Freud (S.). *Zur Psychotherapie der Hysterie*, in *Studien uber Hysterie*, 1895. G.W., I, 296 ; S.E., II, 291 ; Fr., 236.



تأويل ، تفسير

Interprétation
Eng.: Interpretation
D.; Deutung

■ أ - هو إستخلاص المعنى الكامن في أقوال وتصرفات الشخص بواسطة الإستقصاء التحليلي . يوضح التأويل أساليب الصراع الدفاعي ويستهدف في نهاية المطاف الرغبة التي تتفصح في كل إنتاجات اللاوعي .

ب - وأما في العلاج ، فالتأويل هو إعلام للشخص يرمي إلى جعله يقف على هذا المعنى الكامن ، تبعاً للقواعد التي تمليها إدارة العلاج وتطوره ■ .

التأويل هو في صلب المذهب والتقنية الفرويديين. وبالإمكان تعيين التحليل النفسي بالتأويل ، أي بكشف المعنى الكامن للمادة (العيادية) .
ولقد شكل موقف فرويد من الحلم المثل الأول للتأويل ونموذجه . إذ كانت النظريات « العلمية » للحلم تحاول تفسيره كظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ، من خلال القول بإنخفاض النشاط النفسي ، وبتراخي التداعيات ؛ ولقد عرفت بعض هذه النظريات الحلم كنشاط نوعي ، إنما لم تُقدِمْ أي منها على أخذ محتواه بعين الإعتبار ، ومن باب أولى على أخذ الصلة القائمة بين الحلم وبين التاريخ الشخصي للحالم كذلك بعين الإعتبار . وعلى العكس من ذلك ، لا تهمل طرائق التأويل من نمط « مفتاح الرؤى » (أي العصور القديمة ، والشرق) محتوى الحلم وتقر بمعنى له . ويصرح فرويد ، بهذا المعنى عن إنتمائه إلى هذا التقليد . ولكنه يضع كل التركيز على الإنغراس الفريد للرمزية في الشخص بحد ذاته ، مما يجعل طريقته تتحول ، بهذا المعنى ، عن مفاتيح الرؤى(1a) .

يستخلص التأويل تبعاً لفرويد معنى الحلم كما يتشكل في « المحتوى الكامن » الذي تفضي إليه التداعيات الحرة ، إنطلاقاً من الرواية التي يقدمها الحالم (أي المحتوى الظاهر) . ويستهدف التأويل في نهاية المطاف الرغبة اللاواعية والهوام الذي تتجسد فيه .

ولا يقتصر مصطلح التأويل بالطبع على الحلم الذي يشكل الإنتاج الرئيسي للاوعي . إذ أنه ينطبق أيضاً على إنتاجات اللاوعي الأخرى (من مثل الهفوات ، والأعراض ، إلخ . . .) ، وعلى كل ما يحمل علامة الصراع الدفاعي في قول الشخص وسلوكه بشكل عام .

***

يشكل التأويل المُبَلَّغ الأسلوب الأكثر إمتيازاً لعمل المحلل ، كما أن مصطلح التأويل يحمل فنياً أيضاً ، حين يستخدم بمفرده ، معنى التأويل المُبَلَّغ للمريض .

ولقد كان التأويل ، بهذا المعنى الفني ، حاضرا منذ بدايات التحليل النفسي . إلا أنه تجدر الملاحظة أن التأويل لم يكن قد ظهر بعد في مرحلة « دراسات حول الهستيريا عام1895 » باعتباره الأسلوب الأساسي للعمل العلاجي (حتى أننا لا نصادف هذا المصطلح في ذلك النص) ، ذلك أن الغاية الأساسية كانت في حينها تتلخص باستعادة الذكريات المرضية اللاواعية .

وقد أصبح التأويل الأسلوب الأساسي للعمل منذ بداية تحديد التقنية التحليلية النفسية . وهكذا أدمج التأويل في دينامية العلاج كما توضحه لنا المقالة حول « إدارة تأويل الأحلام في التحليل النفسي عام1911 » : « أنا أتبنى إذاً الموقف القائل بأن تأويل الأحلام لا يجب أن يمارس كفن قائم بذاته ، أثناء العلاج التحليلي ، بل يجب أن تظل إدارته خاضعة للقواعد التقنية التي يجب أن تحكم مجمل العلاج »(2) . إن أخذ هذه « القواعد التقنية » بعين الإعتبار هو الذي يجب أن يحكم المستوى (المتفاوت في « عمقه ») للتأويلات المحتملة ، وغطها (أي تأويل المقاومات ، والنقلة . . الخ) . وترتيبها .

إلا أننا لا نرمي هنا إلى معالجة المشكلات الخاصة بالتأويل ، والتي سبق أن كانت موضوعاً للعديد من المناقشات التقنية من مثل مناقشة : محكات التأويل ، شكل صياغته ، مدى ملاءمته ، « مستوى عمقه » وترتيبه ، إلخ (ا) - سنقتصر فقط على الإشارة إلى أن التأويل لا يغطي مجمل « مداخلات » المحلل في العلاج (من مثل التشجيع على الكلام ، والطمأنة ، وتفسير أوالية أو رمز ما ، والإيعاز ، وتقديم التراكيب ، إلخ) ، مع أن هذه كلها قد تأخذ قيمة تأويلية ضمن الوضعية التحليلية .

***

تجدر الإشارة من وجهة نظر مصطلحية ، إلى أن مصطلح التأويل الفرنسي Interpretation لا يستوعب تماماً المصطلح الألماني Deutung . إذ يغلب على المصطلح الفرنسي توجيه الذهن نحو ما يتضمنه المعنى المعطى لحدث أو لكلام ما من بعد ذاتي ، وحتى قسري أو إعتباطي . بينما يبدو الـ Deutung أقرب إلى التفسير والتوضيح ولا يتضمن بنفس القدر ، بالنسبة للوعي اللساني المشترك ، تلك الدلالة السالبة التي قد يتخذها المصطلح الفرنسي (ب) . إذ يتمثل Deutung حلم معين ، كما يكتب فرويد في تحديد معناه(1b) .

على أنه لم يفت فرويد على أي حال الإشارة إلى القرابة ما بين التأويل بالمعنى التحليلي للكلمة ، وبين العمليات العقلية الأخرى التي يتجلى فيها نشاط تأويلي .

وهكذا يشكل الإرصان الثانوي من قبل الحالم ، « تأويلاً أولياً » يرمي إلى إضفاء قدر من التماسك على العناصر التي ينتهي إليها عمل الحلم : « . . . إذ تخضع بعض الأحلام في أساسها ذاته لعملية إرصان تقوم بها وظيفة نفسية شبيهة بالفكر المتيقظ ؛ تبدو هذه الأحلام وكأن لها معنى ، إنما هذا المعنى هو أبعد ما يكون عن دلالة الحلم [. . .] . نحن هنا بصدد أحلام سبق لها أن أوّلت إذا جاز القول ، قبل أن نخضعها للتأويل ، في حالة اليقظة »(1c) . يعامل الشخص محتوى الحلم في الإرصان الثانوي بنفس الطريقة التي يعامل بها أي محتوى إدراكي لم يسبق له مثيل. أي : من خلال رده إلى ما سبقت معرفته وذلك بواسطة بعض « تصورات التوقع »(3) . كما يشير فرويد أيضاً إلى العلاقات التي توجد ما بين التأويل العظامي (أو تأويل الإشارات في التطيّر) وبين التأويل التحليلي(4a) . فكل شيء يقبل التأويل في نظر العظامي : « . . . فهم يعطون أكبر الدلالات للتفاصيل التافهة التي نتجاهلها عادة في سلوك الآخرين ، إنهم يأولون في العمق مستخلصين إستنتاجات ذات مرامٍ كبرى(4b) . ويبدي العظاميون في تأويلاتهم لسلوك الآخرين ، قدراً أكبر بكثير من القدرة على سبر الأغوار مما يبديه الشخص العادي . ويقابل صفاء الرؤ ية الكبير الذي يبديه العظامي تجاه الآخر ، تعامٍ مطبق عن لاوعيه الذاتي .

(أ) يمكن للقارىء أن يسترشد بصدد هذه المشكلات بكتاب إدواردجلوفر بعنوان « تقنية التحليل النفسي في طبعته الفرنسية عام1958 » وخصوصاً بالرجوع إلى الإستقصاء الذي قام به هذا المؤلف بين المحللين النفسيين .

(ب) تجدر الملاحظة على أي حال إلى أن الطب العقلي الألماني لا يشير مطلقاً إلى الهذيان العظامي كهذيان تأويل .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* Cf. chap. Ier et début du chap. II. — *b)* Cf. G.W., II-III, 100-1 ; S.E., IV, 96 ; Fr., 78. — *c)* G.W., II-III, 494 ; S.E., V, Fr., 365.
(2) Freud (S.). G.W., VIII, 354 ; S.E., XII, 94 ; Fr., 47.
(3) Cf. Freud (S.). *Über den Traum*, 1901. G.W., II-III, 679-80 ; S.E., V, 666.
(4) Cf. notamment : Freud (S.). *Zur Psychopathologie des Alltagslebens*, 1901. — *a)* G.W., IV, 283-9 ; S.E., VI, 254-60 ; Fr., 294-300. — *b)* G.W., IV, 284 ; S.E., VI, 255 ; Fr., 295.

تأويل روحاني

Anagogique (interprétation-)

Eng.: Anagogic interpretation
D.: Anagogische deutung

■ يستخدم سيلبرر هذا المصطلح ويعني به : أسلوب في تأويل التكوينات الرمزية (من أساطير ، وأحلام ، إلخ) يستجلي دلالاتها الأخلاقية الكونية . وبما أنه يوجد الرموز نحو « المثل العليا »، فهو يتعارض إذاً مع التأويل التحليلي الذي يختزل الرموز الى محتواها الخاص ،والجنسي .

تنتمي فكرة التأويل الروحاني (من اليونانية = رفع إلى أعلى) إلى اللغة اللاهوتية ، حيث تدل على التأويل « الذي يرتفع من المعنى الحرفي إلى معنى روحاني » (معجم Littré) . يبدو هذا

التأويل على أنه أرقى مراحل فكر سيلبرر حول الرمزية . ولقد وسعه في « مشكلات التصوف ورمزيته عام1914 » . يجد سيلبرر في الحِكَمْ ، والطقوس ، والأساطير ، إلخ . . ، حتم مزدوج : فنفس الرمز الذي يمثل في التحليل النفسي موت الأب على سبيل المثال ، يؤ ول روحانياً كـ « موت آدم الشيخ » فينا(1a) . يلتقي هذا التعارض مع ذاك القائم ما بين « الظاهرة المادية » و« الظاهرة الوظيفية » (أنظر هذا المصطلح) بالمعنى الموسع الذي إنتهى سيلبرر بإعطائه لها .

يرتد الفرق بين « الوظيفي » و« الروحاني » فقط إلى كون « . . . الظاهرة الوظيفية الحقّة تصف الحالة أو العملية النفسية الحالية ، بينما يبدو أن الصورة الروحانية تشير إلى حالة أو عمليةبحاجة لأن تعاش»(1b) . وهكذا يبدو أن التأويل الروحاني ينحو نحو تكوين رموز وظيفية جديدة أكثر فأكثر كونية ، وتمثل المشكلات الأخلاقية الكبرى للروح الإنسانية . ويعتقد سيلبرر على كل حال أنه يقع على تطور كهذا في الأحلام خلال العلاج التحليلي النفسي(1c) .

ولقد انتقد كل من فرويد وجونز هذا المفهوم . فلا يرى فرويد في التأويل الروحاني إلا عودة إلى الأفكار السابقة على التحليل النفسي التي ترى المعنى النهائي للرموز فيما هو في الواقع مجرد إشتقاق عنها بواسطة التكوين العكسي والتبرير ، الخ(2) . ويقرّب جونز التأويل الروحاني من المعنى « التنبؤ ي » الذي يمحضه يونغ للرمزية : « من المتفق عليه أن الرمز هو تعبير عن جهد يرنو إلى مثل أعلى خلقي رفيع ، ونظراً لقصور هذا الجهد عن إدراك هذا المثل الأعلى ، فإنه يتوقف عند الرمز ؛ إنما يُفترض ، أن المثل الأعلى الأخير يظل ضمنياً في الرمز ، ويجد تعبيره الرمزي فيه »(3) .

(1) Cf. Silberer (H.). *Probleme der Mystik und ihrer Symbolik*, Hugo Heller. Vienne et Leipzig, 1914. — *a)* 168. — *b)* 155. — *c)* 153.
(2) Cf. Freud (S.). *Traum und Telepathie*, 1922. G.W., XIII, 187 ; S.E., XVIII, 216.
(3) Jones (E.). *The Theory of Symbolism*, 1948. In *Papers on Psycho-Analysis*, Bailliere, Londres, 5e éd., 1950, 136. (Cf. pour la critique de l'ensemble de la théorie de Silberer, tout le chap. IV.)

تأويل مضاعف

Surinterprétation
Eng.: Over-interpretation
D.: Überdeutung

■ إستخدم فرويد هذا المصطلح بصدد الحلم في أكثر من مناسبة للدلالة على تأويل ثانوي يبرز بعد أن أمكن تقديم تأويل أول متماسك وكامل ظاهرياً . يجد التأويل المضاعف مُبرِّرَه الأساسي في ظاهرة الحتم المضاعف■ .

يتساءل فرويد في بعض مقاطع كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » ، حول ما إذا كان بالإمكان فعلاً إعتبار تأويل حلم ما كاملاً حقاً . ولنقتطف هذه السطور على سبيل المثال : « سبق أن سنحت لي الفرصة للإشارة إلى أنه ليس بالإمكان مطلقاً التأكد من أن الحلم قد تم تأويله كاملاً . حتى ولو بدا الحل مرضياً وبدون ثغرات، فهناك دوماً إمكانية لأن يكون للحلم رغم ذلك معنى

آخر »(1a) .

يتحدث فرويد عن التأويل المضاعف في كل الحالات التي يمكن فيها أن يضاف تأويل جديد إلى تأويل (سابق) يتمتع بتماسكه وقيمته الخاصة ؛ إنما يظهر اللجوء إلى فكرة التأويل المضاعف في سياقات متباينة نسبياً .

يجد التأويل المضاعف تبريره في تراكم طبقات الدلالة . وتصادف في النصوص الفرويدية ، أوجه مختلفة لتصور هكذا تراتب .

وهكذا فمن الممكن الحديث عن التأويل المضاعف ، بمعنى عام وسطحي بالتأكيد ، منذ اللحظة التي تسهم فيها تداعيات جديدة من قبل المفحوص في توسيع نطاق المادة التحليلية ، مما يخوّل المحلل القيام بمقاربات جديدة . يتصل التأويل المضاعف هنا بزيادة المادة التحليلية .

أما بالمعنى الأكثر دقة ، فإن التأويل المضاعف هو على صلة بالمعنى ، حيث يصبح مرادفاً لتأويل أكثر « عمقاً » . إذ يتدرج التأويل ، في الواقع ، على مستويات مختلفة بدءاً من الإكتفاء بجلاء أو توضيح تصرفات أو عروض الشخص وانتهاءً بالتأويل الذي ينصبّ على الهوام اللاواعي .

إنما ما يبرر إمكانية ، أو حتى ضرورة التأويل المضاعف للحلم ، هي الأواليات الفاعلة في تكوينه ، وأخصها التكثيف : حيث يمكن لصورة واحدة أن تحيلنا إلى سلسلة من « مجاري الأفكار اللاواعية » . ومما لا شك فيه أنه يجب الذهاب أبعد من ذلك والقبول بأن حلماً واحداً قد يكون تعبيراً عن عدة رغبات . « يبدو غالباً أن للأحلام أكثر من معنى . إذ قد لا تنضم فيه عدة تحقيقات للرغبة جنباً إلى جنب [. . .] فقط ، بل قد يغطي أيضاً معنى أو تحقيق للرغبة معنى آخر (أكثر عمقاً) ، وصولاً إلى الوقوف في أعمق المستويات على تحقيق رغبة من الطفولة الأولى »(1b) .

ويمكن التساؤل حول ما إذا كانت هذه الرغبة النهائية تشكل حداً أخيراً ، لا يمكن تجاوزه ، ولا يخضع لأي تأويل مضاعف . وقد يكون ذلك هو ما أشار إليه فرويد من خلال صورة « سرة الحلم » ، في مقطع شهير من « تأويل الأحلام » حيث يقول : « نضطر غالباً ، حتى في أحسن الأحلام تأويلاً ، أن نترك نقطة في الظل ، إذ نلاحظ خلال التأويل ظهور عقدة مكثفة من أفكار الحلم لا تقبل التوضيح ، رغم أنها لا تحمل أي إسهام جديد لمحتوى الحلم . تلك هي سرّة الحلم ، أي النقطة التي يرتكز فيها الحلم على المجهول . تبقى أفكار الحلم ، التي نتوصل إليها أثناء التأويل ، بالضرورة بدون نهاية ، وتتشعب في كل إتجاه في شبكة عالمنا الذهني المعقدة . وهكذا تبرز رغبة الحلم أمام ناظرينا من إحدى النقاط الأكثر كثافة من هذا النسيج المتشابك كما ينبت الفطر من جرثومته »(1c) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 285 ; S.E., IV, 279 ; Fr., 208. — *b)* G.W., II-III, 224 ; S.E., IV, 214 ; Fr., 166. — *c)* G.W., II-III, 530 S.E., V, 525 ; Fr., 433.

تاناتوس (نزوة الموت) Thanatos

Eng.: Thanatos
D.: Thanatos

■ يستخدم هذا المصطلح اليوناني (ويعني الموت) أحياناً للدلالة على نزوات الموت ، في مقابل مصطلح الإيروس (أي نزوات الحياة) ؛ يؤكد إستخدامه على الطابع الجذري للثنائية النزوية من خلال إعطائها معنى شبه أسطوري ■ .

لا يُصادف مصطلح تاناتوس في كتابات فرويد ، إنما كان فرويد يستخدمه أحياناً في أحاديثه ، كما يروي لنا جونز . وكان فدرن هو من أدخله في الأدبيات التحليلية .

ومن المعروف أن فرويد إستخدم مصطلح الإيروس في إطار نظريته حول نزوات الحياة ونزوات الموت . وكان يرجع في هذا إلى الميتافيزيقا والأساطير القديمة لإدراج تأملاته النفسانية والإحيائية في مفهوم ثنائي أوسع مدى . يطابق فرويد نظريته الخاصة مع التعارض الذي قال به إمبيدوقليس ما بين (الحب) و(الخصام) في موضعين إثنين أساساً هما الفصل السادس من كتاب « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 »(2) والقسم السابع من مقالته « التحليل المتهي والتحليل اللا متهي عام 1937 » : « يتعادل مبدآ أميدوقليس الأساسيين « الحب والخصام » في الاسم والوظيفة على حد سواه ، مع ما نقول به من نزوات أصلية ، أي الإيروس والتدمير »(3) .

يصعّد إستخدام مصطلح تاناتوس طابع المبادىء العالمية الذي يكتسبه النوعأن الكبيران من النزوات ، في آخر مفهوم فرويدي لهما .

(1) Cf. Jones (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, 1957, vol. III. Hogarth Press, Londres, 295.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 23-34 ; S.E., XVIII, 22-33 ; Fr., 26-38.
(3) Cf. Freud (S.). G.W., XVI, 93-6 S.E., XXIII, 247 50 ; Fr., 32-35.

تبرير Rationalisation

Eng.: Rationalization
D.: Rationalisierung

■ هي عملية يحاول الشخص من خلالها إضفاء تفسير متماسك من وجهة نظر منطقية ، أو مقبول من وجهة نظر خلقية ، لموقف ، أو فعل ، أو فكرة ، أو شعور ، إلخ . تغرب دوافعها الحقيقية عن باله ؛ ويجري الحديث بشكل أكثر تحديداً عن تبرير عارض . أو إضطرار دفاعي ، أو تكوين عكسي . ويتدخل التبرير أيضاً في الهذيان مؤدياً إلى إنتظامه بدرجات متفاوتة في رسوخها ■ .

أدخل أرنست جونز هذا المصطلح في الإستخدام التحليلي النفسي الشائع ، في مقالته بعنوان

« التبرير في الحياة اليومية عام 1908 » .

والتبرير عملية جد شائعة ، تغطي مجالاً يتراوح ما بين الهذيان والتفكير السوي . فكل تصرف يمكن أن يكون قابلاً لتفسير عقلاني ، وغالباً ما يصعب تقرير إذا ما كان هذا التفسير يشكو من بعض البطلان . ونجد ، في العلاج التحليلي النفسي على وجه الخصوص ، كل الحالات الوسيطة ما بين حدين متطرفين : فمن السهل ، في بعض الحالات ، أن نبيّن للمريض ، الطابع المصطنع للدوافع التي يقول بها ، وبالتالي أن نحضّه على عدم الإكتفاء بها ؛ أما في الحالات الأخرى ، فقد تكون العلل العقلانية متينة بشكل خاص (إذ يعرف المحللون المقاومات التي قد تتخفى وراء « المزاعم الواقعية ») ولكن حتى في مثل هذه الحالة قد يكون مفيداً « تعليقها مؤقتاً » بغية إكتشاف الإرضاءات أو الدفاعات اللاواعية التي تضاف إليها .

نصادف ، كأمثلة على الحالة الأولى ، تبريرات لأعراض عصابية أو شاذة (من مثل تعليل السلوك الجنسي المثلي الذكري بالتفوق العقلي والجمالي للرجل) ، وكذلك تبريرات لإضطرارات دفاعية (من مثل تعليل طقوس الطعام بالحرص على النظافة والصحة) .

أما في حالة سمات الطبع ، أو التصرفات المتكاملة جداً في الأنا ، فمن الأصعب أن نجعل الشخص يدرك الدور الذي يلعبه التبرير .

ولا يدرج التبرير عادة بين أوليات الدفاع ، رغم وظيفته الدفاعية الصارخة . وذلك لأنه لا يتوجه مباشرة ضد الإشباع النزوي ، بل يقوم على الأحرى بتمويه ثانوي لمختلف عناصر الصراع الدفاعي . وهكذا فقد يحدث أن تُبرَّر الدفاعات ، والمقاومات في التحليل ، وكذلك التكوينات العكسية ذاتها . ويجد التبرير أسانيد متينة في العقائد المكتملة ، وفي الأخلاق الشائعة ، والدين والقناعات السياسية إلخ ، إذ يأتي فعل الأنا الأعلى هنا كي يعزز دفاعات الأنا .

ويقارب التبرير من الإرصان الثانوي الذي يخضع صور الحلم لسيناريو متماسك .

وبهذا المعنى المحدود فقط يتعين علينا ، تبعاً لفرويد ، إفساح المجال لتدخل التبرير في تفسير الهذيان . إذ ينكر عليه فرويد ، في الواقع ، وظيفة توليد الموضوعات الهذيانية(1) ، معارضاً بذلك المفهوم التقليدي الذي يرى في التفلج مثلاً تبريراً لهذيان الإضطهاد أي (« لا بد أن أكون شخصاً عظيماً كي استحق أن أضطهد من قبل أناس على هذا القدر من القوة ») .

ويقترب مصطلح العقلنة من مصطلح التبرير ، إلا أنهما يجب أن يميزا عن بعضهما البعض .

(1) Cf. Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen uber einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides).* G.W., VIII, 248 S.E., XII, 48-9; Fr., 296.

تثبيت ، تثبث Fixation

Eng.: Fixation
D.: Fixierung

■ هو واقعة تعلق الليبدو المفرط بأشخاص معينين أو صور هوامية معينة وإعادة إنتاج أسلوب ما من الإشباع . والبقاء في تنظيمه تبعاً للبنية المميزة لإحدى مراحله التطورية . وقد يكون التثبيت صريحاً وراهناً ، أو هو يشكل إمكانية غالبة تفتح أمام الشخص طريق النكوص .

تُفهم فكرة التثبيت عموماً ضمن إطار مفهوم تكويني يتضمن تقدماً منظماً لليبدو (التثبيت على إحدى المراحل) . ويمكن إعتباره بصرف النظر عن أي مرجع تكويني ، وضمن إطار النظرية الفرويدية عن اللاوعي ، بأنه يدل على أسلوب تسجيل بعض المحتويات ذات القيمة التمثيلية (من مثل التجارب ، والصور الهوامية ، والهوامات) التي تستمر في اللاوعي بشكل لا تحول فيه ، والتي تظل النزوة مرتبطة بها ■ .

تصادف فكرة التثبيت باستمرار في مذهب التحليل النفسي لتبيان هذا المعطى الصريح للتجربة والذي يتلخص في أن العصابي خصوصاً ، وكل كائن إنساني على وجه العموم ، يظل متأثراً ببعض التجارب الطفلية ، ويستمر متعلقاً بشكل متفاوت في خفائه ببعض أساليب الإشباع ، وببعض أنماط الموضوعات أو العلاقات الأثرية ؛ ويشهد التحليل النفسي على سطوة وتكرار التجارب الماضية ، كما يشهد على مقاومة الشخص للتخلص منها .

لا يتضمن مفهوم التثبيت بحد ذاته مبدأ تفسيرياً ؛ إلا أن قيمته الوصفية لا مراء فيها . ولهذا أمكن إستخدامه من قبل فرويد في مختلف مراحل تطور تفكيره حول ما يشكل مصدر العصاب في تاريخ الشخص . وهكذا تمكن فرويد من تميز أولى مفاهيمه السببية باعتبارها تجعل من فكرة « التثبيت على الصدمة » السبب الأساسي (في العصاب)(1a,2) ؛ وإنطلاقاً من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » ألحق التثبيت بنظرية الليبدو ، وأصبح يعرّف من خلال استمرار خصائص جنسية بائدة ، تتجلى بأوضح صورها في حالات الشذوذ الجنسي : حيث يتابع الشخص بعض أنماط النشاط الخاص بالحياة الجنسية الطفلية ، أو هو يبقى متعلقاً ببعض خصائص « الموضوع » الذي يمكن أن نجد أصوله في لحظة معينة من تلك الحياة . وإذا لم ينكر دور الصدمة ، فإنه يتدخل هنا على كل حال على أرضية من تلاحق التجارب الجنسية ، كي يسهل التثبيت عند نقطة معينة .

ومع توسع نظرية مراحل الليبدو ، وخصوصاً المراحل ما قبل التناسلية ، بدأت فكرة التثبيت تأخذ مدى جديداً : فهي لم تعد تقتصر بالضرورة على هدف ، أو موضوع ليبدي جزئي ، بل قد تطال بنية كاملة من النشاط المميز لمرحلة معينة (أنظر : علاقة الموضوع) . وهكذا فالتثبيت على المرحلة الشرجية يشكل أصل العصاب الهجاسي ، أو أساس نمط معين من الطبع .

وأما في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 »(3) فيضطر فرويد للرجوع من جديد إلى فكرة التثبيت على الصدمة ، باعتبارها تثبيتاً على واقعة لا يكمن تفسيرها كلياً من خلال إستمرار أحد نماذج

الإشباع الليبيدي ، وهو ما يجبره على إفتراض وجود إضطرار التكرار .

يلعب التثبيت الليبيدي دوراً سانداً في سببيه مختلف الإضطرابات النفسية ، مما أدى إلى توضيح وظيفته في الأواليات العصابيه : فالتثبيت هو مصدر الكبت ، حتى أنه بالإمكان إعتباره الخطوة الأولى في الكبت بمعناه الواسع : « . . حيث يتصرف التيار الليبيدي [الذي خضع للتثبيت] تجاه التشكيلات النفسيه اللاحقه كتيار ينتمي إلى نظام اللاوعي ، أي كتيار مكبوت »(4a) . يتحكم هذا « الكبت الاصلي » بالكبت بمعناه الضيق والذي لا يمكن أن يتم إلا بتضافر تأثير فعلين معاً على العناصر المعدة للكبت ، هما النفور من حانب سلطة عليا ، والجذب من جانب ما سبق له أن ثبت »(5a) .

ومن ناحية أخرى يهيء التثبيت المواقع التي سيتم إليها النكوص الذي يصادف بأوجهه المختلفة ، في الأعصبة ، والأذهنة ، وحالات الشذوذ .

هناك ، بالنسبة لفرويد ، طائفتان من شروط التثبيت : فهو من ناحية ينشأ عن مختلف العوامل التاريخية (من تأثير التكوين العائلي ، والصدمات ، الخ) . ومن ناحية ثانية ، تساعد عليه العوامل الجبلية : إذ قد يمتلك أحد المكونات النزوية الجزئية قوة أكبر من غيره من المكونات ؛ وإضافة إلى ذلك قد يصادف وجود « حالة من التشبث » العام في الليبيدو(1b) عند بعض الأفراد ، مما يعرضهم للدفاع عن « . . . كل موقع ليبدي يبلغونه ، بداعٍ من قلق الخسارة لكل شيء فيما لو تركوه ، وكذلك بداعٍ من خشيتهم من أن لا يجدوا بديلاً مرضياً تماماً في الموقع التالي »(6) .

●●●

غالباً ما يستعين التحليل النفسي بمصطلح التثبيت ، ولكن معناه وطبيعته لا زالا غير محددين جيداً . إذ يستخدم فرويد هذا المفهوم أحياناً بشكل وصفي ، على غرار إستخدامه لمفهوم النكوص . ويقارب التثبيت عموماً ، في أكثر النصوص صراحة بهذا الصدد ، من بعض الظواهر البيولوجية حيث تبقى بعض آثار التطور الفردي والسلالي مستمرة في المتعضى الراشد . نحن هنا إنطلاقاً من هذا المنظور التكويني ، بصدد « صدٌ للنمو » ، أو عدم إنتظام تكويني ، أو « تقاعس فاتر »(4b) .

ويجد مفهوم كهذا أصله ومجاله المنتقى في دراسة حالات الشذوذ الجنسي . إذ يبدو بالفعل أن المقاربة الأولية تؤكد إستمرار بعض صمائم السلوك ، على حالها ، والتي يتمكن الشخص من إستعمالها مجدداً . كذلك تعطينا بعض حالات الشذوذ الجنسي التي تنمو بإضطراد منذ الطفولة ، المثل على التثبيت الذي يفضي إلى العارض بدون الحاجة إلى الإستعانة بالنكوص .

إلا أنه مع توسع نظرية الشذوذ الجنسي أصبح مشكوكاً فيه أن نرى فيها نموذجاً للتثبيت الذي يمكن رده إلى مجرد إستمرار بعض الآثار التكوينية . فعثورنا في منشأ حالات الشذوذ الجنسي على صراعات وأواليات قريبة من أواليات العصاب ، تضع البساطة الظاهرية لفكرة التثبيت موضع التساؤل (أنظر : شذوذ جنسي) .

●●●

من الممكن إبراز أصالة الإستعمال التحليلي النفسي لفكرة التثبيت بالمقارنة مع أفكار أخرى من مثل إستمرار صمائم السلوك التي أصبحت بائدة ، من خلال الرجوع إلى أشكال إستخدام فرويد لهذا المصطلح . يمكن القول بإختصار أن فرويد يتكلم أحياناً عن تثبيت ظاهرة ما (من مثل تثبيت ذكري ، أو تثبيت عارض) ، ويتكلم أحياناً أخرى عن تثبيت (الليبدو) على . . . (من مثل تثبيت على مرحلة أو على نمط معين من أنماط الموضوعات ، إلخ) . يوحي المفهوم الأول بإستعمال للمصطلح كما تقره النظرية النفسانية للذاكرة التي تميز ما بين عدة خطوات : تثبيت الذاكرة ، والحفاظ عليها ، والتعرف عليها واسترجاعها . ولكن لا بد من الإشارة إلى أن تثبيتاً كهذا يؤخذ ، تبعاً لفرويد ، بشكل جد واقعي : فنحن هنا بصدد تسجيل حقيقي للآثار في سلاسل من الأنظمة الذاكرية ، وهي آثار يمكن « ترجمتها » من نظام إلى آخر ؛ ولقد أرصن فرويد في رسالته إلى فلايس بتاريخ 6-12-1896 نظرية كاملة حول التثبيت : « وحين ينقص التسجيل اللاحق ، فإن الإثارة تصرَّف تبعاً للقوانين النفسية التي كانت سارية المفعول في الفترة النفسية السابقة ، وتبعاً للمسالك التي كانت متاحة في حينه . وهكذا تظل هناك أساليب بائدة ، على غرار الإمتيازات التي لا زالت سارية المفعول إلى أيامنا هذه في بعض مدن ومقاطعات إسبانيا ؛ مما يجعلنا نقع إذاً على بعض مخلفات الماضي » . ومن ناحية ثانية ، تتلازم فكرة تثبيت التصورات هذه ، مع فكرة تثبيت الإثارة عليها . نجد مثل هذه الفكرة التي تقع في موقع القلب من المفهوم الفرويدي ، أفضل تعبير عنها في أكمل النظريات التي قدمها فرويد على الإطلاق عن الكبت : « نحن على حق في القول بـ « كبت أصلي » ، أي بمرحلة أولى من الكبت التي تتلخص في رفض قبول الوعي لتحمل مسؤولية الممثل النفسي (الممثل - التصور) للنزوة . ومع هذا الرفض يحدث التثبيت ؛ ويستمر الممثل المطابق له منذ تلك اللحظة على حالة بدون أي تحوّل ، كما تستمر النزوة مرتبطة به »(5b) .

وبالطبع لم يهمل المعنى التكويني للتثبيت في مثل هذه الصياغة ، بل هو يجد مرتكزه في البحث عن لحظات أصيلة حيث لا بد أن تسجل بعض التصورات المنتقلة في اللاوعي ، وحيث تثبت النزوة نفسها على ممثليها النفسيين ، مما قد يجعلها تتكون من خلال هذه العملية نفسها كنزوة فعلية .

(1) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. — *a)* G.W., XI, 282 sqq. ; S.E., XVI, 273 sqq. ; Fr., 296 sqq. — *b)* Cf. G.W., XI, 360-1 ; S.E., XVI, 348 ; Fr., 374.

(2) Freud (S.). *Über Psychoanalyse*, 1909. G.W., VIII, 12 ; S.E., XI, 17 ; Fr., 126.

(3) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 10 ; S.E., XVIII, :3 ; Fr., 12.

(4) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. — *a)* G.W., VIII, 504 ; S.E., XII, 67 ; Fr., 311-2. — *b)* G.W., VIII, 304 ; S.E., XII, 67 ; Fr., 312.

(5) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 250-1 ; S.E., XIV, 148 ; Fr., 71. — *b)* G.W., X, 250 ; S.E., XIV, 148 ; Fr., 71.

(6) Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W., XII, 151 ; S.E., XVII, 115 ; Fr., 415.

تجاذب وجداني

Ambivalence
eng.: Ambivalence
D.: Ambivalenz

■ هو تلازم وجود ميول ومواقف ومشاعر متعارضة في العلاقة مع نفس الموضوع أبرز نموذج لها الحب والحقد . ■

إستعار فرويد مصطلح التجاذب من بلويلر الذي نحته(1) . يعالج بلويلر مسألة التجاذب في ثلاثة مجالات . مجال إرادي : حيث يريد الشخص مثلاً أن يأكل وأن لا يأكل في نفس الوقت ، مجال فكري : حيث يطرح الشخص في آن معاً الفكرة ونقيضها . ومجال عاطفي : حيث يحب ويكره نفس الشخص في حركة واحدة .

يجعل بلويلر من التجاذب الوجداني واحداً من الأعراض الرئيسية للفصام(2) ، ولو أنه يعترف بتجاذب وجداني سوي .

تكمن أصالة فكرة التجاذب الوجداني مقارنة بما سبقها مما وصف على أنه تعقيد العواطف أو تذبذب المواقف في الحفاظ على تعارض من نمط نعم ـ لا ، حيث يكون التوكيد والنفي متآنيين وغير منفصلين عن بعضهما بعضاً هذا من ناحية ؛ كما تكمن أصالتها ، من ناحية أخرى ، في إمكانية تواجد هذا التعارض الأساسي في مختلف قطاعات الحياة النفسية . وينتهي بلويلر بإعطاء المكانة المفضلة للتجاذب العاطفي ، وهو نفس المعنى الذي يوجه إستخدام فرويد لهذا المصطلح .

يظهر هذا المصطلح عند فرويد لأول مرة في « دينامية النقلة » كي يبين ظاهرة النقلة السالبة : « . . . إننا نكتشفه جنباً إلى جنب مع النقلة الرقيقة وفي نفس الوقت غالباً ، كما يتخذ من نفس الشخص موضوعاً له [. . .] ، فالتجاذب الوجداني ذو المنحى العاطفي هو الذي يتيح لنا أفضل فهم لقدرة العصابيين على وضع نقلتهم في خدمة المقاومة »(3) . ولكن فكرة تداخل الحب والحقد تصادف في مرحلة سابقة ، في التحاليل الخاصة بـ « هانز الصغير »(4) ، وبـ « رجل الفئران » على سبيل المثال : « تدور رحى معركة حامية الوطيس عند عاشقنا ، ما بين الحب والحقد الموجهين نحو نفس الشخص »(5) .

أما في « النزوات ومصير النزوات عام1915 » فيتحدث فرويد عن التجاذب الوجداني بصدد زوجي التعارض النشاط ـ الفتور حيث : « . . . تتواجد الحركة النزوية النشطة جنباً إلى جنب مع الحركة النزوية الفاترة »(6a) . إنما يندر هذا الاستعمال العريض المدى لمصطلح التجاذب الوجداني . ونجد في نفس النص ، أن التعارض « المادي » ما بين الحب والحقد اللذين ينصبان على نفس الشخص ، هو الذي يتيح إبراز التجاذب الوجداني في أجلى صوره .

يمكن إبراز حقيقة التجاذب الوجداني في بعض الإصابات ، على الأخص في (حالات الذهان ، والعصاب المجاسي) ، كما في بعض حالات (الغيرة ، والحداد) . ويميز التجاذب الوجداني بعض مراحل تطور الليبيدو حيث يتواجد حب الموضوع وتدميره في آن معاً (المرحلة الفمية السادية ، والمرحلة الشرجية السادية) .

وهكذا يصبح بهذا المعنى ، عند أبراهام فئة تكوينية تسمح بالتمييز النوعي لعلاقة الموضوع الخاصة بكل مرحلة . إذ توصف المرحلة الفمية الأولية بأنها سابقة على التجاذب الوجداني : يشكل [الإمتصاص] حقاً فعل إدماج ، ولكنه إدماج لا يقضي على وجود الموضوع »(7) . ولا يظهر التجاذب الوجداني ، تبعاً لهذا المؤلف ، إلا مع إطلالة الفمية السادية ، الإفتراسية ، التي تتضمّن عداءً تجاه الموضوع ؛ ويتعلم الشخص من ثمّ مداراة موضوعه ، وإنقاذه من التدمير . ويمكن تجاوز التجاذب الوجداني ، أخيراً في المرحلة التناسلية (مرحلة ما بعد التجاذب) . أما في أعمال ميلاني كلاين ، التي تذهب في نفس خط إبراهام ، فإن فكرة التجاذب تحتل مكانة أساسية . فالنزوة ، تبعاً لها ، متجاذبة منذ البداية : إذ لا ينفصل « حب » الموضوع عن تدميره ؛ وهكذا يصبح التجاذب الوجداني صفة للموضوع نفسه ، يحاربه الشخص من خلال شطره إلى موضوع «طيب» وموضوع «سيء»: إذ ليس بالإمكان تحمّل موضوع متجاذب ، يكون في نفس الوقت خيِّر بشكل مثالي ، ومدمر بعمق .

* * *

يغلب إستخدام مصطلح التجاذب الوجداني في التحليل النفسي بمعناه الواسع . ففي الواقع ، قد يستخدم للدلالة على أفعال ومشاعر نابعة عن صراع دفاعي ، حيث تتدخل دوافع متناقضة ؛ فما هو سارٌ بالنسبة لأحد الأنظمة ، يكون مزعجاً بالنسبة لنظام آخر ، وهكذا نستطيع أن ننعت بالتجاذب الوجداني أي « تكوين تسوية » . إنما قد يتعرض مصطلح التجاذب الوجداني عندها إلى خطر تضمينه بشكل مبهم ، كل أنواع المواقف المتصارعة . ولكي يحتفظ مصطلح التجاذب الوجداني بقيمته الوصفية ، وحتى بقيمته التي إتخذها في الأصل كعارض ، يحسن اللجوء إليه فقط في تحليل الصراعات النوعية ، حيث يتواجد في آن معاً الشطر الإيجابي والشطر السلبي للإتجاه العاطفي ، بشكل لا ينفصلان فيه عن بعضهما مكونين بذلك تعارضاً غير جدلي يعجز فيه الشخص الذي يقول في نفس الوقت نعم ولا عن تجاوزه .

فهل من الواجب ، كي نتمكن من جلاء التجاذب الوجداني في نهاية المطاف ، إفتراض ثنائية أساسية ، كما تحضنا عليه النظرية الفرويدية في النزوات ؟ وهكذا يمكن تفسير التجاذب ما بين الحب والحقد من خلال تطورهما النوعي : حيث يستمد الحقد أصله من نزوات حفظ الذات (« فيكمن نموذجه الأولي في صراع الأنا من أجل الحفاظ على ذاته وتوكيدها »)(6b) ؛ كما يستمد الحب أصله من النزوات الجنسية . ويرسّخ التعارض ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت الوارد في مفهوم فرويد الثاني ، التجاذب الوجداني بشكل أكثر قطعية ، في الثنائية النزوية (أنظر : إتحاد - إنفصال) .

تجدر الإشارة إلى ميل فرويد ، في أواخر أعماله ، إلى إعطاء التجاذب الوجداني أهمية متزايدة في نظرية الصراع وفي لائحته العيادية . حيث ينظر إلى الصراع الأوديبي ، على مستوى جذوره النزوية ، كصراع في التجاذب الوجداني ، يكمن واحد من أبعاده الرئيسية في التعارض ما بين : « . . . حب له ما يبرره ، وحقد ليس أقل تبريراً ، يتوجهان كلاهما نحو ذات الشخص »(8) . ويعتبر تكوين الأعراض العصابية ، في هذا المنظور ، كمحاولة لإيجاد حل لهكذا

صراع : وهكذا يزيح الخواف أحد شطري الصراع وهو الحقد هنا ، نحو موضوع بديل ؛ بينا يحلول العصاب المجاسي أن يكبت الحركة العدائية من خلال تعزيز الحركة اللبيدية ، على شكل تكوين عكسي . تكمن أهمية إختلاف المفهوم الفرويدي في توضيحه للصراع في كونه يرسخ الصراع الدفاعي في الدينامية النزوية ، وفي حضّه لنا على البحث عن التناقضات التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الحياة النزوية ، كقوة تقف وراء الصراع الدفاعي ، الذي يشرك أركان الجهاز النفسي في هذه العملية .

(1) Cf. Bleuler (E.). *Vortrag über Ambivalenz*, 1910. In *Zentralblatt fur Psychoanalyse*, 1, 266.

(2) Cf. Bleuler (E.). *Dementia praecox oder Gruppe der Schizophrenien*, Leipzig und Wien, 1911.

(3) Freud (S.). G.W., VIII, 372-3 ; S.E., XII, 106-7 ; Fr., 58-9.

(4) Cf. Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*, 1909. G.W., VII, 243-377 ; S.E., X, 5-149 ; Fr., 93-198.

(5) Freud (S.). *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. G.W., VII, 413 ; S.E., X, 191 ; Fr., 223.

(6) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 223-4 ; S.E., XIV, 131 ; Fr., 51. — *b)* G.W., X, 230 ; S.E., XIV, 138 ; Fr., 63.

(7) Abraham (K.). *Versuch einer Entwicklungsgeschichte der Libido auf Grund der Psychoanalyse seelischer Störungen*, 1924. Fr. II, 276.

(8) Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 130 ; S.E., XX, 102 ; Fr., 20.

تجربة إشباع

Expérience de satisfaction
Eng.: Experience of satisfaction
D.: Befriedigungserlebnis

■ يفترض فرويد هذا النمط من التجربة الأصلية التي تتلخص في تهدئة التوتر الداخلي الناتج عن الحاجة عند الرضيع ، بفضل تدخل صادر عن الخارج . وعندها تتخذ صورة الموضوع المشبع قيمة إنتقائية في تكوين رغبة الشخص . وتصبح هذه الصورة قابلة لإعادة التوظيف في غياب الموضوع الفعلي (أي الإشباع الهلاسي للرغبة). كما أنها ستظل تلعب دور الموجه في البحث اللاحق عن الموضوع المشبع ■ .

لا تشكل تجربة الإشباع مفهوماً شائعاً في التحليل النفسي ، إنما يبدو لنا أن تعريفه يمكننا من إيضاح بعض وجهات النظر الفرويدية التقليدية والأساسية . يصف فرويد هذه التجربة ويحللها في « مشروع علم نفس علمي ، عام1895 » ؛ كما يرجع إليها أيضاً في مناسبات عدة في الفصل السابع من كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » .

ترتبط تجربة الإشباع « بحالة العجز الأصلية عند الكائن الإنساني »(1a) . إذ لا يستطيع المتعضي أن يطلق الفعل النوعي القادر على إزالة التوتر الناتج عن فيض الإثارات الداخلية ؛ بل يحتاج هذا الفعل إلى مساعدة شخص خارجي (كالإمداد بالطعام على سبيل المثال) ؛ وعندها

يتمكن المتعضي من إزالة التوتر .

وتؤدي هذه التجربة إلى مضاعفات عدة ، فيما يتجاوز هذه النتيجة الراهنة :

1 ـ يرتبط الإشباع إنطلاقاً من ذلك بصورة الموضوع الذي جلب الإشباع ، كما يرتبط بالصورة الحركية للمنعكس الذي أتاح التفريغ . وحين تعاود حالة التوتر الظهور ، فإن صورة الموضوع توظف من جديد : « . . . وتؤدي إعادة التحريك هذه ـ أي الرغبة ـ إلى إحداث شيء شبيه بالإدراك أي إلى إحداث هلوسة . وإذا إنطلق الفعل المنعكس عندها ، فلا بد من ظهور خيبة الأمل »(1b) .

ولكن الشخص في هذه المرحلة المبكرة لا يكون في وضع يسمح له بالتأكد من أن الموضوع ليس حاضراً بالفعل . مما يجعل التوظيف المفرط في شدته للصورة يحدث نفس « مؤشر الواقع » الذي يرافق الإدراك .

2 ـ وتشكل مجمل هذه التجربة ـ أي الإشباع الفعلي والإشباع الهلاسي ـ أساس الرغبة . ذلك أن الرغبة تستمد جذورها في الواقع من البحث عن الإشباع الفعلي ، إلا أنها تتشكل تبعاً لنموذج الهلاس البدائي .

د ـ يؤدي تكوين الأنا إلى تلطيف الفشل الأول للشخص في التمييز ما بين الهلوسة والإدراك . فهو يحول من خلال وظيفته الصّادة دون إعادة التوظيف المفرط لصورة الموضوع المشبع .

ويصف فرويد في كتابه « تأويل الأحلام » تجربة الإشباع ونتائجها ، بطريقة مماثلة مع إضافة فكرتين جديدتين بصددها ، هما « وحدة الإدراك » و« وحدة الفكر » : يجهد الشخص دوماً في البحث ، إما بطرق مباشرة (الهلوسة) أو ملتوية (الأفعال الموجهة بواسطة الفكر) عن وحدة مع « الإدراك الذي سبق أن إرتبط بإشباع الحاجة »(2) .

ولم يعد يشار في النصوص اللاحقة صراحة إلى تجربة الإشباع . إنما تظل المفاهيم الخاصة بهذه الفكرة هي دوماً نفسها المفاهيم التي قال بها فرويد . نحيل القارىء خصوصاً إلى بداية المقالة حول « صياغات حول مبدئي النشاط الوظيفي النفسي عام 1911 » وإلى المقالة حول « الإنكار عام 1925 » . إذ يشير فرويد في هذا النص الأخير مرة أخرى إلى الطابع الذي لا يتزعزع الذي يتصف به الإشباع الأصلي وإلى وظيفته الحاسمة في البحث اللاحق عن الموضوعات : « . . . إن ما يحدد إقامة إختبار الواقع هو كون الموضوعات التي سبق لها أن حملت الإشباع الفعلي (للطفل) قد فقدت »(3) .

تشكل تجربة الإشباع ـ الفعلي والهلاسي ـ الفكرة الأساسية في مشكلية الإشباع الفرويدية : ففيها تتمفصل تهدئة الحاجة ، و« إنجاز الرغبة » (أنظر : رغبة وهوام) .

(1) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 402 ; Angl., 379 ; Fr., 336. — *b)* All., 404 ; Angl., 381 ; Fr., 338.

(2) Freud (S.). G.W., II-III, 571 ; S.E., V, 565 ; Fr., 463.

(3) Freud (S.). *Die Verneinung*, 1925. G.W., XIV, 14 : S.E., XIX, 238 ; Fr., 176.

تحقيق رمزي

Réalisation symbolique
Eng.: Symbolic realization
D.: Symbolische Wunscherfüllung

■ تستخدم م. أ. سَشْهايْ هذا التعبير للدلالة على طريقتها في العلاج النفسي التحليلي للفصام : يتلخص الأمر في مداواة الإحباطات التي تعرّض لها المريض في سنواته الأولى من خلال محاولة إشباع حاجاته رمزياً ، وفتح السبيل بذلك أمامه إلى الواقع ■ .

ترتبط طريقة التحقيق الرمزي بإسم السيدة سَشْهايْ التي إكتشفتها خلال علاج نفسي تحليلي لفصامية شابة (أ) . يجد القارىء رواية لمرحلة « حالة رينيه » التي شكلت أساس مفاهيم الكاتبة في كتاب « مدخل إلى علاج نفسي للفصاميين عام 1954 »(1a) ، والتي أوردتها المريضة نفسها في « يوميات فصامية عام 1950 »(2a) .

يتضمن « التحقيق » في تعبير « تحقيق رمزي » الفكرة القائلة بوجوب الإشباع الفعلي لحاجات الفصامي الأساسية أثناء العلاج ؛ أما « الرمزي » فيشير إلى وجوب الإشباع بنفس الأسلوب المستخدم في التعبير عنها (الحاجات) أي الأسلوب « السحري - الرمزي » ، حيث تقوم وحدة بين للموضوع الذي يُشْبِعْ (ثدي الأم مثلاً) ورمزه (التفاحات في حالة رينيه) .

يمكن تعريف هذه التقنية كشكل من أشكال الرعاية الأمومية حيث يلعب المعالج النفسي، دور « الأم الطيبة » المؤهلة لتفهم وإشباع حاجات فمية محبطة . « وبدلاً من الطلب إلى الفصامي أن يقوم بجهد تكيفي لوضعية مأزقية ليس بمقدوره تجاوزها ، تحاول هذه الطريقة أن ترتب وتعدل الواقع « المرير » بغية إستبداله بواقع جديد ، أكثر « لطفاً واحتمالاً »(1b) .

يتعين على التحقيق الرمزي للحاجات الأساسية ، تبعاً للكاتبة أن يطال الشخص في أكثر مستويات نكوصه عمقاً ؛ ويتم هذا التحقيق تبعاً لترتيب يحاول أن يستعيد التتابع التكويني للمراحل ، مما يفترض فيه أن يتيح إعادة بناء الأنا الفصامي وما يلازمه من سيطرة على الواقع(1b) .

(أ) أعطت م. أ. سَشْهايْ أول عرض عن طريقتها في « التحقيق الرمزي » في مقالتها (طريقة جديدة في العلاج النفسي مطبقة على حالة فصامية) ؛ ضمن ملحق للمجلة السويسرية لعلم النفس ، وعلم النفس التطبيقي ، عدد 12 الطبعات الطبية ، هانز هوبر ، برن ، 1947 .

(1) Sechehaye (M.-A.). *a)* 22. — *b)* 9.
(2) Sechehaye (M.-A.). *a)* Chap. XI. — *b)* Cf. surtout la IIe partie.

تحليل تعليمي

Analyse didactique
Eng.: Training analysis
D.: Lehranalyse, didaktische analyse

■ هو التحليل الذي يمر فيه من يُعِدّ نفسه لممارسة مهنة المحلل النفسي، وهو يشكل الركن الأساسي في إعداده ■ .

إكتشاف التحليل النفسي وثيق الإرتباط بالإستكشاف الشخصي الذي قام به فرويد على نفسه (أنظر : تحليل ذاتي) . فلقد إتضح له منذ البداية ، أنه لا يمكن الولوج إلى ممارسة التحليل إلا من خلال معرفة لا وعينا الخاص . ويرى فرويد ، في مؤتمر نورمبرغ عام 1910 ، أن التحليل الذاتي هو الشرط المطلوب كي « . . . يتمكن الطبيب من التعرّف على النقلة المضادة عنده ومن السيطرة عليها »(1) . فهل كان يقصد فرويد هنا التحليل الذاتي ، أم التحليل الذي يديره طرف ثالث؟ لا يسمح لنا مصطلح التحليل الذاتي Selbst analyse ، أن نحسم المسألة . وقد نظن ، تبعاً لذلك السياق ، أن المسألة تتعلق على الأرجح بالتحليل الذاتي ، إنما إذا رجعنا إلى التقرير الذي وضعه أتورانك عن المؤتمر(2) ، فإننا نرى أن فرويد كان يفكر فعلياً بتأسيس التحليل التعليمي . ومهما يكن من أمر ، يبدو أن القيمة التي لا بديل لها للتحليل التعليمي بالمقارنة بالتحليل الذاتي لم تكن قد ترسخت بعدُ بما فيه الكفاية ، في نظره ، في ذلك التاريخ .

يتعزّز الإعتراف الواضح بالقيمة الإعدادية للتحليل الشخصي في « نصائح موجهة إلى الأطباء حول العلاج التحليلي عام 1912 » ؛ إذ تربط هذه القيمة بالنظرية القائلة بأن على المحلل « . . . أن يوجه نحو لا وعي المريض ، كمرسل ، لا وعيه الخاص هو كجهاز إستقبال »(3a) . ولكي يتمكن من ذلك ، لا بد أن يكون المحلل قادراً على التواصل بمزيد من الحرية مع لاوعيه الخاص (أنظر : انتباه عائم) ، وهذا ما يفترض بالتحليل التعليمي أن يتيحه من حيث المبدأ ؛ ويشيد فرويد هنا بمدرسة زيوريخ لأنها « . . . إشترطت على كل من يريد ممارسة التحليل على أشخاص آخرين ، أن يخضع هو نفسه قبلاً للتحليل على يدي أحد المتمرسين به »(3b) .

وفي مؤتمر الإتحاد الدولي للتحليل النفسي المنعقد عام 1922 ، وبعد سنتين من تأسيس معهد التحليل النفسي في برلين ، كرّس إشتراط التحليل التعليمي على كل مرشح لمهنة المحلل النفسي .

ويظهر أن فرنزي كان أكثر المسهمين في إبراز القيمة الوظيفية للتحليل التعليمي حيث يرى فيه « القاعدة الثانية الأساسية للتحليل النفسي »(4a) . ولا يقل التحليل التعليمي ، في نظر فرنزي ، إكتمالاً أو عمقاً عن التحليل العلاجي : « لا بد أن يكون المحلل ، قد حُلّل هو نفسه تماماً وكلياً ، كي يصمد جيداً في وجه هذه الهجمة العامة التي تصدر عن المريض . أقف عند هذه المسألة ، نظراً لشيوع الموقف القائل بأنه يكفي المرشح أن يمضي سنة في الألفة بالأواليات الرئيسية فيما يطلق عليه إسم تحليله التعليمي . ويترك أمر تقدمه اللاحق ، إلى ما سيكتسبه خلال تجربته الخاصة . غالباً ما أكّدت في مناسبات سابقة بأنه لا يمكنني ، من حيث المبدأ ، القبول بأي فارق ما بين التحليل العلاجي والتحليل التعليمي ، وأود هنا أن أضيف على ذلك الفكرة التالية : فبينما لا

تحتاج كل المشاريع ذات الغاية العلاجية ، لأن تذهب بعيداً وصولاً إلى أعماق ما نقصده حين الكلام عن إنهاء ناجز للتحليل ، يتوجب على المحلل نفسه ، والذي يتوقف عليه مصير العديد من الأشخاص الآخرين ، أن يعرف ويضبط طبعه الخاص في أكثر نقاط ضعفه خفاءً ؛ ويستحيل ذلك بدون تحليل ناجز بشكل تام »(5) .

تحظى المقتضيات التي صاغها فرنزي بالموافقة العامة (أ) في أيامنا هذه ؛ إذ تميل لأن تجعل من التحليل الشخصي ، لمن جيء نفسه لهذه المهنة مشروعاً يتضاءل فيه وزن إكتساب المعارف بالتجربة ، وهو الإكتساب الذي يضعه مصطلح تعليمي في المقام الأول من دون وجه حق .

لا زالت المشكلة النظرية والتطبيقية المتصلة بفكرة التحليل التعليمي نفسها وبمأسستها ، موضع مناقشات مستمرة في أوساط حركة التحليل النفسي (ب) - وتتلخص هذه المشكلة في التساؤل حول إمكانية الأمر المسبق بتحليل يرمي إلى غاية خاصة ، وإلى « تصور - هدف » يعادل في قوته وبروزه هدف الحصول من مؤسسة ما على تأهيل الشخص لممارسة مهنة ، مع علمنا بالدور البالغ الأهمية الذي يلعبه تقدير المُحَلِلْ التعليمي (للمرشح) في هذا الصدد .

(أ) لقد بقي فرويد من ناحيته متحفظاً نسبياً حول الإمكانات التي يقدمها التحليل التعليمي ؛ فهو لا زال يتمسك ، في « التحليل المتنهي واللامتهي عام 1937 » بأن التحليل التعليمي « ... لا يمكنه ، لأسباب تطبيقية ، إلا أن يكون قصيراً وغير مكتمل ؛ إذ يتلخص هدفه الأساسي بإتاحة الفرصة أمام المُحَلِلْ المعلم ، للحكم على أهلية المرشح لمتابعة دراساته . ويوفي التحليل التعليمي بمهام وظيفته ، إذا أتاح للتلميذ الفرصة كي يقتنع بشكل أكيد بوجود اللاوعي ، وإذا أتاح له أن يكتسب عن نفسه ، بفضل بروز المكبوت ، أفكاراً ستظل غير قابلة للتصديق لا محالة ، بدون التحليل ، وإذا بين له في المقام الثالث ، ومن خلال عينة أولى ، التقنية التي يتيح النشاط التحليلي النفسي وحده إثبات صلاحيتها »(6) .

(ب) أنظر بصدد المشكلات التي يطرحها الإعداد التحليلي وتاريخها في حركة التحليل ، خصوصاً مقالة بالنت : « حول نظام إعداد المحلل النفسي »(7) .

(1) Freud (S.). *Die zukünftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie*, 1910. G.W., VIII, 108 ; S.E., XI, 144-5 ; Fr., 27.
(2) Cité *in* : Kovacs (V.). *Training and Control-Analysis*, *I.J.P.*, XVII, 1936, 346-54.
(3) Freud (S.). *a)* G.W., VIII, 381 ; S.E., XII, 115 ; Fr., 66. — *b)* G.W., VIII, 382 ; S.E., XII, 116 ; Fr., 67.
(4) Ferenczi (S.). *Die Elastizität der psychoanalytischen Technik*, 1927. — In : *Final Contr.*, 88-9.
(5) Ferenczi (S.). *Das Problem der Beendigung der Analyse*, 1928. In : *Final Contr.*, 83-4.
(6) Freud (S.). G.W., XVI, 94-5 ; S.E., XXIII, 248 ; Fr., 34.
(7) Cf. Balint (M.). In *I.J.P.*, 1948, 29, 163-73.

تحليل ذاتي

Auto- analyse
Eng. : Self- analysis
D. : Selbstanalyse

■ هو إستقصاء يقوم به الشخص نفسه على ذاته بدرجات متفاوتة في إنتظامها ومنهجيتها ، مستعيناً ببعض إجراءات الطريقة التحليلية النفسية - من مثل التداعيات الحرة ، وتحليل الأحلام ،

وتأويل التصرفات ، إلخ ■ .

لم يكرس فرويداً أبداً نصاً خاصاً لمسألة التحليل الذاتي ، إنما يشير إليه في مرات عديدة ، وخصوصاً حين الرجوع إلى تجربته الذاتية . « لقد أنجزت تحليلي الذاتي ، الذي لم يلبث أن بدت لي ضرورته بشكل ساطع ، مستعيناً بسلسلة من أحلامي الخاصة التي قادتني إلى كل أحداث طفولتي ؛ ولا زلت أرى حتى اليوم أن هذا النوع من التحليل يمكن أن يكون كافياً لمن يتمتع بمقدرة جيدة على الأحلام ، ولا يخرج كثيراً عن دائرة السواء »(1) . تبدو له هذه الطريقة جديرة بأن تشكل الأساس حيث يقول : « حين يطلب إليّ كيف يمكن للمرء أن يصبح محللاً نفسياً ، أجيب : من خلال دراسة الأحلام الذاتية »(2) .

ولكن فرويد يبدو متحفظاً جداً حول مدى جدوى التحليل الذاتي ، في العديد من المقاطع الأخرى . حتى خلال تجربته الخاصة ، نراه يكتب إلى فلايس قائلاً : « يبقى تحليلي الذاتي مقطوعاً . لقد فهمت السبب الآن . ذلك لأنني لا أستطيع أن أحلل نفسي إلا بالإستعانة بالمعارف المكتسبة بشكل موضوعي (أي أحلل نفسي كغريب) . يظل التحليل الذاتي الحقيقي مستحيلاً ، وإلا لما كان هناك مرض »(3) . وفي فترة لاحقة ، يبدو التحليل الذاتي مبخساً صراحة بالمقارنة مع التحليل الفعلي : « نتعلم بادىء ذي بدء التحليل النفسي بتطبيقه على أنفسنا ، من خلال دراسة شخصيتنا الخاصة [. . .] إنما يصطدم التقدم على هذا الدرب بقيود محددة . ويمكن إحراز تقدم أكبر بكثير إذا حُلِّلْنا على يد محللٍ كفؤ »(4) .

تنصب تحفظات فرويد على التحليل الذاتي بالقدر الذي يزعم فيه القدرة على الحلول محل التحليل النفسي العادي . ويعتبر التحليل الذاتي عموماً كشكل خاص من أشكال مقاومة التحليل العادي لأنه يُطري النرجسية ويستبعد القوة المحركة لعملية العلاج ، أي النقلة(5) . وحتى عند أولئك الكتاب الذين يوصون باستعماله من أمثال كارن هورني ، يبدو التحليل الذاتي في الواقع كتكملة للعلاج ، يهيء المجال له أو يتابعه . وأما التحليل الذاتي لفرويد فيبقى حدثاً متفرداً بشكل جليّ لأنه كان إلى حد ما وراء إكتشاف التحليل النفسي وليس تطبيقاً لمعرفة مسبقة .

وأما فيما يتعلق بالمحللين ، فإن متابعة إستجلاء ديناميتهم اللاواعية يظل عملاً مرغوباً فيه بشدة . ولقد أشار فرويد إلى ذلك منذ العام 1910 بصدد النقلة المضادة : « لا يستطيع أي محلل أن يذهب أبعد مما تسمح له به عقده الخاصة ومقاوماته الداخلية . ولهذا نشترط عليه أن يبدأ نشاطه بتحليل نفسه ذاتياً ، (أ) وأن يستمر في تعميق هذا التحليل في نفس الوقت الذي يتعلم فيه من الممارسة مع مرضاه . وأما من لا ينجز تحليلاً ذاتياً كهذا ، فيحسن صنعاً بأن يتخلى ، وبدون تردد ، عن علاج المرضى تحليلياً »(6) . ولا يلغي سنّ طريقة التحليل التعليمي ضرورة التحليل الذاتي : فهذا الأخير يتابع « إلى ما لا نهاية » العملية التي يطلقها التحليل التعليمي (ب) .

(أ) وليس كما تذكره آنابرمن في ترجمتها الفرنسية : « بالخضوع للتحليل » .

(ب) أنظر من أجل عرض مستفيض لهذه المسألة ، أنزيو « التحليل الذاتي » المنشورات الجامعية الفرنسية ، باريس 1959 .

(1) Freud (S.). *Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung*, 1914. G.W., X,

59 ; S.E., XIV, 20 ; Fr., 278.

(2) Freud (S.). *Über Psychoanalyse*, 1909. G.W., VIII, 32 ; S.E., XI, 33 ; Fr., 147.

(3) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 249 ; Ang., 234 ; Fr., 207.

(4) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 12 ; S.E., XV, 19 ; Fr., 30.

(5) Cf. Abraham (K.). *Über eine besondere Form des neurotischen Widerstandes gegen die psychoanalytische Methodik*, 1919. Fr., II, 83-9.

(6) Freud (S.). *Die zukünftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie*, 1910. G.W., VIII, 108 ; S.E., XI, 145 ; Fr., 27.

تحليل مباشر

Analyse directe
Eng.: Direct analysis
D.: Direkte analyse

■ هو طريقة في العلاج النفسي التحليلي للذهانيين نادى بها ج. ن. روزن. وتشتق إسمها من إستخدام « التأويلات المباشرة » التي تقدم للمرضى والتي تتميز بما يلي :

أ ـ تنصب على محتويات لا واعية قد يعبر عنها الشخص إما لفظياً أو بأسلوب غير لفظي (إيماءات ، أوضاع الجسد ، حركات ، تصرفات) ؛

ب ـ لا تتطلب تحليلاً للمقاومات ،

جـ ـ وهي لا تلجأ بالضرورة إلى وساطة سلاسل التداعيات.

كما تتضمن هذه الطريقة سلسلة من الإجراءات التقنية المخصصة لإقامة صلة عاطفية وثيقة « على مستوى التواصل ما بين لا وعي المريض ، ولا وعي المعالج » ويتحتم على المعالج فيها « أن يصبح بالنسبة للمريض ، الصورة الأمومية التي تعطي وتحمي بدون حساب »(1a) ■

قدم ج. ن. روزن هذه الطريقة وطورها منذ العام 1946 . يميز مصطلح « مباشر » على الأخص نمطاً معيناً من التأويلات . وتقوم هذه التأويلات على نظرية تقول بأن لا وعي الشخص في حالات الذهان ، وخصوصاً في الفصام ، يطغى على الدفاعات ويفصح عن نفسه بشكل مكشوف في كلام المريض وتصرفاته . ولا يقوم التأويل المباشر ، إلا بتبيان ما يعرفه المريض مسبقاً بصورة أكثر جلاء . لا ترتبط فعاليته إذاً في التقدم في الإستبصار ، بل في إقامة النقلة الإيجابية وتدعيمها : فيحس المريض أنه « موضع تفهّم » من قبل المعالج ، الذي ينسب إليه المريض التفهم المطلق القوة المميز للأم المثالية ؛ وهكذا تدخل الطمأنينة إلى نفسه من خلال كلام ينصب على المحتوى الطفلي لقلقه ، مبيناً له بطلان هذا القلق . يتضمن التحليل « المباشر » بالمعنى الواسع للكلمة ، إضافة إلى التأويلات ، عدداً من الإجراءات النشطة ـ البعيدة كل البعد عن الحياد الذي يشكل القاعدة في تحليل العصابيين ، وتهدف هذه الاجراءات إلى جعل المعالج يتوغل في العالم المغلق للذهاني .

وهكذا يتوصل المعالج إلى القيام بوظيفة الأم المحبة والحامية ، مصلحاً تدريجياً الإحباطات الخطيرة التي تعرض لها الشخص في طفولته على الدوام ، بسبب أم ذات غريزة أمومية أصيبت

بالشذوذ(1b)

(أنظر أيضاً : تأويل مباشر ؛ ورعاية أمومية) .

(1) Rosen (J. N.). *Direct analysis. Selected Papers*. Grune and Stratton, New York, 1953. Trad. fr., *L'analyse directe*, P.U.F., Paris, 1960. — *a)* Angl. 139 ; Fr., 122. — *b)* Cf. chap. IV : « The perverse mother » (La mère perverse).

تحليل نفسي

Psychanalyse
Eng.: Psycho-analysis
D.: Psychoanalyse

■ هو مذهب أسسه فرويد . ويمكننا أن نميّز معه فيه ثلاثة مستويات :

أ ـ فهو على الصعيد الأول طريقة في الإستقصاء تتلخص أساساً في تبيان المعنى اللاواعي لكلام وأفعال شخص ما . وكذلك معنى إنتاجه الخيالي (من أحلام وهوامات . وهذيانات) . تقوم هذه الطريقة بشكل رئيسي على التداعيات الحرة للشخص، التي تشكل ضمانة صدق التأويل . وقد يمتد التأويل التحليلي النفسي ليشمل إنتاجات إنسانية لا تمتلك تداعيات حرة بصددها .

ب ـ وهو على الصعيد الثاني طريقة في العلاج النفسي تقوم على هذا الإستقصاء وتتخصص بالتأويل المضبوط للمقاومة والنقلة والرغبة . ويرتبط بهذا المعنى إستخدام « التحليل النفسي » كمرادف للعلاج « التحليلي النفسي » ؛ من مثل : الإنخراط في تحليل نفسي (أو في تحليل) .

جـ ـ وهو على الصعيد الثالث مجمل النظريات النفسانية والنفسية المرضية التي تُنظَّم من خلالها المعطيات التي تقدمها الطريقة التحليلية النفسية في الإستقصاء والعلاج ■ .

إستخدم فرويد بادىء ذي بدء مصطلحات التحليل ، وتحليل النفس ، والتحليل النفساني ، والتحليل التنويمي ، وذلك في مقالته الأولى بعنوان « حالات نفاس الدفاع علم 1894 »(1) . ولم يدخل مصطلح التحليل النفسي إلا لاحقاً ، في مقالته حول أسباب الأعصبة ، منشورة بالفرنسية(2) . وأما في الألمانية ، فإن كلمة « التحليل النفسي » قد ظهرت لأول مرة عام 1896 في مقالته بعنوان « ملاحظات جديدة حول حالات نفاس الدفاع »(3) . ولقد كرّس إستخدام مصطلح التحليل النفسي ترك التفريج بتأثير من التنويم أو الإيحاء ، واللجوء إلى قاعدة التداعي الحر وحدها للحصول على المادة التحليلية .

قدّم فرويد تعاريف عديدة للتحليل النفسي . ونجد واحداً من أوضح التعاريف في بداية مقالة « الموسوعة » التي ظهرت عام 1922 : حيث يرد « التحليل النفسي هو إسم لـ :

« أولاً : عملية لإستقصاء العمليات العقلية التي لا يمكن النفاذ إليها بوسيلة أخرى ؛

« ثانياً : طريقة تقوم على هذا الإستقصاء بغية علاج الإضطرابات العصابية ؛

« ثالثاً : سلسلة من المفاهيم النفسانية التي حصلنا عليها من خلال هذه الوسيلة ، وهي مفاهيم تنمو معاً كي تشكل تدريجياً مذهباً علمياً جديداً »(4) .

ويعرض التعريف المقترح في بداية هذه المقالة بشكل أكثر تفصيلاً نفس التعريف الذي قدّمه فرويد في هذا النص .

وأفضل ما يمكن عمله بصدد اختيار مصطلح « التحليل النفسي » هو ترك الكلام لمن نحت هذا المصطلح في نفس الفترة التي أبرز فيها إكتشافه : « لقد أطلقنا إسم التحليل النفسي على العمل الذي نجلب من خلاله إلى وعي المريض ذلك المحتوى النفسي المكبوت لديه . فلماذا إستخدمنا كلمة « تحليل » التي تعني التفتيت والتفكيك وتوحي بالتشابه مع العمل الذي يقوم به عالم الكيمياء على المواد التي يجدها في الطبيعة ، والتي يحملها إلى مختبره ؟ لقد تم ذلك لأن هناك ما يبرر ويدعم فعلياً مثل هذا التشابه ، في نقطة هامة . ذلك أن أعراض المريض وتجلياته المرضية هي ذات طبيعة تبلغ درجة عالية في تركيبها ، شأنها في ذلك شأن كل نشاطاته النفسية ؛ ولا تعدو عناصر هذا التركيب في نهاية المطاف كونها دوافع ، وحركات نزوية . إلا أن المريض لا يعلم إلا القليل ، أو هو لا يعلم شيئاً عن هذه الدوافع الأولية .

إنّنا نعلّمه إذاً أن يفهم تركيب هذه التكوينات النفسية البالغة التعقيد ، ونرد الأعراض إلى الحركات النزوية التي تحركها ، وندل المريض على الدوافع النزوية التي كان يجهلها إلى ذلك الحين في أعراضه ، شأننا في ذلك شأن الكيميائي الذي يفصل المادة الأساسية ، أو العنصر الكيميائي عن الملح الذي ضاعت معالمه فيه من خلال تركيبه مع عناصر أخرى . كما نبين للمريض بنفس الأسلوب أنه لم يكن يعي إلا جزئياً دوافع التجليات النفسية التي لا تعد مرضية ، وأن هناك دوافع نزوية أخرى ظلت خافية عليه قد أسهمت في إنتاجها .

« كما أننا فسرنا النزعة الجنسية عند الكائن الإنساني من خلال تفتيتها إلى مكوناتها ، ونحن حين نؤول حلماً ما ، فإننا نتصرف بشكل نتجاهل معه الحلم بإعتباره وحدة كلية ، إذ نجعل التداعيات تنطلق من عناصره المعزولة (عن السياق الكلي) .

« ويمكن أن توحي هذه المقارنة التي لها ما يبررها ما بين النشاط الطبي التحليلي النفسي وبين العمل الكيميائي ، بتوجه جديد لطريقتنا في العلاج [. . .] . ولقد قيل لنا أنه : لا بد أن يتلو تحليل نفسية المريض توليفاً لها ! وما لبث البعض أن أظهر القلق بصدد إمكانية تلقي المريض للكثير من التحليل والقليل غير الكافي من التوليف ، كما شغل هذا البعض بتركيز الوزن الرئيسي في العمل العلاجي النفسي على هذا التوليف ، أي على نوع من ترميم ما يبدو وكأنه قد تهدم بفعل التشريح الحي .

« [. . .] تقع حدود المقارنة مع التحليل الكيميائي عند واقعة التعامل في الحياة النفسية مع ميول خاضعة لإضطرار التوحيد والمزج . إذ ما نلبث أن نفكك عارضاً ، أو أن نحرر حركة نزوية من مجموعة من العلاقات ، حتى تسارع هذه الأخيرة إلى الدخول في مجموعة جديدة ، وبدون أن تبقى البتة على عزلتها .

« [. . .] وهكذا يتم التوليف النفسي عند الشخص الذي يعالج بالتحليل ، بشكل آلاتي ولا مناص منه ، وبدون تدخل من جانبنا » .

ونجد في « الطبعة المعيارية » قائمة بالعروض العامة الرئيسية التي نشرها فرويد عن التحليل النفسي(6) .

ولقد أدت موجة إنتشار التحليل النفسي بالعديد من المؤلفين إلى إطلاق هذا المصطلح على أعمال لا تقوم بين محتواها وطريقتها ونتائجها ، إلا صلات واهية جداً مع التحليل النفسي بمعنى الكلمة .

(1) Cf. FREUD (S.). G.W., 1, 59-74 ; S.E., III, 45-68.
(2) Cf. FREUD (S.). *L'hérédité et l'étiologie des névroses*, 1896. G.W., I, 407-22 ; S.E., III, 143-56.
(3) Cf. FREUD (S.). G.W., 1, 379, 383 ; S.E., III, 162, 165-6.
(4) FREUD (S.). « *Psychoanalyse* » *und* « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 211 ; S.E., XVIII, 235.
(5) FREUD (S.). *Wege der psychoanalytischen Therapie*. 1918. G.W., XII, 184-6 ; S.E., XVII, 159-61 ; Fr., 132-4.
(6) S.E., XI, 56.

تحليل نفسي خاضع للإشراف

Psychanalyse controlée
(ou sous contrôle)
Eng.: Supervisory or supervised analysis
D.: Kontrollanalyse

■ إنه تحليل نفسي يديره محلل في طور الإعداد ، ويقدم عنه بياناً دورياً إلى محلل متمرس ، حيث يقوم هذا الأخير بتوجيهه لفهم وإدارة العلاج ، كما يساعده على الوعي بنقلته المضادة. يكرّس هذا الأسلوب من الإعداد خصوصاً لإتاحة المجال أمام (المحلل) التلميذ كي يستوعب ماهية التدخل التحليلي النفسي الفعلي بالمقارنة مع الأساليب الأخرى للعمل العلاجي النفسي (من مثل الإيحاءات ، والنصائح ، الإرشادات ، والتوضيحات ، والدعم ، إلخ . .) .

اقرّ تطبيق التحليل الخاضع للإشراف عام 1920 (1) ، كي يصبح تدريجياً عنصراً رئيسياً في الإعداد التقني للمحلل النفسي ، وشرطاً مسبقاً لتأهيله للممارسة . ومن المتعارف عليه في أيامنا هذه ، في مختلف جمعيات التحليل النفسي ، أنه لا يخوّل للمرشح القيام بتحاليل خاضعة للإشراف (إذ يطلب منه عادة أن يقوم بتحليلين على الأقل من هذا النوع) إلا بعد تقدم تحليله التعليمي هو نفسه بشكل كافٍ (أ) .

(أ) تجدر الملاحظة إلى أنه إقترح التمييز ما بين الوجهين الأساسيين للإشراف ، بمصطلحين مختلفين هما Kontrollanalyse و Analysenkontrolle : يدل أولهما على تحليل النقلة المضادة للمرشح تجاه مريضه ، بينما يدل الثاني على الإشراف على تحليل المريض .

(1) Cf. le rapport sur la policlinique psychanalytique de Berlin présenté par EITINGON (M.), au Congrès psychanalytique international de 1922, in *I.J.P.*, 1923, 4, 254-69.

تحليل نفسي وحشي

Psychanalyse sauvage
Eng.: Wild analysis
D.: Wilde psychanalyse

■ هو بمعنى عام ذاك النمط من تدخلات « المحللين » الهواة أو غير المتمرسين الذين يستندون إلى أفكار تحليلية نفسية لم يستوعبوها تماماً على الأغلب لتأويل الأعراض، أو الأحلام، أو الكلام أو الأفعال، إلخ . وأما بالمعنى التقني فتطلق صفة الوحشي على التدخل الذي لا يراعي تماماً الوضعية التحليلية المحددة في تفردها وديناميتها الراهنة . وخصوصاً من خلال الكشف المباشر عن المحتوى المكبوت بدون أخذ المقاومات والنقلة بعين الإعتبار ■ .

يعرّف فرويد التحليل الوحشي ، في المقالة التي كرّسها له عام1910 بنفس العنوان ، بادىء ذي بدء بالجهل ، إذ يرتكب الطبيبُ الذي يتعرض تدخله للإنتقاد أخطاءً علمية (تتعلق بطبيعة الجنسية والكبت والقلق) وأخرى تقنية : « إنه لمن الخطأ التقني أن يصب الطبيب فجأة على رأس المريض منذ أول إستشارة له الأسرار التي تكهن بها »(1a) . وهكذا يمكن القول بأن كل أولئك الذين لديهم « فكرة ما عن إكتشافات التحليل النفسي » دون أن يكونوا قد تلقوا الإعداد النظري والتقني الضروري (1)يمارسون التحليل الوحشي .

إنما يذهب فرويد أبعد من ذلك في إنتقاده : كي يشمل الحالات التي يكون فيها التشخيص صحيحاً ، وتأويل المحتوى اللاواعي مضبوطاً . « لقد تجاوزنا منذ زمن بعيد المفهوم القائل بأن المريض يشكو من نوع من الجهل : أي المفهوم الذي يذهب إلى أن الشفاء سيكون أكيداً إذا ما توصلنا إلى إزالة الجهل من خلال توصيل المعلومات (الخاصة بالعلاقات السببية ما بين مرضه وبين وجوده ، وأحداث طفولته ، إلخ) . إنما ليست عدم المعرفة بحد ذاتها هي التي تشكل العامل المولد للمرض ، بل كونها تقوم على « مقاومات داخلية » هي التي أدت إليها في الأساس ، وهي التي تستمر في تغذيتها [. . .] . فإذا ما أبلغنا المرضى بلاوعيهم ، فإننا نثير عندهم على الدوام تصعيداً لصراعاتهم ، وتأزيماً لآلامهم »(1b) . ولهذا يتطلب مثل هذا الكشف أن تكون النقلة راسخة ، وأن تكون المحتويات المكبوتة قد أصبحت قريبة من الوعي . وإلا فإنه يولّد وضعية من القلق الذي تفلت من سيطرة المحلل . وبهذا المعنى ، يمكن في أيامنا هذه وصف الطريقة التحليلية في أصولها التي لم تكن قد تخلصت جيداً بعد من التقنيات التنويمية والتفريجية ، بأنها وحشية ، كما أكد فرويد على ذلك تكراراً .

إلا أنه لمن الإدعاء بمكان إعتبار التحليل الوحشي وقفاً على المعالجين النفسيين غير المؤهلين ، أو إعتباره يمت إلى زمن بائد من تاريخ التحليل النفسي ، مما يشكل طريقة سهلة للإعتقاد بأننا معصومون عنه . فما يتصدى له فرويد في التحليل الوحشي ليس بالواقع الجهل ، بل هو يهاجم ذلك الموقف من قبل المحلل الذي يجد في « علمه » تبريراً لسلطته . يقتبس فرويد في إحدى مقالاته التي يتعرض فيها للتحليل الوحشي دون أن يسميه عن هاملت ما يلي : « أوتعتقد أنه من الأسهل التلاعب بي من اللعب بقيثارة ؟ »(2) . وبهذا المعنى يبدو واضحاً أن تحليل الدفاعات أو النقلة قد

يتم بنفس القدر من الوحشية التي يتم فيها تحليل المحتوى .

سبق لفرنزي أن عرّف التحليل الوحشي بأنه « إضطرار التحليل » ، ذلك الإضطرار الذي قد يتجلى داخل الوضعية التحليلية أم خارجها سواء بسواء ؛ وهو يضعه في مقابل « المرونـة » التـي يتطلبها أي تحليل ، منذ اللحظة التي لا نرى فيه بنية مشيدة تبعاً لمخطط مسبق(3) . ويلاحظ جلوفر أن المحلل الذي « يتربص » بأي هفوة ، أو يعزل حلماً أو احد عناصره ، يجد في ذلك فرصة لإثبات « جبروته الهش »(4) .

وهـكذا نرى ، إذا ما إستغضنـا في مثـل هذه الملاحظـات ، في التحليل الـوحشي « العالم » منه أو الجاهل ، نوعاً من مقاومة المحلل لعملية التحليل الفريدة التي إنخرط فيها ، وهي مقاومة قد تهدد بجره إلى التنكر لكلام مريضه ، و« إطلاق » تأويلاته جزافاً .

(أ) تكونت الجمعية الدولية للتحليل النفسي ، عام1910 ، وهو نفس عام ظهور هذه المقالة .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., VIII, 124 ; S.E., XI, 226 ; Fr., p. 41. — *b)* G.W., VIII, 123 ; S.E., XI, 225 ; Fr., p. 40.

(2) Freud (S.). *Über Psychotherapie*, 1904. G.W., V, 19 ; S.E., VII, 262 ; Fr., p. 15.

(3) Ferenczi (S.). The elasticity of Psycho-analytic Technique (1928), in *Further Contributions*, p. 97.

(4) Glover (E.). *Technique of Psycho-Analysis* (1955), fr. Paris, P.U.F., 1958, p. 8.

تحوير ، تشويه

Déformation
Eng.: Distortion
D.: Entstellung

■ هو الأثر الإجمالي لعمل الحلم : حيث تحوّر الأفكار الكامنة إلى إنتاج ظاهر يَعْسرُ التعرف عليه ■ .

يرجى من القارىء الرجوع إلى المقالات الواردة في هذا المعجم حول « عمل الحلم ، ومحتوى ظاهر ، ومحتوى كامن » .

تترجم الطبعة الفرنسية لـ « تأويل الحلم »(Die traumedeutung, 1900) كلمة Entstellung بكلمة نقل Transposition . يبدو لنا هذا المصطلح ضعيفاً جداً . ذلك أنه لا يتـم التعبـير عن الأفكار الكامنة من خلال سجل آخر ، إنما هي تشوه بشكل لا يمكن معه إسترجاعها إلا من خلال عمل تأويلي . كما استبعد مصطلح إلتياث Alteration نظراً لما يتضمنه من معنى تحقيري . ولهذا فنحن نقترح مصطلح التحوير Déformation .

تداعي ، ترابط

Association
Eng.: Association
D.: Assoziation

■ هو مصطلح مستعار من المدرسة الترابطية . ويعني كل إرتباط ما بين عنصرين نفسيين أو أكثر تشكل سلسلتها رابطة من التداعيات .

يستخدم هذا المصطلح أحياناً للدلالة على العناصر التي تترابط على هذا النسق. هذا المعنى الأخير هو المقصود حين نكون بصدد العلاج. إذ نتكلم، على سبيل المثال عن « تداعيات حلم ما » للدلالة على ما له صلة ترابطية في كلام الشخص مع هذا الحلم. وقد يدل مصطلح « التداعي » في حده الأقصى على مجمل المادة المنطوقة خلال جلسة التحليل النفسي ■ .

يتطلب التعليق المستفيض على مصطلح « التداعي » إستقصاءً تاريخياً - نقدياً يستعرض إنتشار مذهب الترابطية في ألمانيا خلال القرن التاسع عشر ، وتأثيره على فكر « فرويد الشاب » ويبين على وجه التحديد كيف تمت مكاملته وتحويله من خلال الإكتشاف الفرويدي لقوانين اللاوعي .

نقتصر الحديث إذاً على الملاحظات التالية حول هذه النقطة الأخيرة :

1 - لا يمكن فهم معنى ومدى مفهوم التداعي في التحليل النفسي بدون الرجوع إلى التجربة العيادية حيث إستخلصت طريقة التداعيات الحرة . تبين « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » كيف إنساق فرويد إلى متابعة مريضاته بشكل متزايد في مسلك التداعيات الحرة الذي كن يرشدنه إليه (أنظر تعليقنا على « التداعي الحر ») . يمكن تبسيط ما ينتج عن تجربة فرويد خلال سنوات إكتشاف التحليل النفسي ، من وجهة نظر نظرية التداعيات ، على الوجه التالي :

أ - تحيلنا أي « فكرة تخطر » للشخص ، بشكل معزول ظاهرياً ، دوماً في الواقع ، إلى عناصر أخرى ، سواء أكانت واعية أم لا . نكتشف هنا سلاسل من التداعيات يدل فرويد عليها بتعابير مختلفة : خط(linie) ، خيط (faden) ، ترابط(Verkettung) ، مجرى(Zug) ، إلخ . تتشابك هذه الخطوط في شبكات حقيقية تتضمن « نقاطاً عقدية » حيث تتقاطع العديد من هذه الخطوط .

ب - تتطابق التداعيات كما تترابط في خطاب الشخص ، في رأي فرويد ، مع تنظيم معقد للذاكرة . ولقد قارن هذا النظام بنظام محفوظات مرتب تبعاً لنماذج تصنيف مختلفة ، وبالإمكان الرجوع إليه تبعاً لمداخل مختلفة أيضاً (الترتيب الزمني ، أو الترتيب تبعاً للمواد ، إلخ)(1a) . يفترض تنظيم كهذا أن التصور ، أو الأثر الذاكري لنفس الحدث يمكن أن يتواجد في عدة مجموعات (وهو ما يطلق عليه فرويد إسم « الأنظمة الذاكرية ») .

جـ - يتأكد هذا الترتيب في منظومات في التجربة العيادية : فهناك « مجموعات نفسية منفصلة »(1b) حقيقية ، أي مركبات من التصورات المنشطرة عن سياق التداعيات : « بإمكان هذه التصورات المعزولة التي تتضمنها المركبات الذهنية أن ترد على الفكر بشكل واعٍ ، كما أشار إليه بروير . فقط توليفتها المحددة جداً هي التي تظل مستبعدة من الوعي »(1c). وخلافاً لبروير ، لا يرى فرويد أن التفسير الأخير لهذه الواقعة يكمن في الحالة التنويمية ، رغم أنه يشدد على فكرة الإنشطار

ضمن النفس. تشكل مجموعة التداعيات المنفصلة مصدر فكرة اللاوعي « الموقعية » .

د ـ لا تظل « قوة » أي عنصر ، في أحد مركبات التداعيات ، لصيقة به بشكل جامد . تتوقف لعبة التداعيات على عوامل إقتصادية : إذ تنتقل طاقة التوظيف من عنصر إلى آخر ، وتتكثف في النقاط العقدية إلخ . (إستقلال العاطفة بالنسبة إلى التوظيف) .

هـ ـ وفي النهاية ، فإن خطاب التداعيات ليس محكوماً بشكل فاتر بقوانين عامة كتلك التي عرّفتها الترابطية: فالشخص ليس مجرد « تجمع من الصور » . إذ يندرج تجمع التداعيات وعزلتها المحتملة أحياناً ، و« ترابطها الزائف » ، وإمكانية عبورها إلى الوعي ، في « دينامية » الصراع الدفاعي الخاص بكل فرد منا .

2 ـ يسلّط « مشروع علم نفس علمي عام1895 » الأضواء على الاستعمال الفرويدي لفكرة التداعي ويبين ، من الناحية النظرية المحضة ، كيف أسبغ إكتشاف التحليل النفسي للاوعي معنى جديداً على فرضيات الترابطية المسبقة التي إستند إليها فرويد :

أ ـ يُطرح عمل التداعيات كسيلان الطاقة داخل « الجهاز العصبي » المبني بطريقة معقدة على شكل تدرج تشعبات متتابعة . تستخدم كل إثارة هذا المسلك أو ذاك ، عند كل تقاطع ، بشكل تفضيلي إنطلاقاً من « السيالات العصبية » التي تركتها الإثارات السابقة . ولا يجوز أن تفهم فكرة السيال العصبي بادىء ذي بدء كمسلك أكثر سهولة من صورة إلى أخرى ، بل كعملية تعارض فارقي : فلا يُشق مسلك ما إلا انطلاقاً من عدم شق المسلك المقابل له .

ب ـ لا يتعلق الأمر خلال الفرضيات التي إنطلق منها فرويد في البداية ، بصور بمعنى الإنطباع النفسي أو العصبي المشابه لموضوع واقعي . لا يتعدى الأمر في البداية كونه « أعصاباً » و« كميات »(2) .

ولن يفوت البعض أن يقارب ما بين هذا المفهوم ، الذي قد يبدو بسبب طابعه الآلاتي ، ولغته العصبية الفسيولوجية ، جد بعيد عن التجربة ، وبين التعارض الثابت ما بين التصور ومقدار العاطفة، في نظرية فرويد النفسانية. فالتصور هو كالعصب سواء بسواء، ذلك العنصر المكتوم والمنقطع في إحدى الترابطات . ويتوقف معناه ، على غرار العصب ، على المركب الذي يكونه مع عناصر أخرى . وبالإمكان مقارنة عمل « الجهاز العصبي » في هذا المنظور ، بعمل اللغة كما تحللها الألسنية التركيبية : أي اللغة التي تتكون من وحدات منقطعة تنتظم في تعارضات ثنائية .

(1) Breuer (J.) et Freud (S.). *a)* Cf. G.W., I, 291 sqq. ; S.E., II, 288 sqq. ; Fr., 233 sqq. — *b)* Cf. p. ex. G.W., I, 92 et 289 ; S.E., II, 12 et 286 ; Fr., 9 et 231. — *c)* G.W., I, 187 (note) ; S.E., II, 214-15 ; Fr., 171.

(2) Cf. Freud (S.). All. 379-386 ; Angl. 355-363 ; Fr., 315-321.

تداعي حر (طريقة أو قاعدة ـ)

Libre association (méthode ou règle de -)
Eng.: Free association
D.: Freie assoziation

■ تتمثل هذه الطريقة في التعبير عن كل الأفكار التي ترد إلى الذهن إما إنطلاقاً من عنصر معين (كلمة ، رقم ، صورة من صور الحلم ، أو تصور ما) ، وإما بشكل عفوي ، وذلك بدون أدنى تمييز بينها ■ .

عملية التداعي الحر هي من العناصر المكوّنة لتقنية التحليل النفسي . وليس بالإمكان تحديد تاريخ دقيق لإكتشافها ؛ إذ أنها تبلورت تدريجياً ما بين الأعوام1892 و1898 ومن خلال عدة مسالك .

1 ـ لقد برز التداعي الحر ، كما تبينه لنا « الدراسات حول الهستيريا عام1895 » انطلاقاً من طرق إستقصاء اللاوعي السابقة على التحليل النفسي ، والتي كانت تستعين بالإيحاء والتركيز الذهني عند المريض على تصور معين ؛ ولقد زال (في هذه الطريقة) البحث الدائب عن العنصر المولد للمرض لمصلحة التعبير التلقائي عند المريض . وتوضح « الدراسات حول الهستيريا » الدور الذي لعبه المرضى في هذا التطور (أ) .

2 ـ ولقد إستعمل فرويد ، في موازاة ذلك طريقة التداعي الحر في تحليله الذاتي وفي تحليل أحلامه على وجه الخصوص . ولقد كان ينطلق في هذا الصدد من أحد عناصر الحلم لإكتشاف السلاسل الترابطية المؤدية إلى أفكار الحلم .

3 ـ وفي منظور تحليلي ، إنطلقت تجارب مدرسة زيوريخ(1) من التجارب الأقدم التي أجرتها مدرسة فوندت والتي كانت تتلخص في دراسة الإرجاع وأزمان الإرجاع (التي تتفاوت تبعاً للحالة الذاتية) على كلمات مثيرة . ولقد أوضح يونغ حقيقة كون التداعيات التي تولد بهذه الطريقة محتومة « . . . بمجمل الأفكار ذات الصلة بحدث خاص يتسم بصبغة إنفعالية »(2) ، ولقد أطلق على مجمل الأفكار هذا إسم « العقدة » .

يعترف فرويد في « إسهام في تاريخ حركة التحليل النفسي عام1914 » بأهمية هذه التجارب « للوصول إلى إثبات تجريبي سريع لما تحقق منه التحليل النفسي ، ولاطلاع الطالب مباشرة على هذه أو تلك من الترابطات التي يمكن للمحلل وحده أن يرويها »(3) .

4 ـ وقد يحسن أيضاً الإشارة إلى مصدر سبق لفرويد نفسه أن أشار إليه في مذكرة « حول ما قبل تاريخ التقنية التحليلية عام1920 » : فلقد كان الكاتب لودفيج بورنه الذي قرأ له فرويد في شبابه ينصح من يريد أن « يصبح كاتباً أصيلاً خلال ثلاثة أيام » بكتابة كل ما يرد على ذهنه ، كما كان يهاجم آثار الرقابة الذاتية على الإنتاج الفكري (4) .

●●●

يستدعي مصطلح « الحر » في صيغة « التداعي الحر » الملاحظات التالية :

1 - حتى حين تكون نقطة الإنطلاق من خلال كلمة مثيرة (كما هو حال تجربة زيوريخ) أو من خلال عنصر من عناصر الحلم (وهي طريقة فرويد في « تأويل الأحلام عام 1900 » ، يمكن إعتبار مجرى التداعيات « حراً » بالقدر الذي لا يكون فيه هذا المجرى موجهاً أو مضبوطاً من خلال قصد إنتقائي ؛

2 - تتصعد حدة هذه « الحرية » حين لا يكون هناك أي نقطة إنطلاق محددة . وبهذا المعنى يصار إلى الكلام عن قاعدة التداعي الحر كمرادف لقاعدة أساسية في التحليل النفسي ؛

3 - والواقع أنه ليس علينا أن نأخذ كلمة الحرية بمعنى عدم التحديد : إذ ترمي قاعدة التداعي الحر بادىء ذي بدء إلى إستبعاد الإنتقاء الإرادي للأفكار ، أي أنها ترمي إلى تعطيل لعبة الرقابة الثانوية (ما بين الوعي وما قبل الوعي) حسب مصطلحات النظرية الموقعية الفرويدية الأولى . وهي تكشف هكذا الدفاعات اللاواعية ، أي فعل « الرقابة الأولى » (بين ما قبل الوعي واللاوعي) .

وأخيراً فإن طريقة التداعيات الحرة مخصصة لجلاء نظام محتوم للاوعي : « حين تترك التصورات - الهدف ، الواعية ، فإن ما يطغى على مجرى التصورات هو بالضرورة التصورات - الهدف الخفية »(5) .

(ا) أنظر بهذا الصدد خصوصاً ، ما رواه لنا فرويد عن مريضته إيمي فون ن . . . : حيث أجابت على الحاح فرويد في البحث عن مصدر العارض بالقول « . . . لا يجب أن يطلب إليها دوماً من اين يأتي هذا او ذاك ، بل عليه أن يتركها تروي ما تريد قوله »(6a) . يشير فرويد بصدد هذه المريضة قائلاً أنه يبدو أنها « . . . قد انتقت طريقتها الملائمة » : « فما تسرده لي [. . .] ليس فاقداً للقصدية بالقدر الذي يفترضه مظهره (السطحي) ؛ ما تسرده يعيد بأمانة نسبية الذكريات والإنطباعات الجديدة التي أثرت عليها منذ مقابلتنا الأخيرة ، وتصدر غالباً ، بشكل غير متوقع تماماً ، عن البقايا المرضية التي تتحرر منها تلقائياً بواسطة الكلام »(6b) .

(1) Cf. Jung (C. G.). *Diagnostische Assoziationsstudien*, 1906.
(2) Jung (C. G.) et Ricklin (F.). *Diagnostische Assoziationsstudien, I Beitrag : Experimentelle Untersuchungen über Assoziationen Gesunder*, 1904. N. p. 57.
(3) Freud (S.). G.W., X, 67 ; S.E., XIV, 28 ; Fr., 285.
(4) Freud (S.). G.W., XII, 311 ; S.E., XVIII, 265.
(5) Freud (S.). G.W., II-III, 536 ; S.E., V, 531 ; Fr., 437.
(6) Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* G.W., I, 116 ; S.E., II, 63 ; Fr., 48. — *b)* G.W., I, 108 ; S.E., II, 56 ; Fr., 42.

تسامي

Sublimation

Eng.: Sublimation

D.: Sublimierung

■ إفترض فرويد هذه العملية لتبيان النشاطات الإنسانية التي لا صلة ظاهرية لها مع

الجنسية ، ولكنها تستقي مددها من قوة النزوة الجنسية . ولقد أطلق فرويد أساساً وصف التسامي على النشاط الفني والإستقصاء الذهني .

وتطلق تسمية التسامي على النزوة بمقدار تحولها إلى هدف جديد غير جنسي ،حيث تستهدف موضوعات ذات قيمة إجتماعية ■ .

يثير مصطلح التسامي ، الذي أتى به فرويد في التحليل النفسي ، في آن معاً مصطلح السمو المستخدم في مجال الفنون الجميلة للدلالة على الإنتاج الذي يوحي بالعظمة ، والرفعة ، ومصطلح التسامي المستخدم في الكيمياء للدلالة على عملية التحول المباشر لأحد الأجسام من الحالة الصلبة إلى الحالة الغازية .

يلجأ فرويد ، خلال أعماله كلها ، إلى فكرة التسامي كي يوضح ، على المستويين الإقتصادي والدينامي ، بعض أنماط النشاط المستندة إلى رغبة لا تهدف بشكل صريح إلى غاية جنسية : من مثل الإبداع الفني ، والإستقصاء الفكري ، والنشاطات التي يخصها المجتمع بقيمة كبيرة ، على وجه الإجمال . يبحث فرويد عن القوة الدافعة الأخيرة لهذه التصرفات في تحوّل النزوات الجنسية إذ يقول : « تضع النزوة الجنسية كميات من القوة خارقة في كبرها ، بتصرف العمل الثقافي ، بفضل ما تتميز به من قدرة على إزاحة هدفها (من موضوع إلى آخر) بدون أن تفقد اندفاعها الأساسي . وتطلق تسمية القدرة على التسامي على تلك القدرة على تغيير الهدف الجنسي الأصلي بهدف آخر غير جنسي ولكنه يمت إليه نفسياً بصلة القربى »(1a) .

وحتى على المستوى الوصفي ، لم تذهب الصياغات الفرويدية الخاصة بالتسامي بعيداً جداً . ولم يصار إلى تحديد دقيق لمجال النشاطات المتسامية : فهل يستلزم الأمر مثلاً إدخال مجمل العمل الذهني في هذا المصطلح ، أو إقتصاره على بعض أشكال الإبداع الفكري فقط ؟ وهل يجب إعتبار المكانة الإجتماعية المرموقة التي تحظى بها النشاطات المسماة متسامية في بعض الثقافات كسمة كبرى من سمات التسامي ؟ أم أن هذه النشاطات تشمل أيضاً مجمل النشاطات التي تطلق عليها تسمية متكيفة (عمل ، ترويح ، إلخ . . .) ؟ وهل يطال التغيير الذي يُفترض تدخله في العملية النزوية هدفها فقط ، كما ذهب فرويد إلى ذلك زمناً طويلاً ، أم أنه يمس هدف وموضوع النزوة في آن معاً ، كما يذكر في « دروس إضافية في التمهيد للتحليل النفسي عام1932 » : « نعني بالتسامي ذلك النوع من تعديل الهدف وتغيير الموضوع الذي يدخل فيه تقويمنا الإجتماعي (للمسألة) بعين الإعتبار »(2) .

ويصادف هذا الشك ، كما أشار إليه فرويد نفسه، من وجهة النظر ما وراء النفسانية(3) . تلك هي الحالة ، حتى في نص متمحور حول موضوع النشاط الفكري والفني ، من مثل « ذكرى طفلية عند ليونارد دي فنشي عام1910 » .

•••

نحن لا نرمي هنا إلى تقديم نظرية إجمالية عن التسامي تخرج عن إطار العناصر ذات الإرصان المزيل التي تقدمها لنا نصوص فرويد . سنقتصر على الإشارة إلى بعض توجهات الفكر الفرويدي

(في هذا الصدد) ولكن بدون القيام بتوليف لها .

1 ـ ينصب التسامي بشكل إنتقائي على النزوات الجزئية ، وخصوصاً تلك التي لا تنجح في التكامل في الشكل النهائي للحياة التناسلية : « وهكذا تصدر القوى المستخدمه في العمل الثقافي إلى حد كبير عن كبت ما يطلق عليه إسم العناصر الشاذة من الإثارة الجنسية »(1b) .

2 ـ أما على مستوى الأوالية ، فلقد أشار فرويد إلى فرضيتين على التوالي . ترتكز الفرضية الأولى على نظرية إستناد النزوات الجنسية إلى نزوات حفظ ـ الذات . وكما يمكن أن تصاب الوظائف غير الجنسية بعدوى الجنسية (في مثل حالات إضطرابات الغذاء والبصر ذات الأسباب النفسيه) ، كذلك « . . . قد تستخدم نفس المسالك التي تؤثر الإضطرابات الجنسية من خلالها على بقية الوظائف الجسدية ، في عملية أخرى هامة عن الشخص السوي إذ يتم من خلال هذه المسالك جذب قوى النزوات الجنسية نحو أهداف غير جنسية ، أي تسامي الجنسية »(4) . تكمن فرضية كهذه وراء دراسة فرويد عن ليونارد دي فنشي .

ومع تقديم فكرة النرجسية ، ومع آخر نظرية حول الجهاز النفسي طرحت فكرة أخرى . يستلزم تحويل نشاط جنسي معين إلى نشاط متسام (بإعتبار أن هذين النشاطين يتوجهان إلى موضوعات خارجية مستقلة) ، يستلزم إذاً مرحلة وسيطة ، يتم فيها إنسحاب الليبدو إلى الأنا ، مما يجعل تجريد (الموضوع الأصلي)من الشحنة الجنسية ممكناً . ويتكلم فرويد ، بهذا المعنى ، عن طاقة الأنا ، كطاقة « مجردة من جنسيتها ومتسامية » قابلة للإزاحة على نشاطات غير جنسية وذلك في كتابه « الأنا والهو1923 » قائلاً : « وإذا كانت طاقة الإزاحة هذه هي من نوع الليبدو المجرد من جنسيته ، لحقّ لنا أن نسميها أيضاً متسامية ، إذ من خلال إستخدامها لإقامة هذا الكل الموحد الذي يميز الأنا ، أو ميوله ، فإنها تتمشى دوماً مع قصد الإيروس الرئيسي الهادف إلى التوحيد وإقامة الصلات »(5) .

وقد نعثر هنا على إشارة إلى الفكرة القائلة بالاعتماد الوثيق للتسامي على البعد النرجسي للأنا ، حتى أننا نعثر من جديد ، على مستوى الموضوع الذي يشكل غاية النشاطات المتسامية ، على طابع الكلية البديع الذي يمحضه فرويد هنا للأنا . وقد يبدو ممكناً إدراج آراء ميلاني كلاين التي ترى في التسامي نزعة نحو تعويض وإصلاح الموضوع « الطيب » الذي مزقته النزوات التدميرية إرباً ، في نفس ذلك الخط الفكري(6) .

3 ـ وبقدر ما تظل نظرية التسامي قليلة الإرصان عند فرويد ، فإن تمييزها عن العمليات المجاورة لها (من مثل التكوين العكسي ، وصد الهدف ، والكبت والمثلنة) يظل بدوره كمجرد إشارة . وإذا كان فرويد قد أعطى كذلك للقدرة على التسامي دوراً أساسياً في مصير العلاج ، إلا أنه لم يبين هذا الدور عملياً .

4 ـ طرحت فرضية التسامي بصدد النزوات الجنسية ، إلا أن فرويد قد أثار أيضاً إمكانية تسامي النزوات العدوانية(7) ؛ ولقد أعيد طرح المسألة من بعده .

●●●

غالباً ما يُستعان بمفهوم التسامي ، في أدبيات التحليل النفسي ؛ ذلك أنه في الواقع مؤشر على

ضرورة مذهبية لا نرى سبيلاً إلى الإستغناء عنها . إنما يظل غياب نظرية متماسكة عن التسامي واحد من ثغرات الفكر التحليلي النفسي .

(1) FREUD (S.) : *Die « kulturelle » Sexualmoral und die moderne Nervosität*, 1908. — *a)* G.W., VII, 150 ; S.E., IX, 187. — *b)* G.W., VII, 151 ; S.E., IX, 189.

(2) FREUD (S.), G.W., XV, 103 ; S.E., XXII, 97 ; Fr., 133.

(3) Cf. FREUD (S.). *Das Unbehagen in der Kultur*, 1930. G.W., XIV, 438 ; S.E., XXI, 79 ; Fr., 18.

(4) FREUD (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 107 ; S.E., VII, 206 ; Fr., 107.

(5) FREUD (S.), G.W., XIII, 274 ; S.E., XIX, 45 ; Fr., 201-2.

(6) Cf. par exemple : KLEIN (M.). Infantile anxiety-situations reflected in a work of art and in the creative impulse, 1929, in *Contributions to Psycho-Analysis*, 227-35.

(7) Cf. JONES (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, 1957, vol. III. Angl., Hogarth Press, Londres, 1931 ; Fr. *(à paraître)*.

تشابك ـ إنفكاك

Intrication- Désintrication

■ أنظر :

إتحاد ـ إنفصال

■ Union-Désunion

تشبث الليبدو

Viscosité de la Libido

Eng.: Adhesiveness of the libido

D.: Kiebrigkeit der Libido

■ يسلم فرويد بهذه الصفة لتبيان قدرة الليبدو المتفاوتة في كبرها على التثبيت على موضوع ما أو على مرحلة (من مراحل تطوره) ، ولتبيان الصعوبة المتفاوتة في حجمها التي يصادفها في تغير توظيفاته بعد أن تتوطد . يتفاوت التشبث تبعاً للأفراد ■

نقع ، في النصوص الفرويدية ، على العديد من المصطلحات المجاورة للدلالة على صفة الليبدو هذه : (قابلية الإلتصاق Haftbarkeit) أو (قابلية التشبث والقدرة على التشبث Fähigkeit Zur fixierung) أو (تصلب Zähigkeit) ، أو (التشبث Klebrigkeit) ، أو (الجمود Trägheit) .

يميل فرويد إلى تفضيل إستخدام المصطلحين الأخيرين (التشبث والجمود) . وتجدر الملاحظة أن مصطلح التشبث يوحي بتصور فرويد لليبدو كتيار سائل . وحين قدم فرويد فكرة تثبيت الليبدو في كتابه « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » ؛ إفترض وجود عامل يُبين شدة التثبيت إستكمالاً للمعاش العابر (أنظر : سلسلة مكملة) : « . . . إنه عامل نفسي ذو منشأ

مجهول [...] ، أي نوع من قابلية الإلتصاق أو التثبيت العالي لأحداث الحياة الجنسية هذه »(1) .

يتمسك فرويد بهذا المفهوم طوال أعماله كلها . وهو يطرحه في سياقين على وجه الخصوص :

أ ـ على مستوى نظري ، حين يكون بصدد إعادة بناء تطور الحياة الجنسية الطفلية وتثبيتاتها ، خصوصاً في مقالته بعنوان « مقتطفات من تاريخ عصاب طفلي عام1918 » حيث يقول : « كان [رجل الذئاب] كلما وصل إلى موقع لبيدي يدافع عنه ، خوفاً من خسارة كل شيء إذا تركه ، وتوجساً من أن لا يجد في الموقع التالي بديلاً عنه يحمل له الإرضاء الكافي . تلك خاصية نفسية هامة وأساسية إستخلصتها باعتبارها قدرة على التثبيت في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية »(2A) .

ب ـ أما السياق الثاني (الذي يبين فيه مفهوم التشبث) فهو نظرية العلاج للإشارة إلى إحدى حدود العمل العلاجي . أن « ... العمليات التي يطلقها العلاج تجري (عند بعض الأشخاص) ببطء أشد بكثير مما هي عند غيرهم ، إذ أن هؤلاء المرضى لا يستطيعون على ما يبدو حسم أمرهم والإنفصال عن موضوع توظيفاتهم اللبيدية لإزاحتها على موضوع جديد ، مع أننا نعجز عن إكتشاف سبب نوعي للتمسك بهذا التوظيف »(3) .

ويشير فرويد إلى أن الحركية المفرطة للبيدو قد تشكل عائقاً عكسياً ، إذ تظل النتائج التحليلية ساعتها في غاية الركاكة .

كيف يفهم فرويد في نهاية المطاف ، هذا التشبث وذلك الثبات الذي يمكن أن يشكل عقبة كبرى في وجه العلاج ؟ إنه يرى فيه « رفماً أولياً »(2b) أو شيئاً غير قابل للإختزال ، عنصراً غير قابل للتحليل ، ويستحيل تغييره ، يحدده غالباً كعامل جبلي تعمل الشيخوخة على زيادة حدته .

يبدو أن تشبث اللبيدو يدلل على نوع من الجمود النفسي مماثل لظاهرة القصور في النظام الفيزيقي : فليس هناك أبداً من سبيل في مجال تحويلات الطاقة النفسية ، لتحريك كل كمية الطاقة التي سبق لها أن ثُبّتت في فترة ما . يستخدم فرويد أحياناً ، بهذا المعنى ، تعبير يونغ القائل بـ « جمود نفسي » على الرغم من التحفظات التي يثيرها بصدد القيمة التفسيرية الفضفاضة التي يعطيها يونغ لتلك الفكرة في بيان أسباب الأعصبة .

(1) Freud (S.). G.W., V, 144 ; S.E., VII, 242 ; Fr., 161.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., XII, 151 ; S.E., XVII, 115 ; Fr., 415. — *b)* G.W., XII, 151 ; S.E., XVII, 116 ; Fr., 415.
(3) Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. G.W., XVI, 87 ; S.E., XXIII, 241 ; Fr., 27.

تصريف

Abréaction

Eng.: Abreaction

D.: Abreagieren

■ هو تفريغ إنفعالي يتخلص الشخص بواسطته من العاطفة المرتبطة بذكرى حدث صدمي ،

مما يحول دون تحوله أو بقائه مولداً للمرض . وقد يتم التصريف الذي يمكن إفتعاله خلال العلاج النفسي ، وخصوصاً في حالة التنويم حيث يكون له أثر تفريجي ، بطريقة تلقائية يفصلها عن الصدمة الأولى فترة متفاوتة في طولها ■ .

لا يمكن فهم فكرة التّصريف ، إلا بالرجوع إلى نظرية فرويد المتعلقة بنشأة العارض الهستيري ، كما طرحها في « الأوالية النفسية للظواهر الهستيرية عام1893 » (1a)(1) . يتوقف إستمرار العاطفة المرتبطة بذكرى معينة على عوامل عدة : يرتبط أهم هذه العوامل بالأسلوب الذي إستجاب به الشخص لحدث ما . وقد تتكون هذه « الإستجابة » من منعكسات إرادية أو لا إرادية ، وقد تترلوح ما بين البكاء والإنتقام . وإذا كانت الإستجابة عظيمة الشأن بما فيه الكفاية ، فإن قسطاً كبيراً من العاطفة المرتبطة بالحدث يزول . أما إذا قُمِعَتْ الإستجابة فستظل العاطفة مرتبطة بالذكرى .

وهكذا فالتصريف هو السبيل السوي الذي يتيح للشخص أن يستجيب للحدث ، وأن يتجنب إحتفاظ هذا الحدث بمقدار مفرّط في أهمية من العاطفة . على أنه يجبَ أن تكون هذه الإستجابة « ملائمة » حتى يكون لها أثر تفريجي .

قد يكون التصريف تلقائياً ، بمعنى أنه يتلو الحدث بفترة وجيزة مما يحول دون تحميل ذكراه بعاطفة مفرطة الأهمية لدرجة تصبح معها مولدة للمرض . أو قد يكون التصريف ثانوياً يطلقه علاج نفسي تفريجي يتيح للمريض إستعادة ذكرى الحدث الصدمي وتحويله بالكلام إلى المستوى الموضوعي مما يحرره هكذا من مقدار العاطفة التي جعلته مولداً للمرض . يشير فرويد في الواقع ومنذ العام 1895 « إلى أن الإنسان يجد في اللغة بديلاً للفعل، بديل يمكن بفضله « تصريف » العاطفة بنفس مستوى الفعل »(1b) .

ولا يشكل التصريف الكثيف الأسلوب الوحيد الذي يتمكن الشخص بواسطته من التخلص من ذكرى حدث صدمي : إذ يمكن مكاملة الذكرى ضمن سلسلة ترابطات تتيح تصحيح الحدث وإعادته إلى حجمه . ومنذ « دراسات حول الهستيريا عام1895 » . يصف فرويد أحياناً ، كعملية تصريف ، العمل الحقيقي المبذول في الإستذكار والإرصان النفسي ، حيث يتم إيقاظ نفس العاطفة بالتلازم مع إستعادة ذكرى مختلف الأحداث التي ولّدتها(1c) .

ينتج عن غياب التصريف إستمرار مجموعات من التصورات ، التي تشكل مصدر الأعراض العصابية ، في حالة لا واعية ومعزولة عن المجرى العادي للتفكير : « تحتفظ التصورات التي أصبحت مولدة للمرض بنشاطها لأنها لا تخضع للإستنزاف العادي من خلال التصريف ، كما أن إسترجاعها مستحيل في حالات التداعيات الحرة »(1d) .

يجهد كل من بروير وفرويد لتمييز مختلف أنواع الشروط التي لا تتيح للشخص أن يصرّف . لا ترتبط بعض هذه الشروط بطبيعة الحدث ذاته بل بالحالة النفسية التي يصادفها عند الشخص : ذعر ، تنويم ـ ذاتي ، أو حالة تنويمية ؛ كما يرتبط بعضها الأخر ، بظروف ذات طبيعة إجتماعية عموماً ، تجبر الشخص على كف إستجاباته . وقد يتعلق الأمر ، أخيراً ، بحادث « . . . أراد المريض أن ينساه ، وهو لذلك كبته ، وصده ، وقمعه عن قصد خارج نطاق تفكيره الواعي »(1e) .

تحدد هذه الأنواع الثلاثة من الشروط أنماط الهستيريا الثلاثة أي : الهستيريا التنويمية ، وهستيريا الامساك ، وهستيريا الدفاع . ومن المعلوم أن فرويد لم يستبق ، منذ نشر « دراسات حول الهستيريا » ، إلا هذا الشكل الأخير منها .

* * *

يميز التأكيد القاطع على التصريف في فعالية العلاج النفسي بادىء ذي بدء المرحلة التي أُطلق عليها إسم الطريقة التفريجية . إلا أن هذه الفكرة تظل ماثلة في نظرية العلاج التحليلي النفسي ، لأسباب تمتُّ بصلة إلى الأمر الواقع (أي وجود ظواهر تفريغ إنفعالي بدرجات متفاوتة تبعاً لأنماط المرضى ، في أي علاج كان) ، وكذلك لأسباب تتعلق بالأساس بالقدر الذي لا تأخذ فيه أي نظرية في العلاج بعين الإعتبار الإستذكار وحده ، بل التكرار أيضاً . تتضمن الأفكار من مثل النقلة ، وعمل الإستيعاب ، والتفعيل كلها إشارة إلى نظرية التصريف ، في نفس الوقت الذي تؤدي فيه إلى مفاهيم أكثر تعقيداً عن العلاج من تلك القائلة بمجرد تصفية العاطفة الصدمية .

(أ) يبدو أن هذا التعبير الجديد Abreagieren قد نُحت من قبل بروير وفرويد إنطلاقاً من فعل Reagieren المستخدم بصيغة المتعدي ، ومن أداة التصدير ab التي تتضمن معانٍ عدة ، أبرزها بعد الشقة في الزمن ، وواقعة الإنفصال ، والإقلال ، والإلغاء ، إلخ . . .

(1) Breuer (J.) et Freud (S.). *a)* Cf. G.W., I, 81-9 ; S.E., II, 3-10 ; Fr., 1-7. — *b)* G.W., I, 87 ; S.E., II, 8 ; Fr., 5-6. — *c)* G.W., I, 223-4 ; S.E., II, 158 ; Fr., 125. — *d)* G.W., I, 90 ; S.E., II, 11 ; Fr., 8. — *e)* G.W., I, 89 ; S.E., II, 10 ; Fr., 7.

Développement d'angoisse — تصعيد القلق

Eng.: Generation of anxiety

D.: Angstentwicklung

■ نحت فرويد هذا المصطلح للدلالة على : القلق من حيث مجراه في الزمان وتصعيده عند الفرد ■

ندرج هنا هذا المصطلح الذي نصادفه مرات عديدة في كتابات فرويد وأخصها ، « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي أعوام 1915 -1917 » ، وكذلك « الصد ، العارض ، والقلق ، عام 1926 » لأنه جدير بأن يترجم من خلال معادل وحيد ـ مما هو ليس حال الترجمات الفرنسية .

يأخذ هذا المصطلح الوصفي معناه خصوصاً ضمن إطار نظرية عن القلق تميز ما بين وضعية صدمية حيث لا يمكن السيطرة على القلق (أي القلق الآلي) ، وبين إشارة القلق المخصصة لتجنب بروز هذا القلق الآلي . يتضمّن « تصعيد القلق » العملية التي تؤدي إلى الإنتقال من الحالة الثانيه إلى الوضعية الأولى ، حين تفشل إشارة القلق .

تصور Représentation

Eng.: Idea or presentation

D.: Vorstellung

■ هو من المصطلحات التقليدية في الفلسفة وفي علم النفس . ويُستعمل للدلالة « على ما نتصوره ، وما يكوِّن المحتوى المحسوس لفعل التفكير » و« خصوصاً لإسترجاع إدراك سابق »(1) . يعارض فرويد ما بين التصور وبين العاطفة ، إذ يلقى كل من هذين العنصرين مصيراً مختلفاً في العمليات النفسية ■ .

يشكل مصطلح Vorstellung = تصور جزءاً من المفردات التقليدية للفلسفة الألمانية . ولم يغير فرويد في البداية معناه المتعارف عليه ، إلا أنه يستخدمه بطريقة أصيلة (1) . وسنشير هنا باقتضاب إلى أوجه هذه الأصالة :

أولاً : ترتكز النماذج النظرية الأولى المخصصة لتبيان حالات النفاس على التفريق ما بين « مقدار العاطفة » وبين التصور . ففي العصاب الهجاسي يُزاح مقدار العاطفة من التصور المولد للمرض والمرتبط بالحدث الصدمي ، إلى تصور آخر يعتبره الشخص غير ذي دلالة . وأما في الهستيريا فيقلب مقدار العاطفة إلى طاقة جسدية ويرمز إلى التصور المكبوت بمنطقة أو بنشاط جسديين . تؤدي هذه الأطروحة القائلة بأن إنفصال العاطفة عن التصور هو في أساس الكبت ، إلى عرض مصير مختلف لكل من هذين العنصرين ، وإلى البحث في عمل عمليتين مستقلتين عن بعضهما البعض : إذ « يُكبت » التصور ، بينما « تُقمع » العاطفة ، إلخ .

ثانياً : من المعروف أن فرويد يتحدث عن « تصورات لا واعية » دون أن يفوته التحفظ حول ما يتضمنه ضم هذين المصطلحين إلى بعضهما من مفارقة . ولكن إذا كان قد إحتفظ بهذا التعبير ، فليس ذلك سوى دلالة على أن إستخدامه لمصطلح التصور يؤدي إلى تراجع وجه سائد من أوجه استخدامه في الفلسفة الكلاسيكية ، إلى المقام الثاني ، ونقصد بذلك « التصور الذاتي » لموضوع ما . إن التصور هو بالأحرى ذلك الجانب من الموضوع الذي يدوَّن في « الأنظمة الذاكرية » .

ثالثاً : على أننا نعلم أن فرويد لا يتصور الذاكرة كمجرد وعاء من الصور تبعاً لمفهوم تجريبي محض ، بل هو يتحدث عن أنظمة ذاكرية ، ويفرع الذكرى إلى سلاسل ترابطات مختلفة عن بعضها بعضاً ، كما أنه لا يطلق في النهاية إسم الأثر الذاكري ، على « إنطباع خفيف » لا زال على صلة تشابه مع الشيء ، بل على إشارة منسقة دوماً مع غيرها من الإشارات ، ولا ترتبط بالتحديد مع هذه أو تلك من الصفات الحسية . ولقد أمكن المقاربة في هذا المنظور ، ما بين « التصور » الفرويدي وبين فكرة « الدال » في الألسنية .

رابعاً : على أنه يتعين في هذا المقام أن نميز مع فرويد ما بين مستويين من هذه « التصورات » : أي « تصورات الكلمة » و« تصورات الشيء » . يشدد هذا التمييز على فارق يعطيه فرويد قيمة موقعية أساسية ؛ إذ تكون تصورات الشيء ، التي تميز نظام اللاوعي ، على صلة مباشرة مع الشيء : ففي « الهلوسة البدائية » يعتبر الطفل تصور الشيء كمعادل للموضوع المرئي ،

والذي يظل موظفاً حتى حين غيابه (أنظر : تجربة الإشباع) .

وبنفس الطريقة ، فحين يبحث فرويد ، خصوصاً خلال الأوصاف الأولى التي أعطاها للعلاج في الأعوام 1894 -1896 (2) ، عن « التصور اللاواعي المولد للمرض » في نهاية مسالك التداعيات فإن ما يرمي إليه هو بلوغ النقطة القصوى حيث يمتزج الموضوع بآثاره ، ويلتصق المدلول بالدال عليه .

خامساً : إلا أن التمييز ، في الإستعمال الفرويدي ، ما بين الأثر الذاكري والتصور بإعتباره توظيفاً للأثر الذاكري إذا وجد دوماً بشكل ضمني(3) ، فإنه على كل حال لا يطرح دوماً بوضوح(4) . ذلك أنه من الصعب بالتأكيد تصور أثراً ذاكرياً « خالصاً » في الفكر الفرويدي أي التفكير بتصورٍ مجرد من التوظيف كلياً ، سواء على مستوى النظام اللاواعي أم على مستوى النظام الواعي .

(أ) غالباً ما لوحظ التأثير الذي يمكن أن يكون قد مارسه المفهوم الذي طوّره هربارت ، حول « آلانية التصورات » حقيقية على فرويد . فكما أشارت أولا أندرسن إلى ذلك « . . كانت الهربارتية هي علم النفس السائد في الجو العلمي الذي عاش فيه فرويد خلال سنوات التكوين في نموه العلمي »(5) .

(1) LALANDE (A.). *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*, P.U.F., Paris, 1951.
(2) Cf. FREUD (S.). *Studien uber Hysterie*, 1895. *Passim*.
(3) Cf. FREUD (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 300 ; S.E., XIV, 201-2 ; Fr., 155-6.
(4) Cf. FREUD (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 247 ; S.E., XIX, 20 ; Fr., 173.
(5) ANDERSSON (O.). *Studies in the Prehistory of Psychoanalysis*, Svenska Bokförlaget, Norstedts, 1962, 224.

تصور الشيء وتصور الكلمة

Représentation de chose, Représentation de mot

Eng.: Thing presentation, Word presentation
D.: Sachvorstellung, Wortvorstellung

■ يستعمل فرويد هذه المصطلحات في نصوصه ما وراء النفسانية كي يميّز ما بين نوعين من « التصورات » ، ـ البصرية منها أساساً ـ والتي تشتقّ من الشيء « ـ السمعية منها أساساً ـ والتي تشتق من الكلمة . هذا التمييز عند فرويد مرمى ما وراء نفساني ، حيث يميز إرتباط تصور الشيء بتصوُر الكلمة المقابلة له نظام ما قبل الوعي ـ الوعي ، خلافاً لنظام اللاوعي الذي لا يدرك سوى تصور الشيء ■ .

نحيل القارىء بصدد مصطلح التصور وطريقة تمييزه عن مصطلح الأثر الذاكري المستخدم أحياناً كمرادف له إلى المقالتين حول : التصور ، والأثر الذاكري .

يعود أصل التمييز ما بين تصور الشيء وتصور الكلمة إلى أبحاث فرويد الشاب حول الـ الـ Aphasie = العِيّ .

تبرز فكرة تصور الشيء في مذهب فرويد في مرحلة مبكرة جداً جنباً إلى جنب مع مصطلح « الآثار الذاكرية» القريبة منها : والتي تحفظ في مختلف الأنظمة الذاكرية . إذ يصادف مصطلح تصور الموضوع Objektvorstellung في المقالة بعنوان : « حول مفهوم حالات العِيّ . دراسة نقدية عام 1891 » ؛ وأما في « تأويل الأحلام عام 1900 » فنصادف مصطلح تصور الشيء Dingvorstellung (1) . ومن أوضح التعريفات التي أعطاها فرويد لهذه الفكرة ما يلي : « إن لم يتلخص تصور الشيء في توظيف ينصب على الصور الذاكرية المباشرة للشيء ، فهو يتلخص على الأقل في توظيف ينصب على الآثار الذاكرية الأكثر بعداً والمشتقة من تلك الصور »(2a) . يستدعي هذا التعريف ملاحظتين :

أولاً : يتم تمييز التصور في هذا المقام بشكل قاطع عن الأثر الذاكري : فهو يعيد توظيف وإحياء ذلك الأثر الذاكري الذي لا يعدو كونه بحد ذاته تسجيل للحدث ؛

ثانياً : لا يجب أخذ تصور الشيء وكأنه شبيه عقلي لمجمل الشيء . إذ يكون هذا التصور حاضراً في مختلف الأنظمة أو مركبات الترابطات تبعاً لهذا أو ذاك من أوجهه المختلفة .

وأما تصورات الكلمة فلقد قُدمت ضمن مفهوم يربط ما بين النطق والوعي بالظاهرة . وهكذا نجد ، إنطلاقاً من « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » الفكرة القائلة بأن الصورة الذاكرية يمكنها إكتساب « مؤشر النوعية » الخاص بالوعي ، من خلال إرتباطها بصورة لفظية . تظل مثل هذه الفكرة ثابتة عند فرويد . إذ أنها أساسية في فهم العبور من العملية الأولية إلى العملية الثانوية ، ومن وحدة الإدراك إلى وحدة الفكر . ونجدها عام 1915 في المقالة حول « اللاوعي » على الشكل التالي الذي يبرز قيمتها الموقعية : « فبينا يشمل التصور الواعي ، تصور الشيء إضافة إلى تصور الكلمة المطابقة له ، يقتصر التصور اللاواعي على تصور الشيء وحده »(2b) .

لا تختزل أفضلية تصور الكلمة إلى مجرد تفوق السمعي على البصري. إذ لا تتعلق المسألة هنا باختلاف ما بين الأجهزة الحسية . إذ بيّن فرويد أن تصورات الكلمة نفسها تعامل في الفصام وكأنها تصورات شيء ، أي تبعاً لقوانين العملية الأولية ؛ تلك هي أيضاً الحالة في الحلم ، حيث تخضع بعض الجمل المنطوقة في حالة اليقظة إلى التكثيف والإزاحة تماماً كتصورات الشيء : « . . . حين تكون تصورات الكلمة المنتمية إلى البقايا النهارية رواسب إدراكية طازجة وراهنة ، وليست تعبيراً عن بعض الأفكار ، فإنها تعامل كما لو كانت تصورات شيء »(3) . وهكذا نرى أن تصور الشيء وتصور الكلمة لا يدلان ببساطة على طائفتين من « الآثار الذاكرية» ؛ إذ يكتسب هذا التمييز بينهما تبعاً لفرويد مدى موقعياً جوهرياً .

فكيف تتمفصل إذاً تصورات الكلمات مع هذه الدلالات ما قبل اللفظية التي تتشكل من تصورات الشيء ؟ وما هي علاقة هذه وتلك مع الإدراك ؟ ما هي الأوضاع التي يمحضها إياها

حضور هلاسي معين ؟ وفي نهاية التحليل ، ما هي الشروط التي تؤمن الأفضلية للرموز الألسنية اللفظية ؟ لقد حاول فرويد مراراً الإجابة على مسائل من هذا القبيل(4) .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., II-III, 302 ; S.E., IV, 296 . Fr., 222.

(2) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* G.W., X, 300 ; S.E., XIV, 201 ; Fr., 155-6. — *b)* G.W., X, 300 ; S.E., XIV, 201 ; Fr., 156.

(3) Freud (S.). *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1917. G.W., X, 418-9 ; S.E., XIV, 228 ; Fr., 174.

(4) Cf. notamment : Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 443 ; Angl., 421 ; Fr., 375. — *Die Traumdeutung*, 1900, chapitre sur « La régression ». — *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1917, *passim*. — *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 247 sqq. ; S.E., XIX, 20 sqq. ; Fr., 173 sqq.

تصور ـ هدف

Représentation-but
Eng.: Purposive idea.
D.: Zielvorstellung

■ نحت فرويد هذا المصطلح لتبيان ما يوجّه مجرى الأفكار ، سواء الواعية منها ، أم ما قبل الواعية أو اللاواعية : إذ توجد غائية على كل من هذه المستويات تقوم بتأمين ترابط ما بين الأفكار لا يتحدد بشكل آلاتي فقط ، بل من خلال بعض التصورات المفضلة التي تمارس على بقية التصورات جذباً حقيقياً : (ونرى مثلاً على ذلك في المهمة المطلوب القيام بها في حالة الأفكار الواعية ، وفي الهوامات اللاواعية حين يخضع الشخص لقاعدة التداعي الحر)■.

يستعمل فرويد مصطلح التصور ـ الهدف ، في كتاباته ما وراء النفسانية الأولى على وجه الخصوص : (« مشروع علم نفس علمي عام1895 » ، والفصل السابع من « تأويل الأحلام عام 1900 ») ، حيث يظهر هذا المصطلح في عدة مناسبات . وهو يوضح ذلك الجانب الأصيل من المفهوم الفرويدي عن الحتمية النفسية : فمجرى التفكير ليس طليقاً أبداً ، أي أنه ليس متحرراً من أي قانون ، وأكثر من ذلك فالقوانين التي تحكمه ليست هي القوانين الآلاتية التي إستخلصها مذهب الترابطية ، والتي يمكن أن يرد تسلسل الترابط ، تبعاً لها على الدوام إلى التجاور والتشابه بدون أن يكون هناك مجال للتعرف فيها على معنى أكثر عمقاً . « ففي كل مرة يرتبط فيها عنصران نفسيان برابطة سطحية ومحيرة ، يوجد هناك إرتباط صحيح وعميق بينهما ، وهو إرتباط تطمسه الرقابة »(1) .

يشير مصطلح التصور الهدف ، تبعاً لفرويد ، إلى خضوع الترابطات لغائية معينة . تكون الغائية جليّة في حالة التفكير المتيقظ والمميز ، حيث يتأمن الإختيار من خلال تصور الهدف المنشود . كما تكون الغائية كامنة ، يكشف عنها التحليل النفسي ، حين تبدو التداعيات متروكة على سجيتها (أنظر تداعي حر) .

لماذا يتحدث فرويد عن تصور ـ هدف وليس عن هدف وغائية فقط ؟ يُطرح السؤال

خصوصاً بصدد الغائية اللاواعية . ويمكن الإجابة بالقول بأن التصورات موضع البحث ليست شيئاً آخر سوى الهوامات اللاواعية . يجد هذا التأويل تبريره بالرجوع إلى النماذج الأولى التي وضعها فرويد عن نشاط الفكر : فهو مع الإستكشاف المميز للعمليات الثانوية على حد سواء ، ليس ممكناً إلا بسبب حفاظ الهدف أو التطور ـ الهدف على توظيفه وممارسته لجذب يجعل كل السبل التي تقترب منه أكثر نفاذاً وأفضل « تمهيداً » . هذا الهدف هو « تصور الرغبة » الذي يصدر عن تجربة الإشباع(2) .

ونعتقد أننا نظل من خلال ترجمتنا لمصطلح Zielvorstellung بتعبير « تصور ـ هدف » وليس بتعبير « تصور الهدف » ، أكثر أمانة لفكر فرويد : إذ لا نحيلنا التصورات موضع البحث هنا بشكل مقصود فعلياً إلى أهداف بقدر ما هي نفسها عناصر مثيرة قادر على تنظيم وتوجيه مسار التداعيات . ويتوافق المعادل الإنجليزي المقترح وهو (Purposive idea = فكرة هادفة) مع التأويل الذي نقول به .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 535 ; S.E., V, 530 ; Fr., 436.

(2) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse* 1887-1902. All. 411-6 ; Angl., 389-94 ; Fr., 345-9.

تعصيب Innervation

Eng.: Innervation

D.: Innervation

■ إستعمل فرويد هذا المصطلح في أعماله الأولى للدلالة على واقعة إنتقال طاقة معينة نحو هذا الجزء أو ذاك من أجزاء الجسد ، محدثة فيه ظواهر حركية أو حسية .

يمكن أن يحدث التعصيب ، وهو في الأصل ظاهرة فسيولوجية ، من خلال إنقلاب الطاقة النفسية إلى طاقة عصبية ■.

قد يسبب مصطلح التعصيب بعض الصعوبة لمن يقرأ فرويد . فهو في الحقيقة يستعمل في أيامنا هذه للدلالة على واقعة شراحية (أي مسار العصب الذي ينتهي في عضو ما) بينما يشير فرويد بهذا المصطلح إلى عملية فسيولوجية ، هي إنتقال الطاقة على إمتداد مسلك عصبي معين ، في اتجاه مصدّر أغلب الأحيان . ولنأخذ على سبيل المثال المقطع التالي حول الهستيريا : « . . . يستعمل الإنفعال المنتزع [من التصور] في تعصيب جسدي أي : إقلاب الإثارة »(1) .

(1) Freud (S.) et Breuer (J.). *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 288 ; S.E., II, 285 ; Fr., 230.

تفريج (طريقة تفريجية) Cathartique (méthode —)

Eng.: Cathartic therapy or cathartic method
D.: Kathartische methode

■ إنها طريقة في العلاج النفسي . يأخذ فيها الأثر العلاجي المنشود شكل تطهير (تفريج) وتفريغ ملائم للعواطف المرضية . ويتيح العلاج للشخص أن يستعيد ويعيش الأحداث الصدمية التي ترتبط بها هذه العواطف مما يؤدي إلى تصريفها .

تنتمي الطريقة التفريجية تاريخياً إلى فترة الأعوام (1880 -1895) حيث تبلور العلاج التحليلي النفسي تدريجياً إنطلاقاً من العلاجات التي كانت تجري في حالة التنويم المغناطيسي ■ .

مصطلح التفريج كلمة يونانية تعني التطهير والتفريغ . ولقد إستخدمه أرسطو للدلالة على الأثر الذي تتركه المأساة (المسرحية) على المتفرج : « المأساة هي محاكاة لفعل فاضل وناجز ، يطهِّر أهواء الخوف والإنسحاق من خلال إثارتها »(1) .

ولقد عاد كل من بروير وفرويد على التوالي إلى هذا المصطلح ، الذي يتضمن بالنسبة إليهما الأثر المنشود من التصريف الملائم للصدمة(2) . ومن المعروف تماماً ، بناءً للنظرية التي تم تطويرها في (دراسات حول الهستيريا عام1895) ، أن العواطف التي لم تفلح في شق طريقها نحو التفريغ تظل « حبيسة » ، مما يجعلها تمارس عندها آثاراً مولدة للمرض . ويكتب فرويد في تلخيص لاحق لنظرية التفريج ما يلي : « كنا نفترض أن العارض الهستيري يولد حين لا تتمكن الطاقة الخاصة بعملية نفسية معينة من الوصول إلى الإرصان الواعي وتوجّه بالتالي إلى التعصيب الجسدي أي (الإقلاب) [. . .] . وكان الحصول على الشفاء يتم بتحرير العاطفة المحولة عن إتجاهها الأصلي وتفريغها من خلال الطرق العادية (التصريف) »(3) .

إرتبطت الطريقة التفريجية في بدايتها إرتباطاً وثيقاً بالتنويم المغناطيسي . ولم يلبث فرويد أن تخلى عن إستخدام التنويم المغناطيسي كعملية تهدف إلى إزالة العارض مباشرة من خلال الإيحاء للمريض بأنه (أي العارض) غير موجود : بل أصبح التنويم يستخدم عوضاً عن ذلك لإطلاق عملية الإستذكار بإستعادة التجارب المنسية التي « كبتها » الشخص ، والتي تكمن وراء الأعراض إلى مجال الوعي (4) . تقدم هذه الذكريات المستعادة ، والمعاشة بكل زخمها الدرامي الفرصة للشخص كي يعبر عن العواطف التي قُمعت مباشرة لإرتباطها الأصلي بالتجربة الصدمية وأن يفرغها .

وسرعان ما تخلى فرويد عن التنويم المغناطيسي الفعلي ، واستبدله بمجرد الإيحاء الذي يهدف إلى إقناع المريض بأنه سيعثر على الذكرى التي ولّدت المرض ، مستعيناً على ذلك (بوسيلة إصطناعية هي الضغط براحة اليد على جبهة المريض) . ولقد أقلع فرويد أخيراً عن الإيحاء مكتفياً بتداعيات المريض الحرة . ويبدو أن غائية العلاج (أي شفاء المريض من أعراضه من خلال الرجوع إلى الطرق العادية لتفريغ العواطف) ، إستمرت هي نفسها ظاهرياً خلال هذا التطور في الأساليب التقنية . على أن هذا التطور التقني يتلازم في الواقع ، وكما يُدلل عليه الفصل الذي وضعه فرويد حول « العلاج النفسي للهستيريا » في كتاب « دراسات حول الهستيريا » مع تغير في منظور نظرية

العلاج أي : أخذ المقاومات ، والنقلة بعين الإعتبار ، والتوكيد المتزايد على فعالية الإرصان النفسي وعمل إستيعاب المادة المكبوتة . بهذا المعنى ، يفقد التأثير التفريجي المرتبط بالتصريف إعتباره كمفهوم رئيسي للعلاج .

وعلى كل حال ، يظل التفريج أحد أبعاد أي علاج نفسي تحليلي . حيث يصادف في الكثير من حالات العلاج ، وبأشكال متفاوتة تبعاً للبنية المرضية النفسية ، كاستعادة شديدة لبعض الذكريات ، يصاحبها تفريغ إنفعالي عاصف ، هذا من ناحية ، وأما من الناحية الثانية فمن السهل تبيان تواجد الأثر التفريجي في مختلف نماذج التكرار أثناء العلاج ، وخصوصاً في تجسيد النقلة . كذلك فإن عمل الإستيعاب والترميز بواسطة اللغة كانا ماثلين منذ البدء في القيمة التفريجية التي أقر بها فرويد وبروير للتعبير اللفظي حيث يرد : « . . . ففي اللغة يجد الإنسان بديلاً للفعل يمكن بفضله تصريف العاطفة بنفس الأسلوب تقريباً . وفي حالات أخرى يشكل الكلام المنعكس المناسب ، على شكل شكوى أو إفضاء بسر ينوء به صاحبه (إعتراف !) »(2b) .

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه إضافة إلى الآثار التفريجية التي نصادفها في كل تحليل نفسي ، هناك أنماط من العلاج النفسي ترمي قبل كل شيء إلى التفريج : حيث يؤدي التحليل التخديري Narco- Analyse بوسائل طبية والذي يستخدم خصوصاً في حالات العصاب الصدمي Traumatique إلى آثار قريبة من تلك التي كان يحصل عليها كل من بروير وفرويد بواسطة التنويم المغناطيسي . وفي هذا الصدد تُعرّف السيكودراما تبعاً لمورينو على أنها خلاص من المآزم الداخلية بواسطة اللعبة الدرامية .

(أ) أنظر بصدد هذا التطور في استخدام فرويد للتنويم ، على سبيل المثال المقالة بعنوان: « حالة من الشفاء بواسطة التنويم عام1892 -1893 » .

(1) Aristote. *Poétique*, 1449 *b*, 27.
(2) Cf. Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* G.W., I, 87 ; S.E., II, 8 ; Fr., 5. — *b)* G.W., I, 87 ; S.E., II, 8 ; Fr., 5-6.
(3) Freud (S.). *Psycho-Analysis*, 1926. G.W., XIV, 300 ; S.E., XX, 263-4.

Décharge — تفريغ

Eng.: Discharge.
D.: Abfuhr

■ يَستخدم فرويد هذا المصطلح « الإقتصادي » في إطار النماذج ذات المنحى الفيزيقي التي يقدمها عن الجهاز النفسي : أي إخلاء الطاقة الناجمة في الجهاز النفسي عن الإثارات ذات المنشأ الخارجي أو الداخلي إلى خارج هذا الجهاز . وقد يكون هذا التفريغ كلياً أو جزئياً ■ .

نُحيل القارىء إلى المقالات حول مختلف المبادىء التي تحكم التشغيل الإقتصادي للجهاز

النفسي أي إلى : (مبدأ الثبات ، ومبدأ القصور ، ومبدأ اللـذة) ، من ناحية ، وأما فيما يتعلق بدور إضطرابات التفريغ في توليد المرض ، فإننا نحيله إلى المقالات بعنوان : (العصاب الراهن ، والإنحباس الليبيدي) .

تفعيل Acting out

■ يُستخدم هذا المصطلح في التحليل النفسي للدلالة على الأفعال التي تتخذ على الأغلب طابعاً إندفاعياً يفترق نسبياً عن أنظمة الدوافع المعتادة للشخص ، ويظل معزولاً نسبياً عن مجرى نشاطاته ، كما أنها تتخذ غالباً شكل عدوانية موجهة نحو الذات ، أو نحو الغير . يرى المحلل النفسي في إنبثاق التفعيل دلالة على بروز المكبوت . وحين يحدث التفعيل خلال التحليل (سواء أكان ذلك أثناء الجلسة أو خارجها) فيتعين فهمه في ارتباطه مع النقلة ، والنظر إليه على الأغلب كمحاولة للتنكر الجذري لها ■ .

إعتمد المحللون النفسيون الفرنسيون مصطلح « التفعيل » الإنجليزي ، مما يثير بادىء ذي بدء مشكلات مصطلحية .

أولاً : فبالقدر الذي يُترجم ما يسميه فرويد «Agieren» بالكلمة الإنجليزية To act out « فعَّـلَ» ، (ومنها المصدر : تفعيل Acting out) ، يغطي هذا المصطلح كل اللّبس الذي يحيط بما يشير إليه فرويد بهذه التسمية (أنظر : Mise en acte فعلنة). وهكذا تتضمن مقالة « التفعيل » في القاموس العام لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسي ، لأنجليش وإنجليش » التعريف التالي : « إنه بروز سلوك في وضعية جديدة ، يتلاءم في قصده مع وضعية أقدم منها ، وتمثل الوضعية الجديدة هنا رمزياً الوضعية القديمة . أنظر : نقلة ، التي تشكل نوعاً من التفعيل » .

ثانياً : يتناقض التعريف السابق مع أكثر المعاني المتعارف عليها شيوعاً لكلمة « تفعيل » ، أي المعنى الذي يفرّق ما بين مجال النقلة واللجوء إلى التفعيل ، لدرجة طرح التعارض بينهما ، إذ يرى في التفعيل محاولة لقطع العلاقة التحليلية .

ثالثاً : وسنبدي عدة ملاحظات حول الفعل الإنجليزي To act out « فعَّـلَ » :

أ ـ حين يستعمل فعل To act في صيغة المتعدي يكون مشبعاً بمعانٍ تمتُّ إلى المجال المسرحي To act a play = لعب مسرحية ؛ To act a part = لعب دوراً ، إلخ . . . وينطبق نفس الأمر على الفعل المتعدي To act out .

ب ـ وتحمل كلمة Out = خارجاً تمييزاً بين معنيين : الإفصاح ، والإظهار إلى الخارج لما يفترض أن نحتفظ به داخل أنفسنا ، والإنجاز السريع لغاية إتمام الفعل (ونجد هذه الفروق في المعنى في تعابير من مثل To carry out = أوصل الأمر الى نهايته الحسنة ؛ و To sell out = باع كل مخزونه ، إلخ) .

جـ ـ أدى المعنى الأصلي ، المكاني الصرف ، لكلمة « خارجاً » ببعض المحللين النفسيين إلى

الوقوع في خطأ فهم Acting out = التفعيل على أنه فعل يتم خارج جلسة التحليل ، ومقابلته بـ Acting in = أي التفعيل خلال الجلسة . والواقع أنه يتعين علينا إذا أردنا إبراز التعارض ما بين هاتين الحالتين ، أن نقول Acting out outside of psychoanalysis ، و Acting out inside psychoanalysis أي تفعيل خارج وضعية التحليل ، وتفعيل داخل وضعية التحليل » .

رابعاً : يبدو من الصعب العثور بالفرنسية على تعبير يعكس كل تلك الفروق السابقة في المعاني (إقترحت تعابير من مثل Agissement = ممارسات [سيئة] ، و Actuation = حصول) . أما مصطلح Passage à l acte = العبور إلى الفعل » وهو أكثر التعابير ، المعادلة للتعبير الإنجليزي ، إعتماداً فإنه يعاني ، من ضمن ما يعانيه ، من تكريسه سابقاً في الممارسة العيادية الطبية العقلية ، حيث تميل إلى تخصيصه بشكل حصري للأفعال الإندفاعية العنيفة ، العدوانية والجانحة (قتل ، إنتحار ، محاولة إعتداء جنسي ، إلخ) ؛ حيث يعبر الشخص من مستوى التصور والنزعة ، إلى الفعل الحقيقي. كما أنه لا يتضمن ، من ناحية ثانية ، في إستعماله العيادي إشارة إلى وضعية النقلة .

***

تتسع خانة الأفعال التي تندرج ، من الناحية الوصفية ، تحت خانة التفعيل كثيراً ، شاملة بذلك ما تطلق عليه الممارسة العيادية الطبية العقلية إسم « العبور إلى الفعل » (أنظر أعلاه) ، إضافة إلى أشكال أكثر خفاءً ، شريطة أن تتوفر فيها صفة الإندفاع ، التي يعسر تبريرها بالنسبة للشخص ، والتي تشكل إنقطاعاً عن سلوكه العادي ، حتى ولو قدّم تبريراً لاحقاً لهذا العمل ؛ تؤشر هذه الصفة الإندفاعية بالنسبة للمحلل النفسي إلى عودة المكبوت ؛ ومن الممكن إعتبار بعض الحوادث التي تصيب الشخص كنوع من « التفعيل » حين يحس أنه بَراءٌ من حدوثها . يطرح هذا التوسع في إستخدام مفهوم « التفعيل » الذي يعاني من بعض الغموض وتفاوت الدلالة تبعاً للمؤلفين ، بالطبع مشكلة تبيان حدوده بالنسبة لبعض المفاهيم الأخرى التي أبرزها فرويد ، وخصوصاً الهفوات والظواهر التي تطلق عليها تسمية التكرار (؟) . الهفوة هي أيضاً بلورها دقيقة ومعزولة ، ولكن طابع التسوية المميز لها يظل بارزاً ، على الأقل في أكثر صورها جلاءً ؛ بينما أن حال ظواهر التكرار المعاش (من مثل إضطرار المصير) هو على عكس ذلك حيث تعود المحتويات المكبوتة بأمانة كبيرة في سيناريو لا يتعرّف فيه الشخص على ذاته بإعتباره الفاعل .

***

يشكل إقامة الصلة ما بين بروز هذا الفعل الإندفاعي ودينامية العلاج والنقلة واحدة من إسهامات التحليل النفسي . إذ أشار فرويد بوضوح إلى هذا المسلك حين بيّن ميل بعض المرضى إلى « تفعيل » الحركات النزوية التي أيقظها التحليل خارج إطار جلساته . ولكنه بالقدر الذي يصف فيه حتى النقلة على شخص المحلل ، بإعتبارها أسلوباً في « التفعيل » كما نعلم ، فإنه لم يميز بصراحة ما بين ظواهر التكرار في النقلة وظواهر « التفعيل » ، ولا هو بيّن الروابط بينهما . يبدو أن ما قدمه من تمييز بينهما ، ينصبّ خصوصاً على اهتمامات تقنية إذ يكون الشخص الذي يفعّل

صراعاته خارج العلاج ، أقل إستعداداً للوعي بطبيعتها التكرارية ، ويمكنه بالتالي ، بصرف النظر عن أي ضبط أو أي تأويل من قِبَل المحلل ، أن يُشبع نزواته المكبوتة ، إلى نهايتها ، أي إلى حد الفعل الناجز : « ليس من المرغوب فيه أن يفعِّل المريض ، خارج إطار النقلة ، عوضاً عن أن يتذكر ؛ فالوضع المثالي ، بالنسبة لهدفنا (العلاجي) هو أن يتصرف بشكل سويّ بقدر الإمكان خارج العلاج ، وأن لا يفصح عن إستجاباته اللاسوية إلا في النقلة »(1) .

تتلخص إحدى مهام التحليل في البحث عن أساس للتمييز بين النقلة و« التفعيل » إنطلاقاً من محكات ، غير المحكات التقنية المحضة ، والمكانية المحضة (أي التمييز بين ما يجري في عيادة المحلل ،وما يجري خارجها)؛ وهذا ما يفترض تفكيراً متجدداً حول مفاهيم الفعل ، والتجسيد ، وحول ما يميز نوعياً مختلف أساليب الإتصال .-

فقط عندما تتوضّح العلاقات ما بين التفعيل والنقلة التحليلية بشكل نظري ، يتسنى لنا البحث عما إذا كان بالإمكان تعميم البنى المستخلصة على هذا القرار ، بصرف النظر عن أي رجوع إلى العلاج ، أي أن نتساءل عما إذا كان بالإمكان توضيح الأفعال الإندفاعية في الحياة اليومية ، من خلال ردها إلى علاقات من نمط علاقات النقلة .

(أ) يفرض هذا التحديد ضرورته ، إذا أردنا الإحتفاظ لهذه الفكرة بخصوصيتها ، وتجنب دمجها في المفهوم الإجمالي الذي يبين العلاقة المتفاوتة في وثوقها بين أي ممارسة إنسانية والهوامات اللاواعية .

(1) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 103 ; S.E., XXIII, 177 ; Fr., 46.

تقنية نشطة

Technique active
Eng.: Active technique
D.: Aktive technik

■ هي مجمل الإجراءات التقنية التي يوصي بها فرّنزي : إذ لا يقتصر نشاط المُحَلِّل على التأويلات التي يقدمها فقط . بل هو يعطي أوامر ويفرض نواهٍ تتعلق ببعض تصرفات المُحَلَّل التكرارية خلال العلاج وخارجه . وذلك حين تؤمّن هذه التصرفات إشباعات للشخص تحول دون الإستذكار وتقدم العلاج ■ .

ترتبط فكرة وتعبير التقنية النشطة بإسم ساندور فرّنزي في تاريخ التحليل النفسي . ولقد قال بها لأول مرة ، بصدد تلك الأشكال المقنّعة من الإستمناء التي تصادف في تحليل حالات الهستيريا ، والتي يجدر منعها ؛ ذلك أن المريض « . . . قد ينزلق إلى ربط هواماته المرضية به (الإستمناء) وبالتالي فهو يتلافاها دوماً من خلال التفريغ الحركي بدل أن يجلبها إلى الوعي »(1a) . ويشير فرّنزي إلى أن اللجوء إلى موانع كهذه مخصص فقط لتسهيل إجتياز النقاط الميتة (الفارغة) في العمل التحليلي ؛ وهو يرجع من ناحية أخرى إلى ما كان يفعله فرويد من إلزام الخوافيين بمجابهة الوضعية

المولدة للخواف ، في لحظة ما من مسيرة تحليلهم(Ib, 2) .

قدّم فرّنزي في مؤتمر لاهاي عام1920 وصفاً شاملاً لطريقته في العلاج النشط ، مشجعاً على ذلك بالموافقة التي لقيها من فرويد الذي سبق له أن صاغ « قاعدة الإمتناع » في مؤتمر بودابست في العام1919 . إنها تتضمن مرحلتين من المفترض أن تؤديا إلى تنشيط وضبط الميول الغلمية حتى ولو خضعت للتسامي . تتكون المرحلة الأولى من « أوامر » تهدف إلى تحويل الحركات النزوية المكبوتة إلى إشباع صريح وجعلها تكوينات واعية تماماً . وتتكون المرحلة الثانية من « نواهٍ » تنصبّ على هذه التكوينات نفسها ؛ مما يتيح للمحلل عندها ربط النشاطات والعواطف التي تمّ إبرازها خلال المرحلة الأولى بالوضعيات الطفلية (التي إرتبطت بها في الأصل) .

أما التبرير النظري للجوء الى الإجراءات النشطة فهو كالتالي :

تيسرّ الطريقة النشطة عودة المكبوت من خلال إبراز العاطفة وإثارة فعلتها(Mise en acte) ، وذلك على عكس الطريقة التفريجية حيث يطلق بروز الذكرى إستجابة إنفعالية . « فقد يتعذر إستذكار بعض المحتويات الطفلية المبكرة التي لا يمكن عندها إلا أن تعاش من جديد »(3) .

ويقدّر فرّنزي أنه لا يستحسن فنياً ، اللجوء إلى الإجراءات النشطة إلا في حالات إستثنائية ، ولوقت محدود جداً ، في نهاية العلاج أساساً ، وحين تتحول النقلة إلى حالة من الإضطرار . وهو يؤكد في المقام الأخير على عدم نيته تغيير « القاعدة الأساسية » ؛ ذلك أن ما يقترحه من « حيل مصطنعة » يهدف إلى تسهيل الإلتزام بتلك القاعدة .

وسّع فرّنزي فيما بعد كثيراً مجال تطبيق الإجراءات النشطة(4) . فلقد أعطى تفسيراً لبيدياً لعملية العلاج بشكل يصبح معه من الضروري اللجوء إلى الوسائل النشطة (أي تحديد أجل نهائي للعلاج) ، خصوصاً في مرحلته الأخيرة (« فطام الليبدو ») ، وذلك في كتاب صغير حول « أهداف تطوير التحليل النفسي عام1924 » كتبه بالإشتراك مع أتورانك .

ولقد كان على فرّنزي أن يصحّح هذا الأسلوب في النظر إلى الأمور ، في المرحلة الأخيرة من تطوّره (العلمي) . إذ أصبح يرى أن الإجراءات النشطة تزيد كثيراً من مقاومات المريض ؛ فالمحلل يلعب دور الأنا الأعلى الوالدي ، وحتى دور معلم المدرسة ، من خلال توجيه الأوامر والنواهي ؛ وأما فيما يختص بتحديد أجل نهائي للعلاج ، فلقد بينت حالات الفشل التي صادفها أنه لا يحسن اللجوء إليها إلا نادراً ، وبالإتفاق مع المريض مع إمكانية التغاضي عن هذا التاريخ ، كما هو الحال بالنسبة لأي إجراء نشط محتمل آخر(5) . وهذا ما أدى بفرّنزي أخيراً إلى التخلّي عن الإجراءات النشطة : « . . . علينا الإكتفاء بتأويل ميول المريض الخبيثة للفعلنة Mise en acte) ، وأن ندعمه فيما يبذل من جهود ضئيلة للتغلب على الصدود العصابية التي كان يعاني منها إلى الآن ، كل ذلك بدون إرغامه على اتخاذ اجراءات عنيفة ، أو حتى بدون أن نُسدي إليه النصح باتخاذها . فإذا تحلينا بالصبر الكافي ، فسيتناول المريض من تلقاء ذاته مسألة الجهد الذي يجب بذله للتصدي لوضعية خوافية على سبيل المثال . [. . .] يرجع إلى المريض نفسه قرار تحديد توقيت نشاط ما ، أو على الأقل إعطاء المؤشرات الواضحة عن حلول موعد هذا التوقيت »(6) .

غالباً ما أُقيم تعارض بين التقنيا ت النشطة والموقف الفاتر الذي يقتصر على مجرد « التوقع »

الذي تفرضه الطريقة التحليلية . والواقع أن هذا التعارض ما هو إلا نوع من الشطط ؛ لأن فرّنزي لم يتوقف يوماً عن إعتبار الإجراءات التي أوصى بها مجرد وسائل مساعدة للطريقة التحليلية وليست صيغة جديدة من صيغها ، من ناحية ؛ ولأن الطريقة التحليلية نفسها لا تخلو من بعض النشاط من جانب المحلل (الأسئلة ، وتحديد المدة بين الجلسات) ، كما أن التأويل بدوره يكون نشطاً بالقدر الذي يؤثر فيه على مجرى التداعيات من ناحية ثانية . تتحدد خصوصية التقنية النشطة ، في توكيدها على التكرار الذي إعتبره فرويد متعارضاً مع الإستذكار ؛ ولقد بدا لفرّنزي أنه من الضروري ليس فقط السماح بالتكرار ، بل أيضاً تشجيع المريض عليه ، بغية التغلب على إضطرار التكرار هذا ، للوصول في نهاية المطاف إلى جعل الإستذكار ممكناً ، أو على الأقل إفساح مجال التقدم أمام العمل التحليلي . تلك هي غاية التقنية النشطة ونتيجتها (أ) .

(أ) يمكن الرجوع ، من أجل مناقشة أكثر إستفاضة للموضوع ، إلى كتاب جلوفر بعنوان « تقنيات التحليل النفسي عام 1955 » والذي يبينّ أن المسائل التي تطرحها التقنية النشطة ما زالت مفتوحة للنقاش .

(1) Ferenczi (S.). *Technische Schwierigkeiten einer Hysterieanalyse*, 1919. — *a)* All., in *Intern. Zeit. für ärztliche Psychoanalyse*, V, 37; Angl., in *Further Contributions*, 193. — *b)* Cf. All., 39; Angl., 196.

(2) Cf. Freud (S.). *Die zukünftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie*, 1910. G.W., VIII, 108-9; S.E., XI, 145; Fr., 27-8.

(3) Ferenczi (S.). *Weiterer Ausbau der aktiven Technik in der Psychoanalyse*, 1920. All., in *Intern. Zeit. für Psychoanalyse*, VII, 233-51; Angl., in *Further Contributions*, 217.

(4) Cf. notamment : Ferenczi (S.). *Zur Psychoanalyse von Sexualgewohnheiten*, 1925. In *Further Contr.*, 259-297 et *Über forcierte Phantasien*, 1924. In *Further Contr.*, 68-77.

(5) Cf. Ferenczi (S.). *Kontraindikationen der aktiven psychoanalytischen Technik*, 1925, in : *Further Cont.*, 217-230.

(6) Ferenczi (S.). *Die Elastizität der psychoanalytischen Technik*, 1928. All., in *Intern. Zeit. für Psychoanalyse*, XIV, 197-209. Angl., in *Final Contributions*, 96-7.

(7) Cf. Glover (E.), chap. IV.

Condensation — تكثيف

Eng.: Condensation

D.: Verdichtung

■ إنه أحد النماذج الأساسية لعمل العمليات اللاواعية : حيث يمثل تصور وحيد عدة سلاسل من الترابطات نظراً لوقوعه عند نقطة تقاطعها . وتوظف فيه عندها من وجهة نظر إقتصادية ، الطاقات المرتبطة بهذه السلاسل المختلفة ، من خلال تجمعها فيه .

نرى التكثيف فاعلاً في العارض ، وفي مختلف تكوينات اللاوعي بشكل عام . ولقد أبرز في أوضح صوره في الحلم .

يتجلى التكثيف في الحلم في كون الرواية الظاهرة تظل مبتسرة إذا ما قيست بالمحتوى الكامن : إذ أنها تمثل ترجمة مختصرة له . ولكن لا يجوز رغم هذا إعتبار التكثيف كمجرد تلخيص: ذلك أنه إذا كان كل عنصر ظاهر محتوماً بعدة دلالات كامنة، فإن كل من هذه الدلالات، قد توجد على

العكس في عدة عناصر ظاهرة ؛ ومن ناحية أخرى فالعنصر الظاهر لا يمثل بنفس القدر كل من الدلالات التي يشتق منها ، إذ أنه لا يضمها تحت لوائه كما هو شأن المفهوم ■ .

وصف فرويد التكثيف لأول مرة في «تأويل الأحلام عام1900 » كإحدى الأواليات الأساسية التي يتم من خلالها «عمل الحلم». ويمكن أن يتم التكثيف بعدة أشكال: إذ قد يبقى عنصر واحد فقط (موضوع أو شخص) نظراً لتواجده عدة مرات في أفكار مختلفة من الحلم («نقطة محورية») ؛ أو قد تجتمع عدة عناصر في وحدة مزيجة (شخص مركب مثلاً) ؛ أو قد يؤدي تكثيف عدة صور أيضاً إلى طمس السِّمات التي لا تتطابق عند كل الأشخاص ، كي لا يبقى منها إلا السِّمة أو السِّمات المشتركة التي تتعزز في هذه الحالة(1) .

ومع أن تحليل التكثيف قد تم على الحلم ، إلا أنه ليس وقفاً عليه (الحلم) وحده . فلقد أثبت فرويد في كل من « سيكوباتولوجية الحياة اليومية عام1901 » و« النكات وعلاقتها باللاوعي عام 1905 » أن التكثيف هو أحد المقومات الجوهرية لتقنية التلاعب الهازل بالأفكار ، والهفوات ونسيان الكلمات الخ . . . كما أنه (فرويد) يبين في كتابه « تأويل الأحلام » أن عملية التكثيف تصبح جلية جداً حين تصيب الكلمات (كما هو الحال في الكلمات المخترعة Néologisme) .

كيف يمكن تفسير التكثيف ؟ قد يرى فيه بعضهم تأثير الرقابة ووسيلة للإفلات منها . حتى ولو لم يكن لدى البعض الإنطباع بأنه إحدى آثار الرقابة ، « فإن هذه تجد نصيبها فيه على كل حال »(2) ؛كما أشار إليه فرويد ؛ ذلك أن التكثيف يجعل قراءة النص الظاهر أكثر تعقيداً .

ولكن ، حتى ولو كان الحلم يعمل من خلال التكثيف ، فإنه لا يفعل ذلك بغية تعطيل فعل الرقابة فقط : ذلك أن التكثيف هو أحد خصائص الفكر اللاواعي . حيث تتحقق في العمليات الأولية الشروط التي تتيح وتيسر التكثيف ـ من خلال الطاقة الحرة ، غير المقيدة ؛ ومن خلال النزعة إلى وحدة الإدراك . وهكذا تخضع الرغبات اللاواعية رأساً لفعل التكثيف ، بينما لا تخضع له الأفكار ما قبل الواعية إلا بشكل ثانوي « من خلال إجتذابها إلى اللاوعي » . فهل بالإمكان تحديد المرحلة التي يتم فيها التكثيف ؟ « قد يكون علينا إعتبارها كعملية تمتد لتشمل كل مسار تكوين الحلم ، وصولاً إلى منطقة الإدراك ، ولكن يُكتفى عموماً بإفتراض أنها نتاج تضافر عمل كل القوى التي تتدخل في تكوين الحلم »(3) .

والتكثيف هو تبعاً لفرويد كالإزاحة ، عملية تجد مرتكزها في الفرضية الإقتصادية ؛ حيث تأتي كل الطاقات التي أزيحت على طول مختلف سلاسل الترابطات ، كي تتجمع عند التصور المحوري . وإذا اكتسبت بعض الصور حيوية متميزة ، في الحلم على وجه الخصوص ، فإن ذلك يتناسب مع مقدار شدة التوظيف الذي تستقطبه ، بإعتبارها وليدة التكثيف .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., V, 299-300 ; S.E., IV, 293-5 ; Fr., 220-2.

(2) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 176 ; S.E., XV, 173 ; Fr., 191.

(3) Freud (S.). *Der Witz und seine Beziehung zum Unbewussten*, 1905. G.W., V, 187-8 ; S.E., VIII, 164 ; Fr., 191.

تكرار

Répétition
Eng.: Repetition
D.: Wierderholung

■ أنظر بهذا الصدد إضطرار التكرار ■ .

تكوين العارض

Formation de symptôme
Eng.: Sympton-formation
D.: Symptombildung

■ يستعمل هذا المصطلح لكي يدل على أن العارض النفاسي هو نتيجة لعملية خاصة . أي نتيجة لإرصان نفسي ■ .

يؤكد هذا المصطلح ، الذي نصادفه خلال كل أعمال فرويد ، على ضرورة إعتبار تكوين الأعراض النفاسية كخطوة نوعية في نشأة العصاب . يبدو أن فرويد قد تردد في البداية في إعتباره خطوة متميزة أساسياً عن الدفاع ،ولكنه رد تكوين العارض في النهاية إلى عودة المكبوت الذي جعل منه عملية مستقلة ، بإعتبار أن العوامل التي تعطي العارض شكله النوعي مستقلة نسبياً عن العوامل الفاعلة في الصراع الدفاعي « . . . هل تتطابق أوالية تكوين العارض مع أوالية الكبت ؟ إن هاتين الأواليتين مختلفتان جداً على الأرجح ، وليس الكبت بحد ذاته هو ما يولد التكوينات البديلة والأعراض ، بل إن هذه الأخيرة ما هي إلا مؤشرات على « عودة المكبوت » كما أنها تدين بوجودها لعمليات من نوع آخر تماماً »(1) (أنظر : عودة المكبوت ؛ واختيار العصاب) .

ولا يشمل تكوين العارض بالمعنى الواسع عودة المكبوت على شكل « تكوينات بديلة » أو « تكوينات تسوية » فقط ، بل هو يشمل أيضاً « التكوينات العكسية »(2) .

وتجدر الملاحظة ، بصدد هذه المصطلحات المختلفة ، أن الكلمة الألمانية Bildung (تكوين) تدل في الإستعمال الفرويدي على كل من العملية والنتيجة التي تنتج عنها .

(1) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. G.W., X, 256-7 ; S.E., XIV, 154 ; Fr., 82-3.
(2) Cf. par exemple : Freud (S.). *On Psycho-Analysis*, 1911. S.E., XII, 208.

تكوين بديل

Formation substitutive
Eng.: Substitutive formation
D.: Ersatzbildung

■ يدل هذا التعبير على الأعراض أو التكوينات المعادلة لها من مثل الهفوات ، والنكات ، إلخ .

باعتبارها تحل محل المحتويات اللاواعية .

ويجب أن يؤخذ هذا الإبدال بمعنى مزدوج : إقتصادي ، حيث يحمل العارض إشباعاً بديلاً للرغبة اللاواعية ؛ ورمزي ، حيث يستبدل المحتوى المكبوت بآخر غيره تبعاً لبعض خطوط الترابط ■ .

حين يأخذ فرويد مسألة تكوين الأعراض العصابية بمجملها ، في كتابه « الصد ، العارض ، والقلق ، عام 1926 » فإنه يرد هذه الأعراض إلى تكوينات بديلة : « . . . تحل مكان العملية النزوية التي تعرضت لفعل [الدفاع] »(1) . هذه الفكرة قديمة جداً عنده ؛ إذ نجدها منذ كتاباته الأولى ، حيث يعبر عنها أيضاً بمصطلح Surrogat (أي مادة بديلة) في « حالات نفاس الدفاع عام 1894 »(2) على سبيل المثال .

مم يتكون الإبدال ؟ بالإمكان النظر إليه أولاً في إطار النظرية الإقتصادية للبيدو ، كاستبدال إشباع مرتبط بخفض التوترات ، بآخر غيره . إنما ليس بالإمكان فهم هذا الإبدال ضمن سجل كمي محض ؛ ذلك أن التحليل النفسي يبين لنا وجود صلات ترابطية ما بين العارض وبين ما يأتي كي يحل محله : فيتخذ مصطلح الإبدال عندها معنى الإبدال الرمزي الناتج عن فعل الإزاحة والتكثيف اللّذَيْن يحددان العارض في تفرده .

ولا بد من إقامة الصلة ما بين مصطلح التكوين البديل وكل من مصطلحي تكوين التسوية ، والتكوين العكسي . فكل عارض هو تكوين تسوية ، بمقدار ما هو نتاج الصراع الدفاعي . ويظهر العارض خصوصاً كتكوين بديل ، بالقدر الذي تحاول فيه الرغبة أساساً الحصول على الإشباع ؛ وعلى العكس من ذلك ، فإن العملية الدفاعية هي التي تطغى في التكوينات العكسية .

(1) Freud (S.). G.W., XVI, 176 ; S.E., XX, 145 ; Fr., 70.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., I, 68 ; S.E., III, 54.

تكوين تسوية

Formation de compromis
Eng.: Compromise-formation
D.: Kompromissbildung

■ هو الشكل الذي يتوسله المكبوت كي يُقْبَلْ في الوعي من خلال العودة في العارض ، والحلم ، أو في كل إنتاج لا واعٍ على وجه العموم: حيث تُحَوَّرُ التصورات المكبوتة بواسطة الدفاع لدرجة يتعذر معها التعرف عليها . وهكذا يمكن ـ في نفس التسوية ـ أن يتم إرضاء الرغبة اللاواعية ومتطلبات الدفاع في آن معاً ■ .

يستخلص فرويد ، إنطلاقاً من دراسة أوالية العصاب الهجاسي ، الفكرة التي تذهب إلى أن الأعراض تحمل في طياتها أثر الصراع الدفاعي الذي تنتج عنه . وهو يشير ، في « ملاحظات جديدة

حول حالات نفاس الدفاع عام1896 » إلى أن عودة الذكرى المكبوتة تتم بشكل مشوّه في التصورات المجاسية ؛ إذ تشكل « . . . تكوينات تسوية ما بين التصورات المكبوتة ، والتصورات الكابتة »(1) .

وسرعان ما عممت فكرة التسوية هذه على كل الأعراض والأحلام ، ومجمل إنتاج اللاوعي . ونجدها موسعة في الفصل الثالث والعشرين من « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عامي 1916 -1917 » . حيث يشير فرويد إلى أن الأعراض العصابية «هي نتيجة لصراع معين [. . .]. إذ تتلاقى القوتان اللتان إنفصلتا من جديد في العارض وتتصالحان، إذا جاز القول ، بفضل التسوية التي يمثلها تكوين الأعراض . وهذا ما يفسر قدرة العارض على المقاومة : فهو مدعوم من الناحيتين »(2a) .

فهل كل تجلٍ عارضي هو تسوية ؟ إن قيمة فكرة كهذه ليست عرضة للتشكيك بها . إلا أننا نصادف عيادياً حالات يتجلى فيها إما الدفاع ، أو الرغبة بشكل غالب ، حتى ليبدو في التحليل الأولي على الأقل ، أننا بصدد دفاعات خالية من أي عدوى من قبل ما تقوم في الأصل ضده (أي الرغبات) ، وعلى العكس من ذلك فقد نكون بصدد عودة مكبوت تفصح فيه الرغبة عن نفسها بدون تسوية . تشكل هذه الحالات الحدود القصوى لتدرج في التسوية التي يحسن أن نأخذها كسلسلة مكتملة : « . . . . فإما أن تكون الغاية من الأعراض الإشباع الجنسي ، أو قد تكون دفاعاً ضد هذا الإشباع ، وعلى وجه الإجمال يطغى في الهستيريا الطابع الإيجابي لتحقيق الرغبة ، بينما يطغى في العصاب الهجاسي ، الطابع السلبي ، التقشفي »(2b) .

(1) Freud (S.). G.W., I, 387 ; S.E., III, 170.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., XI, 373 ; S.E., XV-XVI, 358-9 ; Fr., 386. — *b)* G.W., XI, 311 ; S.E., XV-XVI, 301 ; Fr., 324-5.

تكوين عكسي

Formation réactionnelle

Eng.: Reaction-formation
D.: Reaktionsbildung

■ هو موقف أو مظهر نفساني خارجي يذهب في اتجاه معاكس لرغبة مكبوتة ، ويشكل رد فعل ضدها (من مثل الحياء الذي يقاوم نزعات إستعراضية) .

والتكوين العكسي هو من الناحية الإقتصادية توظيف مضاد لعنصر واعٍ مساوٍ في القوة ، ومتعارض في الإتجاه للتوظيف اللاواعي .

وقد تكون التكوينات العكسية محددة جداً تتجلى في سلوك خاص ، أو هي تكون معممة لدرجة تشكل معها سمات طبع بتفاوت في درجة تكامله مع مجمل الشخصية .

وتتخذ التكوينات العكسية قيمة عارضية ، من وجهة نظر عيادية ، إنطلاقاً مما تبديه من تصلب ، وتكلف ، واضطرار وما تصاب به من فشل عارض ، كما أنها تتخذ هذه القيمة العارضية

لأنها تؤدي مباشرة في بعض الأحيان إلى نتيجة هي على عكس النتيجة المتوخاة على المستوى الواعي (كما هو الحال حين ينقلب الإفراط إلى تفريط). ■

يكشف فرويد، منذ العروض الأولى التي قدمها عن العصاب الهجاسي، عن أوالية نفسية خاصة تتلخص في الحرب المباشرة ضد التصور المؤلم من خلال استبداله « بعارض دفاعي أولي » أو «بعارض مضاد»، يتخذ شكل سمات شخصيته ـ من تحوط، أو حياء، أو ارتياب من النفس ـ متعارضة مع النشاط الجنسي الطفلي الذي انخرط فيه الشخص خلال تلك الفترة من حياته المسماة باسم « الفسق الطفلي » . نحن هنا بصدد « دفاع ناجح » بالقدر الذي تكون فيه العناصر الداخلة في الصراع ، أي التصور الجنسي وما يثيره من « توبيخ » ، مستبعدة من الوعي بشكل إجمالي ، لصالح فضائل خلقية مفرطة في تطرفها(1) .

ولم ينفك التحليل النفسي فيما بعد عن التأكيد على أهمية أمثال هذه الدفاعات ، في اللائحة العيادية للعصاب الهجاسي ، والتي تدل تسميته «عكسية» التي أطلقت عليها على تعارضها المباشر مع تحقيق الرغبة ، سواء من حيث معناها ، أم على مستوى وجهة النظر الإقتصادية ـ الدينامية .

تأخذ التكوينات العكسية في العصاب الهجاسي ، شكل سمات الطبع والتياث الأنا اللذين يكونان أنظمة دفاع يزول فيها تفرّد التصورات والهوامات المنخرطة في الصراع : وهكذا يُظهر شخص ما الشفقة تجاه الناس ، على وجه العموم ، بينما تستهدف عدوانيته اللاواعية بعض الأشخاص المحددين . ويشكل التكوين العكسي توظيفاً مضاداً مستمراً . « لا يطور الشخص الذي أرصن تكوينات عكسية الأواليات الدفاعية اللازمة لإستعمالها حين يتهدده خطر نزوي ؛ فهو قد غيّر من تركيب شخصيته وكأن هذا الخطر كان ماثلاً على الدوام ، ولكي يكون مستعداً مهما كان الظرف الذي يبرز فيه هذا الخطر »(2) . تتجلى التكوينات العكسية بوضوح في « الطبع الشرجي » (أنظر : عصاب الطبع) .

ولا تختص أوالية التكوين العكسي بالبنية الهجاسية وحدها . فهي تتواجد خصوصاً في الهستيريا إنما « . . . لا بد من الإشارة إلى أن هذه التكوينات العكسية لا تصل [هنا] ، خلافاً لما يحدث في العصاب الهجاسي ، إلى درجة عمومية سمات الطبع ، بل هي تقتصر على علاقات إنتقائية تماماً . فمثلاً لا تصبح المرأة الهستيرية ، التي تعامل أولادها برقة متناهية ، مع أنها تكرههم في دخيلة نفسها ، أكثر وداً على الإجمال من النساء الأخريات ، ولا حتى أكثر رقة تجاه أطفال آخرين »(3) .

●●●

يحضّنا مصطلح التكوين العكسي بحد ذاته على إجراء تقارب فيما بينه وبين أساليب أخرى من تكوين الأعراض أي : التكوين البديل ، وتكوين التسوية . ومن السهل إجراء التمييز فيما بينها نظرياً : فبينما نتمكن دوماً في تكوين التسوية من العثور على إشباع الرغبة المكبوتة متضافراً مع عمل الدفاع (في الهجاس مثلاً) ، فإن معارضة النزوة هي وحدها التي تظهر بشكل جلي جداً في التكوين العكسي، (فمثلاً قد يختفي النشاط الغلمي الشرجي تماماً، وراء قناع من النظافة المفرطة). ولكن هذه كلها ليست سوى نماذج عن الأوالية . إذ بالإمكان أن نكتشف في الواقع

عمل النزوة التي يدافع الشخص عن نفسه ضدها ، في تكوين عكسي معين : فقد تنبجس هذه فجأة ، إما في لحظات معينة ، أو في بعض قطاعات نشاطه الشخصي ، وحالات الفشل الصارخ هذه التي تتناقض مع تصلب الموقف الذي يبديه الشخص ، هي التي تسمح بالتحديد بإعطاء بعض سمات الشخصية قيمتها العارضية ؛ هذا من ناحية ، وأما من الناحية الأخرى فإن الشخص الذي يدفع بأفعاله حتى نهايات مداها ، خلال ممارسته للفضيلة التي يدعيها ، لا يفوته أن يشبع النزوة المضادة التي ينتهي بها المطاف إلى التغلغل في كل الجهاز الدفاعي . أولا توجه ربة البيت المهووسة بالنظافة كل كيانها نحو الغبار والوساخة ؟ كما أن القاضي الذي يشتطّ حتى المماحكة في حرصه على العدالة قد يكشف بذلك عن لا مبالاته الثابتة بالمسائل الواقعية التي يطرحها عليه الدفاع عمن يلجأون إليه ، مشبعاً بذلك ميوله السادية وراء قناع الفضيلة الذي يتقنع به . . .

وبالإمكان ، إذا ما دفعنا الأمور أبعد من ذلك ، إبداء مزيد من الإصرار على الصلة ما بين النزوة والتكوين العكسي واعتبار هذا التكوين العكسي كتعبير شبه مباشر عن الصراع ما بين حركتين نزويتين متعارضتين ، وهو صراع متجاذب في أساسه : « . . . وهكذا تتعزز إحدى الحركتين المتجاذبتين ، وهي هنا بشكل عام الحركة الرقيقة ، بشكل مفرط ، بينما تتلاشى الحركة النزوية الأخرى »(3b) . وبالتالي يصبح بالإمكان تعريف التكوين العكسي على أنه قيام الأنا باستخدام التعارض الملازم للتجاذب النزوي .

* * *

فهل بالإمكان تعميم هذه الفكرة إلى ما يتعدى المجال المرضي الصريح ؟ يلاحظ فرويد حين أدخل هذا المصطلح في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » الدور الذي تلعبه التكوينات العكسية في نمو كل فرد إنساني باعتبار أنها تنشأ خلال مرحلة الكمون : « . . . توقظ الإثارات الجنسية قوى مضادة (حركات عكسية) تقيم سدوداً نفسية من مثل الإشمئزاز ، والحياد ، والتزمت الخلقي ، كي تتمكن من القمع الفعّال لذلك الإنزعاج [الناتج عن النشاط الجنسي] »(4a) . ولقد أكّد فرويد ، بهذا الصدد ، على الدور الذي تلعبه عملية التكوين العكسي ، جنباً إلى جنب مع التسامي ، في بناء الطبائع ، والفضائل الإنسانية(4b) . وحين أُدخلت فكرة الأنا الأعلى رُدَّ قسط هام من مصدره إلى أوالية التكوين العكسي(5) .

(1) Cf. Freud (S.). *Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen*, 1896. G.W., I, 386-7 ; S.E., III, 169-70. — Cf. aussi : *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 159-60 ; Angl., 148-50 ; Fr., 132-3.

(2) Fenichel (O.). *The Psychoanalytic Theory of Neurosis*, Norton, New York, 1945. Angl., 151 ; Fr., P.U.F., 1953, 187.

(3) Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. — *a)* G.W., XIV, 190 ; S.E., XX, 158 ; Fr., 86. — *b)* G.W., XIV, 130 ; S.E., XX, 102 ; Fr., 20.

(4) Freud (S.). *a)* G.W., V, 79 ; S.E., VII, 178 ; Fr., 71. — *b)* Cf. G.W., V, 140-1 ; S.E., VII, 238-9 ; Fr., 156-7.

(5) Cf. Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. Cf. G.W., XIII, 262-3 ; S.E., XIX, 34-5 ; Fr., 189-90.

تماهي ، تعيين

Identification
Eng.: Identification
D.: Identifizierung

■ إنها عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر ، أو خصائص أو صفات شخص آخر ، ويتحول ، كلياً أو جزئياً ، تبعاً لنموذجه . تتكوّن الشخصية وتتمايز من خلال سلسلة من التماهيات ■ .

أولاً :- بما أن مصطلح التماهي يمتّ أيضاً إلى اللغة الشائعة واللغة الفلسفية ، فمن المفيد أن نوضح بادىء ذي بدء ، من وجهة نظر علم الدلالات ، حدود إستخدامه في مفردات التحليل النفسي .

يمكن تناول الإسم تماهي ، إما بمعنى متعدٍ فيتطابق حينئذٍ مع فعل عيّن (أو حدّد) ، وإما بمعنى لازم ، (يرتد على الشخص ذاته) ويتطابق عندها مع فعل تماهى . ويرد هذا التمييز في المعنيين اللذين فرّق لالاند بينهما لهذا المصطلح وهما :

أ - « فعل التعيين ، أي الإقرار بأن الشيء هو عينه ؛ إما عددياً ، من مثل « تعيين المجرم » ؛ وإما من حيث النوع ، من مثل الإقرار بأن هذا الشيء ينتمي إلى فئة معينة [. . .] ، أو حين نقر بأن فئة من الوقائع قابلة لأن ترد إلى فئة أخرى [. . .] » .

ب - « الفعل الذي يصبح فيه فرد ما مطابقاً لشخص آخر ، أو الفعل الذي يصبح فيه كائنين متطابقين (في الفكر أو في الواقع ، كلياً أو كنتيجة ثانوية) »(1) .

نعثر على هذين المعنيين عند فرويد . إذ يصف العملية التي تترجم علاقة التشابه ، أو علاقة « وكأن » ، من خلال إستبدال صورة بأخرى أو من خلال « التعيين »(2a) ؛ باعتبارها مميزة لعمل الحلم . ذلك هو المعنى الذي ورد في نقطة (أ) عند لالاند ، إنما ليس للتعيين هنا قيمة معرفية : فهو مجرد عملية نشطة تستبدل هوية جزئية ، أو تشابهاً كامناً بهوية كلية .

ولكن هذا المصطلح في التحليل النفسي ، يحيلنا أساساً إلى معنى « التماهي » .

ثانياً :- يتقاطع التماهي - بهذا المعنى - في الإستعمال الشائع مع سلسلة من المفاهيم النفسانية من مثل : المحاكاة ، المشاركة الوجدانية ، التعاطف ، العدوى العقلية ، والإسقاط ، إلخ . . . .

وبغية توضيح الأفكار في هذا المجال ، تبعاً للإتجاه الذي يتم فيه التماهي ، توصل البعض إلى إقتراح التمييز ما بين تماه غيري النزعة (شيلر) وجاذب (فالون) حيث يماهي المرء شخصه الخاص ، بشخص آخر ، وبين تماه ذاتي النزعة ، وطارد حيث يماهي المرء الشخص الآخر ، بشخصه الذاتي هو . وأخيراً ، ففي الحالات التي تتواجد فيها هاتان الحركتان ، نكون بصدد شكل أكثر تعقيداً من التماهي يستعان به أحياناً لتبيان تكوين « النحن » .

●●●

إتخذ مفهوم التماهي تدريجياً قيمة مركزية في أعمال فرويد جعلت منه ، أكثر من مجرد أوالية نفسية من ضمن غيرها من الأواليات ، وصولاً إلى اعتباره العملية التي يتكون الكائن الإنساني من

خلالها . ولقد تلازم هذا التطور أساساً مع إحلال عقدة الأوديب بآثارها الإنبنائية ، في مكان الصدارة ، ثم من خلال التعديل الذي طرأ على النظرية الثانية للجهاز النفسي حيث حددت الأركان التي تمايزت إنطلاقاً من الهو ، بواسطة التماهيات التي اشتقت منها هذه الأركان .

إلا أن التماهي قد طرح منذ مرحلة مبكرة من قبل فرويد ، بصدد الأعراض الهستيرية أساساً . صحيح أن وقائع المحاكاة والعدوى العقلية كانت معروفة منذ زمن بعيد ، إلا أن فرويد يذهب إلى مدى أبعد من ذلك في هذا المضمار بتفسير هذه الوقائع من خلال وجود عنصر لا واعٍ مشترك بين الأشخاص المعنيين بتلك الوقائع : « . . . فالتماهي ليس مجرد محاكاة ، بل هو تملك يستند إلى الزعم بمنشأ مشترك ؛ فهو يعبّر عن حالة « وكأنّ » ويرتد إلى عنصر مشترك يبقى في اللاوعي(2b) . هذا العنصر المشترك هو عبارة عن هوام : وهكذا يتماهى من يعاني « خواف الأماكن المفتوحة » بشكل لاواعٍ مع « بنت الأرصفة » ، وما عارضه سوى دفاع ضد هذا التماهي ، وضد الرغبة الجنسية التي يفترضها(3a) . وأخيراً ، يلاحظ فرويد منذ مرحلة جد مبكرة إمكانية تواجد عدة تماهيات في آن معاً : « . . . قد تجيز لنا واقعة التماهي إستعمالاً حرفياً لهذا التعبير : أي تعدد الأشخاص النفسيين »(3b) .

ولقد إغتنى مفهوم التماهي فيما بعد ، من خلال إسهامات متنوعة :

1 ـ إستخلصت فكرة الإدماج الفمي في الأعوام 1912 ـ1915 في كل من (الطوطم والمحرم والحداد والسوداوية) . حيث أظهر فرويد دورها خصوصاً في السوداوية إذ يتماهى الشخص بالموضوع المفقود تبعاً للنموذج الفمي ، من خلال النكوص إلى علاقة الموضوع المميز للمرحلة الفمية (أنظر : إدماج ، وإفترامي) .

2 ـ كما إستخلصت فكرة النرجسية . وفي مقالته بعنوان « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » ، يطلق فرويد الجدلية التي تربط ما بين إختيار الموضوع النرجسي (حيث يختار الموضوع على غرار صورة الشخص ذاته) وبين التماهي (حيث يتشكل المرء أو بعضاً من أركان شخصيته على طراز موضوعاته السابقة : الأهل والأشخاص المحيطين به) .

د ـ ولقد وصفت آثار عقدة الأوديب على إنبناء المرء بمصطلحات التماهي : حيث تترك التوظيفات على الأهل وتستبدل بالتماهيات(4) .

يبين فرويد ، بعد أن إستخلص الصيغة المعمّمة للأوديب ، أن هذه التماهيات تشكل بنية معقدة بالقدر الذي يكون فيه كل من الأب والأم موضوع حب وتنافس في آن معاً . ومن المحتمل على أي حال أن يكون وجود تجاذب وجداني تجاه الموضوع أساسياً لتكوين أي تماهٍ من أي نوع كان .

4 ـ ولقد أكد إرصان النظرية الثانية للجهاز النفسي إغناء فكرة التماهي وأهميتها المتزايدة : فلم تعد أركان الشخص توصف بتعابير الأنظمة حيث تدوّن فيها الصور ، والذكريات ، و« المحتويات » النفسية ، بل أصبحت تعتبر كبقايا علاقات الموضوع ، على مختلف نماذجها .

ولم يؤدِ هذا الإغناء لفكرة التماهي إلى تنسيق يحكم نماذجها ، لا عند فرويد ، ولا في النظرية التحليلية النفسية . ولذلك يعلن فرويد عن قلة رضاه عن صياغاته بهذا الصدد(3c) . ونجد أكمل عرض حاول تقديمه عن التماهي في الفصل السابع من كتابه « علم النفس الجماعي وتحليل الأنا عام 1921 » . حيث يستقر رأيه على تمييز ثلاثة نماذج من التماهي :

أ ـ التماهي باعتباره شكلاً أصلياً للرباط العاطفي بالموضوع . نحن هنا بصدد تماه ما قبل أوديبي مصطبغ بالعلاقة الإفتراسية المتجاذبة وجدانياً بطبيعتها (أنظر : تماهي أولي) ؛

ب ـ التماهي باعتباره بديلاً نكوصياً عن اختيار موضوع مهجور .

جـ ـ وحتى في غياب أي توظيف جنسي في الآخر ، فقد يتماهى المرء رغم هذا بذلك الأخر بالقدر الذي يشتركان فيه بعنصر مشترك (كالرغبة في أن يكون محبوباً مثلاً) : وقد يحدث التماهي في هذه الحالة في نقطة أخرى ، بواسطة الإزاحة (وهو التماهي الهستيري) . .

ويشير فرويد أيضاً إلى أن التماهي قد لا ينصب في بعض الحالات على مجمل الموضوع ، بل يقتصر على « سمة فريدة » من سماته (6) .

وأخيراً تؤدي به دراسة التنويم المغناطيسي ، والوله الغرامي وسيكولوجية الجماعات إلى إقامة التعارض ما بين التماهي الذي يكوّن أو يغني أحد أركان الشخصية ، وبين العملية المعاكسة التي يحل فيها الموضوع « محل » أحد أركان الشخصية ، كما هو الحال مع القائد الذي يحلّ محل المثل الأعلى للأنا عند أعضاء الجماعة . وتجدر الملاحظة ، أنه يوجد أيضاً ، في هذه الحالة ، تماهٍ متبادل ما بين الأفراد أنفسهم ، إنما يفترض هذا التماهي كشرط مسبق له ، حدوث « . . . هذا الإحلال للقائد محل المثل الأعلى للأنا عندهم . . . » . ونصادف هنا من جديد التمييزات التي سبق لنا بيانها أعلاه ما بين : تماهٍ جاذب وتماهٍ طارد ، وتماه متبادل ، مرتبة تبعاً لمنظور إنبنائي .

***

ولا بد من تمييز مصطلح التماهي عن المصطلحات القريبة منه من مثل الإدماج ، والإجتياف ، والإستدخال .

فأما الإدماج والإجتياف ، فهما نماذج أولية للتماهي ، أو لبعض اشكاله على الأقل ، حيث تعاش العملية العقلية وترمّز كعملية جسدية على غرار (إبتلع ، إفترس ، إحتفظ بداخل ذاته ، إلخ) .

وأما التمييز ما بين التماهي والإستدخال فهو أكثر تعقيداً لأنه يدخل في الإعتبار خيارات نظرية تمس طبيعة ما يتمثل به الشخص . يمكن القول من الناحية المفهومية المحضة أن التماهي يتم مع الموضوعات : أي شخص كامل (« تمثّل الأنا لأنا غريب »)(5b) ، أو سمة من سمات الشخص ، أو موضوعات جزئية ، بينما أن الإستدخال هو إستدخال لعلاقة بين ذاتين . وتبقى معرفة أي من هاتين العمليتين هي الأولى . ويمكن الإشارة عموماً إلى أن تماهي الشخص أ بالشخص ب ليس شاملاً ، بل هو نتاج ثانوي ، مما يحيلنا إلى هذه أو تلك من مظاهر العلاقة معه : فأنا لا أتماهى مع رئيسي ، بل ببعض من سماته التي ترتبط بعلاقتي السادو مازوشية معه . ولكن من ناحية ثانية ، يظل التماهي دوماً مصطبغاً بنماذجه الأولية البدائية : فينصب الإدماج على الأشياء ، بحيث تختلط العلاقة مع الموضوع الذي تتجسد فيه ؛ وبذلك يصبح الموضوع الذي يقيم معه الطفل علاقة عدوانية « كموضوع سيء » أساساً ويصار عندها إلى اجتيافه . ومن ناحية ثانية ، فمن الوقائع الأساسية أن يشكل مجموع تماهيات شخص ما نظاماً علائقياً متماسكاً ؛ فمثلاً ، نجد داخل ركن من مثل الأنا الأعلى ، شتى المتطلبات المتنوعة والصراعية . كما يتكون المثل الأعلى للأنا من تماهيات مع مثل عليا ثقافية قد لا تنسجم فيما بينها بالضرورة .

(1) LALANDE (A.). *Vocabulaire technique et critique de a philosophie*, P.U.F., Paris, 1951.
(2) FREUD (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* Cf. G.W., II-III, 324-5 ; S.E., IV, 319-20 ; Fr., 238. — *b)* G.W., II-III, 155-6 ; S.E., IV, 150 ; Fr., 115.
(3) FREUD (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* Cf. All., 193-4 ; Angl., 181-2 ; Fr., 160-1. — *b)* All., 211 ; Angl., 199 ; Fr., 176.
(4) Cf. notamment : FREUD (S.). *Der Untergang des Ödipuskomplexes*, 1924. G.W., XIII. 395-402 ; S.E., XIX, 171-9.
(5) FREUD (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. — *a)* Cf. G.W., XV, 70 ; S.E., XXIII, 63 ; Fr., 90. — *b)* Cf. G.W., XV, 69 ; S.E., XXIII, 63 ; Fr., 89.
(6) Cf. FREUD (S.). G.W., XIII, 117 ; S.E., XVIII, 107 ; Fr., 119.

تماهي إسقاطي

Identification projective
Eng.: Projective identification
D.: Projektionsidentifizierung

■ قدمت ميلاني كلاين هذا المصطلح للدلالة على أوالية تتلخص في هوامات يقوم الشخص فيها بإدخال شخصه الذاتي كلياً أو جزئياً داخل الموضوع بغية إلحاق الأذى به ، وإمتلاكه وضبطه ■ .

إستعملت ميلاني كلاين مصطلح التماهي الإسقاطي بمعنى خاص جداً لا يتلخص بالمعنى الذي يوحي به لأول وهلة الترابط ما بين هاتين الكلمتين ، أي إلصاق بعض السمات الذاتية بالآخر أو تشبيهه بها بشكل إجمالي .

فلقد وصفت ميلاني كلاين في كتابها « تحليل الأطفال عام 1932 » هوامات هجوم على داخل جسد الأم وإختراق سادي له(1) . ولم نقدم إلا في مرحلة متأخرة (في العام 1946) مصطلح التماهي الإسقاطي للدلالة على « شكل خاص من التماهي الذي يرسي النموذج الأول لعلاقة الموضوع العدوانيه »(2a) .

تتلخص هذه الأوالية ، ذات الصلة الوثيقة مع الوضعية شبه العظامية ـ شبه الفصامية في الإسقاط الهوامي لأجزاء منشطرة من الشخص الخاص للإنسان ، أو حتى لكل هذا الشخص (وليس فقط مجرد الموضوعات الجزئية السيئة) داخل جسد الأم بشكل يؤذي الأم ويضبطها من الداخل . هذا الهوام هو مصدر أشكال من القلق ، من مثل القلق المصاحب للإحساس بالسجن والإضطهاد داخل جسد الأم ؛ أو قد يؤدي التماهي الإسقاطي ، من باب رد الفعل ، إلى أن يعاش الإجتياف « . . . كاقتحام للداخل من الخارج عقاباً على إسقاط عنيف »(2b) . ومن الأخطار الأخرى تعرض الأنا للضعف والإفتقار بمقدار تهديده بفقدان أجزاء « جيدة » من ذاته ، من خلال التماهي الإسقاطي ؛ مما قد يؤدي إلى أن يصبح ركن هام كالمثل الأعلى للأنا ساعتئذ خارجاً عن الشخص(2c) .

ترى كل من ميلاني كلاين وجوان ريفيير هوامات التماهي الإسقاطي نشطة في مختلف الحالات المرضية ، من مثل تبدد الشخصية وخواف الأماكن المغلقة .

يبدو التماهي الإسقاطي إذاً كأسلوب من أساليب الإسقاط . وإذا تكلمت ميلاني كلاين عن التماهي في هذا المقام ، فذلك لأن الشخص ذاته هو الذي يسقط (على الموضوع) . ويتمشى الإستعمال الكلايني لتعبير التماهي الإسقاطي مع المعنى الحصري الذي يميل المحللون لتخصيصه لتعبير الإسقاط : نبذ ما يرفضه الشخص في ذاته إلى الخارج ، أي إسقاط ما هو سيء» .

***

يترك هذا الإستخدام مسألة معرفة إمكانية التمييز في عملية التماهي ما بين بعض الأساليب التي يرد فيها الشخص نفسه إلى الآخر وتلك الأساليب المعاكسة التي يرد فيها الآخر إلى شخصه ، بدون حل من أي نوع كان . يفترض إدراج هذه الأساليب الأخيرة تحت عنوان التماهي الإسقاطي تخفيفاً لمفهوم الإسقاط التحليلي النفسي . ولذلك قد يمكننا تفضيل إستعمال تعارض من مثل التعارض ما بين التماهي الجاذب ، والتماهي الطارد .

(1) KLEIN (M.). Cf. par exemple *in* trad. fr., P.U.F., Paris, 1959, 145.
(2) KLEIN (M.). Notes on some schizoid mechanisms, in *Developments*, 1952. — *a)* 300. — *b)* 304. — *c)* Cf. 301.

Identification primaire — تماهي أولي

Eng.: Primary identification
D.: Pimäre identifizierung

■ إنه أسلوب بدائي من تكوين الشخص على غرار شخص آخر. لا تقوم قبله أي علاقة سابقة يطرح فيها الموضوع ككيان مستقل . يتلازم التماهي الأولي تلازماً وثيقاً مع العلاقة التي يطلق عليها إسم الإدماج الفمي ■ .

مع أن فكرة التماهي الأولي قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المصطلحات التحليلية ، إلا أنها تُعطي دلالات متنوعة نسبياً ، تبعاً لما يتبناه المؤلفون من إعادات لبناء الفترات الأولى من وجود الفرد .

لا يقتصر تعارض التماهي الأولي مع التماهيات الثانوية التي تضاف إليه، على كونه الأول من حيث التسلسل الزمني فقط ، بل أيضاً في كونه لا يقوم على علاقة بموضوع فعلي ، سابقة عليه ، مما يجعله . . . « الشكل الأكثر قرباً من الأصل النشوئي في الصلة العاطفية بالموضوع »(1a) . «فقد يتوجب عدم التفريق ما بين توظيف الموضوع وبين التماهي عن بعضهما البعض في البدايات الأولى ، من حياة الفرد ، خلال المرحلة الفمية البدائية »(2a) .

ولقد وصف هذا الأسلوب من صلة الطفل بشخص آخر أساساً على أنه علاقة أولى بالأم ، وذلك قبل رسوخ التمايز ما بين الأنا والأنا الآخر . ولا بد أن تصطبغ هذه العلاقة بالطبع بعملية الإدماج . إلا أنه تجدر الإشارة إلى صعوبة إلحاق التماهي الأولي بشكل صارم بحالة من اللاتمايز القاطع ، أو حالة اللاموضوع .

ومن الطريف على كل حال الإشارة إلى أن فرويد الذي لا يستخدم تعبير التماهي الأولي (2b) إلا فيما ندر ، يدل بذلك على نوع من التماهي بأب « ما قبل التاريخ الشخصي » الذي يتخذ منه الصبي مثلاً أعلى أو نموذجاً له (Vorbild) . نحن هنا بصدد « تماهٍ مباشر وآني يسبق أي توظيف في الموضوع » (2b, 1b) .

(1) Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. — *a)* G.W., XIII, 118 ; S.E., XVIII, 107 ; Fr., 120. — *b)* Cf. G.W., XIII, 115 sqq. ; S.E., XVIII, 105 sqq. ; Fr., 117 sqq.

(2) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. — *a)* G.W., XIII, 257 ; S.E., XIX, 29 ; Fr., 183. — *b)* G.W., XIII, 259 ; S.E., XIX, 31 ; Fr., 185.

تماهي بالمعتدي

Identification à l'agresseur

Eng.: Identification with the agressor

D.: Identifizierung mit dem Angreifer

■ هو أوالية دفاعية إستخلصتها آنا فرويد ووصفتها (عام 1936) : فحينما يُجابه الشخص بخطر خارجي (يتمثل نموذجياً بإنتقاد صادر عن سلطة ما) فإنه يتماهى مع المُعْتَدي عليه ، إما بأن يتبنى لحسابه العدوان بحد ذاته ، وإما من خلال المحاكاة الفيزيقية أو المعنوية لشخص المعتدي ، أو من خلال تبني بعض رموز القوة التي تدل عليه . تسود هذه الأوالية ، تبعاً لآنا فرويد ، في تكوين المرحلة التمهيدية للأنا الأعلى حيث يظل العدوان عندها موجهاً نحو الخارج ، إذ أنه لم يرتد بعد على الشخص ذاته على شكل نقد ذاتي ■ .

لا يرد تعبير التماهي بالمعتدي في كتابات فرويد ، ولكن لوحظ أنه قد قدّم وصفاً لهذه الأوالية في الفصل الثالث من كتاب « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » بصدد بعض ألعاب الطفل على وجه الخصوص .

يلجأ فرنزي إلى تعبير التماهي بالمعتدي بمعنى خاص جداً : فالعدوان موضوع البحث ليس سوى محاولة التغرير الجنسي التي قد يقدِم عليها الراشد ، الذي يعيش في عالم من الوله والشعور بالإثم ، على الطفل الذي يفترض أنه بريء (أنظر : غواية) . ويتلخص السلوك الناتج عن الخوف في رضوخ كلي لإرادة المعتدي ، حيث يتخذ التغيير الحاصل في الشخصية شكل « ... إجتياف شعور الراشد بالذنب »(1) .

وترى آنا فرويد التماهي بالمعتدي نشطاً في سياقات متنوعة : كالعدوان الفيزيقي ، والإنتقاد ، إلخ . ، حيث يمكن أن يتدخل التماهي بعد العدوان المرهوب أو قبله . ويكون السلوك الملاحظ نتيجة قلب في الأدوار : فيصبح المُعْتَدى عليه معتدياً .

يعطي المؤلفون الذين يفردون دوراً هاماً لأوالية كهذه في نمو الشخصية قيمة متفاوتة في مداها ، خصوصاً في تكوين الأنا الأعلى . يمر الشخص ، تبعاً لآنا فرويد في مرحلة أولى تقلَب فيها

مجمل العلاقة العدوانية : فيُجتاف المعتدي ، بينما يُسقط الشخص موضوع الهجوم أو الإنتقاد ، أو الشعور بالذنب ، على الخارج . ولا ترتد العدوانية إلى الداخل إلا في خطوة ثانية حيث يُستدخل مجمل العلاقة .

وأما دانيال لاجاش فهو أميل إلى وضع التماهي بالمعتدي في أصل تكوين الأنا المثالي ؛ ففي إطار صراع المطالب ما بين الولد والراشد ، يتماهي الشخص بالراشد الذي يتمتع بالجبروت ، مما يتضمن التنكر للاخر ، ورضوخه وحتى إلغائه(2) .

ويستخدم رينه شبيتز إستخداماً كبيراً فكرة التماهي بالمعتدي في مؤلفه « اللا والنعم عام 1957 » . إذ يشكل إرتداد العدوان ضد المعتدي ، بالنسبة إليه ، الأوالية الأغلب بروزاً في إكتساب « اللا » اللفظية والإيمائية ، التي يضعها في حدود الشهر الخامس عشر من العمر .

***

ما هو إذاً الدور الذي يمكن إعطاؤه للتماهي بالمعتدي في مجمل النظرية التحليلية النفسية ؟ فهل نحن بصدد أوالية خاصة جداً ، أم على العكس ، يأتي هذا المصطلح لتغطية قسم هام مما يوصف عادة بإسم التماهي ؟ وبالتحديد كيف يتمشى مع ما جرت العادة على الدلالة عليه تقليديا بإسم التماهي بالمنافس في الوضعية الأوديبية ؟ لا يبدو أن المؤلفين الذين أحلوا هذه الفكرة في مكان الصدارة قد صاغوا المشكلة على هذا النحو . إلا أن ما يشدّ إنتباهنا على كل حال هو أن الملاحظات التي نقلت إلينا لا تضع هذه الأوالية عادة في إطار علاقة ثلاثية بل ثنائية تقوم على أساس ذي طبيعة سادو مازوشية ، كما سبق أن أشار دانيال لاجاش إلى ذلك مراراً .

(1) FERENCZI (S.). *Sprachverwirrung zwischen den Erwachsenen und dem Kind*, 1932-33. Angl., in *Final Contributions*, 162. Fr., in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, vol. VI, 248.
(2) LAGACHE (D.). Pouvoir et personne, in *L'évolution psychiatrique*, 1962, 1, 111-9.

Frayage — تمهيد عصبي

Eng.: Facilitation
D.: Bahnung

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح حين يقدم نموذجاً عصبياً للنشاط الوظيفي للجهاز النفسي (عام 1895) . إذ يتعين على الإثارة أن تتغلب على بعض المقاومة ، خلال عبورها من عصبون إلى آخر ؛ وحين يؤدي عبور كهذا إلى خفض دائم لهذه المقاومة ، نقول أن هناك تمهيداً عصبياً : حيث تفضل الإثارة إختيار هذا السبيل الممهد على السبل غير الممهدة ■ .

تحتل فكرة التمهيد العصبي مكانة مركزية في وصف النشاط الوظيفي « للجهاز العصبي » الذي قدمه فرويد في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » . ويشير جونز إلى أن هذه الفكرة

تلعب دوراً هاماً في كتاب إكسنر المنشور لعام سبق بعنوان « مشروع تفسير فيسيولوجي للظواهر النفسية عام 1894 »(1) . ومع أن فرويد لم يتخلّ عن هذا المصطلح إلا أنه لا يستعمله أبداً في كتاباته ما وراء النفسانية . على أننا نصادفه من جديد فكرة التمهيد العصبي حين يضطر للعودة إلى استخدام نموذج فيسيولوجي(2) في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » .

(1) Cf. Jones (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, 1933. Angl., 417 Fr., 417-8.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 26 S.E., XVIII, 26 ; Fr., 29.

Génital (Amour –) تناسلي (حب -)

Eng.: Genital love
D.: Genitale Liebe

■ يشيع إستخدام هذا المصطلح في اللغة التحليلية النفسية المعاصرة للدلالة على شكل الحب الذي ينتهي إليه الشخص عند تمام نموه النفسي الجنسي ، وهو ما يفترض ليس فقط الدخول في المرحلة التناسلية ، بل أيضاً تجاوز عقدة الأوديب ■ .

لا يصادف تعبير الحب التناسلي بقلم فرويد . بينما نجد لديه على العكس من ذلك الفكرة القائلة بشكل ناجز من الجنسية ، وحتى « بإتجاه سوي تماماً من أشكال الحب »(1a) حيث يتحد التيار الشهواني مع تيار « الرقة » . وتبعاً لفرويد ، يوضح المثال العيادي التحليلي النفسي الشائع عن ذاك الرجل الذي لا يمكنه إشتهاء المرأة التي يحب (أي المرأة التي يرفعها إلى مصاف المثل الأعلى) ، ولا محبة المرأة التي يشتهيها (أي المومس) إنفصال التيارين السابقين .

ينتهي تطور التيار الشهواني ، الذي عرض في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » إلى التنظيم التناسلي: فمع إطلالة البلوغ « . . . يطرح هدف جنسي جديد تتعاون على تحقيقه كل النزوات الجزئية ، في نفس الوقت الذي تخضع فيه المناطق المولدة للغلمة لصدارة المنطقة التناسلية ، [. . .] . وهنا تصبح النزوة الجنسية في خدمة وظيفة التناسل »(2) .

وأما الرقة ، فيرجع فرويد أصلها إلى أكثر العلاقات أثرية ما بين الطفل وأمه ، أي إلى اختيار الموضوع الأولي الذي ينشط فيه الإشباع الجنسي بالتلاحم مع إشباع الحاجات الحيوية من خلال الإستناد (أنظر : رقة) .

* * *

يشير بالنت في مقالة خصصها لموضوع الحب التناسلي ، إلى أن الحديث يجرى عنه بصيغ سلبية خصوصاً ، تماماً كما هو الحال بالنسبة « للمرحلة ما بعد المتجاذبة » التي قال بها أبراهام والتي تُعرّف أساساً من خلال غياب سمات المراحل السابقة .

ولو أردنا تعريف الحب التناسلي بشكل إيجابي ، فإننا لن نُفلت إلا بصعوبة من النظرات

المعيارية ، وحتى من اللغة ذات المنحى الخلقي الصريح : تفهم الآخر وإحترامه ، بذل النفس ، إتخاذ الزواج كمثل أعلى ، إلخ .

تستدعي فكرة الحب التناسلي بعض الأسئلة والملاحظات على صعيد النظرية التحليلية النفسية :

1 - لا يتضمن الإشباع التناسلي - سواء الإشباع الشخصي ، أو إشباع القرين ، أو الإشباع المتبادل - مطلقاً توفر الحب . ولكن ألا يفترض الحب ، على العكس من ذلك ، رباطاً يدوم إلى ما بعد الإشباع التناسلي ؟ (3b) .

2 - وإذا كان المفهوم التحليلي النفسي للحب ، ينفي أي رجوع إلى المعيارية ، فإنه لا يجب أن يتجاهل ما اكتشفه التحليل النفسي على مستوى مصدر الحب :

- بصدد علاقة الموضوع : حول الإدماج ، السيطرة ، والإتحاد مع الحقد(4) ؛

- وبصدد أساليب الإشباع ما قبل التناسلية التي يمتزج بها الإشباع التناسلي بشكل لا إنفكاك منه ؛

- وبصدد الموضوع : أفلا يصطبغ « الحب التام للموضوع » الذي يتحدث عنه فرويد ، دوماً بالنرجسية الأولية ، سواء في نمط اختيار الموضوع بالإستناد ، أو في نمط اختيار الموضوع النرجسي المحض ؟ إذ يجدر بنا التذكر بأن « الحياة العاطفية للجنس البشري » هي التي دفعت بفرويد لتقديم مفهوم النرجسية(5) .

3 - غالباً ما يصاحب الإستعمال المعاصر لفكرة الحب التناسلي الفكرة القائلة بالإشباع التام للنزوات ، وحتى بحل كل الصراعات (حتى أن بعضهم كتب قائلاً « بأن العلاقة التناسلية هي باختصار بدون مشاكل »)(6) . تتعارض النظرية الجنسية الفرويدية بلا شك مع مفهوم كهذا حول الحياة الجنسية ؛ وإليك هذه السطور على سبيل المثال : « علينا أن ندخل في الحسبان إمكانية وجود شيء ما في طبيعة النزوة الجنسية ذاتها ، لا يُسَهِّلْ تحقيق الإشباع الكامل »(1b) .

4 - أولا نخلط ، بشكل عام ، تحت عنوان مصطلح الحب التناسلي مستويات عدة لا نضمن تطابقها : أي مستوى النمو الليبيدي ، الذي يجب أن يؤدي إلى توليف النزوات الجزئية تحت صدارة الأعضاء التناسلية ؛ ومستوى علاقة الموضوع الذي يفترض إنجاز الأوديب ، وأخيراً مستوى ذلك اللقاء الفريد ؟ ومن المدهش حقاً أن نرى الكتّاب الذين يثيرون مسألة الحب التناسلي يقعون في التناقض التالي : حيث يعتبر موضوع الحب قابلاً « للإستبدال »(إذ لا بد أن يجد الحب « التناسلي » موضوعاً له) و« فريداً » في آن معاً (إذ يضع الحب « التناسلي » في إعتباره تفرّد الآخر) .

(1) Freud (S.). *Über die allgemeinste Erniedrigung des Liebeslebens*, 1912. — *a)* G.W., VIII, 79 ; S.E., XI, 180 ; Fr., 11-12. — *b)* G.W., VIII, 89 ; S.E., XI, 188-9 ; Fr., 19.

(2) Freud (S.). G.W., V, 108-9 ; S.E., VII, 207 ; Fr., 111-12.

(3) Cf. Balint (M.). *On Genital Love*, 1947. In : *Primary Love and Psychoanalytic Technique*, Hogarth Press, Londres, 1952. — a) *Passim*. — b) *Passim*.

(4) Cf. Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 230 sqq. ; S.E., XIV, 138 sqq. ; Fr., 17 sqq.

(5) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 153 sqq. ; S.E., XIV, 87 sqq.

(6) Bouvet (M.). In *La Psychanalyse d'aujourd'hui*, P.U.F., Paris, 1956, I, 61.

تنظيم الليبدو

Organisation de la libido
Eng.: Organization of the libido
D.: Organisation der libido

■ إنه ذلك التنسيق النسبي للنزوات الجزئية ، الذي يتميز بصدارة إحدى المناطق المولدة للغلمة وأسلوب نوعي في العلاقة مع الموضوع . وتُعرف تنظيمات الليبدو ، إذا نظر إليها في تتابعها الزمني ، مراحل التطور النفسي الجنسي الطفلي ■ .

يمكن تصور تطور آراء فرويد حول تنظيم الليبدو تبعاً للعجالة التالية : توصف في الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » بعض النشاطات الفمية أو الشرجية فعلاً باعتبارها نشاطات جنسية مبكرة ، ولكن لا يؤتى على ذكر التنظيم بصددها ؛ إذ لا يخرج الطفل من فوضوية النزوات الجزئية إلا بعد إستتباب صدارة المنطقة التناسلية . وإذا كانت الفكرة المركزية من « ثلاث مقالات » تدور حول إبراز وجود وظيفة جنسية أوسع مدى من الوظيفة التناسلية ، إلا أنه يبقى أن هذه الأخيرة تتمتع بميزة كونها الوحيدة القادرة على تنظيم تلك . ويكتب فرويد عام 1905 في تلخيصه للتعديلات التي يحملها البلوغ ما يلي : « لقد كانت النزوة الجنسية غلمية ذاتية حتى الآن بشكل سائد ؛ ولكنها تجد الآن موضوعها الجنسي . لقد كان نشاطها يصدر حتى ذلك الحين عن عدد معين من النزوات والمناطق المولدة للغلمة ، المنفصلة عن بعضها البعض ، والتي يبحث كل منها عن لذة معينة كهدف جنسي وحيد ، في معزل عن بعضها البعض . بينما يظهر الآن هدف جنسي جديد ، وتعمل كل النزوات الجزئية مجتمعة للوصول إليه ، في حين تخضع المناطق المولدة للغلمة لصدارة المنطقة التناسلية (1a) » . تجدر الملاحظة أن فرويد لا يتكلم في ذلك التاريخ عن تنظيم قبل تناسلي ، كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن إكتشاف الموضوع هو الذي يتيح في النهاية تنسيق النزوات .

كما أن فرويد يكتشف فيما بعد وإنطلاقاً من الموضوع أيضاً ، أسلوباً من التنظيم الجنسي يدرجه ما بين حالة النزوات غير المنظمة (الغلمة الذاتية) واختيار الموضوع التام : أي النرجسية . ويتكون الموضوع عندها من الأنا باعتباره وحدة (قائمة بذاتها) .

ولم يقدم فرويد مفهوم التنظيم ما قبل التناسلي ؛ إلا في العام 1913 في مقالته بعنوان : « الإستهياء للعصاب الهجاسي » : نعثر هنا على توحيد النزوات في غلبة نشاط جنسي معين مرتبط بإحدى المناطق المولدة للغلمة . وهو يبدأ بوصف التنظيم الشرجي (عام 1913 في نفس المقالة المذكورة أعلاه) ثم يأتي إلى وصف التنظيم الفمي (في طبعة عام 1915 من ثلاث مقالات) (1b) ويأتي أخيراً لوصف التنظيم القضيبي (عام 1923 في مقالته حول « التنظيم التناسلي الطفلي ») . إلا أنه لا بد من الإشارة إلى عودة فرويد للتأكيد ، بعد أن سبق له وصف هذه التنظيمات الثلاثة ، على أنه « . . . لا يتم الوصول إلى التنظيم الكامل إلا من خلال البلوغ ، وفي مرحلة رابعة ، هي المرحلة التناسلية » (2) .

ولقد إتبع فرويد في محاولته لتحديد أساليب التنظيم ما قبل التناسلي للحياة الجنسية ، مسارين

يتعذر إقامة تطابق صارم بينهما . فالموضوع هو الذي يقوم بوظيفة المنظّم ، تبعاً لأحد هذين المسارين : فهنا تتدرج مختلف أساليب التنظيم تبعاً لسلسلة تذهب من الغلمة الذاتية إلى الموضوع الجنسي الغيري مروراً بالنرجسية ، واختيار الموضوع الجنسي المثلي ؛ بينما يتمحور كل تنظيم ، تبعاً للمسار الآخر ، حول « أسلوب نوعي من النشاط الجنسي » يتوقف بدوره على منطقة معينة مولدة للغلمة .

فكيف يتسنى لنا ، في هذا المنظور الثاني ، فهم صدارة إحدى المناطق المولدة للغلمة وما يتمشى معها من نشاط ؟

أما على مستوى التنظيم الفمي ، فبالإمكان إعطاء صدارة النشاط (الفمي) معنى للعلاقة شبه الحصرية مع المحيط . فما هو إذاً شأن التنظيمات اللاحقة التي لا تلغي النشاطات الوظيفية غير السائدة ؟ وما معنى الحديث مثلاً عن صدارة (المرحلة) الشرجية ؟ فمن غير الممكن فهمها باعتبارها تعليقاً لكل الجنسية الفمية ، ولا حتى دفعها إلى المقام الثاني ؛ ذلك أن الجنسية الفمية تندمج في الواقع في التنظيم الشرجي ، مما يجعل التبادلات الفمية تصطبغ بدلالات مرتبطة بالنشاط الشرجي .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* G.W., V, 108 ; S.E., VII, 207 ; Fr., 111. — *b)* Cf. G.W., V, 98 ; S.E., VII, 198 ; Fr., 95.

(2) Cf. Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 77 ; S.E., XXIII, 155 ; Fr., 16.

توظيف

Investissement
Eng.: Cathexis
D.: Besetzung

■ إنه مفهوم اقتصادي يقصد به : واقعة ارتباط طاقة نفسية معينة بتصور أو بمجموعة من التصورات ، وبجزء من الجسد أو بموضوع ما ، إلخ ■ .

من المقبول ترجمة مصطلح Besetzung الألماني بكلمة توظيف (كما تصادف أحياناً الترجمة بكلمة إشغال) . ولا بد من ملاحظة بهذا الصدد : فالفعل الألماني Besetzen له معان عدة ، من بينها معنى « الإشغال أو الإحتلال » (من مثل إشغال مكان ، أو عسكرياً إحتلال مدينة أو بلد) ؛ أما في الفرنسية فإن كلمة توظيف توحي من ناحية ، في اللغة العسكرية بعملية حصار مكان ما (وليس إحتلاله) ومن ناحية أخرى في اللغة المالية توحي بتوظيف رأس المال في مؤسسة (ولا شك أن هذا المعنى الأخير هو الذي يسود حالياً في الاستعمال الألسني الشائع) . لا يتطابق المصطلحان الفرنسي والألماني إذاً تماماً ويبدو أن المصطلح الفرنسي يدفع تلقائياً في اتجاه مقارنة « الإقتصاد » الذي يستعرضه فرويد بالإقتصاد الذي يعالجه علم الإقتصاد المعروف .

●●●

يستعمل مصطلح التوظيف بشكل ثابت في أعمال فرويد ؛ ورغم تفاوت مداه ومرماه ، إلا أنه حاضر في كل مراحل فكر فرويد .

فهو يظهر في العام 1895 في « دراسات حول الهستيريا » وفي « مشروع علم نفس علمي » ، حتى أن بعض المصطلحات القريبة منه ، من مثل « كمية الإثارة » و« القيمة العاطفية » هي سابقة عليه (حيث ظهرت في الأعوام 1893 و1894) : إذ يتحدث فرويد عن حالات إنتقال الإثارة في الجهاز العصبي منذ مقدمته التي وضعها لمؤلف برنهايم بعنوان « حول الإيحاء وتطبيقاته في العلاج ، عامي 1888 -1889) . ولهذه الفرضية أصل عيادي ونظري في آن معاً .

أما على الصعيد العيادي ، فلقد فرض علاج العصابيين والهستيريين منهم على وجه الخصوص ، على فرويد فكرة التمييز الأساسي ما بين « التصورات » وبين « مقدار العاطفة » الذي يوظف فيها . وهكذا قد يثار حدث هام في تاريخ الشخص بنوع من اللامبالاة ، كما قد يتحول الطابع المزعج أو الذي لا يطاق لتجربة ما ، إلى حدث تافه بدل أن يظل مرتبطاً بالحدث الذي أثار الإنزعاج في الأصل (الإزاحة ، و« الإرتباط الخاطىء ») . وحين يقوم العلاج ، كما عرض في « دراسات حول الهستيريا » بإعادة الإرتباط ما بين مختلف التصورات موضوع البحث فهو يعيد الإرتباط ما بين ذكرى الحدث الصدمي والعاطفة التي تصاحبه مما يهيء السبيل لتفريغ تلك العاطفة (التصريف) . ومن ناحية ثانية يتلازم زوال الأعراض الجسدية في الهستيريا مع بروز التجارب العاطفية المكبوتة إلى وضح النهار ، مما يجعلنا نفترض أن خلق الأعراض ، قد تم على العكس من ذلك من خلال إقلاب طاقة نفسية معينة إلى « طاقة تعصيب » .

يبدو أن هذه الوقائع ، وخصوصاً وقائع الإقلاب ، ترتكز على مبدأ فعلي لحفظ الطاقة العصبية ، إذ أن هذه الطاقة قادرة على إتخاذ العديد من الأشكال المختلفة . يلاقي مفهوم كهذا صياغة منهجية له في « مشروع علم نفس علمي » ذلك المشروع الذي يصف النشاط الوظيفي للجهاز العصبي من خلال الإقتصار على تقلبات الطاقة ضمن جهاز الأعصاب . يدل مصطلح التوظيف في هذا النص ، على فعل توظيف عصبون معين ، (أو نظام عصبي) ، أي على شحنة بالطاقة ، وكذلك على كمية الطاقة الموظفة ، وخصوصاً الطاقة الساكنة في آن معاً(1) .

يتحرر فرويد فيما بعد ، من هذه الصمائم العصبية من خلال نقل فكرة طاقة التوظيف إلى صعيد « الجهاز النفسي » . وهكذا يبين في كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » كيف تتوزع طاقة التوظيف بين مختلف الأنظمة . فبينما يخضع نظام اللاوعي في نشاطه إلى مبدأ تصريف كميات الإثارة ؛ يرمي نظام ما قبل الوعي إلى صد هذا التصريف المباشر في نفس الوقت الذي يكرّس فيه كميات ضئيلة من الطاقة لنشاط الفكر الضروري لإستكشاف العالم الخارجي : « . . . أنا أفترض أن النظام الثاني ينجح بداعي الفعالية في الاحتفاظ بالقسط الأكبر من توظيفاته في حال السكون ولا يستخدم منها إلا قسماً صغيراً من خلال إزاحته »(2a) (أنظر : طاقة حرة ، وطاقة مربوطة) .

إلا أننا نلاحظ على كل حال أن التحويل الذي يفرضه فرويد على أطروحات « مشروع علم

نفس علمي » لا يتضمّـن رغم ذلك التخلي التام عن أي رجوع إلى فكرة الطاقة العصـبية . « إذ يلاحظ فرويد أنه يتعين على من يرغب في أخذ هذه الأفكار على محمل الجد ، البحث عما يناظرها في مجال الفيزياء ، وأن يشق طريقاً تمكنه من تصور عملية الحركة خلال إثارة الأعصاب »(2b) .

يحمل إرصان فكرة النزوة معه جواباً على السـؤ ال الذي بقي معلقـاً في التصـور المفهومي الإقتصادي « لتأويل الأحلام » : فالطاقة الموظفة هي الطاقة النزوية الصادرة عن مصادر داخلية ، والتي تمارس دفعاً مستمراً وتفرض على الجهاز النفسي مهمة تحويلها . وهكذا يعني تعبير من مثل « التوظيف الليبيدي » : توظيف (موضوع معين) بطاقة النزوات الجنسية . وأما في النظرية الثانية للجهاز النفسي ، فيصبح الهو مصدر كل التوظيفات ، باعتباره القطب النزوي في الشخصية . وتستمد بقية الأركان طاقتها من هذا المصدر الأول .

***

تشكل فكرة التوظيف ، شأنها في ذلك شأن معظم الأفكار الإقتصادية ، جزءاً من الهيكل المفهومي لفرويد ، ولو أنه لم يقدم عنها إرصاناً نظرياً صارماً .

ذلك أن هذه الأفكار قد نقلت جزئياً إلى « فرويد الشاب » من قبل علماء الفسيولوجيا العصبية الذين تلقى تأثيراتهم (من أمثال بروكه ومينرت وسواهما) . وهذا ما يفسر إلى حد ما الحيرة التي قد يجد قارىء فرويد فيها نفسه بصدد الجواب على بعض الأسئلة :

1 ـ لا يتخلّص إستخدام مصطلح التوظيف أبداً من بعض الغموض الذي لا تجلوه النظرية التحليلية . إذ هو غالباً ما يؤخذ على محمل التشبيه : حيث يمثل عندها مجرد تناظر ما بين العمليات النفسية والنشاط الوظيفي للجهاز العصبي القائم على نموذج طاقوي .

ونحن حين نتحدث عن توظيف تصور ما ، فإننا نهدف إلى تحديد عملية نفسانية بلغة تكاد تقتصر من باب التناظر ، على الإشارة إلى أوالية فسيولوجية قد توازي التوظيف النفسي (من مثل توظيف عصبون أو أثر عصبي) . ولكن حين نتحدث ، على العكس من ذلك ، عن توظيف موضوع ما بالتعارض مع توظيف أحد التصورات ، فإننا نفقد الدعم الذي تمدنا به فكرة الجهاز النفسي باعتباره جهازاً مغلقاً مناظراً للنظام العصبي . وبينما يكون بإمكاننا القول بأن تصوراً ما محمّل (بطاقة التوظيف) وأن مصيره يتوقف على تباين هذا التحميل ، فإن توظيف موضوع واقعي ، ومستقل ، لا يمكن أن يحظى بنفس المعنى « الواقعي » . وتوضح لنا فكرة من مثل فكرة الإنطوائية (أي العبور من توظيف موضوع واقعي إلى توظيف موضوع خيالي ذاتي) ، هذا اللبس بشكل جيد : ذلك أنه من الصعب تصور فكرة الحفاظ على الطاقة خلال عملية الإنسحاب هذه .

يبدو أن بعض المحللين النفسيين يجدون في مصطلح من مثل مصطلح التوظيف الضمانة الموضوعية بأن السيكولوجية الدينامية التي يقولون بها مرتبطة عن حق بالفسيولوجيا العصبية ولو جزئياً . ففي الواقع ، قد يحيل إلينا من خلال استخدام تعابير من مثل : توظيف جزء من الجسد ، أو توظيف الجهاز الإدراكي ، إلخ . . . ، بأننا نتحدث بلغة علم الأعصاب وبأننا أقمنا التحوّل ما بين النظرية التحليلية النفسية ، وبين الفسيولوجيا العصبية ، ولكن لا تعدو هذه الأخيرة (أي الفسيولوجيا العصبية) كونها مجرد نسخ لتلك ، (أي النظرية التحليلية) .

2 ـ ونجابه صعوبة أخرى حين نربط فكرة التوظيف بالمفاهيم الموقعية . فمن ناحية ، يفترض

في أي طاقة توظيف أن تشتق أصلها من النزوات ؛ إنما نتكلم من ناحية ثانية عن توظيف خاص بكل نظام . تبدو هذه الصعوبة ملموسة في حالة التوظيف الذي يطلق عليه تسمية اللاواعي . وإذا اعتبرنا في الواقع أن هذا التوظيف هو ذو أصل لبيدي ، فإنه يتعين علينا أن نتصوره على أنه يدفع التصورات الموظفة بلا هوادة في اتجاه الوعي والفعل الحركي ؛ إنما يتكلم فرويد غالباً عن التوظيف اللاواعي وكأنه قوة تماسك مميزة للنظام اللاواعي وقادرة على جذب التصورات إليه : حيث يبدو أن هذه القوة تلعب دوراً أساسياً في الكبت . ويمكننا التساؤل هنا عما إذا كان مصطلح التوظيف يغطي في هذه الحالة أفكاراً متباينة ؟

3 ـ هل بالإمكان قصر فكرة التوظيف على مفهومها الإقتصادي وحده ؟ صحيح أن فرويد ردها إلى فكرة شحنة موجبة تُسْنَدُ إلى موضوع أو تصور ما . ولكن الا تأخذ معنى أوسع على الصعيد العيادي والوصفي ؟ ففي الواقع تكتسب الموضوعات والتصورات في العالم الذاتي للشخص بعض القيم التي تنظم مجال الإدراك والسلوك . فمن ناحية ، قد تبدو هذه القيم على أنها متفاوتة كيفياً إلى الحد الذي يصعب معه تصور إمكانية التعادل والإستبدال فيما بينها . ومن ناحية ثانية ، يتضح لنا أن بعض الموضوعات ذات القيمة البارزة بالنسبة للشخص ، لا تتميز بشحنة موجبة ، بل بشحنة سالبة : وهكذا فالموضوع الخوافي ليس خالياً من التوظيف ، بل هو على العكس من ذلك « موظف » بشدة بإعتباره موضوعاً يتعين تجنبه .

وقد يغرينا هذا كله بترك اللغة الإقتصادية وبترجمة فكرة التوظيف الفرويدي إلى مفهوم مستوحى من الظواهرية حيث تسود أفكار القصدية ، والموضوع ـ القيمة ، إلخ . . . وقد نجد عندها في لغة فرويد نفسها تعابير تبرر هذا الأسلوب في طرح الأمور . حيث أنه يطرح في مقالته باللغة الفرنسية بعنوان « بعض الإعتبارات من أجل دراسة مقارنة لحالات الشلل الحركي العضوية والهستيرية ، عام 1893 » مصطلح « القيمة العاطفية كمعادل للمصطلح الألماني Affektbetrag (مقدار العاطفة)(4) . ويبدو أن مصطلح التوظيف في نصوص أخرى لا يتضمن شحنة قابلة للقياس من الطاقة اللبيدية بقدر ما يتضمن نزعات عاطفية تتمايز عن بعضها كيفياً : وهكذا يقال عن الموضوع الأمومي حين يفتقده الرضيع بأنه « موظف بالحنين »(5) (Sehnsuchtbesetzung) .

***

ومهما كانت الصعوبات التي يثيرها استعمال فكرة التوظيف ، فإن الواقع الذي لا مراء فيه ، هو أن المحللين لا يمكنهم الإستغناء عنها إلا بصعوبة ، حين يريدون تبيان المعطيات العيادية العديدة ، أو حين يودون تقدير تطور العلاج . يبدو أن بعض الإصابات تثبت الفكرة القائلة بأن بحوزة الشخص كمية معينة من الطاقة يوزعها بمقادير متفاوتة في علاقاته مع موضوعاته ومع ذاته . وهكذا ففي حالة من مثل حالة الحداد يجد الفقر البينّ الذي يصيب حياة العلاقة عند الشخص تفسيراً له في التوظيف المضاعف الذي ينصب على الموضوع المفقود ، وكأن هناك توازناً حقيقياً في الطاقة يقوم ما بين مختلف توظيفات الموضوعات الخارجية أو الهوامية ، وبين الجسد الذاتي ، والأنا إلخ . . .

(1) Cf. Freud (S.). All., 382 ; Angl., 358-9 ; Fr., 318.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 605 ; S.E., V, 599 ; Fr., 489. — *b)* G.W., II-III, 606 ; S.E., V, 599 ; Fr., 489.
(3) Pour l'examen plus ample de cette question, cf. Laplanche (J.) et Leclaire (S.). L'inconscient, in : *Les Temps Modernes*, 1961, n° 183, chap. II.
(4) Cf. Freud (S.). G.W., I, 54 ; S.E., I, 171.
(5) Cf. Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 206 ; S.E., XX, 171 ; Fr., 100.

Contre - investissement — توظيف مضاد

Eng.: Anticathexis
D.: Gegenbesetzung

■ إفترض فرويد هذه العملية الإقتصادية كسند للعديد من نشاطات الأنا الدفاعية . قوام هذه العملية هو التوظيف الذي يقوم به الأنا لبعض التصورات وأنظمة التصورات والإتجاهات ، إلخ . . . ، التي يمكنها سد السبيل أمام عبور التصورات والرغبات اللاواعية إلى الوعي والحركة . كما قد يدل هذا المصطلح أيضاً على النتيجة المتفاوتة في استمرارها لهذه العملية ■ .

لجأ فرويد إلى فكرة التوظيف المضاد أساساً في إطار نظريته الإقتصادية عن الكبت . إذ لا يمكن إبقاء التصورات المطلوب كبتها في اللاوعي ، طالما هي موظفة بالطاقة النزوية ، وتنزع دوماً إلى البروز إلى الوعي ، إلا إذا مارست قوة أخرى ثابتة بدورها تأثيرها في الإتجاه المضاد . وهكذا يفترض الكبت عموماً عمليتين إقتصاديتين تستتبعان بعضهما بعضاً :

1 ـ قيام نظام ما قبل الوعي بسحب التوظيف الذي ارتبط حتى الساعة بهكذا تصور مزعج (أي سحب التوظيف) .

2 ـ توظيف مضاد يستخدم الطاقة التي أصبحت متوفرة بفعل العملية السابقة .

يطرح هنا السؤال حول معرفة ما يقع عليه الاختيار ليكون موضوعاً للتوظيف المضاد . وتجدر الإشارة إلى أن نتيجة التوظيف المضاد هي إبقاء التصور في النظام الذي تصدر عنه الطاقة النزوية . ولهذا يكون التوظيف من نصيب عنصر من عناصر نظام ما قبل الوعي ـ الوعي مما يحول دون بروز التصور المكبوت مكانه . ويمكن أن تتنوع طبيعة العنصر الذي استقطب التوظيف المضاد : فقد يكون مجرد وليد للتصور اللاواعي (أي تكوين بديل ، من مثل حيوان خواقي يصبح موضوع حيطة خاصة ويكرّس للإبقاء على الرغبة اللاواعية والهوامات المرتبطة بها مكبوتة) ، أو قد يكون عنصراً يعارض هذا التصور بشكل مباشر (من مثل التكوين العكسي : فقد يخفي الإفراط في اهتمام الأم بأولادها رغبات عدوانية تجاههم ؛ أو قد تبرز هموم النظافة لمحاربة ميول شرجية) .

ومن ناحية أخرى فقد يتركز التوظيف المضاد في سلوك أو سمة من سمات الطبع ، كما يتركز في التصور أو الوضعية سواء بسواء ، طالما أن الهدف هو دوماً الإبقاء على الكبت بشكل ثابت قدر الإمكان . تتضمن فكرة التوظيف المضاد ، بهذا المنحى ، الجانب الإقتصادي من فكرة دفاع الأنا

الدينامية ؛ موضحة بذلك إستقرار العارض الذي « يسند من الجهتين في نفس الوقت » تبعاً لتعبير فرويد. وهكذا تجابه الصلابة النسبية لبنى الأنا الدفاعية ، مع ما تتطلبه من إستهلاك دائم للطاقة ، الرغبة اللاواعية التي لا تتزعزع .

لا يقتصر إستخدام فكرة التوظيف المضاد على ما يمتّ إلى حدود النظامين اللاواعي من ناحية وما قبل الواعي من ناحية ثانية . فلقد كان أول ما استعان به فرويد في نظرية الكبت(1) ، إنما يَعثر على التوظيف المضاد أيضاً في العديد من العمليات الدفاعية : كالعزل ، والإلغاء الرجعي ، والإحتماء بالواقع ، إلخ . ويلعب التوظيف المضاد دوره أيضاً حتى في داخل نظام ما قبل الوعي - الوعي ، في أمثال تلك العمليات الدفاعية ، كما في أوالية الإنتباه والتفكير التمييزي .

يستعين فرويد بفكرة التوظيف المضاد ، في المقام الأخير ، في إطار علاقة المتعضى مع المحيط لتبيان ردود الفعل الدفاعية ضد إقتحام الطاقة الخارجية لصادات الإثارات (الألم ، الصدمة) . يعبىء المتعضى عندها طاقته الداخلية ، على حساب نشاطاته التي يحل بها هزال موازٍ ، من أجل خلق نوع من السد لوقايته من تيار الإثارات الخارجية أو الحد منها على الأقل(2) .

(1) Cf. Freud (S.). *Die Traumdeutung*. 1900 G.W., II-III, 610 ; S.E., V, 604-5 ; Fr., 493.

(2) Cf. par exemple Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 30-1. S.E., XVIII, 30-1 ; Fr., 33-4.

توظيف مفرط

Surinvestissement
Eng.: Hypercathexis
D.: Überbesetzung

■ إنه مدد من التوظيف الإضافي لتصور ، أو إدراك ، إلخ ، سبق لها أن وُظفا . ينطبق هذا المصطلح خصوصاً على عملية الإنتباه ، ضمن إطار النظرية الفرويدية عن الوعي ■.

لا يمسّ التعبير « الإقتصادي » للتوظيف الإضافي لا موضوع هذا التوظيف الإضافي موضع البحث ، ولا مصدره . إذ يمكن القول على سبيل المثال أن إحدى التصورات اللاواعية قد وُظِّف توظيفاً إضافياً في حالة مده بطاقة نزوية جديدة ؛ ويتحدث فرويد أيضاً عن التوظيف الإضافي في حالة سحب الليبدو النرجسي إلى الأنا في الفصام .

إنما قدّم هذا المصطلح واستُخدِم على الأغلب لإعطاء سند إقتصادي لما سبق لفرويد أن وصفه كـ « وظيفة نفسية خاصة »(1) ، أي الإنتباه الذي قدم عنه نظرية متبلورة جداً ، في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام1895 » أساساً . في ذلك النص ، يعرض « القاعدة الإحيائية » التي يأتمر الأنا بها في عملية الإنتباه على الشكل التالي : « حين يبدو مؤشر من الواقع يتحتم تعرض توظيف الإدراك الحاضر في تلك اللحظة إلى توظيف إضافي »(2) (أنظر : وعي) .

ويشير فرويد ، في منظور قريب من ذلك نسبياً ، إلى الاستعداد للخطر الذي يسمح بتجنب

الصدمة أو الحد منها ، على أنه توظيف إضافي : « إن العامل الحاسم ، في مصير عدد كبير من الصدمات ، هو الفارق بين الأنظمة غير المهيأة (لاستقبال الصدمة) وبين تلك الأنظمة المهيأة لذلك من خلال التوظيف الإضافي »(3) .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 599 ; S.E., V, 593 ; Fr., 486.
(2) Freud (S.). All., 451 ; Angl., 429 ; Fr., 382.
(3) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 32 S.E., XVIII, 31 ; Fr., 35.

ث

ثنائية جنسية

Bisexualité

Eng.: Bisexuality

D.: Bisexualität

■ أدخل فرويد هذه الفكرة في التحليل النفسي بتأثير من فلهلم فلايس : إذ يبدو أن كل كائن إنساني يمتلك إستعدادات جنسية جبليّة ذكرية وأنثوية في آن معاً . تتواجد في الصراعات التي يتعرض لها الشخص كيا يضطلع بجنسه الخاص ■ .

لا جدال في أن فكرة الثنائية الجنسية تعود في تاريخ حركة التحليل النفسي إلى تأثير ف. فلايس . لقد كانت هذه الفكرة موجودة في الأدبيات الفلسفية والطبية العقلية لأعوام1890 (1a) ، ولكن فلايس هو الذي نصّب نفسه محامياً عنها لدى فرويد ، كما تشهد عليه مراسلاتهما (2) .

قامت نظرية الثنائية الجنسية في البدء على معطيات التشريح وعلم الأجنّة (ا) : « إذ يُعدّ قدر محدود من التخنيث التشريحي عادياً . حيث يُعثر عند كل فرد سواء أكان ذكراً أم أنثى على بقايا من الجهاز التناسلي للجنس المقابل [. . .] يترتب على هذه الوقائع التشريحية المعروفة منذ زمن بعيد الفكرة القائلة بأن المتعضي ثنائي الجنسية في الأصل ، ثم يتوجه ، خلال التطور نحو الأحادية الجنسية مع الإحتفاظ ببعض بقايا الجنس الضامر »(1b) .

ولقد أعطى فلايس أهمية كبرى للوقائع التي تشير إلى ثنائية جنسية إحيائية : فالثنائية الجنسية هي ظاهرة إنسانية عالمية لا تقتصر ـ على سبيل المثال ـ على حالة اللواط المرضية وحدها ، بل هي تؤدي إلى نتائج نفسانية أساسية . وهكذا يؤوّل فلايس النظرية الفرويدية في الكبت ، بالرجوع إلى الصراع الذي يحتمل عند كل فرد ما بين الميول الذكرية والأنثوية ، ويلخص فرويد تأويل فلايس على هذا الوجه : « يحتمل على الأغلب أن يكبت الجنس [. . .] السائد عند الشخص التصورات النفسية للجنس المهزوم في اللاوعي »(3a) .

لم يقم فرويد صراحة بإستخلاص موقفه من مشكلة الثنائية الجنسية ؛ فهو يعترف عام1930 بأن « . . . نظرية الثنائية الجنسية لا زالت تتضمن العديد من أوجه الغموض مما يؤدي إلى إرتباك

جدي في التحليل النفسي بسبب عدم التمكن إلى الآن من إيجاد الرابطة بينها (هذه النظرية) وبين نظرية النزوات »(4) . تمسك فرويد دوماً بالأهمية النفسية للثنائية الجنسية ، إنما يتضمن فكرة تحفظات وترددات بصدد المشكلة يمكن تلخيصها كما يلي :

أولاً : يفترض مفهوم الثنائية الجنسية إدراكاً واضحاً لزوجيٌ الذكورة ـ الأنوثة ؛ ولكن الواقع ، وكما أشار إليه فرويد ، أن هذه المفاهيم تتخذ معنى مختلفاً تبعاً للمستويات البيولوجية ، أو النفسية ، أو الإجتماعية التي ينظر إليها من خلالها ؛ ولا تسمح هذه المعاني التي تختلط غالباً بإقامة معادلات تتطابق حرفياً بين كل من هذه المستويات (1c) .

ثانياً : يأخذ فرويد على مفهوم فلايس (حول الثنائية الجنسية) بأنه يدمغ أوالية الكبت النفسية بالطابع الجنسي ، أي أنه : « يقيم مصدره على أسس بيولوجية »(5a) . ذلك أن تصوراً كهذا يؤدي إلى تحديد قبلي لنموذج الصراع الدفاعي ، حيث تكون القوة الكابتة من ناحية الجنس البيولوجي الصريح ، بينما يصبح الجنس المقابل هو المكبوت . ويعترض فرويد على ذلك بالقول : « ... بأنه يوجد عند الأفراد من الجنسين حركات نزوية ذكرية وأنثوية على حد سواء يمكنها أن تصبح كليها لا واعية بواسطة الكبت »(3b) .

وإذا بدا على فرويد أنه يقترب رغم كل شيء في مقالته « التحليل النفسي المنتهي واللامنتهي عام 1937 » من مفهوم فلايس حين يقر « ... بأن ما يكبت هو ما يتعارض مع جنس الشخص »(5b) ؛ (أي شهوة العضو الذكري عند المرأة ، والإتجاه الأنثوي عند الرجل) ، فإنه يفعل ذلك في نص يؤكد على أهمية عقدة الخصاء التي لا تكفي المعطيات الإحيائية لتبيانها .

ثالثاً : من المفهوم أن يجد فرويد صعوبة كبرى في التوفيق ما بين فكرة الثنائية الجنسية البيولوجية وبين فكرة سيادة القضيب بالنسبة لكلا الجنسين ، والتي ما فتئت تتأكد باضطراد في أعماله .

(أ) يشير فرويد إضافة الى ذلك في طبعة عام 1920 من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية » ، إلى تجارب فسيولوجية حول التحديد الهرموني للطابع الجنسية .

(1) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* G.W., V, 42, n. ; S.E., VII, 143, n. ; Fr., 166, n. 12. — *b)* G.W., V, 40 ; S.E., VII, 141 ; Fr., 96. — *c)* G.W., V, 121, n. ; S.E., VII, 219, n. ; Fr., 184-5, n. 78.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. *Passim*.

(3) Freud (S.). « *Ein Kind wird geschlagen* », 1919. — *a)* G.W., XII, 222 ; S.E., XVII, 200-1 ; Fr., 294. — *b)* G.W., XII, 224 ; S.E., XVII, 202 ; Fr., 296.

(4) Freud (S.). *Das Unbehagen in der Kultur*, 1930. G.W., XIV, 466, n. ; S.E., XXI, 106, n. ; Fr., 43.

(5) Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. — *a)* G.W., XVI, 98 ; S.E., XXIII, 251 ; Fr., 36. — *b)* G.W., XVI, 98 ; S.E., XXIII, 251 ; Fr., 36.

ج

جنسية

Sexualité
Eng.: Sexuality
D.: Sexualität

■ لا تدل الجنسية في التجربة والنظرية التحليليين النفسيين على الأنشطة واللذة المتوقفين على عمل الجهاز التناسلي فقط بل تدل كذلك على سلسلة من الإثارات والأنشطة، الفاعلة منذ الطفولة والتي تمد الشخص بلذة لا تختزل إلى مجرد إرواء حاجة فسيولوجية أساسية (من مثل التنفس، والجوع، ووظائف الإخراج، إلخ . . .) ، كما أنها تتواجد هي ذاتها على شكل مكونات فيما يطلق عليه إسم الشكل السوي من الحب الجنسي ■ .

يعطي التحليل النفسي ، كما نعلم ، أهمية كبرى للجنسية في نمو الشخص الإنساني وحياته النفسية . ولا يمكن فهم هذه الأطروحة ، إلا إذا قدرنا حق قدره التحول الذي أدخل فجأة على فكرة الجنسية . ولا نرمي هنا إلى تحديد وظيفة الجنسية في فهم التحليل النفسي للإنسان ، بل نقتصر فقط على توضيح إستخدام المحللين النفسيين « لمفهوم » الجنسية من ناحية مداه وشموله .

إذا انطلقنا من النظرة الشائعة التي تحدد الجنسية كغريزة أي كسلوك سابق التكوين ، مميز للجنس البشري ، ذي موضوع (وهو القرين من الجنس الأخر) ، وهدف (وهو إتحاد الأعضاء التناسلية في الجماع) ، ويتصف بالثبات النسبي ، لاتضح لنا أن هذه النظرة قاصرة عن تبيان الوقائع التي تمدنا بها الملاحظة المباشرة أو التحليل وذلك على مستويين :

أ ـ من حيث المدى :ـ

أولاً : يبين لنا وجود وتكرار حالات الشذوذ الجنسي ، التي قام بعض إخصائيي علم النفس المرضي بجردة لها في أواخر القرن التاسع عشر (كرافت إبنج ، وهافيلوك أليس) أن هناك تنوعاً كبيراً على مستوى اختيار الموضوع الجنسي ، وعلى مستوى أسلوب النشاط المتبع للحصول على الإشباع .

ثانياً : يثبت فرويد وجود نقلات عديدة ما بين الجنسية الشاذة والجنسية المعروفة بالسوية :

من مثل ظهور حالات شذوذ عابرة حين يستحيل الإشباع العادي ، وكذلك وجود تصرفات تتخذ شكل نشاطات ممهدة للجماع أو مصاحبة له ، (اللذة التمهيدية) ، وتمتُّ هذه التصرفات أصلاً إلى مجال الشذوذ حين تحل محل الجماع أو تشكل شرطاً ضرورياً للإشباع .

ثالثاً : يبين التحليل النفسي للأعصبة أن الأعراض تمثل تحقيقاً للرغبات الجنسية ، بشكل مُزاح (عن الموضوع الأصلي) من خلال ما يطرأ عليها من تعديل بسبب التسوية مع الدفاع ، ومن ناحية ثانية فإن الرغبات الجنسية الشاذة هي التي نقع عليها على الأغلب وراء هذا العارض أو ذاك .

رابعاً : إن ما يوسع المجال الذي يسميه المحللون النفسيون جنسياً ، هو خصوصاً وجود جنسية طفلية ، يراها فرويد فاعلة منذ بداية الحياة . ولا يعني الحديث عن الجنسية الطفلية مجرد الإعتراف بوجود إثارات أو حاجات تناسلية مبكرة ، بل يقصد به تلك النشاطات التي تمتُّ بصلة قربى للنشاطات الشاذة عند الراشد ، باعتبار أنها تُشرِكُ في العملية مناطق جسدية (مناطق مولدة للغلمة) تتعدى المناطق التناسلية ، وباعتبار أنها تستهدف أيضاً الحصول على لذة (من نوع مص الأصابع) مستقلة عن ممارسة وظيفة بيولوجية محددة (من مثل التغذية) . ويتحدث المحللون النفسيون بهذا المعنى عن جنسية فمية ، أو شرجية إلخ . . .

ب ـ من حيث الشمول :

أدى توسيع حقل الجنسية على هذا الشكل بفرويد إلى البحث عن تحديد المحكات التي تعين ما يجب إعتباره جنسياً بشكل نوعي في هذه النشاطات المختلفة . فما الذي يجيز للمحلل النفسي إذاً إطلاق صفة الجنسي على عمليات تخلو من النشاط التناسلي ، بعد تبيان عدم قابلية رد الجنسي إلى التناسلي المحض (تماماً كما لا ترد الحياة النفسية إلى مجرد الوعي) ؟ يطرح هذا السؤال أساساً بصدد الجنسية الطفلية ، إذ أن الإثارة التناسلية تكون حاضرة في حالات الشذوذ عند الراشد .

يتعرض فرويد بصراحة لهذه المسألة خصوصاً في الفصلين 20 و21 من « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي 1915-1917 » ، حيث يسجل على نفسه الإعتراض التالي : « لماذا تُصرُّ على إطلاق تسمية الجنسية على هذه التجليات الطفلية التي تعتبرها أنت نفسك غير محددة المعالم ، والتي يتكون الجنسي إنطلاقاً منها فيما بعد ؟ ولماذا لا تقتصر على مجرد الوصف الفسيولوجي ، وتقول ببساطة أننا نلاحظ عند الرضيع نشاطات ، من مثل المص ، والإحتفاظ بالبراز ، تبين لنا أن الطفل يستهدف الحصول على لذة العضو) ؟ »(1a) .

يجيب فرويد على هذا الإعتراض ، مع تركه المسألة مفتوحة ، متسلحاً بالحجة العيادية القائلة بأن تحليل الأعراض عند الراشد يفضي بنا إلى هذه النشاطات الطفلية المولدة للذة ، وذلك من خلال مادة عيادية ذات طبيعة جنسية لا مراء فيها(1b) . ولكن الإفتراض بأن هذه النشاطات الطفلية ذاتها هي نشاطات جنسية ، يفترض إجراءً إضافياً : إذ يعتبر فرويد أن ما نقع عليه في نهاية نمو نقوم بإعادة تركيب مراحله خطوة فخطوة ، لا بد أن يكون موجوداً منذ البداية ، ولو بشكل برعمي . ولكنه يعترف في النهاية ، رغم كل ذلك ، « . . . بأننا لا نمتلك بعد علامة معترفاً بها كونياً تسمح لنا أن نتيقن من الطبيعة الجنسية لعملية ما »(1c) .

غالباً ما يصرح فرويد بأنه يتعين علينا إكتشاف هكذا محك في مجال الكيمياء الحيوية . أما في

التحليل النفسي ، فجُلّ ما يمكن القول به هو وجود طاقة جنسية أو ليبدو لا تتيح لنا دراسته العيادية إعطاء تعريف محدود له ، وإنما هي تبين لنا فقط تطوره وتحولاته .

***

وهكذا يبدو لنا أن تفكير فرويد يصطدم بعقبة مزدوجة تتعلق بجوهر الجنسية من ناحية (حيث لا زالت الكلمة الأخيرة متروكة لتعريف كيميائي حيوي إفتراضي) ، وتتعلق بمنشأها من ناحية ثانية ، حيث يكتفي فرويد بالتسليم بوجود الجنسية الضمني منذ البداية .

وتتجلى هذه الصعوبة بأوضح صورها في حالة الجنسية الطفلية ، كما أنه في هذا الموضوع بالذات (أي الجنسية الطفلية) يمكننا العثور على مؤشرات تقودنا إلى الحل .

اولاً : فلقد بيّن فرويد ، حتى على مستوى الوصف شبه الفيسيولوجي للسلوك الجنسي الطفلي ، أن النزوة الجنسية تبرز إنطلاقاً من قيام الأجهزة الكبرى التي تضمن المحافظة على المتعضي ، بوظائفها . إذ لا نستطيع اكتشافها ، في مرحلة أولى ، إلا كمكافأة ممتعة تقدم على هامش القيام بإحدى الوظائف (أي لذة الإمتصاص ، إضافة إلى إشباع الجوع) . ولا تطلب هذه اللذة الهامشية لذاتها ، إلا في مرحلة تالية ، وبصرف النظر عن أي حاجة للغذاء ، أو عن أي لذة وظيفية ، وهي هنا تطلب لذاتها بدون موضوع خارجي ، وبشكل موضعي محض على مستوى إحدى المناطق المولدة للغلمة .

إن ما يحدد الجنسية الطفلية ، تبعاً لفرويد ، هو الترابط الوثيق بين صفاتها الثلاث ، وهي الإستناد ، المناطق المولدة للغلمة ، والغلمة الذاتية(2) . وهكذا نرى أن النزوة الجنسية تبدو كما يذهب فرويد إلى تحديدها لحظة بروزها ، وكأنها شذوذ أصاب الغريزة حيث يضيع موضوعها النوعي وغائيتها العضوية .

ثانياً : ألحّ فرويد في مناسبات عدة ، وفي منظور زماني مختلف نسبياً ، على فكرة « البعدية » : حيث تعطى لبعض التجارب المبكرة ذات الطبيعة العائمة ، دلالات لم تكن لها في الأصل ، من قبل تجارب أخرى جديدة . فهل يمكن القول إذا سرْنا حتى نهاية المسألة ، أن التجارب الطفلية من مثل تجربة الإمتصاص ، تكون في البداية غير جنسية ، ولا تعطى لها صفتها الجنسية إلا بشكل ثانوي ، وبعد ظهور النشاط التناسلي ؟ يبدو أن استنتاجاً كهذا يدحض ما سبق قوله أعلاه حول بزوغ الحياة الجنسية ، ومن باب أولي يدحض المنظور التكويني الذي يذهب إلى أن الجنسي موجود سلفاً بشكل ضمني ومنذ البداية في النمو النفسي الفسيولوجي ، وذلك بالقدر الذي يؤكد فيه أهمية الأثر الرجعي في تكوين الجنسية .

تكمن هنا بالتحديد إحدى الصعوبات الكبرى للنظرية الجنسية الفرويدية ؛ فبالقدر الذي لا تشكل فيه الجنسية نظاماً معداً سلفاً بل هي تتوطد خلال التاريخ الفردي مغيّرة أجهزتها وأهدافها ، فإنه يتعذر فهمها بالإكتفاء بالمستوى التكويني البيولوجي وحده ، ولكن وعلى العكس من ذلك تؤكد الوقائع ، أن الجنسية الطفلية ، ليست وهماً ناتجاً عن أثر رجعي .

ثالثاً : تكمن إحدى الحلول الممكنة لهذه الصعوبة في تقديرنا في فكرة الهوامات الأصلية التي تؤدي إلى نوع من التوازن مع فكرة « البعدية » . ومن المعلوم أن فرويد يشير بذلك إلى بعض

الهوامات (من مثل المشهد الأصلي ، والخصاء ، والغواية) التي يمكن العثور عليها عند جميع الناس والتي تطبع الحياة الجنسية الإنسانية بطابعها ، وهو يفعل ذلك مستعيناً « بالتفسير النشوئي للجنس الإنساني » . وهكذا لا تُفسر الجنسية الإنسانية بالنضج الداخلي للنزوة بمفرده : بل هي تتكون ضمن البنى العلائقية ما بين الذاتية التي تسبق بروز هذه الجنسية عند الفرد .

يمكن رد هوام « المشهد الأصلي » سواء في محتواه ، أو في الدلالات الجسدية الماثلة فيه ، إلى واحدة من المراحل الليبيدية بشكل إنتقائي (المرحلة السادية الشرجية) ، إنما لا يمكن في رأي فرويد ، تفسيره على مستواه الإنبنائي (أي تصور وحل لغز الحمل) من خلال تضافر المؤشرات التي تقدمها لنا الملاحظة ؛ إذ أنه يكوّن إحدى صيغ «صميمة» موجودة سلفاً عند الشخص . وينسحب نفس القول ، على مستوى إنبنائي آخر ، على عقدة الأوديب التي تحكم ، تبعاً لتعريفها نفسه ، العلاقة الثلاثية بين الطفل وأهله . فمن الأمور ذات الدلالة البالغة ، أن يجد المحللون النفسيون الذين اهتموا بوصف العمليات الهوامية المرتبطة بالجنسية الطفلية (أي مدرسة ميلاني كلاين) ، البنية الأوديبية فاعلة منذ مرحلة مبكرة في هذه الجنسية .

رابعاً : ومما يؤكد تحفظ فرويد بصدد مفهوم تكويني داخلي محض للجنسية ، ذلك الدور الذي استمر في تخصيصه للغواية ، حتى بعد الإعتراف بوجود جنسية طفلية (أنظر بصدد توسيع هذه الفكرة التعليق على مقالة : الغواية) .

خامساً : ترتبط الجنسية الطفلية في آن معاً ، على الأقل من حيث أصولها ، بالحاجات التي تعرف تقليدياً باسم الغرائز ، إنما تظل مستقلة عن هذه الحاجات ، كما أن لها طابعاً داخلياً باعتبار أنها تمر بخط معروف من النمو وتجتاز مراحل متنوعة ، ولكنها خارجية أيضاً بالقدر الذي تبرز فيه عند الشخص إنطلاقاً من عالم الراشدين (حيث يتحتم على الشخص أن يتموضع منذ البداية في عالم والديه الهوامي ويتلقى منهم الإثارات الجنسية بدرجات متفاوتة في خفائها) ، ذلك كله يجعل من العسير الإحاطة بها بالقدر الذي يتعذر فيه اختزالها إلى مجرد تفسير يجعل منها وظيفة فسيولوجية محضة ، أو تأويلها « فوقياً » تأويلاً يزعم أن فرويد يصف تحولات علاقة الحب مستخدماً إسم الجنسية الطفلية . وهكذا يجد فرويد دوماً هذه الجنسية الطفلية ، حين يعثر عليها في التحليل النفسي ، على شكل رغبة : وتعتمد هذه الرغبة بشدة ، خلافاً للحب ، على سند جسدي من نوع ما ، ولكنها ، خلافاً للحاجة ، ترتبط الإشباع بالشروط الهوامية التي تحدد بشكل صارم كل من اختيار الموضوع وتنسيق النشاط الجنسي .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., XI, 335 ; S.E., XVI, 323 ; Fr., 348. — *b)* Cf. G.W., XI, 336 ; S.E., XVI, 324 ; Fr., 349. — *c)* G.W., XI, 331 ; S.E., XVI, 320 ; Fr., 344.

(2) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 83 ; S.E., VII, 182 ; Fr., 76.

جهاز نفسي

Appareil psychique
Eng.: Psychic or mental apparatus
D.: Psychischer apparat

■ **يدل هذا المصطلح على بعض الخصائص التي تمحضها النظرية الفرويدية للنفس: أي قدرتها على نقل وتحويل طاقة معينة، وتمايزها إلى أنظمة أو أركان ■ .**

يعرّف فرويد الجهاز النفسي، في كتابه «تأويل الأحلام عام 1900» بمقارنته بالأجهزة البصرية؛ وهو يحاول بذلك، حسب تعبيره، «... أن يجعل تعقيد النشاط النفسي مفهوماً، من خلال تقسيم هذا النشاط إلى وظائف ومن خلال إلحاق كل وظيفة خاصة بجزء من الأجزاء المكونة للجهاز»(1a).

يستدعي نص كهذا بعض الملاحظات :

1 ـ يوحي فرويد، من خلال حديثه عن الجهاز النفسي، بفكرة ترتيب ما، أو توزيع داخلي، ولكنه في ذلك يتجاوز مجرد إلحاق وظائف مختلفة «بمواضيع نفسية» خاصة؛ وصولاً إلى تعيين نظام معين لهذه الأمكنة تستتبع تسلسلاً زمنياً محدداً. ولا يجوز أن يؤخذ تواجد مختلف الأنظمة المكونة للجهاز النفسي بالمعنى الشراحي الذي تعطيه إياه نظرية الموضعة الدماغية للوظائف. بل هو يتضمن فقط أن على الإثارات إتباع نظام يتحدد إنطلاقاً من موقع مختلف الأنظمة(2).

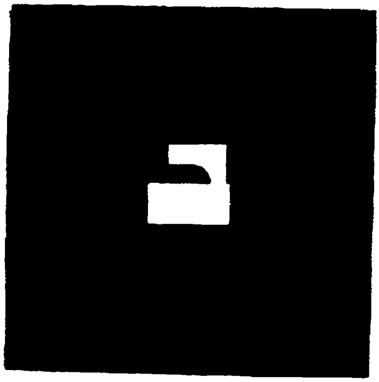
2 ـ يوحي مصطلح الجهاز بفكرة المهمة، وحتى بفكرة «الشغل». إستعار فرويد الصميمة الغالبة هنا، من مفهوم معين عن القوس المنعكس الذي يذهب إلى أن هذا القوس ينقل الطاقة التي يتلقاها كاملة غير منقوصة : «يتوجب تصور الجهاز النفسي كجهاز منعكس. إذ تبقى العملية المنعكسة نموذجاً لكل نشاط نفسي»(1b).

تتلخص وظيفة الجهاز النفسي، في نهاية التحليل، بالحفاظ على الطاقة الداخلية للمتعضي في أكثر المستويات الممكنة إنخفاضاً (أنظر : مبدأ الثبات). ويساعد تمايزه إلى بنى فرعية على فهم «تحولات الطاقة» (من الحالة الحرة، إلى الحالة المربوطة) (أنظر : إرصان نفسي)، كما تساعد على فهم لعبة التوظيفات، والتوظيفات المضادة، والتوظيفات المفرطة.

3 ـ تدل هذه الملاحظات المقتضبة على أن الجهاز النفسي يحتل بالنسبة لفرويد، قيمة «النموذج»، أو كما يقول هو نفسه، قيمة «التلفيق»(1c). وقد يكون هذا النموذج فيزيائياً، كما هو الحال في النص الأول المذكور أعلاه، أو كما هو الحال أيضاً في الفصل الأول من «الموجز في التحليل النفسي عام 1938»؛ كما قد يكون بيولوجياً في مواضع أخرى، كما هو الحال في («الحويصلة الخلوية») الواردة في الفصل الرابع من «ما فوق مبدأ اللذة، عام 1920». يحيل التعليق حول مصطلح الجهاز النفسي إلى تقدير إجمالي لنظرية ما وراء علم النفس الفرويدية وما تستعين به من تشبيهات مجازية .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 541 ; S.E., IV-V, 536 ; Fr., 441. — *b)* G.W., II-III, 543 ; S.E., IV-V, 538 ; Fr., 441. — *c)* G.W., II-III, 604 ; S.E., IV-V, 598 ; Fr., 448.

(2) *Cf.* par exemple Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, lettre à W. Fliess du 6-12-1896.



Besoin de punition

حاجة إلى العقاب

Eng.: Need for punishment

D.: Strafbedürfnis

■ إنها مطلب داخلي افترض فرويد وجوده باعتباره يشكل مصدر سلوك بعض الأشخاص الذين يبين الإستقصاء التحليلي النفسي أنهم يبحثون عن وضعيات مؤلمة أو مذلة كي يستلموا لها (ملزوشية خلقية) . يجب ردّ نواة هذا السلوك في التحليل الأخير إلى نزوة الموت. ■

لقد أثار وجود ظواهر متضمنة لعقاب الذات إهتمام فرويد منذ مرحلة مبكرة : من مثل أحلام العقاب التي تبدو وكأنها الضريبة التي تدفع للرقابة بغية تحقيق الرغبة(1) ، أو خصوصاً أعراض « العصاب الهجاسي » . يصف فرويد الملامة الذاتية التي يصبها المريض على نفسه ، بدءاً من دراساته الأولى حول هذه الإصابة (الهجاس) ؛ كما يصف سلوك عقاب ـ الذات في « ملاحظات حول حالة عصاب هجاسي عام1909 » ؛ وبشكل عام ، فإن مجمل الأعراض وما تتضمنه من آلام هي التي تجعل من الهجاسي جلّاداً لنفسه .

تُبرز اللائحة العيادية للسوداوية عنف الإضطرار لعقاب الذات ، الذي يمكن أن يصل إلى حد الإنتحار . ولكن من إسهامات فرويد والتحليل النفسي ، إضافة إلى ذلك القول بدوافع لعقاب الذات وراء تصرفات يبدو فيها العقاب في الظاهر كنتيجة غير مستحبة لبعض الأعمال « العدوانية والجانحة »(2).. ويمكن الحديث بهذا المعنى عن « مجرمين مدفوعين بالحاجة إلى عقاب ـ الذات » بدون الزعم بإمكانية ردّ هذه الظاهرة (أي الإجرام) المعقدة بالضرورة إلى هذا الدافع وحده .

وأخيراً ، وجد فرويد نفسه متوجهاً في العلاج نحو إعطاء مزيد من الإنتباه إلى ما أطلق عليه إسم « رد الفعل العلاجي السلبي » : فهو يكتب أن المحَلّلْ يتولد لديه إنطباع ، « . . . بوجود قوة تقاوم الشفاء بكل الوسائل وتريد التمسك المطلق بالمرض والمعاناة »(3a) .

ولقد تمكن فرويد ، في إطار النظرية الثانية للجهاز النفسي ، من الإحاطة بشكل أفضل بتصرفات عقاب الذات وتمييزها من خلال تعميق المشكلات ما وراء النفسانية التي تطرحها هذه

الظواهر ، وبفضل تقدم التفكير حول السادية ـ المازوشية ، وأخيراً من خلال إدخال نزوة الموت .

1 ـ فلقد سجل فرويد نفسه تحفظات حول تعبير « مشاعر الذنب اللاواعية » . إذ يبدو له مصطلح « الحاجة إلى العقاب »(4a) أكثر ملاءمة بهذا المعنى .

2 ـ أما في المنظور الموقعي ، فيفسر فرويد تصرفات عقاب ـ الذات ، من خلال التوتر ما بين الأنا وأنا أعلى يبلغ حد الشطط في متطلباته .

3 ـ إنما يبرز إستخدام مصطلح « الحاجة للعقاب » بجلاء ما يمكن أن يشكل نواة تلك القوة التي تدفع ببعض الأشخاص نحو الألم ، في نفس الوقت الذي يبرز فيه لغز الإرضاء الذي يجدونه في معاناتهم . ويميز فرويد حالتين في هذا الصدد : إذ يعطي بعض الأشخاص الإنطباع « . . . بأنهم يرزحون تحت وطأة ضمير خلقي مفرط في حدته ، بالرغم من كون هذه الأخلاقية المفرطة غير واعية لديهم . ويبين لنا الإستقصاء المتعمق جيداً الفارق ما بين ذلك الإمتداد اللاواعي للضمير الخلقي وبين المازوشية الخلقية . يتم التوكيد في الحالة الأولى على السادية المعزّزة للأنا الأعلى الذي يرضخ له الأنا ؛ وعلى العكس من ذلك يتركز التوكيد في الحالة الثانية على مازوشية الأنا الذي يستجلب العقاب ، سواء أصدر (هذا العقاب) عن الأنا الأعلى ، أم عن القوى الوالدية الخارجية »(4b) . وهكذا نرى ، بناء على ما سبق ، أنه لا يمكن بكل بساطة اعتبار سادية الأنا الأعلى ومازوشية الأنا كجانبين متناظرين لنفس التوتر .

4 ـ ولقد ذهب فرويد في مقالة « التحليل المنتهي واللا منتهي عام1937 » في نفس خط التفكير هذا لغاية القول بافتراض تعذر التفسير الكامل للحاجة إلى العقاب ، باعتبارها تعبيراً عن نزوة الموت ، من خلال العلاقة الصراعية ما بين الأنا الأعلى والأنا وحدها . فإذا كان جزء من نزوة الموت « مرتبطاً نفسياً بالأنا الأعلى » فإن هناك أجزاء أخرى « . . . قد تفعل فعلها بشكل حر أو مربوط ، مع أننا لا ندري أين »(3b) .

(1) Cf. Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 476-80, 563-6 ; S.E., V, 473-6, 557-60 ; Fr., 352-55, 458-9 et note.

(2) Cf. Freud (S.). *Das Ich und das Es*., 1923. G.W., XIII, 282 ; S.E., XIX, 52 ; Fr., 210.

(3) Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. — *a)* G.W., XVI, 88 ; S.E., XXIII, 241 ; Fr., 28. — *b)* G.W., XVI, 88 ; S.E., XXIII, 242-3 ; Fr., 28.

(4) Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. — *a)* Cf.G. W., XIII, 378-9 ; S.E., XIX, 166 ; Fr., 218-9. — *b)* G.W., XIII, 381 ; S.E., XIX, 168-9 ; Fr., 221.

حالة بينيّة

Cas-limite

Eng.: Borderline case

D.: Grenzfall

■ يشيع استخدام هذا المصطلح للدلالة على بعض الإصابات النفسية المرضية التي تقع على الحدود ما بين العصاب والذهان ، وخصوصاً حالات الفصام الكامن التي تتخذ أعراضاً ذات منحى عصابياً ■ .

يفتقر مصطلح الحالة البينية إلى الدلالة الوصفية المرضية الدقيقة . وتعكس تقلباته من حالة إلى أخرى ، غموض المجال الذي يطبق عليه . فهو يشمل ، تبعاً لمفاهيم مختلف المؤلفين : الشخصيات السفيهة Psychopathe والشاذة Pervers ، والجانحة ، وكذلك حالات عصاب الطبع الخطيرة . ويبدو أن الاستخدام الأكثر شيوعاً لهذا المصطلح بدأ يخصص لحالات الفصام التي تتخذ منحى الأعراض العصابية .

إن اتساع مجال التحليل النفسي ، مسؤول عن إبراز هذه الفئة التي يطلق عليها إسم الحالات - البينية . حيث أظهرت استقصاءات التحليل النفسي وجود بنية ذهانية في بعض الحالات التي كانت تعالج من اضطرابات عصابية . ويعتقد عموماً ، على المستوى النظري ، أن الأعراض العصابية تقوم في هذه الحالات بوظيفة دفاعية ضد انفجار الذهان .

حالة تنويمية

Etat hypnoïde
Eng.: Hypnoid state
D.: Hypnoider Zustand

■ قدّم جوزف بروير هذا المصطلح . ويعني به : حالة الوعي الشبيهة بتلك الحالة التي تنشأ عن التنويم المغناطيسي ؛ وتأخذ هذه الحالة منحى يجعل محتويات الوعي التي تظهر خلالها لا تدخل إلا قليلاً أو هي لا تدخل على الإطلاق في صلة ترابطية مع بقية الحياة العقلية ؛ مما ينتج عنها تكوين مجموعات من الترابطات المنفصلة .

ويرى بروير في الحالة التنويمية التي تحدث انشطاراً ضمن الحياة النفسية . الظاهرة السببية المكونة للهستيريا ■ .

يظل مصطلح الحالة التنويمية مرتبطاً باسم جوزف بروير ولكنه يذكر هو نفسه أن ب.ج. موبيوس هو سلفه في هذا المضمار .

إن العلاقة بين التنويم المغناطيسي والهستيريا ، وبالتحديد التشابه ما بين الظواهر التي يحدثها التنويم المغناطيسي وبعض الأعراض الهستيرية ، هي التي حدت ببروير لترويج فكرة الحالة التنويمية : تحتفظ الأحداث التي طرأت خلال حالة التنويم المغناطيسي (من مثل إيعاز المنوم) باستقلاليتها ؛ وهي قادرة على البروز ثانية بشكل منعزل ، إما خلال تنويم مغناطيسي ثان ، أو أثناء حالة اليقظة في أعمال زائفة (شاذة) ظاهرياً ، ومقطوعة الصلة بالسلوك الراهن للشخص . يقدم التنويم المغناطيسي وما ينتج عنه من آثار نوعاً من النموذج التجريبي لما يبدو أنه على اختلاف جذري بالنسبة لدوافع الشخص في سلوك الهستيري .

يعتقد أن الحالات التنويمية هي في أصل الهستيريا ، وهي تشكل المعادلات الطبيعية للحالات المفتعلة اصطناعياً بواسطة التنويم المغناطيسي . « من المفروض أن تتطابق [الحالة التنويمية] مع نوع ما من فراغ الوعي مما يجعل التصور الناشيء لا يصادف أي مقاومة من جانب تصورات أخرى -

حتى أنه ليمكن القول بأن المجال مفتوح في هذه الحالة لأول من يطرق الباب » (م) .

تقوم الحالات التنويمية ، تبعاً لبروير على شرطين هما : حالة من أحلام اليقظة (الأحلام النهارية ، والحالات الغسقية) ، وتأثر طارىء ، إذ ينطلق التنويم المغناطيسي الذاتي والعفوي حين « . . . يتغلغل الإنفعال في أحلام اليقظة المعتادة »(1a) . وتيسر بعض الوضعيات من مثل ـ الحالة الغرامية ، والعناية بمريض عزيز ـ تضافر أمثال هذه العوامل : « فنتيجة لما يفرضه دور السهر على المريض من هدوء خارجي ، فإنه يتطلب تركيزاً للذهن على موضوع واحد ، كالإنتباه الموجه إلى تنفس المريض على سبيل المثال ، أي أن نفس الشروط الضرورية للعديد من العمليات التنويمية تتحقق في هذه الحالة . وتتعرض الحالة الغسقية الناشئة على هذا الشكل إلى غزو مشاعر القلق لها » (1b) . ويمكن أن تحدث الحالات التنويمية ، في بعض المرات ، تبعاً لبروير بواسطة عامل واحد فقط من هذين العاملين : كتحول أحلام اليقظة إلى تنويم ذاتي بدون تدخل التأثر ، أو الإنفعال الشديد (الرعب) الذي يشل مجرى الترابطات .

يطرح « البيان الأولي » الذي وضعه كل من بروير وفرويد عام 1893 المشكلة بشكل مغاير بعض الشيء : فلسنا بصدد تحديد الدور النسبي لكل من حالة أحلام اليقظة والإنفعال في إنتاج الحالات التنويمية المغناطيسية ، بل نحن بصدد تحديد نصيب كل من هذه الحالة التنويمية ، والإنفعال الصدمي في أصل الهستيريا : فإذا كانت الصدمة كفيلة بإحداث الحالة التنويمية ، أو هي كفيلة بالحدوث أثناء تلك الحالة ، فإنه بإمكانها أن تكون بمفردها مولدة للمرض .

تتأتى القيمة المرضية للحالة التنويمية من إنقطاع التصورات التي تطرأ خلالها عن « سير الترابطات » وبالتالي من انقطاعها عن أي « إرصان ترابطي » . وهكذا تُكَوِّن هذه التصورات « مجموعة نفسية منفصلة » ومحملة بالتأثر ، تتعرض إذا لم تتصل مع مجمل محتويات الوعي إلى الإرتباط مع مجموعات أخرى طرأت في حالات مماثلة . وهكذا يتشكل انشطار ضمن الحياة العقلية ، يكون جلياً بصورة خاصة في حالات إزدواج الشخصية حيث يتضح بجلاء تفكك النفس إلى وعي ولا وعي .

رأى بروير في الحالة التنويمية الشرط الأساسي للهستيريا . ولقد بيّن فرويد في بادىء الأمر ما تتضمنه نظرية كهذه من إيجابيات ـ بالمقارنة مع نظرية جانيه خصوصاً ـ لتفسير وجود « . . . انشطار الوعي وما يصاحبه من تكوين مجموعات نفسية منفصلة »(2a) عند الهستيري . فحيث يلجأ جانيه ، تبعاً لفرويد ، إلى القول « . . . بوهن فطري في القدرة على التوليف النفسي وبضيق (مجال الوعي) »(2b) (ب) يتميز بروير بتبيان كون انشطار الوعي ـ وهو خاصية أساسية في الهستيريا ـ قابل هو نفسه لأن يفسر تكوينياً إنطلاقاً من تلك اللحظات المفضلة التي تشكلها الحالات التنويمية .
إلا أن فرويد لن يتأخر عن الحد من مدى وجهات نظر بروير ، من خلال استخلاص فكرة هستيريا الدفاع .

وأخيراً فإنه يدين رجعياً مفهوم بروير بشكل جذري حيث يقول : « تصدر فرضية الحالات التنويمية كلياً عن مبادرة خاصة من قبل بروير . فأنا أعتبر استعمال مصطلح كهذا مضللاً وعديم

الجدوى ، لأنه يقطع استمرارية المشكلة المتعلقة بطبيعة العملية النفسية الفاعلة في تكوين الأعراض الهستيرية »(3) .

(أ) نجد تعريف ب . ج . موبيوس في مقالته بعنوان « Uber Astasie- Abasie » ، عام1894 ، والتي اقتبسها بروير في مقالته بعنوان « اعتبارات نظرية عام1895 »(1c) .

(ب) والواقع أن أطروحات جانيه هي أكثر تمايزاً . فهو من ناحية يعترف تماماً بأهمية الصدمة ، وهو من ناحية ثانية لا يعتبر « الوهن العقلي » فطرياً بالضرورة(4) .

(1) Breuer (J.) et Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* All., 191 ; S.E., II, 218-9 , Fr., 175 — *b)* All., 191 ; S.E., II, 219 ; Fr., 175. — *c)* All., 188 ; S.E., II, 215 ; Fr., 172.

(2) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. — *a)* G.W., I, 60 ; S.E., III, 46. — *b)* G.W., I, 60 ; S.E., III, 46.

(3) Freud (S.). *Bruchstück einer Hysterie-Analyse*, 1905. G.W., V, 185, n. ; S.E., VII, 27, n. ; Fr., 17, n.

(4) Cf. notamment Janet (P.), *L'état mental des hystériques*, Alcan, Paris, 1892, 635-7.

Surdétermination (ou détermination multiple) حتم مضاعف

Eng.: Over determination

D.: Überdeterminierung

■ يعني هذا المصطلح أن أحد تكوينات اللاوعي ـ من مثل العارض أو الحلم ، إلخ ـ يحيلنا إلى العديد من العوامل المحددة . ويمكن أن تؤخذ هذه الواقعة بمعنيين جد مختلفين :

أ ـ إما أن يكون التكوين موضع البحث محصلة لأسباب عدة ، حيث لا يكفي واحد منها فقط لتبيانه .

ب ـ وإما أن هذا التكوين يحيلنا إلى عناصر لا واعية متعددة يمكنها أن تنتظم في متواليات ذات دلالة ومختلفة فيما بينها ، تمتلك كل منها تماسكها الخاص ، على أحد مستويات التأويل . هذا المعنى الثاني هو المتعارف عليه عموماً ■ .

مهما تباين هذان المعنيان المتعارف عليهما ، فإنهما يحتفظان ببعض نقاط اللقاء بينهما .

نجدهما جنباً إلى جنب في « دراسات حول الهستيريا عام1895 » . إذ يُقال عن العارض الهستيري أحياناً : أنه ذو حتم مضاعف باعتباره ناتجاً عن استهياء جبلي وعن طائفة متنوعة من الأحداث الصدمية في آن معاً(1a) : ولا يكفي واحد من هذه العوامل بمفرده لإحداث العارض أو الحفاظ عليه ، ولذلك تنجح الطريقة التفريجية في إزالة العارض بفضل استذكار الصدمة وتصريف شحنتها ، دون التعرض للتكوين الجبلي الهستيري . ويقترب مقطع آخر لفرويد في نفس المؤلَّف من المفهوم الثاني بدرجة أكبر : تشكل سلاسل التداعيات التي تربط العارض « بالنواة المرضية » ، « نظاماً من الخطوط المتشعبة والمترافدة في آن معاً »(1b) .

تقدم دراسة الأحلام أجلى بيان عن ظاهرة الحتم المضاعف . إذ يبين التحليل حقيقة كون

« . . . كل من عناصر المحتوى الظاهر للحلم محتوماً حتماً مضاعفاً ، إذ يتمثل مرات عديدة في أفكار الحلم الكامنة »(2a) . والحتم المضاعف هو نتاج عمل التكثيف . وهو لا يترجم فقط على مستوى عناصر الحلم المعزولة ؛ إذ قد يكون الحلم بأكمله محتوماً حتماً مضاعفاً : « . . . وقد تصل آثار التكثيف مستوى خارقاً . إذ تجعل من الممكن في بعض الحالات جمع سلسلتين مختلفتين تماماً من الأفكار الكامنة في حلم ظاهر واحد ، مما يجعلنا نحصل على تأويل مرضٍ ظاهرياً لأحد الأحلام ، دون أن نتنبه إلى إمكانية تأويل من مستوى ثانٍ »(3a) . (أنظر : تأويل مضاعف) .

ومما يجدر ذكره أن الحتم المضاعف لا يعني أن العارض أو الحلم يقبل بعددٍ لا متناه من التأويلات . يقارن فرويد الحلم ببعض اللغات الأثرية ، حيث تحتمل كلمة ما ، أو جملة ما ، عدة تأويلات ظاهرياً (3b) ؛ ولذلك نجد في هذه اللغات ، أن السياق ، أو النبرة أو حتى بعض الإشارات التابعة هي التي تجلي الغموض . أما في الحلم ، فإن انعدام التحديد أكثر عمقاً ، على أن مختلف التأويلات تظل قابلة للتأكد العلمي .

ولا يتضمن الحتم المضاعف كذلك إستقلالية أو توازي مختلف دلالات نفس الظاهرة . إذ تتقاطع مختلف سلاسل الدلالة في أكثر من « نقطة محورية » كما تؤكده التداعيات ؛ وهكذا يحمل العارض آثار تفاعل مختلف الدلالات محققاً نوعاً من التسوية فيما بينها . ويبين لنا فرويد إنطلاقاً من العارض الهستيري أنه « . . . لا يمكن لهذا العارض أن يظهر إلا إذا حدث أن تحققت في نفس التعبير ، رغبتان متعارضتان ، نابعتان من نظامين نفسيين مختلفين »(2b) .

وهكذا نرى هنا ما يتبقى من المعنى الأول لتعريفنا : فالظاهرة قيد التحليل هي محصلة ، حيث أن الحتم المضاعف هو ميزة إيجابية ، وليس مجرد غياب لدلالة فريدة وشمولية . ولقد أكد جاك لاكان على أن الحتم المضاعف هو سمة عامة لتكوينات اللاوعي : حيث يقول : « يشترط فرويد حتى يقبل بالقول بعارض عصابي أو خلافه ، في علم النفس المرضي التحليلي ، الحد الأدنى من الحتم المضاعف الذي يتكون من ازدواج المعنى ، مما يرمز الى صراع بائد فيما وراء دوره الوظيفي في الصراع الراهن الذي لا يقل بدوره رمزية (عن الصراع البائد) [. . .] »(4) . ويكمن سبب ذلك في كون العارض (بالمعنى الواسع) « مبني كلغة »، أي أنه يتشكل بطبيعته من تراكم المعاني وإنزلاقها (عن دلالتها الأصلية) ؛ فهو ليس أبداً علامة قاطعة على محتوى لا واعٍ وحيد ، تماماً ، كما لا يمكن رد الكلمة الى مجرد إشارة محضة .

(1) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., I, 261 ; S.E., II, 262-3 ; Fr., 211 et 169-70. — *b)* G.W., I, 293-4 ; S.E., II, 289 ; Fr., 234.

(2) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 289 ; S.E., IV, 283 ; Fr., 212. — *b)* G.W., II-III, 575 ; S.E., V, 569 ; Fr., 466.

(3) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. — *a)* G.W., XI, 176 ; S.E., XV, 173 ; Fr., 191. — *b)* Cf. G.W., XI, 234-9 ; S.E., XV, 228-33 ; Fr., 249-54.

(4) Lacan (J.). Fonction et champ de la parole et du langage en psychanalyse, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1956, I, 114.

حركة نزوية

Motion pulsionnelle
Eng.: Instinctual impulse
D.: Triebregung

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح للدلالة على النزوة في مظهرها الدينامي ، أي بالقدر الذي تتجسد وتتخصص فيه على شكل إثارة داخلية محددة ■ .

يظهر مصطلح Triebregung لأول مرة في « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » ، ولكن الفكرة التي يتضمنها قديمة جداً عند فرويد .

وهكذا فهو يتحدث عن مثيرات داخلية في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » ليدل بذلك على نفس المسألة تماماً .

إن الفارق ما بين النزوة Trieb وبين الحركة النزوية Triebregung ضئيل جداً : إذ يغلب أن يستخدم فرويد كل من المصطلحين للدلالة على الآخر . وإذا بدا أن هناك تمييزاً ممكناً بينهما على ضوء قراءة مجمل النصوص الفرويدية ، فإنه يتلخص بالتالي : الحركة النزوية هي النزوة في حالة الفعل ، أي في اللحظة التي يؤدي فيها تعديل عضوي معين إلى تحريكها .

وهكذا تقع الحركة النزوية ، تبعاً لفرويد ، في نفس مستوى النزوة ؛ فعندما ينظر إلى النزوة باعتبارها تغيراً بيولوجياً ، وأنها بالتالي ، تظل دون مستوى التمييز ما بين الوعي واللاوعي ، إذا ابتغينا الدقة في التعبير ، نرى ذلك ينسحب تماماً على الحركة النزوية : « فنحن حين نتحدث عن حركة نزوية لا واعية ، أو عن حركة نزوية مكبوتة ، فإننا نكون بصدد أسلوب متهاون في التعبير لا خطورة فيه البتة . إذ ليس بالامكان أن نستعرض حقيقة سوى الحركة النزوية التي يظل الممثل - التصور المتعلق بها لا واعياً ، ولا شيء غير ذلك »(1) .

نعتقد أنه ليس من المناسب ترجمة Triebregung إلى الفرنسية بتعبير « التأثر النزوي » ، كما يحدث غالباً ، ذلك أن مصطلح « التأثر » يندرج مباشرة في سجل الإنفعالات ، مما لا يتطابق مع حالة المصطلح الألماني ، ولا يتعادل مع المصطلح الإنجليزي Instinctual impulse المعتمد في هذا الصدد . ولذلك فنحن نقترح العودة إلى مصطلح « الحركة » القديم ، والمستعار من علم النفس الخلقي ، لأنه يبدو لنا أقرب إلى المصطلح الألماني المشتق بدوره من فعل Regen أي « تحرك » ؛ ومن استخدامات فرويد له . وتجدر الملاحظة ، بهذا الصدد أن « الحركة النزوية » تندرج ضمن سلسلة التعابير النفسانية الشائعة من مثل الباعث ، والمحرك ، والدافع ، التي تتضمن جميعها فكرة الحركة .

ولا بد أن نضيف إلى ما سبق أن فعل Regung (تحرك) يصادف أيضاً عند فرويد خارج إطار المصطلح الذي نحن هنا بصدده في تعابير من مثل Wunschregung (حركة الرغبة) و Affektregung (حركة الإنفعال) اللذين يتضمنان نفس معنى الحركة الداخلية .

(1) Freud (S.), *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 276 ; S.E., XIV, 177 ; Fr., 112.

حكم إدانة

Jugement de condamnation
Eng.: Judgement of condemnation
D.: Verurteilung ، Urteilsverwerfung

■ إنه عملية أو موقف يقوم فيه الشخص بالإمتناع عن إنجاز رغبة ما رغم وعيه لها ، إما لأسباب أخلاقية أو انتهازاً لفرصة ما بشكل رئيسي . ويرى فرويد فيه أسلوباً في الدفاع أكثر إرصاناً وأكثر تكيفاً من الكبت . وأما دانيال لاجاش فيقترح النظر إليه كعملية « تخلص » للأنا ، تنشط خصوصاً في العلاج التحليلي ■ .

يصادف عند فرويد في العديد من المناسبات مصطلح الـVerurteilung وكذلك مصطلح Urteilsverwerfung اللذين يعتبرهما كمترادفين(1a) . ويندرج حكم الإدانة بالنسبة إلى فرويد في تدرّج للدفاعات يتراوح ما بين أكثرها أولية وأكثرها إرصاناً : أي ما بين منعكس الدفاع بالهروب (خطر خارجي) ، والكبت (خطر داخلي) ، وحكم الإدانة(1b) . كيف يمكن تحديد هذا الأخير بالنسبة للكبت ؟ إذ يظهر أحياناً وكأن له نفس غائية الكبت : « . . . فهو طريقة جيدة يمكن تبنيها ضد حركة نزوية ما »(1c) . كما يعرّف في أحيان أخرى وكأنه تعديل ناجح للكبت : « لم يكن الشخص لينجح في الماضي إلا في كبت النزوة المزعجة بسبب ضعفه وعدم اكتمال تنظيمه في ذلك الحين . أما الآن وقد أصبح ناضجاً وقوياً ، فقد يتوصل إلى السيطرة على ما هو عدائي بالنسبه له ، بدون أضرار هامة »(2) .

يؤكد فرويد على هذا الجانب الإيجابي لحكم الإدانه في الصفحات الأخيرة من « تحليل خواف عند صبي صغير في الخامسة من عمره عام 1909 » . حيث يتساءل فرويد في تلك الصفحات حول آثار وعي هانز الصغير لدوافعه الأوديبية ، المحرّمة والعدوانية . وإذا لم يدفع التحليل بهانز على درب تحقيق هذه الرغبات بشكل مباشر ، فذلك لأنه « . . . يستبدل عملية الكبت ذات الطبيعه الآلاتية والمشتطه ، بالسيطرة الرزينه والقصدية بفضل مساعدة الأركان النفسيه العليا . وباختصار : فإنه يستبدل الكبت بحكم الإدانة »(3) .

تجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن حكم الإدانة يتخذ هنا بلا شك في نظر فرويد مزيداً من القيمة باعتباره متلازماً ، في هذه المرحلة من حياة هانز ، مع الوظيفة الإنبنائية التي يقوم بها قانون منع المحارم والدخول في مرحلة الكمون .

ومهما يكن من أمر ، يظل حكم الإدانه بالنسبة إلى فرويد واحداً من تحولات الإنكار ، ويستمر مصطبغاً بعلامة الكبت الذي حل حكم الإدانة هذا محله : « فحكم الإدانه هو البديل الفكري عن الكبت ، تمثل « اللا » فيه علامه ذلك الكبت ، أو شهادة المنشأ ، كأن يقال عن شيء ما « إنه مصنوع في المانيا »(4a) . يتضح في حكم الإدانه ، تبعاً لفرويد ، التناقض الذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من وظيفة الحكم نفسها : فهذه « . . . لا تصبح ممكنة إلا من خلال خلق رمز الإنكار الذي يعطي للفكر مستوىً أولاً من الإستقلالية بالنسبة إلى نتائج الكبت ، وبالتالي بالنسبه إلى

اضطرار مبدأ اللذة سواء بسواء »(4b) ، ولكن الحكم حين يقول لا فإنه يلعب دوراً دفاعياً أساساً : « . . . فالإنكار [هو] خليفة الطرد »(4c) .

●●●

ويمكن من خلال الرجوع إلى حكم الإدانة ، تبعاً لدانيال لاجاش، جلاء الصعوبة الملازمة لمفهوم فرويد حول فكرة الدفاع ، كما يمكن بذلك الرجوع نفسه تبيان الفارق ما بين الإضطرارات الدفاعية وأواليات التخلص التي يجد حكم الإدانة موقعه ضمنها . ففي حالة هانز الصغير ، يشكل أمله في أن يصبح كبيراً ، والذي عبّر عنه منذ البداية من خلال الفكرة التي تذهب إلى أن عضوه الذكري « الراسخ الجذور » سيكبر، واحداً من الأواليات المحسوسة التي يتحرر الأنا بواسطتها من الصراع الأوديبي ، ومن قلق الخصاء . ويرى دانيال لاجاش في مثل هذه العملية ، بشكل عام واحدة من نتائج العلاج التحليلي : أي تأجيل الإشباع ، وتعديل الأهداف والموضوعات ، وأخذ الإمكانات التي يقدمها الواقع للشخص ، ومختلف القيم الفاعلة في الموقف ، بعين الإعتبار ، ومدى تلاؤم الإشباع مع مجمل متطلبات الشخص .

(1) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 248 ; S.E., XIV, 246 ; Fr., 67. — *b)* Cf. G.W., X, 248 ; S.E., XIV, 246 ; Fr., 67. — *c)* G.W., X, 248 ; S.E., XIV, 246 ; Fr., 67.

(2) Freud (S.). *Über Psychoanalyse*, 1910. G.W., VIII, 58 ; S.E., XI, 53 ; Fr., 175.

(3) Freud (S.). G.W., VII, 375 ; S.E., X, 145 ; Fr., 196.

(4) Freud (S.). *Die Verneinung*, 1925. — *a)* G.W., XIV, 12 ; S.E., XIX, 236 ; Fr., 175. — *b)* G.W., XIV, 15 ; S.E., XIX, 239 ; Fr., 177. — *c)* G.W., XIV, 15 ; S.E., XIX, 239 ; Fr., 177.

حلم يقظة

Rêve diurne (rêverie)
Eng.: day-dream
D.: Tagtraum

■ يطلق فرويد هذه التسمية على سيناريو يتخيله الشخص في حالة اليقظة، مشيراً بذلك إلى تشابه حلم اليقظة هذا مع الحلم العادي . تشكل الأحلام النهارية تحقيق رغبة ، كالأحلام الليلية ؛ وتتطابق أواليات تكوينها ، ولكن مع سيادة الإرصان الثانوي في الحالة الأولى ■ .

تشير « الدراسات حول الهستيريا عام 1895 » وخصوصاً تلك الفصول التي كتبها بروير إلى أهمية الأحلام النهارية في نشأة العارض الهستيري : إذ تساعد عادة الإسترسال في الأحلام النهارية (« المسرح الخاص » لأنّا أو . . .) ، تبعاً لبروير ، على تشكيل انشطار ضمن حقل الوعي (أنظر : حالة تنويمية) .

إهتمّ فرويد بالاحلام النهارية(خصوصاً في إطار نظريته عن الأحلام) مقارناً من ناحية أولى نشأتها مع نشأة الحلم العادي ؛ ودارساً من الناحية الأخرى ، الدور الذي تلعبه في الأحلام الليلية .

تشترك الأحلام النهارية في عدة خصائص أساسية مع الأحلام الليلية : « فهذه الأحلام النهارية هي تحقيقات رغبة ، كالأحلام الليلية ، كما أنها ترتكز إلى حد كبير على الإنطباعات التي تركتها الأحداث الطفلية على غرار الأحلام الليلية أيضاً ؛ وهي في المقام الثالث تستفيد في تكوينها ، كالأحلام الليلية ؛ من بعض التساهل من جانب الرقابة . وحين نتفحص بنيتها ، ندرك أن دافع الرغبة الناشط في إنتاجها قد مزج المادة التي تتكون منها، مغيراً ترتيبها بغية تكوين مجمع جديد . فعلاقتها بذكريات الطفولة التي ترتد إليها قريبة من علاقة قصور روما الباروكية (طراز معماري) بالأنقاض القديمة : حيث استعملت الحجارة المنحوتة والأعمدة كمواد لبناء أشكال حديثة »(1a) .

إلا أن الحلم النهاري يتخصص في كون الإرصان الثانوي يلعب فيه دوراً غلاباً مما يؤمن للسيناريو تماسكاً أكبر من حالة الأحلام الليلية .

ليست الأحلام النهارية التي تشكل بالنسبة لفرويد مرادفاً للهوام ، أو الهوام النهاري ، كما ورد في كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » ، واعية دوماً في رأيه : « تُنتَج كمية هائلة لا واعية منها ويجب أن تظل لا واعية نظراً لمحتواها ولمصدرها في المادة المكبوتة »(1b) (أنظر : هوام) .

تشكل الأحلام النهارية قسماً هاماً من مادة الحلم . إذ يمكنها أن تتواجد بين البقايا النهارية وتخضع عندئذٍ مثلها لكل أشكال التحوير ؛ وبإمكانها ، على وجه الخصوص ، أن تقدم سيناريوهاً جاهزاً تماماً لعملية الإرصان الثانوي ، أي « واجهة الحلم »(1c) .

(1) Freud (S.), Die Traumdeutung, 1900. — a) G.W., II-III, 496 ; S.E., V, 492 ; Fr., 366. — b) G.W., II-III, 496 ; S.E., V, 492 ; Fr., 366. — c) G.W., II-III, 497 ; S.E., V, 493 ; Fr., 367.

حنان

Tendresse
Eng.: Tenderness
Zärtlichkiet

■ يشير هذا المصطلح في الاستعمال النوعي الذي يخصه به فرويد وبالتعارض مع مصطلح « الشهوانية Sensualité » إلى موقف تجاه الآخر يمتد أو يعيد إنتاج النموذج الأول لعلاقة الحب عند الطفل . حيث لا يحصل هذا الأخير على اللذة الجنسية مستقلة عما عداها، بل من خلال إستنادها الدائم إلى إشباع نزوات حفظ ـ الذات ■ .

إتجه فرويد إلى التمييز ما بين « تيار شهواني» و« تيار حنون »(أنظر: حب تناسلي) ، بالقدر الذي كان يعتبر فيه هذين العنصرين منفصلين في الممارسة العيادية ، إنطلاقاً من تحليله لنمط خاص من سلوك الحب في مقالته « حول أعم حالات إنحطاط حياة الحب عام1912 » .

ولم يكن همّ فرويد ينصبّ على وصف تجليات الحنان ، بل يتوجه إلى البحث عن أصوله . ولقد وجد هذا الأصل في اختيار الطفل لموضوع الحب الأولي ، أي حبه للشخص الذي يعتني به ويغذيه . يتضمن هذا الحب ، منذ البداية ، مكونات غلمية ، إلا أن هذه لا تنفصل في المرحلة

الأولى عن الإشباع الذي يحصل عليه الطفل من التغذية والعناية الجسدية (أنظر : إستناد) .

ويمكننا على العكس من ذلك ، تحديد التيار « الشهواني » أو التيار الجنسي بكل معنى الكلمة في الطفولة من خلال واقعة تحول اللذة الغلمية عن مسار الموضوع الذي تفرضه الحاجات الحيوية كي تصبح غلمة ـ ذاتية «Auto-érotique» (أنظر : جنسية) .

تمرُّ الأهداف الجنسية بنوع من التلطيف خلال مرحلة الكمون ، بتأثير من الكبت ، مما يعزز تيار الحنان . ومع إندفاعة البلوغ النزوية « . . . يكفُّ التيار الشهواني القوي عن التنكر لأهدافه » . ولا تتمكن الموضوعات الجنسية من « إجتذاب الحنان الذي كان مرتبطاً بالموضوعات السابقة ، نحوها »(1) إلا بشكل تدريجي .

(1) Freud (S.). G.W., VIII, 80-1 ; S.E., XI, 181 ; Fr., 12.

حياد

Neutralité
Eng.: Neutrality
D.: Neutralität

■ هو إحدى الصفات التي تحدد موقف المحلِّل النفسي أثناء العلاج . إذ يتوجب على المحلل التزام الحياد تجاه القيم الدينية والخلقية والاجتماعية ، أي أن لا يوجه العلاج إنطلاقاً من مثل أعلى معين ، وأن يمتنع عن إسداء أي نصح ؛ كذلك يتعين عليه أن يلتزم الحياد تجاه تجليات النقلة ، وهو ما يُعبّر عنه من خلال الصيغة التالية « عدم الدخول في لعبة المريض » ؛ وأخيراً عليه إلتزام الحياد إزاء خطاب المُحلَّل ، بمعنى أن لا يفضل مسبقاً هذا أو ذاك من أجزاء الحديث أو أنماط الدلالات ، إنطلاقاً من أحكام مسبقة ، نظرية يتبناها ■ .

توصلت التقنية التحليلية النفسية إلى فكرة الحياد ، من خلال تخلصها من طرق الإيحاء التي تتضمّن تأثيراً مقصوداً من قبل المعالج على مريضه . ونجد أثراً لجزء من هذا التطور في « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » . وتجدر الملاحظة أن فرويد يكتب في نهاية مؤلفه ذاك ما يلي حول عمل المعالج : « إننا نتصرف ، بقدر المستطاع ، كمعلمين في الحالات التي أثار فيها الجهل بعض الخشية ، كما نتصرف كأساتذة ، أو ممثلين لمفهوم عن العالم أكثر حرية وسمواً ، وكمعرِّفين نعطي ، بفضل استمرار تعاطفنا وتقديرنا ، نوعاً من الغفران ، بعد الإعتراف »(1) .

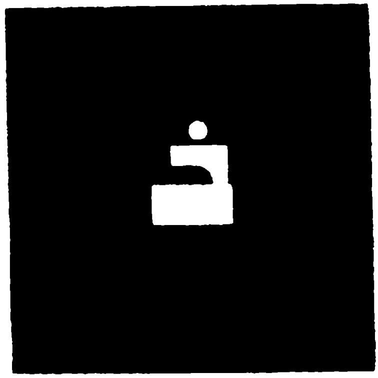
ولقد قدم فرويد أدق فكرة عن المقصود بالحياد في « نصائحه إلى الأطباء حول العلاج التحليلي النفسي ، عام 1912 » . حيث يهاجم في ذلك الموضع « الكبرياء العلاجي » و« الكبرياء التربوي » ؛ ويعتبر أن « إعطاء التوجيهات إلى المريض كي يستجمع ذكرياته ، أو يفكر حول فترة معينة من حياته ، إلخ . هي أمور غير مرغوب فيها »(2d) . على المحلل ، كما هو شأن الطبيب الجراح ، أن لا يضع نصب عينه سوى هدف واحد : « . . . وهو أن يقود بأكبر قدر ممكن من المهارة ، عمليته نحو نهايتها الطيبة »(2b) .

يرهن فرويد إقامة نقلة راسخة بحياد المحلل في «بداية العلاج عام 1913 » ، إذ يقول : « يمكن إفساد هذه النتيجة الأولى إذا ما تبنينا منذ البداية ، وجهة نظر أخرى مغايرة للتعاطف المتفهم ، من مثل وجهة نظر الوعظ الخلقي ، أو من مثل التصرف كممثلين لطرف ثالث ، أو مخولين من قبله [. . .] »(3) . وتزداد قوة التعبير عن فكرة الحياد في هذا المقطع من « السبل المفتوحة أمام العلاج التحليلي النفسي عام 1918 » والذي يستهدف مدرسة يونغ حيث يقول : « لقد رفضنا بشكل قاطع اعتبار المريض ، الذي يلتمس معونتنا ويضع مقاليد أموره بين أيدينا ، كأنه ملكية خاصة بنا . فنحن لا نبحث لا عن صناعة مصيره نيابة عنه ، ولا عن غرس مُثُلنا العليا فيه ، ولا عن تشكيله على صورتنا من موقع كبرياء الخالق »(4) .

وتجدر الملاحظة أن تعبير الحياد المرحَب ، المستعار ولا شك من اللغة الدبلوماسية ، والذي أصبح تقليدياً في تعريف موقف المحلل ، لا يَرِدْ عند فرويد . ويضاف إلى ذلك أن اشتراط الحياد يقتصر تحديداً على العلاج : إذ أنه يشكل وصية تقنية . فهو لا يتضمن ولا يضمن « موضوعية » لا تتزعزع عند من يمارس مهنة التحليل النفسي(5) . إذ لا يصف الحياد الشخص الفعلي للمحلل ، بل هو يَصِف وظيفته : حيث يتعين على من يقدم التأويلات ويتحمل النقلة أن يكون محايداً ، أي أن لا يتدخل باعتباره شخصاً نفس إجتماعياً ؛ ويتعلق الأمر هنا بالطبع بمطلب أقصى .

وإذا لم نُراعِ مجمل التوصيات المتعلقة بالحياد على الدوام من قبل المحللين ، إلا أنهم لا يعترضون عليها عموماً . وعلى كل حال ، فحتى أكثر المحللين تمسّكاً بالقواعد التقليدية ، قد يُدْفعون في حالات خاصة (وتحديداً في حالات القلق الطفلي ، وحالات الذهان ، وبعض أشكال الشذوذ) إلى اعتبار الحياد المطلق أمراً غير مرغوب فيه أو غير ممكن .

(1) Freud (S.). Zur Psychotherapie der Hysterie, in *Studien uber Hysterie*, 1895. G.W., I, 285 ; S.E., II, 282 ; Fr., 228.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., VIII, 386 ; S.E., XII, 119 ; Fr., 70-1. — *b)* G.W., VIII, 381 ; S.E., XII, 115 ; Fr., 65.
(3) Freud (S.). G.W., VIII, 474 ; S.E., XII, 140 ; Fr., 100.
(4) Freud (S.). G.W., XII, 190 ; S.E., XVII, 164 ; Fr., 137-8.
(5) On trouvera à ce sujet des remarques pertinentes dans : Glover (Ed.). *The Technique of Psycho-Analysis*, 1955. Fr., in : *Technique de la psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1958, 197.



Anaclitique (dépression —)
Eng.: Anaclitic depression
D.: Anlehnungsdepression

خور إتكالي

■ وضع رنيه شبيتز(1) هذا المصطلح ويعني به : تلك الاضطرابات التي تذكرنا عيادياً باضطرابات الخور عند الراشد ، والتي تُصيب تدريجياً الطفل المحروم من أمه ، بعد أن كانت له معها علاقة سوية ، خلال الشهور الستة الأولى من حياته على الأقل ■ .

نرجو القارىء أن يرجع إلى المقالة الخاصة بموضوع الإتكال ، حيث يجد ملاحظات مصطلحية حول الصفة « إتكالي » .

أما فيما يتعلق باللائحة العيادية للخور الإتكالي ، فإن رنيه شبيتز يصفها كما يلي(2a) :

- « في الشهر الأول : يصبح الأطفال متباكين ، ومتطلبين ، ويتعلقون بالملاحظ الذي يحتك بهم .

- « في الشهر الثاني : رفض الإتصال ، وضعية مميزة للمرض (يظل الأطفال معظم الوقت في أسرتهم راقدين على بطونهم) . مع أرق. استمرار فقدان الوزن . ميل إلى الإصابة بأمراض دورية . تعميم التأخر الحركي . جمود التعبير الوجهي .

- « بعد الشهر الثالث : يترسخ تصلب الوجه. يتوقف البكاء ويحل محله نأوه جد محدود . يزداد التأخر ويتحول إلى بلادة .

- « وإذا أعدنا إلى الطفل أمه قبل فترة حرجة ، تقع ما بين نهاية الشهر الثالث ونهاية الشهر الخامس ، أو إذا تمكّنا من إيجاد بديل لها مقبول من الطفل ، فإن الإضطراب يزول بسرعة مذهلة » .

يَعتبر شبيتز أن « البنية الدينامية للخور الإتكالي ، مختلفة جذرياً عن الخور عند الراشد » .

(1) Spitz (R.-A.). Anaclitic Depression, in *The psycho-analytic Study of the Child*, I.U.P., New York, II, 1946, 313-42.

(2) Spitz (R.-A.). *La première année de la vie de l'enfant*, P.U.F., Paris, 1953. — *a)* 119-21. — *b)* 121.

خيالي (إسم وصفة)

Imaginaire (S. M. et adj.)
Eng.: Imaginary
D.: Das imaginäre

■ يشكل هذا المصطلح في الاستعمال الذي يعطيه إياه جاك لاكان (حيث يغلب استخدامه في الصيغة الإسمية) : واحداً من السجلات الثلاثة الأساسية للمجال التحليلي النفسي أي (الواقعي، والرمزي والخيالي) . يصطبغ هذا السجل بغلبة العلاقة مع صورة (الآخر) الشبيه ■ .

يمكن فهم فكرة « الخيالي » بادىء ذي بدء بالرجوع إلى إحدى أوائل إرصانات لاكان النظرية الخاصة « بمرحلة المرآة » . حيث يبرز المؤلف ، في العمل الذي خصصه لهذه المرحلة ، الفكرة التي تذهب إلى أن أنا صغير الإنسان يتكون إنطلاقاً من صورة الشبيه (الأنا المرآوي) ، وذلك بسبب عدم إكتمال النضج البيولوجي على وجه التحديد .

إنطلاقاً من هذه التجربة الأساس يمكننا إطلاق وصف الخيالي :

أ ـ من وجهة النظر الذاتية : على علاقة الشخص النرجسية أساساً بأناه ؛ (1)

ب ـ ومن وجهة النظر ما بين الذاتية : على العلاقة المسماة « ثنائية » القائمة على صورة الشبيه ـ والأسيرة لها ـ (الإنجذاب الغلمي الجنسي ، والتوتر العدواني) . وليس هناك من آخر شبيه بنا ، في رأي لاكان ، ـ أي آخر على غرار الذات ـ إلا لأن الأنا هو آخر في الأصل(2) ؛

جـ ـ وأما فيما يختص بالمحيط(Umwelt) : فتطلق هذه التسمية على علاقة من نمط تلك العلاقات التي وصفها علم سلوك الحيوان (لورنز ، وتنبرجن) والتي تشهد على رسوخ تأثيرهذه الصيغة أو تلك في إطلاق التصرفات ؛

د ـ وأما على مستوى المعاني : فتعني هذه التسمية نمطاً من الاستيعاب حيث تلعب بعض العوامل من مثل التشابه والتناظر الشكلي دوراً حاسماً ، مما يدلل على نوع من تحالف الدال مع المدلول .

على أن الإستخدام الخاص جداً لمصطلح الخيالي الذي يتبناه لاكان ، ليس منقطع الصلة عن المعنى المتداول : فكل سلوك ، وكل علاقة خيالية محكوم عليهما تبعاً للاكان ، بالتحول الى نوع من الوهم الخادع (أ) .

يؤكد لاكان على الإختلاف وعلى التعارض ما بين الخيالي والرمزي مبيناً أن العلاقات ما بين الأشخاص لا تختزل إلى مجمل العلاقات التي أدرجها في مصطلح الخيالي ، وأنه من الضروري أن لا نخلط ما بين هذين « السجلين » في العلاج التحليلي على وجه الخصوص(3) .

(أ) أنظر طريقة المحاكاة بالتماثيل المستخدمة في علم سلوك الحيوان (حيث تستخدم إشارات ـ مثيرة إصطناعية لإطلاق الدورة الغريزية) والتي تبرهن تجريبياً على هذه المسألة .

(1) Cf. Lacan (J.). Le stade du miroir comme formateur de la fonction du Je, 1949, in *R.F.P.*, XIII, 449-53.

(2) Cf. par exemple Lacan (J.). L'agressivité en psychanalyse, 1948, in *R.F.P.*, XII, 367-88.

(3) Cf. Lacan (J.). La direction de la cure et les principes de son pouvoir, 1958, in *La Psychanalyse*, Paris, P.U.F., vol. VI.

Défense
Eng.: Defence
D.: Abwehr

دفاع

■ إنه مجمل العمليات الهادفة إلى اختزال و إزالة كل تعديل من شأنه أن يعرض تكامل وثبات الفرد الإحيائي النفساني للخطر . وبالقدر الذي يُطرح فيه الأنا باعتباره الركن الذي يجسد هذا الثبات ويسعى للحفاظ عليه . يمكن اعتباره في آن معاً اللاعب والرهان في هذه العمليات .

ينصب الدفاع ، بشكل عام ،على الاثارة الداخلية (النزوة) وبشكل أكثر انتقائية على تلك التصورات (من ذكريات وهوامات) التي ترتبط بها النزوة، وعلى تلك الوضعية القادرة على إطلاق هذه الإثارة إلى الحد الذي تتعارض فيه مع هذا التوازن . وتشكل نتيجة لذلك إزعاجاً للأنا . كما يمكن للإنفعالات المزعجة التي تشكل الإشارة للدفاع أو تحركه ، أن تصبح بدورها موضوعاً له .

تتخصص العملية الدفاعية إلى أواليات دفاع تتكامل في الأنا بمقادير متفاوتة .

ونظراً لتأثر الدفاع ودمغه بالنزوة التي يهدف إلى مقاومتها في نهاية المطاف ، فإنه يتخذ غالباً منحى اضطرارياً ويعمل ولو جزئياً بشكل لا واعٍ ■ .

إستخلص فرويد مفهومه الخاص عن الحياة النفسية ، معارضاً بذلك وجهات نظر معاصريه (أنظر : هستيريا الدفاع) ، من خلال إحلال فكرة الدفاع في مكان الصدارة ، في الهستيريا ثم تعميمها سريعاً على الأعصبة الأخرى . تبين « الدراسات حول الهستيريا عام1895 » كل التعقيد في العلاقات ما بين الدفاع وبين الأنا الذي يُرَدّ (هذا الدفاع) إليه . فالأنا في الواقع هو تلك المنطقة من الشخصية ، وذلك « الحيِّز » الذي يتطلع إلى حماية ذاته من كل اضطراب (من مثل الصراع ما بين الرغبات المتعارضة) . إنه ، فوق ذلك ، تلك « المجموعة من التصورات » المتنازعة مع تصور « غير قابل للتوفيق » معها ، ويشكل الإنفعال المزعج إشارة ذلك التعارض ؛ وهو أخيراً العنصر الفاعل في العملية الدفاعية (أنظر : أنا) . يتم التوكيد دوماً في أعمال فرويد ، حيث يتبلور مفهوم نفاس الدفاع ، على فكرة استحالة التوفيق ما بين الأنا وتصور معين ؛ وتتلخص مختلف نماذج الدفاع

بمختلف أساليب التعامل مع هذا التصور ، من خلال اللعب خصوصاً على فصل هذا التصور عن الإنفعال الذي ارتبط به في الأصل . ونعرف من ناحية أخرى أن فرويد قال ، منذ مرحلة مبكرة ، بالتعارض ما بين حالات نفاس الدفاع والأعصبة الراهنة ، وهي مجموعة من الأعصبة يجد فيها تزايد التوتر الداخلي بشكل غير محتمل نتيجة لإثارة جنسية غير مفرّغة ، منفذاً له في مختلف الأعراض الجسدية ؛ ومن الأمور ذات الدلالة أن يرفض فرويد الحديث عن الدفاع في هذه الحالة الأخيرة ، رغم أنها تتضمن شكلاً من أشكال حماية المتعضي وبحثاً عن استعادة شيء من التوازن . ولقد مَيّز الدفاع ضمنياً ، منذ لحظة اكتشافه ، عن الإجراءات التي يتخذها المتعضى لتخفيض أي نوع من أنواع ازدياد التوتر .

وفي نفس الوقت الذي يبحث فيه فرويد عن تخصيص مختلف نماذج العملية الدفاعية تبعاً للإصابات ، وحيث تتيح له التجربة العلاجية أن يبلور ، في دراسات حول الهستيريا ، بشكل أفضل ، مجرى هذه العملية (أي إنبجاس الإنفعالات المزعجة التي سببت الدفاع من جديد ، وتراتب المقاوماتَ، وتشكل المادة المرضية في طبقات متتالية إلخ . . .) ، في نفس ذلك الوقت يحاول إعطاء نموذج ما وراء نفساني عن الدفاع . وكما سيظل شأنها فيما بعد على الدوام ، تستند هذه النظرية منذ البدء إلى تعارض ما بين الإثارات الخارجية التي يمكن تلافيها ، أو التي يوجد في مواجهتها جهاز حبس ميكانيكي يسمح بتصفيتها (أنظر صاد الإثارات) ، وبين الإثارات الداخلية التي لا يمكن تلافيها . وتتكون مختلف الطرائق الدفاعية ضد هذا الإعتداء الداخلي الذي تشكله النزوة . يتصدى « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » لمشكلة الدفاع بطريقتين :

1 ـ يبحث فرويد عن منشأ ما يسميه « الدفاع الأولي » في « تجربة أليمة » ، تماماً كما وجد نموذج الرغبة وصدها من قبل الأنا في « تجربة الإشباع » . إلا أن هذا المفهوم لا يظهر في المشروع نفسه ، بنفس درجة الوضوح التي ميّزت تجربة الإشباع (1) .

2 ـ يحاول فرويد أن يفرق ما بين الدفاع السوي والدفاع المرضي . يعمل الدفاع الأول في حالة انبعاث تجربة مؤلمة ؛ ولا بد في هذه الحالة من أن يكون الأنا قد تمكن خلال التجربة الأولى ، من البدء في صد الإنزعاج بواسطة « توظيفات جانبية » : « حين يتكرر توظيف الأثر الذاكري ، يتكرر الإنزعاج بدوره ، ولكن تمهيد مسالك الأنا تكون جاهزة أيضاً بدورها في تلك اللحظة ؛ وتدل التجربة على أن انطلاق [الإنزعاج] في المرة الثانية يكون أقل أهمية ، كي يختصر في النهاية وبعد عدة تكرارات ، إلى مستوى التوتر للأنا والذي يميّز الإشارة »(1a) .

يجنّب دفاع من هذا القبيل الأنا خطر تسرب العملية الأولية إليه واكتساحه ، كما هو الحال في الدفاع المرضي . ويجد فرويد ، كما هو معلوم ، الشرط اللازم لهذا الدفاع المرضي في مشهد جنسي لم يُثِرْ في حينه دفاعاً ما ، ولكنّ ذكراه التي تحركت من جديد تطلق من الداخل تصعيداً للإثارة . « يتوجه الإنتباه صوب الإدراكات التي تشكل في العادة فرصة لانطلاق الانزعاج . [إنما] ليس الإدراك هو الذي يطلق الإنزعاج هنا ، بل أثر ذاكري يعمل على حين غرة ولا يتم إبلاغ الأنا إلا بعد

فوات الأوان »(1b) . وهو ما يفسر « . . . ما يحدث من نتائج في إحدى عمليات الأنا مما لا نلاحظه عادة إلا في العمليات الأولية »(1c) .

وهكذا يكون شرط بروز الدفاع المرضي إنطلاق إثارة ذات مصدر داخلي ، تحدث انزعاجاً لم يَقُم ، أي تدريب دفاعي لمجابهته . وهكذا فليست شدة الانفعال بحد ذاته هي التي تدفع إلى تنشيط الدفاع المرضي ، بل تلك الشروط النوعية التي لا تتواجد لا في حالة إدراك مؤلم ، ولا حتى أثناء استذكار إدراك مؤلم . ولا تتحقق هذه الشروط ، تبعاً لفرويد إلا في مجال الجنسية (أنظر : بعدي ؛ غواية) .

●●●

مهما تنوعت مختلف نماذج العملية الدفاعية في الهستيريا ، والعصاب الهجاسي ، والعظام إلخ . . . . (أنظر : أواليات الدفاع) ، فإن قطبي الصراع هما دوماً الأنا والنزوة . فالأنا يحاول أن يحتمي ضد تهديد داخلي . وإذا كانت الممارسة العيادية تؤكد يومياً صدق مفهوم كهذا ، فإنه لا يفلت من مشكلة نظرية طالما شغلت بال فرويد : إذ كيف يمكن لتفريغ نزوي مكرّس من حيث المبدأ لإمدادنا باللذة ، أن يُدرك على أنه مزعج أو أنه سيشكل تهديداً بالإزعاج لدرجة يطلق معها دفاعاً نفسياً ؟ يسمح لنا التمايز الموقعي للجهاز النفسي بأن نطرح الرأي القائل بأن ما يشكل لذة بالنسبة لأحد الأنظمة يشكل هو ذاته إزعاجاً لنظام آخر (الأنا) ؛ ولكن توزيع الأدوار هذا يفرض علينا تبيان السبب الذي يؤدي ببعض المتطلبات النزوية الى التعارض مع الأنا . يرفض فرويد الحل النظري الذي يذهب إلى أن : الدفاع يتدخل « . . . حين يزداد التوتر بشكل غير محتمل بسبب عدم إشباع تحرك نزوي معين»(2) . وهكذا لا يكبت الجوع الذي لم يُشبَعْ ؛ إذ مهما كانت «وسائل الدفاع » التي بحوزة المتعضي لمجابهة تهديد من هذا النمط ، فإنها لا تمت بصلة إلى الدفاع الذي يصادفه التحليل النفسي . إذ لا يشكل ضبط التوازن الحيوي للمتعضي الشرط الكافي لتوضيح الدفاع .

ما هو المصدر الأخير لدفاع الأنا ؟ ولماذا يرى في هذه أو تلك من الحركات النزوية مصدر إزعاج ؟ يمكن تقديم إجابات متعددة لا تلغي بعضها بعضاً بالضرورة لهذه المسألة الجوهرية في التحليل النفسي . يغلب القبول بتمييز أولي بخصوص المصدر النهائي للخطر المرتبط بإرضاء النزوة : يمكن اعتبار النزوة ذاتها كمصدر خطر على الأنا ، كعدوان داخلي ، ومن الممكن ردّ كل خطر في المقام الأخير ، إلى علاقة الفرد مع العالم الخارجي ، فالنزوة ليست خطرة إلا بسبب الأذى الواقعي الذي يمكن أن يجر إليه إشباعها . وهكذا تؤدي الأطروحة التي يقبل بها فرويد في « الصد ، العارض ، والقلق عام 1926 » ، وإعادة تأويله للخواف على وجه الخصوص ، إلى ترجيح كفة « القلق أمام خطر حقيقي » (Realangst) وتذهب إلى حد اعتبار القلق العصابي أو القلق أمام النزوة كاشتقاق من هذا القلق الحقيقي .

أما إذا تصدينا لنفس المشكلة من وجهة نظر مفهوم الأنا ، فإنه يتضح أن الحلول تتفاوت تبعاً للتوكيد على وظيفته في التعبير عن الواقع وكممثل لمبدأ الواقع ، أو للتوكيد على خاصية«إضطرار

التوليف » التي يتمتع بها ، أو أيضاً تبعاً لوضعنا إياه كشكل أو كنسخة ذاتية عن المتعضي ، يحكمها مثله مبدأ ضبط التوازن الحيوي . وأخيراً ، قد يُزيّن لنا ، من وجهة نظر دينامية ، توضيح المشكلة التي يطرحها الإنزعاج ذو الأصل النزوي من خلال وجود التناقض ليس فقط بين النزوات وبين ركن الأنا ، إنما أيضاً من خلال التناقض بين نوعين من النزوات التي تتعارض في مراميها . ولقد انخرط فرويد في منحى من هذا القبيل حين أقام ، في الأعوام 1910 -15 ، تعارضاً ما بين النزوات الجنسية وبين نزوات حفظ الذات ، أو نزوات الأنا . ومن المعروف أن التناقض ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت قد حل في نظرية فرويد الأخيرة ، محل الثنائي النزوي السابق (الجنس - حفظ الذات) ، ومن المعروف كذلك أن هذا التعارض الجديد لم يعد يتطابق مباشرة مع لعبة القوى الفاعلة في دينامية الصراع .

●●●

إن مصطلح الدفاع بحد ذاته مثقل بأوجه اللبس ، خصوصاً حين يستعمل بشكل قطعي ، وهو بالتالي يتطلب إدخال بعض التمييزات المفهومية . فهو يدل في آن معاً على فعل الدفاع (الدفاع عن . . .) وعلى الدفاع الذاتي (درء لأخطار) . ويضاف إلى ذلك أخيراً في الفرنسية فكرة المنع . ولهذا فقد يكون من المفيد تمييز مختلف محددات الدفاع ، حتى ولو تفاوتت مقادير تطابقها ، أي تحديد « رهانه » : أي « الموضع النفسي » المهدد ؛ و« أداته » : أي ما يشكل سند الفعل الدفاعي ؛ « وغايته » : من مثل النزعة إلى الحفاظ على تكامل وثبات الأنا واستعادتهما ، والميل إلى تجنب كل إضطراب يترجم ذاتياً على شكل انزعاج ؛ و«دوافعه» : أي ما ينبيء بالتهديد ويطلق العملية الدفاعية (أي الانفعالات التي تختصر إلى وظيفة الإشارات ، وإشارة القلق) ؛ وأخيراً « أوالياته » .

وأخيراً يترك التمييز ما بين الدفاع بالمعنى شبه الإستراتيجي الذي اتخذه في التحليل النفسي وبين المنع ، كما يصاغ في عقدة الأوديب على وجه الخصوص ، مسألة ترتيب الصلات بينهما مفتوحة في النظرية كما في ممارسة العلاج ، في نفس الوقت الذي يشير فيه إلى تباين المستويين ، أي مستوى ابتناء الجهاز النفسي ومستوى بنية الرغبة والهوامات الأكثر جذرية .

(أ) إن الأطروحة التي تذهب إلى القول « بتجربة ألم » متناظرة مع تجربة الإشباع ملغزة رأساً : فلماذا يذهب الجهاز العصبي في التكرار إلى حد هلوسة ألم يتحدد بزيادة شحن الطاقة . إذا كانت وظيفة هذا الجهاز هي تجنب كل زيادة في التوتر ؟ يمكن جلاء هذه المفارقة إذا ما أخذت في الاعتبار المقاطع العديدة من أعمال فرويد التي يتساءل فيها عن المشكلة الإقتصادية للألم ، يمكن أن نتبين ساعتها ، تبعاً لنا ، أنه يجب التعامل مع الألم الفيزيقي باعتباره تخطياً للحدود الجسدية ، كنموذج لذلك الاعتداء الداخلي الذي تشكله النزوة بالنسبة للأنا . يجب فهم « تجربة الألم » كانبعاث لذلك « الألم » الذي يمثله القلق بالنسبة للأنا ، خلال استعادة ذكرى تجربة قد لا تكون مؤلمة بحد ذاتها ، أكثر من كونها تكراراً مهلوساً لألم عانيناه فعلياً .

(1) Freud (S.). *a)* All., 438 ; Angl., 416 ; Fr., 369. — *b)* All., 438 ; Angl., 416 ; Fr., 369. — *c)* All., 432 ; Angl., 410 ; Fr., 364.

(2) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. S.W., X, 249 ; S.E., XIV, 147 ; Fr., 69.

Dynamique (adj.)
Eng.: Dynamic
D.: Dynamisch

دينامي (صفة)

■ يصف هذا المصطلح وجهة النظر التي تدرس الظواهر النفسية باعتبارها نتاجاً للصراع ، ولتركيبة القوى ذات المنشأ النزوي التي تمارس نوعاً معيناً من الإندفاع ■ .

غالباً ما أشير إلى أن التحليل النفسي أحلّ مفهوماً دينامياً عن اللاوعي محل المفهوم الذي يُسمى سكونياً . ولقد أشار فرويد نفسه إلى أنه بالإمكان التعبير هكذا عما يفرّق مفهومه عن مفهوم جانيه : « إننا لا نرد انشطار النفس إلى عجز فطري في قدرة الجهاز النفسي على التوليف ، بل نفسره دينامياً من خلال صراع القوى النفسية المتعارضة ، ونرى في هذا الإنشطار نتيجة نزاع نشط بين مجموعتين نفسيتين تنتصب كل منهما ضد الأخرى »(1) . و« الإنشطار » موضوع البحث هو بين ما قبل الوعي ـ الوعي من جانب واللاوعي من جانب آخر ، ولأن هذا التمييز « الموقعي » هو أبعد ما يكون عن تفسير الإضطراب ، فإننا نرى أنه يفترض وجود صراع نفسي . وتتجلى أصالة الموقف الفرويدي من خلال مفهوم العصاب الهجاسي على سبيل المثال : فبينما يرد جانيه مباشرة الأعراض من نمط الصد ، والشك و« التخاذل Aboulie » إلى قصور القدرة على التوليف العقلي ، وإلى « عياء Asthenie » نفسي أو إلى « عصاب العياء Psychasthenie » نجد أن هذه الأعراض ليست ، بالنسبة لفرويد ، سوى محصلة لعبة قوى متعارضة . ولا تتضمن وجهة النظر الدينامية أخذ فكرة القوة فقط بعين الاعتبار (كما هو الحال عند جانيه) ، إنما أيضاً فكرة دخول بعض القوى في صراع بالضرورة ضد بعضها البعض داخل النفس ، إذ يجد الصراع النفسي (أنظر هذا المصطلح) مصدره في التحليل النهائي في الثنائية النزوية .

●●●

تصف كلمة « دينامي » في كتابات فرويد، اللاوعي خصوصاً باعتبار أنه يمارس فعلاً مستمراً يتطلب قوة مضادة ، تمارس فعلها بصفة مستمرة بدورها ، كي تسدّ في وجهه سبيل النفاذ إلى الوعي . تتأكد هذه الصفة الدينامية ، عيادياً ، من خلال واقعة الإصطدام بمقاومة إزاء محاولة النفاذ إلى اللاوعي ، وبالإنتاج المتجدد لمواليد المكبوت .

وتتوضح سمة الدينامية أيضاً من خلال فكرة تكوين التسويات التي يبين التحليل أنها مدينة ببقائها إلى كونها « مدعومة من الطرفين في آن معاً » .

ولهذا يميز فرويد ما بين استعمالين لمفهوم اللاوعي : فيتضمن اللاوعي بالمعنى « الوصفي » ما هو خارج مجال الوعي وهو يشمل بهذا المعنى ما يسميه « ما قبل الوعي » ؛ أما بالمعنى « الدينامي » « . . . فلا يدل اللاوعي على أفكار كامنة عموماً ، إنما يدل على أفكار تتصف ببعض الدينامية على وجه الخصوص ، وتظل هذه الأفكار منفصلة عن الوعي بالرغم من شدتها ومن نشاطها »(2) .

(1) Freud (S.). *Über Psychoanalyse*, 1909. G.W., VIII, 25 ; S.E., XI, 25-6 ; Fr., 138.
(2) Freud (S.). *A Note on the Unconscious in Psycho-Analysis*, 1912. S.E., XII, 262 ; G.W., VIII, 434 ; Fr., 15-16.

ذكرى ساترة

Souvenir-écran
Eng.: Screen memory
D.: Deckerinnerung

■ هي ذكرى طفلية تتميز في آن معاً بوضوحها المميز ، وبإفتقار محتواها للمعنى بشكل جلي . يؤدي بنا تحليلها إلى الوقوف على تجارب طفلية دامغة وعلى هوامات لا واعية . والذكرى الساترة ، هي كالعارض تماماً ، عبارة عن تكوين يتخذ طابع التسوية ما بين العناصر المكبوتة والدفاع ■ .

إستوقف لغز الذاكرة الخاصة بأحداث الطفولة إنتباه فرويد منذ العلاجات التحليلية النفسية الأولى التي قام بها ، ومنذ تحليله الذاتي أيضاً : فالوقائع الهامة تزول (أنظر : نسيان طفلي) ، بينما تبقى ذكريات لا مدلول لها ظاهرياً . تبدو بعض هذه الذكريات ، على المستوى الظواهري ، واضحة وفارضة نفسها بشكل صارخ يتناقض مع براءة محتواها وقلة أهميته : مما يجعل الشخص يندهش لبقائها .

إن أمثال هذه الذكريات التي تخفي تجارب جنسية مكبوتة أو هوامات هي ما يطلق عليها فرويد إسم الذكريات الساترة (1) ؛ وهو يفرد لها عام 1899 مقالة يرجع إلى علاج الأفكار الأساسية الواردة فيها في الفصل الرابع من كتاب « سيكوباتولوجية الحياة اليومية عام 1904 » .

الذكرى الساترة هي عبارة عن تكوين تسوية على غرار الهفوات وزلات اللسان والعارض عموماً . ولا يتضح سبب استمرارها طالما بحثنا عنه في المحتوى المكبوت (1a) . فالأوالية السائدة في هذه الحالة هي الإزاحة . وبالعودة إلى التمييز ما بين الذكريات الساترة وبقية ذكريات الطفولة ، يصل فرويد إلى حد طرح السؤال الأعم : هل هناك ذكريات يمكننا أن نقول عنها أنها نابعة حقاً من طفولتنا ، أم هناك فقط ذكريات تتعلق بطوفلتنا ؟(1b) .

يميّز فرويد بين عدة أنواع من الذكريات الساترة : إيجابية أو سلبية تبعاً لتعارض محتواها أو تلاقيه مع المحتوى المكبوت ، كذلك يميز ما بين الدلالة الاسترجاعية والدلالة المستقبلية تبعاً لكون المشهد الصريح الذي تصوره ، على علاقة مع عناصر سابقة عليه أو لاحقة له ؛ وقد لا يكون

للذكرى الساترة ، في هذه الحالة الأخيرة ، إلا دوراً مسانداً لهوامات أسقطت عليها بشكل استرجاعي : « تكمن قيمة هكذا ذكرى في كونها تمثل في الذاكرة انطباعات وأفكاراً لاحقة يرتبط محتواها ارتباطاً ، وثيقاً بمحتوى الذكرى الساترة رمزياً أو من باب التماثل »(1c) .

يعلق التحليل النفسي أهمية كبرى على الذكرى الساترة بالقدر الذي تكثف فيه عدداً كبيراً من العناصر الطفلية الواقعية أو الهوامية : « إذ لا تضم الذكريات الساترة بضعة عناصر أساسية من الحياة الطفلية فقط بل هي تضم حقيقة كل ما هو أساسي . وليس علينا سوى معرفة جلائها بواسطة التحليل النفسي . فهي تمثل سنوات الطفولة المنسية تماماً كما يمثل محتوى الأحلام الظاهر أفكاره الكامنة »(2) .

(أ) يستخدم المترجمون الفرنسيون أحياناً تعبير ذكرى التغطية .

(1) Cf. Freud (S.). *Über Deckerinnerungen*, 1899. — *a)* G.W., I, 536 ; S.E., III, 307. Article non traduit en français. On en trouvera un extrait dans *L'auto-analyse* de Anzieu (D.), Paris, P.U.F., 1959, 277-86. Le passage traduit est celui qui concerne l'exemple de souvenir-écran longuement décrit et analysé par Freud et dont S. Bernfeld a montré qu'il s'agissait d'un fragment autobiographique. — *b)* G.W., I, 553 ; S.E., III, 321-2. — *c)* G.W., I, 546 ; S.E., 315-6 ; Fr., *loc. cit.*, 283.

(2) Freud (S.). *Erinnern, Wiederholen und Durcharbeiten*, 1914. G.W., X, 128 ; S.E., XII, 148 ; Fr., 107.

ذكورة ـ أنوثة

Masculinité-féminité
Eng.: Masculinity- feminity
D.: Männlichkeit- Weiblichkeit

■ إقتبس التحليل النفسي هذا التعارض مبيناً أنه أعقد بكثير مما نعتقده عموماً : فالأسلوب الذي يتموضع فيه الشخص الإنساني بالنسبة لجنسه البيولوجي هو النهاية غير المضمونة لعملية صراعية ■ .

أكّد فرويد على تنوع الدلالات التي تتضمنها مصطلحات « الذكورة » و« الأنوثة » : فهناك الدلالة البيولوجية التي تَرُدّ الشخص إلى خصائصه الجنسية الأولية والثانوية ؛ ترتدي المفاهيم هنا معنى دقيقاً ، ولكن التحليل النفسي بيّن أن هذه المعطيات البيولوجية لا تكفي لتبيان السلوك النفسي الجنسي . وهناك الدلالة الاجتماعية التي تتفاوت تبعاً لتفاوت الوظائف الواقعية والرمزية التي تعطى للرجل وللمرأة في الحضارة موضع البحث . وهناك أخيراً الدلالة « النفسية الجنسية » التي تتشابك بالضرورة مع الدلالات السابقة ، وخصوصاً مع الدلالة الاجتماعية . كل هذا يبين لنا إلى أي حد تُحاط هذه الأفكار بالاشكالية ، وبالتالي إلى أي حد يجب أن يُنظر إليها بتعقل ؛ وهكذا فالمرأة التي تمارس نشاطاً وظيفياً يتطلب صفات الاستقلالية وقوة الطبع والمبادرة ، إلخ ، ليست بالضرورة أكثر ذكورة من أي امرأة أخرى . وعلى وجه العموم ، فإن ما يحسم تقدير سلوك ما بالنسبة لزوجي

الذكورة ـ الأنوثة ، هي الهوامات الكامنة وراء هذا السلوك والتي يتمكن الإستقصاء التحليلي النفسي وحده من اكتشافها .

تتضمن فكرة الثنائية الجنسية عند أي كائن إنساني ، سواء أبحثنا عن أساس بيولوجي لها ، أم أوّلناها انطلاقاً من التماهيات والوضعيات الأوديبية ، توليفاً من السمات الذكرية والأنثوية ، على درجة متفاوتة من الإنسجام ، والقبول به والرضى عنه .

أخيراً ، يبيّن التحليل النفسي ، من وجهة نظر نمو الفرد ، أن تعارض الذكورة ـ الأنوثة لا يكون حاضراً منذ البدء بالنسبة للطفل ، إنما تسبقه أطوار تطغى فيها تعارضات النشط ـ الفاتر (أنظر : نشاط ـ فتور) ، ثم تعارض القضيبي ـ المخصي ، وذلك بالنسبة لكلا الجنسين على حد سواء (أنظر : مرحلة قضيبية) .

وهكذا لا يتحدث فرويد عن الأنوثة على سبيل المثال ، في هذا المنظور ، إلا حين تنجح الفتاة الصغيرة ولو جزئياً ، في إنجاز مهمتها المزدوجة : أي تغيير المنطقة المولدة للغلمة والموجهة للنشاط الجنسي (من البظر إلى المهبل) وتغيير موضوع حبها (من الأم إلى الأب)(1) .

(1) Cf. notamment : FREUD (S.). *Die Weiblichkeit. Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, chap. XXXIII ; S.E., XXII, chap. XXXIII ; Fr., chap. XXXIII.

ذهان Psychose

Eng.: Psychosis
D.: Psychose

■ أولاً : غالباً ما يؤخذ مفهوم الذهان من الناحية العيادية الطبية العقلية بصفة مفرطة في شمولها حتى أنه يشمل كل سلسلة الأمراض العقلية ، سواء أكانت ذات منشأ عضوي صريح (من مثل الشلل الجنوني العام) أم بقيت سببيتها النهائية إشكالية (من مثل الفصام) .

ثانياً : وأما في التحليل النفسي فلم ينصب الإهتمام منذ البدء على اقامة تصنيف يستوعب مجمل الأمراض العقلية التي يتعامل معها الطبيب العقلي؛ لقد إنصب الاهتمام بادىء ذي بدء على الإصابات الأكثر قابلية للاستقصاء التحليلي المباشر . وضمن هذا المجال الأكثر حصراً من مجال الطب العقلي تقوم تمييزات كبرى ما بين حالات الشذوذ ، والأعصبة ، وحالات الذهان .

ولقد جهد التحليل النفسي أن يعرّف ، ضمن هذه المجموعة الأخيرة ، بُنى مختلفة فعرّف : العظام (الذي ضمنه بشكل عام الإصابات الهذيانية) ، والفصام من ناحية ؛ والسوداوية والإهتياج من ناحية ثانية . ترى النظرية التحليلية النفسية القاسم المشترك لحالات الذهان أساساً في الإضطراب الأولي للعلاقة الليبيدية مع الواقع . إذ لا تعدو أغلب الأعراض الصريحة (وخصوصاً البنيان الهذياني) كونها محاولات ثانوية لترميم واستعادة الصلة مع الموضوع ■ .

أتى ظهور مصطلح الذهان في القرن التاسع عشر لكي يحدد محطة في التطور الذي أدى إلى

تكوين مجال مستقل للأمراض العقلية التي لا تتميز فقط عن أمراض الدماغ والأعصاب ، باعتبارها أمراضاً جسدية ، بل تتميز أيضاً عما كان التقليد الفلسفي المزمن يعتبر أنه « أمراض الروح » : أي الخطأ والخطيئة (1) .

إنتشر مصطلح الذهان ، خلال القرن التاسع عشر ، في أدبيات الطب العقلي باللغة الألمانية خصوصاً للدلالة على الأمراض العقلية على وجه العموم أي الجنون ، والاستلاب ، دون أن يتضمّن ذلك أي نظرية نفسية المنشأ عن الجنون . وكان لا بد من انتظار نهاية القرن التاسع عشر كي يبرز زوجا المصطلحين المتعارضين اللذين ينفيان بعضهما البعض الآخر على الأقل على الصعيد المفهومي ونعني بهما : العصاب والذهان . ولقد تمّ تطور كل من المصطلحين في الواقع على صُعد مختلفة : فلقد تحددت فئة العصاب من جهتها شيئاً فشيئاً إنطلاقاً من عدد من الإصابات المعتبرة كأمراض أعصاب؛ فإما كان الأمر يتعلق بإصابات ينصّب فيها الإتهام على هذا العضو أو ذاك ، ولكن هذا الإتهام كان ينصب ، في غياب الكلوم البيِّنة ، على سوء الأداء الوظيفي للجهاز العصبي (عصاب قلبي ، عصاب معوي ، إلخ . .) ، أو كانت توجد علامات عصبية بدون كَلْمْ بيّن ولا حتى (من مثل الإختلاجات التشنجية ، والصرع ، والتجليات العصبية للهستيريا) . ويمكن القول إذا أردنا تبسيط الأمور أن هذه المجموعة من المرضى تستشير الطبيب دون أن ترسل إلى المصح العقلي ، وأن مصطلح العصاب كان يتضمّن من ناحية ثانية تصنيفاً ذا مرمى سببيّاً (أمراض الأعصاب الوظيفية) .

وعلى العكس من ذلك ، كان مصطلح الذهان يدل في ذلك الوقت على الإصابات التي تدخل ضمن اختصاص الطبيب العقلي ، وتتلخص في لائحة عارضية نفسية أساساً ، على أن ذلك لم يكن ليتضمّن مطلقاً ، بالنسبة للمؤلفين الذين يستخدمون هذا التعبير ، كون حالات الذهان لا تعود أسبابها إلى الجهاز العصبي .

***

نجد عند فرويد تميزاً واضحاً ما بين الذهان والعصاب ، منذ كتاباته الأولى ، وفي مراسلاته مع ف . فلايس . وهكذا يسمي فرويد ذهاناً كل من الخلط الهلاسي ، والعظام ، والذهان الهستيري (الذي يُفرّق عن العصاب الهستيري) وذلك في المخطوطة (هـ) بتاريخ 24-1-1984 حيث يقترح تصنيفاً لمجمل الدفاعات النفسية المرضية ؛ كما يبدو أنه يعتبر التميز ما بين الذهان والعصاب عموماً ، ويتكلم على سبيل المثال عن « ذهان الدفاع »(1) وذلك في النصين اللذين كرسهما لنفاس الدفاع .

إلا أن هم فرويد كان ينصب في تلك الفترة أساساً على استخلاص فكرة الدفاع واكتشاف أساليب نشاطها وفعلها في مختلف الاصابات ، ويقوم التميز الأكبر ، من وجهة نظر تصنيفية مرضية ما بين أشكال نفاس الدفاع وبين الأعصبة الراهنة . ولقد تمسك فرويد بهذا التميز فيما بعد ، إلا أن التأكيد أخذ ينصب أكثر فأكثر على التمايز الذي يجدر إجراؤه ضمن مجموعة النفاس ، مما أدى إلى

إعطاء قيمة محورية للتعارض ما بين العصاب والذهان . (أنظر بصدد تطور التصنيف الفرويدي خصوصاً : عصاب ، وعصاب نرجسي) .

***

هناك إتفاق واسع ، في أيامنا الراهنة ، حول المجال الخاص لكل من الذهان والعصاب في المقاربة العيادية الطبية العقلية ، ومهما تنوعت المدارس : ويمكن الرجوع بهذا الصدد إلى « الموسوعة الطبية ـ الجراحية (باب الطب العقلي) » الذي أشرف عليه هنري آي على سبيل المثال . إنه لمن الصعب جداً بالطبع تحديد الدور الذي يمكن أن يكون التحليل النفسي قد لعبه في تثبيت الفئات التصنيفية المرضية ، إذ أن تاريخ هذا الدور يختلط بشدة بتطور الأفكار الطبية العقلية منذ أ. بلويلر ومدرسة زيوريخ .

وإذا استعرضنا مفهوم الذهان في « شموليته » ، نجد أنه يبقى محدداً في الطب العقلي بشكل حدسي أكثر منه منهجياً ، من خلال سمات مستعارة من سجلات شتى . إذ نرى في التعريفات الشائعة للذهان محكات متنوعة تقوم إلى جانب بعضها بعضاً من مثل قصور القدرة على التكيف الإجتماعي (مما يطرح مشكلة الإدخال إلى المستشفى) ، و« الخطورة » المتفاوتة في درجتها للأعراض ، واضطراب ملكة التواصل وغياب الوعي الذاتي بالحالة المرضية ، وفقدان الصلة مع الواقع ، والطابع غير « المفهوم » (تبعاً لتعبير ياسبرز) للإضطرابات ، والسببية العضوية أو نفسية المنشأ ، والنيابات الأنا المتفاوتة في عمقها والتي لا يمكن علاجها .

وبمقدار ما يمكننا القول بأن التحليل النفسي هو إلى حد كبير مصدر التعارض ما بين العصاب والذهان ، فإنه لا يستطيع أن يلقي تبعة تقديم تعريف متماسك وإنبنائي للذهان على غيره من مدارس الطب العقلي . ومع أن هذا الهم لم يكن مركزياً في أعمال فرويد ، إلا أنه موجود ويترجم في فترات مختلفة بمحاولات لا يمكننا هنا أن نقوم بأكثر من الإشارة إلى اتجاهاتها .

1 ـ صحيح أن فرويد يحاول في كتاباته الأولى أن يبين عمل الصراع الدفاعي ضد الجنسية التي اكتشف حديثاً وظيفتها في العارض العصابي ، على غرار بعض أمثلة الذهان ؛ إلا أنه يحاول في نفس الوقت تخصيص بعض الأواليات الأصيلة (الخاصة بالذهان) والتي تعمل « منذ البدء في علاقة الشخص مع الخارج » فهناك : « النبذ » الجذري خارج الوعي في حالة الخلط الهلاسي(2) (أنظر : إغفال) ، كما أن هناك نوعاً من الإسقاط الأصيل « للمأخذ » على الخارج(3) (أنظر : إسقاط) .

2 ـ يعود فرويد خلال الأعوام 1911 -1914 في مقالتيه (تحليل حالة شرايبر ؛ ومن أجل تقديم النرجسية) وضمن إطار نظريته الأولى عن الجهاز النفسي وعن النزوات ، إلى نفس المسألة من زاوية العلاقة ما بين التوظيفات الليبيدية ، وتوظيفات نزوات الأنا (أي « الإهتمامات ») على الموضوع . يوضح لنا هذا الإتجاه بشكل متمايز ومرن ما تحققت منه الممارسة العيادية التي تبين أنه لا يجوز التفكير باللجوء إلى فكرة « فقدان الواقع » بشكل فظ وشامل ، وبدون أي تمييز في مختلف حالات الذهان .

3 ـ أما في النظرية الثانية عن الجهاز النفسي ، فإن التعارض ما بين العصاب والذهان يدخل في اعتباره وضعية الأنا الوسيطة ما بين الهو والواقع . فبينما يكبت الأنا المطالب النزوية في العصاب ممتثلاً بذلك لمتطلبات الواقع (والأنا الأعلى) ، يحدث في الذهان انقطاع ما بين الأنا والواقع في بداية الأمر ، مما يترك الأنا تحت سطوة الهو ؛ وفي خطوة ثانية ، أي في زمن الهذيان ، يعود الأنا فيشيد واقعاً جديداً متمشياً مع رغبات الهو . نرى من ذلك أن كل النزوات تتجمع هنا في نفس القطب من الصراع الدفاعي (أي في الهو) ، حتى أن فرويد يصل إلى درجة إعطاء الواقع نفسه دور القوة الحقيقية المستقلة ، والذي يكاد يعادل دور أحد أركان الجهاز النفسي . وبذلك يضيع التمييز ما بين التوظيف الليبيدي وبين الاهتمام الذي يقوم في المفهوم السابق بدور الوسيط ضمن الجهاز النفسي بغية إقامة صلة تكيفية مع الواقع .

4 ـ لم يعتبر فرويد أبداً أن مثل هذه الصميمة المبسطة التي غالباً ما نقيد ضمنها النظرية الفرويدية عن الذهان ، مرضية وتحقق الغرض بشكل كامل(4) . ولهذا فإنه يعود في المرحلة الأخيرة من أعماله إلى الانخراط من جديد على درب البحث عن أوالية أصيلة جداً تتلخص في نبذ الواقع ، أو بالأحرى حالة خاصة جداً من « الواقع » ، وهي الخصاء ، من خلال إصراره على فكرة الإنكار (أنظر هذا المصطلح) .

(أ) يرى كل من ر. أ. هنتر ومكالبين(5) أن فوشتر سليبن هو الذي أدخل مصطلح الذهان ، عام1845 في كتابه بعنوان « كتاب علم النفس الطبي » . وهو يدل تبعاً له على المرض العقلي ، بينما يدل العصاب على إصابات الجهاز العصبي التي يمكن أن يترجم بعضها فقط في أعراض « ذهانية » . « فكل ذهان هو عصاب في آن معاً ، لأنه لا يمكن أن يتجلى أي تغيير في النفس بدون تدخل الحياة العصبية ؛ إنما ليس كل عصاب هو ذهان في الوقت عينه » .

(1) Freud (S.). G.W., I, 74 et I., 392-3 ; S.E., III, 60 et 174-5.
(2) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 72-4 ; S.E., III, 58-61.
(3) Freud (S.). *Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen*, 1896. G.W., I, 392-403 ; S.E., III, 174-185.
(4) Freud (S.). *Fetischismus*, 1927. Cf. notamment G.W., XIV, 315 ; S.E., XXI, 155-6.
(5) Cf. Hunter (R. A.) et Macalpine (I.). *In* D. P. Schreber, introduction à *Memoirs of my nervous illness*, Dawson and Sons, London, 1955, p. 16.

رعاية أمومية

Maternage
Eng.: Mothering
D.: Bemuttern

■ **إنها إحدى تقنيات العلاج النفسي للذهان ، وخصوصاً للفصام التي تهدف إلى إقامة علاقة ما بين المعالج والمريض شبيهة بتلك العلاقة التي تقوم بين « أم طيبة » وطفلها ، وذلك على المستويين الرمزي والواقعي في آن معاً** ■ .

ترتكز تقنية الرعاية الأمومية الى مفهوم سببي يربط نشأة الذهان بإحباطات مبكرة ، ذات طابع فمي أساساً ، تعرض لها الشخص منذ طفولته الأولى وناتجة عن معاملة الأم له .

يتم الكلام عن الرعاية الأمومية، بشكل عام، لتعريف « مجمل ممارسات العناية التي تمنح للطفل بسخاء ، في ذلك الجو من الحنان النشط ، المعطاء ، والمهتم والمستمر الذي يميز مشاعر الأمومة »(1a) . إنما غالباً ما يقتصر هذا المصطلح على وصف التقنية العلاجية النفسية .

هذه التقنية هي تصحيحية في المقام الأول . وإذا كانت هذه التقنية ترمي إلى تقديم الإشباعات الواقعية إلى المريض ، والتي كان قد حرم منها في علاقته مع أمه ، إلا أنها تهدف في المقام الأول إلى تفهّم حاجاته الأساسية . ويجدر بنا ، كما يشير علينا راكاميه(1b) ، أن نعترف بالحاجات الكامنة وراء الدفاعات الذهانية ، وأن نحدد من ضمنها تلك الحاجات التي يتعيّن علينا إشباعها بشكل إنتقائي (« أي الحاجات الأساسية ») ، وأن نستجيب لهذه الحاجات الأساسية خصوصاً بغير أسلوب التأويل التحليلي التقليدي .

ولكل من المؤلفين الذين إنخرطوا في هذا الإتجاه خلال العشرين سنة الأخيرة (ومن بينهم ج . شوينج ، و .ج .ن. روزين ، وم. أ. ساشاهاي) مفهومه الخاص حول طبيعة الجواب الذي يجب إعطاؤه لتلك الحاجات . ويتعذر علينا في هذا المقام وصف مختلف التقنيات ـ ومختلف أساليب الحدس ـ التي يمكن إدراجها تحت عنوان الرعاية الأمومية العام . بل نقتصر على الإشارة إلى ما يلي :

أولاً : إننا لسنا بصدد إعادة خلق علاقة الرضيع ـ الأم في كامل واقعيتها ؛

ثانياً: تتطلب الرعاية الأمومية من المعالج، كما يؤكد كل المؤلفين على ذلك، أكثر من مجرد موقف أموي، وصولاً إلى التزام عاطفي حقيقي حيث: «تنشأ علاقة الرعاية الأمومية من تلاقي مريض متعطش جذرياً وحيوياً إلى أن يُغمر بالعناية التي يتلقاها بدون عناء، مع معالج قادر على تفهمه وراغب في التوجه إليه بدون عناء، كما تتوجه الأم إلى الرضيع المهجور، في آن معاً»(1c).

وأخيراً يتعين على أي نظرية في الرعاية الأمومية أن تفرّق في العمل العلاجي النفسي ما بين نصيب كل من الإشباع الواقعي، والعطاء الرمزي، والتأويل.

(1) Racamier (P.-C.). Psychothérapie psychanalytique des psychoses, in : *La Psychanalyse d'aujourd'hui*, P.U.F., Paris, 1956. — *a)* II, 599. — *b)* II, 601-2. — *c)* II, 601.

رعب، رهبة

Effroi
Eng.: Fright
D.: Schreck

■ هو إستجابة لوضعية من وضعيات الخطر حيث تفاجيء المثيرات الخارجية المفرطة في شدتها الشخص وهو في حالة من عدم الإستعداد. مما يجعله عاجزاً عن حماية نفسه منها، أو عن السيطرة عليها ■.

يقترح فرويد، في كتابه «ما فوق مبدأ اللذة عام1920» التفريق ما بين المصطلحات التالية: «الرعب، والخوف، والقلق، وهي مصطلحات نخطيء في استعمالها كمرادفات؛ إذ تتيح لنا صلتها بالخطر أن نميز بينها جيداً. فيشير مصطلح القلق إلى حالة تتصف بتوقع الخطر والإستعداد له، حتى ولو كان مجهولاً. بينما يفترض مصطلح الخوف موضوعاً محدداً نخشاه. وأما مصطلح الرعب، فهو يدل على الحالة الناشئة عن الوقوع في وضعية خطرة، بدون الاستعداد لها؛ فهو يؤكد إذاً على عامل المفاجأة»(1a).

يكمن الفارق ما بين الرعب والقلق في كون الأول يتصف بعدم الاستعداد للخطر، بينما أن هناك «... في القلق ما يحمي الإنسان من الرعب»(1b). وبهذا المعنى، يرى فرويد في الرعب الشرط المحدد للعصاب الصدمي، حتى أنه يُسمى أحياناً عصاب الرعب، (أنظر: صدمة؛ عصاب الصدمات).

ولا غرابة إذاً في لعب فكرة الرعب دوراً هاماً منذ مرحلة تشكيل المفهوم الصدمي للعصاب. إذ كان يشار إلى انفعال الرعب في الإرصانات النظرية الأولى التي قام بها بروير وفرويد، كشرط يشل الحياة النفسية، ويمنع التصريف، وييسر تكوين «مجموعة نفسية منفصلة»(2a, 2b). وحين حاول فرويد صياغة نظرية أولى عن الصدمة وعن الكبت الجنسي، خلال الأعوام1895 -1897، إحتلت فكرة عدم استعداد الشخص مكانة جوهرية، سواء أثناء «مشهد الغواية» الذي يقع قبل

البلوغ ، أو أثناء إسترجاع هذا المشهد في مرحلة تالية (أنظر : « بعدي » و« غواية ») . إذ يتضمن « الرعب الجنسي » إقتحام الجنسية لحياة الشخص .

ويمكن القول على وجه العموم أن معنى مصطلح الرعب لم يتغير عند فرويد . ولكن يلاحظ أن استخدامه مالَ إلى التراجع بعد كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » . حيث يستمر التعارض الذي حاول فرويد إقامته ما بين مصطلحي القلق والرعب ، إنما على شكل تمايز ضمن فكرة القلق ، خصوصاً في التعارض ما بين القلق الذي يحدث « آلانياً » في وضعية صدمية ، وإشارة القلق التي تتضمن حالة من التوقع النشط وتحمي الشخص من تفاقم القلق : « فالقلق الذي يشكل استجابة أصلية لحالة العجز خلال الصدمة ، يبرز من جديد فيما بعد في وضعية الخطر على شكل إشارة إنذار »(3) .

(1) Freud (S.), *a)* G.W., XIII, 10 ; S.E., XVIII, 12-3 ; Fr., 12. — *b)* G.W., XIII, 10; S.E., XVIII, 12-3 ; Fr., 12.
(2) Cf. Breuer (J.) et Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* G.W., I, 89-90 ; S.E., II, 11 ; Fr., 7. — *b)* All., 192 ; S.E., II, 219-20 ; Fr., 176.
(3) Freud (S.). *Hemmung Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 199-200 ; S.E., XX, 166-7 ; Fr., 96.

رغبة

Désir
Eng.: Wish
D.: Wunsch

■ إنها أحد قطبي الصراع الدفاعي في المفهوم الدينامي الفرويدي : حيث تنزع الرغبة اللاواعية إلى أن تتحقق من خلال استرجاع الاشارات المرتبطة بتجارب الإشباع الأولي . تبعاً لقوانين العملية الأولية. ولقد بيّن التحليل النفسي كيف تتواجد الرغبة في الأعراض على شكل تسوية على غرار نموذج الحلم ■ .

هناك في كل مفهوم عن الإنسان، أفكار تبلغ من الأهمية درجة يصعب معها الإحاطة بها؛ تلك هي بلا جدال حالة الرغبة في المذهب الفرويدي . ولذلك سنقتصر هنا على بعض الملاحظات المتعلقة بالمصطلحات .

1 ـ تجدر الملاحظة ، بادىء ذي بدء أنه ليس لمصطلح الرغبة نفس قيمة استعمال المصطلح الألماني Wunsch ، أو مصطلح الأمنية Wish الإنجليزي . يغلب أن يدل مصطلح Wunsch على الأمنية ، التمني المعلن ، بينما توحي الرغبة بحركة شهوانية ، أو تطلّع شهواني تعبّر عنه بالألمانية كلمة Begierde وكذلك كلمة Lust .

2 ـ يتجلى ما يقصده فرويد بكلمة Wunsch بأوضح صورة في نظرية الحلم ، مما يتيح بذلك تمييزها عن عدد من المفاهيم المجاورة .

يرجع أكثر التعاريف إرصاناً إلى تجربة الإشباع (أنظر هذا المصطلح) حيث « . . . تظل الصورة الذاكرية لإدراكٍ ما ، مرتبطة مع الأثر الذاكري للإثارة وليدة الحاجة . وحين بروز هذه

الحاجة من جديد ، تحدث حركة نفسية ترمي إلى إعادة توظيف صورة هذا الإدراك الذاكرية ، بفضل الإرتباط الذي سبق إقامته ، ويصل الأمر حد بعث هذا الإدراك ، أي استعادة وضعية الإشباع الأولى : تلك الحركة هي ما سنسميه رغبة ؛ ظهور الإدراك من جديد هو « تحقيق الرغبة »(1a) . يدفعنا تعريف كهذا إلى إبداء الملاحظات التالية :

أ ـ لا يوحّد فرويد ما بين الحاجة والرغبة : تجد الحاجة ، المتولدة عن حالة من التوتر الداخلي ، إشباعها (Befriedigung) من خلال الفعل النوعي الذي يؤمن الموضوع الملائم لها (كالطعام مثلاً) ؛ بينما ترتبط الرغبة برباط لا فكاك منه « بالآثار الذاكرية » وتجد تحقيقها (Erfüllung) في إعادة الإنتاج الهلامي للإدراكات التي أصبحت إشارات على هذا الإشباع (أنظر : وحدة الإدراك) . إنما لا يتأكد هذا الفرق دوماً بهذا الشكل الواضح في المصطلحات الفرويدية : إذ يُصادف مصطلح (Wunschbefriedigung) المركب في بعض النصوص (إشباع الرغبة) .

ب ـ تحكم هذه العلاقة بالإشارات التوجه الكامل للبحث عن الموضوع في الواقع . إذ أن تنسيق هذه العلامات هو الذي يكوّن الهوام الملازم للرغبة .

جـ ـ يخص مفهوم الرغبة الفرويدية بشكل إنتقائي الرغبة اللاواعية المرتبطة بإشارات طفلية لا تمحى . إلا أنه تجدر الملاحظة أن استخدام فرويد لمصطلح الرغبة لا يتسم دوماً بالضبط الذي يصدر عن التعريف المذكور أعلاه ؛ مما يجعله يتكلم عن رغبة في النوم ، أو رغبة ما قبل واعية ، حتى أنه يصيغ أحياناً مآل الصراع كتسوية بين « . . . تحقيقين متعارضين للرغبة ، يجد كل منهما منبعه في نظام نفسي مختلف »(1b) .

•••

جهد جاك لاكان لإعادة محورة الإكتشاف الفرويدي حول فكرة الرغبة والى جعلها في مكان الصدارة في النظرية التحليلية . وكان عليه أن يميز فكرة الرغبة ، في هذا المنظور ، عن الأفكار الأخرى التي شاع أن تختلط معها من مثل الحاجة والطلب .

تستهدف الحاجة موضوعاً نوعياً تجد فيه إشباعاً لها . بينما يُعبّر عن الطلب الذي يوجه إلى الأخر ؛ وإذا ظل الطلب ينصب على موضوع ما ، فإن هذا الموضوع يكون جوهرياً بالنسبة له ، ذلك أن الطلب المُعْلَنْ هو في أساسه طلبٌ للحب .

تولد الرغبة من البون الفاصل ما بين الحاجة والطلب ؛ فهي غير قابلة لأن ترد إلى الحاجة المحضة ، لأنها ليست في جوهرها علاقة بموضوع واقعي مستقل عن الشخص ، بل هي على علاقة مع الهوام ؛ كما أنها غير قابلة لأن ترد إلى الطلب بمقدار ما ترمي إلى فرض ذاتها دون أن تأخذ في الحسبان لغة الأخر ولا وعيه ، إنما هي تتطلب إعترافه المطلق بها .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 571 ; S.E., V, 565-6 ; Fr., 463. — *b)* G.W., II-III, 575 ; S.E., V, 569 ; Fr., 466.
(2) Cf. Lacan (J.). Les formations de l'inconscient, 1957-58, in *Bul. Psycho.*

رفض (ـ الواقع)

Déni (— de la réalité)
Eng.: Disavowal (or denial)
D.: Verleugnung

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح بمعنى نوعيّ: فهو أسلوب دفاعي يتخذ شكل رفض اعتراف الشخص بواقعية إدراك ذو تأثير صدمي . يتمثل أساساً بواقع غياب العضو الذكري عند المرأة . يستعين فرويد بهذه الأوالية خصوصاً في تبيان التَّيمِّيَّة والأمراض الذهانية ■ .

إبتدأ فرويد إنطلاقاً من عام 1924 باستخدام مصطلح Verleugnung بمعنى نوعي نسبياً . وتكثر الإشارات إلى هذه العملية ما بين الأعوام 1924 و1938 ؛ ويقدم فرويد أكمل عرض عنه في « الموجز في التحليل النفسي عام 1938 » . وإذا لم يكن بالإمكان القول بأنه وضع النظرية الخاصة بهذه الأوالية ، أو حتى أنه ميزها بالدقة اللازمة عن ما يجاورها من عمليات نفسية ، فيظل بمقدورنا على كل حال استخلاص خط موجه في هذا التطور .

يبدأ فرويد بوصف الرفض Verleugnung بالعلاقة مع الخصاء . فإزاء غياب العضو الذكري عند البنت ، ينكر الأطفال « . . . leugnen هذا النقص ، ويعتقدون رغم كل ذلك برؤ ية عضو ذكري . . . »(1) . ولا يعتبرون غياب العضو الذكري كنتيجة لعملية الخصاء إلا بشكل تدريجي .

يصف فرويد الرفض في مقالته بعنوان : « بعض الآثار النفسية للفروق الشراحية بين الجنسين عام 1925 » عند كل من الصبي والبنت على حد سواء ؛ ومما يجدر ذكره أنه (أي فرويد) يقارب ما بين هذه العملية وبين الأوالية الذهانية : « . . . تحدث عملية أودُّ أن أطلق عليها مصطلح « الرفض Deni » ، لا تبدو أنها نادرة أو خطيرة في حياة الطفل النفسية ، إنما تشكل عند الراشد نقطة انطلاق الذهان »(2) . ويرى فرويد في الرفض ، وإلى الحد الذي ينصب فيه على الواقع الخارجي ، المرحلة الأولى من الذهان ، وذلك على عكس الكبت : فبينما يبدأ العصابي بكبت متطلبات الهو ، يبدأ الذهاني بالتنكر للواقع(3) .

يصيغ فرويد إنطلاقاً من عام 1927 فكرة الرفض بالاستناد أساساً إلى التَّيمية كمثال مفصل . وهو يبين في الدراسة التي يكرسها لهذا الشذوذ «Fetischismus 1927» كيف تتضمن التَّيمِيَّة موقفاً طفلياً من خلال الحفاظ على تعايش وضعيتين لا يمكن التوفيق بينهما أي : رفض الخصاء الأنثوي والإعتراف به في آن . ويظل التأويل الذي يقدمه فرويد لذلك غامضاً ؛ إذ يحاول أن يوضح هذا التواجد باللجوء إلى عمليات الكبت وإيجاد تسوية بين القوتين المتصارعتين ، ولكنه يبين أيضاً كيف يشكل هذا التعايش إنشطاراً حقيقياً للشخص إلى اثنين .

تأتي فكرة إنشطار الأنا لتلقي مزيداً من الضوء على فكرة الرفض ، في النصوص اللاحقة أي « إنشطار الأنا في العملية الدفاعية عام 1938 » ؛ وكذلك في « الموجز في التحليل النفسي عام 1938 » . يستمر موقفا التيَمي ـ أي رفض إدراك نقص العضو الذكري عند المرأة ، والإعتراف بهذا النقص واستخلاص النتائج المترتبة عليه (أي القلق) ـ « . . . يستمران جنباً إلى جنب طوال الحياة

بدون أن يؤثرا على بعضهما البعض . وهذا ما يمكن تسميته بانشطار الأنا »(4) .

ولا بد من تمييز هذا الإنشطار عن الإنقسام الذي يرسي الكبت العصابي أساسه عند الشخص :

1 - فنحن هنا بصدد تواجد نمطين مختلفين من دفاع الأنا، وليس بصدد صراع ما بين الأنا والهو؛

2 - ينصبّ أحد دفاعي الأنا هذين على الواقع الخارجي : أي رفض إدراك معين

يمكن أن نرى في إبراز فرويد التدريجي لعملية الرفض ، علامة من جملة علامات أخرى عديدة على اهتمامه الثابت بوصف أوالية دفاعية أصيلة تجاه الواقع الخارجي . يتأكد هذا الإهتمام على وجه الخصوص في مفهومه الأول عن الإسقاط (أنظر هذه الكلمة) ، وفي فكرته عن سحب التوظيف ، أو فقدان الواقع في الذهان ، إلخ . وتتدرج فكرة الرفض في نفس خط البحث هذا . وتبدو بوادرها على وجه الدقة في بعض مقاطع من « رجل الذئاب » : « في النهاية تواجد عنده جنباً إلى جنب تياران متعارضان يمقت أحدهما الخصاء ، بينما كان الآخر مستعداً لقبوله وللحصول على عزائه من خلال الأنوثة كبديل . ويظل التيار الثالث ، وهو أقدم هذه التيارات وأعمقها ، والذي ينبذ ببساطة الخصاء ، والذي لا تُطرح على مستواه مسألة الحكم على واقعيته (الخصاء) قابلاً بالتأكيد للتنشيط »(5) . تتأكد في هذه السطور فكرة إنشطار الشخصية إلى « تيارات » متنوعة ومستقلة ، وفكرة دفاع أولي يتلخص في نبذ جذري ، وأخيراً الفكرة التي تذهب إلى أن هذا الدفاع ينصب بشكل إنتقائي على واقع الخصاء .

تسمح هذه النقطة الأخيرة بلا شك بتقديم أفضل فهم لفكرة الرفض الفرويدية ، ولكنها تؤدي أيضاً إلى استمرار إشكاليتها وتحديدها . وإذا كان رفض الخصاء يشكل النمط الأولي لحالات رفض الواقع الأخرى ، ومن المحتمل أنه يشكل أيضاً منشأ هذه الحالات ، يجدر بنا التساؤل حول ما يقصده فرويد بـ « واقع » الخصاء ، أو إدراك هذا الواقع . يصعب الكلام عن إدراك ، أو عن واقع إذا كان « نقص العضو الذكري » عند المرأة هو المرفوض ، لأن الغياب لا يدرك بما هو كذلك ، ولا يصبح واقعاً إلا بالقدر الذي يرتبط فيه بحضور ممكن . أما إذا كان الخصاء نفسه هو المرفوض ، فإن الرفض لا يقع على إدراك (حيث أن الخصاء لا يدرك أبداً بما هو كذلك) وإنما على نظرية تفسيرية للوقائع (« نظرية جنسية طفلية ») . ويجدر بنا أن نتذكر ، في هذا الصدد ، أن فرويد أرجع عقدة أو قلق الخصاء ، على الدوام ليس إلى مجرد إدراك محض وبسيط لواقع معين ، بل إلى اجتماع معطيين هما : التحقق من الفروق الشراحية بين الجنسين ، والتهديد بالخصاء من قبل الأب (أنظر : خصاء) . تسمح هذه الملاحظات بالتساؤل حول ما إذا كان الرفض ذو النتائج البديهية على مستوى الواقع ، لا ينصب أساساً على عنصر مؤسس من عناصر الواقع الإنساني ، أكثر مما ينصب على « واقعة إدراكية » إفتراضية (أنظر أيضاً : إغفال Forclusion) .

***

إخترنا التعبير بالفرنسية عن مصطلح Verleugnung بـ « الرفض » الذي يتضمن عدة فوارق

بالنسبة إلى الإنكار :

1 ـ فالرفض هو غالباً أشد . مثلاً : « أنا أرفض توكيداتك » ؛

2 ـ لا ينصب الرفض فقط على توكيد يُعترض عليه ، بل على حق أو ملكية يرفض الإقرار بها ؛

3 ـ إن الرفض موضوع البحث في هذه الحالة الأخيرة هو غير شرعي . مثلاً رفض العدالة ، رفض الأطعمة ، إلخ . أي : رفض المستحقات .

تتمشى هذه الفوارق مع فكرة الرفض Verleugnung الفرويدية .

(1) Freud (S.). *Die infantile Genitalorganisation*, 1923. G.W., XIII, 296 S.E., XIX, 143-4.

(2) Freud (S.). G.W., XIV, 24 ; S.E., XIX, 253.

(3) Cf. Freud (S.). *Der Realitätsverlust bei Neurose und Psychose*, 1924. G.W., XIII, 364-5 ; S.E., XIX, 184-5.

(4) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 134 ; S.E., XXIII, 203 ; Fr., 79.

(5) Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W., XII, 171 ; S.E., XVII, 85 ; Fr., 389.

رقابة

Censure
Eng.: Censorship
D.: Zensur

■ هي وظيفة تنزع إلى منع الرغبات اللاواعية والتكوينات المتفرعة عنها من العبور إلى نظام ما قبل الوعي ـ الوعي ■ .

يصادف مصطلح الرقابة أساساً في النصوص الفرويدية المتعلقة « بالنظرية الموقعية الأولى » . استعان فرويد بهذا المصطلح لأول مرة في رسالته إلى فلايس بتاريخ 22 / 12 / 1897 لتبيان الطابع اللامعقول ظاهرياً لبعض الهذيانات حيث يقول : « هل أتيحت لك الفرصة مرة أن ترى صحيفة أجنبية راقبها الروس عند اجتياز الحدود ؟ إذ تشطب كلمات ، وجُمل ، ومقاطع بأكملها بحيث يصبح ما تبقى من النص غير قابل للفهم »(1) . ولقد وسعت فكرة الرقابة في تأويل الحلم (عام 1900) حيث قدمت كفرضية لتبيان مختلف أواليات تحوير الحلم .

والرقابة هي وظيفة دائمة تبعاً لفرويد : حيث تكوِّن حاجزاً إنتقائياً ما بين نظام اللاوعي من جانب ، وبين نظام ما قبل الوعي والوعي من الجانب الآخر ، وهي بالتالي مصدر الكبت . ويمكننا أن نميز آثارها بوضوح أكبر ، حين تتراخى جزئياً كما يحدث في الحلم : تمنع حالة النوم محتويات اللاوعي من شق طريقها نحو الفعل الحركي ، ولكن بما أن هذه المحتويات قد تتعارض مع الرغبة في النوم ، فإن الرقابة تستمر في أداء وظيفتها بشكل مخفف .

ولا يقصر فرويد عمل الرقابة بين نظامي اللاوعي وما قبل الوعي فقط بل يراها فاعلة أيضاً بين ما قبل الوعي والوعي . « إننا نقرّ بأن كل عبور من نظام إلى نظام آخر يليه، وأرفع منه ، وبأن كل تقدم نحو مرحلة أعلى من التنظيم النفسي يقابله رقابة جديدة »(2a) . ويلاحظ فرويد في الواقع أنه قد يكون من الأنسب تصور رقابة واحدة « تتقدم إلى الأمام »(2b) بدلاً عن رقابتين .

ويصل فرويد ، في إطار نظريته الثانية عن الجهاز النفسي إلى دمج وظيفة الرقابة في حيز الدفاع الأوسع منها من ناحية وإلى التساؤ ل عن ذلك الركن من أركان الشخصية الذي يمكن الحاقها به من ناحية ثانية .

كثيراً ما لوحظ أن فكرة الرقابة تمهد السبيل لظهور فكرة الأنا الأعلى ؛ حيث تأثرت الصفة « المشبهة إنسانياً » لهذا الأخير ، ببعض أوصاف الرقابة التي قدمها فرويد : فما بين « الغرفة الخلفية » حيث تتزاحم الرغبات اللاواعية ، و« قاعة الإستقبال » حيث يقيم الوعي ، يقبع حارس ساهر بدرجات متفاوتة من اليقظة والحذق ، هو الرقابة(3c) . وحين تبلورت فكرة الأنا الأعلى ربطها فرويد بما وصفه قبلاً باعتباره رقابة حيث يقول: « . . . إننا نعرف سلطة الملاحظة الذاتية هذه : إنها رقابة الأنا ، الضمير الخلقي ، إنها نفسها التي تمارس ليلاً الرقابة على الأحلام ، ومنها ينطلق كبت الرغبات غير المقبولة »(3b) .

وفي أعمال فرويد اللاحقة ، وبدون أن تُطرح المسألة صراحة ، رُدّتْ وظائف الرقابة ، وخصوصاً تحوير الحلم ، إلى الأنا(4) .

ومما يجدر ذكره أن المعنى الحرفي لهذا المصطلح يكون وارداً في كل مرة يستعمل فيها : إنه حذف مقاطع غير مقبولة من خطاب حسن البيان على شكل ثغرات أو تحوير .

(1) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 255 ; Angl., 240 ; Fr., 213.
(2) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 290-1 ; S.E., XIV, 192 ; Fr., 139. — *b)* G.W., X, 292 ; S.E., XIV, 193 ; Fr., 141.
(3) Cf. Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. — *a)* G.W., XI, 305-6 ; S.E., XVI, 295-6 ; Fr., 319-20. — *b)* G.W., XI, 444 ; S.E., XVI, 429 ; Fr., 458-9.
(4) Cf. Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, chap. IV ; S.E., XXIII, chap. IV ; Fr., chap. IV.

ركن ، سلطة

Instance
Eng.: Agency
D.: Instanz

■ إذا أُخذ الجهاز النفسي ضمن إطار مفهوم موقعي ودينامي في آن معاً . فإن الركن يشكل عندها أحد بُناه الفرعية المختلفة .لدينا على سبيل المثال: ركن الرقابة (في النظرية الموقعية الأولى) ، وركن الأنا الأعلى (في النظرية الموقعية الثانية) ■ .

يستخدم فرويد على الأغلب مصطلحات « النظام » أو « الركن » في مختلف العروض التي

قدمها عن مفهومه للجهاز النفسي ، للدلالة على أجزاء هذا الجهاز أو بناه الفرعية . ولا نعثر إلا نادراً على كلمات « التنظيم » ، أو « التكوين » أو « المقاطعة » .

قدّم فرويد في البداية مصطلح « النظام »(1) ؛ الذي يحيلنا إلى صميمة للنفس ذات طبيعة موقعية أساساً ، حيث أنها تفهم كتتابع من الأجهزة التي تخترقها الإثارات على غرار مرور الضوء عبر مختلف « أنظمة » أحد الأجهزة البصرية . وأما مصطلح الركن فلقد قدّم في كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » كمرادف للنظام (2a) . واستمر فرويد في استخدامه حتى أواخر كتاباته(3) .

ومع أنه يشيع استخدام هذين المصطلحين كبديلين لبعضهما بعضاً ، إلا أنه تجدر الإشارة الى أن النظام يرجع إلى مفهوم موقعي حصرياً ، بينما أن « الركن » هو مصطلح ذو معنى موقعي ودينامي في آن معاً(2b) . إذ يتكلم فرويد على سبيل المثال عن أنظمة ذاكرية أو عن نظام الإدراك ـ الوعي ، ولا يلجأ في هذه الحالة إلى كلمة ركن . وعلى العكس من ذلك فهو يقبل على الحديث عن الركن بصدد الأنا الأعلى ، أو الرقابة ، باعتبار أنهما يمارسان عملاً إيجابياً ولا يقتصران على كونهما مجرد معبر للإثارات ؛ وهكذا يعتبر الأنا الأعلى كوريث « للسلطة الوالدية »(4) . وتجدر الملاحظة ، على كل حال ، أن مصطلح الركن قد قدم في كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » بالمقارنة مع المحاكم أو السلطات التي تحكم بصدد ما تجد مروره مناسباً(2c) .

وبالقدر الذي يمكننا فيه الحفاظ على هذه الفوارق الطفيفة فإن مصطلح النظام يتمشى بشكل أفضل مع النظرية الموقعية الفرويدية الأولى ، بينما يتمشى مصطلح الركن مع المفهوم الثاني عن الجهاز النفسي ، ذلك المفهوم الأكثر دينامية والأكثر بنيوية في آن معاً .

(1) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 373-466 ; Angl., 348-445 ; Fr., 307-96.

(2) Cf. Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 542 ; S.E., V, 536-7 ; Fr., 441. — *b)* G.W., II-III, 544 ; S.E., V, 539 ; Fr., 443. — *c)* G.W., II-III, 147-50 ; S.E., IV, 141-5 ; Fr., 109-11.

(3) Cf. par exemple : Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 67, 83 ; S.E., XXIII, 145, 161 ; Fr., 3, 24.

(4) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, 68, 70 ; S.E., XXII, 62-64 ; Fr., 88-91.

Symbolique (S.M.) — رمزي

Eng.: Symbolic

D.: Symbolische

■ إنه مصطلح قدمه (بصيغة الإسم المذكر) جاك لاكان الذي يميز في المجال التحليلي ثلاثة سجلات أساسية : الرمزي ، والخيالي ، والواقعي. يدل الرمزي على نظام الظواهر التي يتعامل معها التحليل النفسي ، باعتبارها مبنية كلغة . يرجعنا هذا المصطلح أيضاً إلى الفكرة القائلة بأن فعالية العلاج تجد قوتها الدافعة في الطابع المؤسس للكلام ■ .

1 ـ نجد كلمة رمزي بصيغة الإسم عند فرويد في : « تأويل الأحلام عام 1900 » ، حيث يتكلم على سبيل المثال عن الرمزية ، قاصداً بذلك مجمل الرموز ذات المعنى الثابت التي يمكن

الوقوع عليها في مختلف أشكال الإنتاج اللاواعي .

هناك فارق جلي ، ما بين رمزية فرويد وتعبير « رمزي » عند لاكان : يؤكد فرويد على العلاقة التي تربط الرمز بما يدل عليه ـ مهما كانت درجة تعقيد الروابط بينهما ـ، بينما يضع لاكان بنية النظام الرمزي في المرتبة الأولى ؛ وأما الصلة مع المرموز إليه (مثلاً عامل التشابه ، والتماثل في الشكل) فإنها تأتي في المقام الثاني وتكون مشبعة بالخيالي .

على أنه بالإمكان إيجاد اشتراط في الرمزية الفرويدية يتيح لنا ربط المفهومين : يستخلص فرويد من خصائص الصور والأعراض نوعاً من « اللغة الأساسية » الكونية ، حتى ولو تركز إهتمامه على ما تقوله (هذه اللغة) أكثر من تركيزه على تنظيم العلاقات ضمنها .

2 ـ أما في العلوم الاجتماعية ، فلقد قام كلود ليفي شتراوس باستخلاص فكرة النظام الرمزي الذي يحدد بنية واقع العلاقات الانسانية ، ولقد وضعها على غرار الألسنية الإنبنائية المستقاة من تعاليم فرديناند دي سوسير . تتلخص أطروحة « دروس في الألسنية العامة » (لسوسير عام1955) في انعدام الصلة الداخلية ما بين الدال الألسني ، إذا أخذ بمعزل عن غيره ، وبين المدلول ؛ فلا يحيلنا هذا الدال إلى المعنى إلا لأنه يندمج في نظام من الدلالات يتصف بتعارضات فارقية (1) .

يوسع ليفي شتراوس المفاهيم البنيانية وينقلها إلى دراسة الوقائع الثقافية حيث لا يقتصر الأمر فقط على انتقال الاشارات ، كما أنه يميز البنى موضع البحث باستخدام مصطلح « النظام الرمزي » إذ يقول : « يمكن اعتبار أي ثقافة كمجمل من الأنظمة الرمزية ، يحتل مكان الصدارة فيها كل من اللغة ، وقواعد القرابة ، والعلاقات الإقتصادية ، والفن ، والعلم والدين »(2) .

3 ـ يبدو لنا أن استخدام لاكان لفكرة الرمزي في التحليل النفسي يجيب على قصدين :

أ ـ تقريب بنية اللاوعي من بنية اللغة وتطبيق الطريقة التي أثبتت جدواها في الألسنية عليها (أي على بنية اللاوعي) ؛

ب ـ تبيان كيف أن الشخص الإنساني ينغرس في نظام قائم مسبقاً ، وذي طبيعة رمزية ، بالمعنى الذي يذهب إليه ليفي شتراوس .

أما الزعم بحصر معنى مصطلح « الرمزي » ضمن حدود قاطعة ـ أي بتعريفه ـ فإنه يتعارض مع فكر لاكان نفسه الذي يرفض إقامة علاقة جامدة ما بين الدال والمدلول . نقتصر إذاً على الإشارة إلى أن لاكان يستخدم هذا المصطلح في منحيين مختلفين ومتكاملين :

أ ـ يستخدم المنحى الأول للدلالة على بنية تعمل عناصرها الخفية عمل الدالأت (جمع دال) (وهو النموذج الألسني) ، أو هو يستخدمه بشكل أعم للدلالة على السجل الذي تنتمي إليه هذه البنى (النظام الرمزي) ؛

ب ـ وأما المنحى الثاني فيستخدم للدلالة على القانون الذي يقوم عليه هذا النظام : وهكذا فمن خلال مصطلح « الأب الرمزي » أو « إسم ـ الأب » يستعرض لاكان سلطة لا تقبل الاختزال إلى مجرد تحولات الأب الفعلي أو الخيالي ، إنها سلطة لسن القانون .

(1) تجدر الملاحظة من الناحية المصطلحية ، أنه بمقدار ما يتضمن مصطلح الرمز علاقة « طبيعية » أو « عقلانية » مع المرموز إليه ، يصبح غير مقبول من جانب فرديناند دي سوسير كمرادف للإشارة الألسنية .

(1) Cf. Lévi-Strauss (C.). *Les structures élémentaires de la parenté*, P.U.F., Paris, 1949, et *Anthropologie structurale*, Plon, Paris, 1958.
(2) Cf. Lévi-Strauss (C.). Introduction à l'ouvrage de Marcel Mauss, *Sociologie et anthropologie*, P.U.F., Paris, 1950.
(3) Cf. Saussure (F. de). Payot, Paris, 1955, 101.

رمزية

Symbolisme
Eng.: Symbolism
D.: Symbolik

■ أ ـ هي بالمعنى الواسع ، أسلوب من التصوير غير المباشر والمجازي لفكرة ، أو صراع أو رغبة لاواعية ؛ وبهذا المعنى يمكننا في التحليل النفسي اعتبار كل تكوين بديل رمزياً .

ب ـ أما بالمعنى الضيق ، فهي أسلوب التصوير الذي يتميز أساساً بثبات العلاقة ما بين الرمز والمرموز إليه اللاواعي ، ولا يصادف هذا الثبات عند الفرد أو في الإنتقال من فرد إلى آخر فقط ، بل أيضاً في أكثر المجالات تنوعاً (من مثل الأساطير ، والديانات ، والفلكلور ، واللغة ، إلخ . . .) وفي المناطق الحضارية الأكثر تباعداً عن بعضها البعض ■ .

ترتبط فكرة الرمزية في أيامنا هذه إرتباطاً وثيقاً بالتحليل النفسي ، حيث يشيع استخدام كلمات الرمزي ، ورمز ، وترميز وذلك بمعان جد متعددة ، كما تتعلق المشكلات الخاصة بالفكر الرمزي ، وخلق الرموز والتعامل بها بالعديد من العلوم (علم النفس ، الألسنية ، نظرية المعرفة ، تاريخ الأديان ، وعلم الأنام إلخ . . .) ، مما يجعل الرغبة في تحديد استخدام تحليلي نفسي نوعي لهذه المصطلحات وتمييز معانيها العديدة المتعارف عليها ، مسألة في غاية الصعوبة . ولا تشكل الملاحظات التالية سوى إشارات تهدف إلى توجيه القارىء في مجال أدبيات التحليل النفسي .

أولاً : هناك إتفاق على إدخال الرموز في فئة « الإشارات » . ولكن نصطدم حين نحاول تخصيصها « كمشيرات ترتبط إرتباطاً طبيعياً بشيء ما غائب أو يستحيل إدراكه »(1) بعدة اعتراضات :

1 ـ إذ ينتفي أي رجوع إلى « علاقة طبيعية » أو إلى أي تطابق تشابهي من أي نوع كان ، حين الحديث عن الرموز الرياضية أو الرموز الألسنية (أ) . وأكثر من ذلك ، فما يشير إليه علم النفس بتسمية « التصرفات الرمزية » ليست سوى تصرفات تبرز قدرة الشخص على أن يميز من بين المدركات مرتبة من الواقع لا تقبل الاختزال إلى « الأشياء » ، بل هي أكثر من ذلك تتيح لنا أن نتعامل مع هذه الأشياء بشكل معمم .

يؤكد الاستخدام المصطلحي إذاً على وجود تفاوتات عريضة في إستعمال كلمة رمز . فلا يتضمن الرمز بالضرورة فكرة العلاقة الداخلية بين الرمز والمرموز إليه (ب) ، كما يبرهن على ذلك استخدام كل من ليفي شتراوس في علم الأنام ، وجاك لاكان في التحليل النفسي لمصطلح « الرمزي » .

2 ـ أما القول بأن الرمز يوحي بوجود « شيء يستحيل إدراكه » (كأن يكون الشبح رمزاً للملكية مثلاً) ، فلا يجب أن يتضمن بسبب ذلك فكرة تحقيق العبور من المجرد إلى المحسوس ، من خلال الرمز . ففي الواقع قد يكون المرموز إليه محسوساً بنفس قدر الرمز (حيث أن الشمس هي مثلاً رمزٌ للويس الرابع عشر) .

ثانياً : ونحن لا نقوم في تمييزنا ما بين معنى واسع ومعنى ضيق لمصطلح الرمزية ، إلا بالعودة إلى التمييز الذي أشار إليه فرويد في هذا الصدد والذي يستند إليه جونز في نظريته عن الرمزية . إنما يبدو أن هذا التمييز قد فقد في أيامنا هذه ، بعضاً من قوته في الاستخدام الشائع في التحليل النفسي .

لا يقال عن الحلم أو العارض مثلاً ، أنهما تعبير رمزي عن الرغبة أو عن الصراع الدفاعي ، إلا في الإصطلاح الواسع للكلمة ، ويقصد بهذا القول أنهما (أي الحلم والعارض) يعبّران عنهما (أي عن الرغبة والصراع الدفاعي) بصيغة غير مباشرة وتصويرية ، تتفاوت في صعوبة فك رموزها (وفي هذا المضمار يعتبر حلم الطفل أقل رمزية من حلم الراشد بالقدر الذي يسهل فيه قراءة الرغبة الكامنة وراءه ، لأنها تتفصح بشكل غير مقنع البتة ، أو هو غير مقنع إلا قليلاً) .

ويستخدم مصطلح الرمزي بشكل أكثر عمومية للدلالة على العلاقة التي تربط المحتوى الظاهر للسلوك ، أو الفكرة ، أو الكلام ، بمعناه الكامن ؛ وهو يستخدم من باب أولى حيث يتعذر فعلاً الوقوف على المعنى الصريح (كما في حالة فعل عارضي يستعصي بصراحة على رده إلى كل الدوافع الواعية التي قد يقدمها الشخص عنه ، على سبيل المثال) . ويذهب العديد من الكتاب (من أمثال رانك ، ساخس ، فرنزي وجونز) إلى القول بعدم إمكانية الكلام عن الرمزية في التحليل النفسي إلا في الحالات التي يكون فيه المرموز إليه لا واعياً :« ليست كل المقارنات رموزاً ، ما عدا تلك التي يكون طرفها الأول مكبوتاً في اللاوعي دون غيرها »(2) .

ويلاحظ في هذا المنظور ، أن الرمزية تغطي كل أشكال التصوير غير المباشر ، دون مزيد من التمييز الأكثر دقة ما بين هذا أو ذاك من الأواليات : من مثل الإزاحة ، والتكثيف ، والحتم المضاعف ، والتصوير . وفي الواقع منذ اللحظة التي نتعرف فيها على معنيين على الأقل، لسلوك ما على سبيل المثال ، يحل أحدهما محل الآخر كي يقنعه ويعبر عنه في آن معاً ، يمكننا أن نصف العلاقة بينهما بأنها رمزية (جـ) .

ثالثاً : إلا أن هناك معنى أكثر حصراً لفكرة الرمزية عند فرويد ـ منه عند المحللين النفسيين المعاصرين بدون شك ـ. ولقد برز هذا المعنى في مرحلة متأخرة . ولقد شهد فرويد نفسه على هذه النقطة مشيراً خصوصاً إلى تأثير ف. شتيكل في هذا الصدد(3) .

ففي الواقع ، تتعلق أهم الإضافات التي قام بها فرويد على النص الأصلي « لتأويل الأحلام عام1900 » بالرمزية في الأحلام . إذ لا يعود تاريخ ذلك القسم المخصص للتصوير بالرموز من الفصل حول عمل الحلم ، إلا إلى عام 1914 .

على أن بحثاً متأنياً يسمح بتلطيف شدة شهادة فرويد الخاصة : إذ ليست فكرة الرمزية إسهاماً خارجياً .

حيث يميز فرويد، إبتداءً من «دراسات حول الهستيريا عام1895 » وفي مقاطع عدة من هذا

العمل ، ما بين حتمية ترابطية ، وبين حتمية رمزية للأعراض : فيتحدد شلل إليزابث فون لـ . . . على سبيل المثال ، تبعاً لمسالك ترابطية من خلال صلته مع العديد من الأحداث الصدمية ، ويرمز من ناحية أخرى إلى بعض ملامح الوضعية الخلقية للمريضة(وتتأمن صلة الوصل بين هذين البعدين من خلال بعض التعابير القابلة للاستخدام بمعنى خلقي وبمعنى فيزيقي ، في آن معاً ، من مثل : لا يمشي الحال ، ولا أستطيع ابتلاع ذلك) .

ويلاحظ منذ النسخة الأولى من « تأويل الأحلام عام1900 » ما يلي :

1 ـ إذا كان فرويد ينتقد الطرق السالفة في تأويل الأحلام ، على اعتبار أنها تأويلات رمزية ، إلا أنه ينوي على كل حال إقامة صلة ما ، بينها وبين طريقته الخاصة ؛

2 ـ إنه يفرد مكانة هامة للتصورات التشبيهية التي تُفهم بدون أي تداعيات من قبل الحالم ؛ وهو يؤكد في هذه الحالة على دور الوسيط الذي تلعبه التعابير الألسنية الشائعة (5a) .

3 ـ أن وجود بعض « الأحلام النمطية » حيث تصور رغبة معينة أو صراع معين بطريقة متشابهة ، مهما كان الحالم ، يبين لنا أن هناك عناصر لغة أحلام مستقلة عن الخطاب الشخصي للحالم .

وهكذا يمكن القول بأن فرويد قد اعترف منذ البداية بوجود الرموز . ولنذكر على سبيل المثال الأسطر التالية : « تستخدم الأحلام كل الرموز الحاضرة سلفاً في الفكر اللاواعي ، لأن هذه الرموز تتوافق بطريقة أفضل مع متطلبات بناء الحلم ، نظراً لقدرتها على قابلية التصوير من جانب ، وبسبب إفلاتها من الرقابة عادة من جانب آخر »(5b) . وانطلاقاً من ذلك ، فإنه يبقى صحيحاً أن فرويد قد أعطى أهمية متزايدة للرموز خصوصاً بتأثير من اكتشاف أنواع عديدة من الأحلام النمطية (د) ، وبتأثير من الأعمال في مجال علم الأناسة والتي أظهرت وجود الرمزية في مواضع أخرى غير الحلم (رانك) . ونضيف أنه بمقدار ما تعيد النظرية الفرويدية الصلة مع الآراء « الشعبية » التي تعطي للحلم معنى ، وذلك ضد المفاهيم « العلمية » فإنه قد ترتب عليها قبلاً أن تتمايز بصراحة عن « مفاتيح الأطياف » التي تفترض وجود رمزية كونية ، والتي تهدد بجرّنا إلى تأويل آلاتي .

ويمكننا ، من خلال تجميع النقاط التي أشار إليها فرويد(6,5c,7a) ، أن نعرّف الرموز ، تعريفاً مبسطاً ، وبالمعنى الحصري الذي يميز ما يطلق عليه فرويد اسم الرمزية ، بالسمات التالية :

1 ـ تظهر الرموز في تأويل الحلم « كعناصر خرساء »(7b) : فلا يستطيع الشخص أن يعطي تداعيات حولها . يتعلق الأمر هنا ، تبعاً لفرويد بخاصية لا تُفسرّ من خلال مقاومة العلاج ، بل هي تميز نوعياً أسلوب التعبير الرمزي .

2 ـ يكمن جوهر الرمزية في « علاقة ثابتة » بين عنصر صريح وترجمته أو ترجماته . ولا يتواجد هذا الثبات في الأحلام وحدها ، بل أيضاً في مجالات تعبير مختلفة (كالأعراض ، ومنتجات اللاوعي الأخرى : من مثل الأساطير ، والفلكلور والدين إلخ . . .) ، وفي مناطق حضارية جد متباعدة عن بعضها بعضاً . ويفلت هذا الثبات نسبياً من فعل المبادرة الفردية ، تماماً كما تفلت المفردات المقررة ؛ ويمكن للمبادرة الفردية أن تختار واحداً من بين معاني الرمز ، ولكنها لا تستطيع أن تخلق رمزاً جديداً .

3 ـ تقوم هذه العلاقة الثابتة أساساً على التشابه « في الشكل أو في الحجم ، أو في الوظيفة ، أو

في الوتيرة ، إلخ . .) . إنما يشير فرويد إلى أن بعض الرموز قد تقترب من الإيماء : وهكذا قد يُرمز إلى العَري بالملابس ، إذ تكون الصلة هنا ، صلة تجاور وتعارض في آن معاً (7c) . وتجدر الإشارة من ناحية أخرى أنه يحدث أن تتكثف في العديد من الرموز علاقات متعددة ما بين المرموز إليه والرمز : ذاك هو حال المهرّج الذي بيّن جونز أنه يمثل القضيب من أوجه متعددة (8a) .

4 ـ وإذا تعددت الرموز التي اكتشفها التحليل النفسي كثيراً ، فإن مجال المرموز إليه يظل جد محدود ويتمثل في : الجسد ، الوالدين والأقارب ، الولادة الموت ، العريّ ، وخصوصاً الجنسية (الأعضاء التناسلية ، والفعل الجنسي) .

5 ـ ومع توسّع نظرية الرمزية ، أصبح على فرويد أن يفرد لها مكاناً خاصاً في نظرية الحلم والنتاجات اللاوعي ، وفي ممارسة التأويل . « حتى ولو لم توجد رقابة في الأحلام ، فإن الحلم لن يصبح أكثر جلاءً بالنسبة إلينا [. . .] » (7d) . يفلت معنى الرموز من الوعي ، إنما لا يفسرّ هذا الطابع اللاواعي من خلال أواليات عمل الحلم . ويشير فرويد إلى أن « المقارنات [اللاواعية القابعة وراء الرمزية] لا تجرى كل مرة حسب الحاجة ، إنما تتم مرة واحدة ونهائية ، وهي دوماً حاضرة » (7e) . مما يعطينا الإنطباع بأن هناك ، تبعاً لكلمة مستعارة من الرئيس شرايبر ، « لغة أساسية » (7f) ، بحوزة الأشخاص ، فيما يتعدى تنوع الثقافات واللغات . وينتج عن ذلك أن هناك نوعين من تأويل الحلم ، يستند أولهما إلى تداعيات الحالم ، أما الثاني فهو مستقل عنه ويتلخص بتأويل الرموز (5d) .

6 ـ يطرح وجود نموذج التعبير الرمزي الذي يتميز على هذا الغرار مشكلات تكوينية : فكيف صاغت البشرية هذه الرموز ؟ وكيف يصل الشخص إلى امتلاكها ؟ تجدر الإشارة أن أمثال هذه المشكلات هي التي أدت بيونغ إلى وضع نظريته في « اللاوعي الجماعي » (8b) . ولم يتخذ فرويد مطلقاً موقفاً من هذه المسائل ، رغم طرحه لفرضية الوراثة السلالية (9) البشرية (أي نشوء الجنس البشري) ، وتتعزز هذه الفرضية ، في رأينا ، فيما لو أولت على ضوء فكرة الهوامات الأصلية (أنظر هذا المصطلح) .

(أ) تجدر الإشارة إلى أن فرديناند دي سوسير ينتقد تعبير « الرمز الألسني » (10) .

(ب) المعنى الإشتقاقي للرمز معروف : فلقد كان الرمز وهو إشارة تعرف (ما بين أعضاء نفس الملة مثلاً) عند اليونان يتكوّن من شيء يكسر إلى صفين ويقاربان من بعضهما لمعرفة مدى تطابقهما . وهكذا يمكننا أن نرى من خلال ذلك أن أصل المعنى يكمن في فكرة الصلة .

(جـ) يندرج مصطلح الرمز الذاكري في إطار اصطلاح كهذا .

(د) يزداد القسم المخصص « للأحلام النمطية » تدريجياً ما بين الأعوام 1900 و 1911 ؛ وسيصار إلى تحويل جزء كبير من المادة التي يحتويها إلى القسم الخاص بـ « التصوير من خلال الرموز » عام 1914 ، وهو العام الذي ظهر فيه هذا القسم الأخير (11) .

(1) LALANDE (A.). *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*, P.U.F., Paris, 1951.

(2) FERENCZI (S.). The Ontogenesis of Symbols, 1913, in *First Contributions*, 277-8.

(3) Cf. FREUD (S.). *Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung*, 1914. G.W., X, 58 ; S.E., XIV, 19 ; Fr., 277.

(4) Cf. Freud (S.). G.W., I, 216-7 ; S.E., II, 152 ; Fr., 120-1.
(5) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., II-III, 347 ; S.E., V, 341-2 ; Fr., 255. — *b)* G.W., II-III, 354 ; S.E., V, 349 ; Fr., 260. — *c)* Cf. 4ᵉ éd., revue et augmentée 1914 (S.E., IV, XI). — *d)* Cf. G.W. II-III, 365 ; S.E., V, 359 ; Fr., 267-8.
(6) Cf. Freud (S.). *Über den Traum*, 1901, 2ᵉ éd.
(7) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1915-17. — *a)* Cf. *passim*. — *b)* G.W., XI, 151 ; S.E., XV, 150 ; Fr., 166. — *c)* G.W., XI, 154-5 ; S.E., XV, 153 ; Fr., 169-70. — *d)* Cf. G.W., XI, 150 et 171 ; S.E., XV, 149 et 168 ; Fr., 164 et 186. — *e)* G.W., XI, 168 ; S.E., XV, 165 ; Fr., 183. — *f)* G.W., XI, 169 ; S.E., XV, 166 ; Fr., 184.
(8) Cf. Jones (E.). The Theory of Symbolism, in *Papers on Psycho-Analysis*, Baillière, Londres, 5ᵉ ed., 1948. — *a)* 93 sqq. — *b)* 93-104.
(9) Cf. Freud (S.). *Der Mann Moses und die monotheistische Religion*, 1939. G.W., XVI, 205-6 ; S.E., XXIII, 99-100 ; Fr., 151-2.
(10) Saussure (F. de). *Cours de linguistique générale*, Payot, Paris, 1955.
(11) Cf. S.E., IV, préface.

Symbole mnésique — رمز ذاكري

Eng.: Mnemic symbol
D.: Erinnerungssymbol

■ شاع استخدام هذا المصطلح في كتابات فرويد الأولى لوصف العارض الهستيري ■ .

يعرّف فرويد العارض الهستيري كرمز ذاكري للصدمة المولدة للمرض أو للصراع ، في العديد من النصوص التي كتبها حوالى العام 1895 من مثل « حالات نفاس الدفاع عام 1894 » ، و« ملاحظات جديدة حول حالات نفاس الدفاع عام 1896 » و« دراسات حول الهستيريا عام 1895 إلخ . . . » . فعلى سبيل المثال : « ينجح الأنا بالتحرر هكذا من التناقض ؛ ولكن يتعرض لتحمّل رمز ذاكري يجد مكانه في اللاوعي ، كنوع من التشويش ، إما على شكل تعصيب حركي لا يتزحزح ، أو على شكل إحساس هلاسي دائم التكرار »(1) . ويقارن فرويد في موضع آخر ، العارض الهستيري بالنصب التذكاري الذي يقام تخليداً لذكرى حدث ما ؛ وهكذا فأعراض آنا ـ أو هي عبارة عن « الرموز الذاكرية» لمرض والدها وموته(2) .

(1) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 63 ; S.E., III, 49.
(2) Freud (S.). *Über Psychoanalyse*, 1910. G.W., VIII, 11-12 ; S.E., XI, 16-17 ; Fr., 125-6.

Roman familial — رواية أسرية

Eng.: Family romance
D.: Familienroman

■ وضع فرويد هذا التعبير للدلالة على الهوامات التي يغير الشخص خيالياً من خلالها علاقاته مع والديه (إذ يتخيل مثلاً أنه طفل لقيط) . نجد أمثال هذه الهوامات أساساً لها في عقدة الأوديب ■ .

سبق لفرويد أن بيّن في العديد من المناسبات وجود هوامات يختلق الشخص أسرة له من خلالها ، مخترعاً بالمناسبة نوعاً من الرواية(1) ، حتى قبل أن يخصص لذلك مقالة قائمة بذاتها في العام1909 (أ) . تصادف أمثال هذه الهوامات بجلاء في الهذيانات العظامية ؛ ولكن فرويد لم يلبث أن عثر عليها عند العصابين بصيغ متنوعة : فقد يتخيل الطفل أنه لم يولد من أبويه الفعليين ، بل من أبوين يتمتعان بجاه كبير ، أو قد يتخيل أنه ولد من أب ذي جاه ، مدعياً قيام أمه بمغامرات غرامية سرّية ، أو هو قد يتخيل أيضاً أنه طفل شرعي ، بينما أن أخوته وأخواته هم أبناء زنى .

تتعلق أمثال هذه الهوامات بالوضعية الأوديبية ؛ إذ أنها تنشأ تحت الضغط الذي تمارسه عقدة أوديب . تتعدد وتختلط دوافعها المضبوطة ومن بينها : الرغبة في تبخيس الأهل في هذا الجانب ، وإعلاء شأنهم في جانب آخر ، وكذلك الرغبة في العظمة ، ومحاولة الإلتفاف حول حاجز المحارم ، أو قد تكون تعبيراً عن التنافس الأخوي ، إلخ . . .

(أ) ادمجت بادىء ذي بدء في مؤلف أتورانك حول « أسطورة ولادة البطل عام1909 » .

(1) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. Manuscrit M et lettre du 20-6-98 : All., 219 et 273 ; Angl., 205 et 256 ; Fr., 181-2 et 227-8.

ز

Aphanisis — زوال . الشهوة . إصفاء

Eng.: Aphanisis
D.: Aphanisis

■ قدم أرنست جونز هذا المصطلح الذي يعني : فقدان الرغبة الجنسية . ويبدو أن زوال الشهوة يشكل تبعاً لهذا المؤلف ، موضوع خشية أكثر عمقاً وجذرية من خشية الخصاء . وذلك عند الجنسين على حد سواء ■ .

قدّم جونز المصطلح اليوناني الذي يعني فعل العياب ، أو التغييب ، في صلته مع مسألة عقدة الخصاء(1a) . إذ أن إلغاء الجنسية والخصاء لا يتطابقان تبعاً له حتى عند الرجل (فعلى سبيل المثال « . . . يرغب الكثير من الرجال في أن يكونوا مخصيين لأسباب علمية ، من ضمن أسباب أخرى ، بحيث لا تزول جنسيتهم بالطبع مع التخلي عن العضو الذكري »)(1b) ؛ وإذا بدا أنهما يختلطان ، فذاك لأن خشية الخصاء تشكل أسلوب التجسيد العملي (إضافة إلى أفكار الموت) لفكرة زوال الشهوة الأعم منها .

وأما عند المرأة فيمكن اكتشاف خشية زوال الشهوة في ثنايا خشية الإنفصال عن الموضوع المحبوب .

قدّم جونز فكرة زوال الشهوة في إطار أبحاثه حول الجنسية الانثوية . فبينما ركز فرويد تطور جنسية البنت الصغيرة ، كما هو الحال عند الصبي ، على عقدة الخصاء وعلى غلبة القضيب ، حاول جونز وصف تطور البنت بشكل أكثر نوعية يركز على جنسية لها ، منذ البدء ، أهدافها ونشاطها الخاص .

ويتعين علينا (في رأيه) البحث عن القاسم المشترك لجنسية كل من البنت والصبي الصغيرين فيما هو دون عقدة الخصاء ، أي في زوال الشهوة .

(1) Cf. Jones (E.). *Early development of female sexuality*, 1927. In *Papers on Psycho-Analysis*, Baillière, Londres, 5e éd., 1950. — *a)* 438-51. — *b)* 439-40.

زوج المتعارضات

Couple d'opposés
Eng.: Pair of opposites
D.: Gegensatzpaar

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح غالباً للإشارة إلى التعارضات الرئيسية الكبرى، سواء على مستوى التجليات النفسانية أو النفسية المرضية (من مثل التعارض ما بين السادية والمازوشية، وبين النظار والهتاك)، أو على المستوى ما وراء النفساني (من مثل: نزوات الحياة ونزوات الموت) ■ .

يبرز هذا المصطلح في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » لتبيان الطابع الأساسي لبعض حالات الشذوذ Perversions حيث يرد : « يتأكد لنا أن بعض الميول الشاذة تظهر بانتظام على شكل أزواج متعارضة مما [. . .] يكتسب قيمة نظرية كبيرة »(1a) . وهكذا تبين دراسة السادية مثلاً وجود لذة مازوشية مصاحبة للميون السادية السائدة ؛ كما يقترن النظار والهتاك بشكل وثيق كشكلين أحدهما نشط والآخر فاتر لنفس النزوة الجزئية . وإذا كانت أزواج المتعارضات هذه بادية للعيان خصوصاً في حالات الشذوذ، فإنها تصادف بانتظام في التحليل النفسي للأعصبة(1b) .

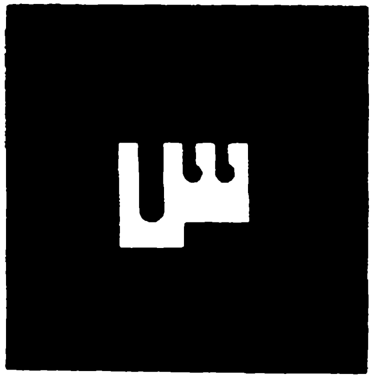
وإذا ما تجاوزنا هذه المعطيات العيادية ، نجد أن فكرة زوج المتعارضات تندرج ضمن ما كان يشكل بالنسبة لفرويد مطلباً ثابتاً ، أي الثنائية الأساسية التي تسمح في نهاية التحليل ، بتعليل الصراع .

ومهما كان الشكل الذي تأخذه هذه الثنائية ، فإننا نقع في مختلف مراحل المذهب الفرويدي على تعابير من مثل : زوج المتعارضات ، أو تعارض ، وقطبية ، إلخ . .(2) . ولا نصادف هذه الفكرة فقط على المستوى الوصفي ، وإنما أيضاً على مختلف مستويات التنظير : أي في التعارضات الثلاث التي تحدد مواقع الشخص اللبيدية المتتابعة ، من نشط ـ فاتر ، وقضيبي ـ مخصي ، وذكري ـ انثوي ، وكذلك في فكرة التجاذب ، وفي زوجي اللذة ـ الألم ، وبشكل أكثر جذرية على مستوى الثنائية النزوية (حب وجوع ، ونزوات الحياة ونزوات الموت) .

وهكذا يلاحظ أن هذه المصطلحات المتزاوجة تنتمي إلى نفس المستوى وغير قابلة لأن تختزل إحداها إلى الأخرى ؛ فلا يمكن أن نولّد بعضها البعض بجدلية من نوع ما ، لأنها مصدر كل صراع ومحرك كل جدلية .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., V, 59 ; S.E., VII, 160 ; Fr., 46. — *b)* Cf. G.W., V, 66-7 ; S.E., VII, 166-7 ; Fr., 54-5.

(2) Cf. Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 226 ; S.E., XIV, 133 ; Fr., 55 sqq.



Sadisme
Eng.: Sadism
D.: Sadismus

سادية

■ إنه شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالتعذيب أو الإذلال الذي يُصب على الآخر. يوسع التحليل النفسي فكرة السادية إلى ما وراء حدود الشذوذ الذي وصفه علماء الجنس، وذلك من خلال الإعتراف بالعديد من مظاهرها الأكثر خفاء، وخصوصاً الطفلية منها. ومن خلال اعتبارها واحدة من المكونات الأساسية للحياة النزوية ■.

نُحيل القارىء من أجل وصف مختلف أشكال ودرجات الشذوذ السادي إلى مؤلفات علماء الجنس وخصوصاً كرافت - أبينج وهافيلوك ألّيس (أ).

ولا بد من الإشارة، من الناحية المصطلحية، إلى أن فرويد يخصص مصطلح السادية (كما في ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 مثلاً) أو مصطلح «السادية الفعلية»(1)، إلى الترابط ما بين الجنسية والعنف الذي يمارس على الآخر.

ولكنه يتراخى أحياناً في استخدامه للكلمة فيطلق تعبير السادية على ممارسة هذا الصنف وحده، خارجاً عن أي إشباع جنسي(2). (أنظر: نزوة السطوة، العدوانية، والسادو-مازوشية). ولقد إتخذ هذا الاستعمال الذي يفتقر تبعاً لفرويد نفسه إلى الدقة انتشاراً واسعاً في التحليل النفسي، إذ قد يؤدي بدون وجه حق إلى جعل مصطلح السادية مرادفاً لمصطلح العدوانية. ويتضح هذا الاستخدام الأخير بجلاء في كتابات ميلاني كلاين ومدرستها.

(أ) كرافت إيبنج هو الذي اقترح اطلاق تسمية السادية على هذا الشذوذ إستناداً إلى أعمال ماركيز دي صاد.

(1) Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. G.W., XIII, 376 ; S.E., XIX, 163 ; Fr., 216.

(2) Cf. par exemple : Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 221 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 46.

سادو ـ مازوشية

Sado–masochisme
Eng.: Sado-masochism
D.: Sadomasochismus

■ لا يدل هذا التعبير على ما قد يتضمنه هذان النمطان من الشذوذ السادي والمازوشي من تناظر وتقابل فقط ، بل هو يدل أيضا على زوجي التعارض الأساسيين في الحياة النزوية سواء في تطورها أم في تجلياتها .

لجأ المحللون النفسيون الفرنسيون ، وخصوصاً دانيال لاجاش من هذا المنظور ، إلى استخدام مصطلح السادومازوشية ، والذي يستخدم أصلاً في علم الجنس للدلالة على الأشكال المزيجة من هذين الشذوذين ، من أجل تبيان الترابط ما بين هاتين الوضعيتين ، سواء في الصراع بين الأشخاص (السيطرة ـ والرضوخ) أم في انبناء الشخصية (عقاب الذات) ■ .

يجد القارىء في المقالات حول المازوشية والسادية ، اعتبارات مصطلحية أساساً ؛ أما هذه المقالة فتبحث فقط في زوجيْ التعارض السادي ـ مازوشي ، وفي العلاقة التي يقيمها التحليل النفسي ، بين قطبيهما والوظيفة التي يسندها إليهما .

لقد سبق لكرافت ـ إيبنج أن أشار إلى فكرة الإرتباط ما بين شذوذي السادية والمازوشية . وأما فرويد فإنه يشير إليها منذ كتابه « ثلاث مقالات في نظرية الجنسية عام 1905 » جاعلاً من السادية والمازوشية وجهين لشذوذ واحد يتواجد شكله النشط مع شكله الفاتر بمقادير متفاوتة عند نفس الفرد : « فالسادي هو دوماً مازوشي في نفس الوقت، ولكن ذلك لا يمنع سيادة الجانب النشط أو الجانب الفاتر من الشذوذ الذي يميز عندها النشاط الجنسي الغالب »(1a) .

وهناك فكرتان استمرتا في الرسوخ المتزايد في أعمال فرويد وفي الفكر التحليلي النفسي ، وهما :

1 ـ إن الارتباط الحميم بين طرفي هذين الزوجين هو من الوثوق بحيث يتعذر دراستهما منفصلين عن بعضهما بعضاً ، لا في نشأتهما ، ولا في أي من تجلياتهما ؛

2 ـ تتجاوز أهمية هذين الزوجين مستوى الشذوذ إلى حد بعيد إذ : « تحتل السادية والمازوشية مكانة خاصة بين أشكال الشذوذ الأخرى . ذلك أن النشاط والفتور اللذين يكونان خاصيّتيهما الأساسيتين والمتعارضتين هما في أساس تكوين الحياة الجنسية بشكل عام »(1b) .

***

تطورت أفكار فرويد بخصوص نشأة كل من السادية والمازوشية بالتلازم مع التعديلات التي أُدخلت على نظرية النزوات . ففي النظرية الأولى للنزوات التي اتخذ إرصانها شكله النهائي في مقاله « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » ، يشيع القول بأن السادية سابقة على المازوشية ، وأن هذه الأخيرة هي سادية مرتدة على الشخص ذاته . والواقع أن السادية تطرح هنا بمعنى الإعتداء على الأخر الذي لا تؤخذ آلامه بعين الإعتبار ، كما لا يتلازم هذا الإعتداء مع أي لذة جنسية .

« ويبدو أن التحليل النفسي قد أظهر أن إنزال الألم لا يلعب أي دور في الأهداف الأصلية التي تتوخاها النزوة . فلا يدخل الطفل السادي في إعتباره ، ولا في نواياه مسألة إنزال الألم بالآخر »(2a) . فما يسميه فرويد هنا سادية ليس سوى ممارسة نزوة السطوة .

وهكذا تصبح المازوشية إرتداداً نحو الشخص ذاته وقلباً للنشاط إلى فتور في نفس الوقت . ولا يتخذ النشاط النزوي معنى جنسياً إلا في حالة المازوشية ويصبح إنزال الألم عنصراً متأصلاً فيه : « . . . يتعدى الإحساس بالألم ، شأنه في ذلك شأن الأحاسيس الأخرى غير السارة ، على مجال الإثارة الجنسية مولداً حالة من اللذة التي قد يستسيغ الشخص من أجلها الإحساس غير السار بالألم »(2b) . يشير فرويد إلى مرحلتين لهذا الإرتداد على الذات : في الأولى يعذب الشخص ذاته ، وهو الموقف الذي يتجلى بوضوح في العصاب الهجاسي ، أما في الثانية التي تميز المازوشية الحقة ، فإن الشخص يستنزل الألم على نفسه من قبل شخص غريب : إذ يمر فعل « إنزال الألم » بالمسار « الوسط »(2c) المنعكس على الذات قبل أن يصل إلى المسار « الفاتر » . وفي نهاية المطاف تتضمن السادية ، بالمعنى الجنسي للكلمة ، إنقلاباً جديداً للوضعية المازوشية .
يؤكد فرويد في هذين الإنقلابين المتتاليين على دور التماهي بالآخر على المستوى الهوامي : ففي المازوشية « . . . يحتل الأنا الفاتر موقعه السابق هوامياً ، ذلك الموقع الذي تخلى عنه الآن للشخص الغريب »(2d) . كما أنه في السادية « . . . يستمتع الفاعل مازوشياً أثناء إنزال الآلام بالآخر من خلال التماهي مع الموضوع الذي يتعذب »(1)(2e) .
تجدر الإشارة إلى أن تدخل الجنس في هذه العمليه يتلازم مع ظهور بعد التفاعل ما بين الذاتي وظهور الهوام .

وإذا أمكن لفرويد القول في وصف هذه المرحلة من تفكيره مقارنة بما تلاها ، أنه يستنتج المازوشية من السادية ، وأنه لا يقبل بأطروحة المازوشية الأولية، إلا أننا نرى، إذا ما أخذنا زوجي المازوشية والسادية ـ بمعناهما الحقيقي الجنسي ، أن المرحلة المازوشية هي التي تعتبر فعلاً المرحلة الأولى والأساسية .

ومع تقديم نزوة الموت ، يطرح فرويد مبدئياً وجود ما أسماه المازوشية الأولية . فكل نزوة الموت ترتد ضد الشخص ذاته ، في مرحلة أولى أسطورية ، ولكن ليس هذا هو بالضبط ما يطلق عليه فرويد تسمية المازوشية الأولية . إذ يتعين على الليبيدو أن يحول قسطاً كبيراً من نزوة الموت إلى العالم الخارجي : « يوضع جزء من هذه النزوة مباشرة في خدمة النزوة الجنسية حيث يلعب دوراً هاماً . تلك هي السادية الحقة . وهناك جزء آخر لا يصاحب هذا التحول نحو الخارج ، بل يبقى ضمن المتعضي حيث يرتبط ليبيدياً بمساعدة الإثارة الجنسية التي ترافقه [. . .] ؛ تلك هي المازوشية الأصلية ، والمولدة للغلمة »(3a) .

ويمكننا القول ، إذا ما ضربنا صفحاً عن بعض التراخي المصطلحي الذي لا يتجاهله فرويد نفسه(3b) ، أن الحالة الأولى التي تتوجه فيها كل نزوة الموت ضد الشخص ذاته ، لا تتطابق مع وضعية مازوشية بقدر تطابقها مع الوضعية السادية .

إذ تنشطر نزوة الموت المرتبطة بالليبدو دفعة واحدة إلى سادية وإلى مازوشية مولدين للغلمة. وتجدر الملاحظة، أخيراً، إلى أن هذه السادية يمكنها أن ترتد بدورها ضد الشخص على شكل «مازوشية ثانوية» تضاف إلى المازوشية الأصلية (3c).

***

لقد وصف فرويد في تطور الطفل القسط الذي تأخذه كل من السادية والمازوشية في مختلف التنظيمات الليبدية؛ إذ اكتشف عمل كل منها أولاً وأساساً في التنظيم السادي الشرجي، وكذلك في المراحل الأخرى أيضاً (أنظر: المرحلة السادية الفمية؛ النزعات الإفتراسية؛ وإتحاد ـ إنفصال النزوات). ومن المعروف أن فرويد يعتبر زوجيّ النشاط ـ الفتور اللذين يجدان أبرز تحقيق لهما في تعارض السادية ـ المازوشية، كواحد من الأقطاب الكبرى التي تميز الحياة الجنسية للشخص وهما يتواجدان فيما بعد في الأزواج التي تخلفهما من مثل: قضيبي ـ خصي، ومذكر ـ مؤنث.
أما الوظيفة الذاتية الداخلية لزوجيّ السادية ـ المازوشية فلقد اكتشفها فرويد، خصوصاً في جدلية تعارض الأنا الأعلى السادي مع الأنا المازوشي (3، 4).

***

ولقد سجّل فرويد الإعتماد العلائقي المتبادل ما بين السادية والمازوشية ليس فقط في حالات الشذوذ الصريحة، وإنما أيضاً في قابلية هذه المواقع للإنقلاب على المستوى الهوامي وفي الصراع الذاتي داخل الشخص. ولقد أكد دانيال لاجاش خصوصاً في هذا الخط نفسه، على فكرة «السادو ـ مازوشية» جاعلاً منها البعد الرئيسي في العلاقة التفاعلية بين الأشخاص. إذ يمكن فهم الصراع النفسي، خصوصاً الصراع الأوديبي الذي يمثل شكله المحوري، باعتباره صراع طلبات (أنظر: صراع) «... فموقع الطالب هو ضمنياً موقع المضطَهَد ـ المضطَهِد، ذلك أن تدخل الطلب يفتح الباب بالضرورة أمام العلاقات السادو ـ مازوشية من نمط التسلط ـ الرضوخ التي يتضمنها كل تدخل للسلطة» (5).

(أ) أنظر بصدد تناسق السادية والمازوشية في البنية الهوامية، مقالة «نضرب طفلاً» عام 1919.
(ب) أنظر بصدد المدى الذي يعطيه دانيال لاحاش لفكرة السادو ـ مازوشية، مقالته حول (وضعية العدوانية» في مجلة علم النفس العدد الرابع عشر 1960.

(1) Freud (S.). *a)* G.W., V, 59 ; S.E., VII, 159 ; Fr., 46. — *b)* Passage ajouté en 1915 : G.W., V, 58 ; S.E., VII, 159 ; Fr., 45.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., X, 221 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 46. — *b)* G.W., X, 221 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 46. — *c)* Cf. G.W., X, 221 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 45. — *d)* G.W., X, 220 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 45. — *e)* G.W., X, 221 ; S.E., XIV, 129 ; Fr., 46.
(3) Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. *a)* G.W., XIII, 376 ; S.E., XIX, 163-4 ; Fr., 216. — *b)* Cf. G.W., XIII, 377 ; S.E., XIX, 164 ; Fr., 217. — *c)* G.W., XIII, 377 ; S.E., XIX, 164 ; Fr., 217. — *d)* Cf. *passim*.
(4) Cf. Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. Chap. V : G.W., XIII, 277-89 ; S.E., XIX, 48-59 ; Fr., 205-18.
(5) Lagache (D.). Situation de l'agressivité, in *Bull. Psychol.*, XIV, 1, 1960, 99-112.

ستارة الحلم

Écran du rêve
Eng.: Dream screen
D.: Traumhintergrund

■ أدخل ب. د. ليفين هذا المفهوم(1) الذي يذهب إلى أن: كل حلم يُسقط على ستارة بيضاء، لا يدركها الحالم عموماً، وترمز إلى ثدي الأم كما يقوم الطفل بهلوسته خلال النوم الذي يتلو إرضاعه؛ وتشبع الستارة الرغبة في النوم. وهي تظهر في بعض الأحلام (أي الحلم الأبيض) منفردة، محققة بذلك نكوصاً إلى النرجسية الأولية □.

(1) Lewin (B. D.). Sleep, the mouth and the dream screen, *The Psycho-Analytic Quarterly*, 1946, XV. Inferences from the dream screen, *I.J.P.*, XXIX, 4, 1948. Sleep, narcissistic neurosis and the analytic situation, *The Psycho-Analytic Quarterly*, 1954, IV.

سحب التوظيف

Désinvestissement
Eng.: Withdrawal of cathexis
D.: Entziehung (ou Abziehung) der Besetzung, Unbesetztheit.

■ إنه سحب التوظيف الذي سبق أن ارتبط بتصور، أو بمجموعة من التصورات، أو بموضوع، أو بركن من أركان الشخصية إلخ...
كما يشير كذلك إلى الحالة التي يصير عليها هذا التصور، بسبب سحب ذلك التوظيف، أو في غياب أي توظيف كان ■.

يُفترض سحب التوظيف في التحليل النفسي باعتباره الركيزة الإقتصادية لمختلف العمليات النفسية، وخصوصاً لأوالية الكبت. ويقرّ فرويد منذ البدء أن العامل المحدد لسحب التوظيف هو إنفصال مقدار العاطفة عن التصور. وهو يبين، في وصفه المنهجي للكبت، كيف يفترض الكبت البعديّ فقدان التصورات التي سبق لها أن كانت مقبولة في نظام ما قبل الوعي - الوعي، وبالتالي سبق لها أن كانت مجال توظيف انفعالي من قبله لشحنة الطاقة التي كانت موظفة فيها. ويمكن استخدام الطاقة التي أصبحت متوفرة على هذا الشكل في توظيف تكوين دفاعي (تكوين عكسي) يصبح موضوع توظيف مضاد(1).
كذلك هو شأن حالات النرجسية حيث يزداد توظيف الأنا طرداً مع سحب التوظيف من الموضوعات(2).

(1) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 279-80 ; S.E., XIV, 180-1 ; Fr., 118-21.
(2) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. *Passim*. G.W., X 138-70 ; S.E., XIV, 73-102.

سلسلة مكملة

Série Complémentaire
Eng.: Complemental series
D.: Ergänzungsreihe

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح لتبيان أسباب العصاب متجاوزاً بذلك البديلين اللذين نُرْغَمْ على الاختيار من بينهما،أي الخيار ما بين العوامل الخارجية المنشأ، أو العوامل الداخلية المنشأ : ذلك أن هذه العوامل تتكامل في الحقيقة فيا بينها بحيث قد يكون أي منها أكثر ضعفاً بمقدار ازدياد قوة الأخر ، وبحيث يمكن إدراج مجمل الحالات على سلّم يتغير فيه هذان النمطان من العوامل بشكل عكسي ؛ وبحيث لا نجد واحداً منها فاعلاً بمفرده إلا عند كل من طرفي السلسلة ■ .

تتأكد فكرة السلسلة المكملة بأوضح الصور في « دروس تمهيدية في التحليل النفسي ، عامي 1916 - 1917 » . وهي تتأكد بادىء ذي بدء في علاقتها بمسألة إنطلاق العصاب(1a) : فليس علينا أن نختار ، على المستوى السببي ، ما بين العامل الداخلي المتمثل بالتثبيت والعامل الخارجي المتمثل بالإحباط ؛ فهما يتغيران بشكل عكسي بالنسبة لبعضهما البعض : إذ تكفي صدمة طفيفة ، كي يثار العصاب ، حين يكون التثبيت قوياً ، والعكس بالعكس .

ومن الناحية الأخرى يمكن أن ينقسم التثبيت بدوره إلى عاملين مكملين هما : التكوين الوراثي ، والمعاش الطفلي(1b) . يتيح لنا مفهوم السلسلة المكملة إدراج كل حالة ضمن سلسلة ، تبعاً للنصيب النسبي لكل من التكوين (الجبلي) ، والتثبيت الطفلي ، والصدمات اللاحقة .

يستخدم فرويد فكرة السلسلة المكملة بشكل رئيسي لتبيان سببية العصاب ؛ ويمكن الرجوع إليها في مجالات أخرى تتدخل فيها أيضاً عوامل متعددة تتغير عكسياً بالنسبة لبعضها بعضاً .

(1) Cf. Freud (S.). *a)* G.W., XI, 359-60 ; S.E., XVI, 346-7 ; Fr., 373-4. — *b)* G.W., XI, 376 ; S.E., XVI, 362 Fr., 388-9.

ش

شبه عظامي (صفة) **Paranoïde (Adj.)**
Eng.: Paranoid
D.: Paranoid

■ أنظر لشرح هذا المصطلح المقالة بعنوان الوضعية شبه العظامية ، وكذلك التعليق على مصطلح العظام ■ .

شذوذ **Perversion**
Eng.: Perversion
D.: Perversion

■ هو إنحراف بالنسبة إلى الفعل الجنسي « السوي » والذي يعرّف على أنه جماع يرمي إلى الحصول على الإنعاظ (النشوة) من خلال الولوج التناسلي مع شخص من الجنس الآخر .
ويقال أن هناك شذوذاً (في الحالات التالية) : حين يتم الوصول إلى الإنعاظ مع موضوعات جنسية مخالفة (من مثل الجنسية المثلية ، واللواط ، ونكح الحيوان ، إلخ) . أو من خلال مناطق جسدية مغايرة (كالنكاح الشرجي على سبيل المثال) ؛ وكذلك حين يخضع الإنعاظ بشكل قسري لبعض الشروط الخارجية (من مثل التيميّة ، والنظار والمنتاك ، والسادومازوشية والتنكر بزي نسائي) ؛ وقد تؤدي هذه الشروط بحد ذاتها إلى اللذة الجنسية .
وبشكل أكثر شمولية ، نعتبر شذوذاً مجمل السلوك النفسي الجنسي الذي يتمشى مع هذه الإنحرافات عن النمط السوي في الحصول على اللذة الجنسية ■ .

1 ـ من الصعب تصور فكرة الشذوذ إلا من خلال الرجوع إلى معيار معين . يستخدم هذا المصطلح من قبل فرويد وحتى أيامنا هذه للدلالة على « إنحرافات » الغريزة بإعتبارها سلوكاً مكوناً

بشكل مسبق ، خاصاً بواحد من الأنواع الحية ، ويتصف بثبات نسبي من حيث أسلوب إنجازه وموضوعه .

يتوصل المؤلفون الذين يقولون بتعدد الغرائز الى إعطاء مدى واسعاً لهذا المصطلح ، وإلى مضاعفة أشكاله من : شذوذ « الحس الخلقي » (الفساد والضلال) شذوذ « الغرائز الإجتماعية » (القوادة) ، شذوذ غريزة الغذاء (الشره ، والكحال أي التعطش الذي لا يرتوي للأشربة الكحولية)(1) . ويشيع الحديث في نفس المسار الفكري ، عن الشذوذ أو بالأحرى عن الفسق والشر لوصف طباع وسلوك بعض الأشخاص الذين يبدون قسوة وسوءاً مفرطين (1) .

وأما في التحليل النفسي فلا يتم الكلام عن الشذوذ إلا بصدد الحياة الجنسية . وإذا كان فرويد يعترف بوجود نزوات أخرى غير جنسية ، فهو لا يتكلم عن الشذوذ بصددها . فهو يصف في المجال الذي يطلق عليه اسم نزوات حفظ الذات ، من مثل الجوع ، إضطرابات غذائية ، دون إستخدام مصطلح الشذوذ ، بينما يدل عليها العديد من المؤلفين بإعتبارها شذوذاً في غريزة التغذية . ترجع أمثال هذه الإضطرابات تبعاً لفرويد ، إلى انعكاس الجنسية على وظيفة التغذية (لبدنه أو توظيف ليبدي) ؛ حتى أنه ليمكننا القول بتعرّض هذه الوظيفة « للفساد » بتأثير من الجنسية .

2 ـ كانت الدراسة المنهجية لحالات الشذوذ الجنسي قائمة على قدم وساق حين بدأ فرويد بإرصان نظريته حول الجنسية [فهناك « علم النفس المرضي الجنسي » لصاحبه كرافت إيبنج عام 1893 ؛ وهناك « دراسات في سيكولوجية الجنس » لواضعها هافيلوك إلّيس ، عام 1897] . وإذا كانت تلك الأعمال قد وصفت مجمل أشكال الشذوذ الجنسي عند الراشدين ، فإن أصالة فرويد في هذا المضمار تكمن في أنه وجد في واقعة الشذوذ ، نقطة إرتكاز لإعادة النظر بالتعريف التقليدي للجنسية ، والذي يلخصه كما يلي : « . . . تنتفي النزوة الجنسية من حياة الطفل ، وتبرز أثناء البلوغ ، في علاقة وثيقة مع عملية النضج ، وتتجلى على شكل جاذبية لا تقاوم يمارسها أحد الجنسين على الآخر ، ويتلخص هدفها في الإتحاد الجنسي ، أو على الأقل في أعمال تنزع نحو هذا الهدف »(2a) . تؤدي بنا كثرة تكرار التصرفات المميزة بشذوذها ، وخصوصاً استمرارية الميول الشاذة التي قد تكمن وراء العارض العصابي ، أو تتكامل مع الفعل الجنسي السوي على شكل « لذة تمهيدية » ، إلى الفكرة القائلة بأن « . . . الإستهياء للشذوذ ليس شيئاً نادراً وخاصاً ، بل هو جزء لا يتجزأ من الجبلة التي تسمى سوية »(2b) ، وهو ما يثبته ويفسره وجود جنسية طفلية . ويمكن وصف هذه الجنسية على أنها « إستعداد شاذ متعدد الأوجه » نظراً لخضوعها لفعل النزوات الجزئية الوثيقة الإرتباط بتنوع المناطق المولدة للغلمة ، وباعتبارها تنمو قبل قيام الوظائف التناسلية الفعلية . يبدو الشذوذ عند الراشد ، من هذا المنظور ، كإستمرار لمركب جزئي من مركبات الجنسية أو عودة ظهوره ثانية . ولسوف يتيح لنا إقرار فرويد لاحقاً بمراحل من التنظيم الليبيدي وبتطور في اختيار الموضوع ، ضمن الجنسية الطفلية ، أن نحدد (هذا التعريف بمزيد من الدقة (إما تثبيت على إحدى المراحل ، أو تثبيت على نمط من اختيار الموضوع) : وهكذا يصبح الشذوذ عبارة عن نكوص إلى مرحلة سابقة من تثبيت الليبيدو .

3 ـ وهكذا نرى الآثار التي قد يرتبها المفهوم الفرويدي عن الجنسية ، على تعريف مصطلح

الشذوذ بحد ذاته . فالجنسية التي تسمى سوية ليست من معطيات الطبيعة الإنسانية : « . . . والإهتمام الجنسي القطعي الذي يبديه الرجل للمرأة ليس أمراً مفروغاً منه [. . .] ، بل هو مشكلة تحتاج إلى إيضاح »(2c) . وهكذا يبدو شذوذ كالجنسية المثلية على سبيل المثال ، كواحد من « تقلبات » الحياة الجنسية : « . . . إذ يرفض التحليل النفسي رفضاً قاطعاً القبول بأن الجنسيين المثليين يشكلون فئة لها خصائص قائمة بذاتها يمكن فصلها عن خصائص الأفراد الآخرين [. . .] . ولقد تمكن التحليل النفسي من إثبات قابلية كل الأفراد مهما كانوا ، على اختيار موضوع من نفس الجنس ، وأنهم قاموا جميعاً بهذا الاختيار في لاوعيهم »(2d) . وبالإمكان الذهاب أبعد من ذلك في هذا الإتجاه ، وتعريف الجنسية الإنسانية بأنها « شاذة » في أساسها ، بمقدار ما لا تنفصل نهائياً وبشكل كامل عن أصولها التي تجعلها تبحث عن الإشباع في « كسب اللذة » المرتبطة بوظائف أو نشاطات متوقفة على نزوات أخرى (أنظر : إستناد) ، وليس في نشاط نوعي خاص بها . وحتى في ممارسة الفعل التناسلي ذاته ، يكفي أن يتعلق الشخص بشكل مفرط باللذة التمهيدية كي ينزلق نحو الشذوذ(2e) .

4 ـ وما عدا ذلك ، يتكلم فرويد وكل المحللين النفسيين بالطبع عن الجنسية « السوية » . حتى ولو كانت الوضعية الشاذة المتعددة الأوجه تحدد كل الجنسية الطفلية ، وحتى ولو صودفت معظم حالات الشذوذ في النمو النفسي الجنسي لأي فرد ، حتى ولو كانت غاية هذا النمو ـ أي التنظيم التناسلي ـ « ليست أمراً مسلماً به » ، ولا يتوقف على طبيعة الشخص بل على تنسيق تاريخه ، إلا أن فكرة النمو نفسه تفترض معياراً معيناً

فهل يعني ذلك ، أن فرويد يعود فيجد المفهوم المعياري للجنسية الذي سبق له أن شكك فيه بشدة في بداية كتابه « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » ، من خلال إقامته على أسس تكوينية ؟ وهل يصنف كشذوذ ما كان يعتبر دوماً كذلك ؟

تجدر الإشارة بادىء ذي بدء إلى أنه إذا كان هناك من معيار بالنسبة لفرويد ، فإنه لا يبحث عنه مطلقاً في الإجماع الإجتماعي ، كما أنه لا يختزل الشذوذ إلى مجرد انحراف بالنسبة إلى الميل المركزي للجماعة الإجتماعية : فالجنسية المثلية ليست غير سوية لأنها مدانة اجتماعياً ، كما أنها لا تفقد طابعها الشاذ في المجتمعات ، أو في المجموعات التي تكون مقبولة وشائعة جداً فيها .

فهل أن بروز التنظيم التناسلي هو الذي يكرس السواء ، باعتباره يوحد الجنسية ويخضع النشاطات الجنسية الجزئية للفعل التناسلي ، مما يجعلها تصبح مجرد تمهيد له ؟ تلك هي الأطروحة الصريحة « للمقالات الثلاث حول نظرية الجنسية » تلك الأطروحة التي لن تترك أبداً بشكل نهائي ، حتى بعد أن أدى اكتشاف « التنظيمات » ما قبل التناسلية المتلاحقة ، إلى تضييق الفارق ما بين الجنسية الطفلية والجنسية الراشدة ؛ ذلك أن « . . . التنظيم لا يبلغ غايته إلا مع حلول المرحلة التناسلية »(3a) .

على أنه من المشروع التساؤل حول ما إذا كان الطابع المُوَحِّدْ والقيمة « الشمولية » وحدهما هما اللذان يعطيان للتناسلية دورها المعياري في مقابل النزوات « الجزئية » . ذلك أن العديد من حالات الشذوذ من مثل التيمية ، ومعظم أشكال الجنسية المثلية ، وحتى إقتراف الفعل الجنسي مع

المحارم ، تفترض جميعها في الواقع تنظيماً تحت إمرة المنطقة التناسلية . أوليس ذلك مؤشراً على أنه يجب البحث عن المعيار في مجال غير مجال النشاط التناسلي الفعلي ؟ تجدر الإشارة هنا إلى أن العبور إلى التنظيم التناسلي الكامل يفترض ، تبعاً لفرويد ، تجاوز عقدة الأوديب ، واستيعاب عقدة الخصاء ، والقبول بمنع المحارم . وتبيّن لنا أبحاث فرويد الأخيرة ، على كل حال ، كيف ترتبط التّيميّة « بإنكار » الخصاء .

5 ـ الكل يعرف تلك الصيغ الشهيرة التي تقارب وتعارض ما بين العصاب والشذوذ في آن معاً وهي : « العصاب هو شذوذ سلبي » ، إنه « الصورة السلبية عن الشذوذ »(2f) . وغالباً ما تقدم هذه الصيغ بشكلها المعكوس (أي الشذوذ هو الصورة السلبية عن العصاب) مما يجعل من الشذوذ التجلّي الخام وغير المكبوت للجنسية الطفلية . ولكن أبحاث فرويد والمحللين النفسيين حول الشذوذ تبينّ لنا أن حالات الشذوذ تشكل إصابات متطورة جداً في مستوى تمايزها . صحيح أن فرويد يجعلها غالباً نقيض الأعصبة بسبب غياب أوالية الكبت منها . ولكنه حاول أن يبيّن أن نماذج أخرى من الدفاع تتدخل فيها . وتؤكد أعماله الأخيرة حول التّيميّة(3b,4) على وجه الخصوص على تعقيد هذه النماذج الدفاعية : فإنكار الواقع ، وانشطار الأنا ، وخلافها ، هي أواليات ليست غريبة عن أواليات الذهان .

(أ) لاحظ البعض أن هناك غموضاً في الصفة « شاذ » التي تتطابق مع كل من الإسمين « الشذوذ » و« الفسق » .

(1) Cf. Bardenat (Ch.), article Perversions, in *Manuel alphabétique de psychiatrie*, Porot (A.), P.U.F., Paris, 1960.

(2) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* G.W., V, 33 ; S.E., VII, 135 ; Fr., 17 — *b)* G.W., V, 71 ; S.E., VII, 171 ; Fr., 61. — *c)* G.W., V, 44, n. 1 ; S.E., VII, 144, n 1 ; Fr., n. 13. — *d)* G.W., V, 44, n. 1 ; S.E., VII, 144, n. 1 ; Fr., n. 13. — *e)* Cf. G.W., V, 113-4 ; S.E., VII. 211-2 ; Fr., 118-9. — *f)* G.W., V, 65 et 132 ; S.E., VII, 165 et 231 ; Fr., 54 et 145.

(3) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 77 ; S.E., XXIII, 155 ; Fr., 16 — *b)* Cf. G.W., XVII, 133-5 ; S.E., XXIII, 202-4 ; Fr., 78-81.

(4) Cf. Freud (S.). *Die Ichspaltung im Abwehrvorgang*. 1938, G.W., XVII, 59-62 ; S.E., XXIII, 275-8.

Sentiment d'infériorité

شعور بالدونية

Eng.: Feeling or sense of inferiority

D.: Minderwertigkeitsgefühl

■ هو تبعاً لأدلر شعور يقوم على دونية عضوية فعلية . يحاول الفرد في عقدة الدونية أن يعوض عن قصوره بدرجاتٍ متفاوتة في نجاحها . يعطي أدلر لأوالية كهذه مدى سببياً عاماً جداً يصلح لمجمل الإصابات .

أما بالنسبة لفرويد ، فالشعور بالدونية ليس على علاقة إنتقائية مع الدونية العضوية . كما أنه ليس عاملاً سببياً نهائياً ، بل يجب اعتباره وتأويله كعارض ليس إلا ■ .

يتخذ مصطلح « الشعور بالدونية » نبرة أدلرية ، في أدبيات التحليل النفسي . إذ تحاول

نظرية أدلر أن تفسر الأعصبة والإصابات العقلية ، وتكوين الشخصية بشكل عام ، كردود فعل على دونية عضوية ، مهما ضؤل شأنها ، وسواء أكانت مظهرية أم وظيفية ، تظهر منذ الطفولة : « تولّد حالات القصور الجبليّ الطفلية ، وما شابهها من حالات ، شعوراً بالدونية يستلزم تعويضاً في اتجاه إعلاء شأن الشعور بالشخصية . فيصطنع الشخص هدفاً نهائياً ، وهمياً محضاً ، يتصف بإرادة القوة ويجر هذا الهدف [. . .] في أثره كل القوى النفسية »(1) .

ولقد بيّن فرويد ، في مناسبات عدة ، الطابع الجزئي ، الفقير وغير الكافي لهذه المفاهيم : « سواء أكان المرء لواطياً أم مغرماً بالجثث ، وسواء أكان هستيرياً يعاني من القلق ، أم هجاسياً حبيس عصابة ، أو مجنوناً هائجاً ، فإن أنصار علم النفس الفردي ، المستوحى من أدلر ، يدّعون في كل من هذه الحالات أن الدافع الذي يحكم حالته هو رغبة في إدعاء القيمة لنفسه ، وتعويض دونيته بشكل مفرط [. . .] »(2a) .

وإذا كانت هذه النظرية في العصاب مرفوضة من وجهة النظر السببية ، فإن ذلك لا يقود حتماً إلى القول بأن التحليل النفسي يتنكر لأهمية وتكرار الشعور بالدونية أو لوظيفته في ترابط تسلسل الدوافع النفسانية . ولقد أعطى فرويد بعض البيانات حول مصدر هذا الشعور ، بدون أن يعالج الموضوع بشكل منهجي : فالشعور بالدونية هو نتاج للضررين الحقيقيين أو الهواميين اللذين يمكن أن يلحقا بالطفل : أي فقدان الحب والخصاء : « يشعر الطفل ، كما الراشد ، بالدونية إذا لاحظ أنه لا يحظى بالحب . أما العضو الوحيد الذي يعتبر دونياً حقيقة فهو العضو الذكري المصاب بالضمور ، أي بظر البنت »(2b) .

يعبّر الشعور بالدونية ، على المستوى الإنبنائي ، عن التوتر بين الأنا والأنا الأعلى الذي يدينه . يشير هذا التفسير إلى القرابة ما بين الشعور بالدونية والشعور بالذنب ، ولكنه يجعل مهمة تحديد كل منهما عسيرة . ولقد حاول العديد من المؤلفين ،أثر فرويد، القيام بهذا التحديد . وهكذا يخصص دانيال لاجاش تابعية الشعور بالذنب إلى « نظام الأنا الأعلى - المثل الأعلى للأنا » أما الشعور بالدونية فيتبع الأنا المثالي(3) .

ويغلب التأكيد ، من وجهة نظر عيادية ، على أهمية مشاعر الذنب والدونية في مختلف أشكال الخور . حيث حاول ف. باش أن يميز من بينها نوعاً يشيع بكثرة في أيامنا هذه ، أطلق عليه إسم « خور الدونية »(4) .

(1) Adler (A.). *Über den nervösen Charakter*, 1912. Fr. : *Le tempérament nerveux*, Payot, Paris, 1955, 49.

(2) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1933. — *a)* G.W., XV, 152 ; S.E., XXII, 141 ; Fr., 193. — *b)* G.W., XV, 71 ; S.E., XXII, 65 ; Fr., 92-3.

(3) Lagache (D.). La psychanalyse et la structure de la personnalité, in *La psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1961, vol. VI, 40-8.

(4) Pasche (F.). De la dépression, in : *R.F.P.*, 1963, n° 2-3, 191.

شعور بالذنب

Sentiment de culpabilité
Eng.: Sense of Guilt, Guilt feeling
D.: Schuldgefühl

■ يستخدم هذا المصطلح في التحليل النفسي بشكل فضفاض .

فهو قد يدل على حالة عاطفية تتلو فعلاً يعتبره الشخص مدعاة للملامة، رغم أن تبرير هذه الملامة قد يتفاوت في مدى ملاءمته (من مثل ندامة المجرم ، أو توبيخ الذات بشكل غير معقول) ، أو هو يشير إلى شعور عائم بفقدان الإعتبار الذاتي بدون أن يكون ذلك على صلة بفعل محدد يتهم به الشخص ذاته .

ومن ناحية ثانية ، يفترض التحليل النفسي هذا الشعور بالذنب كنظام من الدوافع اللاواعية التي تفسر تصرفات الفشل ، والسلوك الجانح ، وكذلك الآلام ، والمعاناة التي ينزلها الشخص بنفسه ، الخ .

ولا يجوز استخدام كلمة شعور ، بهذا المعنى الأخير ، إلا بتحفظ ، طالما أن الشخص قد لا يشعر بأنه مذنب على مستوى تجربته الواعية ■ .

صودف الشعور بالذنب ، بادىء ذي بدء في العصاب الهجاسي أساساً ، على شكل ملامات يوجهها الهجاسي إلى ذاته ، وأفكار هجاسية يحاربها الشخص لأنها تبدو له موضع إدانة ، وأخيراً على شكل خجل يرتبط باجراءات الحماية ذاتها .

ومن الممكن أن نلاحظ ، أن الشعور بالذنب حتى على هذا المستوى يكون لا واعٍ جزئياً ، بالقدر الذي يجهل فيه الشخص الطبيعة الحقيقية لرغباته الفاعلة ، في هذه الحالة (وهي عدوانية أساساً) .

ولقد أفضت الدراسة التحليلية النفسية للسوداوية إلى نظرية أكثر بلورة للشعور بالذنب . إذ من المعلوم أن هذه الإصابة تتصف خصوصاً بإتهام الذات ، وتبخيس الذات مع نزعة إلى عقاب الذات قد يؤدي إلى الانتحار . ولقد بين فرويد في هذه الحالة أن هناك إنشطاراً في الأنا إلى مُتهِمْ (الأنا الأعلى) ومُتَهَمْ ، وينتج هذا الإنشطار بدوره عن علاقة ما بين ذاتية ، تتم بفعل عملية استدخال : « . . . فالملامة الذاتية هي ملامة موجهة الى موضوع الحب ، عادت فإنقلبت منه إلى الأنا الخاصة [. . .] ، فشكاوى [السوداوي] هي في حقيقتها شكاوى ضد آخر »(1a) .

أدى هذا الإستخلاص لفكرة الأنا الأعلى بفرويد إلى إعطائه للشعور بالذنب دوراً أعم في الصراع الدفاعي . وهو يعترف منذ مقالته « الحداد والسوداوية عام 1917 » أنه « . . . بإمكان الركن المتقد المنفصل هنا عن الأنا بواسطة الإنشطار ، أن يبرهن عن استقلاليته ، في ظروف أخرى »(1b) . . . ، كما أنه ينكبّ في الفصل الخامس من كتابه « الأنا والهو عام 1923 » ، ذلك الفصل الذي خصصه لدراسة « . . . علاقات إعتماد الأنا » على التمييز ما بين النماذج المختلفة للشعور بالذنب بدءاً بشكله العادي وانتهاءً بتعبيراته المختلفة في مجمل البنى المرضية النفسية(2a) .

وهكذا يؤدي تمايز الأنا الأعلى كركن ناقد ومعاقب تجاه الأنا إلى إدخال الذنب كعلاقة ما بين النظم ضمن الجهاز النفسي : « فالشعور بالذنب هو ذلك الإدراك الذي يتطابق في الأنا مع الإنتقاد الصادر عن [الأنا الأعلى] »(2b) .

يأخذ تعبير « الشعور بالذنب اللاواعي » في هذا المنظور معنىً أكثر جذرية مما لو أشار إلى شعور مدفوع بدافع لا واعٍ : فعلاقة الأنا الأعلى بالأنا هي التي يمكن أن تكون الأن لا واعية وتترجم بآثار ذاتية يكاد يغيب عنها أي إحساس واعٍ بالذنب . وهكذا « . . . فبالإمكان أن نبين (عند بعض الجانحين) وجود شعور قوي بالذنب سابق على الجنحة ، وبالتالي فهو الدافع اليها وليس نتيجة لها ، وكأن الشخص يشعر بالإرتياح حين يتمكن من ربط هذا الشعور اللاواعي بالذنب بشيء واقعي وراهن »(2c) .

ولم تغبْ عن بال فرويد المفارقة التي يتضمنها الكلام عن « شعور لا واعٍ بالذنب » . فلقد أقرَّ في هذا المنحى ، أن مصطلح الحاجة إلى العقاب قد يبدو أكثر ملاءمة(3) ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هذا المصطلح الأخير (أي الحاجة إلى العقاب) قد يعني ، إذ أُخذ بمعناه الجذري ، قوة تميل إلى القضاء على الشخص ، قوة قد لا يكون بالإمكان ردها إلى مجرد توتر بين الأنظمة ، بينما أن الشعور بالذنب ، يرتد دوماً ، وسواء أكان واعياً أم لا واعٍ ، إلى نفس العلاقة الموقعية : أي العلاقة بين الأنا والأنا الأعلى التي هي إحدى مخلفات عقدة الأوديب : « يمكن تقديم الفرضية القائلة بأن جزءاً كبيراً من الشعور بالذنب يتحتم أن يكون عادة لا واعياً نظراً لإرتباط ظهور الضمير الخلقي بشكل وثيق بعقدة الأوديب التي تمتُّ إلى اللاوعي »(2d) .

(1) Freud (S.). *Trauer und Melancholie*, 1917. — *a)* G.W., X, 434 ; S.E., XIV, 248 ; Fr., 201. — *b)* G.W., X, 433 ; S.E., XIV, 247 ; Fr., 199.

(2) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., XIII, 276-89 ; S.E., XIX, 48-59 ; Fr., 205-18. — *b)* G.W., XIII, 282 ; S.E., XIX, 53 ; Fr., 211. — *c)* G.W., XIII, 282 ; S.E., XIX, 52 ; Fr., 210 — *d)* G.W., XIII, 281 ; S.E., XIX, 52 ; Fr., 210.

(3) Cf. Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. G.W., XIII, 379 ; S.E., XIX, 166 : Fr., 219.

شهوة العضو الذكري

Envie de pénis
Eng.: Penis envy
D.: Penisneid

■ إنها عنصر أساسي في الجنسية الأنثوية والقوة المحركة لجدليتها .

تنشأ شهوة العضو الذكري من إكتشاف الفروق التشراحية بين الجنسين : فتشعر البنت بالغبن بالنسبة للصبي وترغب في امتلاك عضو ذكري مثله (عقدة الخصاء) ، ومن ثمّ تأخذ شهوة العضو الذكري هذه خلال مرحلة الأوديب شكلين مشتقين منها : أولهما الشهوة في حيازة العضو الذكري داخل ذاتها (على شكل رغبة في امتلاك طفل أساساً) ؛ وثانيهما شهوة الاستمتاع بالعضو الذكري خلال الجماع .

وقد تؤدي شهوة العضو الذكري إلى العديد من الأشكال المرضية أو المتسامية ■ .

أخذت فكرة شهوة العضو الذكري أهمية متزايدة في نظرية فرويد بمقدار توصله إلى التخصيص النوعي للجنسية الأنثوية التي اعتبرت ضمنياً في البداية متناظرة مع جنسية الصبي .

ولا يتضمن كتاب « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » الذي تركزت طبعته الأولى حول تطور جنسية الصبي، أي إشارة إلى شهوة العضو الذكري . إذ لا يظهر أول تلميح لها إلا عام 1908 ، في المقالة حول « النظريات الجنسية الطفلية » ؛ حيث يشير فرويد إلى الإهتمام الذي تبديه البنت الصغيرة بقضيب الصبي ، وهو إهتمام « ... تحكمه الشهوة [...] . وحين تعبر البنت عن الرغبة التالية « أنا أفضّل أن أكون صبياً » ، فاننا نعلم ما هو النقص الذي تحاول هذه الرغبة إصلاحه »(1) .

يظهر أن مصطلح « شهوة العضو الذكري » كان قد أصبح مقبولاً في العرف التحليلي حين أشار إليه فرويد في العام 1914 (2) للدلالة على تجليات عقدة الخصاء عند البنت .

ولا يدل فرويد في مقالته حول « تنقلات النزوة ، وخصوصاً الغلمة الشرجية عام 1917 » بتعبير « شهوة العضو الذكري » على مجرد الرغبة الأنثوية في امتلاك قضيب كالصبي ؛ بل هو يبين أيضاً : تحولاتها الرئيسية أي : الرغبة بالحصول على الطفل تبعاً للمعادلة الرمزية ما بين العضو الذكري والطفل ، والرغبة في الرجل باعتباره « زائدة تابعة للعضو الذكري »(3) .

يفرد المفهوم الفرويدي حول الجنسية الأنثوية(4) ، مكانة أساسية لشهوة العضو الذكري في التطور النفسي الجنسي نحو الأنوثة ، والذي يفترض تغيراً في المنطقة المولدة للغلمة (من البظر إلى المهبل) وتغيراً في الموضوع (حيث يترك التعلق ما قبل الأوديبي بالأم مكانه لحب الأب أوديبياً) . وتلعب كل من عقدة الخصاء وشهوة العضو الذكري دوراً مفصلياً ، وعلى مستويات مختلفة ، في هذا التغيير :

أ ـ فهناك نقمة على الأم التي لم تمحض البنت بعضو ذكري ؛
ب ـ وهناك تبخيس للأم التي تبدو هكذا وكأنها مخصية ؛
جـ ـ وهناك العزوف عن النشاط القضيبي (الإستمناء البظري) مع بروز غلبة السلبية ؛
د ـ وهناك التعادل الرمزي ما بين القضيب وبين الطفل .

« ولا شك أن الرغبة التي تتوجه بها البنت الصغيرة إلى أبيها هي في الأصل الرغبة بالعضو الذكري الذي منعته الأم عنها ، والتي تأمل الآن في الحصول عليه من الأب . على أن الوضعية الأنثوية لا تترسخ إلا حين تحل الرغبة بالطفل محل الرغبة بالعضو الذكري ، وحين يأتي الطفل مكان القضيب تبعاً للتعادل الرمزي القديم بينهما »(5a) .

ولقد بين فرويد في مناسبات عدة ، ما يمكن أن يطل من شهوة العضو الذكري سواء في الطبع (من مثل « عقدة الذكورة ») أم في الأعراض العصابية عند المرأة . وعلى العموم ، فإننا حين نتكلم عن شهوة العضو الذكري ، فإننا نلمح إلى هذه البقايا الراشدة ، والتي يعثر عليها التحليل النفسي وراء أكثر الأشكال تمويهاً .

وأخيراً أشار فرويد ، الذي بيّن كيف تستمر شهوة العضو الذكري في اللاوعي ، خلف

مظاهر العزوف البادية ، في إحدى آخر كتاباته إلى ما يمكن أن تمثله هذه الشهوة من إستعصاء على التحليل(6) .

●●●

يحمل تعبير « شهوة العضو الذكري » كما رأينا إلتباساً أشار إليه جونز وحاول جلاءه من خلال التمييز ما بين معانٍ ثلاثة :

« أ ـ الرغبة في الحصول على عضو ذكري ، من خلال ابتلاعه عادة ، والرغبة في الاحتفاظ به داخل الجسد من خلال تحويله غالباً إلى طفل ؛

« ب ـ الرغبة في امتلاك عضو ذكري في المنطقة البظرية [. . .] ؛

« جـ ـ والرغبة الراشدة بالاستمتاع بالعضو الذكري في الجماع »(7) .

ومهما كانت فائدة هذا التمييز ، فإنها لا يجوز أن تقودنا إلى اعتبار هذه الكيفيات الثلاث من شهوة العضو الذكري غريبة عن بعضها البعض . ذلك أن مفهوم التحليل النفسي عن جنسية المرأة ، يميل تحديداً إلى وصف المسالك والمعادلات التي تربط فيما بين هذه التمييزات (أ) .

●●●

ناقش العديد من الكتّاب (من أمثال كارن هورني ، وهيلين دويتش ، وأرنست جونز ، وميلاني كلاين) الأطروحة الفرويدية التي تجعل من شهوة العضو الذكري مُعطى أولياً ، وليس مجرد تكويناً مبنياً أو مستخدماً بشكل ثانوي لاستبعاد رغبات أكثر بدائية . وبدون الرغبة في تلخيص هذه المناقشة الهامة ، نكتفي بالإشارة إلى أن تمسك فرويد بأطروحته هذه يجد الدافع إليه في الوظيفة المركزية ، التي يختص بها القضيب عند كلا الجنسين (أنظر : مرحلة قضيبية ؛ قضيب) .

(أ) نصادف في بعض مقاطع كتابات فرويد تعبيرين هما : شهوة العضو الذكري ، والرغبة في العضو الذكري ، مع تعذر إمكانية تبيان الإختلاف في استعماله لكل منهما (كما نرى في « ملحق لمحاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عام 1932 »)(5b) .

(1) Freud (S.). G.W., VII, 180 ; S.E., IX, 218.

(2) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 159 ; S.E., XIV, 92.

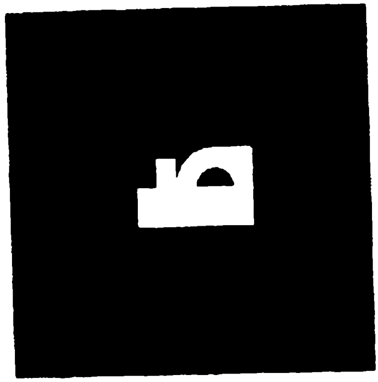
(3). Freud (S.). G.W., X, 405 ; S.E., XVII, 129.

(4) Cf. plus particulièrement : Freud (S.). *Einige psychische Folgen des anatomischen Geschlechtsunterschieds*, 1925. *Über die weibliche Sexualität*, 1931. *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. — Mack Brunswick (R.). *The Preœdipal Phase of the Libido Development*, 1940, in : *Psa. Read.*

(5) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. — *a)* G.W., XV, 137 ; S.E., XXII, 128 ; Fr., 175. — *b)* G.W., XV, 137-9 ; S.E., XXII, 128-30 ; Fr., 175-7.

(6) Cf. Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. G.W., XVI, 97-8 ; S.E., XXIII, 250-1 ; Fr., 35-7.

(7) Jones (E.). *The Phallic Phase*, 1932. In *Papers on Psychoanalysis*, Baillière, Londres, 5e éd., 1950, 469.



صاد الإثارات **Pare- Excitations**

Eng. : Protective shield

D. : Reizschutz

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح في إطار نموذج نفسي فسيولوجي للدلالة على وظيفة معينة وعلى الجهاز الذي يسندها . تتلخص هذه الوظيفة في حماية المتعضى من الإثارات الآتية من العالم الخارجي والتي يمكن أن تدمره نتيجة لشدتها. وأما الجهاز فيتصور على غرار طبقة سطحية تغلّف المتعضى وتصفي الإثارات بشكل فاتر . ■

يعني مصطلح Reizschutz حرفياً الحماية من الإثارات ؛ وهو مصطلح يقدمه فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » ، ويستعمله خصوصاً في « ملاحظة حول « المفكرة السحرية » عام 1925 » ، وفي « الصد ، العارض ، والقلق عام 1926 » ، ليبين من خلاله إحدى الوظائف الوقائية ، وكذلك كي يدل خصوصاً على أحد الأجهزة المتخصصة (في هذا المضمار) ولا يلجأ المترجمون الإنجليز والفرنسيون دوماً إلى نفس المصطلح للدلالة على هذه الإستخدامات المختلفة . ونحن نعتقد أنه من الأفضل من أجل مزيد من توضيح هذا المفهوم ، البحث عن مُعادل للمصطلح الفرويدي ونقترح من أجل ذلك مصطلح Pare-excitations صادّ الإثارات .

إنطلاقاً من « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » يفترض فرويد وجود أجهزة واقية في مجابهة الإثارات الخارجية . ذلك أن كميات الطاقة الفاعلة في العالم الخارجي ليست من نفس مستوى كبر تلك الكميات التي يقوم الجهاز النفسي بتصريفها : ومن هنا تنبع ضرورة وجود « أجهزة أطراف عصبية » على الحدود ما بين الخارج والداخل ، « . . . لا تدع إلا شطراً من الكميات ذات المصدر الخارجي يمر »(1) . ولا ضرورة لأجهزة كهذه في مجابهة الإثارات الصادرة عن داخل الجسد ، لأن الكميات الفاعلة (في هذه الحالة) هي هنا من نفس مستوى حجم تلك التي تسري ما بين العصبونات .

وتجدر الإشارة إلى أن فرويد يربط وجود الأجهزة الواقية بالميل الأصلي لحفاظ النظام العصبي على كمية صفر (من الإثارة) (أنظر : مبدأ القصور) .

يستند فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة » بغية إعطاء نظرية عن الصدمة ، إلى التصور المبسط لنشاط الحويصلة الحية . اذ يتعين عليها ، كي تحافظ على بقائها ، أن تحيط ذاتها بطبقة واقية تفقد صفاتها كمادة حية ، متحولة بذلك إلى حاجز تتلخص وظيفته في حماية الحويصلة من الإثارات الخارجية التي تتجاوز في قوتها ، بما لا يقاس ، الطاقات المتوفرة داخل النظام ، في نفس الوقت الذي تترك فيه هذه الإثارات الخارجية تعبر إلى الداخل بمقادير متناسبة مع شدتها ، مما يتيح للمتعضي تلقي معلومات من العالم الخارجي . ويمكن تعريف الصدمة ، في مرحلتها الأولى ، من خلال هذا المنظور ، كعملية إختراق كبرى للغلاف الصاد للإثارات .

وتندرج فرضية وجود صاد للإثارات ضمن مفهوم موقعي : حيث توجد تحت هذه الطبقة الواقية ، طبقة ثانية ، هي الطبقة المستقْبِلَةْ ، يعرّفها فرويد في « ما فوق مبْدأ اللذة » ، على أنها نظام الإدراك ـ الوعي . ويقارن فرويد هذه البنية المتعددة الطبقات ببنية « دفتر مذكرات سحري » .

وتجدر الملاحظة بأنه إذا كان فرويد ينكر ، في النصوص التي ذكرناها وجود وقاية ضد الإثارات الداخلية ، فذلك لأنه كان يصف (في تلك النصوص) الجهاز النفسي في مرحلة سابقة منطقياً على تشكيل الدفاعات .

فما هو المعنى الذي يمكن إعطاؤه لصاد الإثارات ؟ يتعين علينا من أجل الإجابة على هذا السؤال ، علاج مجمل مشكلة القيمة التي يجب إعطاؤها للنماذج الفسيولوجية . وسنقتصر هنا على الإشارة إلى أن فرويد يعطيه غالباً معنى مادياً : فهو يومىء في « المشروع » إلى الأعضاء الحسية المُسْتَقْبِلَةْ ؛ بينما يضع أعضاء الحواس في « ما فوق مبدأ اللذة » تحت « صاد الإثارات لمجمل الجسد » الذي يبدو عندها وكأنه غشاء (عازل)(2) . ولكنه يعطي صاد الإثارات أيضاً معنى نفسياً أعرض ، لا يتضمّن سنداً جسدياً محدداً ، ويصل حد الإعتراف له بدور وظيفي محض : فالوقاية من الإثارات تتأمن من خلال توظيف نظام الإدراك ـ الوعي وسحب التوظيف منه دورياً . وهكذا فلا ينتقي هذا النظام سوى « عيّنات » من العالم الخارجي . وهكذا لا تنتج تجزئة الإثارات عندها ، عن جهاز مكاني محض ، بل هي تنتج عن أسلوب في النشاط الوظيفي الزمني يؤمن حالة من « عدم قابلية الإثارة الدورية »(3) .

(1) Freud (S.). All., 390 ; Angl., 367 ; Fr., 325.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 27 ; S.E., XVIII, 28 ; Fr., 31.
(3) Freud (S.). *Notiz über den « Wunderblock »*, 1925. G.W., XIV, 8 ; S.E., XIX, 231

صدمة (نفسية) ، هلع Trauma ou trumatisme (Psychique)

Eng. : Trauma

D. : Trauma

■ هي حدث في حياة الشخص ، يتحدد بشدته ، وبالعجز الذي يجد الشخص فيه نفسه عن الإستجابة الملائمة حياله ، وبما يثيره في التنظيم النفسي من إضطراب وآثار دائمة مولدة للمرض .

تتصف الصدمة ، من الناحية الإقتصادية ، بفيض من الإثارات تكون مفرطة ، بالنسبة لطاقة الشخص على الإحتمال وبالنسبة لكفاءته في السيطرة على هذه الإثارات وإرصانها نفسياً ■ .

الصدمة ، والصدمي هي تعابير مستعملة قديماً في الطب والجراحة . تدلّ كلمة صدمة Trauma التي تعني الجرح في اليونانية وتشتق من فعل ثقب ، على جرح مع كسر ؛ ومن مرادفاتها بالفرنسية Traumatisme المخصصة على الأدق ، للحديث عن الآثار ، التي يتركها جرح ناتج عن عنف خارجي ، على مجمل المتعضي . ولا تبرز دوماً فكرة تمزق أو إصابة الغشاء الجلدي ؛ إذ يصار إلى الحديث مثلاً عن « الصدمات الجمجمية ـ الدماغية المقفلة » . كما لوحظ أن مصطلحي Traumatisme Trauma يستعملان في الطب كمترادفين .

ولقد إقتبس التحليل النفسي هذين المصطلحين (مع أننا لا نصادف عند فرويد سوى كلمة صدمة Trauma) ناقلاً إلى الصعيد النفسي للمعاني الثلاثة التي يتضمنانها أي معنى : الصدمة العنيفة ، ومعنى الكسر أو الإصابة ، ومعنى الآثار على مجمل المتعضي .

* * *

تحيلنا فكرة الصدمة بادىء ذي بدء ، إلى المفهوم الإقتصادي ، كما أشار فرويد نفسه إلى ذلك : « نطلق تسمية صدمة على تجربة معاشة تحمل معها ، للحياة النفسية ، وخلال وقت قصير نسبياً ، زيادة كبيرة جداً في الإثارة لدرجة أن تصفيتها أو إرصانها بالوسائل السوية والمألوفة تنتهي بالفشل ، مما يجر معه لا محالة إضطرابات دائمة في قيام الطاقة الحيوية بوظيفتها »(1a) . يصبح فيض الإثارة مفرطاً بالنسبة لطاقة الجهاز النفسي على الإحتمال ، سواء أنتج ذلك عن حدث فريد بالغ العنف (إنفعال شديد) ، أو عن تراكم إثارات تظل محتملة إذا أخذت كل منها بمعزل عما عداها ؛ وهذا ما يؤدي إلى فشل مبدأ الثبات ، على إعتبار أن الجهاز غير قادر على تفريغ الإثارة .

قدم فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » تصويراً تشبيهياً عن هذه الحالة من خلال بحثها على مستوى العلاقة الأولية بين المتعضي ومحيطه : تتجنب « الحويصلة الحية » الإثارات الخارجية بفضل طبقة واقية ، أو نوع من مانعة ـ الإثارات التي لا تترك إلا كميات محتملة من الإثارة تمر إليها . ولو حدث أن تعرضت هذه الطبقة لإختراق واسع ، فستتولد الصدمة : وتصبح مهمة الجهاز عندها تعبئة كل القوى المتوفرة من أجل إقامة توظيفات ـ مضادة ، وتثبيت كميات الإثارة الفائضة في مكانها مما يسمح بإستعادة شروط قيام مبدأ اللذة بنشاطه الوظيفي .

* * *

من الشائع تقليدياً تمييز بدايات التحليل النفسي (ما بين 1890 و 1897) على النحو التالي : تُردّ

أسباب العصاب ، على المستوى النظري ، إلى تجارب صدمية ماضية ، وبمقدار تعمق الإستقصاءات التحليلية النفسية فإن تاريخ حدوث هذه التجارب كان يرد ، في مسار تنازلي مضطرد ، من سن الرشد إلى الطفولة ؛ وأما فعالية العلاج ، على المستوى الفني ، فكانت تقوم على تصريف التجارب الصدمية وإرصانها النفسي . كما أنه من الشائع الإشارة تقليدياً إلى أن مفهوماً كهذا تراجع تدريجياً إلى المكان الثاني .

في تلك الفترة من نشأة التحليل النفسي ، كانت الصدمة تصف في البداية حادثاً ذاتياً من تاريخ الشخص بالإمكان تحديد الفترة التي حدث فيها ويحتل مكانة هامة على المستوى الذاتي نظراً لما يمكن أن يثيره من عواطف مؤلمة . ولا يمكن الحديث عن أحداث صدمية بالمطلق ، بدون بحث « قابلية التأثر » الخاصة بالشخص المعني . ولا بد من توافر شروط موضوعية ، كي تكون هناك صدمة بالمعنى الدقيق للكلمة ، أي عدم تصريف التجربة التي تظل عندها في النفس « كجسم غريب » . وبالطبع ، يمكن للحدث أن يمنع « بطبيعته » تصريفاً كاملاً (من مثل « فقدان كائن عزيز لا يمكن تعويضه ») ؛ ولكن ما عدا هذه الحالة ـ الحدية ، فإن هناك ظروفاً نوعية هي التي تضمن للحدث قيمته الصدمية : قد تكون شروطاً نفسية خاصة يجد الشخص نفسه فيها خلال الحدث (الحالة التنويمية عند بروير) ، وقد تكون حالة أمر واقع ـ ظروف إجتماعية ، متطلبات عملية أومهنية راهنة ـ تمنع أو تعيق الإستجابة الملائمة (« حصر ») ، وقد تكون أخيراً وخصوصاً ، تبعاً لفرويد ، صراعاً نفسياً يمنع الشخص من مكاملة التجربة التي وقعت له في شخصيته الواعية (دفاع) . ويشير كل من بروير وفرويد أيضاً ، إلى أنه بإمكان سلسلة من الأحداث أن تضم آثارها إلى بعضها البعض (« التضافر ») ، مع أن كلاً منها بمفرده لا يسبب الصدمة (2a) .

يلاحظ من تنوع الشروط التي أوضحتها « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » أن القاسم المشترك هو العامل الإقتصادي ، ذلك أن نتائج الصدمة تبدو على شكل عجز الجهاز النفسي عن تصفية الإثارات تبعاً لمبدأ الثبات . وهكذا يصبح ممكناً تصور قيام سلسلة كاملة ، تتراوح ما بين الحدث الذي يشتق فعاليته المولدة للمرض من عنفه ، ومن فجائيته (الحوادث مثلاً) ، وبين الحدث الذي لا يجد فعاليته إلا من خلال وقوعه على تنظيم نفسي يحمل في طياته مسبقاً نقاط تصدعه الخاصة به .

***

لا يُبطل إعطاء فرويد الأهمية للصراع الدفاعي في نشأة الهستيريا وفي « حالات نفاس الدفاع » عموماً وظيفة الصدمة ، بل يجعل النظرية الخاصة بها أكثر تعقيداً . إذ يجدر بادىء ذي بدء أن نلاحظ تأكيد الأطروحة القائلة بأن الصدمة هي جنسية أساساً خلال الأعوام 1895 -1897 ، وهي نفس الفترة التي إكتشف فيها أن الصدمة الأصلية تعود إلى فترة ما قبل البلوغ .

ولسنا هنا بصدد عرض منهجي للمفهوم الذي تبناه فرويد في حينه حول تمفصل العلاقة ما بين فكرتي الصدمة والدفاع ، نظراً للتطور الدائم لآرائه حول أسباب حالات النفاس ونشأتها . على أن هناك نصوصاً عديدة من تلك المرحلة (3، 4) تعرض ، أو تفترض أطروحة محددة تحاول أن تفسّر لنا كيف أن الحدث الصدمي يطلق « دفاعاً مرضياً » من جانب الأنا ، ينشط تبعاً لنظام

العمليات الأولية ـ ويجد نموذجه في تلك الفترة تبعاً لفرويد في الكبت ـ وذلك بدلاً عن الدفاعات السوية التي يشيع إستخدامها عادة ضد الأحداث المؤلمة (من مثل صرف الإنتباه عن الحدث) .

وهكذا تجزأ عمل الصدمة إلى عناصر عدة ويفترض دوماً وجود حدثين على الأقل : يتعرض الطفل ، في المشهد الأول ، الذي يسمى مشهد الغواية ، إلى إغراء جنسي من قبل الراشد ، بدون أن يولد عنده هذا الإغراء إثارة جنسية ؛ وبعد البلوغ ، يأتي مشهد ثان يغلب أن يكون عديم الأهمية ظاهرياً كي يوقظ المشهد الأول من خلال إحدى السمات الترابطية بينهما . ذكرى المشهد الأول هي التي تطلق فيضاً من الإثارة الجنسية التي تطغى على دفاعات الأنا . وإذا سمىّ فرويد المشهد الأول صدمياً فمن الواضح ، من وجهة نظر إقتصادية محضة ، أن هذه القيمة الصدمية لا تعطى للمشهد إلا بشكل بعدي ؛ أو أن : المشهد الأول لا يصبح فيما بعد مولداً للمرض ، إلا على شكل ذكرى ، وبمقدار فيض الإثارة الداخلية التي يطلقها . تعطى هذه النظرية للصيغة الشهيرة الواردة في « دراسات حول الهستيريا » والقائلة بأن « . . . الهستيريين يعانون خصوصاً من أطياف الذكرى »(2 b) كامل معناها .

ونرى في نفس الوقت كيف يتحدد تقدير الدور الذي يلعبه الحدث الخارجي بمزيد من الدقة . فتخفتْ فكرة الصدمة النفسية المنسوخة عن نموذج الصدمة الفيزيقية ، لأن المشهد الثاني لا يؤثر من خلال طاقته الذاتية ، بل يؤثر تحديداً لأنه يوقظ إثارة ذات مصدر داخلي . وبهذا المعنى ، يفتح مفهوم فرويد الذي نلخصه هنا ، الطريق أمام الفكرة القائلة بأن الأحداث الخارجية تستمد فعاليتها مما تحركه من هوامات ، ومما تطلقه من فيض الإثارة النزوية . ولكننا نرى من ناحية أخرى ، أن فرويد لم يكتف في تلك الفترة ، بوصف الصدمة على أنها إيقاظ إثارة داخلية من خلال حدث خارجي يشكل مجرد سبب مفجّر ؛ بل هو يشعر بضرورة رد هذا الحدث بدوره إلى حدث آخر سابق عليه يشكل منطلق كل العملية (أنظر : غواية) .

* * *

وفي السنوات التي تلت ذلك ، تراجع مدى التأثير السببي للصدمة لصالح الحياة الهوامية ، والتثبيتات على مختلف المراحل اللبيدية . وإذا لم يتم التخلي عن « وجهة النظر الصدمية » كما يشير إلى ذلك فرويد نفسه(1 b) ، فانها أدمجت في مفهوم يفسح السبيل أمام تدخل عوامل أخرى من مثل الجبلة والتاريخ الطفلي . تشكل الصدمة التي تفجر العصاب عند الراشد ، سلسلة متكاملة مع الإستهياء ، ويشمل هذا الإستهياء بدوره عاملين مكملين داخلي وخارجي :

الأسباب المولدة للعصاب = إستهياء من خلال تثبيت اللبيدو + حادث إصابة (صدمة) .

جبلة جنسية
(أحداث ما قبل تاريخية)

أحداث طفلية

يلاحظ في هذا الرسم الذي قدمه فرويد في « دروس تمهيدية في التحليل النفسي ما بين عامي 1915- 1917 »(1 c) ، أن مصطلح الصدمة يدل على حادث يأتي في خطوة تالية ، ولا يدل على

التجارب الطفلية التي تقوم عليها التثبيتات . وهكذا ينحسر مدى تأثير الصدمة وتقل أصالتها في آن معاً : إذ ينزع دورها في إطلاق العصاب ، إلى أن يُردّ إلى دور شبيه بما أطلق عليه فرويد في صياغات أخرى ، إسم (الإحباط) .

ولكن في نفس الوقت الذي أصبح فيه دور « النظرية الصدمية للعصاب » نسبياً ، يأتي وجود أعصبة الحوادث ، ومن بينها خصوصاً أعصبة الحرب كي يضع في المقام الأول من إهتمامات فرويد مشكلة الصدمة بشكلها العيادي المسمى « الأعصبة الصدمية » .

يشهد كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » على هذا الإهتمام من الناحية النظرية . تؤدي العودة إلى التعريف الإقتصادي للصدمة كإصابة ، بفرويد إلى إفتراض مؤداه أن الفيض المفرط للإثارة يخرج مبدأ اللذة مباشرة من دائرة التأثير ، مجبراً بذلك الجهاز النفسي على القيام بمهمة أكثر إلحاحاً « هي ما فوق مبدأ اللذة » ، وتتلخص هذه المهمة في ربط الإثارات بشكل يسمح بتصريفها لاحقاً . يُردّ تكرار الأحلام حيث يعيش الشخص الحادث بزخمه ويجد نفسه من جديد في الوضعية الصدمية وكأنه يرمي إلى السيطرة عليها، إلى حالة من إضطرار التكرار . وبشكل عام ، توضح لنا مجمل الظواهر العيادية التي يرى فيها فرويد هذا الإضطرار نشطاً ، أن مبدأ اللذة ، يشترط توفر بعض الشروط ، كي يمكنه القيام بوظيفته ، وتأتي الصدمة كي تلغي هذه الشروط ، بإعتبار أنها ليست مجرد إضطراب في الإقتصاد الليبيدي ، بل تصل إلى مستوى أكثر جذرية كي تهدد تكامل الشخص (أنظر : إرتباط) .

***

وفي النهاية تعود فكرة الصدمة إلى إحتلال قيمة متزايدة ، في نظرية القلق ، كما تجددت في « الصد ، العارض ، والقلق عام1926 » وفي النظرية الموقعية الثانية بشكل عام ، وذلك بصرف النظر عن أي رجوع إلى العصاب الصدمي بحد ذاته . يحاول الأنا ، من خلال إطلاق إشارة القلق ، تجنب طغيان القلق الآلي الذي يميز الوضعية الصدمية التي يكون فيها بلا حول (أنظر : عجز [حالة العجز]) . يعيد هذا المفهوم نوعاً من التناظر ما بين الخطر الخارجي والخطر الداخلي : يتعرض الأنا للهجوم من الداخل ، أي من قبل الإثارات النزوية ، تماماً كما هو معرض للهجوم من الخارج . وهكذا لم يعد نموذج الحويصلة المبسط كما قدمه فرويد في « ما فوق مبدأ اللذة » ، (أنظر : أعلاه) ، صالحاً .

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن فرويد في بحثه عن نواة الخطر ، يجدها تكمن في ازدياد التوتر الناتج عن فيض الإثارات الداخلية التي تتطلب التصريف ، إلى الحد الذي يتجاوز طاقة إحتمال (الشخص) . وهذا ما يوضح في نهاية المطاف « صدمة الميلاد » تبعاً لفرويد .

(1) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1915-17. — *a)* G.W., XI, 284 ; S.E., XVI, 275 ; Fr., 298. — *b)* Cf. G.W., XI, 285 ; S.E., XVI, 276 ; Fr., 299. — *c)* Cf. G.W., XI, 376 ; S.E., XVI, 362 ; Fr., 389.

(2) Cf. Breuer (J.) et Freud (S.). *Über den psychischen Mechanismus hysterischer Phänomene. Vorläufige Mitteilung*, 1893. — *a)* G.W., I, 86-90 ; S.E., II, 8-11 ; Fr., 5-8. — *b)* G.W., I, 86 ; S.E., II, 7 ; Fr., 5.

(3) Cf. notamment : Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 156-66 et 432-6 ; Angl., 146-55 et 410-4 ; Fr., 129-137 et 363-7.

صراع نفسي ، مأزم نفسي

Conflit psychique
Eng.: Psychical conflict
D. : Psychischer Konflikt

■ نتحدث عن الصراع ، في التحليل النفسي ، حين تتجابه عند شخص ما ، متطلبات داخلية متعارضة . وقد يكون الصراع صريحاً (بين رغبة ومطلب أخلاقي مثلاً ، أو بين شعورين متناقضين) أو كامناً حيث يمكن أن يظهر بشكل ملتو في الصراع الصريح أو يتجلى خصوصاً في تكوين الأعراض ، وفي إضطرابات السلوك وإضطرابات الطبع ، إلخ . ويعتبر التحليل النفسي أن الصراع هو من شروط تكوّن الإنسان وذلك من منظورات متعددة :

صراع بين الرغبة والدفاع ، صراع بين الأنظمة أو الأركان ، صراع بين النزوات ، وأخيراً الصراع الأوديبي حيث لا تتجابه الرغبات المتعارضة فيما بينها فقط ، إنما تجابه التحريم أيضاً ■ .

وقع التحليل النفسي ، منذ بداياته الأولى ، على الصراع النفسي ، وسرعان ما توجه إلى جعله الفكرة المركزية في نظرية الأعصبة . ويبين لنا كتاب « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » كيف جابه فرويد مقاومة (أنظر مقاومة) متزايدة خلال علاجه للمرضى بمقدار إقترابه من الذكريات المولدة للمرض ؛ هذه المقاومة ليست سوى التعبير الراهن عن الدفاعات الذاتية ضد التصورات التي لا يمكن التوفيق بينها ، كما يشير إليه فرويد .

ولقد تم الإعتراف بهذا النشاط الدفاعي منذ عامي 1895 -96 ، بإعتباره الأوالية الأكبر في نشأة الهستيريا (أنظر : هستيريا الدفاع) والذي عمم بالتالي على « حالات النفاس » الأخرى المسماة « حالات نفاس الدفاع » . وهكذا أخذ العارض العصابي يعرّف بإعتباره نتاج تسوية بين مجموعتين من التصورات الفاعلة كقوتين متضادتي الإتجاه ومتعادلتين في طغيانها وآنيتها : « . . . تتجدد العملية التي نصفها هنا : أي الصراع ، والكبت ، والإبدال على شكل تكوين تسوية ، في كل الأعراض العصابية »(1) .

وبشكل أعم ، تبدو هذه العملية فاعلة أيضاً في ظواهر كالحلم ، والهفوات ، والذكريات - الستائر ، إلخ . .

وإذا كان الصراع من المعطيات الكبرى للتجربة التحليلية ، بدون منازع ، وإذا كان من اليسير نسبياً وصفه في نماذجه العيادية ، فانه من الأصعب تقديم نظرية ما وراء نفسانية Meta Psychologique عنه . ولقد طرحت حلول متنوعة طوال أعمال فرويد لمشكلة الأساس النهائي للصراع . ومما يجدر ذكره بادىء ذي بدء إمكانية تقديم بيان عن الصراع على مستويين متمايزين نسبياً : صراع بين الأنظمة أو الأركان على المستوى الموقعي ، وصراع بين النزوات على المستوى الإقتصادي الدينامي . هذا النمط الثاني من الصراع هو الأكثر جذرية بالنسبة لفرويد ، ولكن من الصعب غالباً إقامة التناسق بين المستويين ، حيث لا يتطابق ركن ما ، رغم كونه جزءاً فاعلاً من الصراع بالضرورة مع نمط نوعي من النزوات .

يمكن رد الصراع بشكل إجمالي ، في إطار النظرية ما وراء النفسانية الأولى ، ومن وجهة نظر موقعية إلى التعارض ما بين نظامي اللاوعي من جانب ، وما قبل الوعي - الوعي من جانب آخر اللذين تفصلهما الرقابة عن بعضهما البعض ، وينطبق هذا التعارض أيضاً مع ثنائية مبدأ اللذة ، ومبدأ الواقع ، حيث يحاول ثانيهما (أي مبدأ الواقع) تأكيد تفوقه على المبدأ الأول . يمكننا القول عندها أن القوتين المتصارعتين هما ، بالنسبة لفرويد ، الجنسية وركن كابت (يقابلها) يتضمن خصوصاً تطلعات الشخصية الخلقية والجمالية ، ويكمن سبب الكبت في الطابع الخاص للتصورات الجنسية الذي يجعلها غير قابلة للتوفيق مع « الأنا » وبالتالي فهي تولد له الإنزعاج .

ولم يبحث فرويد إلا في مرحلة متأخرة نسبياً عن سند نزوي للركن الكابت . وهكذا إعتبرت ثنائية النزوات الجنسية ، ونزوات حفظ الذات (التي تعرّف على أنها «نزوات الأنا») سند الصراع النفسي . « . . . على الفكر التحليلي النفسي الإقرار بأن [بعض] التصورات قد تعارضت مع أخرى غيرها ، أقوى منها ، وهي التصورات التي نستخدم للدلالة عليها مفهوماً شمولياً هو « الأنا » الذي يتفاوت في تكوينه ، تبعاً للحالات ؛ وهكذا تكبت التصوراتَ الأولى نتيجة لهذا الواقع . ولكن من أين يمكن أن يصدر هذا التعارض ما بين الأنا وبين بعض فئات التصورات والذي يولد الكبت ؟ [. . .] لقد شدت أهمية النزوات بالنسبة للحياة التصورية إنتباهنا ؛ إذ أننا نعرف أن كل نزوة تحاول فرض ذاتها من خلال تحريك التصورات المتمشية مع أهدافها . ولا تتوافق هذه النزوات دوماً فيما بينها ؛ بل أنها غالباً ما تدخل في صراع مصلحي ؛ وبالتالي فالتعارض في التصورات ليس سوى تعبيراً عن المعركة بين مختلف النزوات . . »(2) . ومن الواضح رغم ذلك أن التعارض النهائي بين « الجوع والحب » لا يتجلى في نماذج ملموسة من الصراع إلا من خلال سلسلة من الوسائط التي يعسر توضيحها ، حتى في تلك المرحلة من الفكر الفرويدي حيث يقوم نوع من التطابق ما بين ركن الأنا الدفاعي وبين نمط محدد من النزوات .

وتقدم لنا النظرية الموقعية الثانية ، في مرحلة لاحقة ، نموذجاً للشخصية أكثر تنوعاً وقرباً من هذه النماذج الملموسة : حيث تقول بصراعات بين الأركان ، وبصراعات داخلية في ركن معين من مثل الصراع بين قطبي التماهي الأبوي والأمومي الذي نعثر عليه في الأنا الأعلى .

وتبدو الثنائية النزوية الجديدة التي لجأ إليها فرويد ، ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت وكأنها تقدم أساساً لنظرية الصراع ، من خلال التعارض الجذري الذي تطرحه بينهما (أي نزوات الحياة ونزوات الموت) . ولكننا لا زلنا ، واقعياً ، بعيدين عن التحقق من التطابق ما بين صعيد هذه المبادىء الأخيرة ، أي الإيروس ونزوة الموت ، وبين الدينامية المحسوسة للصراع (أنظر حول هذه النقطة : نزوة الموت) . وبالتالي ففكرة الصراع لا زالت تتجدد :

1 - حيث نرى أكثر فأكثر أن القوى النزوية تحرك مختلف الأركان (إذ يصف فرويد الأنا الأعلى مثلاً بالسادية) ؛ حتى ولو لم يكن أي من هذه الأركان متأثراً بنمط واحد فقط من النزوات ؛

2 - يبدو أن نزوات الحياة تغطي القسم الأكبر من التعارضات الصراعية التي سبق لفرويد إستخلاصها إنطلاقاً من الممارسة العيادية : « . . . فالتعارض بين نزوات حفظ الذات ونزوات

حفظ الجنس ، وكذلك التعارض الآخر بين حب الأنا وحب الموضوع ، يتموضعان كليهما في إطار الإيروس)(3a) .

3 ـ لقد حدث أن فسّر فرويد أحيانا نزوة الموت كمبدأ فعلي للمعركة على غرار التعارض الذي قال به أمبيدوقليس ما بين الحقد والحب ، أكثر من كونها قطباً صراعياً .

وهذا ما أدى به إلى تخصيص « ميل للصراع » ، كعامل متغير يؤدي تدخله أحياناً إلى تحويل الثنائية الجنسية المميزة للكائن الإنساني إلى صراع ما بين متطلبات صارمة وغير قابلة للتوفيق فيما بينها ؛ بينما ليس هناك ما يمنع الميول الجنسية المثلية والميول الجنسية الغيرية من أن تتحقق في حل متوازن في غياب هذا العامل .

وفي نفس ذلك الخط الفكري ، يُمكن تأويل الدور الذي يعطيه فرويد لمفهوم إتحاد النزوات . ولا يدل هذا الإتحاد على مجرد توازن متفاوت في مقاديره ما بين الجنس والعدوانية : ذلك أن نزوة الموت بحد ذاتها تستدعي الإنفصال (أنظر إتحاد ـ إنفصال النزوات) .

***

إذا ألقينا نظرة إجمالية على تطور التصورات التي يقدمها فرويد عن الصّراع ، نفاجأ بمحاولته المستمرة لرد هذا الصراع إلى ثنائية قاطعة لا يمكن أن تستند في التحليل الأخير إلا على تعارض شبه أسطوري ما بين قونين كبريين متعارضتين ، هذا من ناحية ؛ أما من الناحية الأخرى ، فنفاجأ بأن أحد قطبي الصراع هو دوماً الجنسية ، بينما يرد الآخر إلى وقائع متغيرة (« الأنا » ، أو « نزوة الأنا » ، أو « نزوة الموت ») .

يصر فرويد منذ بداية أعماله (أنظر : الغواية) وحتى نهايتها كما في « موجز في التحليل النفسي عام1938 » على الصلة الجوهرية التي يجب أن تقوم ما بين الجنسية والصراع . صحيح أنه بالإمكان تقديم نموذج نظري مجرد عن الصراع قابل لأن يطبق على « أي مطلب نزوي كان » ، ولكن « . . . الملاحظة تبين لنا باستمرار ، وبقدر ما يمكن أن تمتد أحكامنا ، بأن الإثارات صاحبة الدور المولّد للمرض تصدر عن النزوات الجزئية للحياة الجنسية »(3b) . فما هو إذاً التبرير النظري الأخير لهذه الحظوة الممنوحة للجنسية في الصراع النفسي ؟ تركت هذه المسألة معلقة من قبل فرويد الذي أشار في لحظات متعددة من أعماله إلى الطباع الزمنية الخاصة للجنسية الإنسانية والتي تجعل « النقطة الضعيفة في تنظيم الأنا تكمن في علاقته بالوظيفة الجنسية »(3c) .

لا بد أن يؤدي التعمّق في مسألة الصراع النفسي ، بالنسبة للمحلل ، إلى الصراع النواتي عند الكائن الإنساني : أي عقدة الأوديب . فقبل أن يكون الصراع في هذه العقدة صراعاً دفاعياً ، فإنه يندرج رأساً وبشكل يتجاوز الذاتية ويسبقها في إتحاد جدلي وأولي ما بين الرغبة والتحريم .

من الممكن العثور على عقدة الأوديب ، باعتبارها تكوّن المعطى الرئيسي والمحتوم الذي يوجه مجال التفاعل النفساني للطفل ، وراء أكثر نماذج الصراع الدفاعي تنوعاً (كالملاقة ما بين الأنا والأنا الأعلى على سبيل المثال) . وبشكل أكثر جذرية ، إذا ما جعلنا من عقدة الأوديب البنية التي يكون على الشخص أن يجد مكانه ضمنها ، فإن الصراع يتجلى حاضراً فيها منذ البداية ، سابقاً بذلك لعبة النزوات والدفاعات ، أي اللعبة التي ستشكل الصراع الخاص بكل فرد .

(1) Freud (S.). *Über Deckerinnerungen*, 1899. G.W., I, 537 ; S.E., III, 308.
(2) Freud (S.). *Die psychogene Sehstörung in psychoanalytischer Auffassung*, 1910. G.W., VIII, 97 ; S.E., XI, 213.
(3) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 8. — *b)* G.W., XVII, 112 ; S.E., XXIII, 186 ; Fr., 55-6. — *c)* G.W., XVII, 113 ; S.E., XXIII, 186 ; Fr., 57.

صورة هوامية

Imago
Eng. Imago
D.: Imago

■ إنها النموذج اللاواعي الأول للشخصيات الذي يوجه أسلوب إدراك المرء للآخرين بشكل إنتقائي ؛ ويرصن هذا النموذج إنطلاقاً من العلاقات ما بين الذاتية الواقعية والهوامية الأولى ما بين المرء ومحيطه العائلي □.

يعود مفهوم الصورة الهوامية إلى يونغ في كتابه (تحولات ورموز الليبيد وسام1911) حيث يصف الصوره الهواميه الأمومية، والأبوية والأخوية .

تشكل الصورة الهوامية والعقدة فكرتين متقاربتين؛ حيث تتعلقان كلاهما بنفس المجال وهو : علاقات الطفل مع محيطه الأسري والإجتماعي . ولكن بينما تشير العقدة إلى تأثير مجمل الوضعية العلائقية على الشخص ؛ تدل الصورة الهوامية على الإستمرارية الخيالية لهذا أو ذاك ممن شاركوا في هذه الوضعية .

ولقد عرّفت الصورة الهوامية غالباً «كتصور لا واع »؛ ولكن يجدر أن لا نرى فيها مجرد صورة ، إنما صميمة خيالية مكتسبة أي نوع من الكليشيه الجامدة يستهدف الشخص الآخرين من خلالها . وهكذا يمكن أن تتجسد الصورة الهوامية في مشاعر أو تصورات ، كما تتجسد في بعض الصور سواء بسواء. ولا بد لنا أن نضيف أنه لا يجب أن تفهم كمجرد إنعكاس للواقع ،حتى ولو بمفاوت في درجة تحويره ؛ إذ أن الصورة الهوامية لأب رهيب مثلاً قد تتوافق مع أب فعلي ذي حضور هزيل .

ط

ط

طاقة التوظيف

Énergie d'Investissement
Eng.: Cathectic energy
D.: Besetzungsenergie

■ هي الأساس الطاقوي الذي يفترض أنه يشكل العامل الكمي لعمليات الجهاز النفسي ■

أنظر من أجل مناقشة هذه الفكرة مصطلحات: إقتصادي، توظيف، طاقة حرة - طاقة مربوطة، ولبيدو.

طاقة حرة - طاقة مربوطة

Énergie libre- énergie liée
Eng.: Free energy- bound energy
D.: Freie energie- gebundene energie

■ يتضمّن هذان المصطلحان، من وجهة نظر إقتصادية، ما قال به فرويد من تمييز ما بين العملية الأولية وبين العملية الثانوية. ففي العملية الأولية، يطلق على الطاقة تسمية حرة، بإعتبارها تسري نحو التفريغ بأكثر الأشكال الممكنة مباشرة وسرعة؛ وأما في العملية الثانوية، فهي مربوطة، بالقدر الذي تؤخر فيه حركتها نحو التفريغ وتضبط. من وجهة نظر تكوينية تسبق الحالة الحرة للطاقة، تبعاً لفرويد، حالتها المربوطة، إذ أن هذه الحالة الأخيرة تميز درجة أعلى من إنبناء الجهاز النفسي ■.

يجهر فرويد علانية بتحية بروير على تمييزه ما بين الطاقة الحرة والطاقة المربوطة (1,2) وتجدر الملاحظة، في الواقع، أن المصطلحات المستخدمة ليست مصطلحات بروير، وأن التمييز الذي قدمه عنها بروير لا يأخذ نفس المعنى الذي يأخذه عند فرويد.
يقوم التمييز الذي قال به بروير على الفارق الذي أقامه الفيزيائيون ما بين نوعين من الطاقات

الآلانية التي يظل مجموعها ثابتاً ضمن نظام منعزل . وهكذا يقابل هلمهولتز، الذي نعلم مدى تأثيره على فكر بروير وفرويد ، ما بين « القوى الحيوية » Lebendige Kräfte وهو مصطلح مأخوذ عن (ليبنتز) و « قوى التوتر » أو « تلك القوى التي تنزع إلى دفع نقطة ح إلى الحركة طالما أنها (أي القوى) لم تنتج الحركة بعد »(3) . يغطي هذا التعارض ، ذلك الذي قدمه كتّاب آخرون ، خلال القرن التاسع عشر ، ما بين طاقة راهنة ، وطاقة كامنة (رانكين) ، أو بين طاقة حركية ، وطاقة ثباتية (طومسون) : ويرجع بروير صراحة الى هذا التمييز الذي قال به هؤلاء الفيزيائيون وإلى مصطلحاتهم .

يجهد بروير خصوصاً لتعريف شكل من الطاقة الكامنة، الحاضرة في الجهاز العصبي ، والتي يطلق عليها إسم « الإثارة النشطة داخل الدماغ » أو « التوتر العصبي » أو حتى الطاقة « الساكنة » . وكما يحتوي خزان ما كمية معينة من الطاقة الكامنة ، بمقدار ما يحتفظ بالماء داخله ، كذلك « . . . تشكل مجمل الشبكة الواسعة [من الأنسجة العصبية] خزاناً واحداً للتوتر العصبي)(4a) .

تصدر هذه الإثارة النشطة عن مصادر متنوعة : الخلايا العصبية ذاتها ، والإثارات الخارجية ، والإثارات الصادرة عن داخل الجسد ، (الحاجات الفسيولوجية) ، و« العواطف النفسية » . وتستخدم هذه الإثارة أو تفرّغ في مختلف أنواع النشاطات الحركية والذهنية ، الخ .

وهناك ، تبعاً لبروير، درجة فضلى من هذه الطاقة الساكنة تسمح بالتلقي الجيد للإثارات الخارجية ، وبالترابط ما بين الأفكار ، وبالسريان الحر للطاقة في مجمل مسالك النظام العصبي . هذه الدرجة الفضلى هي التي يبحث المتعضي عن الحفاظ على ثباتها أو عن إستعادة هذا الثبات (أنظر : مبدأ الثبات) . والواقع أن المتعضي يبتعد عن هذه الحالة الفضلى ، إما بسبب إستنزاف الطاقة العصبية (مما يؤدي إلى حالة النوم التي تتيح إعادة تعبئة الطاقة) أو بسبب إرتفاع مفرط لدرجتها ؛ وقد يكون هذا الإرتفاع بدوره معمماً وموحداً (كما في حالة الترقب المتوتر) ، أو يكون متفاوتاً في توزيعه (وتلك هي الحالة حين تبرز العواطف التي لا تستطيع طاقتها لا أن تفرغ ، ولا أن تتوزع على مجمل النظام بواسطة الإرصان الترابطي ؛ ويتحدث بروير عندها عن «عواطف محصورة ») .

وهكذا نرى :

1 ـ أن هذين الشكلين من الطاقة « الساكنة » و « الحركية »ـ اللذين ميزهما بروير قابلين للتحول الواحد منهما إلى الأخر ؛

2 ـ ليس هناك إذن أي أفضلية معطاة للطاقة الحركية ، لا من وجهة نظر تكوينية ، ولا من وجهة نظر منطقية ؛ وهكذا يبدو أن التمييز الفرويدي ما بين عملية أولية وعملية ثانوية غريب على فكر بروير ؛

3 ـ أن الحالة الساكنة للطاقة العصبية هي الأساسية ، بالنسبة إلى بروير ، لأن الطاقة لا يمكن أن تسري بحرية إلا بعد الوصول إلى مستوى معين . ويبدو الإختلاف عن فرويد واضحاً هنا : إذ يعتقد بروير مثلاً أن السريان الحر للإثارات يُعاق في حالة النوم ، حيث تكون الطاقة الساكنة في مستوى منخفض جداً(4b) ،

4 ـ إن مبدأ الثبات يتخذ عند بروير معنى مختلفاً عنه عند فرويد (أنظر : مبدأ الثبات ؛ ومبدأ القصور الذاتي العصبي) .

●●●

وفي الواقع ، يبدو أن فرويد هو الذي أدخل فعلاً ، بصدد الطاقة النفسية ، مصطلحي الطاقة الحرة والطاقة المقيدة ، المتعارضين . كما يلاحظ أيضاً أن هلمهولتز هو الذي أدخل هذين المصطلحين في الفيزياء ، إنما هذه المرة ضمن إطار المبدأ الحراري الديناميّ « الثاني » (أي تدهور الطاقة) ؛ إذ يدل هلمهولتز بمصطلح « الطاقة الحرة » على تلك الطاقة « . . . القادرة على التحول الحر إلى أنواع أخرى من الشغل » ، وبمصطلح « الطاقة المربوطة » على « . . . تلك الطاقة التي لا يمكن أن تتجلى إلا على شكل حرارة »(5) .

لا يقع هذا التعارض تماماً على نفس مستوى التعارض ما بين الطاقة الساكنة (أو النشطة) وبين الطاقة الحركية ؛ ذلك أن هذا التعارض الأخير لا يأخذ بعين الإعتبار إلا الطاقة الميكانيكية بينما يفترض التعارض ما بين الطاقة الحرة والطاقة المربوطة ، أخذ مختلف أنواع الطاقة بعين الإعتبار (من حرارية ، وكيميائية ، إلخ .) ، وكذلك أخذ الشروط التي تجعل من الممكن العبور من الواحدة إلى الأخرى بعين الإعتبار أيضاً . على أنه يمكن القول بأن الطاقة الساكنة ، بالمعنى الذي يذهب إليه هلمهولتز ، هي طاقة حرة لأنها قابلة للتحول إلى أشكال أخرى من الطاقة ، بينما أن الطاقة الحركية ، على الأقل طاقة الحركات الذرية الفوضوية ، هي طاقه مربوطة : وهكذا نرى أن فرويد ، قد قلب عملياً ، من خلال تسميته الطاقة الساكنة عند بروير ، بالطاقة المربوطة ، والطاقة المتحركة ، بالطاقة الحرة ، المعنى الذي يأخذه هذان المصطلحان في الفيزياء : إذ يجب أن تؤخذ كلمة « حر » عند فرويد ، بمعنى ما يتمتع بحرية التحرك ، وليس بمعنى ما يتمتع بحرية التحول .

وباختصار يتأكد لنا ما يلي :

1 ـ أن زوج التعارض الذي يستعمله بروير (أي طاقة ساكنة ، وطاقة متحركة) مأخوذ من نظرية لا تضع في إعتبارها المبدأ الحراري الديناميّ الثاني . بينما يستعمل فرويد ، بالمقابل ، مصطلحات (طاقة حرة ، وطاقة مربوطة) تقع ضمن إطار هذا المبدأ الثاني نفسه ؛

2 ـ وأن فرويد يعكس ، رغم معرفته الوثيقة بمفاهيم المدرسة ذات المنحى الفيزيائي (أي هلمهولتز ، وبروكه) معنى المصطلحات التي يأخذها عن الفيزياء ، كي يجعلها تغطي ، على وجه التقريب ، التعارض الذي قال به بروير ؛

3 ـ ورغم هذا التوافق الظاهري ، فإن مفهوم فرويد مختلف كلياً عن مفهوم بروير : فالطاقة الحرة ، التي تميز العمليات اللاواعية ، هي « أولية » بالمقارنة مع الطاقة المربوطة . ويجد هذا الإختلاف الأساسي تجسيده خصوصاً في ما يعتور صياغة مبدأ الثبات من أوجه غموض .

●●●

نعثر في « مشروع علم نفس علمي عام1895 » على التعارض ما بين نوعين من سريان الطاقة : فتميل الطاقة في النشاط الوظيفي الأولي للجهاز العصبي إلى التفريغ المباشر والكامل (وهو مبدأ القصور الذاتي العصبي) ؛ وأما في العملية الثانوية ، فأن الطاقة مربوطة ، أي أنها تظل

حبيسة بعض العصبونات أو الأنظمة العصبية حيث تتراكم . يجد هذا الإرتباط شروطه من خلال قيام « حواجز التماس » ما بين العصبونات ، مما يمنع أو يحد من مرور الطاقة من الواحد الى الآخر ، هذا من ناحية ، وأما من الناحية الأخرى فإن شروطها تكمن في العمل الذي تمارسه مجموعة من العصبونات التي تتوظف فيها الطاقة بمستوى ثابت (أي الأنا) على العمليات الأخرى التي تجري في الجهاز : وهذا ما يطلق عليه فرويد إسم أثر التوظيف الجانبي(Nebenbesetzung) والذي يشكل اساس عمل الأنا الصاد(6a) .

وتقدم لنا عملية التفكير ، تبعاً لفرويد النموذج المفضل للنشاط الوظيفي « المربوط » للطاقة ، ذلك أن هذه العملية تمزج التوظيف المرتفع الذي يفترضه الإنتباه ، مع إنتقال كميات ضئيلة من الطاقة والتي تصبح ممارسة التفكير بدونها مستحيلة(6b) . يسري هذا التيار ، رغم ضآلته من وجهة نظر كمية ، بيسر أكبر : « ذلك أن الكميات الطفيفة يمكنها أن تنتقل بيسر أكبر حين يكون المستوى مرتفعاً عنه حين يكون منخفضاً »(6c) .

يعود فرويد في كتابه « تأويل الأحلام عام1900 » إلى القول بالتعارض ما بين الطاقة الحرة وبين الطاقة المربوطة ، بصرف النظر عن أي رجوع إلى حالات العصبونات المعتبرة منفصلة ، ويستمر فرويد في الحفاظ على هذا التعارض باعتباره التعبير الإقتصادي عن التميز الأساسي ما بين العملية الأولية وبين العملية الثانوية (أنظر : إرتباط) .

(1) Cf. par exemple : FREUD (S.). *Das Unbewusste*, 1915. Fin du chapitre IV. G.W., X ; S.E., XIV.

(2) Cf. par exemple : FREUD (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 26 ; S.E., XVII, 26-7 ; Fr., 29.

(3) HELMHOLTZ (H.). *Über die Erhaltung der Kraft*, Engelmann, Leipzig, 1847, 12.

(4) BREUER (J.) et FREUD (S.). *Studien uber Hysterie*, 1895. — *a)* All., 169, n. ; S.E., II, 194, n. ; Fr., 154 n. — *b)* Cf. All., 168 ; S.E., II, 192-3 ; Fr., 153.

(5) HELMHOLTZ (H.). *Über die Thermodynamik chemischer Vorgänge*, 1882. In : *Abhandlungen zur Thermodynamik chemischer Vorgange*, Engelmann, Leipzig, 1902, 18.

(6) FREUD (S.). *a)* Cf. Ire partie, chap. IV. — *b)* Cf. All., 447 ; Angl., 425 ; Fr., 378-9. — *c)* All., 451 ; Angl. 429 ; Fr., 382.

ظ

ظ

ظاهرة وظيفية

Phénomène Fonctionnel
Eng.: Functional Phenomenon
D.: Funktionales phänomen

■ هي ظاهرة إكتشفها هربرت سيلبرر (عام1909) حول حالات الهلاوس النومية . وعاد فوجدها في الحلم . وتتلخص : في نقل أسلوب النشاط الوظيفي الراهن للفكر وليس محتواه ، إلى صور ■ .

تطور فكر سيلبرر حول موضوع الظاهرة الوظيفية .

فهو ينطلق من ملاحظة حالات الهلاوس النومية التي يرى فيها تجربة مفضلة تتيح ملاحظة ولادة الرموز (أو ما يسميه ظاهرة « الرمزية الذاتية ») . وهو يميز ما بين ثلاثة أنواع من الظواهر : ظاهرة « مادية » ويرمّز فيها ما يستهدفه الفكر ، أي موضوعه ؛ وظاهرة « وظيفية » وفيها يتم تصور النشاط الراهن للفكر في سرعته أو بطئه ، نجاحه ، أو فشله ، إلخ . وظاهرة « جسدية » وهي ترميز الإنطباعات الجسدية(1) .

ويعتقد سيلبرر أن هذا التمييز يصلح لأي مجلٍ يتضمّن رموزاً ، وهو صالح خصوصاً للحلم . وهو يصنّف في نهاية المطاف ، في الظاهرة الوظيفية كل ما يرمز إلى « حالة ، ونشاط ، وبنية النفس »(2» ، ولا يترك بذلك « للظاهرة المادية » إلا ترميز موضوعات الفكر والتصور . وتترجم العواطف ، والنزعات ، والنوايا ، والعقد أي « أجزاء الروح » (والرقابة خصوصاً) من خلال رموز غالباً ما تكون مشخصنة . وتتلخص « مسرحة » الحلم (أي تفريغه في قالب مسرحي) هذا المظهر الوظيفي . وهكذا نرى أن سيلبرر يعمم هنا إلى أقصى الحدود فكرة التمثيل الرمزي للحالة الآنية للوعي المتخَيّلْ .

وأخيراً يقدّر سيلبرر أن هناك نزعة في الرمزية ، وخصوصاً في الحلم ، للإنتقال من المادي إلى الوظيفي ، وهي نزعة للتعميم حيث تتحول « . . . من أي موضوع معين نكون بصدده إلى مجمل كل الموضوعات المشابهة له في عاطفتها ، أو كما يمكن القول ، نحو النمط النفسي للحدث المعاش

موضع البحث »(2b) . وهكذا فقد ينتهي عنصر مستطيل كان يرمز إلى القضيب في مرحلة أولى (وبعد المرور بسلسلة من المراحل الوسيطة التي تذهب أكثر فأكثر باتجاه التجريد) بأن يرمز إلى الشعور بالقوة على وجه العموم . وهكذا تتوجه الظاهرة الرمزية تلقائياً في منحى يأتي التأويل الروحاني كي يعززه .

ولقد أقر فرويد بأن الظاهرة الوظيفية « . . . هي واحدة من الإضافات النادرة التي لا يمكن التشكيك بقيمتها إلى مذهب الأحلام . فلقد أثبت سيلبرر مشاركة الملاحظة الذاتية ـ بمعنى الهذيان العظامي ـ في تكوين الحلم »(3) . ولقد إقتنع فرويد بالطابع التجريبي لإكتشاف سيلبرر ، إلا أنه جعل تأثير الظاهرة الوظيفية يقتصر على الحالات التي تقع ما بين اليقظة والنوم ، أو على « التركيز على إدراك الذات في النوم أو اليقظة » ، الذي يحدث في الحلم أحياناً ، والذي يرجعه إلى « الرقيب على الحلم » أي إلى الأنا الأعلى .

وينتقد فرويد توسيع مدى هذه الفكرة : « . . . لقد أصبحنا نتكلم عن الظاهرة الوظيفية في كل مرة تظهر فيها نشاطات فكرية ، أو عمليات عاطفية في محتوى أفكار الحلم ؛ مع أن حق هذه المواد ، لا يزيد وينقص في شيء عن حق أي من البقايا النهارية في النفاذ الى الحلم »(4) . وهكذا فيما عدا بعض الحالات الإستثنائية ، يرتد الوظيفي إذاً إلى مادة الحلم ، شأنه في ذلك شأن المثيرات الجسدية ؛ مما يجعل المسار الفرويدي يذهب على العكس من مسار سيلبرر .

ويمكن الإستفادة من الرجوع إلى دراسة جونز بعنوان « نظرية الرمزية عام1916 »(5) ، من أجل نقد مفهوم سيلبرر الموسع .

(1) Cf. Silberer (H.). Bericht uber eine Methode, gewisse symbolische Halluzinationserscheinungen hervorzurufen und zu beobachten, in *Jahrbuch der Psychoanalyse*, 1909.

(2) Silberer (H.). Zur Symbolbildung, in *Jahrbuch der Psychoanalyse*, 1909. — *a)* IV, 610. — *b)* IV, 615

(3) Freud (S.). *Zur Einfuhrung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 164-5 ; S.E., XIV, 97.

(4) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., III-IV, 509 ; S.E., V, 505 ; Fr., 376.

(5) Cf. Jones (E.). The Theory of Symbolism, in *Papers on Psycho-Analysis*, Baillière, Londres, 5e éd., 1948, 116-37.

Affect
Eng.: Affect
D.: Affekt

عاطفة

■ يتضمن هذا المصطلح الذي أخذه التحليل النفسي عن مصطلحات علم النفس الألماني ، أي حالة عاطفية ، سواء أكانت مؤلمة أم سارة ، غامضة أو بيّنة ، وسواء بدت على شكل شحنة كثيفة أم على شكل نبرة عامة . تفصح كل نزوة عن نفسها ، تبعاً لفرويد ، على مستوى سجليّ العاطفة والتصور . والعاطفة هي التعبير الكيفي عن كمية الطاقة النزوية وتغيراتها ■ .

تأخذ فكرة العاطفة أهمية كبرى منذ أعمال بروير وفرويد الأولى [دراسات حول الهستيريا عام 1895] حول العلاج النفسي للهستيريا واكتشاف القيمة العلاجية للتصريف . إذ كان يُردّ أصل العارض الهستيري إلى حدث صدمي لم يقابله تفريغ ملائم (عاطفة حبيسة) .

ولا يكتسب الاستذكار فعاليته العلاجية ، إلا إذا صاحب آستدعاء الذكرى إيقاظ للعاطفة التي ارتبطت بها في الأصل .

ينتج إذاً بالنسبة لفرويد ، من خلال بحث الهستيريا ، أن العاطفة لا ترتبط بالضرورة بالتصور ؛ ويضمن إنفصالهما (عاطفة بدون تصور ، أو تصور بدون عاطفة) مصيراً مختلفاً لكل منهما . يشير فرويد إلى إمكانيات مختلفة لتحول العاطفة : « أنا أعرف ثلاث أواليات : أولاها إقلاب العواطف (كما في هستيريا الإقلاب) ؛ ثانيتها إزاحة العاطفة (كما في المجاس) ؛ وثالثتها تحول العاطفة (كما في عصاب القلق ، والسوداوية »(1) .

ومنذ تلك المرحلة ، استخدمت فكرة العاطفة في منظورين : فقد لا يكون لها سوى قيمة وصفية ، تدل على الصدى الإنفعالي للتجارب الشديدة عموماً . ولكنها تفترض في الأعم الأغلب ، نظرية كيفية في التوظيفات ، هي وحدها القادرة على تبيان استقلالية العاطفة بالنسبة لتجلياتها المختلفة .

عالج فرويد هذه المسألة بشكل منهجي في كتاباته ما وراء النفسانية [الكبت عام 1915 ؛

واللاوعي في نفس العام] . حيث تُعرّف العاطفة كترجمة وجدانية لكمية الطاقة النزوية . يميز فرويد هنا بوضوح ما بين المظهر الوجداني للعاطفة وبين العمليات المتعلقة بالطاقة التي تحدد وجوده . وتجدر الملاحظة أنه يستخدم في موازاة مصطلح العاطفة تعبير « مقدار العاطفة » الذي يهدف من خلاله إلى الدلالة على الطابع الاقتصادي بحد ذاته : « . . . يتطابق مقدار العاطفة مع النزوة إلى الحد الذي تنفصل فيه هذه الأخيرة عن التصور كي تجد تعبيراً ملائماً لكميتها في عمليات تصبح محسوسة لنا على شكل عواطف »(أ) (2a) .

ومن الصعب أن يُفهم كيف يمكن أن يحتفظ مصطلح العاطفة بمعناه خارجا عن أي رجوع إلى وعي الذات ؛ إذ يطرح فرويد السؤال : هل من المشروع الحديث عن عاطفة لاواعية ؟ (3a) وهو يرفض إقامة موازاة ما بين العاطفة المسماة « لاواعية » (من مثل مشاعر الذنب اللاواعية) والتصورات اللاواعية . هناك فارق بارز ما بين التصور اللاواعي ، والشعور اللاواعي : « يظل التصور اللاواعي ، بعد كبته ، في نظام اللاوعي كتكوين حقيقي ، بينما لا يقابل العاطفة اللاواعية هناك إلا نُتَفٌ هزيلة لم تتمكن من الوصول إلى النمو »(3b) (أنظر : كبت ، وقمع) .

تجدر الملاحظة أخيراً إلى أن فرويد قد صاغ فرضية تكوينية مخصصة لتبيان الجانب المعاش من العاطفة . وهكذا قد تكون العواطف « إحياءً لأحداث قديمة ذات أهمية حيوية وسابقة على الفرد أحياناً » شبيهة « . . . بنوبات هستيرية كونية نموذجية وفطرية »(4) .

(أ) يهمَلُ هذا التمييز في مقاطع أخرى ، إذ لا يتكلم فرويد ، بصدد هستيريا الإقلاب ، عن إقلاب مقدار العاطفة التي تحدد شروط زوال العاطفة الذاتية ، إنما يتحدث بكل بساطة عن « الزوال الكامل لمقدار العاطفة »(2b) .

(1) FREUD (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 95 ; Angl., 84 ; Fr., 76-7.

(2) FREUD (S.). *Die Verdrangung*, 1915. — *a)* G.W., X, 255 ; S.E., XIV, 152 ; Fr., 79-80. — *b)* G.W., X, 258 ; S.E., XIV, 155 ; Fr., 85.

(3) FREUD (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 276-7 ; S.E., XIV, 178 ; Fr., 113-4. — *b)* G.W., X, 277 ; S.E., XIV, 178 ; Fr., 114-5.

(4) FREUD (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 163 ; S.E., XX, 133 ; Fr., 57.

Détresse (Etat de —) عجز (حالة الـ)

Eng.: Helplessness
D.: Hilflosigkeit

■ يأخذ هذا المصطلح المقتبس من اللغة الشائعة معنى خاصاً في النظرية الفرويدية : إنها حالة الرضيع الذي يتأكد عجزه عن إنجاز الأفعال النوعية القادرة على وضع حد لتوتره الداخلي نظراً لإتكاله الكامل على الآخرين لإشباع حاجاته (من عطش ، وجوع) .

تكوّن حالة العجز ، بالنسبة للراشد ، النموذج الأولي للوضعية الصدمية المولدة للقلق ■ .

تستحق كلمة Hilflosigkeit التي تشكل مرجعاً ثابتاً بالنسبة لفرويد ، أن تبرز وتجد معادلها

الفرنسي بمصطلح وحيد . ونحن نقترح لذلك « حالة العجز » بدلاً عن مجرد كلمة « العجز » لأن الأمر يتعلق بالنسبة لفرويد بمعطى موضوعي أساساً : أي عجز المولود الإنساني الجديد ؛ فهذا الأخير عاجز عن القيام بعمل منسق وفعّال (أنظر : عمل نوعي) ؛ وهو ما دلل عليه فرويد بمصطلح « العجز الحركي » Motorische hilflosigkeit (1b) . تؤدي وضعية كهذه ، من وجهة نظر إقتصادية ، إلى ازدياد توتر الحاجة التي ما زال الجهاز النفسي يعجز عن السيطرة عليها : تلك هي حالة العجز النفسي La psychische hilflosigkeit .

تلعب فكرة حالة العجز الأولية دور الأساس في عدة فئات من الإعتبارات .

1 ـ فإنطلاقاً منها يمكن على المستوى التكويني(2) ، فهم القيمة الأساس « لتجربة الإشباع » واسترجاعها هلاسياً ، وكذلك التفريق بين العملية الأولية والعملية الثانوية .

2 ـ تتضمن حالة العجز ، المتلازمة مع الإتكال الكامل للمولود الإنساني على أمه ، إسباغ الجبروت على هذه الأم . وهي لذلك تؤثر بشكل حاسم على انبناء النفس التي حتّم عليها أن تتكون من خلال العلاقة مع الأخر .

3 ـ تصبح حالة العجز النموذج الأوليّ للوضعية الصدمية ، في إطار النظرية حول القلق . وهكذا يقر فرويد في كتابه « الصد ، العارض ، والقلق عام 1926 » بسمات مشتركة « للأخطار الداخلية » : الفقدان أو الإنفصال الذي يؤدي إلى ازدياد تدريجي للتوتر ، لدرجة يصبح معها الشخص عاجزاً عن السيطرة على الإثارات التي تطغى عليه : وهو ما يعرّف الحالة المولدة لمشاعر « العجز » .

4 ـ وتجدر الملاحظة أن فرويد يربط حالة العجز صراحة بعدم إكتمال نضوج الكائن الإنساني عند ولادته : إذ « . . . تبدو حياته داخل الرحم وكأنها اختصرت نسبياً بالمقارنة مع حياة معظم الحيوانات ؛ فهو أقل اكتمالاً من هذه الحيوانات حين يخرج إلى الوجود . وهذا ما يعزز تأثير العالم الخارجي ، فيصبح التمايز المبكر ما بين الأنا والهو ضرورياً ، وتزداد أهمية أخطار العالم الخارجي ، مما يضخم بشكل مفرط قيمة الموضوع القادر وحده على حماية الوليد من هذه الأخطار والتعويض عن الحياة الرحمية . يرسي هذا العامل البيولوجي إذاً أسس وضعيات الخطر الأولى ، ويخلق الحاجة إلى أن يكون الإنسان محبوباً ، تلك الحاجة التي لن تفارقه أبداً فيما بعد »(1b) .

(1) Cf. Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. — *a)* G.W., XIV, 200 ; S.E., XX, 167 ; Fr., 97. — *b)* G.W., XIV, 186-7 ; S.E., XX, 155 ; Fr., 83.

(2) Cf. particulièrement Freud (S.). *Entwurf einer Psychologie*, 1895, Ire partie.

Agressivité — عدوانية

Eng.: Aggressivity

D.: Aggression, aggressivität

■ إنها تلك النزعة أو مجمل النزعات التي تتجسد في تصرفات حقيقية أو هوامية ، وترمي إلى

إلحاق الأذى بالآخر ، وتدميره ، وإكراهه وإذلاله ، إلخ . . وقد يتخذ العدوان نماذج أخرى غير الفعل الحركي العنيف والمدمر ؛ إذ ليس هنالك من تصرف ، سواء أكان سلبياً (كرفض العون مثلاً) أم إيجابياً ، رمزياً (كالسخرية مثلاً) أو ممارس فعلياً ، لا يمكنه أن ينشط كسلوك عدواني . أعطى التحليل النفسي أهمية متزايدة للعدوانية من خلال تبيان فعلها المبكر جداً في نمو الشخص ، ومن خلال الإشارة إلى العملية المعقدة لإتحادها أو انفصالها عن الجنسية . يصل هذا التطور في الأفكار ذروته في محاولة البحث عن أرضية نزوية وحيدة وأساسية للعدوانية من خلال فكرة نزوة الموت ■ .

يشيع الرأي القائل ، بأن فرويد لم يعترف بأهمية العدوانية إلا في مرحلة متأخرة جداً . ألم يزكّي هو نفسه هذه الفكرة إذ : « يتساءل لماذا احتجنا إلى كل هذا الوقت الطويل قبل أن نحزم أمرنا ونعترف بنزوة عدوانية ؟ ولماذا ترددنا في استخدام وقائع كانت بديهية ومألوفة لكل الناس ، في وضع نظرياتنا ؟ »(1a) . يستحق هذان السؤالان اللذان يطرحهما فرويد هنا أن يفصلا عن بعضهما في الواقع ، فإذا كان صحيحاً أن فرضية « نزوة العدوان » المستقلة التي قال بها أدلر منذ العام 1908 قد رفضت من قبل فرويد زمناً طويلاً ، إلا أنه من غير الصحيح ، على العكس من ذلك ، القول بأن النظرية التحليلية النفسية رفضت ، قبل « تحوّل عام 1920 » أن تأخذ التصرفات العدوانية بعين الاعتبار .

من السهل التدليل على ذلك على أكثر من مستوى . أول ما يدلل عليه في العلاج ، حيث صادف فرويد في زمن مبكر جداً المقاومة بطابعها العدواني : « . . . يصبح الشخص الذي كان إلى تلك اللحظة في غاية الطيبة والوفاء ، فظاً ، زائغاً أو متمرداً ومتلاعباً ، ويستمر كذلك حتى اللحظة التي أُلفِت له فيها نظره إلى حاله الجديد ، وأتمكن بذلك من تطويع طبعه »(2) . وأكثر من ذلك يرى فرويد منذ حالة « دورا » شطر من تحليل حالة هستيريا عام 1905 » أن تدخل العدوانية يشكل سمة خاصة من العلاج التحليلي النفسي : « . . . . لا يظهر المريض في حالات العلاج الأخرى إلا نقلات رقيقة وودّية لصالح شفائه [. . .] . أما في التحليل النفسي فيجب ، على العكس من ذلك ، إيقاظ كل الحركات حتى تلك العدوانية منها ، واستخدامها في التحليل من خلال تحويلها إلى مستوى الوعي »(3) . فمنذ البداية ، بدت النقلة لفرويد كمقاومة ، وتقود هذه المقاومة في الشطر الأكبر منها إلى ما أسماه نقلة سلبية (أنظر : نقلة) .

تفرض علينا الممارسة العيادية الفكرة القائلة بأن الميول العدائية تحتل أهمية بالغة في بعض الإصابات (العصاب المجاسي ، والعظام على الأخص) . تتضمن فكرة « التجاذب الوجداني » تواجد الحب والحقد على نفس المستوى على الأقل على مستوى التجربة ، إن لم يكن على المستوى ما وراء النفساني الأكثر أساسية . وقد يجدر بنا أيضاً إقتباس التحليل الذي قدمه فرويد عن الدعابة ، حيث يصرح أن هذه « . . . حين لا تكون غاية بحد ذاتها ، أي بريئة ، لا يمكن إلا أن تخدم واحدة من نزعتين [. . .] ؛ فإما أن تكون « دعابة عدائية » (تستخدم في العدوان ، وفي النقد اللاذع ، وفي الدفاع) ، أو أنها « دعابة فاحشة » . . . »(4) .

يتحدث فرويد عدة مرات بهذا الصدد عن « نزوة عدائية » وعن « نزعة عدائية » . وفي

النهاية ، اكتشفت عقدة أوديب منذ البدء باعتبارها تضافر لرغبات الحب والعداء (حتى أنها قدمت لأول مرة في « تأويل الأحلام عام 1900 » تحت خانة : « أحلام موت الأشخاص الأعزاء » ؛ ولقد أدى إرصانها التدريجي إلى مزيد من الإلمام بتدخل هذين النمطين من الرغبة في مختلف التشكيلات الممكنة .

استدعى تنوع ، ومدى وأهمية هذه الظواهر تفسيراً على مستوى نظرية النزوات الأولى .

ويمكن القول بشكل تبسيطي أن جواب فرويد في هذا الصدد ، يتدرج إلى عدة مستويات :

أولاً : إذا كان يرفض حصر نزوة نوعية وراء هذه النزعات والتصرفات ، فلأنه يبدو له أن مفهوماً كهذا يتحول في النهاية إلى تعبير عما يميز النزوة أساساً في نظره . لمصلحة نزوة واحدة ، أي تعبير كون النزوة إندفاعة لا يمكن تلافيها ، تتطلب من الجهاز النفسي بعض العمل ، وتطلق عقال الحركية . وبهذا المعنى ، تتطلب النزوة لتحقيق أهدافها، حتى ولو كانت « فاترة » أي (أن يكون المرء محبوباً، أو يكون مرئياً إلخ) نشاطاً قد يستدعي التغلب على بعض العوائق :« كل نزوة هي قطعة من نشاط »(5a) .

ثانيا : من المعروف أن النزوات الجنسية كانت تتعارض مع نزوات حفظ الذات في نظرية النزوات الأولى . تتلخص وظيفة نزوات حفظ الذات بشكل عام في الحفاظ على الوجود الفردي وتوكيده . كان يتم البحث ضمن هذا الإطار النظري عن تفسير التصرفات والمشاعر العدائية الصريحة من مثل السادية أو الحقد في تفاعل معقد لهذين الصنفين الكبيرين من النزوات . تبين لنا قراءة « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » أنه كان بحوزة فرويد نظرية ما وراء نفسانية عن العدوانية . إذ لا يعدو التحول الظاهري للحب إلى حقد كونه وهماً ؛ فالحقد ليس حباً سلبياً ؛ إن له مصدره الخاص الذي يبين فرويد مدى تعقيده ، وتكون الأطروحة المركزية في هذا الصدد بأن « النماذج الأولية الحقيقية لعلاقة الحقد لا تصدر عن الحياة الجنسية ، بل عن صراع الأنا من أجل بقائه وتوكيده »(5b) .

ثالثاً : أخيراً ، وفي مجال نزوات حفظ الذات ، يخصص فرويد النشاط الذي يهدف إلى السيطرة على الموضوع ، إما على شكل وظيفة ، أو حتى على شكل نزوة مستقلة (أنظر : نزوة السطوة) . ويبدو أنه يضمن من خلال هذه الفكرة نوعاً من الحيز الوسيط ما بين « النشاط » البسيط الذي يمت بالطبيعة إلى كل أنواع الوظائف ، وبين النزعة الى التدمير من أجل التدمير . نزوة السطوة هي نزوة مستقلة ، ترتبط بجهاز خاص (هو الجهاز العضلي) وبمرحلة محددة من التطور هي (المرحلة السادية ـ الشرجية) . ولكن من ناحية أخرى « . . . فإنها لا تكترث تجاه الإساءة إلى الموضوع أو القضاء عليه »(5c) ، إذ لا يظهر أخذ الآخر وآلامه بعين الاعتبار ، إلا في الارتداد المازوشي ، أي في الفترة التي لا تعود فيها نزوة السطوة متميزة عن الإثارة الجنسية التي تحدثها (أنظر : سادية ـ مازوشية) .

* * *

ومع وضع نظرية النزوات الأخيرة ، أخذت العدوانية تلعب دوراً أكثر أهمية ، وتحتل مكانة مختلفة في النظرية .

ويمكن تلخيص نظرية فرويد الصريحة بصدد العدوانية على الشكل التالي : « يوضع قسم من

[نزوة الموت] مباشرة في خدمة نزوة الجنس ، حيث يلعب دوراً هاماً . تلك هي السادية الفعلية . بينما لا يرافق القسم الآخر هذا التحويل نحو الخارج ، بل يظل في المتعضى حيث يرتبط ليبدياً بفضل الإثارة الجنسية التي تصاحبه [. . .] ؛ وهنا تكمن المازوشية الأصلية ، المولدة للغلمة »(6) .

وغالباً ما يحتفظ فرويد بإسم نزوة العدوان ، لذلك القسم من نزوة الموت الموجه نحو الخارج بفضل الجهاز العضلي خصوصاً . وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن أبداً تبعاً لفرويد الإحاطة بنزوة العدوان هذه ، ولا حتى بالنزعة إلى تدمير الذات ، إلا من خلال إتحادهـا مع الجنسية (أنظر : إتحاد - إنفصال) .

غالباً ما يرد المحللون النفسيون ثنائية نزوات الحياة ونـزوات الموت إلى ثنـائية الجنسية والعدوانية ، وحتى فرويد نفسه يذهب أحياناً في هذا الإتجاه ذاته(1b) . تستدعي عملية الرد هذه عدة ملاحظات :

1 - إن ما يثيره فرويد من وقائع في « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » من أجل تبرير إدخال فكرة نزوة الموت ، هي من الظواهر التي يتأكد فيها إضطرار التكرار ، الذي لا يرتبط انتقائياً مع تصرفات عدوانية .

2 - وإذا كانت بعض الظواهر تتخذ بالنسبة لفرويد أهمية متزايدة ، في مجال العدوانية ، فهي تلك التي توحي بالعدوانية ضد الذات : اللائحة العيادية للحداد وللسوداوية ، « مشاعر الذنب اللاواعية » ، « الإستجابة العلاجية السلبية » الخ ، وكلها ظواهر أدت به إلى الكلام عن « ميول مازوشية غامضة في الأنا »(7) .

3 - من وجهة نظر الأفكار موضع البحث ، تبعد نزوات الحياة ، أو الإيروس كثيراً عن مجرد كونها تسمية جديدة لتشمل ما كان يسمى الجنسية سابقاً . فالواقع أن فرويد يدل بتسمية الإيروس على مجمل النزوات التي تولّد وحدات أو تحافظ عليها مما يجعلها تتضمن في النهاية ليس فقط النزوات الجنسية باعتبار أنها تميل إلى الحفاظ على النوع ، بل أيضاً نزوات الحفاظ على الذات التي ترمي إلى الإبقاء على الوجود الفردي وتوكيده .

4 - ويتلازم مع ذلك كون فكرة نزوة الموت ليست مجرد مفهوم عام يشمل بدون تمييز كل ما كان يعرف سابقاً كتجليات عدوانية ، أو هذه وحدها فقط . ففي الواقع ، ينتمي جزء مما يمكن أن نسميه صراعاً من أجل الحياة فعلياً إلى الإيروس ؛ وعلى العكس من ذلك تأخذ نزوة الموت لحسابها ، وبشكل قاطع لا شك فيه ، ما اعتبره فرويد في الجنسية الإنسانية ، خاصاً بالرغبة اللاواعية أي : عدم قابليتها لمزيد من التبسيط ، وإلحاحها ، وطابعها اللاواقعي ، وكذلك نزعتها إلى التخفيض القاطع للتوترات ، من وجهة نظر إقتصادية .

***

ويمكن التساؤل حول التجديد الذي طرأ على فكرة العدوانية بعد عام 1920 . كما يمكن الإجابة على هذا التساؤل كالتالي :

أولاً : لقد توسع المجال الذي يقرّ فيه بنشاط العدوانية . فمن جهة يؤدي المفهوم القائل

بنزوة تدمير قابلة لأن تتوجه نحو الخارج ، وتعود فتتوجه نحو الداخل ، إلى جعل تحولات السادومازوشية حقيقة جد معقدة ، قادرة على تبيان العديد من أساليب الحياة النفسية . ومن جهة ثانية ، لا تنطبق العدوانية فقط على علاقات الموضوع أو العلاقة مع الذات ، بل تسري أيضاً على العلاقات بين مختلف الأركان (الصراع ما بين الأنا الأعلى والأنا) .

ثانياً : ينسف فرويد من خلال موضعة نزوة الموت في الشخص ذاته أصلاً ، ومن خلال جعل العدوان على الذات مبدأ العدوانية بحد ذاته ، فكرة العدوانية المطروحة تقليدياً ، ومنذ زمن طويل ، كأسلوب من العلاقة مع الآخر ، وكعنف يمارس عليه . وقد يجدر بنا في هذا المقام ، أن نطرح في مواجهة بعض تصريحات فرويد حول طبيعة الإنسان الشريرة(8) ، أصالة نظريته .

ثالثاً : هل تتيح لنا نظرية النزوات الأخيرة أن نخصص في نهاية المطاف العدوانية بشكل أفضل بالنسبة لفكرة النشاط ؟ وكما لاحظ دانيال لاجاش ذلك « يبدو النشاط ، منذ الوهلة الأولى ، كمفهوم أكثر اتساعاً بما لا يقاس مقارناً بالعدوانية ؛ إذ أن كل العمليات البيولوجية أو النفسية هي أشكال من النشاط . فلا تستوعب العدوانية إذاً من حيث المبدأ إلا بعض أشكال النشاط »(9) . ولكن ، وبالقدر الذي يميل فيه فرويد إلى تركيز كل ما يمتّ إلى نطاق التصرفات الحيوية في صف الإيروس ، فإنه يحضّنا على التساؤل حول مقومات تعريف السلوك العدواني ؛ ويمكن لمفهوم الوحدة ـ الإنفصال أن يشكل أحد عناصر الجواب هنا . فالواقع ، لا يتضمن هذا المفهوم فقط وجود خليط نزوي بمقادير متفاوتة ، بل يشمل أيضاً الفكرة القائلة بأن الإنفصال هو في جوهره انتصار لنزوة التدمير ، بالمقدار الذي تنحو فيه هذه النزوة نحو تدمير التجمعات ، وذلك على عكس الإيروس الذي يميل إلى توليدها والحفاظ عليها . تصبح العدوانية ، في هذا المنظور ، بالفعل قوة تفكّك وتفتيت . ولقد أشار الكتّاب من أمثال ميلاني كلاين ، الذين يؤكدون بالفعل على الدور السائد الذي تلعبه النزوات العدوانية منذ الطفولة الأولى ، إلى هذه الخصائص (المفككة) للعدوانية .

●●●

يسير مفهوم كهذا ، كما نرى ، مباشرة على عكس تطور معنى المصطلحات المنحوتة في علم النفس إنطلاقاً من جذر العدوان . ففي اللغة الإنجليزية خصوصاً ، يشير كل من إنجلش وإنجلش في معجمهما باسم : « المعجم العام لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسي » إلى أن تعبير الروح العدائية Aggressiveness بصيغته المخففة ، قد إنتهى بفقدان كل مضمون عدائي ، كي يصبح مجرد مرادف لـ « روح المبادرة » و« الحيوية » و« النشاط » ؛ وعلى العكس من ذلك لم تخفت قوة مصطلح العدوانية Aggressivity الذي يندرج بشكل أفضل في سلسلة تعابير « العدوان » و« إعتدى » (أ) .

(أ) تلزم الإشارة من الناحية المصطلحية ، أننا لا نجد في لغة فرويد إلا مصطلحاً واحداً هو العدوان Agression للدلالة على الإعتداءات ، وعلى العدوانية سواء بسواء .

(1) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1933. — *a)* G.W., XV, 110 ; S.E., XXII, 103 ; Fr., 141. — *b)* Cf. G.W., XV, 109 sqq. ; S.E., XXII, 103 sqq. ; Fr., 141 sqq.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. Lettre du 27-10-1897 : All., 241 ; Angl., 226 ; Fr., 200.

(3) Freud (S.). G.W., V, 281 ; S.E., VII, 117 ; Fr., 88.

(4) Freud (S.). *Der Witz und seine Beziehung zum Unbewussten*, 1905. G.W., VI, 106 ; S.E., VIII, 96-7 ; Fr., 109.

(5) Freud (S.). *a)* G.W., X, 214 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 34. — *b)* G.W., X, 230 ; S.E., XIV, 138 ; Fr., 63. — *c)* G.W., X, 231 ; S.E., XIV, 139 ; Fr., 64.

(6) Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. G.W., XIII, 376 ; S.E., XIX, 163-4 ; Fr., 216.

(7) Freud (S.). G.W., XIII, 11 ; S.E., XVIII, 14 ; Fr., 13.

(8) Cf. Freud (S.). *Das Unbehagen in der Kultur*, 1930.

(9) Lagache (D.). Situation de l'agressivité, in *Bull. Psychol*, 1960, XIV, n° 1, pp. 99-112.

عزل

Isolation

Eng.: Isolation

D.: Isolieren , Isolierung

■ إنه أوالية دفاعية تميز العصاب الهجاسي بشكل نموذجي . وتتلخص في عزل أحد الأفكار أو التصرفات وصولاً إلى قطع روابطه ببعض الأفكار الأخرى ، أو قطع الروابط بينه وبين بقية وجود الشخص . ونذكر من بين عمليات العزل حالات التوقف المؤقت في مجرى التفكير ، أو الصيغ ، أو الطقوس . وكل الإجراءات التي تتيح على وجه الإجمال إقامة هوّة في التسلسل الزمني للأفكار أو الأفعال ■ .

نجد أوضح نصوص فرويد حول العزل في كتابه « الصد ، العارض ، والقلق ، عام 1926 »(1a) حيث يوصف كتقنية خاصة بالعصاب الهجاسي .

يدافع بعض المرضى عن أنفسهم ضد فكرة ما أو انطباع أو فعل من خلال عزله عن سياقه بواسطة توقف مؤقت « لا يسمح خلاله لأي شيء بأن يحدث ، فلا شيء يُدرك ، ولا يتم أي فعل من أي نوع كان »(1b) . يطلق فرويد على هذه التقنية النشطة « الحركية » صفة السحرية ؛ وهو يقارب ما بينها وبين عملية التركيز العادية عند الشخص الذي يجهد في أن لا يدع تفكيره يتحول عن موضوع إهتمامه الراهن .

يتجلى العزل في مختلف الأعراض الهجاسية ، ونجده ناشطاً بشكل خاص في العلاج حيث يتضح من خلال تعليمات التداعي الحر الذي يشكل نقيضه (وهكذا نجد بعض الأشخاص يفصلون جذرياً تحليلهم عن حياتهم ، أو يفصلون سلسلة من الأفكار عن مجمل الجلسة ، أو هم يفصلون تصوراً ما عن سياقه الفكري ـ العاطفي) .

يرد فرويد النزعة إلى العزل في نهاية المطاف إلى نموذج بدائي من نماذج الدفاع ضد النزوة : أي منع اللمس ، « . . . باعتبار أن الإحتكاك الجسدي هو الهدف المباشر لتوظيف الموضوع سواء أكان

توظيفاً عدوانياً أم رقيقاً »(1c) .

يبدو العزل في هذا المنظور وكأنه « ... قضاء على إمكانية الإحتكاك أو وسيلة لتجنب الشيء للملمس ؛ كذلك فحين يعزل العصابي إنطباعاً أو نشاطاً من خلال التوقف المؤقت ، فإنه يفهمنا رمزياً بأنه لا يسمح للأفكار التي تتعلق بهذا الإنطباع أو ذاك النشاط ، أن تتصل من خلال الترابط مع ما عداها من الأفكار »(1d) .

تجدر الإشارة إلى أن العزل في هذا المقطع من « الصد ، العارض ، والقلق » لا يقتصر على نمط محدد من الأعراض ، بل يتخذ مدى أكثر عمومية . فلقد اعتبر أنه مواز للكبت عند الهستيريين : فإذا لم تكبت التجربة الصدمية في اللاوعي ، فإنها « ... تحرم من العاطفة الخاصة بها ، كما تقمع علاقاتها الترابطية ، أو تقطع مما يجعلها تستمر وكأنها كانت معزولة أو كأنها لم تبرز من جديد في مجرى النشاط الفكري »(1a) . ولا تعدو عمليات العزل التي تلاحظ في أعراض العصاب الهجاسي أن تكرر وتعزز هذا النوع من الإنشطار السابق عليه .

وإذا ما أخذت فكرة العزل بهذا المعنى الأكثر عمومية ، فإننا نجدها حاضرة في فكر فرويد منذ محاولاته الفكرية الأولى حول النشاط الدفاعي بشكل عام . وهكذا يؤخذ الدفاع ، في « حالات نفاس الدفاع عام 1894 » ، سواء في الهستيريا أم في مجموعة المخاوف والهجاسات على أنه عزل : « ... إذ يتم الدفاع من خلال فصل التصور غير القابل للاحتمال عن العاطفة الخاصة به ؛ ويبقى التصور في اللاوعي ، حتى بصورته المخففة والمعزولة »(2) .

●●●

يستخدم مصطلح العزل أحياناً في اللغة التحليلية النفسية بشكل عائم بعض الشيء ، مما يستدعي بعض التحفظات .

وغالباً ما يحدث خلط ما بين العزل وبين بعض العمليات التي تختلط به أو التي قد تكون إحدى نتائجه من مثل الإزاحة ، وتحييد العاطفة ، وحتى التفكك الذهاني .

كما يصار أحياناً إلى الحديث عن عزل العارض في حالة الأشخاص الذين يحسون بأعراضهم ويعرضونها وكأنها خارجة عن أي سياق وغريبة عنهم . نحن هنا بصدد حالة وجودية لا تتضمن بالضرورة أن تكون العملية الكامنة خلفها من نوع أوالية العزل الهجاسي . وتجدر الملاحظة أخيراً إلى أن تحديد الصراع وحصره هو من خصائص العارض الأكثر عمومية ؛ ويمكن لأي عارض أن يبدو إذاً وكأنه معزول بالنسبة لمجمل وجود الشخص .

وفي الواقع ، نعتقد أنه من المصلحة تخصيص مصطلح العزل للدلالة فقط على عملية دفاع نوعية تتراوح ما بين الإضطرار وبين موقف مستمر ومنتظم يتلخص في فصم روابط تداعيات فكرة أو فعل ما مع ما يسبقها وما يتلوهما في الزمن على وجه التخصيص .

(1) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., XIV, 150-2 ; S.E., XX, 120-2 ; Fr., 43-5. — *b)* G.W., XIV, 150 ; S.E., XX, 120 ; Fr., 43. — *c)* G.W., XIV, 152 ; S.E., XX, 122 ; Fr., 44. — *d)* G.W., XIV, 152 ; S.E., XX, 122 ; Fr., 45. — *e)* G.W., XIV, 150 ; S.E., XX, 120 ; Fr., 43.

(2) Freud (S.). G.W., I, 72 ; S.E., III, 58.

عصاب
Névrose
Eng.: Neurosis
D.: Neurose

■ إنه إصابة نفسية المنشأ تكون فيها الأعراض تعبيراً رمزياً عن صراع نفسي يستمد جذوره من التاريخ الطفلي للشخص، ويشكل تسوية ما بين الرغبة والدفاع .

لقد تفاوت مدى شمول مصطلح العصاب ؛ وهناك ميل في المرحلة الحاضرة ، لجعله يقتصر في استخدامه ، حين تستعمل الكلمة وحدها على الأشكال العيادية التي يمكن إلحاقها بالعصاب الهجاسي ، والهستيريا والعصاب الخوافي . وهكذا يميز علم الأمراض ما بين العصاب ، والذهان والشذوذ ، والإصابات النفسدية . بينما تظل المكانة المرضية لما يطلق عليه إسم « العصاب الراهن » ، و« العصاب الصدمي » ، و« عصاب الطبع » موضع نقاش ■ .

يبدو أن الطبيب الإسكتلندي وليم كولن هو الذي أدخل مصطلح العصاب في مؤلف طبي ظهر عام 1777 بعنوان « الخطوط الأولى في ممارسة الطب » . ويحمل القسم الثاني من مؤلفه عنوان « الأعصبة أو الأمراض العصبية » ولا يقتصر فقط على علاج الأمراض العقلية أو « الهذيانات » بل يعالج أيضاً عسر الهضم ، خفقان القلب ، النوبات المعوية ، الهكع والهستيريا .

ولقد جرت العادة خلال القرن التاسع عشر على إدراج قائمة بأكملها من الإصابات تحت إسم العصاب ، وهي إصابات تتميز بما يلي :

أ ـ إن لها موضعٌ عضويٌ محددٌ (ومن هنا مصطلحات « العصاب الهضمي » ، و« العصاب القلبي » ، و« عصاب المعدة » إلخ) ، وإلا فإنه يفترض أن لها موضع محدد كما في حالة الهيستيريا (التي تقع في الرحم ، أو القناة الهضمية) وحالة الهكع ؛

ب ـ وهي إصابات وظيفية ، أي « بدون التهاب ، أو كلم في بنية »(1) العضو موضع البحث ؛

جـ ـ كما أنها تعتبر من ضمن أمراض الجهاز العصبي . ويبدو أنه يتعين تقريب فهم مصطلح العصاب في القرن التاسع عشر من الأفكار الحديثة حول الإصابات النفسدية ، ومن العصاب العضوي . ولكن المصطلح كان يغطي من حيث مداه التصنيفي المرضي ، إصابات تتوزع في أيامنا هذه على مجالات ثلاثة هي « العصاب » (من مثل الهستيريا) ، والأمراض النفسدية (من مثل العياء ، والإضطرابات الهضمية) ، وعلم الأعصاب (من مثل الصرع ، ومرض باركنسون) .

ويتطلب تحليل التغيرات التي طرأت على فكرة العصاب في نهاية القرن التاسع عشر ، إستقصاءً تاريخياً موسعاً ، وخصوصاً أن هذا التطور يختلف من بلد إلى آخر . نكتفي إذاً بالقول ، من أجل إيضاح المسألة ، أن معظم المؤلفين في تلك الفترة يدركون الطابع المشتت للإصابات التي تدرج في خانة « العصاب »(2) .

ويتمايز عن هذا المزيج تدريجياً بعض الإصابات التي تدفعنا أسباب وجيهة للإفتراض بأن وراءها كلم معين في الجهاز العصبي (من مثل الصرع ، ومرض باركنسون ، والتشنجات العصبية

المرضية Chorée) .

ومن ناحية ثانية تميل مجموعة الأعصبة ، على الحدود المتحركة التي تفصلها عن الأمراض العقلية ، إلى استقد ساب وضم لوائح عيادية (من مثل حالات الهجاس والخواف) التي لا زال بعض المؤلفين يدرجونها في فئة « الذهان » ، « وحالات الجنون » أو « الهذيانات » .

يشهد موقف بيار جانيه بهذا الصدد على نتيجة هذا التطور في فرنسا في نهاية القرن الماضي ؛ إذ يميز جانيه أساساً ما بين فئتين كبيرتين للعصاب هما : الهستيريا والعياء النفسي Psychastenic (التي تغطي بشكل عام ما أطلق عليه فرويد إسم العصاب الهجاسي) .

***

ما هو موقف فرويد من ذلك كله في تلك الحقبة(1895 -1900) ؟ يبدو أنه وجد في الثقافة الطبية العقلية باللغة الألمانية ، تمييزاً موثوقاً نسبياً من وجهة النظر العيادية ما بين الذهان والعصاب . فيما عدا بعض التذبذب الطفيف جداً في مصطلحاته ، نجده يدل بهذين المصطلحين على نفس الإصابات التي لا زالت تندرج تحت كل منهما حالياً .

ولكن الهمّ الأساسي عند فرويد لم يتوجه في تلك الفترة إلى تحديد مجال كل من الذهان والعصاب ، بل كان جل همه هو أن يوضح الأوالية النفسية المولدة لسلسلة بأكملها من الإصابات . ينتج عن ذلك أن محور تصنيفه للأمراض يدور حول الأعصبة الراهنة ، حيث يتعين التفتيش عن السبب في اضطراب النشاط الوظيفي الجسدي للحياة الجنسية ، وحول حالات النفاس حيث يكون الصراع النفسي حاسماً (في تحديد الإضطراب) . تتضمن هذه الطائفة أو طائفة « نفاس الدفاع » ، أعصبة من مثل الهستيريا وحالات ذهان تسمى أحياناً باسم « ذهان الدفاع » من مثل العظام(2، 3) .

ويحاول فرويد في نفس المنظور ، أن يغلّب فيما بعد مصطلح النفاس (أو العصاب) النرجسي ، للدلالة على ما كان يُعرّف في الطب العقلي في تلك الحقبة باسم الذهان . ولكنه يعود أخيراً إلى التصنيف الطبي العقلي الشائع ، ويحتفظ بمصطلح العصاب النرجسي للدلالة على الذهان الإهتياجي - السوداوي(4) دون سواه . كما تجدر الإشارة في النهاية إلى أن فرويد قد ميّز بوضوح مجال الأعصبة عن مجال حالات الشذوذ في مرحلة جد مبكرة .

ويمكن تلخيصاً لما سبق ، إقتراح اللائحة التالية التي تبين باختصار مدى تطور مفهوم العصاب في التصنيف المرضي التحليلي النفسي .

<table dir="rtl">
<tr><td>عام 1915</td><td colspan="2">الأعصبة الراهنة</td><td colspan="3">حالات النفاس
نفاس النقلة | النفاس النرجسي</td></tr>
<tr><td>عام 1924</td><td colspan="2">الأعصبة الراهنة</td><td>الأعصبة</td><td>الأعصبة النرجسية</td><td>حالات الذهان</td></tr>
<tr><td>التصنيف المعاصر</td><td>الإصابات النفسدية</td><td colspan="2">الأعصبة</td><td colspan="2">حالات الذهان
الإهتياجي السوداوي | العظام والفصام</td></tr>
</table>

حتى ولو تفاوتت التفريعات داخل طائفة الأعصبة ، تبعاً للمؤلفين ، (إذ نرى الخواف قد يلحق بالهستيريا ، أو يعتبر إصابة قائمة بذاتها) ، فبالإمكان أن نتبين حالياً إجماعاً واسعاً على نوعية التحديد العيادي لمجمل التكوينات المرضية التي تعتبر عصابية . وبمعنى من المعاني يشهد اعتراف العلم العيادي المعاصر بوجود « حالات بينية » على أن مجـال العصاب يعتبر محدداً تماماً ، من حيث المبدأ على الأقل . ويمكن القول أن الفكر التحليلي النفسي على وفاق كبير مع التحديد العيادي المعتمد من قبل الغالبية العظمى من المدارس الطبية العقلية .

وأما التعريف « الشمولي » لفكرة العصاب ، فيمكن تصورها نظرياً ، إما على مستوى علم الأعراض كتجمع لعدد من الخصائص التي تسمح بتمييز الأعراض العصابية ، عن الأعراض الذهانية أو الشاذة ، وإما على مستوى البنية (الخاصة بالعصاب) .

ففي الواقع ، تتفاوت غالبية محاولات التعريف التي يقترحها الطب العقلي بين هذين المستويين ، حين لا تقتصر على إقامة مجرد تمييز في الدرجة ما بين إضطرابات « أكثر خطورة » وبين إضطرابات « أقل خطورة » . ونسوق على سبيل المثال محاولة التعريف التالية التي قدمها مؤلف حديث : « تتصف الملامح العيادية للأعصبة بما يلي :

« أ ـ بالأعراض العصابية » . وهي إضطرابات في السلوك ، أو المشاعر ، أو الأفكار التي « تبدي » دفاعاً ضد القلق ، وتشكل تسوية تجاه هذا الصراع الداخلي يحقق منها الشخص ، في موقعه العصابي ، شيئاً من الكسب (المكاسب الثانوية من العصاب) ؛

« ب ـ كما تتصف « بالطابع العصابي للأنا » . إذ لا يفلح هذا الأنا في الوصول إلى علاقات جيدة مع الآخرين ، وإلى توازن داخلي مرضٍ ، من خلال تحديد هوية شخصه الخاص »(5) .

***

وإذا نحن حاولنا ، على صعيد فهم هذا المصطلح ، إرساء خصوصية العصاب ، كما تستخلصه الممارسة العيادية ، فقد تختلط مهمتنا مع النظرية التحليلية النفسية ذاتها ، باعتبار أن هذه النظرية تشكلت في الأساس باعتبارها نظرية في الصراع العصابي على مختلف كيفياته .

من العسير اعتبار التمايز ما بين البنى الذهانية ، والشاذة والعصابية ، منجزاً تماماً . ولهذا السبب ، يتعرض التعريف الذي قدمناه لخطر لا مفر منه في أن يأتي فضفاضاً ، بالقدر الذي يمكن أن ينطبق فيه ولو جزئياً على حالات الشذوذ والذهان .

(أ) أنظر على سبيل المثال ، أ . أكسنفلد : « لقد أُسست طائفة الأعصبة بأكملها على مفهوم سلبي ؛ إذ أنها ولدت يوم وجد علم التشريح المرضي ، الذي كان يتولى تفسير الأمراض من خلال ما يلمّ بها من التيائات عضوية، نفسه إزاء عدد من الحالات المرضية التي لم يستطع وضع يده على أسباب وجودها »(6) .

(1) Barras. *Traité sur les gastralgies et les entéralgies, ou maladies nerveuses de l'estomac et de l'intestin*, Paris, Bruxelles, 1829.

(2) Cf. Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 74 ; S.E., III, 60.

(3) Cf. Freud (S.). *Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen*, 1896. G.W., I. 392 ; S.E., III, 174.

(4) Cf. Freud (S.). *Neurose und Psychose*, 1924. G.W., XIII, 390 ; S.E., XIX, 152.

(5) Ey (H.), Bernard (P.) et Brisset (Ch.). *Manuel de psychiatrie*, Masson, Paris, 1963.

(6) Axenfeld (A.). *Traité des névroses*, Germer Baillière et Cie, 2e éd., 1883, 14.

عصاب أسري

Névrose familiale
Eng.: Family neurosis
D.: Familienneurose

■ يستعمل هذا المصطلح للدلالة على واقعة تكامل الاعصبة الفرّدية وتشريطها المتبادل ، ضمن أسرة معينة ، وكذلك لتبيان التأثير المرضي الذي قد تمارسه البنية الأسرية ، وبنية العلاقة الزوجية بين الوالدين بشكل رئيسي ، على الأطفال ■ .

المحللون النفسيون الفرنسيون هم الذين استعملوا أساساً مصطلح العصاب الأسري ، على اثر رينيه لافورج(1) . ولايشكل العصاب الأسري كياناً مرضياً على حد قولهم هم أنفسهم .

يضم هذا المصطلح بشكل شبه مجازي طائفة من الإنجازات الأساسية للتحليل النفسي من مثل : الدور المركزي الذي يلعبه التماهي بالأهل في تكوين الشخص ؛ وعقدة الأوديب باعتبارها عقدة نواتية في العصاب ؛ والأهمية التي تلعبها علاقة الأهل فيما بينهم في تكوين الأوديب ، إلخ . . . ويصر رينيه لافورج خصوصاً على التأثير المرضي الذي يمارسه زوجان والديان تكونا إنطلاقاً من نوع معين من التكامل العصابي (كالثنائي السادو - مازوشي على سبيل المثال) .

إنما لايتلخص الكلام عن العصاب الأسري في التأكيد على أهمية المحيط بقدر ما ينصب على الدور الذي يلعبه كل من أعضاء الأسرة في شبكة التفاعلات العلائقية اللا واعية ضمنها (وهو ما يطلق عليه غالباً إسم « التركيبة » الأسرية) . ويكتسب المصطلح قيمته خصوصاً في المقاربة العلاجية للأطفال ، باعتبارهم متموضعين رأساً في تلك « التركيبة » . وقد يؤدي ذلك ، بالمعالج النفسي ، على الصعيد العملي ، ليس فقط إلى محاولة التأثير مباشرة على المحيط ، بل قد يؤدي به أيضاً إلى رد الطلب الذي يعبّر عنه الأهل لعلاج الطفل ، إلى عصاب الأسرة ذاته ، (باعتبار أن مرض الطفل في هذه الحالة يشكل « عارض » (مرض) الأهل) .

تنتج فكرة عصاب الأسرة ، تبعاً لرينيه لافورج ، عن مفهوم الأنا الأعلى الفرويدي كما يتجلى في السطور التالية : « لايتكون الأنا الأعلى للطفل على صورة الأهل ، بل هو يتكون فعلياً على صورة أناهم الأعلى هم أنفسهم ؛ فهو يمتلىء بنفس المحتوى ، ويصبح ممثل التقاليد ، وكل الأحكام التقويمية التي تستمر هكذا خلال الأجيال »(2) .

لم يعد مصطلح العصاب الأسري مستعملاً البتة في التحليل النفسي ؛ فإذا كانت أهميته تكمن في لفت الإنتباه إلى تكامل وظائف مختلف الأشخاص ضمن مجال لاواع معين ، فإنه لايجوز أن يؤدي إلى التقليل من أهمية الهوامات الخاصة بكل شخص ، لمصلحة تغليب التعامل مع الوضعية الواقعية ، واعتبارها العامل الحاسم في تحديد العصاب .

(1) Cf. Laforgue (R.). A propos de la frigidité de la femme, in *R.F.P.*, 1935, VIII, 2, 217-26. La névrose familiale, in *R.F.P.*, 1936, IX, 3, 327-55.
(2) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, 73 ; S.E., XXII, 67 ; Fr., 94-5.

عصاب خوافي

Névrose phobique
Eng.: Phobic neurosis
D.: Phobische neurose

■ أنظر : هستيريا القلق ■ .

عصاب راهن

Névrose actuelle
Eng.: Actual neurosis
D.: Aktualneurose

■ هو نمط عصابي يميزه فرويد عن النفاس كما يلي :
أ ـ لا يتعين البحث عن أصل الأعصبة الراهنة في الصراعات الطفلية ، بل في الحاضر ؛
ب ـ لا تشكل الأعراض في هذه الحالة تعبيراً رمزياً وذات حتم مضاعفٍ ، بل تنتج مباشرة عن غياب أو عدم تلاؤم الإشباع الجنسي .
شمل فرويد في البداية في الأعصبة الراهنة كل من عصاب القلق ، والعياء ، ثم إقترح لاحقاً إدراج المكع ضمنها أيضاً ■ .

ظهر مصطلح « العصاب الراهن » في أعمال فرويد عام 1898 للدلالة على عصاب القلق والعياء(1a) ، ولكن فكرة خصوصية هذه الإصابات بالمقارنة مع بقية الأعصبة ، برزت في مرحلة أكثر تبكيراً من مراحل أبحاثه حول أسباب الأعصبة ، سواء في مراسلاته مع فلايس(2) ، أم في منشوراته خلال الأعوام 1894 -1896 (3) .

1 ـ يقوم التعارض ما بين الأعصبة الراهنة ، وحالات النفاس أساساً على اعتبارات سببية ومولّدة للمرض : فمع أن السبب جنسي فعلاً في نمطي العصاب هذين ، إنما يتعين البحث عنه هنا في « إضطرابات الحياة الجنسية الراهنة » وليس في « أحداث هامة من حياة الماضي »(4) . وهكذا يتعين النظر إلى مصطلح « الراهن » بادىء ذي بدء بمعنى الزمن « الحالي »(1b) ومن ناحية ثانية فالسبب هنا هو جسدي وليس نفسياً : « إذ يوجد مصدر الإثارة ، أو العامل المفجر للإضطراب في المجال الجسدي بينما يكمن في كل من الهستيريا والعصاب الهجاسي في المجال النفسي »(5) . يتمثل هذا العامل بغياب تفريغ الإثارة الجنسية في عصاب القلق ، بينما يتمثل في حالة العياء بإرضاء غير ملائم لتلك الإثارة (كما هو الحال في الإستمناء على سبيل المثال) .

وأخيراً ، تكون أوالية تكوين الأعراض جسدية (مثلاً تحول الإثارة المباشر إلى قلق) وليست رمزية . ويأتي مصطلح الراهن كي يتضمّن هنا غياب التوسّط الذي نجده في تكوين الأعراض النفاسية (من إزاحة ، وتكثيف ، إلخ) .

تؤدي هذه الآراء ، من وجهة النظر العلاجية ، إلى الفكرة القائلة بأن الأعصبة الراهنة لاتمتّ

إلى مجال التحليل النفسي ، إذ لاتصدر الأعراض في هذه الحالة عن معنى يمكن العمل على جلائه(6) .

لم يتخل فرويد مطلقاً عن هذه الآراء حول خصوصية الأعصبة الراهنة . ولقد عاد فعبّر عنها في مناسبات مختلفة ، مشيراً إلى أنه يتعين البحث عن أوالية تكوين الأعراض في مجال الكيمياء (أي التسمم بالآثار الناتجة عن عمليات أيض المواد الجنسية)(7) .

2 ـ لاتقتصر العلاقة ما بين حالات النفاس والأعصبة الراهنة على مجرد التعارض الكلي ؛ فلقد حاول فرويد ، في العديد من المرات ، إقامة تطابق في جميع النقاط ، ما بين العياء وعصاب القلق من ناحية ، وبين مختلف أنواع أعصبة النقلة من ناحية ثانية . وحين قدّم الهكع لاحقاً كعصاب راهن ثالث(8) ، فإنه جعله يتطابق مع الفصام العظامي أو حالات النفاس النرجسية (الفصام والعظام) . ولايقتصر تبرير هذه التطابقات على التماثل البنيوي بينها ، بل يتعداه أيضاً إلى واقعة كون « . . . عارض العصاب الراهن هو في الكثير من الأحيان نواه العارض النفاسي ومرحلته التمهيدية »(9) . ونوضح هذا العنصر الراهن تحديداً ، تلك الفكرة القائلة بأن النفاس يتفجر بسبب إحباط يؤدي إلى إنحباس الليبيدو(10) .

●●●

ينزع مفهوم العصاب الراهن في أيامنا الحاضرة إلى الزوال من التصنيف المرضي إذ تتضمن أعراضه دوماً تعبيراً رمزياً عن صراعات قديمة ، وذلك بصرف النظر عن قيمة العوامل الراهنة التي جرّت إليه . ومع هذا ، تحتفظ فكرة الصراع والعارض الراهنين بقيمتها وتستدعي ذكر الملاحظات التالية :

1 ـ إن التمييز ما بين الصراعات ذات الأصل الطفلي التي تُنشّط من جديد في الحاضر ، والصراعات التي تتحدد في شطرها الأعظم من خلال الوضعية الراهنة يفرض نفسه في الممارسة التحليلية النفسية : وهكذا فغالباً ما يشكل وجود صراع حاد راهن عقبة في وجه العلاج التحليلي النفسي ؛

2 ـ يوجد في كل نفاس ، إضافة إلى الأعراض التي يمكن جلاء معناها ، طائفة من الأعراض المتفاوتة في أهميتها من نمط تلك التي وضعها فرويد في إطار الأعصبة الراهنة : من مثل حالات التعب التي لامبرر لها ، والأوجاع الغامضة ، الخ . . . وطالما أن الصراع الدفاعي يمنع تحقيق الرغبة اللاواعية ، فيصبح من المعقول أن يولّد هذا الليبيدو غير المشبَعْ عدداً من الأعراض غير النوعية .

3 ـ وتجدر الملاحظة ، في هذا الإتجاه نفسه ، أن الأعراض « الراهنة » هي ، في مفاهيم فرويد من النمط الجسدي بصورة رئيسية ، وأن فكرة العصاب الراهن القديمة ، تقودنا مباشرة إلى المفاهيم الحديثة حول الإصابات النفسدية ؛

4 ـ وتجدر الملاحظة أخيراً بأن فرويد يقتصر في نظريته على استعراض عدم اشباع النزوات

الجنسية دون ما عداها . ولكن هناك ما يبرر أخذ قمع العدوانية بعين الاعتبار أيضاً في تكوين الأعراض العصابية الراهنة والنفسدية على حد سواء .

(1) Cf. Freud (S.). *Die Sexualität in der Ätiologie der Neurosen*, 1898. — *a)* G.W., I, 509 ; S.E., III, 279. — *b)* G.W., I, 496-7 ; S.E., III, 267-8.

(2) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., manuskript B, 8-2-93, 76-82 ; manuskript E, 98-103. Angl., manuscript B, 66-72 ; manuscript E, 88-94. Fr., manuscrit B, 61-6 ; manuscrit E, 80-5.

(3) Cf. par exemple : Freud (S.). Zur Psychotherapie der Hysterie, in *Studien über Hysterie*, 1895. *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1894. *L'hérédité et l'étiologie des névroses*, 1896.

(4) Freud (S.). *L'hérédité et l'étiologie des névroses*, 1896. G.W., I, 414 ; S.E., III, 149 ; Fr., 165.

(5) Freud (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1894. G.W., I, 341 ; S.E., III, 114.

(6) Cf. Freud (S.). Zur Psychotherapie der Hysterie, in *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 259 ; S.E., II, 261 ; Fr., 210.

(7) Cf. par exemple : Freud (S.). *Zur Einleitung der Onaniediskussion. Schlusswort der Onaniediskussion*, 1912. G.W., VIII, 337 ; S.E., XII, 248. *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 400-4 ; S.E., XVI, 385-89 ; Fr., 413-17.

(8) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 149-51 ; S.E., XIV, 82-5.

(9) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 405 ; S.E., XVI, 390 ; Fr., 418.

(10) Cf. Freud (S.). *Über neurotische Erkrankungstypen*, 1912. G.W., VIII, 322-30 ; S.E., 231-8.

عصاب صَدْمي

Névrose traumatique
Eng.: Traumatic neurosis
D.: Traumatische neurose

■ هو نمط من العصاب تظهر فيه الأعراض إثر صدمة إنفعالية ترتبط عموماً بوضعية أحس الشخص فيها أن حياته مهددة بالخطر . وهو يتخذ في لحظة الصدمة شكل نوبة قلق عارمة قد تجر إلى حالات من الهياج ، والذهول أو من الخلط العقلي . ويتيح لنا تطوره اللاحق ، الذي يأتي غالباً بعد فترة من السكينة ، أن نميز إجمالياً ما بين حالتين :

أ ـ تقوم الصدمة بدور العنصر المفجر ، الذي يكشف عن بنية عصابية سابقة عليها .

ب ـ تلعب الصدمة في هذه الحالة الثانية ، دوراً حاسماً في محتوى العارض نفسه على شكل (معاودة الحادث الصدمي ، وكوابيس تكرارية ، وإضطرابات في النوم ، إلخ) ، والذي يبدو كأنه محاولة متكررة « لاستيعاب » الصدمة وتصريفها ؛ ويصاحب هذا « التثبيت على الصدمة » صد لنشاط الشخص يتفاوت في درجة تعميمه .

يخصص فرويد والمحللون النفسيون تسمية العصاب الصدمي عادة لهذه اللائحة العيادية الأخيرة ■ .

ظهور مصطلح العصاب الصدمي سابق على التحليل النفسي (1) ، ولا زال يستعمل في الطب العقلي بشكل متغير يرجع إلى ما يحيط بفكرة الصدمة من غموض ، وإلى تنوع التوجهات النظرية التي يتيحها هذا الغموض .

ففكرة الصدمة هي جسدية في المقام الأول ؛ حيث تدل في هذه الحالة على: « ... الكلوم التي تنتج عرضاً وبشكل مباشر عن عوامل ميكانيكية يفوق فعلهـا المؤذي درجة مقاومة الأنسجة أو الأعضاء التي تصيبها »(1) ؛ وتقسم الصدمات إلى جروح وكدمات (أو صدمات مقفلة) تبعاً لحدوث تمزق في الغطاء الجلدي أم لا .

وأما في الطب العقلي ، فيصار إلى الكلام عن الصدمة بمعنيين جد مختلفين :

1 ـ فإما أن يطبق على الحالة الخاصة للجهاز العصبي المركزي المفهوم الجراحي للصدمة التي تتفاوت في نتائجها هنا ، ما بين الكلوم البينة في الجهاز العصبي ، وبين كلوم مكروسكوبية مفترضة (من مثل فكرة الارتجاج) ؛

2 ـ أو أن تنقل فكرة الصدمة إلى المستوى النفسي بشكل مجازي ، وتعني في هذه الحالة أي حدث يقتحم فجأة التنظيم النفسي للفرد . وتطرح معظم الوضعيات المولدة للأعصبة الصدمية (من حوادث ، ومعارك ، وإنفجارات ، إلخ) مشكلة تشخيصية على الأطباء العقليين ، على المستوى العملي (فهل هناك كلم عصبي أم لا ؟) ، كما أنها تترك على المستوى النظري حيّزاً كبيراً من الحرية في تقدير السببية النهائية للإضطراب ، تبعاً للتوجه النظري الذي يتبناه كل منهم . ويذهب بعض المؤلفين بعيداً في هذا المضمار ، حتى أنهم يدرجون اللائحة العيادية للأعصبة الصدمية ضمن إطار « الصدمات الجمجمية ـ المخية »(2) ، (أنظر : صدمة نفسية) .

***

وإذا ما اقتصرنا على مجال الصدمة ، كما يطرحه التحليل النفسي ، يمكن تناول مصطلح العصاب الصدمي ، من منظورين مختلفين إلى حد ما .

أولاً : يتعين علينا أن نأخذ بعين الإعتبار ، إنطلاقاً مما يطلق فرويد عليه إسم « السلسلة المكملة » في إنطلاق العصاب ، عاملين يتفاوتان (في تأثيرهما) بشكل عكسي بالنسبة لبعضهما البعض وهما : الإستهياء والصدمة . وهكذا نجد سلّماً كاملاً من الحالات ما بين تلك التي يتخذ فيها حدث طفيف قيمة تفجيرية بسبب من ضعف درجة تحمّل الشخص لأي إثارة من أي نوع كان أو إثارة من نوع محدد ، وبين الحالات التي يجتاح فيها الشخص إلى التعرض لحادث مفرط في شدته موضوعياً بشكل استثنائي كي يضطرب توازنه فجأة .

لا بد من تسجيل عدة ملاحظات بهذا الشأن :

1 ـ تصبح فكرة الصدمة هنا نسبية تماماً ؛

2 ـ تميل مشكلة الثنائي الصدمة ـ الاستهياء إلى الاختلاط مع مشكلة الدور النسبي لكل من العوامل الراهنة والصراع السابق عليها (أنظر : العصاب الراهن) .

3 ـ ينكب المحللون النفسيون في الحالات التي نعثر فيها بوضوح على صدمة هامة كانت في

أصلي ظهور الأعراض ، على البحث عن صراعات عصابية في تاريخ الفرد لم يقم الحدث بأكثر من تفجيرها . ويجدر بنا أن نشير تأكيداً لوجهة النظر هذه إلى تقارب الإضطرابات التي يغلب أن تثيرها الصدمة (من حرب ، أو حادث ، أو خلافه) من تلك التي نصادفها في أعصبة النقلة التقليدية ؛

4 ـ ومن الحالات الطريفة بشكل خاص في هذا المنظور ، تلك الحالات التي يقوم فيها حدث خارجي بتحقيق رغبة مكبوتة عند الشخص ، أو هو يخرج (إلى حيز الوعي) هواماً لا واعياً . يصطبغ العصاب المنطلق ، في أمثال هذه الحالات ، بسيمات تقرّبه من الأعصبة الصدمية ، أي : المعاودة ، والأحلام التكرارية ،(3) إلخ ؛

5 ـ وهناك من حاول في نفس هذا الخط الفكري ، رد وقوع الحدث الصدمي نفسه إلى استهياء عصابي خاص . إذ يبدو بعض الأشخاص وكأنهم يفتشون بشكل لا واعٍ عن الوضعية الصدمية ، في نفس الوقت الذي يخشونها فيه ، وهم يكررون بهذا ، في رأي فينشل صدمة طفلية بهدف تصريفها : « . . . إذ يرغب الأنا في التكرار بغية حل التوتر المؤلم ، ولكن التكرار هو مؤلم بحد ذاته [. . .] . مما يوقع المريض في حلقة مفرغة . فهو لا يوفق أبداً في السيطرة على الصدمة من خلال تكراراته هذه ، لأن كل محاولة تحمل له تجربة صدمية جديدة»(4a) . ويرى فينشل في هؤلاء الأشخاص الذين يوصفون بأنهم « نزاعون إلى الصدمات» حالة نموذجية من « إمتزاج الأعصبة الصدمية مع النفاس »(4b) . وتجدر الإشارة بهذا الصدد على كل حال إلى أن كارل إبراهام هو الذي أدخل مصطلح « النزوع الى الصدمة » برد صدمات الطفولة الجنسية ذاتها الى استهياء موجود لديهم سلفاً للنزوع الى الصدمة(5) .

ثانياً : وهكذا نرى كيف يؤدي الاستقصاء التحليلي النفسي إلى التشكيك بفكرة العصاب الصدمي : فهو يعترض على وظيفة الحدث الصدمي المؤثرة من خلال التأكيد على نسبيتها بالمقارنة مع طاقة الشخص على التحمل من ناحية ، ومن خلال غرس التجربة الصدمية في تاريخ الشخص وتنظيمه الخاص من ناحية ثانية . وهكذا لا تعدو فكرة العصاب الصدمي ، في هذا المنظور ، كونها مقاربة أولية ، ووصفية محضة ، لا تصمد إزاء التحليل الأكثر تعمقاً للعوامل موضع البحث .

ولكن أوّلا يتوجب علينا رغم ذلك إفراد مكانة خاصة ، من وجهة النظر التصنيفية والسببية المرضية ، لبعض الأعصبة التي تكون فيها الصدمة من حيث طبيعتها ذاتها وشدتها ، العامل الأكثر فعلاً وغلبة في تفجرها ، وحيث تتمتع الأواليات المحركة لها ولائحتها العارضية ، بخصوصية نسبية ، بالمقارنة مع أواليات وأعراض حالات النفاس ؟

يبدو أن ذلك هو موقف فرويد كما يبرز أساساً في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » إذ يقول : « تقترب اللائحة العارضية للعصاب الصدمي من لائحة الهستيريا من حيث غناها بالأعراض الحركية المماثلة ؛ ولكنها تتجاوزها كقاعدة عامة على صعيد إشارات الألم الذاتي الصارخة جداً والخاصة بها ـ مما يذكرنا بالمكع أو السوداوية ـ كما تتجاوزها على صعيد دلائل الوهن والاضطراب الأكثر شمولاً في الوظائف النفسية »(6a) . ويصرّ فرويد حين الحديث عن العصاب الصدمي على الطابع الجسدي والنفسي للصدمة أي « الهزة العنيفة » التي تصيب المتعضي محدثة فيضاً من الإثارة) وما يرافقها من (رعب) في آن معاً(7) . ويرى فرويد في هذا الرعب « . . . أي

تلك الحالة التي تحدث حين نقع في وضعية خطرة دون أن نكون مستعدين لها »(6b) العامل الحاسم في تحديد العصاب الصدمي .

ولا يستطيع الشخص أن يرد على فيض الإثارة الذي يتفجّر هكذا مهدداً تكامله ، لا بواسطة التفريغ الملائم ولا من خلال الإرصان النفسي . وحيث أن وظائف الإرتباط لديه قد غُلبت على أمرها ، فإنه سيكرر بشكل إضطراري ، وخصوصاً من خلال الأحلام(5) الوضعية الصدمية في محاولة منه لربطها و(مكاملتها) أنظر : إضطرار التكرار ؛ والإرتباط) .

إلا أنه لم يفت فرويد الإشارة إلى ما يمكن أن يوجد من نقاط عبور ما بين الأعصبة الصدمية وبين أعصبة النقلة(8) . وهو يترك مسألة خصوصية الأعصبة الصدمية مفتوحة ، كما تشهد عليه السطور التالية من « الموجز في التحليل النفسي عام 1938 » ؛ : « من المحتمل أن يشكّل ما نطلق عليه اسم الأعصبة الصدمية (التي يفجّرها الرعب المفرط في شدته أو تفجرها الصدمات الجسدية الخطيرة من مثل اصطدام القطارات ، أو الإنهيارات وسواها) حالة استثنائية ؛ إلا أن علاقاتها مع العوامل الطفلية لا زالت تفلت إلى الآن من استقصاءاتنا »(9) .

(أ) يبدو أن اوبنهايم هو الذي أدخل هذا المصطلح (تبعاً لقول دائرة المعارف الطبية ـ الجراحية : باب الطب العقلي) .

(ب) « تتصف الحياة الحلمية في الأعصبة الصدمية بأنها ترد المريض باستمرار إلى وضعية الحادث الذي وقع له ، وهي وضعية يصحو منها في حالة جديدة من الرعب »(6c) .

(1) Forgue (E.). *Précis de pathologie externe*, 1948, I, 220, 11ᵉ éd., Masson, Paris.
(2) Cf. sur ce point : Ey (H.). *Encyclopédie médico-chirurgicale : neurologie*, article « Traumatismes cranio-cérébraux », n° 17585, 1955.
(3) Cf. par exemple : Lagache (D.). Deuil pathologique, 1957, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, II, 45-74.
(4) Fenichel (O.). *The Psychoanalytic Theory of Neurosis*, 1945. Fr. : *La théorie psychanalytique des névroses*, P.U.F., Paris, 1953. — *a)* 649-51. — *b)* chap. XXI.
(5) Cf. Abraham (K.). *Das Erleiden sexueller Traumen als Form infantiler Sexualbetätigung*, 1907. Fr., I, 24-35.
(6) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 9 ; S.E., XVIII, 12 ; Fr., 7. — *b)* G.W., XIII, 10 ; S.E., XVIII, 12 ; Fr., 8. — *c)* G.W., XIII, 10 ; S.E., XVIII, 13 ; Fr., 8.
(7) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 103 ; S.E., VII, 202 ; Fr., 101.
(8) Cf. Freud (S.). *Einleitung zur Psychoanalyse der Kriegsneurosen*, 1919. G.W., XII, 321 sqq. ; S.E., XVII, 207 sqq.
(9) Freud (S.). G.W., XVII, 111 ; S.E., XXIII, 184 ; Fr., 54.

Névrose de caractère

عصاب الطبع

Eng.: Character neurosis
D.: Charakterneurose

■ إنه نمط من العصاب لا يتمثل فيه الصراع الدفاعي بتكوين أعراض قابلة للعزل بشكل واضح ، بل هو يتمثل بسمات من الطبع ، وأساليب من السلوك وحتى بتنظيم مرضي لمجمل الشخصية ■ .

أصبح مصطلح عصاب الطبع شائع الاستعمال في التحليل النفسي المعاصر ، حتى بدون أن يتخذ معنى دقيقاً بما فيه الكفاية .

وإذا كانت هذه الفكرة قد ظلّت قليلة التحديد ، فذلك لأنها تثير بلا شك إشكالات لا تقتصر على المشكلات التصنيفية المرضية (فهل يمكن فعلاً تمييز عصاب الطبع عما عداه ؟) ، بل تتعداها إلى المشكلات النفسية (أي اصل ، وأساس ، ووظيفة ما يطلق عليه في علم النفس إسم الطبع) ، وإلى المشكلات التقنية (أي ما هي المكانة التي يجب أن يحتلها تحليل الدفاعات التي يطلق عليها إسم « الطبع » ؟) .

تستمد هذه الفكرة أصولها في الواقع ، من أعمال تحليلية نفسية متنوعة المشارب :

1 ـ فهناك في المقام الأول الدراسات حول تكوين بعض سمات أو بعض أنماط الطبع ذات الصلة بالتطور الليبيدي على وجه الخصوص(1) ؛

2 ـ وهناك من ثمّ مفاهيم رايش النظرية والتقنية حول « الدرع الطبعية » ، وما تقول به من ضرورة إبراز وتأويل الإتجاهات الدفاعية التي تتكرر مهما كان نوع المحتوى المنطوق ، وخصوصاً في الحالات التي تستعصي على التحليل التقليدي(2) .

***

وإذا ما اقتصرنا على وجهة نظر التصنيف المرضي المحضة ، التي يوحي بها بالضرورة مصطلح « عصاب الطبع » نفسه ، فسرعان ما سيبرز التشويش وتعدد المعاني الممكنة لهذا المصطلح :

1 ـ غالباً ما يستخدم هذا التعبير بشكل غير دقيق في وصف لائحة عصابية لا تكشف عند الفحص الأولي عن أعراض ، بل عن مجرد نماذج من السلوك تؤدي إلى صعوبات متكررة وثابتة في التعامل مع المحيط .

2 ـ يرد أي علم للطباع ذي منحى تحليلي نفسي مختلف أنماط الطبع ، إما إلى الإصابات النفاسية الكبرى (فيكون لدينا طبعاً هجاسياً ، أو خوافياً ، أو عظامياً إلخ) . وإما إلى مختلف مراحل التطور الليبيدي (ويكون لدينا الطبع الفمي ، والطبع الشرجي ، أو البولي ، أو القضيبي النرجسي ، أو التناسلي ، والتي تصنف جميعاً في بعض الأحيان ضمن أحد التعارضين الكبيرين ما بين الطبع التناسلي والطبع ما قبل التناسلي) . يمكن الحديث من هذا المنظور ، عن عصاب الطبع للدلالة على أي عصاب لا عارضي ظاهرياً حيث يتجلى التنظيم المرضي فيه من خلال نمط الطبع .

ولكن إذا ما ذهبنا أبعد من ذلك ولجأنا إلى مفهوم البنية ، كما بدأ يشيع في أيامنا هذه أكثر فأكثر ، فإننا نتجه إلى تجاوز التعارض ما بين العصاب مع أعراض والعصاب بدون أعراض ، بغية التأكيد على نموذج تنظيم الرغبة والدفاع (*) ، أكثر من الإهتمام بالتعبيرات الجلية للصراع (من أعراض أو سمات طبع) .

3 ـ وأكثر الأواليات التي يؤتى على ذكرها عادة في معرض تبيان تكوين الطبع هي التسامي والتكوين العكسي . « تتجنب (التكوينات العكسية) عمليات الكبت الثانوية من خلال تحقيق تعديل نهائي في الشخصية مرة واحدة وإلى الأبد »(3) . وبمقدار ما تسود التكوينات العكسية « يغدو

الطبع نفسه وكأنه تكوين دفاعي أساساً ، مكرس لحماية الفرد من ظهور الأعراض ، إضافة إلى حمايته من التهديد النزوي .

يتميز الدفاع الطبعي عن العارض ، على المستوى الوصفي ، بتكامله النسبي مع الأنا وذلك من خلال : التنكر للمظهر المرضي لسمات الطبع ، والتبرير ، وتعميم دفاع موجه في الأصل ضد تهديد نوعي إلى مرتبة الصميمة السلوكية . ويمكن التعرّف في أواليات من هذا النوع ، على العديد من سمات الطبع الخاصة بالبنية الهجاسية(4) . وبهذا المعنى ، يتضمّن عصاب الطبع في المقام الأول شكلاً شائعاً بدرجة كبيرة من العصاب الهجاسي تطغى فيه أوالية التكوين العكسي ، بينما تظل الأعراض (من مثل الهجاسات ، والإضطرارات) في هذه الحالة خفية أو متفرقة .

4 ـ وأخيراً ، حاول البعض ، في مقابل تنوع مظاهر « الطباع العصابية » استعمال مصطلح عصاب الطبع للدلالة على بنية مرضية نفسية أصيلة . وهكذا يخصص هنري سوجيه « . . . مصطلح عصاب الطبع للحالات التي يبلغ فيها تغلغل (الدفاعات الطبعية) داخل الأنا حداً من الأهمية يؤدي معها إلى بروز تنظيم يوحي ببنية ما قبل ذهانية »(5) .

يندرج مفهوم كهذا في سياق سلسلة من الأعمال التحليلية النفسية قام بها كل من (ألكسندر ، وفرنزي ، وجلوفر) ، وهي أعمال تحاول موضعة الاختلالات الطبعية في الوسط ما بين الأعراض العصابية من جانب ، والإصابات الذهانية من الجانب الآخر(6) .

(أ) من الضروري إجراء تمييز قاطع ما بين أفكار البنية والطبع ، إنطلاقاً من مفهوم بنيوي للجهاز النفسي . وبالإمكان تعريف الطبع ، تبعاً لصيغة وضعها دانيال لاجاش ، كإسقاط للعلاقات ما بين مختلف الأنظمة ، والعلاقات داخل هذه الأنظمة ، على نظام الأنا : وهكذا ننكبّ في منظور من هذا القبيل على اكتشاف سيادة هذه أو تلك من أركان الشخصية (من مثل الأنا المثالي) في أي من سمات الطبع التي تبدو وكأنها استعداد شخصي (حبليّ) .

(1) Cf. notamment : Freud (S.). *Charakter und Analerotik*, 1908. *Einige Charaktertypen aus der Psychoanalytischen Arbeit*, 1915. *Über libidinöse Typen*, 1931. — Abraham (K.). *Ergänzung zur Lehre vom Analcharakter*, 1921. *Beiträge der Oralerotik zur Charakterbildung*, 1924. *Zur Charakterbildung auf der « genitalen » Entwicklungsstufe*, 1924. — Glover (E.). *Notes on oral character-formation*, 1925.

(2) Cf. Reich (W.), *Charakteranalyse*, Berlin, 1933. Trad. angl : Noonday Press, New York, 1949.

(3) Fenichel (O.). *The psychoanalytic Theory of Neurosis*, 1945. Fr., *La théorie psychanalytique des névroses*, P.U.F., Paris, 1953, 187.

(4) Cf. Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 190 ; S.E., XX, 157-8 ; Fr., 85-6.

(5) Ey (H.). *Encyclopédie médico-chirurgicale : Psychiatrie*, 1955. 37320 A 20, 1.

(6) Cf. particulièrement : Glover (E.). The neurotic Charakter, *I.J.P.*, VII, 1926, 11-30.

Névrose (ou Syndrome) d'échec — عصاب (أو تكوين) الفشل

Eng.: Failure- Neurosis

D.: Misserfolgsneurose

■ أدخل لافورج هذا المصطلح ذا الدلالة العريضة جداً : إذ أنه يدل على البنية النفسانية

لطائفة كاملة من الأشخاص بدءاً بهؤلاء الذين يبدو عموماً أنهم صانعو بؤسهم الذاتي ، ووصولاً إلى أولئك الذين لا يستطيعون تحديداً تحمّل الحصول على ما يبدو أنهم يرغبون فيه أشد الرغبة ■ .

يقصد المحللون النفسيون في الكلام عن عصاب الفشل ، ذلك الفشل الناتج عن الاختلال العصابي وليس الحديث عن الفشل باعتباره عاملاً مولداً للإضطراب (أي الإضطراب الذي يشكل رد فعل على الفشل الفعلي) .

ترتبط فكرة عصاب الفشل باسم رينيه لافورج الذي خصص العديد من أعماله لدراسة وظائف الأنا الأعلى ، وأواليات عقاب الذات والسيكولوجيا المرضية للفشل(1) . فلقد ضمّ هذا المؤلف كل فئات تكوينات الفشل التي يمكن العثور عليها في الحياة العاطفية والإجتماعية ، سواء عند الفرد ، أم عند مجموعة اجتماعية (الأسرة ، الطبقة ، أو الفئة الأنامية) وبحث عن محركها المشترك في عمل الأنا الأعلى .

ويستخدم مصطلح عصاب الفشل في التحليل النفسي بمعنى وصفيٍّ أكثر من استخدامه بمعنى تصنيفي مرضي .

وبشكل عام ، فإن الفشل هو الثمن الذي يدفعه أي عصاب بمقدار ما يحمل العارض من تقييد لإمكانات الشخص ، ومن صد جزئيٍّ لطاقته الحيوية . ولا يصار إلى الحديث عن عصاب الفشل إلا في الحالات التي لا يكون فيها الفشل مجرد إضافة على العارض (كما هو الحال لدى الخوافي الذي تتقلص إمكانات تحركه بفعل إجراءات الحماية التي يقوم بها) بل هو يشكل العارض نفسه مما يستدعي تفسيراً نوعياً .

ولقد لفت فرويد الأنظار في مقالته بعنوان « بعض أنماط الطبع كما تستخلص من العمل التحليلي النفسي عام 1916 » إلى ذلك النمط الخاص من الأشخاص الذين « . . . يفشلون إزاء النجاح » ؛ وهو يستعرض في تلك المقالة مشكلة الفشل الناتج عن عقاب الذات بمعنى أكثر حصراً مما هو الحال عند رينيه لافورج :

أ ـ يتعلق الأمر بأشخاص لا يطيقون الحصول على الإشباع في نقطة محددة ترتبط بالطبع برغبتهم اللاواعية ،

ب ـ وهم أشخاص تطرح حالتهم المفارقة التالية : فبينما أن الإحباط الخارجي لم يكن عاملاً مولداً للمرض ، نجد أن ما يقدمه الواقع من إمكانية لإشباع الرغبة هو ما لا طاقة للشخص على إحتماله ، وهو ما يولّد عنده « الإحباط الداخلي » : إذ يمنع الشخص الإشباع عن نفسه(2) ؛

جـ ـ لا تشكل هذه الأوالية تبعاً لفرويد عصاباً ، حتى ولا تكويناً مرضياً ، بل هي تشكّل أسلوباً في تفجّر العصاب والعارض الأول للمرض .

يرد فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » بعض أنماط الفشل العصابي إلى اضطرار التكرار ، وخصوصاً إلى ما يطلق عليه إسم إضطرار القدر (أنظر : عصاب المصير) .

(1) Cf. Laforgue (R.). *Psychopathologie de l'échec*, Payot, Paris, 1939.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., X, 372 ; S.E., XIV, 317-8 ; Fr., 115.

عصاب القلق

Névrose d'angoisse
Eng.: Anxiety neurosis
D.: Angstneurose

■ هو نمط من المرض (النفسي) قام فرويد بعزله وتمييزه عما عداه على الصعيدين التاليين:
أ ـ فهو يتميز على الصعيد العارضي عن العياء، من خلال طغيان القلق (التوقع القلق المزمن ، نوبات قلق أو ما يكافئها جسدياً) ؛
ب ـ كما أنه يتميز عن الهستيريا من حيث الأسباب : إذ أن عصاب القلق هو عصاب راهن يتصف خصوصاً بتراكم الإثارة الجنسية التي قد تتحول مباشرة إلى عارض (مرضي) و بدون وساطة نفسية ■ .

شغل فرويد بمسألة القلق وعلاقاته مع التوتر الجنسي والليبدو منذ العام1893 ، كما تشهد على ذلك مراسلاته مع فلايس . ولقد عالج فرويد هذه المسألة بشكل منهجي في مقالته التي كتبها عام 1895 ، تحت عنوان « حول ما إذا كان هناك ما يبرر فصل أحد مركبات الأعراض عن العياء ، تحت إسم « عصاب القلق » .

يعزل فرويد على مستوى التصنيف المرضي ، إصابة تتركز حول عارض القلق الأساسي ، عن التكوين المرضي الذي يوصف تقليدياً تحت إسم العياء . إذ تطفو أشكال مختلفة من القلق على خلفية من « القابلية العامة للإثارة » : من قلق مزمن ، أو توقع قلق قابل للإرتباط بأي محتوى تصوري كفيل بأن يشكل سنداً له ؛ من مثل نوبة القلق الخالص (الهلع الليلي) التي قد يرافقها أو يحل محلها معادلات جسدية متنوعة (الدوار، ضيق التنفس، إضطرابات القلب، تصبب العرق، إلخ .) ؛ أو أعراض خوافية ، حيث يرتبط انفعال القلق بتصور ما لا يمثل بديلاً رمزياً عن تصور مكبوت .

يرد فرويد عصاب القلق إلى أسباب مرضية نوعية تماماً تتلخص عواملها المشتركة فيما يلي :
أ ـ تراكم التوتر الجنسي ،
ب ـ غياب أو قصور « الإرصان النفسي » للإثارة الجنسية الجسدية ، إذ لا يمكن أن تتحول هذه الإثارة إلى « ليبدو نفسي » (أنظر : ليبدو) إلا من خلال إرتباطها مع مجموعة من التصورات الجنسية القائمة مسبقاً . وحين تفلت الإثارة الجنسية من السيطرة على هذا الغرار ، فإنها تتحول مباشرة إلى المستوى الجسدي على شكل قلق (1) .

يرى فرويد أن شروط هذا القصور في الإرصان النفسي ، تكمن إما في « . . . نمو غير كاف للجنسية النفسية ، أو في محاولة قمع هذه الجنسية النفسية ، أو في تدهورها ، أو أخيراً في قيام تباين أصبح إعتيادياً ما بين الجنسية الفيزيقية والجنسية النفسية »(1a) .

ولقد إنكب فرويد على تبيان كيفية تدخل هذه الأواليات في مختلف الأشكال السببية التي يتفحصها أي : قلق العذارى ، وقلق العفة الجنسية ، والقلق الناجم عن الجماع غير التام ، إلخ . .
ولقد أكد على أوجه التقارب ما بين أعراض عصاب القلق والهستيريا ، وأواليات كل منهما إلى

حد ما : ففي الحالتين « ... يحدث نوع من « الإقلاب » [...] ... إلا أنه في حالة الهستيريا تسلك الإثارة النفسية درباً خاطئاً يظل في النطاق الجسدي بشكل قاطع ، بينما هنا [أي في عصاب القلق] فإن الطاقة الفيزيقية هي التي لا تستطيع العبور إلى الحيز النفسي وتظل بالتالي حبيسة الدرب الفيزيقي . وتمتزج هاتان العمليتان بدرجة عالية جداً من التكرار »(1b) .

وهكذا نرى ، أن فرويد رغم إشارته إلى ما يمكن أن تحتويه شروط ظهور عصاب القلق من عناصر نفسية ورغم تأكيده على القرابة ما بينه وبين الهستيريا واحتمال امتزاجهما في « عصاب مزيج » ، إلا أنه تمسك على الدوام بخصوصية عصاب القلق ، بإعتباره عصاباً راهناً .

ولا يسلم المحللون النفسيون ، في أيامنا هذه ، بفكرة العصاب الراهن بدون تحفظ ، إلا أن اللائحة العيادية لعصاب القلق ـ والذي غالباً ما ننسى أن فرويد هو الذي ميّزه عن العيّاء ـ تحتفظ بقيمتها التصنيفية المرضية في الممارسة العيادية أي : ذلك العصاب الذي يسود فيه قلق عارم ، بدون موضوع مفضل بشكلٍ واضح ،وحيث يبدو دور العوامل الراهنة جلياً .

وهو يتمايز تماماً، بهذا المعنى عن « هستيريا القلق » أو العصاب الخوافي الذي يتثبت فيه القلق على موضوع بديل .

(ا) تجدر الإشارة بأن هذه ليست هي أفكار فرويد الأولى حول القلق . إذ يشير هو نفسه ، إلى أن مفهومه حول أوالية جسدية « راهنة » للقلق قد فيدت نظريته عن الهستيريا التي كانت في البداية نفسية للنشأ تماماً . أنظر الملاحظة الواردة بصدد حالة إِمّي في « دراسات حول الهستيريا عام 1889 » حيث يرد : كان عندي نزعة في ذلك الحين [أي عام 1899] إلى التسليم بمنشأ نفسي لكل أعراض الهستيريا . أما اليوم [أي في العام 1895] فإنني أطلق لقب العصابي على تلك النزعة إلى القلق عند تلك المرأة التي تعيش في حالة العفّة (عصاب القلق) [حيث ينظر إلى العصابي في هذا المقام بمعناه الأول الذي يدل على اضطراب في النشاط الوظيفي للجهاز العصبي] »(2) .

(1) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 103; Angl., 93 ; Fr., 84. — *b)* All., 104 ; Angl., 94 ; Fr., 85.
(2) Freud (S.). G.W., I, 118 ; S.E., II, 65 ; Fr., 50.

عصاب مزيج

Névrose mixte
Eng.: Mixed neurosis
D.: Gemischte neurose

■ إنه شكل من العصاب الذي يتصف بتواجد أعراض تنتمي ، تبعاً لفرويد ، إلى أعصبة متميزة عن بعضها البعض من الناحية السببية ■ .

نُصادف مصطلح العصاب المزيج عند فرويد في كتاباته الأولى خصوصاً(1) ، حيث يستخدمه لتبيان واقعة إمتزاج الأعراض النفاسية بشكل شائع جداً مع أعراض راهنة ، أو لتبيان كيف تترافق أعراض نفاس ما مع أعراض من نفاس آخر .

لا يقتصر هذا المصطلح على الإحاطة بلائحة عيادية معقده . إذ يمكننا في رأي فرويد أن نرد في

حالة العصاب المزيج ، كل نمط من أنماط الأعراض المتواجدة فيه إلى أوالية نوعية ، من الناحية النموذجية على الأقل : « يمكننا في كل مرة نكون فيها بصدد عصاب مزيج ، أن نبين وجود مزيج من عدة عوامل سببية نوعية »(2) .

نادراً ما تبدو الأعصبة في حالة صافية : ذلك أمر يحظى باعتراف كبير من قبل الممارسة العيادية التحليلية النفسية . وهكذا فهناك من يؤكد مثلاً على وجود سمات هستيرية في جذور أي عصاب هجاسي(3) ، أو وجود نواة راهنة في كل حالة من حالات النفاس (أنظر : عصاب راهن) . وتشهد ما يطلق عليها إسم « الحالات - بينية » منذ أيام فرويد ، أي تلك الإصابات التي تدخل فيها مكونات عصابية وأخرى ذهانية في آن معاً ، على تشابك البنى النفسية المرضية .

ولكن لا يجوز أن يؤدي مصطلح العصاب المزيج إلى تجنب أي تصنيف مرضي(4) . إنه على العكس من ذلك يتضمن إمكانية تحديد القسط الذي يعود إلى هذا أو ذاك من البنى أو الأواليات (المرضية) في حالة عيادية معينة .

(1) Cf. par exemple : Freud (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1895. — Breuer (J.) et Freud (S.). *Zur Psychotherapie der Hysterie*, 1895, notamment, G.W., I, 256 ; S.E., II, 259 ; Fr., 208.

(2) Freud (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1895. G.W., I, 339 ; S.E., III, 113.

(3) Cf. par exemple : Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W., XII, 107 ; S.E., XVII, 75 ; Fr., 381. — Et *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 143 ; S.E., XX, 113 ; Fr., 33-4.

(4) Cf. par exemple : Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 405 S.E., XVI, 390 Fr., 417-18.

Névrose de destinée — عصاب المصير

Eng.: Fate neurosis

D.: Schicksalsneurose

■ يدل على شكل من الوجود المتصف بالعودة الدورية لتسلسل متطابق من الأحداث، البائسة عموماً . ويبدو الشخص خاضعاً لهذا التسلسل كخضوعه لقدر خارجي محتوم . بينما يجدر بنا ، تبعاً للتحليل النفسي ، أن نبحث عن مصادره في اللاوعي ، وخصوصاً في اضطرار التكرار ■ .

يشير فرويد في نهاية الفصل الثالث من كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 »(1) إلى حالة هؤلاء الأشخاص الذين « . . . يعطون الإنطباع بأن هناك قدراً يلاحقهم ، أو أن هناك توجهاً شيطانياً يسيطر على وجودهم » (من مثل المحسن الذي يقابل بالجحود ، أو الصديق الذي يقابل بالخيانة ، إلخ . . .) . وذلك كتدليل على فعل التكرار . وتجدر الإشارة أنه يتكلم بصددهم عن اضطرار القدر وليس عن عصاب المصير . إلا أن هذا المصطلح الأخير قد طغى بلا شك مع إمتداد التحليل النفسي كي يشمل الأعصبة المسماة بإسم الأعصبة اللاعارضية (من مثل أعصبة الطبع ،

والفشل ، إلخ . . .) . وعلى كل حال فليس لهذا المصطلح قيمة تصنيفية مرضية ، وإنما مجرد قيمة وصفية .

ومن السهل تناول فكرة عصاب المصير بمعنى عريض جداً : إذ يمكن أن يتشكل مسار الوجود كله « . . . بشكل مسبق من قبل الشخص » . ولكن تعميم هذا المصطلح بهذا الشكل قد يعرضه حتى لفقدان قيمته الوصفية . إذ يتضمّن عندها كل ما يحمله سلوك الفرد من مظاهر التواتر ، وحتى من مظاهر الثبات .

ويبدو أنه بالمستطاع إعطاء مصطلح عصاب المصير معنى أكثر دقة مما يفرقه عن عصاب الطبع على وجه الخصوص مع البقاء أمينين إلى ما يشير إليه فرويد في المقطع المقتبس أعلاه . ففي الواقع تشير الأمثلة التي أعطاها فرويد إلى أنه لا يلجأ إلى « إضطرار القدر » إلا كي يوضّح تجارب نوعية نسبياً :

أ ـ فهي من ناحية تجارب تتكرر رغم طابعها المزعج ،

ب ـ وهي من ناحية ثانية تجرى تبعاً لسيناريو جامد على حاله يشكل تسلسلاً من الأحداث قد يتطلب إنجازها مدى زمنياً طويلاً ؛

جـ ـ وهي تبدو من ناحية ثالثة ، كقدر خارجي محتوم يشعر الشخص عن حق أنه ضحية له (كمثل تلك المرأة التي تزوجت ثلاث مرات ، وفي كل مرة ترى كلاً من أزواجها الثلاث يقع مريضاً بعد زواجه بفترة قصيرة ، مما يجعلها تقوم على خدمتهم حتى المماة) .

يبدو التكرار هنا محسوساً في دائرة من الأحداث قابلة لأن تعزل عما عداها . ويمكن القول ، من باب التوضيح ، أنه في حالة عصاب المصير ، لا يتوفر للشخص منفذاً إلى رغبة لاواعية معينة تعود إليه من الخارج ـ ومن هنا الطابع « الشيطاني » الذي أكّد عليه فرويد ـ ، بينما يتدخل التكرار الإضطراري لأواليات الدفاع ولصمائم السلوك في عصاب الطبع متجلياً في التمسك الجامد بشكل معين (أي في سمات الطبع) .

(1) Freud (S.). G.W., XIII, 20-1 ; S.E., XVIII, 21-2 ; Fr., 22-3.

عصاب نرجسي

Névrose narcissique
Eng.: Narcissistic neurosis
D.: Narzisstische neurose

■ يميل هذا المصطلح إلى الزوال حالياً من الإستعمال الطبي العقلي والتحليلي النفسي ،ولكنه يصادف في كتابات فرويد للدلالة على المرض العقلي الذي يتصف بإنسحاب الليبدو إلى الأنا . وهو بذلك يتعارض مع أعصبة النقلة .

أما على مستوى التصنيف المرضي فإن مجموعة الأعصبة النرجسية تغطي مجمل حالات الذهان الوظيفي (أي التي لا تنتج أعراضها عن كلم جسدي) ■ .

يعود أصل مصطلح العصاب النرجسي خصوصاً إلى تطبيق فرويد لمفاهيم التحليل النفسي على حالات الذهان ، وما أدى إليه من كشف عن النرجسية(1) . ويلجأ فرويد إلى هذا المصطلح على الأغلب في مقابل مصطلح عصاب النقلة .

يتخذ هذا التعارض طابعاً فنياً ـ أي صعوبة أو استحالة النقلة الليبيدية ـ وطابعاً نظرياً ـ أي انسحاب الليبيدو إلى الأنا ، في آن معاً . وبكلمات أخرى ، تسود العلاقة النرجسية في هذه البنى موضع البحث . ويوازي فرويد بهذا المعنى ما بين الأعصبة النرجسية وحالات الذهان التي يطلق عليها أيضاً إسم الفصام العظامي Paraphrenie .

ولقد قصر استخدام مصطلح العصاب النرجسي ، في مرحلة لاحقة في مقالته بعنوان « العصاب والذهان عام 1924 » ، على الإصابات من النمط السوداوي قاصداً بذلك تمييزها عن عصاب النقلة وعن حالات الذهان على حد سواء(2) .

أما في أيامنا الحاضرة ، فيميل هذا المصطلح إلى الزوال من الإستعمال .

(1) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 138-70 ; S.E., XIV, 73-102.

(2) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 390 ; S.E., XIX, 151-2.

عصاب النقلة ، أو التحويل

Névrose de transfert
Eng.: Transference Neurosis
D.: Ubertragungsneurose

■ أ ـ هو فئة من الأعصبة (هستيريا القلق ، هستيريا الاقلاب ، والعصاب الهجاسي) التي يميزها فرويد من ناحية التصنيف المرضي ، عن الأعصبة النرجسية ضمن مجموعة النفاس . فهي تتصف ، بالمقارنة مع الأعصبة النرجسية ، في كون الليبيدو يزاح دوماً على موضوعات واقعية أو خيالية ، بدلاً من إنسحابه منها إلى الأنا (في حالة الأعصبة النرجسية) . وينتج عن ذلك أنها (أي أعصبة النقلة) أكثر قابلية للعلاج التحليلي النفسي لأنها تنسجم مع تشكيل عصاب نقلة بالمعنى الذي سيرد في نقطة (ب) التالية ، خلال العلاج .

ب ـ وأما في نظرية العلاج التحليلي النفسي فإن عصاب النقلة يعني عصاباً إصطناعياً تميل تجليات النقلة لأن تنتظم ضمنه . وهو يتشكل حول العلاقة مع المحلل ؛ مكوناً بذلك نسخة جديدة عن العصاب العيادي ؛ كما يؤدي إستجلاؤه إلى اكتشاف العصاب الطفلي ■ .

أ ـ قدّم يونغ مصطلح « عصاب النقلة » بالمعنى الوارد في نقطة (أ) من التعريف ، في مقابل « الذهان »(1) . ففي هذه الحالة الأخيرة (الذهان) « ينطوي » الليبيدو (يونغ) أو هو يوظف في الأنا (أبراهام(2) ، وفرويد(3)) ، مما يقلل من قدرة المرضى على تحويل الليبيدو الخاص بهم إلى الموضوعات ، وبالتالي ، يجعلهم قليلي التجاوب مع علاج يقوم أساساً على النقلة . وعلى ذلك تعرّف

الأعصبة التي شكلت موضوع العلاج التحليلي النفسي الأول على أنها اضطرابات تتمتع بالقدرة على النقلة ، ولذلك يدلّ عليها بمصطلح أعصبة النقلة .

وهكذا يضع فرويد (في محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عامي 1916 - 1917 على سبيل المثال) تصنيفاً يمكن تلخيصه على الوجه التالي : تتعارض أعصبة النقلة ، والأعصبة النرجسية ضمن مجموعة النفاس . وبما أن هذه الأخيرة هي تعبير رمزي عن صراع نفسي ، فإنها تتعارض من ناحية ثانية مع مجموعة الأعصبة الراهنة ذات الأوالية الجسدية أساساً .

تجدر الإشارة إلى أنه إذا كان التميز ما بين فئتي النفاس ما زال صالحاً ، فإن ما لم يعد مقبولاً هو أن يقتصر هذا التميز على مجرد حضور أو غياب النقلة . فمن المتعارف عليه في الواقع في أيامنا هذه أن غياب النقلة الظاهري في حالات النفاس لا يعدو كونه في أغلب الأحيان إلا مظهراً من مظاهر أسلوب النقلة الخاصة بالذهانيين ـ والتي قد تكون في غاية الشدة .

ب ـ قدّم فرويد فكرة عصاب النقلة (بالمعنى الوارد في نقطة ب من التعريف) في صلتها بالفكرة القائلة بأن المريض « يكرر » في النقلة صراعاته الطفلية ، وذلك في مقالته بعنوان « الإستذكار ، التكرار ، وعمل الاستيعاب عام 1914 » . « إننا نتوصل بإنتظام إلى إضفاء معنى جديد وتحويلي على كل أعراض المرض ، فيما لو إحترم المريض تماماً شروط قيام العلاج ، وإلى استبدال عصابه العادي بعصاب نقلة يمكن شفاؤه منه بواسطة العمل العلاجي »(4a) .

يبدو أنه بالإمكان فهم الفارق ما بين إستجابات النقلة وعصاب النقلة الفعلي ، تبعاً للمقطع السابق ، على النحو التالي : ففي عصاب النقلة ، يتركز كل السلوك المرضي للمريض من جديد في علاقته مع المحلل . وهكذا يمكننا القول بأن عصاب النقلة ينسّق استجابات النقلة التي تكون مشتتة في البداية (وهو ما يطلق عليه جلوفر إسم « النقلة العائمة ») ، من ناحية ، ويتيح لمجمل أعراض المريض وتصرفاته المرضية أن تتخذ وظيفة جديدة من خلال ارتباطها بالوضعية التحليلية من ناحية ثانية . يُعد قيام عصاب النقلة عنصراً إيجابياً في دينامية العلاج ، تبعاً لفرويد إذ يقول : « تستقطب الحالة الجديدة كل خصائص المرض ، ولكنها تمثّل بالمقابل مرضاً إصطناعياً يمكننا السيطرة عليه من جميع جوانبه »(4b) .

يمكننا ، في هذا المنظور ، أن نتخذ من المتوالية الآتية نموذجاً مثالياً للعلاج : فيتحول العصاب العيادي إلى عصاب نقلة يؤدي إستجلاؤه إلى اكتشاف العصاب الطفلي (أ) .

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن فرويد قدّم فيما بعد ، حين صعّد مدى إضطرار التكرار ، مفهوماً عن عصاب النقلة أقل أحادية مما سبق من خلال تأكيده على الخطر الكامن في ترك هذا العصاب ينمو بدون ضابط . « على الطبيب أن يجهد للحد ما أمكن من حيز عصاب النقلة هذا ، وأن يدفع بأكبر قدر ممكن من المحتوى على درب الإستذكار ، وأن لا يترك سوى أقل قدر ممكن للتكرار [. . .] . ولا يستطيع الطبيب كقاعدة عامة ، أن يجنب المحلل هذه المرحلة من العلاج . فهو مضطر لتركه يعيش شطراً معيناً من حياته المنسية ، إنما يتعين عليه أن يسهر على إحتفاظ المريض ببعض القدرة على الإطلالة الفوقية على وضعيته مما يتيح له رغم كل شيء أن يدرك أن ما يبدو له كواقع ليس سوى الإنعكاس المتجدد لماض منسي »(5) .

(أ) لا بد من الإشارة إلى أن س. رادو وصف في المداخلة التي قدمها إلى مؤتمر سالزبورج حول نظرية العلاج عام 1924 بعنوان « المبدأ الإقتصادي في التقنية التحليلية النفسية »(16) ، « العصاب العلاجي » في التقنيات السابقة على التحليل النفسي (من مثل التنويم المغناطيسي ، والتفريج) وميزه عن ذلك العصاب الذي يظهر في العلاج التحليلي النفسي ؛ إذ في العلاج التحليلي النفسي دون ما عداه يمكن تحليل عصاب النقلة وتصفيته .

(1) Cf. Jung (C. G.). *Über die Psychologie der Dementia praecox*, Halle, 1907. *Wandlungen und Symbole der Libido*, *Jahrbuch Psa.-Forsch.*, 1911, 1912.
(2) Cf. Abraham (K.). *Les différences psychosexuelles entre l'hystérie et la démence precoce*. Fr., I, 36-47.
(3) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914.
(4) Freud (S.). *a)* G.W., X, 134-5 ; S.E., XII, 154 ; Fr., 113. — *b)* G.W., X, 135 ; S.E., XII, 154 ; Fr., 114.
(5) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 17 ; S.E., XVIII, 19 ; Fr., 19.
(6) Cf. Rado (S.), in *I.J.P.*, 1925, VI, 35-44.

عصاب هجامي

Névrose obsessionnelle
Eng.: Obsessional neurosis
D.: Zwangsneurose

■ إستخلص فرويد هذه الفئة من الأعصبة التي تشكل واحداً من الأطر الرئيسة في الممارسة العيادية التحليلية النفسية .

يتجلى الصراع النفسي في أكثر أشكال هذا العصاب نموذجية من خلال الأعراض التي يطلق عليها تسمية الإضطرارية منها : الأفكار الهجاسية ، والإضطرار لإنجاز أعمال غير مرغوب فيها ، والحرب ضد هذه الأفكار والنزعات ، وطقوس إبعاد الأذى ، إلخ . كما يتجلى أيضاً من خلال أسلوب في التفكير يتصف خصوصاً بالإجترار الذهني ، والشك ، والتحوطات ويؤدي إلى صدود في الفكر والعمل .

ولقد استخلص فرويد على التوالي الخصوصية السببية المرضية للعصاب الهجامي من ناحية الأواليات (حيث تغلب أواليات إزاحة الإنفعال إلى تصورات تتفاوت في بعدها عن الصراع الأصلي والعزل ، والإلغاء الرجعي) ؛ ومن ناحية الحياة النزوية (حيث يسود التجاذب ، والتثبيت على المرحلة الشرجية، والنكوص) ؛ وأخيراً من الناحية الموقعية (حيث تقوم علاقة سادو - مازوشية مستدخلة على شكل توتر مفرط في قسوته ما بين الأنا والأنا الأعلى) .

يتيح لنا جلاء الدينامية الكامنة وراء العصاب الهجامي من ناحية ، ووصف الطبع الشرجي والتكوينات العكسية التي يتكون منها من ناحية ثانية ، أن نلحق بالعصاب الهجامي لوائح عيادية لا تكون فيها الأعراض المميزة له واضحة للوهلة الأولى ■ .

تجدر بنا الإشارة بادىء ذي بدء إلى أن فرويد كان قد عزل خلال الأعوام 1894 ـ 1895 العصاب الهجامي عمّا عداه والذي أصبح يحظى في أيامنا هذه بإعتراف عالمي بإعتباره كياناً تصنيفياً

مرضياً قائماً بذاته حيث يقول : « كان علي أن أبدأ عملي بابتكار تصنيفي مرضي . فلقد وجدت أن هناك ما يبرر إدراج عصاب الهجاسات ، جنباً إلى جنب مع الهستيريا ، بإعتباره إصابة مستقلة وقائمة بذاتها ، رغم أن معظم المؤلفين يدرجون الهجاسات ضمن التكوينات المرضية التي تشكل الفساد Degenerescence العقلي، أو يخلطون بينها وبين العياء »(1a) . بدأ فرويد بتحليل الأوالية النفسانية للهجاسات(2) ثم ضمّ (3, 1b) الأعراض التي سبق أن وضعت منذ زمن طويل (من مثل المشاعر ، والأفكار ، والتصرفات الهجاسية ، إلخ) ، والتي كانت تُلحق بأطر تصنيفية مرضية جد متنوعة(إذ قال مانيان «بالفساد»، ودوبريه قال «بالجبلّة الإنفعالية»، وبيار قال «بالعياء»إلخ .)، في إصابة نفاسية مميزة واحدة . ولقد أتى جانيه بعد فرويد بفترة قصيرة ليصف تحت عنوان العياء النفسي Psychasthenie عصاباً قريباً من ذاك الذي أطلق فرويد عليه إسم العصاب الهجاسي ، ولكن جانيه ركّز وصفه حول مفهوم سببي مختلف · فما يشكل الأساس بالنسبة له ويحدد شرط الصراع الهجاسي نفسه هو حالة من القصور العقلي ، وضعف التوليف الذهني ، وفقدان الحيوية النفسية ، بينما أن الشكوك والصدود بالنسبة لفرويد هي نتيجة الصراع الذي يعبيء ويصد طاقات الشخص الحيوية(4) .

ولقد تأكدت خصوصية العصاب الهجاسي بشكل متصاعد فيما بعد في النظرية التحليلية النفسية .

ولقد أدت التطويرات (النظرية والعملية) للتحليل النفسي إلى التوكيد أكثر فأكثر على البنية الهجاسية ـ أكثر من التوكيد على الأعراض ـ وهو ما يدعونا على المستوى المصطلحي إلى التساؤل حول القيمة الوصفية لمصطلح العصاب « الهجاسي » .

تجدر الملاحظة باديء ذي بدء إلى أن هذا المصطلح لا يشكل المعادل المضبوط للمصطلح الألماني Zwangsneurose، إذ تدل كلمة Zwang الألمانية على الإضطرارات ليس على مستوى الفكر أو الهجاسات وحدها بل أيضاً على مستوى الأفعال، وعلى مستوى الإنفعالات الإضطرارية(أنظر: إضطرار) (أ) ، ومن ناحية ثانية يوجه مصطلح العصاب الهجاسي الإنتباه إلى العارض ، المهم بحد ذاته بلا شك ، أكثر من توجيهه إلى البنية (الهجاسية) . ولكن كثيراً ما يحدث أن نتكلم عن بنية أو طبع ، أو مريض هجاسيين ، حتى في غياب الهجاسات المميزة . وبهذا المعنى ، يمكننا أن نتبين على كل حال ، نزعة لتخصيص مصطلح « الهجاسي » في الاستعمال الإصطلاحي المعاصر للكلام عن المريض الذي يبدي هجاسات مميزة تماماً .

(أ) يترجم فرويد نفسه المصطلح الألماني Zwangsneurose بالمصطلح الفرنسي « عصاب الهجاسات »(1c) ، أو « الهجاسات »(1d) .

(1) Freud (S.). *L'hérédité et l'étiologie des névroses*, 1896. — *a)* G.W., I, 411 ; S.E., III, 146. — *b)* Cf. G.W., I, 407-22 ; S.E., III, 143-56. — *c)* G.W., I, 411 ; S.E., III, 146. — *d)* G.W., I, 420 ; S.E., III, 155.

(2) Cf. Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 59-74 ; S.E., III, 45-68.

(3) Cf. Freud (S.). *Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen*, 1896. G.W., I, 377-403 ; S.E., III, 162-85.

(4) Cf. Janet (P.). *Les obsessions et la psychasthénie*, 1903.

عصاب الهجر

Névrose d'abandon

Eng.: Abandonment neurosis

D.: Verlassenheitsneurose

■ أدخل المحللان النفسيان السويسريان (شارل أوديه ، وجيرمان كاكس) هذا المصطلح للدلالة على لائحة عيادية يطغى فيها قلق الهجر والحاجة إلى الطمأنينة . يتعلق الأمر بعصاب ذي أسباب ترجع إلى المرحلة ما قبل الأوديبية . ولا يتطابق هذا العصاب بالضرورة مع هجر (فعلي) تعرض له الشخص في طفولته . ويطلق على الأشخاص المصابين بهذا العصاب إسم « الهَجْرِيّين » ■ .

ترى جيرمان كاكس في كتابها بعنوان « عصاب الهجر »(1) من الضروري إفراد هذا النمط من العصاب الذي لا يدخل في أي من الأطر التقليدية للتصنيف المرضي (أ) .

لا تقدم لائحة الأعراض عند الهجري للوهلة الأولى أي شيء نوعي بشكل مضبوط من جملة ما تتضمنه : أي القلق ، العدوانية ، المازوشية ، والشعور بإنعدام القيمة ؛ إذ لا ترتبط هذه الأعراض بالصراعات المعتادة التي يوضحها التحليل النفسي (كما أنها لا ترتبط بالصراعات الأوديبية على وجه الخصوص) ، بل إنها ترتبط بحالة أساسية من إنعدام الطمأنينة العاطفي .

تعني الحاجة اللامحدودة إلى الحب ، والتي تتجلى بالعديد من الأشكال التي تطمس غالباً إمكانية التعرف عليها ، بحثاً عن الطمأنينة المفقودة التي تتخذ لها من الإندماج البدائي للطفل مع أمه نموذجاً أولياً . ولا تتطابق هذه الحاجة بالضرورة مع هجر واقعي من قبل الأم ، ذلك الهجر الذي درس رينيه شبيتز آثاره (أنظر فصال، وخور إتكالي) ، وإنما هي تتطابق أساساً مع موقف عاطفي من قبل الأم ، يعاش (من قبل الطفل) كرفض لمنحها الحب (له) (حالة « الوجود الزائف » للأم على سبيل المثال) . كما يتعين علينا أخيراً ، أن ندخل في الحسبان ، تبعاً لجيرمان كاكس ، عاملاً جبليّاً نفسياً ـ عضوياً (من مثل « النهم » العاطفي ، وعدم تحمل الإحباطات ، والإختلال العصبي ـ النباتي) .

تعتبر جيرمان كاكس أن الهَجْرِيَّ قد ظل في مستوى ما دون الأوديب ، الذي (أي الأوديب) يشكل تهديداً مفرطاً لأمنه ؛ ويجب رد عصاب الهجر إلى حالة « إضطراب في الأنا » لا تظهر غالباً إلا أثناء العلاج التحليلي النفسي .

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح « الهَجْرِي » يستعمل أحياناً بشكل وصفي ، حتى من قبل بعض المؤلفين الذين لم يتبنُّوا مفاهيم جيرمان كاكس ـ التي لخصناها هنا بإقتضاب ـ لا من وجهة النظر التصنيفية المرضية ، ولا من وجهة النظر السببية .

(أ) أشارت علينا جيرمان كاكس في إتصال شخصي أنه يُفضّل الحديث عن تكوين مرضي هجري أكثر من الحديث عن « عصاب » الهجر .

(1) Guex (G.). P.U.F., Paris, 1950.

عُظام

Paranoia
Eng.: Paranoia
D.: Paranoia

■ إنه ذهان مزمن يتصف بهذيان متفاوت في درجة إنتظامه ، وبغلبة التأويل ، مع غياب ضعف القوى العقلية ، وعدم تطوره عموماً باتجاه التدهور .

لا يقتصر فرويد على إدراج هذيان الإضطهاد وحده في العظام ، بل يدرج فيه أيضاً كل من هذيانات العشق والغيرة ، والعظمة ■ .

مصطلح العظام هو كلمة يونانية تعني الجنون واختلال الذهن . استخدامه قديم جداً في الطب العقلي . ولقد عرض التاريخ المعقد لهذا المصطلح كثيراً في كتب الطب العقلي التي نسمح لأنفسنا بإحالة القارىء إليها(1) . ومن المعلوم أن العظام الذي كان ينزع إلى أن يشمل مجمل حالات الهذيان في الطب العقلي الألماني خلال القرن التاسع عشر ، بدأ معناه يصبح أكثر دقة ومجاله يتحدد في القرن العشرين بتأثير من كرايبلن على وجه الخصوص . إنما لا تزال هناك ، حتى في أيامنا الراهنة ، خلافات بين مختلف المدارس حول مدى هذا الإطار التصنيفي المرضي .

ولا يبدو أنه كان للتحليل النفسي تأثيرٌ مباشرٌ على هذا التطور ؛ ولكنه مارس تأثيراً غير مباشر بمقدار إسهامه في تحديد مجال الفصام المتاخم له ، من خلال أعمال بلويلر .

وقد يكون مفيداً لقراء فرويد أن يروا كيف يندرج استعماله لمصطلح العظام في سياق هذا التطور . يبدو أن فرويد بقي في مراسلاته مع فلايس وفي أعماله الأولى المنشورة ، ضمن المفهوم السابق على كرايبلن ، والذي يجعل من العظام كياناً مرضياً عريضاً يضم معظم أشكال الهذيانات المزمنة . ولكنه أصبح يتبنى ، بدءاً من كتاباته المنشورة بعد عام 1911 ، التمييز الكبير الذي قال به كرايبلن ما بين العظام ، والعته المبكر : « أعتقد أن هناك ما يبرر تماماً الخطوة التي خطاها كرايبلن إلى الأمام من خلال إدماجه في وحدة عيادية جديدة جزءاً كبيراً مما كان يسمى سابقاً باسم العظام ، مع الجمدة ومع بعض الأشكال المرضية الأخرى »(2a) . ومن المعروف أن كرايبلن كان يُقر بأن العته المبكر يتضمّن إضافة إلى أشكال الفصام البسيط وفصام الجمدة ، شكلاً شبه عظامي يوجد فيه هذيان ضئيل الإنتظام ، يرافقه جمود عاطفي ويتطور نحو العته النهائي . ولقد توصل فرويد ، من خلال تبنيه لهذا المصطلح ، إلى تعديل أحد تشخيصاته من « عظام مزمن » إلى « عته عظامي » في أحد كتاباته الأولى(3) .

ولقد تمسك فرويد على الدوام باستقلال مجمل الهذيانات المنظمة عن مجموعة العته المبكر ، متفقاً في ذلك مع كرايبلن ، ومدرجاً إياها تحت إسم العظام الذي يجعله يشمل إضافة إلى هذيان الإضطهاد هذيانات العشق والغيرة والعظمة . وتتمايز وضعية فرويد هذه بوضوح عن موقف تلميذه بلويلر الذي يُدخل العظام في مجموعة الفصام ، إذ يجد فيه (أي العظام) نفس الإضطراب الأساسي الأولي وهو : « التفكك »(4) (أنظر فصام) . تسود هذه النزعة الأخيرة في أيامنا الراهنة ، خصوصاً في المدرسة الطبية العقلية الأميركية ذات المنحى التحليلي النفسي .

يظل موقف فرويد مرناً (بهذا الصدد) . فلقد حاول في مناسبات عدة أن يميّز العظام عن الفصام من ناحية نقاط التثبيت والأواليات الفاعلة في كل منهما ، ولكن ذلك لا يثنيه عن القبول « . . . بإمكانية إمتزاج الأعراض العظامية والفصامية بكل النسب (المتصورة) »(2b) ، كما أنه يقدم تفسيراً تكوينياً لأمثال هذه البنى المعقدة . وإذا استندنا إلى التمييز الذي قدمه كرايبلن كإطار مرجعي ، نرى أن وضعية فرويد تقع على النقيض من وضعية بلويلر ، إذ يميز كرايبلن بشكل واضح ، ما بين العظام من ناحية ، وبين أشكال العته المبكر شبه العظامية من ناحية ثانية ؛ بينما يدخل بلويلر العظام ضمن العته المبكر ، أو ضمن مجموعة الفصام ؛ وأما فرويد فهو يُقبل طوعاً على إلحاق بعض أشكال العته المبكر شبه العظامية بالعظام ، ويقوم بذلك خصوصاً لأن « إنتظام » الهذيان لا يشكّل في نظره محكاً جيداً لتعريف العظام . وكما تشير إلى ذلك دراسة « حالة شرايبر » - حتى في العنوان الذي أعطي لها - أي « العته شبه العظامي » عند الرئيس شرايبر ، فإنها بالنسبة إليه حالة « عظام » أساساً .

ولا نرمي هنا إلى عرض نظرية فرويدية في العظام بل نقتصر على مجرد الإشارة إلى أن العظام يعرّف ، في مختلف أساليبه الهذيانية ، بطابعه الدفاعي ضد الجنسية المثلية(2c،5،6) . وحين ترجع هذه الأوالية في أي هذيان يتخذ إسم شبه العظامي ، يُعتبر ذلك بالنسبة لفرويد سبباً رئيساً لتقريب هذه الحالة من العظام ، حتى في غياب « إنتظام » (هذا الهذيان) .

ومع أن وضعية ميلاني كلاين قد صيغت على قواعد مختلفة نسبياً ، إلا أنها تلتقي مع ميل فرويد للبحث عن أساس مشترك لكل من الفصام شبه العظامي والعظام . إذ يجد الغموض الظاهري لمصطلح « الوضعية شبه العظامية » بذلك أحد تفسيراته . تتمحور الوضعية شبه العظامية حول هوام الإضطهاد من قبل « الموضوعات السيئة » الجزئية ، ذلك الهوام الذي تجده ميلاني كلاين في الهذيانات شبه العظامية والهذيانات العظامية على حد سواء .

(1) Cf. par exemple : Ey (H.) *Groupe des psychoses schizophréniques et des psychoses délirantes chroniques*, 37281 A 10, 1955. – Ey (H.) et Pujol (R.). *Groupe des délires chroniques* : III. *Les deux grands types de personnalités délirantes*, 1955, 37299 C 10 (ces deux articles, in : Ey, *Encyclopédie médico-chirurgicale, Psychiatrie*). — Porot (A.). *Manuel alphabétique de psychiatrie* (article : « Paranoia »), P.U.F., Paris, 1960.

(2) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen uber einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. — *a)* G.W., VIII, 312 ; S.E., XII, 75 ; Fr., 318. — *b)* G.W., VIII, 314 ; S.E., XII, 77 ; Fr., 320. — *c)* Cf. G.W., VIII, 295-302 ; S.E., XII, 59-65 ; Fr., 304-310.

(3) Freud (S.). *Weitere Bemerkungen uber die Abwehr-Neuropsychosen*, 1896. G.W., I, 392, n. ; S.E., III, 174, n.

(4) Bleuler (E.). *Dementia Praecox oder Gruppe der Schizophrenien*, Leipzig und Wien, 1911. *Passim*.

(5) Cf. Freud (S.). *Mitteilung eines der psychoanalytischen Theorie widersprechenden Falles von Paranoia*. 1915. G.W., X, 234-46 ; S.E., XIV, 263-72 ; Fr., in *R.F.P.*, 1935, VIII. 2-11.

(6) Cf. Freud (S.). *Über einige neurotische Mechanismen bei Eifersucht, Paranoia und Homosexualität* 1922. G.W., XIII, 195-204 ; S.E., XVIII, 225-30 ; Fr., in *R.F.P.*, 1932, V, 393-98.

عقدة Complexe

Eng.: Complex
D.: Komplex

■ إنها جلة منظمة من التصورات والذكريات ذات القيمة العاطفية القوية ، واللاواعية جزئياً أو كلياً . تتكون العقدة إنطلاقاً من العلاقات الشخصية في تاريخ الطفل ؛ وقد تتدخل في انبناء كل المستويات النفسية أي : الإنفعالات ، والمواقف والتصرفات المتكيفة ■ .

حظي مصطلح العقدة بمكانة مفضلة عند العامة من مثل (« إنه معقد ! » إلخ . .) . بينما فقد إعتباره تدريجياً عند المحللين النفسانيين بإستثناء تعابير عقدة الأوديب ، وعقدة الخصاء .

يذكر معظم الكتاب - بمن فهم فرويد - أن التحليل النفسي مدين بمصطلح العقدة لمدرسة زيوريخ للتحليل النفسي (بلويلر ، ويونغ) . والواقع ، أنه بالإمكان العثور عليه منذ ظهور « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » ، وعلى سبيل المثال حين يعرض بروير آراء جانيه حول الهستيريا (1) أو عندما يثير مسألة وجود تصورات « . . . راهنة ، فاعلة مع أنها لا واعية » : « يتعلق الأمر في الأعم الأغلب من الحالات بعقد من التصورات ، وبتجمعات أفكار ، وبذكريات تعود إلى أحداث خارجية أو إلى تسلسل أفكار الشخص نفسه . ويحدث أحياناً أن تبرز كل التصورات الداخلة في عقد التصورات هذه بشكل واع في تفكير الشخص إنما في حالتها المعزولة . ولا يلغى من الوعي إلا ذلك التركيب الذي يحدد العلاقات فيما بينها »(1a) .

لقد قدمت « تجارب التداعي »(2) التي قام بها يونغ أساساً تجريبياً وأوسع مدى في نفس الوقت ، لفرضية العقدة التي صيغت بصدد حالات الهستيريا . يكتب فرويد ، في أول تعليق له (حول تجارب التداعي) قائلاً أن « [. . .] الإستجابة للكلمة - المثير لا يمكن أن تكون نتاج الصدفة ، بل هي محتومة بالضرورة بمضمون قبلي من التصورات عند الشخص الذي يستجيب هكذا . ولقد جرت العادة على إطلاق تسمية « العقدة » على ذلك المحتوى من التصورات القادر على التأثير على الإستجابة للكلمة - المثير . ويتجلى هذا التأثير ، إما من خلال ملامسة الكلمة - المثير للعقدة مباشرة ، أو من خلال نجاح هذه الأخيرة في إقامة الصلة مع الكلمة - المثير بتوسل بعض الوسائط »(3) .

ولكن مع إعترافه بأهمية تجارب التداعي ، يثير فرويد وفي وقت مبكر جداً بعض التحفظات حول استخدام مصطلح « العقدة » . فهي « . . . كلمة يسيرة الإستعمال ، ولا غنى عنها في كثير من الحالات لتجميع بعض الوقائع النفسانية بشكل وصفي . ولم يكتسب أي من المصطلحات الأخرى التي وضعها التحليل النفسي لخدمة حاجاته الخاصة ، شعبية بنفس إتساع شعبيتها (أي العقدة) ، ولا كان أسوأ تطبيقاً منها ، على حساب مفاهيم أخرى أكثر دقة »(4) . ويطلق فرويد نفس الحكم في رسالة إلى جونز : ليست العقدة فكرة نظرية تحوز الرضى (5a) ؛ ويقول في (رسالة إلى س. فرنزي) هناك ميتولوجيا يونغية للعقد (5b) .

وهكذا يمكن استخدام مصطلح العقدة ، تبعاً لفرويد، بشكل تدليلي أو وصفي بهدف تبيان « . . . بعض مجالات الفكر والإهتمام التي تتمتع بالقوة العاطفية »(6) . إنطلاقا من عناصر متمايزة

ومحتملة ظاهرياً؛ ولكن بدون أن يكون له (مصطلح العقدة) قيمة نظرية . مما يؤدي إلى قلة استخدام فرويد له ، خلافاً للعديد من الكتاب الذين يجهرون بالانتهاء إلى التحليل النفسي (ب) .

هناك العديد من الأسباب لهذا التحفظ من قبل فرويد . فهو ينفر من بعض أشكال التنميط النفساني (من مثل عقدة الفشل) التي تهدد بطمس فردية الحالات وتعطي قيمة تفسيرية لما يكوّن مشكلة في حد ذاته . ومن ناحية ثانية ، تتعرض فكرة العقدة إلى الدمج بينها وبين نواةٍ محض مرضية يستحسن استئصالها ؛ مما قد يصرف إنتباهنا عن الوظيفة الإنبنائية للعقد ، وخصوصاً الأوديب ، في بعض لحظات النمو الإنساني .

***

وبغية تبسيط استعمال مصطلح العقدة الذي لا زال يشوبه الغموض ، يمكن تمييز ثلاثة معانٍ له :

1 ـ معنى أصلياً ، يشير إلى ترتيب ثابت نسبياً لسلاسل التداعيات (أنظر : التداعي) . يُفترض وجود العقدة على هذا المستوى لتبيان الصيغة الفريدة التي تصدر عنها التداعيات .

2 ـ معنى أكثر عمومية يشير إلى مجموعة متفاوتة في درجة تنظيمها من سمات الشخصية ـ بما فيها تلك التي وصلت أفضل حالات مكاملتها في الشخصية ـ مع توكيد خاص على الأرجاع العاطفية . يمكن التعرف على وجود العقدة ، على هذا المستوى ، خصوصاً من خلال رد الوضعيات الجديدة بشكل لاواعٍ إلى وضعيات طفلية ؛ حيث يبدو التصرف عندها وقد تشكل بفعل بنية كامنة لا تتغير . ولكن طرحاً كهذا قد يجر إلى شطط في التعميم : إذ قد نقع في إغراء خلق عدد من العقد مساوٍ أو متفوق على عدد ما يمكن تصوره من أنماط نفسانية . هذا الإنحراف في اتجاه نفسنة الأمور (Psychologisante) هو الذي أثار ، في رأينا ، تحفظات فرويد تجاه مصطلح العقدة ، ومن ثم انصرافه عنه .

د ـ أما المعنى الأكثر تحديداً ، فنجده في تعبير عقدة الأوديب ـ التي تمسّك بها فرويد ـ والتي تشير إلى البنية الأساسية للعلاقات الشخصية ، وإلى الصيغة التي يتمكن الشخص من خلالها من إيجاد وإمتلاك مكانته ضمن تلك العلاقات (أنظر : عقدة الأوديب) .

وتندرج في نفس السياق ، المصطلحات التي تنتمي إلى اللغة الفرويدية ، من مثل « عقدة الخصاء » و« العقدة الأبوية » ، وكذلك المصطلحات الأكثر ندرة من أمثال « عقدة أمومية » و« عقدة أخوية » و« عقدة والدية » . ولا بد من الإشارة إلى أن التنوع الظاهري لمصطلحات « الأبوية » و« الامومية » . . . ترجع بنا في كل حالة إلى أبعاد مختلفة من البنية الأوديبية ، إما نظراً لسيادة هذا البعد خصيصاً عند شخص ما ، أو نظراً لقصد فرويد إلى إبراز لحظة معينة من تحليل ذلك الشخص ، بشكل مميز . وهكذا يؤكد فرويد على العلاقة المتجاذبة مع الأب تحت عنوان عقدة الأبوة . أما عقدة الخصاء ، فإنها تندرج كلياً ، رغم إمكانية التمييز النسبي لموضوعها ، ضمن جدلية عقدة الأوديب .

(أ) تجدر ملاحظة ما يلي بصدد إنحسار مجال الوعي : « إن الإنطباعات الحسية التي لم تصل بعد إلى مستوى الإدراك ، وكذلك التصورات التي لم تنفذ إلى الوعي رغم حضورها ، تنطفىء عموماً دون ترك أي أثر . ولكن يحدث أحياناً أن تتجمع لتكون عقداً [. . .] » (1b) .

(ب) نجد في قاموس « التحليل النفسي وعلم النفس التفني » الذي نشر بإشراف ماريز شوازي في إستعراض مادة النفس (Psyché) وصفاً لما يقارب الخمسين عقدة . ويقول أحد الكتاب « لقد حاولنا أن نقدم لائحة كاملة بقدر الإمكان عن العقد المعروفة حتى الآن . ولكننا نكتشف عقداً جديدة كل يوم » .

(جـ) إرجع إلى الرسالة الموجهة إلى فرنزي والتي سبق ذكرها : « ليس على الإنسان أن يجاهد من أجل إزالة عقده، بل من أجل التوافق معها : فهي التي توجه شرعياً سلوكه في العالم »(5c) .

(1) Breuer (J.). *Theoretisches*, in *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* All., 187, n. 1 ; S.E., II, 214-5, n. 2 ; Fr., 171, n. 1. — *b)* All., 202 ; S.E., XI, 231 ; Fr., 186.

(2) Cf. Jung (C.-G.). *Diagnostische Assoziationsstudien*, J. A. Barth, Leipzig, 1906.

(3) Freud (S.). *Tatbestandsdiagnostik und Psychoanalyse*, 1906. G.W., VII, 4 ; S.E., IX, 104 ; Fr., 44-5.

(4) Freud (S.). *Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung*, 1914. G.W., X, 68-9 ; S.E., XIV, 29-30 ; Fr., 286.

(5) Cf. Jones (E.). *Sigmund Freud, Life and Work*, 1955. — *a)* Angl., II, 496 ; Fr., 470. — *b)* Angl., II, 188 ; Fr., 177. — *c)* Angl., II, 188 ; Fr., 177.

(6) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 106-7 ; S.E., XV, 109 ; Fr., 122-3.

عقدة الأبوة

Complexe paternel
Eng.: Father complex
D.: Vaterkomplex

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح للدلالة على أحد الأبعاد الرئيسية لعقدة الأوديب : أي العلاقة المتجاذبة مع الأب ■ .

عقدة إلكترا

Complexe d'électre
Eng.: Electra complex
D.: Elektrakomplex

■ يستخدم يونغ هذا المصطلح كمرادف لعقدة الأوديب الأنثوية، بغية الدلالة على وجود تناظر بين الجنسين ، في الموقف من الأهل ، هذا مع أخذ الفروق بينهما بعين الإعتبار ■ .

يطرح يونغ تعبير عقدة ألكترا(1) في مقالته بعنوان : « محاولة لعرض نظرية التحليل النفسي 1913 » . يعلن فرويد في البداية بأنه لا يرى ما هي أهمية تسمية كهذه ، ثم يتخذ موقفاً قاطعاً في مقالته حول الجنسية الأنثوية إذ يقول : الأوديب الأنثوي ليس نظيراً لأوديب الصبي . « لا تقوم تلك العلاقة التي تتضمن محبة أحد الوالدين وكراهية الآخر كمنافس في آن معاً ، إلا عند الصبي حيث تطبع مصيره بطابعها »(3) .

إن ما يبرر رفض فرويد لمصطلح عقدة الكترا الذي يفترض تماثلاً ما بين وضعية كل من

الصبي والبنت تجاه أهلهما ، يكمن فيا بيّنه من آثار مختلفة لعقدة الخصاء عند كلا الجنسين ، وفي أهمية تعلق البنت ما قبل الأوديبي بأمها ، وكذلك في سيادة القضيب بالنسبة لكلا الجنسين .

(1) Jung (C. G.). *Versuch einer Darstellung der psychoanalytischen Theorie* in *Jahrbuch für psychoanalytische und psychopathologische Forschungen*, vol. V, 1913, p. 370.

(2) Freud (S.). *Über die Psychogenese eines Falles von weiblicher Homosexualität*, 1920. G.W., XII, 281, n. ; S.E., XVIII, 155, n. ; Fr., 138, n.

(3) Freud (S.). *Über die weibliche Sexualität*, 1931. G.W., XIV, 521 ; S.E., XXI, 229.

عقدة الأوديب

Complexe d'Œdipe
Eng.: Œdipus complex
D.: Ödipuskomplex

■ إنها الجملة المنظمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل تجاه والديه . تظهر هذه العقدة في شكلها المسمى إيجابياً كما في قصة أوديب ـ الملك أي : رغبة في موت المنافس ، وهو الشخص من نفس الجنس ، ورغبة جنسية في الشخص من الجنس المقابل . أما في شكلها السلبي ، فتأخذ منحى مقلوباً أي : حب للوالد من نفس الجنس وحقد حسود على الوالد من الجنس المقابل . وفي الواقع يتواجد هذان الشكلان بمقادير متفاوتة في الشكل الكامل لعقدة الأوديب .

تبلغ عقدة الأوديب ، تبعاً لفرويد ، ذروتها ما بين سن ثلاث وخمس سنوات ، خلال المرحلة القضيبية ؛ ويسجل أفولها الدخول في مرحلة الكمون . وتتأجج من جديد أثناء البلوغ ، حيث يتم تجاوزها بدرجات متفاوتة من النجاح من خلال نمط خاص من إختيار الموضوع .

تلعب عقدة الأوديب دوراً أساسياً في انبناء الشخصية وفي توجيه الرغبة الإنسانية .

يتخذ منها المحللون النفسيون المحور المرجعي الأكبر لعلم النفس المرضي ، حيث يبحثون عن تحديد نماذج موقعها وحلها في كل من الأنماط المرضية .

ينكب علم الأناسة التحليلي الذي يؤكد على عالمية عقدة (أوديب) على العثور على بنيتها الثلاثية في أكثر الثقافات تنوعاً ، وليس فقط في تلك التي تسود فيها الأسرة الزوجية ■ .

إذا كان تعبير عقدة الأوديب بحد ذاته لا يظهر في كتابات فرويد إلا في العام 1910 (1) ، فهو يظهر بتعابير توحي بأنه كان قد سبق قبوله في الإستعمال التحليلي النفسي (1) . ولقد تم اكتشاف فرويد لعقدة الأوديب التي اختمرت منذ زمن بعيد خلال تحليله لمرضاه ، (أنظر إغراء) أثناء تحليله الذاتي الذي أدى به إلى الإعتراف بوجود ميل لديه لمحبة أمه ، وبغيرة تجاه أبيه تتصارع مع ما يكنه له من عاطفة ؛ وهو يكتب بتاريخ 15 تشرين أول (أكتوبر) عام 1897 إلى فلايس ما يلي : « . . . . الآن تصبح قوة سطوة مسرحية أوديب الملك مفهومة [. . .] إذ تعلي هذه الأسطورة اليونانية شأن قوة قهرية ، يتعرف عليها كل منا لأنه يحس بآثار وجودها في نفسه » (2a) .

ومما تجدر ملاحظته ، أنه منذ هذه الصياغة الأولى ، يرجع فرويد تلقائياً إلى أسطورة تتجاوز

التاريخ الفردي وتنوعات معاشه . فهو يؤكد منذ البداية على عالمية الأوديب ، ويتعزز هذا الطرح باستمرار فيما بعد : « يجد كل كائن إنساني نفسه أمام مهمة السيطرة على عقدة الأوديب . . »(3) .

ولا نتطلع هنا لإقتفاء آثار مسيرة الإرصان التدريجي لهذا الإكتشاف بكل تعقيداته ، فتاريخه يمتد على مدى تاريخ التحليل النفسي ؛ وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرويد لم يقدم مطلقاً في أعماله عرضاً منهجياً لعقدة الأوديب . بل سنقتصر على الإشارة إلى بعض المسائل الخاصة بمكانتها في التطور الفردي ، وبوظائفها ونتائجها .

أولاً : اكتُشِفَتْ عقدة الأوديب بشكلها البسيط أو الإيجابي (وهي تظهر هكذا على كل حال في الأسطورة) ، ولكن ذلك ، كما يشير إليه فرويد ، ليس سوى « تبسيطاً أو اقتصاراً على خطوطها العامة » إذا ما قورن بالتجربة بكل تعقيدها : « . . . فلا يقتصر أمر الطفل الصغير على موقفه المتجاذب تجاه الأب ، واختيار رقيق للموضوع تجاه الأم ؛ ولكنه يتصرف في نفس الوقت كفتاة صغيرة مبدياً موقفاً أنثوياً رقيقاً تجاه الأب وموقفاً عدائياً حاسداً مقابلاً تجاه الأم »(4) . وفي الحقيقة نقع ما بين الشكل الإيجابي وبين الشكل السلبي لهذه العقدة على سلسلة كاملة من الحالات المزيجة حيث يتواجد هذان الشكلان في علاقة جدلية ، وحيث ينكبّ المحلل على تحديد مختلف المواقع التي يتخذها الشخص في تحمّل وحل الأوديب الخاص به .

تتضمن عقدة الأوديب ، في هذا المنظور ، كما أشارت إلى ذلك روث ماك برونشفيك ، وضعية الطفل في المثلث (العائلي)(5) . ولقد أتاح وصف العقدة في شكلها الكامل لفرويد تفسير التجاذب تجاه الأب (عند الصبي بالطبع) من خلال لعبة المكونات الجنسية الغيرية والجنسية المثلية ، وليس فقط كنتاج بسيط لوضعية التنافس .

1 ـ لقد بُنِيتْ الإرصانات الأولى للنظرية على نموذج الصبي . ولقد اعتقد فرويد ردحاً طويلاً من الزمن أن العقدة يمكن تعميمها كما هي على حالة البنت بعد إدخال التعديلات الضرورية عليها . إلا أن هذه الفرضية تعرضت للنقد على أكثر من صعيد :

أ ـ من خلال الأطروحة التي تطرحها مقالة عام 1923 حول « التنظيم التناسلي الطفلي لليبدو » ، والتي تذهب إلى أن القضيب هو العضو الوحيد الذي يُعتد به لدى كل من الجنسين خلال المرحلة القضيبية ، أي في ذروة الأوديب(6) .

ب ـ من خلال إعطاء الأهمية المستحقة للتعلق ما قبل الأوديبي بالأم . تلاحظ هذه المرحلة ما قبل الأوديبية بوضوح عند الفتاة ، بالقدر الذي تعنى فيه عقدة الأوديب بالنسبة لها تغيراً في موضوع الحب ، من الأم إلى الأب(7a) .

ومن خلال إنخراطهم في هذا الاتجاه المزدوج ، عمل المحللون النفسيون على إبراز خصوصية الأوديب الأنثوي .

2 ـ في بداية الأمر ، ظل العمر الذي تقع فيه عقدة الأوديب بالنسبة لفرويد غير محدد بدقة . ففي « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » مثلاً ، لا يتم اختيار الموضوع كلياً إلا خلال المراهقة ، بينما تظل الجنسية الطفلية غلمية ـ ذاتية أساساً . ومع أن تباشيرها الأولى تظهر في

الطفولة ، إلا أن عقدة الأوديب ، في هذا المنظور لا تكاد تبرز في مظهرها الواضح خلال البلوغ إلا كي يتم تجاوزها بسرعة . وتصادف حالة عدم التأكد هذه أيضاً في « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي - عامي 1916 -1917 » ، حتى ولو اعترف فرويد حينها بوجود اختيار موضوع طفلي قريب جداً من الإختيار الراشد(8) .

أما في المنظور النهائي لفرويد ، وبعد أن تم تأكيد وجود تنظيم تناسلي طفلي أو مرحلة قضيبية ، فلقد رُدتْ عقدة الأوديب إلى هذه المرحلة ، أي إلى الفترة العمرية من 3-5 سنوات بشكل تقريبي .

3 - وهكذا نرى أن فرويد إعترف دوماً بوجود مرحلة سابقة على الأوديب في حياة الفرد . وهناك زعم في التفريق أوحتى في المعارضة بين ما قبل الأوديبي وبين الأوديب ، بالذهاب إلى ما وراء التعرُّف على هذه الواقعة البسيطة : هناك تأكيد على وجود علاقة معقدة ، ذات نمط ثنائي ، ما بين الأم والطفل مع كل ما يترتب عليها من آثار ، كما يصار إلى البحث عن التثبيتات التي قد تحدث على تلك العلاقة في مختلف البنى النفسية المرضية . فهل يمكننا في هذا المنظور ، الإستمرار في الركون إلى الصدق المطلق للمعادلة الشهيرة التي تجعل من الأوديب « العقدة النواتية في الأعصبة » ؟

هناك كتاب عديدون يتبنون الموقف القائل بوجود علاقة ثنائية محضة ، سابقة على بنية الأوديب الثلاثية ، وبأنه بالإمكان تحليل الصراعات المرتبطة بهذه الفترة بدون اللجوء إلى مقولة منافسة طرف ثالث .

لا تحدد مدرسة ميلاني كلاين ، المعروفة بالأهمية الأساسية التي توليها لمراحل الطفولة الأكثر تبكيراً ، أي مرحلة باعتبارها مرحلة قبل أوديبية بالمعنى الدقيق للكلمة . فهي ترجع عقدة الأوديب إلى الوضعية التي يُطلق عليها إسم خورية أي إلى اللحظة التي تتدخل فيها العلاقة بأشخاص كليين(9) .

يظل موقف فرويد غير قاطع حول مسألة بنية ما قبل أوديبية ؛ حيث يصرح بأنه تأخر في التعرف على المدى الحقيقي للصلة البدائية مع الأم ، وبأنه فوجىء بما أوضحته المحللات النساء على وجه الخصوص ، حول المرحلة ما قبل الأوديبية عند البنت(7b) . ولكنه يفكر في نفس الوقت بأنه لا ضرورة للجوء إلى محور مرجعي غير الأوديب بغية الإحاطة بهذه الوقائع (أنظر : ما قبل الأوديبي) .

ثانياً : تتدعم غلبة عقدة الأوديب كما تمسك بها فرويد دوماً - إنطلاقاً من رفضه وضع العلاقات الأوديبية وما قبل الأوديبية على نفس المستوى من الناحيتين البنيوية والسببية المرضية - بالوظائف الأساسية التي ينيطها بها :

أ - وظيفة اختيار موضوع الحب ، على اعتبار أن هذا الاختيار يظل بعد البلوغ متأثراً بتوظيفات الموضوع والتماهيات التابعة لعقدة الأوديب ، ومتأثراً في الوقت نفسه بمنع تحقيق العلاقة الجنسية بالمحارم .

ب - وظيفة العبور إلى الحياة التناسلية على اعتبار أنه لا يتحقق من خلال النضج البيولوجي وحده . يفترض قيام التنظيم التناسلي تكريس أولوية القضيب ، التي يتعذر حدوثها بدون حل

الأزمة الأوديبية بواسطة التماهي .

جـ ـ وظيفة التأثير على انبناء الشخصية وتكوين أركانها المختلفة ، وخصوصاً الأنا الأعلى ، والمثل الأعلى للأنا .

يرتبط دور عقدة الأوديب الإنبنائي في نشأة أركان الشخصية ، تبعاً لفرويد ، بأفول هذه العقدة والدخول في مرحلة الكمون . عملية الأفول هذه هي في نظر فرويد ، أكثر من مجرد كبت : « ... إنها تعادل في الحالة المثالية تدمير العقدة وإلغاؤها [...] . وحين يعجز الأنا عن الذهاب إلى أبعد من كبت هذه العقدة ، فإنها تظل في الهو في حالة لا واعية : كي تحدث آثارها المرضية فيما بعد »(10a) . ويناقش فرويد في المقالة التي نذكرها هنا مختلف العوامل المؤدية إلى أفول هذه العقدة . يلعب تهديد الصبي بالخصاء من قبل الأب دوراً حاسماً في عزوفه عن الموضوع المحرم ، مما يؤدي إلى انتهاء عقدة الأوديب عنده بشكل شبه مفاجىء . أما عند البنت فتختلف علاقة عقدة الأوديب بعقدة الخصاء : « فبينما تكون عقدة الأوديب ملغومة بعقدة الخصاء عند الصبي ، فإنها تصبح ممكنة عند البنت ويفتح السبيل أمامها بفضل عقدة الخصاء »(11) . فهي (أي البنت) « ... لا تصرف النظر عن العضو الذكري إلا بعد محاولة الحصول على تعويض ما . تتحول البنت ـ من خلال ما يمكن تسميته بمعادل رمزي ـ عن العضو الذكري إلى الطفل ، وتصل عقدتها الأوديبية ذروتها في رغبتها المزمنة بأن تحصل على طفل من الأب كهدية ، أي أن تنجب له طفلاً »(10b) . وهو ما يجعل إمكانية التحديد الواضح للحظة أفول العقدة عندها أكثر صعوبة .

ثالثاً : على أن الوصف السابق لا يظهر بالوضوح الكافي الطابع المؤسس الذي تكتسبه عقدة الأوديب بالنسبة لفرويد ، ذلك الطابع الذي يتأكد على وجه الخصوص بإفتراضه المطروح في « الطوطم والمحرم عامي 1912 -13 » حول قتل الأب البدائي باعتباره لحظة حاسمة في نشأة الإنسانية . ومع أنها قد تكون موضع جدل من وجهة نظر تاريخية ، فإن هذه الفرضية يجب أن تؤخذ باعتبارها أسطورة تترجم الضرورة المفروضة على كل كائن إنساني بأن يكون « برعماً للأوديب »(2b) . ولا يمكن اختزال عقدة الأوديب إلى وضعية واقعية ، أي إلى التأثير الفعلي الذي قد يمارسه الوالدان على الطفل . إنها تشتق فعاليتها من كونها تؤدي إلى تدخل سلطة مانعة (أي تحريم العلاقة الأثمة بالمحارم) تسد السبيل أمام الإشباع الطبيعي المبتغي ، رابطة بشكل لا فكاك له الرغبة بالقانون (وهي نقطة أكد عليها جاك لاكان) ـ وهذا ما يحدّ من قيمة الإعتراض الذي أطلقه مالينوفسكي وكررته المدرسة الثقافية من بعده ، وفحواه أن عقدة الاوديب لا وجود لها في بعض الحضارات التي يجرد فيها الأب من وظيفته القمعية،وأن ما يحل محلها في هذه الحالة هو عقدة نواتية مميزة لأمثال تلك البنى الإجتماعية : ذلك أن المحللين النفسيين يحاولون ، في الواقع ، اكتشاف الشخص الحقيقي ، أو حتى المؤسسة التي تتجسد في السلطة المانعة ، كما يحاولون اكتشاف النماذج الاجتماعية التي تتخذها البنية الثلاثية المكونة من الطفل ، ومن موضوع (حبه) الطبيعي ، ومن حامل لواء القانون .

يلتقي هذا المفهوم الإنبنائي للأوديب مع أطروحة كاتب « البنى الاولية للقرابة » (أي كلود لـ. شتراوس) والتي تجعل من منع العلاقة الجنسية بالمحارم القانون الكوني الذي يشكل الحد

الأدنى الممكن كي تتمايز « الثقافة » عن « الطبيعة »(12) .

هناك فكرة فرويدية أخرى تدعم التأويل القائل بتجاوز الأوديب للمعاش الفردي الذي يتجسد فيه : إنها فكرة الهوامات الأصلية » التي تنتقل نشوئياً » على شكل صميمات Schèmes تعمل على بناء حياة الشخص الخيالية ، والتي هي ليست سوى تنوعات للوضعية الثلاثية (الإغراء ، المشهد الأصلي ، الخصاء ، إلخ . . .) .

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن تركيز الاهتمام على العلاقة الثلاثية ذاتها ، يؤدي إلى إعطاء دور أساسي ، في تكوين أي عقدة أوديب ، إلى مراكز العلاقة الأخرى ، إضافة إلى الشخص ونزواته ، (أي إلى الرغبة اللاواعية لكل من الوالدين والإغراء ، والعلاقة بين الوالدين) .

وهكذا فيما يتم استدخاله ، وما يكتب له البقاء في انبناء الشخصية يتكون من مختلف أنماط العلاقات القائمة بين مختلف أركان المثلث ، بقدر تكوّنه من هذه أو تلك من الصور الوالدية .

(أ) كما نعثر أيضاً عند فرويد على تعبير Kernkomplex (أي العقدة النواتية) . ولقد طرح هذا التعبير الذي يستخدم عموماً كمعادل لعقدة الأوديب ، بادىء ذي بدء في « النظريات الطفلية الجنسية عام 1908 » ، وتجدر الملاحظة مع دانيال لاجاش ، بأن المقصود في هذا النص ، هو الصراع ما بين الإستقصاء الجنسي ، وطلب الأطفال للمعلومات ، من ناحية ، وبين جواب الكبار الكاذب على ذلك ، من ناحية ثانية .

(1) Cf. Freud (G.). *Über einen besonderen Typus der Objektwahl beim Manne*, 1910. G.W., VIII, 73 ; S.E., XI, 171 ; Fr., 7.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 238 ; Angl., 223-4 ; Fr., 198. — *b)* All., 238 ; Angl., 223-4 ; Fr., 198.

• (3) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 127, n. 2 (ajoutée en 1920) ; S.E., VII, 226, n. 1 ; Fr., 187, n. 82.

(4) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 261 ; S.E., XIX, 33 ; Fr., 187-8.

(5) Cf. Mack Brunswick (R.). *The Preoedipal Phase of the Libido Development*, 1940. In *Psa. Read.*, 232.

(6) Cf. Freud (S.). *Die infantile Genitalorganisation*, 1923. G.W., XIII, 294-5 ; S.E., XIX, 142.

(7) Cf. Freud (S.). *Über die weibliche Sexualität*, 1931. — *a)* G.W., XIV, 517-37 ; S.E., XXI, 223-43. — *b)* G.W., XIV, 519 ; S.E., XXI, 226-7.

(8) Cf. Freud (S.). G.W., XI, 338 ; S.E., XVI, 326 ; Fr., 351.

(9) Cf. Klein (M.). *Some Theorical Conclusions regarding the Emotional Life of the Infant*, 1952. In *Developments*.

(10) Freud (S.). *Der Untergang des Ödipuskomplexes*, 1924. — *a)* G.W., XIII, 399 ; S.E., XIX, 177 ; Fr., 397. — *b)* G.W., XIII, 401 ; S.E., XIX, 178-9 ; Fr., 399.

(11) Freud (S.). *Einige psychische Folgen des anatomischen Geschlechtsunterschieds*, 1925. G.W., XIV, 28 ; S.E., XIX, 256.

(12) Cf. Lévi-Strauss (C.). *Les structures élémentaires de la parenté*, P.U.F., Paris, 1949. Introduction et chap. II, *passim*.

(13) Cf. Freud (S.). G.W., VII, 176 ; S.E., IX, 213-4.

عقدة الدونية

Complexe d'infériorité
Eng.: Complex of inferiority
D.: Minderwertigkeitskomplex

■ يشتق هذا المصطلح أصله من علم النفس الأدلري ، حيث يعني بشكل عام مجمل الإتجاهات ، والتصورات ، والتصرفات التي تعبّر بدرجات متفاوتة من التمويه عن شعور بالدونية أو عن ردود الفعل ضد هذا الشعور ■ .

أنظر : الشعور بالدونية .

عقدة الخصاء

Complexe de castration
Eng.: Castration complex
D.: Kastrations Komplex

■ تدور هذه العقدة حول هوام الخصاء الذي يحمل الجواب على اللغز الذي يطرحه الفرق التشريحي ما بين الجنسين (أي وجود أو غياب العضو الذكري) على الطفل : حيث يرد هذا الإختلاف (في نظر الطفل) إلى بتر هذا العضو الذكري عند البنت .

تختلف بنية وتأثيرات عقدة الخصاء عند كل من الصبي والبنت . إذ يخشى الصبي الخصاء باعتباره تنفيذاً لتهديد الأب له على نشاطاته الجنسية؛ مما يولّد لديه قلق خصاء شديد . أما غياب العضو الذكري عند البنت فيعاش كحيف وقع عليها ، تحاول إنكاره ، أو تعويضه ، أو إصلاحه .

وعقدة الخصاء على علاقة وثيقة مع عقدة الأوديب ، وخصوصاً على مستوى وظيفتها المانعة والمعيارية ■ .

كان تحليل هانز الصغير ، حاسماً في اكتشاف فرويد لعقدة الخصاء (أ) .

ولقد وُصفت عقدة الخصاء لأول مرة عام 1908 ، حيث رُدّت إلى « النظرية الجنسية الطفلية » التي تفترض امتلاك كل الناس للعضو الذكري ؛ والتي لا يمكنها بالتالي تفسير الإختلاف التشريحي بين الجنسين ، إلا بالخصاء . ومع أن الصفة العالمية لهذه العقدة تبدو مقبولة ضمنياً ، إلا أنه لا توجد إشارة صريحة إليها . ترتبط عقدة الخصاء ، بصدارة العضو الذكري عند كل الجنسين ، حيث تبرز دلالته النرجسية « في أن العضو الذكري يشكل منذ الطفولة ، المنطقة الغلمية الموجهة ، وأهم موضوع جنسي للغلمة ـ الذاتية ، وبالتالي ينعكس تقديره منطقياً في استحالة إمكانية تصور شخص شبيه بالذات بدون هذا الجزء المكوِّن الأساسي »(1) .

وإنطلاقاً من تلك اللحظة ، صار يتم العثور على هوام الخصاء في رموز متنوعة : حيث يمكن إزاحة للموضوع المهدد (إصابة أوديب بالعمى أو إقتلاع الاسنان ، إلخ . . .) ، كما يمكن أن

يحوّر فعل الخصاء من خلال استبداله بأشكال أخرى من الأذى الذي يلحق بتكامل الجسم (من حوادث ، أو مرض الزهري ، أو عمليات جراحية) وكذلك إيذاء التكامل النفسي (الجنون كنتيجة للإستمناء) ؛ وأما العنصر الأبوي (في الخصاء) فيجد بدائل جد متنوعة (حيوانات القلق عند الخوافيين) . وتعرف عقدة الخصاء أيضاً في كل مدى آثارها العيادية ، من مثل : شهوة العضو الذكري ، تقديس البكارة ، ومشاعر الدونية إلخ . . . ؛ حيث يمكن إكتشاف هذه الحالات في مجمل البنى النفسية المرضية ، وخصوصاً في حالات الشذوذ Perversions (الجنسية المثلية ، والتيمية) (ب) . إلا أن عقدة الخصاء لم تحظ بمكانتها الأساسية في تطور الحياة الجنسية للطفل من كلا الجنسين ، وتصاغ صلاتها مع عقدة الأوديب بوضوح ، وتتوطد عالميتها كلياً ، إلا في فترة متأخرة نسبياً . ويتلازم هذا التنظير مع استخلاص فرويد للمرحلة القضيبية : « ففي تلك المرحلة من التنظيم التناسلي الطفلي لا يوجد سوى المذكر ، أما المؤنث فلا وجود له ؛ وبالتالي فالبديل هو : إما عضو تناسلي ذكري أو عضو مبتور » (2) . لا يمكن تصور وحدة عقدة الخصاء لدى كلا الجنسين ، إلا من خلال الأساس المشترك التالي : يكتسي القضيب الذي هو موضوع الخصاء أهمية متساوية عند كل من الصبي والبنت في هذه المرحلة ؛ فالسؤال المطروح هو نفسه : إمتلاك القضيب أو عدم امتلاكه (أنظر هذا المصطلح) . كما يتم العثور على عقدة الخصاء في كل تحليل بشكل ثابت(3) .

أما الخاصية النظرية الثانية لعقدة الخصاء فتكمن في تأثيرها على النرجسية : حيث يعتبر الطفل أن القضيب هو جزءٌ أساسي من صورته عن ذاته ؛ وبالتالي فالتهديد الذي يصيب هذا القضيب يعرِّض صورة الذات هذه للخطر بشكل جذري ؛ ويشتق هذا التهديد فعاليته من تضافر العنصرين التاليين : سيادة القضيب ، والجرح النرجسي .

في النشأة التجريبية لعقدة الخصاء ، كما وصفها فرويد يلعب المعطيان الواقعيان التاليان دورهما : إن تأكد الطفل الصغير من وجود الفارق الشراجي بين الجنسين هو من الضرورات التي لا غنى عنها لظهور العقدة . يؤدي هذا التأكد إلى تجسيد وإثبات تهديد واقعي أو هوامي بالخصاء . أما الهيئة المنفذة للخصاء ، في نظر الصبي الصغير ، فهو الأب باعتباره السلطة التي ترد إليها في نهاية المطاف كل التهديدات الصادرة عن الأشخاص الآخرين . أما وضعية البنت فهي أقل وضوحاً ، إذ أنها قد تحس أن أمها هي التي حرمتها فعلياً من العضو الذكري أكثر من إحساسها بخصاء فعلي من قبل الأب .

يختلف موقع عقدة الخصاء بالنسبة إلى عقدة الأوديب عند كل من الجنسين : فهي تطلق عند البنت البحث الذي يؤدي بها الى الرغبة في العضو الذكري الأبوي ، مكونة بذلك لحظة الدخول في الأوديب ؛ أما عند الصبي ، فهي تحدد ، على العكس من ذلك ، نهاية الأزمة الأوديبية ، من خلال تحريم للموضوع الأمومي عليه ؛ حيث يدشِّن قلق الخصاء عنده ، مرحلة الكمون ، ويعجِّل في تكوين الأنا الأعلى(4) .

***

تصادف عقدة الخصاء باستمرار في التجربة التحليلية . فكيف يمكن ، والحالة هذه ، تبرير حضورها بشكل شبه ثابت عند كل إنسان ، إذا كان يصعب فعلياً إكتشاف التهديدات الحقيقية التي يفترض أنها تستمد أصلها منها (وأكثر من ذلك فمن النادر أن تنفذ هذه التهديدات !) ، كما أنه من البديهي عدم إمكانية تهديد البنت بحرمانها من الشيء الذي لا تمتلكه أصلاً ؟ لقد دفع هذا التباين بالمحللين النفسيين إلى البحث عن أساس لهذه العقدة في واقع مغاير لتهديد الخصاء . وبالإمكان التعرّف على عدة إتجاهات من الصياغة النظرية لهذه المسألة .

من الممكن إدراج قلق الخصاء ، ضمن سلسلة من التجارب الصدمية حيث يتدخل عنصر الفقدان ، أو الإنفصال عن الموضوع : فقدان الثدي خلال وتيرة الإرضاع ، أو الفطام أو التغوّط ، نجد مثل هذه السلسلة توكيداً لها فيما استخلصه التحليل النفسي من معادلات رمزية بين مختلف الموضوعات الجزئية التي يُفصل عنها الشخص : عضوذكري ، ثدي ، براز ، وحتى انفصال المولود الجديد في عملية الوضع . ولقد خصص فرويد عام1917 نصاً شديد الإيحائية للمعادلات قضيب = براز = طفل ، ولما قد تجره من تحولات في الرغبة ، ولعلاقاتها مع عقدة الخصاء والمطالبة النرجسية : « حيث يعتبر العضو الذكري كشيء قابل للإنفصال عن الجسد ، مما يجعله مماثلاً للبراز الذي كان أول قطعة من الكيان الجسمي تعيّن على الطفل أن يتخلى عنها »(5) .

في نفس خط البحث هذا ، كان أ . شتاركه أوّل من أكد على تجربة الرضاعة وسحب الثدي من فم الرضيع باعتبارها نموذجاً أولياً للخصاء : « . . . حيث يؤخذ جزء مماثل للقضيب من جسم شخص آخر ، ويقدم للطفل على أنه ملكه (وهي وضعية ترتبط بها أحاسيس المتعة) ، ثم يسحب (هذا الجزء) من الطفل مسبباً له الإنزعاج »(6a) . هذا « الخصاء الأولي » الذي يمارس خلال كل مرات التقاط الثدي كي يبلغ ذروته عند الفطام ، هو التجربة الواقعية الوحيدة الكفيلة بتفسير عالمية عقدة الخصاء : فإنسحاب حلمة ثدي الأم هي الدلالة اللاواعية القصوى التي نجدها دوماً وراء الأفكار ، والمخاوف والرغبات التي تشكل في مجموعها عقدة الخصاء .

في نفس هذا الخط الذي يسعى إلى إسناد عقدة الخصاء إلى تجربة أولية حقيقية معاشة ، تؤدي أطروحة أتورانك ، التي تذهب إلى أن الإنفصال عن الأم خلال صدمة الميلاد وما يصاحبها من أرجاع فيزيقية هو النموذج الأول لكل قلق لاحق ، إلى اعتبار قلق الخصاء بمثابة صدى لقلق الميلاد ، عبر سلسلة طويلة من التجارب الصدمية .

موقف فرويد من هذه المفاهيم المختلفة ليس قاطعاً . فهو حتى حين يقرّ بوجود « جذور » لعقدة الخصاء في تجارب الإنفصال الفمي والشرجي ، فإنه يتمسك بالموقف القائل بأن مصطلح عقدة الخصاء « . . . يجب أن يخصص للإشارات والآثار ذات الصلة بفقدان العضو الذكري »(3b) . وقد يظن أن في ذلك من جانبه شيء آخر غير مجرد الحرص على الصرامة المصطلحية . في نقاشه المستفيض لطروحات رانك يبدي فرويد في كتابه « الصد العارض القلق عام 1926 » كامل إهتمامه بمحاولة البحث عن أساس لقلق الخصاء في موقع أكثر قرباً من المصادر الأصلية ، وبالعثور على مقولة الإنفصال وفقدان الموضوع المثمن نرجسياً فاعلة في الطفولة الأولى كما في مختلف التجارب المعاشة سواء بسواء (من مثل القلق الخلقي الذي يؤول على أنه قلق إنفصال عن

الأنا الأعلى) . ولكن من ناحية أخرى ، يمكن لمس هم فرويد في التمايز عن أطروحة رانك في كل صفحة من « الصد العارض والقلق » ، في نفس الوقت الذي يصر فيه هذا المؤلف الشمولي على العودة الى تركيز مجمل الممارسة العيادية التحليلية النفسية حول عقدة الخصاء بمعناها الحرفي .

في الأساس يجد استنكاف فرويد عن السير في هذه المسارات إلى آخر الشوط مبرر وجوده في مطلب نظري رئيسي تؤكده أفكار عدة . ومنها على سبيل المثال فكرة البعدية : التي تصحح الأطروحة التي تقود إلى البحث دوماً عن أصول مبكرة لتجربة يمكنها أن تقوم تماماً بوظيفة النموذج الأولي . ومنها (أي الأفكار) على وجه الخصوص مقولة الهوامات الأصلية التي يموضع فرويد فيها فعل الخصاء ؛ حيث تأخذ هاتان الكلمتان هنا قيمة المؤشر : « هوام » على اعتبار أن الخصاء ، لا يحتاج كي يمارس تأثيراته ، إلى أن يقع فعلاً ، ولا حتى إلى التلفظ الصريح به من قبل الأهل ؛ و« الأصلي » باعتبار أن الخصاء هو أحد أوجه مركب العلاقات بين الشخصية ، حيث تنشأ الرغبة الجنسية الإنسانية وتتكون وتتخصص ـ ذلك أن قلق الخصاء ليس أول سلسلة التجارب المولدة للقلق ، حتى ولو لم يحدث إلا في المرحلة القضيبية . ذلك أنه لا يمكن فهم الدور الذي يعطيه التحليل النفسي لعقدة الخصاء إلا بردها إلى الأطروحة الأساسية ـ التي لا ينفك فرويد عن توكيدها ـ والخاصة بالصفة النواتية Nucléaire والإنبنائية للأوديب .

ومن الممكن أيضاً ، إذا ما اقتصرنا على حالة الصبي ، التعبير عن لغز النظرية الفرويدية لعقدة الخصاء كالتالي : لا يمكن أن يتجاوز الولد الأوديب ويعبر إلى التماهي بالأب ، إلا إذا اجتاز أزمة الخصاء ، أي إلا إذا حُظر عليه استخدام عضوه الذكري كأداة لرغبته في أمه . لا بد من رد عقدة الخصاء إلى النظام الثقافي حيث يتلازم الحق في بعض الممارسات دوماً بممنوع معين يقابله . تتجسد في «تهديد الخصاء» ، الذي يرمز لحمة منع الرغبة بالمحارم ، وظيفة القانون باعتباره يؤسس النظام الإنساني ، كما توضحه بشكل أسطوري « نظرية » الأب الأصلي في كتاب « الطوطم والمقدس عام1912 » ، ذلك الأب الذي يحتفظ لنفسه ، تحت طائلة تهديد أبنائه بالخصاء ، باحتكار حق العلاقة الجنسية مع نساء الرهط .

ولأن عقدة الخصاء ، هي على وجه التحديد ، الشرط المسبق الذي ينظم التبادل الإنساني باعتباره تبادلاً للموضوعات الجنسية ، يصبح بإمكانها أن تأخذ أوجهاً متعددة في التجربة المحسوسة ، حيث يمكن ردها إلى تعبيرات مختلفة ومتكاملة ، كالتعبيرات التي أشار إليها شتاركه حيث تتداخل مصطلحات الشخص والغير ، ومصطلحات التلقي والخسارة :

« 1 ـ أنا مخصي (أي محروم جنسياً) ؛ إذاً ساصبح مخصياً .

« 2 ـ أنا ساتلقى (أي أتمنى أن أتلقى) عضواً ذكرياً .

« 3 ـ المخصي هو شخص اخر ، إذا يجب أن يخصى (سيصبح مخصياً) .

« 4 ـ الشخص الأخر سيتلقى عضواً ذكرياً (أي عنده عضو ذكري) »

(أ) كل المقاطع المتعلقة بالخصاء ، في كتاب تفسير الأحلام عام1900 ، أضيفت عام1911 وفي الطبعات اللاحقة ، باستثناء بعض الإيماءات ، المغلوطة ، إلى زيوس وهو يخصي كرونوس .

(ب) يمكن في هذا المنظور تصور تصنيف مرضي تحليلي نفسي يتخذ له من نماذج وتحولات عقدة الخصاء أحد المحاور المرجعية الرئيسية كما تثبته إشارات فرويد في أواخر أعماله إلى الأعصبة ، والتيميّة، والذهان (أنظر : إنكار Deni) .

(1) Freud (S.). *Über infantile Sexualtheorien*, 1908. G.W., VII, 178 ; S.E., IX, 215-6.
(2) Freud (S.). *Die infantile Genitalorganisation*, 1923. G.W., XIII, 297 ; S.E., XIX, 145.
(3) Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*, 1909. — *a)* Cf. G.W., VII, 246, n. 1 ajoutée en 1923 ; S.E., X, 8, n. 2 ; Fr., 95-6, n. — *b)* G.W., VII, 246, n. 1 ajoutée en 1923 ; S.E., X, 8, n. 2 ; Fr., 95-6, n.
(4) Cf. Freud (S.). *Der Untergang des Ödipuskomplexes*, 1924. G.W., XIII, 395 ; S.E., XIX, 173 ; Fr., 394 sqq.
(5) Freud (S.). *Über Triebumsetzungen insbesondere der Analerotik*, 1917. G.W., X, 409 ; S.E., XVII, 133.
(6) Stärcke (A.). The castration complex, in *I.J.P.*, 1921, II. — *a)* 182. — *b)* 180.
(7) Cf. Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 129-39 ; S.E., XX, 101-10 ; Fr., 19-29.

عقلنة ، فكرنة

Intellectualisation
Eng.: Intellectualization
D.: Intellektualisierung

■ هي عملية يحاول الشخص من خلالها إعطاء صياغة منطقية لصراعاته وانفعالاته بغية السيطرة عليها .

يغلب النظر إلى هذا المصطلح من وجهه السيء ، حيث يدل ، خصوصاً خلال العلاج ، على تغليب التفكير المجرد على بروز الإنفعالات والهوامات والإعتراف بها ■ .

لا نصادف مصطلح العقلنة عند فرويد ، كما أننا لا نعثر إلا على القليل من التفصيل النظري لهذه العملية في مجمل أدبيات التحليل النفسي . ومن أوضح النصوص بهذا الصدد ، النص الذي وضعته آنا فرويد والذي تصف فيه العقلنة عند المراهق كأوالية دفاعية ، إنما تجعل منه إسرافاً في استعمال عملية سوية يحاول « الأنا » بواسطتها « السيطرة على النزوات من خلال ربطها بأفكار يمكن التعامل الواعي معها . . . » : إذ تشكل العقلنة ، تبعاً لهذه المؤلفة « . . . إحدى أعم القدرات المكتسبة ، وأقدمها وأكثرها ضرورة للأنا الإنساني »(1) .

ويستخدم مصطلح العقلنة خصوصاً للدلالة على أسلوب من المقاومة التي تصادف في العلاج . يتفاوت هذا الأسلوب في وضوحه إلا أنه يشكل دوماً وسيلة لتجنب مضامين القاعدة الأساسية .

وهكذا لا يعرض مريض ما مشكلاته إلا بأسلوب عقلاني عام (فينخرط مثلاً ، إزاء اختيار

غرامي ، في مناقشة المزايا المقارنة لكل من الزواج ، والحب الحر) . بينما يلجأ مريض آخر أثناء الحديث عن تاريخه ، وصفاته ، ومآزمه الخاصة ، إلى صياغتها رأساً بتعابير تشكل بناءً متماسكاً حتى أنه قد يستعيره من اللغة التحليلية النفسية (فهو يثير مثلاً مسألة « معارضته للسلطة » بدلاً من الكلام عن علاقاته مع أبيه) . ويقترب أحد أشكال العقلنة الأكثر براعة مما وصفه كارل إبراهام منذ العام 1919 تحت عنوان « شكل خاص من المقاومة العصابية لطريقة التحليل النفسي » . : إذ يبدو بعض المرضى وكأنهم يقومون « بعمل تحليلي طيب » فيطبقون القاعدة من خلال رواية الذكريات والأحلام وحتى الحديث عن تجارب عاطفية . ولكن الأمور تجري وكأنهم يتكلمون بناء لبرنامج موضوع ، محاولين التصرف كمُحَلِّلين نموذجيين ، حتى أنهم يقومون بتأويل كل ذلك بأنفسهم متجنبين هكذا انبجاس اللاوعي أو أي مداخلة من قبل المحلل قد تعاش على شكل تدخل خطير عليهم .

يستدعي مصطلح العقلنة بعض التحفظات :

1 - ليس من اليسير دوماً ، كما يبينه مثالنا الأخير ، أن نميز أسلوب المقاومة هذا عن الوقت الضروري والخصب الذي يشكّل الشخص خلاله الاكتشافات السابقة والتأويلات المعطاة من قبل المحلل ويستوعبها (أنظر : عمل الإستيعاب) ؛

2 - يرجع مصطلح العقلنة إلى التعارض ما بين الفكري والعاطفي الموروث عن علم نفس « الملكات » . فهو قد يؤدي إلى إعطاء قيمة مفرطة « للمعاش العاطفي » في العلاج التحليلي ، بعد التشكيك بالعقلنة ، مما قد يعرض هذا العلاج إلى الخلط بينه وبين الطريقة التفريجية . يعارض فينكل ما بين هاتين الطريقتين المتناظرتين في المقاومة : « . . . فهناك مريض متعقل دوماً ، ويرفض أن يتآلف مع منطق الإنفعالات الخاص ؛ [. . .] وفي مقابل ذلك هناك مريض غارق دوماً في عالم غامض من الإنفعالات ، دون أن يتمكن من التحرر منها [. . .] »(2) .

***

لا بد من تقريب العقلنة من الأواليات الأخرى التي وصفها التحليل النفسي ، وبصفة أساسية من التبرير . فمن الغايات الرئيسية للعقلنة إبعاد التأثرات العاطفية وتحييدها : بينما يحتل التبرير في هذا الصدد موقعاً مختلفاً : فهو لا يتضمّن تجنباً منتظماً للمؤثرات العاطفية ، إنما يسبغ عليها دوافع هي أقرب إلى المعقول منها إلى الحقيقة ، وذلك بإعطائها تسويغاً عقلانياً أو مثالياً (من مثل تبرير السلوك السادي في زمن الحرب بضرورات القتال ، أو بمحبة الوطن ، إلخ) .

(1) Freud (A.). *Das Ich und die Abwehrmechanismen*, Imago Publishing, Londres, 1936. All., 127 ; Fr., P.U.F., Paris, 147.

(2) Fenichel (C.). *The Psychoanalytic Theory of Neurosis*, Norton, New York, 1945. Angl., 28 ; Fr., P.U.F., Paris, 32.

عمل الإستيعاب

Perlaboration
Eng.: Working-through
D.: Durcharbeitung , Durcharbeiten

■ إنه عملية يكامل المحَلِّلْ بواسطتها أحد التأويلات ويتغلب على ما يثيره من مقاومة. تتعلق المسألة هنا بنوع من الشغل النفسي الذي يتيح للشخص أن يقبل بعض العناصر المكبوتة، وأن يتخلص من سطوة الأواليات التكرارية. يظل عمل الإستيعاب ثابتاً في العلاج ولكنه ينشط خصوصاً في بعض المراحل التي يبدو فيها أن العلاج يراوح مكانه، حيث تستمر المقاومة، حتى بعد أن أُوِّلَتْ.

وبالتلازم مع ذلك، ومن وجهة نظر تقنية، تساعد بعض تأويلات المحلل على عمل الإستيعاب، وخصوصاً تلك التي تتمثل في تبيان كيفية تواجد المعاني موضع البحث في سياقات مختلفة ■.

لقد وجد الفعل الألماني Durcharbeiten معادلاً مُرضياً في المصطلح الإنكليزي Working-through والذي غالباً ما يلجأ إليه المؤلفون الفرنسيون. وأما في الفرنسية، فإن اللغة الشائعة لا تتيح بالفعل ترجمة مضبوطة له. وهكذا يتعين علينا إما أن نقبل بمصطلحات من مثل «الإرصان التأويلي» التي تتخذ بالفعل طابع التعليق على هذا المفهوم، أو اقتراح كلمات جديدة: وهو الحل الذي تبنيناه مع كلمة Perlaboration. وأما مصطلح الإرصان الذي نعثر عليه عند بعض مترجمي (أعمال فرويد) فلا يجوز التمسك به في رأينا؛ ذلك أنه أكثر تطابقاً في الواقع مع المصطلحات الألمانية Bearbeiten أو Verarbeiten التي نصادفها أيضاً في النصوص الفرويدية؛ ومن ناحية ثانية، قد يؤثر ما يتضمنه هذا المصطلح من معنى «التشكيل» على معنى المصطلح الألماني الذي نعالجه هنا (أنظر: إرصان نفسي).

ولكن أوليست هذه الصعوبة المصطلحية على صلة بما يتصف به هذا المفهوم من غموض؟ نعثر على فكرة إنجاز المُحَلِّلْ لبعض العمل خلال العلاج، منذ «دراسات حول الهستيريا عام 1895»؛ كما أن مصطلحات Durcharbeiten و Durcharbeitung ترد بقلم فرويد بدون أن تكتسب معنى خاصاً تماماً(1).

وهما لا يكتسبان هذا المعنى الخاص إلا في المقالة بعنوان «الإستذكار، التكرار، وعمل الإستيعاب، عام 1914»، والتي ينبؤنا عنوانها نفسه بأن عمل الإستيعاب يشكل أحد مصادر العلاج شأنه في ذلك شأن استذكار الذكريات المكبوتة، وشأن التكرار في النقلة. ويظل المعنى الذي يعطيه فرويد لهذا المصطلح غامضاً في الواقع. ويمكننا استخلاص السمات التالية له من هذا النص:

أ ـ ينصب عمل الإستيعاب على المقاومات؛

ب ـ وهو يلي عموماً تأويل إحدى المقاومات الذي يبدو أنه عديم التأثير؛ وبهذا المعنى، فقد

تغطي فترة من الركود النسبي هذا الشغل الإجمالي بشكل بارز والذي يرى فيه فرويد العامل الرئيسي للفعالية العلاجية ؛

جـ ـ وهو يتيح الإنتقال من الرفض أو القبول العقلي المحض ، إلى قناعة قائمة على التجربة المعاشة (Erleben) للنزوات المكبوتة التي « تغذي المقاومة »(2a) . وبهذا المعنى يمكن الشخص بنجز عمل الإستيعاب من خلال « الغوص في المقاومة »(2b) .

لا ينسق فرويد مطلقاً مفهوم عمل الإستيعاب مع مفهومي الإستذكار والتكرار . إلا أنه يبدو أن المسألة تتعلق في نظره بمصطلح ثالث ينضمّ إليه المصطلحان الآخران ؛ ذلك أن عمل الإستيعاب هو فعلاً تكرار ولكنه يخضع للتعديل بفعل التأويل ، وهو لذلك بالتالي كفيل بتيسير خلاص الشخص من تحكم أواليات التكرار الخاصة به . ولأن فرويد يأخذ ، بلا شك ، بعين الإعتبار الطابع المعاش والمفرج لعمل الإستيعاب ، فهو يرى فيه نظيراً لما يمثله التصريف في العلاج التنويمي المغناطيسي .

ويتيح التمييز الموقعي الذي قدمه فرويد في « الصد ، العارض ، والقلق عام1926 » ما بين مقاومة الهو وبين مقاومة الأنا ، أن يجلي بعض جوانب الغموض في النص السابق : إذ لا يسقط الكبت بمجرد تجاوز مقاومة الأنا ، بل يتعين أيضاً « . . . التغلب على قوة إضطرار التكرار ، وما تمارسه النماذج الأولية اللاواعية من جذب على العملية النزوية المكبوتة »(3) ؛ ذلك هو ما يبرر ضرورة عمل الإستيعاب . ومن الممكن تعريفه ، في هذا المنظور ، بإعتباره العملية الكفيلة بوضع حد للإلحاح التكراري الخاص بالتكوينات اللاواعية ، من خلال ربطها بمجمل شخصية المرء .

●●●

يوصف عمل الإستيعاب في نصوص فرويد التي أتينا على ذكرها ، على أنه عمل يقوم به المحَلّل بلا منازع . ولم يفت المؤلفين الذين أتوا بعد فرويد ، وأصروا على ضرورة عمل الإستيعاب ، أن يؤكدوا على الدور الذي يلعبه فيه المحلّل دوماً .. ولنقتطف على سبيل المثال الأسطر التالية من ميلاني كلاين : « تثبت تجربتنا اليومية أكثر فأكثر ضرورة عمل الإستيعاب : وهكذا نرى بعض المرضى الذين حققوا استبصاراً ، في مرحلة معينة ، يتنكرون لهذا الإستبصار نفسه في الجلسات اللاحقة ؛ حتى أنهم ليبدون أحياناً وكأنهم نسوا أنهم حققوا هذا الإستبصار . ولا يمكننا مساعدة المريض تدريجياً على اكتساب الإستبصار بشكل دائم ، إلا حين نستخلص استنتاجاتنا من المادة كما تتجلى لنا في سياقات مختلفة ، ونقوم بتأويلها تباعاً »(4) .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., I, 292, 295 ; S.E., II, 288, 291 ; Fr., 235.
(2) Freud (S.). a) G.W., X, 136 ; S.E., XII, 155 ; Fr., 115. — b) G.W., X, 135; S.E., XII, 155 ; Fr., 114.
(3) Freud (S.). G.W., XIV, 192 ; S.E., XX, 159 ; Fr., 88.
(4) Klein (M.). *Narrative of a Child Analysis*, Hogarth Press, Londres, 1961, 12.

عمل الحِداد
Travail du deuil
Eng.: Work of Mourning
D.: Trauerarbeit

■ إنها عملية نفسية داخلية تلي فقدان موضوع التعلق العاطفي، وينجح الشخص تدريجياً من خلالها في الإنفصال عن ذلك الموضوع ■ .

أدخل فرويد تعبير عمل الحداد الذي صار كلاسيكياً في مقالته حول « الحداد والسوداوية عام 1915 » . يدل هذا التعبير بحد ذاته على التجديد الذي أتى به المنظور التحليلي النفسي في فهم ظاهرة نفسية حيث كان يُعتقد تقليدياً أن الآلام التي يولدها موت شخص عزيز تخف تدريجياً ومن تلقاء ذاتها . تشكل هذه النتيجة النهائية في نظر فرويد خاتمة عملية داخلية كاملة تتضمن نشاطاً من قبل الشخص ، وقد يفشل هذا النشاط أحياناً ، كما تبينه لنا الدراسة العيادية للحداد المرضي .

لا بد من تقريب فكرة عمل الحداد من فكرة الإرصان النفسي الأعم منها ، والتي تعتبر ربط الإنطباعات الصدمية بمثابة ضرورة للجهاز النفسي . ولقد لاحظ فرويد منذ « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » الشكل الخاص الذي يأخذه هذا الإرصان في حالة الحداد : « بعد قليل من موت المريض ، بدأ عندها [يتحدث فرويد عن مريضة هستيرية كان يتابعها] عمل استعادة مشاهد المرض والموت أمام ناظريها من جديد . كانت تعيش من جديد كل يوم كل من إنطباعاتها السابقة فتبكي ونواسي نفسها ، وكأنها تفعل ذلك بمحض إرادتها ، إذا جاز القول »(1) .

وما يؤكد وجود عمل نفسي داخلي في الحداد ، في نظر فرويد ، هو قلة الإهتمام الذي يظهر تجاه العالم الخارجي بعد فقدان الموضوع : حيث يبدو أن آلام الشخص وذكرياته تستحوذ على كل طاقته حتى تأتي لحظة « . . . يمكننا معها القول أن الأنا يضطر فيها أن يقرر ما إذا كان يريد مشاطرة [الموضوع المفقود] مصيره ، أو أنه يحزم أمره فيقطع الصلة مع الموضوع المفقود ، إنطلاقاً من اعتبار مجمل الإرضاءات النرجسية التي يتضمنها البقاء على قيد الحياة »(2a) . وحتى يُنجز هذا الإنفصال الذي يتيح أخيراً القيام بتوظيفات جديدة ، لا بد من مهمة نفسية تنفذه : « تستحضر كل من الذكريات والتوقعات التي كان الليبدو يرتبط بالموضوع من خلالها وتخضع لتوظيف (إنفعالي) مفرط ، ثم يتم إنفصال الليبدو عنها بعد ذلك »(2b) . ولقد أمكن القول بهذا المعنى أن عمل الحداد يتلخص « بقتل الميت »(3a) .

بيّن فرويد التدرج الموجود ما بين الحداد السوي ، وحالات الحداد المرضي (حيث يعتبر الشخص نفسه مذنباً لمسؤوليته عن الموت الذي حدث ، فينكر هذا الموت ، ويعتقد أنه واقع تحت تأثير المتوفى أو مستحوذ عليه من قبله ، كما قد يعتبر أنه مصاب بالمرض الذي أدى إلى موت هذا الأخير ، إلخ » وبين حالات السوداوية . ويمكن القول بشكل مبسط جداً ، أن الصراع المتجاذب يحتل ، تبعاً لفرويد ، مركز الصدارة في الحداد المرضي ؛ ويجتاز المريض مرحلة إضافية في

السوداوية : حيث يتماهى الأنا بالموضوع المفقود .

سعى المحللون النفسيون ، بعد فرويد إلى إيضاح ظاهرة الحداد السوي إنطلاقاً من أشكاله المرضية ، الخورية والسوداوية وكذلك الإهتياجية ، مؤكدين خصوصاً على دور التجاذب الوجداني ، وعلى وظيفة العدوانية تجاه الميت بإعتبارها تسمح بالإنفصال اللاحق عنه .

ولقد قامت محاولات تقريب مثمرة ما بين هذه المعطيات المرضية النفسية ، ومعطيات علم الأناسة الثقافية حول الحداد في بعض المجتمعات البدائية ، وحول المعتقدات والطقوس الجماعية التي تصاحبه (3, 4b) .

(1) FREUD (S.). G.W., I, 229; S.E., II, 162; Fr., 129.

(2) FREUD (S.). *Trauer und Melancholie*, 1915. — *a)* G.W., X, 442-3; S.E., XIV, 255; Fr., 215. — *b)* G.W., X, 430; S.E., XIV, 245; Fr., 193.

(3) LAGACHE (D.). Le travail du deuil, 1938, in *R.F.P.*, X, 4. — *a)* 695. — *b)* Cf. 695.

(4) Cf. HERTZ (R.). Contribution à une étude de la représentation collective de la mort, in *Mélanges de sociologie religieuse et de folklore*, Alcan, Paris, 1928.

عمل الحلم

Travail du rêve
Eng.: Dream-Work
D.: Traumarbeit

■ هو مجمل العمليات التي تحوّل مواد الحلم (المثيرات جسدية ، البقايا النهارية ، وأفكار الحلم) إلى مُنتج : هو الحلم الظاهر . أما التشويه فهو من آثار هذا العمل ■ .

يكتب فرويد في نهاية الفصل الرابع من كتاب « تفسير الأحلام عام1900 » ما يلي : « يُقسم العمل النفسي في تكوين الحلم إلى عمليتين : الأولى هي إنتاج أفكار الحلم ، والثانية هي تحويل هذه الأفكار إلى المحتوى [الظاهر] للحلم »(1a) . تشكل هذه العملية الثانية عمل الحلم بالمعنى الدقيق للكلمة ، ذلك العمل الذي حلل فرويد أوالياته الأربعة : (التكثيف Verdichtung) ، و(الإزاحة Verschiebung) ، و(إعتبار قابلية التصوير Rücksicht auf Darstellbarkeit) ، وأخيراً (الإرصان الثانوي Sekundäre Bearbeitung) .

يعرض فرويد قضيتين متكاملتين ، حول طبيعة هذا العمل :

1 ـ إنه لا يتمتع مطلقاً بالإبتكار ، بل يقتصر على تحويل المواد ؛

2 ـ مع أن هذا العمل هو نفسه الذي يكوّن « جوهر الحلم » وليس المحتوى الكامن .

فمثلاً تؤدي أطروحة الطابع غير الإبتكاري للحلم إلى « . . . إعتبار كل ما نجده في الحلم من مثل النشاط الظاهري لوظيفة الحكم [الحساب ، والخطاب] ليس كعملية عقلية من ضمن عمليات عمل الحلم ، بل إعتبارها تابعة لمواد أفكار الحلم »(1b) . يطرح هذا النشاط على عمل

الحلم الخاضع « . . . لنوع من الضرورة الإلزامية لمزج كل المصادر التي عَمِلَتْ كمثيرات في الحلم في وحدة واحدة »(1c) ، بإعتباره مادة من تلك المواد .

أما النقطة الثانية ـ القائلة بأن الحلم هو أساساً العمل الذي يتم فيه ـ فإن فرويد يؤكد عليها في « ملاحظاته حول نظرية وتطبيق تأويل الأحلام عام 1923 »(2) حيث يحذر المحللين من إحترام مفرط لما يمكن أن يدعى « اللاوعي الغامض » . وترد نفس الفكرة في الملاحظات المختلفة التي أضيفت إلى « تفسير الأحلام » والتي تشكل نوعاً من الدعوة إلى الإنضباط . منها مثلاً : « لقد حدث خلال مدة طويلة من الزمن ، خلط ما بين الأحلام ومحتواها الظاهر : فلا يجوز الآن الخلط بينها (الأحلام) وبين الأفكار الكامنة »(1d) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 510 ; S.E., V, 506 ; Fr., 377. — *b)* G.W., II-III, 447 ; S.E., V, 445 ; Fr., 329. — *c)* G.W., II-III, 186 ; S.E., IV, 179 ; Fr., 137. — *d)* G.W., II-III, 585, n. 1 ; S.E., V, 579, n. 1 ; Fr., 473, n. 1.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 304 ; S.E., XIX, 111-2.

عملية أولية ، عملية ثانوية

Processus primaire, processus secondaire
Eng.: Primary process, secondary process
D.: Primärvorgang, sekundärvorgang

■ إنهما أسلوبا النشاط الوظيفي للجهاز النفسي كما استخلصهما فرويد . ويمكن التميز بينهما جذرياً على الصعد التالية :

أ ـ من وجهة نظر موقعية : تميز العمليات الأولية النظام اللاواعي ، بينما تميز العمليات الثانوية نظام ما قبل الوعي ـ الوعي ؛

ب ـ ومن وجهة النظر الإقتصادية ـ الدينامية . تسيل الطاقة النفسية في حالة العمليات الأولية ، بحرية تامة . متنقلة بدون عقبات من تصور إلى آخر تبعاً لأواليات الإزاحة والتكثيف ؛ كما أنها تنزع إلى إعادة التوظيف التام للتصورات المرتبطة بتجارب الإشباع التي تشكل الرغبة (أي الهلاوس البدائية) . وأما في حالة العمليات الثانوية ، فالطاقة تكون « مربوطة » في البدء قبل أن تسيل بشكل خاضع للضبط ؛ ويتم التوظيف في التصورات بشكل أكثر إستقراراً ، بينما يؤجل الإشباع ، وهو ما يسمح بقيام التجارب الذهنية التي تُخضِعُ للاختبار مختلف مسالك الإشباع الممكنة .

يتلازم التعارض ما بين العمليات الأولية والعمليات الثانوية مع التعارض ما بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع ■ .

يعاصر التمييز الفرويدي ما بين العمليات الأولية والعمليات الثانوية إكتشاف العمليات اللاواعية ، وهو اكتشاف بشكل أول تعبير نظري عنها . فلقد مُثّل في «مشروع علم نفس علمي عام 1895 » ، ووسع في الفصل السابع من « تأويل الأحلام عام 1900 » وبقي بعدها مرجعاً ثابتاً من مراجع الفكر الفرويدي .

ولقد أدّت دراسة تكوين العارض وتحليل الأحلام بفرويد إلى الإقرار بنمط من النشاط الذهني له أوالياته الخاصة ، كما تحكمه قوانين معينة وهو نشاط يختلف كثيراً عن عمليات الفكر التي تشكل موضوع الملاحظة النفسانية التقليدية . ولا يتصف هذا الأسلوب من النشاط الوظيفي ، الذي يوضحه الحلم بشكل خاص ، بغياب المعنى كما كان يؤكده علم النفس التقليدي ، بل هو يتصف بإنزلاق مستمر للمعنى (من تصور إلى آخر) . وأما الأواليات الفاعلة هنا فهي من ناحية ، الإزاحة التي يكتسب بواسطتها تصور غالباً ما يكون عديم المعنى ظاهرياً ، كل القيمة النفسية ، والدلالة والشدة الخاصة في الأصل بتصور آخر ، وهي من ناحية ثانية التكثيف - إذ يمكن أن تلتقي كل الدلالات التي تحملها سلاسل الترابطات التي تتقاطع فيما بينها ، كي تصب في تصور وحيد . ويقدم لنا الحتم المضاعف للعارض مثلاً آخر عن هذا الأسلوب من النشاط الوظيفي الخاص باللاوعي .

كما أن نموذج الحلم هو الذي أدى بفرويد أيضاً إلى إفتراض كون الغاية التي تستهدفها العمليات اللاواعية ، هي إقامة وحدة الإدراك بأقصر الطرق الممكنة ، أي إعادة إنتاج التصورات التي أضفت عليها تجربة الإشباع الأصلية قيمة مفضلة ، من خلال الأسلوب الهلاسي .

وفي مقابل أسلوب كهذا من النشاط العقلي يمكن إطلاق صفة العمليات الثانوية على الوظائف التي أطلق عليها تقليدياً في علم النفس إسم الفكر المتيقظ ، والإنتباه ، والحكم ، وإعمال الفكر ، والفعل المنضبط . إن وحدة الفكر هي المنشودة في العمليات الثانوية : إذ « يتعين على الفكر الإهتمام بمسالك الإرتباط ما بين التصورات ، بدون أن ينخدع بشدتها »(1) . وتشكل العمليات الثانوية ، من هذا المنظور ، تعديلاً للعمليات الأولية . إذ تقوم بوظيفة منظمة يساعد عليها تشكيل الأنا الذي يتخصص دوره الأكبر في صد العمليات الأولية (أنظر : أنا) . إلا أنه لا يتعين وصف كل العمليات التي يتدخل فيها الأنا على أنها عمليات ثانوية . إذ أكد فرويد منذ البدء على كيفية خضوع الأنا لسطوة العمليات الأولية ، وخصوصاً في أساليب الدفاع المرضية . حيث تتأكد الخاصية الأولية للدفاع ساعتئذٍ ، عيادياً من خلال مظهره الإضطراري ، وإذا أردنا توسل تعابير اقتصادية ، لقلنا أنها تتأكد من خلال كون الطاقة الفاعلة فيه تنشد التفريغ الكامل ، والمباشر ، وبأقصر الطرق الممكنة (*) : « إننا ندلّ بمصطلح « العمليات النفسية الأولية » على توظيف الرغبة الذي يصل حد الهلوسة ، وعلى التطور الكامل للإنزعاج الذي يتضمّن بذل الدفاع بشكل كامل ، وعلى العكس من ذلك فإننا ندلّ على العمليات التي يجعلها التوظيف الكامل للأنا دون سواه ممكنة ، والتي تمثل تلطيفاً للعمليات السابقة ، بإعتبارها « عمليات نفسية ثانوية » »(2a) .

يتطابق التعارض ما بين العمليات الأولية والعمليات الثانوية مع التعارض ما بين أسلوبي

سريان الطاقة النفسية : أي الطاقة الحرة ، والطاقة المربوطة . كما أنه لا بد من موازاته أيضاً مع التعارض ما بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع .

***

وهناك مضامين زمنية وحتى تكوينية لمصطلحي الأولي والثانوي . وتتصعّد هذه المضامين عند فرويد في إطار النظرية الثانية عن الجهاز النفسي ، حيث يعرّف الأنا كمحصلة لتمايز تدريجي عن الهو .

إلا أن المسألة كانت ماثلة منذ النموذج الفرويدي الأول . وهكذا يبدو أن هذين النمطين من العمليات لا يتطابقان في كتاب « المشروع » فقط مع أسلوبين من النشاط الوظيفي على مستوى التصورات ، بل هما يتطابقان أيضاً مع « مرحلتين » في تمايز الجهاز العصبي ، وحتى في تطور المتعضي . يميز فرويد ما بين « وظيفة أولية » حيث ينشط المتعضي ، وتحديداً ذلك الجزء المتخصص منه وهو النظام العصبوني ، تبعاً لنموذج « القوس المنعكس» :أي تبعاً لنموذج التفريغ المباشر والكلي لكمية الإثارات ، وبين « وظيفه ثانوية » : أي التهرب من الإثارات الخارجية ، وهو فعل نوعي بإمكانه وحده دون ما عداه وضع حد للتوتر الداخلي ، ويفترض شيئاً من إختزان الطاقة : « . . . يجب النظر إذاً إلى كل إنجازات النظام العصبي ، إما من زاوية الوظيفة الأولية ، وإما من زاوية الوظيفة الثانوية التي تفرضها ضرورات الحياة »(2b) . لم يكن بمقدور فرويد الإفلات بسهولة مما يمثل بالنسبة إليه مطلباً علمياً أساسياً وهو : إدراج إكتشافه للعمليات النفسية الأولية والثانوية ضمن مفهوم بيولوجي يستعين بأساليب إستجابة المتعضي لفيض الإثارة . تؤدي هذه المحاولة إلى إطلاق تأكيدات لا يسهل الدفاع عنها على المستوى البيولوجي : من مثل النظر إلى القوس المنعكس على أنه ينقل على طرفه الحركي نفس كمية الإثارة التي تلقاها على طرفه الحسي ، أو مثل القول ، على مستوى أكثر جذرية ، بالفكرة التي تذهب إلى إمكانية مرور المتعضي بحالة ينشط خلالها وظيفياً تبعاً لمبدأ التفريغ الكامل للطاقة التي يتلقاها دون ما عداه ، وصولاً إلى المفارقة التي تصبح معها « ضرورات الحياة » وحدها هي التي تتيح ظهور الكائن الحي (أنظر : مبدأ الثبات) .

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن فرويد لا يسوّي ، حين يقترب إلى أقصى الدرجات من النموذج البيولوجي ، ما بين « الوظائف » الأولية والثانوية للمتعضي وبين « العمليات » الأولية والثانوية التي يجعل منها أسلوبين في النشاط الوظيفي للنفس ، أو للنظام النفسي(2c) .

(أ) يصف فرويد في كتابه « المشروع » العمليات الأولية ؛ بأنها أيضاً عمليات « مليئة » أو كلية .

(1) Freud (S.). G.W., II-III, 607-8 ; S.E., V, 602 ; Fr., 491.
(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1895. — *a)* All., 411 ; Angl., 388 ; Fr., 344. — *b)* All., 381 ; Angl., 358 ; Fr., 317. — *c)* Cf. All., 409-11; Angl., 386-9 ; Fr., 342-4.

عودة المكبوت

Retour du refoulé
Eng.: Return (Break through) of the repressed
D.: Wiederkehr (Rückkehr) des verdrängten

■ إنها العملية التي تنزع من خلالها العناصر المكبوتة ، التي لم يقض الكبت عليها مطلقاً إلى الظهور ثانية ، وتتمكن من الوصول إلى ذلك بطريقة مُحَرَّفة على شكل تسوية ■ .

لقد أصر فرويد على الدوام ، على الطابع الذي « لا يتزعزع » للمحتويات اللاواعية(1) . إذ لا تفلت العناصر المكبوتة من القضاء عليها فقط ، بل هي تميل أيضاً على الدوام إلى الظهور من جديد في الوعي ، من خلال مسالك متفاوتة في التوائها ، وبواسطة تكوينات مشتقة يتعذر التعرف عليها بدرجات متفاوتة ، أي بواسطة : مشتقات اللاوعي (أ) .

وتتأكد الفكرة القائلة بتفسير الأعراض من خلال عودة المكبوت منذ نصوص فرويد التحليلية النفسية الأولى . كما نجد في تلك النصوص أيضاً الفكرة الأساسية الأخرى القائلة بأن عودة المكبوت تتم بواسطة « تكوينات التسوية ما بين التصورات المكبوتة والتصورات الكابتة »(2) . ولكنّ فرويد فهم بطريقة مغايرة تماماً العلاقات ما بين أوالية الكبت وأوالية عودة المكبوت :

1 ـ يصل الأمر بفرويد ، في كتابه بعنوان « هذيان وأحلام في « جراديفا » جنسن » إلى التأكيد على واقعة سلوك المكبوت أثناء عودته لنفس مسالك الترابطات التي سار عليها أثناء الكبت(3a) . وهكذا تكون العمليتانّ وثيقتي الإرتباط إذاً ، وكأن كل منهما مناظرة للأخرى ؛ يستعمل فرويد هنا عبرة الناسك الذي حاول إتقاء الغواية من خلال صورة المسيح المصلوب ، فرأى بدلاً عنه صورة إمرأة عارية : « . . . يكتب الظفر للمكبوت في نهاية المطاف بالتستر خلف القوة الكابتة ومن خلالها »(3b) .

2 ـ ولكن فرويد لم يتمسك بهذه الفكرة ، بل أعاد فيها النظر في رسالة إلى فرنزي بتاريخ 6-12-1910 يشير فيها إلى أن عودة المكبوت هو أوالية خاصة(4) . ويعود فرويد إلى هذه الإشارة ثانية في مقالته حول « الكبت عام1915 » خصوصاً ، حيث تعتبر عودة المكبوت كخطوة ثالثة مستقلة عما عداها ضمن عملية الكبت بمعناها الواسع(5) . يصف فرويد في تلك المقالة العملية الخاصة بعودة المكبوت في مختلف الأعصبة ، وينتج عن هذا التحليل أن هذه العملية تتم من خلال الإزاحة ، والتكثيف ، والإقلاب ، إلخ .

كما أشار فرويد أيضاً إلى الشروط العامة لعودة المكبوت . وهي : ضعف التوظيف المضاد ، تعزيز الإندفاعة النزوية (تحت التأثير البيولوجي للبلوغ ، مثلاً) ، وحلول أحداث راهنة تثير المادة المكبوتة(6) .

(أ) يمكن الرجوع بصدد الإشكالية التي تثيرها فكرة كهذه إلى ملاحظة وردت في « الصد ، العارض ، والقلق ، عام 1926 » يتساءل فرويد فيها عما إذا كانت الرغبة المكبوتة تتوصل إلى تحويل كل طاقتها إلى مشتقاتها ، أم أنها تظل هي نفسها في اللاوعي(7) .

(1) Cf. Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 583 ; S.E., V, 577 ; Fr., 472.
(2) Freud (S.). *Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen*, 1896. G.W., I, 387 ; S.E., III, 170.
(3) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., VII, 60-1 ; S.E., IX, 35 ; Fr., 139-40. — *b)* G.W., VII, 60-1 ; S.E., IX, 35 ; Fr., 139-40.
(4) Cf. Jones (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, 1953-55-57, vol. II. Angl., Hogarth Press, Londres, 1955, 499 ; Fr., P.U.F., Paris, 472.
(5) Cf. Freud (S.). G.W., X, 256-8 ; S.E., XIV, 154-6 ; Fr., 82-6.
(6) Cf. Freud (S.). *Der Mann Moses und die monotheistische Religion*, 1939. G.W., XVI, 210-2 ; S.E., XXIII, 95-6 ; Fr., 145.
(7) Cf. Freud (S.). G.W., XIV, 173, n. ; S.E., XX, 142, n. ; Fr., 67, n.

علاج نفسي

Psychothérapie
Eng.: Psychotherapy
D.: Psychotherapie

■ أ ـ يعني بالمعنى الواسع للكلمة ، أي طريقة لعلاج الإضطرابات النفسية أو الجسدية باستخدام وسائل نفسانية ، وبشكل أكثر دقة باستخدام علاقة المعالج مع المريض من مثل : التنويم المغناطيسي ، والإيحاء ، وإعادة التربية النفسانية ، والإقناع ، إلخ ، والتحليل النفسي بهذا المعنى هو أحد أشكال العلاج النفسي .

ب ـ وأما بالمعنى الأكثر حصراً فغالباً ما يقام التعارض ما بين التحليل النفسي ومختلف أشكال العلاج النفسي ، وذلك إنطلاقاً من سلسلة كاملة من المبررات ، أخصها : الوظيفة الكبرى التي يقوم بها تأويل الصراع اللاواعي ، وتحليل النقلة الذي يرمي إلى حل هذا الصراع .

جـ ـ ونقصد بتسمية « العلاج النفسي التحليلي » شكلاً من العلاج النفسي الذي يستند إلى المبادىء النظرية والتقنية للتحليل النفسي ، ولكن بدون أن يستكمل كل شروط العلاج التحليلي النفسي المضبوط ■ .

علاقة الموضوع

Relation d'objet
Eng.: Object- relationship
D.: Objektbeziehung

■ يشيع استخدام هذا المصطلح كثيراً في التحليل النفسي المعاصر للدلالة على أسلوب علاقة الشخص مع عالمه ، هذه العلاقة هي نتيجة معقدة وكلية لشكل ما من أشكال تنظيم الشخصية ، ولمقاربة متفاوتة في درجة هواميتها للموضوعات ولشكل ما من أنماط الدفاع المفضلة .

يجري الحديث عن علاقات موضوع شخص معين ، وكذلك عن أنماط من علاقات الموضوع تحيلنا إما الى لحظات تطورية (من مثل علاقة الموضوع الفمية) ، أو إلى علم النفس المرضي (من مثل : علاقة الموضوع السوداوية) ■ .

لا يصادف مصطلح علاقة الموضوع بقلم فرويد(1) إلا لماماً ؛ وإذا لم يكن صحيحاً القول ، كما ذهب بعضهم ، بأن فرويد يجهله ، فإننا نستطيع الإدعاء يقيناً بأنه لا يدخل ضمن جهازه المفهومي .

ولكن فكرة علاقة الموضوع أخذت ، منذ العام 1930 ، أهمية متزايدة في أدبيات التحليل النفسي حتى صارت تشكل اليوم بالنسبة للكثير من الكتاب ، المرجع النظري الرئيسي . ويندرج هذا التطور ، كما بينه دانيال لاجاش ، في حركة فكرية لا تقتصر على التحليل النفسي ، والتي تؤدي إلى الكف عن اعتبار المتعضي في حالة العزلة ، بل إلى النظر إليه في تفاعله مع المحيط(2) . ولقد تمسك . بالنت بالفكرة القائلة بأن هناك بوناً في التحليل النفسي ما بين التقنية التي تستند إلى التواصل وإلى العلاقات الشخصية المباشرة ، وبين النظرية التي ما زالت ، تبعاً لتعبير يعود إلى ريكمان ، تقوم على « علم نفس الجسد الواحد » . فبالنسبة إلى بالنت الذي طالب منذ العام 1935 بإعطاء مزيد من الإهتمام لنمو علاقات الموضوع ، لا زالت كل مصطلحات ومفاهيم التحليل النفسي - ما عدا مصطلحات « الموضوع » و« علاقة الموضوع » - ترجع إلى الفرد وحده(3) . كما يلاحظ رينيه شبيتز أيضاً ، أنه ما عدا ذلك المقطع من « ثلاث محاولات حول نظرية الجنسية عام 1905 » الذي يتصدى للعلاقات المتبادلة ما بين الأم والطفل ، لا يعالج فرويد الموضوع الليبيدي ، إلا من وجهة نظر الشخص وحدها (التوظيف ، واختيار الموضوع)(4) .

ولقد أدى رفع شأن فكرة علاقة الموضوع إلى تغيير في المنظور في المجالات العيادية ، والتقنية ، والتكوينية في آنٍ معاً . وليس بمقدورنا هنا تقديم بيان ، ولو مقتضب ، عن نتائج هذا التطور . بل سنقتصر على بعض الملاحظات المصطلحية من ناحية ، وعلى بعض التوضيحات المكرسة لتعريف الإستعمال الحالي لفكرة علاقة الموضوع ، في خطوطه العريضة ، بالنسبة لفرويد ، من ناحية ثانية .

أولاً :- قد يضلل تعبير « علاقة الموضوع » القارىء الذي لا ألفة له بنصوص التحليل النفسي . إذ لا بد من أخذ كلمة «موضوع» بالمعنى النوعي المعطى لها في التحليل النفسي، في تعابير من مثل « إختيار الموضوع »، و« حب الموضوع » . ومن المعروف أن الشخص ينعت بأنه موضوع ، بإعتباره مستهدف من قبل النزوات ؛ وليس في ذلك أي إنتقاص من قدر الشخص موضوع البحث ، أو ما يتضمن سلخ صفة الشخص عنه على وجه الخصوص .

وأما العلاقة فلا بد من أخذها بمعناها المشدّد : إذ يتعلق الأمر بعلاقة متبادلة متفاعلة ، لا تقتصر فقط على أسلوب تكوين الشخص لموضوعاته ، بل أيضاً على أسلوب تشكيل هذه الموضوعات لنشاطه هو . يتعزز معنى هذه الفكرة ، في مفهوم من مثل مفهوم ميلاني كلاين : حيث تمارس الموضوعات - المسقطة ، والمجتافة - فعلاً بالمعنى الدقيق للكلمة على الشخص (فعلاً إضطهادياً أو مطمئناً ، إلخ). (أنظر : الموضوع « الطيب » ، والموضوع « السيء ») .

وأما حرف « الـ . . . » (حيث يمكن أن ننتظر حرف « مع ») فإنه للتأكيد على العلاقة المتبادلة . ذلك أن الحديث عن علاقة مع الموضوع أو الموضوعات يتضمن الوجود السابق لهذه الموضوعات على علاقة الشخص معها ، كما يتضمّن بالمقابل أن الشخص نفسه قد اكتمل تكوينه .

ثانياً : ـ كيف نحدد موقع النظرية الفرويدية ، بالنسبة إلى فكرة علاقة الموضوع المعاصرة ؟
من المعلوم أن فرويد قد ميّز خلال إهتمامه بتحليل مفهوم النزوة ، ما بين المصدر النزوي ، والموضوع النزوي ، والهدف النزوي . فأما المصدر فهو المنطقة أو الجهاز النفسي الذي يشكل مقر الإثارة الجنسية ؛ ويشهد على أهميته في نظر فرويد، الدلالة على مختلف مراحل تطور الليبدو بإسم المنطقة السائدة المولدة للغلمة . وأما فيما يختص بالموضوع والهدف ، فلقد تمسك فرويد بالتمييز بينهما طوال أعماله كلها . وهكذا يدرس الإنحرافات في الهدف (من مثل السادية) والإنحرافات في الموضوع (من مثل الجنسية المثلية) في فصول مستقلة من كتابه « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية » . كذلك نجد في « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » فرقاً ما بين تحولات النزوة المرتبطة بتغييرات في الهدف ، وبين التحولات التي تنصب فيها العملية أساساً على الموضوع .
يستند هذا التمييز خصوصاً على الفكرة القائلة بأن تحديد الهدف يتم من خلال نمط النزوة الجزئية موضوع البحث ، ومن خلال المصدر الجسدي ، في التحليل النهائي . فمثلاً يشكل الإدماج أسلوب النشاط الخاص بالنزوة الفمية ؛ وهو قابل للإزاحة إلى مناطق أخرى غير الفم ، وأن ينقلب إلى ضده (إفترس ـ مُفْتَرَسْ) ، أو أن يخضع للتسامي ، إلخ . ، إنما تظل مرونته نسبية . وأما الموضوع فغالباً ما يشير فرويد بصدده إلى ما يمكن تسميته بوضعيته الإحتمالية ، وهو مصطلح يتضمن فكرتين تتكاملان فيما بينهما بدقة وصرامة :
أ ـ لا يشترط في الموضوع سوى أن يكون وسيلة لتأمين الإشباع . وهو بهذا المعنى قابل للإستبدال . فعلى سبيل المثال ، يَقدّر أي موضوع ، في المرحلة الفمية ، تبعاً لقابليته على أن يُدْمَجْ ،
ب ـ كما قد يتخصص الموضوع خلال تاريخ الشخص مما يجعل موضوعاً وحيداً ومحدداً ، أو بديله الذي يتضمن الصفات الإنتقائية للموضوع الأصلي ، وحدهما قادرين على تأمين الإشباع ؛ وبهذا المعنى تصبح سمات الموضوع فريدة بشكل بارز .
وهكذا نفهم كيف استطاع فرويد الجزم في آن معاً بأن الموضوع هو « ذلك الجانب الأكثر تغيراً في النزوة » (5a) وأن « . . . العثور على الموضوع هو في نهاية المطاف عثور عليه من جديد » (6) .
ويفقد التمييز ما بين المصدر ، والموضوع والهدف ، الذي يشكل الإطار المرجعي بالنسبة لفرويد ، صلابته الظاهرية ، حين ينظر في الحياة النزوية .
فالقول بأن نشاط أحد الأجهزة الجسدية (الفم) يحدد في مرحلة ما ، أسلوباً في العلاقة مع الموضوع (هو الإدماج) ، هو في الواقع اعتراف بدور النموذج الأول لهذا النشاط : إذ يمكن أن تصطبغ عندها كل نشاطات الشخص الأخرى ـ سواء أكانت جسدية أم لا ـ بدلالات فمية . كذلك هناك العديد من العلاقات ما بين الموضوع والهدف . تبدو تغيرات الهدف النزوي وكأنها محتومة بجدلية يلعب فيها الموضوع دوره ؛ خصوصاً في حالات السادو ـ مازوشية وحالات النظار ـ المتاك : « . . . فكل من الإرتداد على الشخص ذاته [تغيير الموضوع] وتحول النشاط إلى فتور [تغير الهدف] يتلاقيان أو يتداخلان » (5b) . كذلك يقدم التسامي مثلاً آخر عن هذا التلازم ما بين الموضوع والهدف .
كذلك ، نظر فرويد في أنماط من الطبع والعلاقة مع الموضوع (7) في مجملها ، وتمكن في أعماله

العيادية أن يصف لنا كيف تتواجد نفس الاشكالية في نشاطات جد مختلفة عن بعضها البعض عند نفس الشخص .

ثالثاً : بالإمكان التساؤ ل إذاً حول الجديد الذي يحمله مفهوم علاقة الموضوع التالي على فرويد . تصعب الإجابة على سؤ ال كهذا ، لأن مفاهيم الكتاب الذين يرجعون إلى هذه الفكرة تتفاوت كثيراً فيا بينها مما يجعل البحث عن قاسم مشترك عملية مصطنعة . نقتصر إذاً على الملاحظات التالية :

1 ـ يبدو أن يتضمن الإستعمال المعاصر لعلاقة الموضوع إعادة نظر بمعنى الكلمة في النظرية الفرويدية للنزوات ، فإنه غيّر في توازنها .

تراجع المصدر بإعتباره السند العضوي، بشكل بين ، إلى المقام الثاني من الأهمية؛ بينما تصعدت قيمته كنموذج أولي بسيط ، سبق لفرويد الإعتراف به . وبالتالي لم يعد الهدف يبدو كإشباع جنسي لمنطقة مولدة للغلمة بعينها : حتى أن فكرته ذاتها أخذت تتلاشى بالنسبة لفكرة العلاقة . وهكذا أصبح مركز الإهتمام في « علاقة الموضوع الفمية » مثلاً يدور حول مخلفات الإدماج والشكل الذي تتواجد فيه من جديد كمعانٍ وكهوامات سائدة في كل علاقات الشخص مع العالم . وأما فيا يختص بمكانة الموضوع ، فيبدو أن العديد من المحللين المعاصرين لا يقبلون لا خصائصه المفرطة في تغيرها بصدد الإشباع المنشود ولا وحدته بإعتباره مسجلاً في التاريخ الخاص للشخص : بل هم يتوجهون بالأحرى نحو مفهوم عن موضوع نموذجي لكل أسلوب علائقي (وهكذا يحكى عن موضوع فمي ، وموضوع شرجي ، إلخ .) .

2 ـ ويذهب هذا البحث عما هو نموذجي إلى أبعد من ذلك . إذ لا ينظر في الواقع ، في الحياة النزوية وحدها في أي من أساليب علاقة الموضوع ، ، بل أيضاً فيا يقابلها من أواليات دفاعية ، وفي درجة نمو الأنا وبنيته ، إلخ . ، باعتبار أن هذه كلها هي بدورها خاصة بهذه العلاقة (أ) . وهكذا تبدو فكرة علاقة الموضوع كفكرة شمولية (« كلية ») وتنميطية لتطور الشخصية في آن معاً .

تجدر الملاحظة أن مصطلح المرحلة يميل إلى الزوال لصالح مصطلح علاقة الموضوع . يتيح لنا تغيير كهذا أن نفهم كيف تتداخل أو تتواتر عدة أنماط من علاقة الموضوع ، عند شخص ما . وعلى العكس من ذلك يوقعنا الحديث عن تواجد عدة مراحل في آن معاً في التناقض المصطلحي .

3 ـ وبمقدار ما تركز فكرة علاقة الموضوع ، من حيث المبدأ ، على حياة العلاقة عند الشخص ، فإنها قد تجر بعض الكتاب إلى اعتبار العلاقات الواقعية مع المحيط حاكمة ومحددة بشكل أساسي . وهو انحراف عن الواقع يرفضه كل محلل نفسي ، لأن علاقة الموضوع يجب أن تدرس بالنسبة إليه على المستوى الهوامي أساساً ، إذ أن قدرة الهوامات على تغيير إدراك الواقع والأفعال المتصلة به ، مسألة معروفة .

(أ) يقرّ فرويد بالتأكيد بأن هناك خطوط تطور أخرى غير خط مراحل الليبدو ، ولكنه لم يعالج فعلياً مشكلة تطابقها ، أو هو بالأحرى ترك مسألة التفاوت بينها مفتوحة (أنظر : مرحلة) .

(1) Cf. par exemple : FREUD (S.). *Trauer und Melancholie*, 1917. G.W., X, 435 ; S.E., XIV, 249 ; Fr., 202.

(2) Cf. LAGACHE (D.). La psychanalyse. Évolution, tendances et problèmes actuels,

in *Cahiers d'actualité et de synthèse de l'Encyclopédie française permanente*. Supplément au vol. VIII, 23-34.

(3) Cf. BALINT (M.). *Critical Notes on the Theory of the Pregenital Organisations of the Libido*, 1935, *passim*. Et *Changing Therapeutical Aims and Techniques in Psycho-Analysis*, 1949. In *Primary Love and psychoanalytic technique*, Hogarth Press, London, 1952.

(4) Cf. SPITZ (R. A.). *La première année de la vie de l'enfant. — Genèse des premières relations objectales*, P.U.F., Paris, 1958.

(5) FREUD (S.). *a)* G.W., X, 215 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 35. — *b)* G.W., X, 220 ; S.E., XIV, 127 ; Fr., 44.

(6) FREUD (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 123 ; S.E., VII, 222 ; Fr., 132.

(7) Cf. par exemple : FREUD (S.). *Charakter und Analerotik*, 1908. G.W., VII, 203-9 ; S.E., IX, 169-75.

Neurasthénie — عياء

Eng.: Neurasthenia

D.: Neurasthenie

■ وصف الطبيب الأميركي جورج بيارد(1839 -1883) هذه الإصابة، التي تتلخص في لائحة عيادية مركزة حول تعب فيزيقي ذي أصل « عصبي »، وتتضمن أعراضاً من مجالات جد متنوعة.

كان فرويد من السبّاقين إلى الإشارة إلى الإتساع المفرط الذي إتخذه هذا التكوين المرضي (في الاستعمال)، والذي يجب تفريعه جزئياً لصالح كيانات عيادية أخرى. ولكنه يحتفظ رغم ذلك بالعياء كعصاب مستقل، ويميزه بالأعراض التالية : بروز الإنطباع بالتعب الفيزيقي، وحالات الصداع، وعسر الهضم، والإمساك، وظهور أحاسيس غير عادية على مستوى الجسد، وإفتقار النشاط الجنسي. ولقد أدرجه ضمن نطاق الأعصبة الراهنة، إلى جانب عصاب القلق، كما رد أسبابه إلى النشاط الجنسي العاجز عن حل التوتر الليبيدي بشكل ملائم (أي الإستمناء) ■.

كان جورج بيارد هو واضع مصطلح العياء (يعني في أصله اللغوي : الوهن العصبي). ونحيل القارىء إلى أعمال هذا المؤلف فيما يتعلق باللائحة العيادية التي يقصدها بهذه التسمية(1). ولقد إهتم فرويد بالعياء في بدايات أعماله على وجه الخصوص، وهو ما أدى به إلى تحديد إطار الأعصبة الراهنة وتفريعه (أنظر هذا المصطلح)(2، 3). إلا أنه إستمر لاحقاً بالدفاع عن خصوصية هذا العصاب(4).

(1) Cf. BEARD (G.). *American nervousness, its causes and consequences*, New-York, 1881. *Sexual neurasthenia (nervous exhaustion), its hygiene, causes, symptoms, and treatment*, New-York, 1884.

(2) Cf. FREUD (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1895.

(3) Cf. FREUD (S.). *Die Sexualität in der Ätiologie der Neurosen*, 1898.

(4) Cf. notamment : FREUD (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17, chap. XXIV.

غريزة

Instinct

Eng.: Instinct

D.: Instinkt

■ أ ـ إنها تقليدياً، صميمة سلوكية موروثة، خاصة بنوع حيواني معين، لا تتباين إلا قليلاً من فرد إلى آخر (ضمن نفس النوع) وتجري تبعاً لمسار زمني يندر تعرضه للإنقلابات، وتبدو كأنها تجيب على غائية معينة.

ب ـ وهي أيضاً مصطلح يستخدمه بعض المؤلفين التحليليين النفسيين الفرنسيين كترجمة، أو معادل لمصطلح Trieb الفرويدي، الذي يحسن أن نعتمد له مصطلح النزوة من ضمن مصطلحات أكثر تماسكاً ■.

•

يختلف مفهوم الـ Trieb الفرويدي الذي يعني قوة دافعة غير محددة نسبياً من حيث نوع السلوك الذي تولده ومن حيث الموضوع الذي يؤمن لها الإشباع، بشكل بيّن عن نظريات الغريزة سواء في شكلها التقليدي، أم في التجديدات التي حملتها إليها الأبحاث المعاصرة (من مثل فكرة نمط السلوك، وأواليات الإطلاق الفطرية، والمثيرات ـ الإشارات النوعية، إلخ.). فلمصطلح الغريزة مضامين محددة بشكل بين وبعيدة كل البعد عن فكرة النزوة الفرويدية.

ومما تجدر ملاحظته على كل حال أن فرويد يستخدم مرات عديدة مصطلح الغريزة (Instinkt) بمعناه التقليدي (أنظر التعريف الوارد في الفقرة أ)، حيث يتحدث عن «غريزة الحيوانات»، وعن «التعرّف الغريزي على الأخطار» (1)، إلخ.

وأكثر من ذلك، فهو حين يتساءل «... عما إذا كان يوجد لدى الإنسان تكوينات نفسية وراثية، قريبة الشبه بغريزة الحيوانات» (2) فإنه لا يرى هذا المقابل في النزوة، بل في تلك «الصمائم الموروثة عند الجنس البشري» (3) والتي تشكل الهوامات الأصلية (المشهد الأولي، والخصاء على سبيل المثال) (أنظر: هوامات أصلية).

وهكذا نرى أن فرويد يستخدم مصطلحين متعارضين بشكل بيّن حتى ولو لم يعطِ دوراً صريحاً

لهذا التعارض في نظريته . ولم يستمر هذا التعارض دوماً في أدبيات التحليل النفسي ، بل هو على العكس من ذلك تماماً . فاختيار مصطلح الغريزة (Instinct) كمقابل فرنسي وإنجليزي لمصطلح (Trieb) لا يقتصر على مجرد كونه ترجمة غير دقيقة ؛ فهو يهدد بإثارة البلبلة ما بين نظرية النزوات الفرويدية والمفاهيم النفسانية حول الغريزة الحيوانية ، كما يغطي على أصالة المفهوم الفرويدي ، وخصوصاً على الأطروحة القائلة بالخصائص العائمة نسبياً للإندفاعة المحركة ، وعلى أفكار عرضية الموضوع ، وتقلّب الأهداف .

(1) Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 201 ; S.E., XX, 168 ; Fr., 97-8.
(2) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 294 ; S.E., XIV, 196 ; Fr., 144.
(3) Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W., XII, 156 ; S.E., XVII, 120-1 ; Fr., 419-20.

غلمة بولية

Érotisme urétral ou urinaire

Eng.: Urethral erotism

D.: Urethralerotik , Harnerotik

■ إنها نمط من الإشباع الليبيدي مرتبط بالتبوّل ■ .

إستخلص فرويد لذة الوظيفة البولية ودلالتها الغلمية منذ العام 1905 في «ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية» وبشكل أكثر قرباً إلى التجربة ، في حالة دورا . فمن ناحية يؤول البوال الطفلي كمعادل للإستمناء(1) . ومن ناحية ثانية سبقت الإشارة إلى ما يمكن أن يقوم من روابط ما بين التبول والنار ؛ وسيتعمق بحث هذه الروابط في « السيطرة على النار عام 1932 » .

وهناك إسهام ثالث قدمه فرويد ويتلخص بإقتراح علاقة ما بين بعض سمات الطبع والغلمة البولية . وهو يكتب في نهاية مقالته حول « الطبع والغلمة الشرجية عام 1908 » : « علينا أن نتساءل ، بشكل عام حول ما إذا كان بالإمكان أن تتوقف عقد طبع أخرى على إثارة مناطق معينة مولدة للغلمة . فأنا لا أعرف حتى الآن سوى الطموح المفرط و« الملتهب » الذي يبديه من كانوا بواليين فيما مضى »(2) . ويبين كارل إبراهام ، في نفس الإتجاه ، هوامات الجبروت الطفلية التي قد تصاحب فعل التبول : « . . . الإحساس بامتلاك قوة كبيرة ، تكاد تكون لا محدودة ، على خلق وتدمير أي موضوع كان »(3) .

ولقد أكدت ميلاني كلاين على أهمية الهوامات من هذا القبيل ، وخصوصاً هوامات العدوان والتدمير بواسطة البول ولقد أبرزت دور « . . . السادية البولية ، غير المعروف بما فيه الكفاية ، تبعاً لها ، في نمو الطفل » وهي تضيف : « لقد وضعتني تحاليل الكبار والصغار على حد سواء باستمرار أمام هوامات تخيّل البول كعامل يسبب التحلل والتفكك والتدمير ، وكذلك تخيله أيضاً كسم سري وغادر . تسهم هذه الهوامات ذات الطبيعة السادو بولية إسهاماً واسعاً في إعطاء دور قاسٍ

وبشكل لا واع للعضو الذكري ، كما تسهم في إضطرابات القوة الجنسية عند الرجل »(4) .

وتجدر الإشارة أيضاً، إلى أن كتّاباً عديدين (منهم فنيكل على سبيل المثال) قد بينوا أنماطاً متنوعة من اللذة المرتبطة بوظيفة التبول منها (« الإنسياق الفاتر وراء السيلان » ، أو « الإمساك » ، إلخ .) .

***

ومن الملفت للنظر أن فرويد يتحدث عن غلمة بولية، بينما يتحدث كتاب آخرون (أولهم سادجر عام 1910) عن غلمة خاصة بالمسالك البولية ، ولكن كل هؤلاء وحتى من يفردون دوراً هاماً للسادية البولية ، من أمثال ميلاني كلاين ، لا يأتون على ذكر مرحلة بولية .

وتجدر الملاحظة في هذا الصدد إلى أن فرويد يحدد الغلمة البولية أثناء « المرحلة الثانية للإستمناء الطفلي » على الأخص ، (حوالى سن الرابعة) . « اللوحة العارضية لهذه التجليات الجنسية فقيرة ، ذلك أن الجهاز الجنسي ما زال ضئيل النمو ، ولهذا يغلب أن يتحدث الجهاز البولي نيابة عنه . إن معظم الإصابات المزعومة للمثانة في هذا العمر هي إضطرابات جنسية ؛ إذ يوازي البوال الليلي [. . .] قذفاً منوياً »(5) . ويبدو أن هذه الفترة تتطابق مع ما أسماه فرويد فيما بعد بإسم المرحلة القضيبية . إن العلاقات ما بين الغلمة البولية ، والغلمة القضيبية هي من إذاً الوثوق بحيث لا يُتاح لنا أن نميز مرحلة بولية قائمة بذاتها .

لاحظ فرويد إختلاف العلاقة ما بين الوظيفتين عند كل من الطفل والراشد؛ إذ يعتقد الطفل أن « . . . الأطفال يأتون من تبول الرجل في جسد المرأة . بينما يعرف الراشد أن هذين الفعلين لا يمكن أن يلتقيا في الواقع ـ ويبلغ الإختلاف بينهما حد الإختلاف ما بين النار والماء »(6) .

(1) Cf. Freud (S.). *Bruchstuck einer Hysterie-Analyse*, 1905. G.W., V, 236-7 ; S.E., VII, 74 ; Fr., 54.

(2) Freud (S.). G.W., VIII, 209 ; S.E., IX, 175.

(3) Abraham (K.). Zur narzisstischen Bewertung der Exkretionsvorgänge in Traum und Neurose, 1920 ; Fr., II, 100.

(4) Klein (M.). *Frühstadien des Ödipuskonfliktes und der Über-Ich-Bildung*, 1932. In : *La psychanalyse des enfants*, P.U.F., Paris, 1959, 143.

(5) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 90 ; S.E., VII, 190 ; Fr., 86.

(6) Freud (S.). *Zur Gewinnung des Feuers*, 1932. G.W., XVI, 9 ; S.E., XXII, 192.

Auto-érotisme — غلمة ذاتية

Eng.: Auto-erotism

D.: Auto erotismus

■ أ ـ هي بالمعنى الواسع للكلمة ، صفة للسلوك الجنسي الذي يحصل فيه الشخص على الإشباع

من خلال الإستعانة الوحيدة بجسده الخاص، وبدون موضوع خارجي، نتحدث بهذا المعنى عن الإستمناء كسلوك غلمي ـ ذاتي .

ب ـ وأما بشكل أكثر تخصيصاً فهي صفة للسلوك الجنسي الطفلي المبكر الذي نجد فيه نزوة جزئية، مرتبطة بعمل أحد الأعضاء، أو بإثارة منطقة مولدة للغلمة، إشباعها موضعياً، أي :

1 ـ بدون الإستعانة بموضوع خارجي ؛

2 ـ وبدون الرجوع إلى صورة موحدة عن الجسد، أو الرجوع إلى أولى بشائر الأنا، كما تتميز به النرجسية ■ .

هافيلوك إلّيس هو الذي أدخل مصطلح الغلمة ـ الذاتية (1) بالمعنى الواسع للكلمة الذي يقرب من المعنى الذي عرضنا له في نقطة أ (أعلاه) : « أقصد بالغلمة ـ الذاتية ظاهرة الإنفعال الجنسي التلقائي الذي يحدث في غياب أي مثير خارجي سواء أكان مباشراً أم غير مباشر »(1a) .

إنما يجب الإشارة إلى أن هافيلوك ألّيس قد ميّز منذ البداية « شكلاً متطرفاً » من الغلمية الذاتية، هو النرجسية، أي « ذاك الميل الذي يبديه الإنفعال الجنسي أحياناً [. . .] إلى الإستغراق المتفاوت في تمامه في الإعجاب بالذات »(1b) .

يلجأ فرويد في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » إلى هذا المصطلح لكي يعرّف الجنسية الطفلية أساساً . فهو يجد المعنى الذي ذهب إليه هـ. ألّيس فضفاضاً، وبالتالي فهو يعرّف الغلمة ـ الذاتية إنطلاقاً من علاقة النزوة بموضوعها : « إذ لا تتوجه النزوة إلى أشخاص آخرين ؛ بل تحصل على الإشباع من خلال الجسد الخاص »(2b) . ويمكن فهم هذا التعريف من خلال التمييز الذي أقامه فرويد ما بين مختلف عناصر النزوة : الإندفاعة، المصدر، الهدف، والموضوع . وفي الغلمة ـ الذاتية « . . . يزول موضوع (النزوة) لصالح العضو الذي يشكل مصدر هذه النزوة، ويتطابق الموضوع هنا، كقاعدة عامة، مع هذا العضو »(3a) .

أولاً :ـ ترتبط نظرية الغلمة الذاتية بالأطروحة الأساسية الواردة في « ثلاث مقالات » والتي تقول : بعدم ثبات موضوع النزوة الجنسية . فتبيان إمكانية الحصول على الإشباع، في بداية الحياة الجنسية، دون اللجوء إلى موضوع (لهذا الإشباع)، هو دليل على أنه لا يوجد هناك أي مسلك معد سلفاً يؤدي بالشخص نحو موضوع جنسي محدد .

لا تتضمن هذه النظرية تأكيد وجود حالة بدائية « بدون موضوع ». فالإمتصاص الذي يتخذ منه فرويد نموذجاً للغلمة الذاتية هو في الواقع تالٍ لمرحلة أولى تُشبع خلالها النزوة الجنسية بالإستناد على نزوة حفظ الذات (الجوع) وبفضل موضوع محدد : هو ثدي الأم(2c) . تفقد النزوة الجنسية موضوعها، بإنفصالها عن الجوع، وتصبح غلمية ـ ذاتية منذ تلك اللحظة .

وإذا كان بالإمكان القول بأن الغلمة ـ الذاتية هي بلا موضوع، فليس ذلك مطلقاً لأنها تظهر قبل أي علاقة موضوع، ولا حتى لأن قدومها يلغي الموضوع في البحث عن الإشباع، وإنما فقط لأن النموذج الطبيعي لبلوغ الموضوع يتعرض للإنشطار : إذ تنفصل النزوة الجنسية عن الوظائف غير الجنسية (من مثل الغذاء) التي كانت تستند إليها، والتي كانت تحدد لها هدفها وموضوعها .

وهكذا يتلخص « أصل » الغلمة الذاتية، في تلك البرهة المتجددة دوماً، والتي تنفصل فيها الجنسية عن موضوعها الطبيعي ، كي تغرق في الهوام وتتولّد بذلك كجنسية ، أكثر من كونها قابلة للتموضع في زمن محدد من تطور (الإنسان) .

ثانياً :ومن ناحية أخرى ،تتضمن فكرة الغلمة الذاتية منذ أول استخدام لها من قبل فرويد إطاراً مرجعياً آخر غير علاقة الموضوع : أي الرجوع إلى حالة من المتعضي تُشبع فيها النزوات كل لحسابها الخاص وبدون قيام أي تنظيم إجمالي يضمها . ولقد عُرفت الغلمة الذاتية دوماً منذ « ثلاث مقالات » على أنها نشاط مختلف « المكونات الجزئية » ؛ وبالتالي لا بد من تصورها كإثارة جنسية تُولد وتُشبع موضعياً على مستوى كل من المناطق المولدة للغلمة معزولة عما عداها (لذة الأعضاء) . ومما لا شك فيه أن النشاط الغلمي ـ الذاتي يحتاج على الأغلب إلى ملامسة المنطقة المولدة للغلمة مع جزء آخر من الجسد (من مثل مص الإصبع ، والإستمناء ، إلخ) . إنما يظل نموذجها المثالي هو الشفاه التي تمتص ذاتها(2d) .

ولقد ساعد إدخال فكرة النرجسية على توضيح فكرة الغلمة الذاتية بشكل بعدي: فبينما يكون الأنا باعتباره الصورة الموحدة للجسد في النرجسية ، هو موضوع الليبيدو النرجسي ، تعرّف الغلمة الذاتية على العكس من ذلك باعتبارها المرحلة الفوضوية السابقة على تلاقي النزوات الجزئية عند موضوع مشترك : « من الضروري الإقرار بأنه لا توجد عند الفرد وحدة مشابهة للأنا منذ البداية ، إذ يتعين على الأنا أن يخضع للنمو . إنما النزوات الغلمية الذاتية موجودة منذ البدء ؛ ولا بد إذاً من أن يضاف شيء ما ، أو فعل نفسي معين ، إلى الغلمة الذاتية كي يؤدي إلى النرجسية »(4) .

يتمسك فرويد، في العديد من النصوص، صراحة بالفكرة القائلة: خلال العبور من الغلمة الذاتية إلى النرجسية ، « . . . تتجمع النزوات الجنسية التي كانت معزولة حتى تلك اللحظة ، في وحدة واحدة وتجد لها في نفس الوقت موضوعاً » ؛ هذا الموضوع هو الأنا (5a) . ولكن هذا التمييز يتلاشى فيما بعد ، خصوصاً في بعض النصوص التي يعترف فيها فرويد بوجود حالة من « النرجسية الأولية » منذ البدء ، وحتى منذ الحياة الرحمية. وهكذا لم تعد الغلمة الذاتية تعرّف إلا « . . . كنشاط جنسي خاص بالمرحلة النرجسية من التنظيم الليبيدي » (6- 3b) .

وفي الختام، نرى أنه بالإمكان تقديم تعريف يتمتع ببعض التماسك للفكرة التي يحاول مصطلح الغلمة الذاتية أن يتضمنها إنطلاقاً من الفكرة التي تذهب إلى أن هناك حالة أصلية من تفتت النزوة الجنسية . وفيما يختص بالعلاقة مع الموضوع ، يتضمن ، تفتت كهذا بالطبع ، غياب الموضوع الكلي (الأنا ، أو شخص غريب) ولكنه لا يتضمن مطلقاً غياب موضوع جزئي هوامي .

فهل الغلمة الذاتية هي فكرة تكوينية، وهل بالإمكان الحديث عن مرحلة ليبيدية غلمية ذاتية ؟

تقلب رأي فرويد بهذا الصدد: فهو يجنح في العام 1905 إلى إدراج مجمل الجنسية الطفلية في خانة الغلمة الذاتية ، كي يقابلها بذلك بالنشاط الراشد الذي يتضمن إختياراً للموضوع . ولكنه يلطّف هذا الإقتراح فيما بعد مشيراً إلى ما يلي : « [. . .] لقد توصلت إلى التنبه إلى عيب فيما عرضته سابقاً. حيث وصفت إنطلاقاً من إهتمامي بالوضوح ، التمييز المفهومي ما بين مرحلتي الغلمة الذاتية وحب الموضوع باعتبارهما مرحلتين منفصلتين زمنياً »(2e) .

ومن الأكيد أن فرويد لم يترك فكرة الإنتقال التكويني من الغلمة الذاتية إلى محبة الموضوع ، وهو حين يقدم النرجسية في خطوة لاحقة ، فإنه يدرجها في هذا التسلسل الزمني(5b) . إلا أنه لا يجب أخذ هذا التسلسل بشكل صارم ، وخصوصاً أنه يرافقه تمييز آخر إنبنائي : فالغلمة الذاتية لا تشكل ذروة نشاط نزوي محدد (فمي ، شرجي إلخ . .) ، بل هي تتواجد في آن معاً في كل من هذه النشاطات ، كمرحلة مبكرة ، ثم كأحد مكونات ذلك النشاط في التطور اللاحق : أي لذة العضو . .

لقد دفع كارل أبراهام بالنزعة إلى اعتبار الغلمة الذاتية كمرحلة محددة بوضوح زمنياً إلى حده الأقصى ، إذ جعل مرحلة الغلمة الذاتية تتطابق مع واحدة من مراحل تنظيم الليبيدو وهي : مرحلة الإمتصاص الفمية المبكرة .

(أ) استخدمت كلمة غلمة ذاتية من قبل هافيلوك ألّيس لأول مرة في مقالة منشورة عام1898 بعنوان : الغلمة الذاتية ، دراسة نفسانية . وإستخدمها فرويد لأول مرة في رسالته إلى فلايس بتاريخ 9-12-1899 .

(1) Ellis (H.). *Studies in the Psychology of Sex*, 1899. Trad. fr. *Mercure de France*, Paris, 5e éd., 1916. — *a)* Fr., 227. — *b)* Fr., 281.

(2) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., V, 82, n. 1 ; S.E., VII, 181, n. 2 ; Fr., 179, n. 49 incomplète. N.B. : Les éditions allemandes antérieures à 1920 comportent un commentaire qui ne figure plus dans les éditions postérieures et dont voici la traduction : « Havelock Ellis a cependant compromis le sens du terme qu'il a inventé en y incluant l'hystérie et toutes les manifestations masturbatoires. » — *b)* G.W., V, 81-2 ; S.E., VII, 181 ; Fr., 74. — *c)* Cf. G.W., 82-3, 98-9, 123 ; S.E., 181-3, 198, 222 , Fr., 74-6, 95-6, 132. — *d)* Cf. G.W., V, 83 ; S.E., VII, 182 ; Fr., 76. — *e)* G.W., V, 94, note de 1910 ; S.E., VII, 194 ; Fr., n. 58, 181.

(3) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 225 ; S.E., XIV, 132 ; Fr., 53. — *b)* G.W., X, 227 ; S.E., XIV, 134 ; Fr., 57.

(4) Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 142 ; S.E., XIV, 76-7

(5) Freud (S.). *Totem und Tabu*, 1912. — *a)* G.W., IX, 109 ; S.E., XIII, 88 ; Fr., 125. — *b)* G.W., IX, 109 ; S.E., XIII, 88 ; Fr., 125.

(6) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 431 ; S.E., XVI, 416 ; Fr., 445.

غلمة غيرية

Allo-Erotisme
Eng.: Allo-erotism
D.: Allo erotismus

■ يستخدم هذا المصطلح أحياناً ، في مقابل الغلمة الذاتية ويعني : النشاط الجنسي الذي يجد إشباعه بفضل موضوع خارجي ■ .

حين إستعمل فرويد لأول مرة في العام1889 ، مصطلح الغلمة ـ الذاتية (أنظر هذا المصطلح) فإنه قرنه مع مصطلح الغلمة ـ الغيرية ، التي تقسم بدورها إلى غلمة ـ مثلية (أي تحقق الإشباع من خلال موضوع من نفس الجنس : الجنسية المثلية) Homo-erotisme وغلمة

غـيرية Hétéro-erotisme (أي تحقـق الإشبـاع من خلال موضـوع من الجنس الآخـر : جنسية غيرية)(1) . وكان جونز هو الذي رجع خصوصاً إلى هذا المصطلح قليل الاستعمال .

(1) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 324; Angl., 303; Fr., 270.

غواية (مشهد الغواية ، نظرية الغواية) Séduction (Scène de —, Théorie de la —)

Eng.: Scene, theory of seduction

D.: Verführung (verführungsszene, verführungstheorie)

■ 1 ـ هو مشهد حقيقي أو هوامي يتعرض فيه الشخص (الطفل عموماً) وبشكل فاتر إلى عروض أو محاولات جنسية يقوم بها تجاهه شخص آخر (غالباً ما يكون راشداً) .

2 ـ صاغ فرويد ما بين الأعوام 1895 و1897 هذه النظرية القائلة بأن ذكرى مشاهد الغواية الفعلية (في الطفولة) تلعب دوراً حاسماً في سببية حالات النفاس . إلا أنه تخلى عنها فيما بعد ■ .

الغواية هي اكتشاف عيادي ، قبل أن تكون نظرية فكّر فيها فرويد ، خلال المرحلة التأسيسية للتحليل النفسي ، لتبيان مسألة قمع الحياة الجنسية ؛ إذ يتوصل المرضى خلال العلاج إلى إستذكار تجارب غواية جنسية : ويتعلق الأمر في هذه الحالة بمشاهد معاشة يلعب فيها الآخر (الراشد عموماً) دور المبادر ، وقد تتفاوت من مجرد عروض بالكلام أو الحركات إلى حد محاولة الإعتداء الجنسي المتفاوت في صراحته ، والذي يتلقاه الشخص بشكل مستسلم في حالة من الذعر .

إبتدأ فرويد ، منذ العام 1893 بالإشارة إلى الغواية الجنسية ، وأعطاه ما بين الأعوام 1895 و1897 دوراً نظرياً رئيسياً في نفس الوقت الذي وجد فيه أن عليه رد مشاهد الغواية الصدمية إلى مراحل أكثر فأكثر تبكيراً في الطفولة .

لايقتصر الحديث عن « نظرية » في الغواية على مجرد الإعتراف بوظيفة سببية هامة للمشاهد الجنسية بالمقارنة بالصدمات الأخرى ؛ إذ تصبح هذه الصدارة ، في الواقع ، بالنسبة لفرويد ، المبدأ الذي تقوم عليه المحاولة المتقدمة لشرح أصل أوالية الكبت .

تفترض هذه النظرية بشكل تبسيطي ، أن الصدمة تحدث على مرحلتين يفصل بينهما البلوغ . المرحلة الأولى هي مرحلة الغواية الفعلية ، وتتميز تبعاً لفرويد باعتبارها حدثاً جنسياً « أو ما قبل جنسي على الأصح » ، يأتي هذا الحدث الجنسي من الخارج منصباً على شخص لازال عاجزاً عن الإنفعال الجنسي (نظراً لغياب الشروط الجسدية للإثارة ، واستحالة مكاملة هذه التجربة) . ولا يتعرض المشهد للكبت ساعة حدوثه . ولابد من إنتظار المرحلة الثانية ، حتى يثير حادث جديد ، لا يتضمن بالضرورة دلالة جنسية ، ذكرى الحادث الأول من خلال بعض السمات الترابطية بينهما :

« يشير فرويد ، إلى أننا هنا إزاء الفرصة الفريدة لرؤية إحدى الذكريات وقد أحدثت أثراً أكبر بما لا يقاس من الحادث نفسه »(1a) . ويعود سبب كبت هذه الذكرى إلى فيض الإثارة الداخلية التي تطلقها .

ولايعني القول بأن مشهد الغواية يعاش بشكل فاتر ، أن سلوك الشخص يكون فاتراً في ذلك المشهد فقط ، إنما يعني أيضاً أنه يتلقاه دون أن يثير المشهد إجابة لديه ، أو دون أن يثير أصداءً لتصورات جنسية من أي نوع كان : إذ تتلازم حالة الفتور مع حالة من عدم الإستعداد ، بحيث تؤدي الغواية إلى « ذعر جنسي » .

يعطي فرويد أهمية كبرى للغواية في تفسير نشأة الكبت ، حتى أنه يحاول بإنتظام العثور على مشاهد غواية فاترة في كل من العصاب المجاسي ، والهستيريا حيث اكتشفها (أي مشاهد الغواية) بادىء ذي بدء . « لقد عثرت في كل حالات العصاب الهجاسي التي تعاملت معها ، تجربة « فاترة خالصة » ، في سن جد مبكر ، أي خلال السنوات التي تسبق تجربة اللذة ، مما لايمكن أن يكون محض صدفة »(1b) . وإذا كان فرويد يفرّق العصاب الهجاسي عن الهستيريا ، على أساس أن الأول يقوم على تجارب جنسية مبكرة تُعاش بنشاط مع إحساس باللذة ، إلاأنه يبحث وراء هذه التجارب عن مشاهد غواية فاترة كتلك التي نقع عليها في الهستيريا .

ومن المعلوم أن فرويد ينتهي بالتشكيك بحقيقة مشاهد الغواية وإلى التخلي عن النظرية الخاصة بها . توضح رسالته إلى فلايس بتاريخ27-9-1897 أسباب هذا التخلي . إذ يقول : « يتعين عليّ أن أبوح لك رأساً بالسر الكبير الذي إتضح ببطءٍ خلال هذه الشهور الأخيرة . فأنا لم أعد أومن بتفسيري الشامل للعصاب «Neurotica» (1c) . إذ يكتشف فرويد أن مشاهد الغواية ليست أحياناً سوى بنيانات هوامية معادة ؛ ويتلازم هذا الإكتشاف مع الإكتمال التدريجي لفهم الجنسية الطفلية .

●●●

من التقليدي إعتباران تخلي فرويد عن نظرية الغواية (1897) يشكل خطوة حاسمة نحو ترسخ النظرية التحليلية النفسية واحلال أفكار الهوام ، واللاوعي ، والواقع النفسي ، والجنسية الطفلية التلقائية إلخ . . . في مكان الصدارة . ولقد أكّد فرويد نفسه في مناسبات عدة.، أهمية هذه الفترة في تاريخ فكره : « إذا كان صحيحاً أن الهستيريين يردون أعراضهم إلى صدمات وهمية ، فإن الواقعة الجديدة في هذا الأمر هي أنهم يخترعون هوامياً مثل هذه المشاهد ؛ ولذلك يتعين أن نأخذ بعين الإعتبار واقعاً نفسياً إضافة إلى الواقع العملي . وما لبث أن تم إكتشاف كون هذه الهوامات تخفي وراءها النشاط الغلمي ـ الذاتي في السنوات الأولى من الطفولة ، وتعمل على تجميلها وإعلاء مكانتها . وهكذا برزت خلف هذه الهوامات حياة الطفل الجنسية في كامل مداها »(2) .

على أنه لابد من تلطيف هذه النظرة الإجمالية :

أولًا : لم يتوقف فرويد حتى نهاية حياته عن تأييد وجود وتكرار مشاهد الغواية التي يعيشها الأطفال فعلاً ، وقيمتها المولدة للمرض(3, 4) .

أما بصدد الوضعية الزمنية لمشاهد الغواية ، فلقد قدم توضيحين لايتناقضان فيا بينهما إلا ظاهرياً :

أ ـ تحدث الغواية غالباً في مرحلة متأخرة من الطفولة نسبياً ، ويكون الطرف الغاوي عندها طفلاً من نفس العمر أو أكبر قليلاً . ومن ثم تُرد الغواية فيا بعد ، من خلال هوام ذي مفعول رجعي ، إلى مرحلة أكثر تبكيراً ، وتلصق بشخص والدي(5a) ؛

ب ـ يتيح لنا وصف الرباط ما قبل الأوديبي مع الأم ، خصوصاً في حالة البنت الصغيرة ، أن نتحدث عن غواية جنسية واقعية من قبل الأم ، تأخذ شكل العناية الجسدية بالرضيع ، وتشكل هذه الغواية الواقعية ، النموذج الأولي للهوامات التالية : « يستعيد الهوام هنا أرض الواقع ، لأن الأم هي واقعياً ذلك الشخص الذي أثار بالضرورة ، من خلال العناية الجسدية بالطفل الأحاسيس الأولى للذة ، في أعضائه التناسلية ، وأكثر من ذلك قد تكون أيقظت هذه الأحاسيس »(6) .

ثانياً : هل يمكننا القول ، على المستوى النظري ، أن فرويد قد تخلى بكل بساطة عن الصيغة التفسيرية التي قال بها ، كما استخلصناها أعلاه ؟ يبدو أن عناصر عديدة أساسية من هذه الصيغة قد تم نقلها إلى الإرصانات اللاحقة لنظرية التحليل النفسي :

أ ـ منها أنه لايمكن فهم فكرة الكبت ، إلا باللجوء إلى عدة مراحل تأخذ فيها المرحلة الأولى معناها الصدمي من خلال التدخل البعدي للمرحلة الثانية . يتخذ هذا المفهوم مثلاً كل أبعاده في المقالة بعنوان « مقتطفات من تاريخ عصاب طفلي عام1918 » ؛

ب ـ ومنها أيضاً الفكرة القائلة ، بأن الأنا يتلقى في المرحلة الثانية ، عدواناً على شكل فيض من الإثارة الداخلية ؛ فتبعاً لنظرية الغواية ، إن ما يولـد الصدمة هو الذكرى وليس الحدث بحد ذاته . وبهذا المعنى تتخذ الذكرى في هذه النظرية قيمة « الواقع النفسي » ، قيمة « الجسم الغريب » وهي القيمة التي تعطى فيا بعد للهوام ؛

جـ ـ ثم هناك الفكرة المعاكسة التي تذهب إلى أن هذا الواقع النفسي الذيتكتسبه الذكرى ، أو الهوام لابد له أن يجد أساسه النهائي في « أرض الواقع » . إذ يبدو أن فرويد لن يجزم أمره أبداً كي يقرر أن الهوام هو مجرد تعبير عن إزدهار الحياة الجنسية العفوية عند الطفل . فهو يدأب عن البحث فيا وراء الهوام ، عما يمكن أن يسنده في الواقع : ويعدد بين عناصر الإسناد هذه مؤشرات إدراك المشهد الأصلي (رجل الذئاب) ، غواية الأم للرضيع (أنظر أعلاه رقم أولاً ، ب) ، ويشكل أكثر جذرية أيضاً تلك الفكرة التي تذهب إلى أن الهوامات تستند في نهاية المطاف على « هوامات أصلية » تشكل آثاراً ذاكرية لتجارب معاشة في تاريخ النوع البشري وتنتقل بالوراثة : « . . . كل ما يروى لنا حالياً في التحليل على شكل هوامات [. . .] كان حقيقة واقعة في العهود الأولية للأسرة الإنسانية . . »(5b) . وهكذا تبدو لنا الصيغة الأولى التي قدمها فرويد عن نظريته في الغواية نموذجية في التعبير عن هذا البعد من فكره : إذ لا بد أن تستند المرحلة الأولى ، أي مرحلة مشهد الغواية ، بالضرورة ، على شيء أكثر واقعية من مجرد تخيلات الشخص ؛

د ـ وأخيراً ، إعتراف فرويد في مرحلة متأخرة أنه « . . . صادف عقدة أوديب لأول مرة »(7) من خلال هوامات الغواية . إذ ، ليس هناك في الواقع ما بين غواية البنت الصغيرة من قبل

الأب ، وحب هذه البنت لأبيها أوديبياً ، سوى خطوة واحدة يتعين اجتيازها.

ولكن المسألة تتلخص أساساً في معرفة ما إذا كان علينا اعتبار هوام الغواية كمجرد تحوير دفاعي وإسقاطي صادر عن المركب الإيجابي في عقدة أوديب ، أم أن علينا أن نرى فيه تعبيراً عن مُعطى أساسي : وهو أن الحياة الجنسية للطفل تتبنى كلها إنطلاقاً من شيء كأنه صادر عن الخارج : أي العلاقة بين الوالدين ، ورغبة الوالدين السابقة على وجود رغبة الشخص ، والتي تشكلها نتيجة لذلك . وبهذا المعنى تصبح كل من الغواية المعاشة حقيقة ، وهوام الغواية مجرد تجسيد لهذا المعطى الأساسي .

في نفس هذا الخط الفكري ، توصل فرنزي الذي تبنى لحسابه الخاص نظرية الغواية عام 1932 (8) ، إلى عرض كيفية إقتحام حياة الراشد الجنسية (« أي لغة الهوى ») ، لعالم الطفل (« أي لغة الرقة ») فعلياً .

تكمن خطورة هكذا إحياء لنظرية الغواية، في العودة إلى فكرة البراءة الجنسية للطفل السابقة على ظهور التحليل النفسي ، تلك البراءة التي تفسدها حياة الراشد الجنسية . وما يرفضه فرويد ، هو إدعاء إمكانية الحديث عن عالم للطفل قائم بذاته قبل حدوث هذا الإقتحام أو ذاك الإفساد . ويبدو أنه لهذا السبب بالذات أدرج في نهاية المطاف الغواية ، بين « الهوامات الأولية » التي يرد أصولها إلى فترة ما قبل التاريخ الإنساني . وهكذا فليست الغواية واقعة فعلية أساساً قابلة لأن تتموضع في تاريخ الشخص ، بل هي واحدة من المعطيات الإنبنائية التي لا يمكن انتقالها تاريخياً إلا على شكل أسطورة .

(1) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 157 ; Angl., 147 ; Fr., 130. — *b)* All., 160 ; Angl., 149 ; Fr., 132. — *c)* All., 229 ; Angl., 215 ; Fr., 190.

(2) Freud (S.). *Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung*, 1914. G.W., X, 56 ; S.E., XIV, 17-8 ; Fr., 275.

(3) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 91-2 ; S.E., VII, 191 ; Fr., 86-7.

(4) Cf. Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 113-4 ; S.E., XXIII, 187 ; Fr., 57.

(5) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1915-17 — *a)* Cf. G.W., XI, 385 ; S.E., XVI, 370 ; Fr., 398. — *b)* G.W., XI, 386 ; S.E., XVI, 371 ; Fr., 399.

(6) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, 129 ; S.E., XXII, 120 ; Fr., 165.

(7) Freud (S.). *Selbstdarstellung*, 1925. G.W., XIV, 60 ; S.E., XX, 34 ; Fr., 52.

(8) Cf. Ferenczi (S.). *Sprachverwirrung zwischen den Erwachsenen und dem Kind*, 1932-33. Fr. in : *La Psychanalyse*, Paris, P.U.F., 1961, VI, 241-53. *Passim*.

ف

فُصال — Hospitalisme

Eng. : Hospitalism

D. : Hospitalismus

■ يُستخدم هذا المصطلح ، منذ أعمال رنيه شبيتز ، للدلالة على مجمل الإضطرابات الجسدية والنفسية التي تظهر عند الأطفال (خلال الشهور الثمانية عشر الأولى من الحياة) من جراء إقامة طويلة في مؤسسة إستشفائية يحرمون خلالها كلياً من أمهاتهم ■ .

نُحيل القارىء الى الاعمال المتخصصة حول هذه المسألة(1) ، وتحديداً أعمال شبيتز التي تشكل مرجعاً في الموضوع (2) . تستند هذه الأعمال إلى ملاحظات عديدة ومتعمقة وإلى مقارنات بين فئات مختلفة من الأطفال (الذين ينشأون في الميتم ، أو في دور الحضانة مع حضور جزئي للأم ، أو مع أمهاتهم ، إلخ .) .

حين ينشأ الأطفال في غياب كامل للأم ضمن مؤسسة تؤمن لهم العناية بشكل مُغفل، وبدون إمكانية إقامة رباط عاطفي تُلاحظ الإضطرابات الخطيرة التي جمعها شبيتز تحت إسم الفُصال أي : تأخر النمو الجسدي ، وضبط التعامل مع الأشياء ، والتكيف للمحيط ، وتأخر اللغة ؛ إضافة إلى تدني المقاومة للإصابات ؛ وفي الحالات الأكثر خطورة يظهر الهزال وصولاً إلى الموت .

تكون لأثار الفُصال نتائج مستديمة، ولا رجعة فيها . ولقد حاول شبيتز ، بعد أن وصف الفُصال ، أن يحدد موقعه ضمن مجمل الإضطرابات الناتجة عن إختلال علاقة الأم والطفل ؛ فهو يحدده على شكل شحاح عاطفي « كلي » ، مفرقاً له عن الخور الإتكالي ؛ إذ أن هذه الإصابة الأخيرةتتلو حالة من الحرمان العاطفي « الجزئي » الذي يعاني منه طفلٌ كان ينعم حتى تلك اللحظة بعلاقة عادية مع أمه ، وقد يتوقف هذا الخور الإتكالي حين يستعيد الطفل علاقته تلك مع أمه(3) .

(1) Cf. la bibliographie de l'article de Spitz, *Hospitalism.*

(2) Cf. Spitz (R. A.). *Hospitalism*, 1945. Trad. fr. in *R.F.P.*, XIII, 1949, pp. 397-425.

(3) Cf. Spitz (R. A.). *La première année de la vie de l'enfant*, P.U.F., Paris, 1953.

فصام Schizophrénie

Eng.: Schizophrenia

D.: Schizophrenie

■ وضع بلولر هذا المصطلح عام1911 للدلالة على مجموعة من الأذهنة التي سبق لكرايبلن أن بيّـن وحدتها من خلال تصنيفها تحت باب « العته المبكر » ، ومميزاً ضمنه الأشكال الثلاثة التي أصبحت تقليدية وهي : فصام الشباب ، الجمدة ، والفصام العظامي .

يرمي بلويلر من وراء تقديم مصطلح الفصام (المكون من كلمتين يونانيتين: Schizo وتعني الإنشطار ،الإنقسام ، و Phrenie وتعني الفكر) إلى إبراز ما يمثل في نظره العارض الأساسي لهذه الأذهنة : أي الإنفصام أو (« التفكك ») . ولقد فرض هذا المصطلح نفسه في كل من الطب العقلي والتحليل النفسي ، رغم كل الإختلافات بين المؤلفين حول ما يشكل خصوصية الفصام ، وكذلك حول مدى هذا الإطار التصنيفي .

يتنوع الفصام ، عيادياً ، إلى أشكال جد متفاوتة ظاهرياً ، إنما يستخلص منها عادة الخصائص التالية : تفكك الفكر ، والنحل ، والعاطفة (ويشار إلى هذا التفكك بالمصطلحات التقليدية التالية : التنافر ، فقدان الترابط ، التحلل) ، اللامبالاة تجاه الواقع والإنكفاء على الذات مع طغيان حياة داخلية غارقة في النشاط الهوامي (وهو ما يطلق عليه إسم فصمة) ، نشاط هذياني متفاوت في شدته ، وسيء التنظيم عادة . وأخيراً ، فإن الطابع المزمن للمرض الذي يتطور حسب وتائر متفاوتة في سرعتها وتنوعها باتجاه « تدهور » عقلي وعاطفي ، منتهياً غالباً إلى حالة ذات منحى عتهي ، هو الذي يشكل السمة الغالبة لهذا المرض التي لا يمكن بدونها ، في تقدير معظم الأطباء العقليين ، إطلاق تشخيص الفصام ■ .

أدى توسيع كرايبلن لمصطلح « العته المبكر » كي يشمل مجموعة عريضة من الإضطرابات التي أثبت تقاربها ، إلى مأزق عدم التلازم ما بين هذا المصطلح واللوائح العيادية موضوع الدرس ، إذ لا تنطبق عليها في مجملها لا كلمة عته ، ولا نعت مبكر . ولهذا السبب إقترح بلويلر مصطلحاً جديداً ؛ وإذا كان إختياره قد وقع على مصطلح الفصام ، فذلك لإهتمامه بأن تكون هذه التسمية معبرة عما يتجاوز « الأعراض الثانوية » من مثل « الهلاوس » التي قد تصادف في إصابات أخرى ، وصولاً إلى ما يشكل في نظره العارض الأساسي للإصابة وهو الإنفصام : « أُطلق إسم الفصام على العته المبكر [. . .] لأن إنفصام مختلف الوظائف النفسية يشكل إحدى خصائصه الأكثر أهمية »(1a) .

ومع تأكيد بلويلر على تأثير إكتشافات فرويد على فكره ، إذ شارك بصفته أستاذ الطب العقلي في زيوريخ في الأبحاث التي قام بها يونغ (أنظر : ترابط ، تداعي) فإنه يستخدم مصطلح الإنفصام بمفهوم مختلف تماماً عن المفهوم الذي يعطيه إياه فرويد (أنظر : إنشطار الأنا) .

فماذا يقصد بذلك ؟ إذا كانت آثار الإنفصام ملحوظة في مختلف مجالات الحياة النفسية (الفكر ،

العاطفة ، والفعل) فإنه أولاً وقبل كل شيء إضطراب في الترابطات التي تحكم مجرى التفكير . من المستحسن أن نميز في الفصام ما بين الأعراض « الأولية » التي تمثل تعبيراً مباشراً للعملية المرضية (والتي يعتبرها بلويلر ذات منشأ عضوي) ، والأعراض « الثانوية » التي ليست سوى « . . . رد فعل الروح المريضة » على العملية المولدة للمرض (1b) .

يمكن تعريف الإضطراب الأولي للفكر باعتباره تراخ في الترابطات : « . . . تفقد الترابطات تماسكها . فمن بين آلاف الخيوط التي توجه أفكارنا ، يخبط المرض خبط عشواء قاطعاً هنا وهناك هذه الخيوط أو تلك ، وقد يقطع بعضها أحياناً أو قسماً كبيراً منها أحياناً أخرى . ولذلك فإن نتاج التفكير يأتي نشازاً ،وهو غالباً ما يكون مغلوطاً من الناحية المنطقية »(1c) .

وهناك إضطرابات ثانوية في التفكير ، تترجم أسلوب تجمع الأفكار، في غياب « التصورات ـ الأهداف » (وهو مصطلح يعني به بلويلر التصورات ـ الأهداف الواعية أو ما قبل الواعية دون سواها) (أنظر : تصور ـ هدف) ، تحت عنوان العقد العاطفية : « وحيث أن كل ما يتعارض مع العاطفة يقمع بشكل غير عادي ، وكل ما يتمشى مع العاطفة يصادف بدوره محاباة غير عادية ، تكون النتيجة أن الشخص لا يعود بمقدوره أن يفكر فيما يتعارض مع فكرة مشبعة بالعاطفة : وهكذا فالفصامي في طموحاته لا يحلم إلا برغباته ؛ وأما ما يمكنه منع تحقيقها فلا وجود له بالنسبة إليه . وهكذا فمركبات الأفكار التي ترتبط فيما بينها بعاطفة شائعة وليس برباط منطقي لا تميل إلى التشكل فقط بل هي تتعزز أيضاً . ولأن مسالك الترابط التي تصل ما بين هذه العقدة والأفكار الأخرى لم تعد مستعملة ، فإنها تفقد حيويتها وقدرتها على إقامة الترابطات الملائمة ؛ وتكون النتيجة إنفصال العقدة الفكرية المشبعة بالعاطفة أكثر فأكثر ، وصولاً إلى « إستقلالية متزايدة على الدوام » (إنفصام الوظائف النفسية) »(1d) .

وبهذا المعنى، يقوم بلويلر بتقريب الإنفصام الفصامي، من الخاصية التي جعلها فرويد مميزة للاوعي ، حيث تتواجد جنباً إلى جنب تجمعات من التصورات المستقلة عن بعضها البعض «(1e) ، إنما الإنفصام بالنسبة لبلويلر ، بإعتباره ، يتضمن تعزيز التجمعات الترابطية ، يكون تالياً للعجز الأولي الذي يشكل إنحلالاً حقيقياً للعملية العقلية . وهكذا يميز بلويلر بين مرحلتين من الإنفصام : الإنفصام الأولي (هو عبارة عن تحلل ، أو إنفجار حقيقي) ، والإنفصام بمعنى الكلمة (أي إنشطار التفكير في تجمعات متباينة) : « الإنفصام هو الشرط المسبق لمعظم التجليات الأكثر تعقيداً للمرض ؛ فهو يدمغ بطابعه الخاص كل لائحة الأعراض . ولكن وراء هذا الإنفصام المستمر والمتظم إلى مركبات فكرية محددة ، وجدنا لاحقاً تراخياً في نسيج الترابطات بمقدوره أن يودي إلى تفكك أولي عشوائي يصيب حتى تلك التكوينات الذهنية التي تعادل في متانتها المفاهيم المحسوسة . ولقد عنيت بمصطلح الفصام هذين النوعين من الإنفصام كليهما اللذين تندمج آثارهما غالباً مع بعضهما البعض (1f) .

والواقع أن أصداء معنى مصطلح التفكك الفرنسي المستخدم لترجمة الإنفصام الفصامي هي أقرب للدلالة على الإنفصام الأولي الذي يصفه بلويلر .

* * *

أثار فرويد تحفظات حول مصطلح الفصام بحد ذاته ؛ « . . . إنه يطلق حكماً مسبقاً على طبيعة

الإصابة بإستخدام إحدى خصائصها النظرية المفترضة للدلالة عليها ، وخصوصاً أن هذه الخاصية لا تمتّ إلى هذه الإصابة وحدها ، كما أنه لا يمكن إعتبارها ، على ضوء بعض الإعتبارات الأخرى ، الخاصية الأساسية للفصام »(2a) . وإذا كان فرويد قد تحدث عن الفصام ، في نفس الوقت الذي إستمر فيه بإستخدام مصطلح العته المبكر أيضاً ، إلا أنه إقترح مصطلح الفصام الهذياني الذي يتمشى بسهولة أكبر مع مصطلح العظام ، مسجلاً بذلك وحدة مجال الأذهنة وإنقسامها إلى طائفتين أساسيتين في آن معاً .

يقرّ فرويد، في الواقع، بأن هذين الذهانين الكبيرين قادرين على الإمتزاج بصور متعددة (كما تبينه حالة شرايبر) ، وبأن المريض قد ينتقل من أحدهما إلى الآخر ؛ إلا أنه من الناحية الأخرى يتمسك بخصوصية الفصام بالنسبة للعظام ، محاولاً تحديد هذه الخصوصية على مستوى العمليات وعلى مستوى التثبيتات في آن معاً : فعلى مستوى العمليات هناك صدارة لعملية « الكبت » أو سحب التوظيف من الواقع على الميل إلى التركيب الهذياني للواقع Restitution ، وضمن أواليات هذا التركيب الهذياني ، هناك صدارة في الفصام لتلك الأواليات التي تقترب من الهستيريا (الهلوسة) على الأواليات التي تقترب من العصاب المجاسي (الإسقاط) والتي تسود في العظام ؛ أما على مستوى التثبيتات : « فإن التثبيت الإستهيائي في الفصام يقع في مرحلة أكثر تبكيراً منه في حالة العظام ، أي(2b) في بداية النمو حيث يتم الإنتقال من الغلمة الذاتية إلى حب الموضوع » .

وإذا كان فرويد قد قدم إيضاحات أخرى،خصوصاً بصدد النشاط الفكري واللغة الفصاميين(3) ، إلاأنه يمكننا القول بأن مهمة تحديد بنية هذه الإصابة تظل من نصيب خلفائه .

(1) Bleuler (E.). *Dementia praecox oder Gruppe der Schizophrenien*, Leipzig und Wien, 1911. — *a)* 5. — *b)* Cf. 284-5. — *c)* 10. — *d)* 293. — *e)* Cf. 296. — *f)* 298.

(2) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia*, 1911. — *a)* G.W., VIII, 312-3 ; S.E., XII, 75 ; Fr., 319. — *b)* G.W., VIII, 314 ; S.E., XII, 77 ; Fr., 320.

(3) Cf. notamment : Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W. X, chap. VII ; S.E., XIV, chap. VII ; Fr., chap. VII.

فصام هذياني

Paraphrénie
Eng.: Paraphrenia.
D. : Paraphrenie

■ أ ـ إقترح كرايبلن هذا المصطلح للدلالة على حالات من الذهان الهذياني المزمن الذي لا يرافقه ضعف في القوى العقلية ، ولا يتطور نحو العته . شأنه في ذلك شأن العظام . ولكنه يقترب من الفصام على صعيد. بنياناته الهذيانية الغنية والمزيلة الإنتظام التي تقوم على قاعدة من الهلاوس والتخريفات .

ب ـ أما فرويد فلقد إقترح هذا المصطلح إما للدلالة على الفصام (« الفصام الهذياني الفعلي ») ، أو للدلالة على مجموعة العظام ـ الفصام .

ولقد طغى مفهوم كرايبلن تماماً في أيامنا هذه ، على المفهوم الذي إقترحه فرويد ■ .

إقترح كرايبلن مصطلح الفصام الهذياني قبل فرويد (ما بين الأعوام 1900 و 1907). نحيل القارىء ، بغية الإطلاع على المفهوم التصنيفي المرضي للفصام الهذياني ، إلى كتب الطب العقلي .

وأما فرويد فلقد أراد إستعمال المصطلح بمعنى مغاير تماماً . فلقد قدّر أن كلاً من مصطلح « العته المبكر » ومصطلح الفصام لا يفيان بالغرض . ولقد فضّل عليهما مصطلح الفصام الهذياني الذي لا يتضمّن نفس الخيارات بصدد الأوالية العميقة المحركة لهذه الإصابة ؛ كما أن « الفصام الهذياني » يقترب من « العظام » مما يؤكد على القرابة ما بين الإصابتين(1) .

ويعود فرويد فيما بعد في مقالته بعنوان « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » إلى مصطلح الفصام الهذياني بمعنى أكثر شمولاً للدلالة على مجموعة العظام ـ الفصام ، ولكنه يستمر رغم ذلك بالإشارة إلى الفصام باعتباره « الفصام الهذياني الفعلي »(2) .

وسرعان ما عدل فرويد عن إقتراحه الإصطلاحي هذا ، وهو ما يعود بلا شك الى نجاح مصطلح « الفصام » الذي وضعه بلويلر .

(1) Cf. Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. G.W., VIII, 312-3 ; S.E., XII, 75 ; Fr., 319.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., X, 138-70 S.E., XIV, 73-102.

Mise en acte — فعلنة ، تفعيل

Eng.: Acting out (Actualization)
D. : Agieren

■ إنه تبعاً لفرويد تلك الواقعة التي يعيش فيها الشخص رغباته وهواماته اللاواعية التي يرزح تحت سطوتها ، في الحاضر وفي حالة من الشعور الحاد بأنها راهنة فعلياً نظراً لجهله بمصدرها وطابعها التكراري ■ .

نهدف من خلال تقديم تعبير الفعلنة « Mise en acte » إلى إقتراح ترجمة لمصطلح Agieren الذي نصادفه مرات عدة عند فرويد بصيغة الفعل أو الإسم . هذا المصطلح ذو الأصل اللاتيني ، غير شائع في اللغة الألمانية . إذ يستخدم الألماني في حديثه عن الفعل ، أو العمل ، مصطلحات من مثل Die tat ، أو Die wirkung ، إلخ . أما فرويد فيستعمل Agieren بمعنى متعد ، على غرار مصطلح Abreagieren المشتق من نفس المصدر (أنظر : تصريف) : فنحن هنا بصدد « فعلنة » نزوات أو هوامات ، أو رغبات ، إلخ .

ويرتبط مصطلح Agieren في الأعم الأغلب من الحالات مع مصطلح Erinnern (تذكّر) ، إذ يتعارض هذان المصطلحان باعتبارهما أسلوبين من إستعادة الماضي في الحاضر .

ولقد تجلى هذا التعارض لفرويد في العلاج أساساً، بمعنى أن التكرار خلال النقلة هو الذي يشير إليه فرويد غالباً باعتباره « فعلنة » : فالمريض « . . . يُفَعِّلُ أمامنا إذا جاز القول، بدلاً من أن ينبئنا . . . »(1) ، على أن الفعلنة تتجاوز في مداها النقلة بمعناها الحرفي : « وهكذا يكون علينا أن نتوقع إنسياق المحلِّل لإضطرار التكرار الذي يحل عندها محل الدافع للتذكر ، ولا يقتصر هذا الأمر على علاقاته الشخصية مع الطبيب ، بل يتعداه إلى كل نشاطات وعلاقات حياته الراهنة ، من مثل القيام بإختيار موضوع حب، خلال العلاج، أو القيام بأعباء مهمة ما، أو الإنخراط في أحد المشروعات »(2).

يتضمن مصطلح Agieren كمثيله مصطلح « الفعلنة » لبساً مميزاً لتفكير فرويد نفسه : فهو يخلط ما بين التجسيد في الحاضر خلال النقلة ، وبين اللجوء إلى الفعل الحركي ، الذي لا تتضمنه النقلة بالضرورة (أنظر نقلة ، وتفعيل) . وهكذا فليس من اليسير أن نفهم كيف تمسك فرويد على الدوام بغية تبيان التكرار في النقلة ، بنموذج الحركية ما وراء النفساني والذي أبرز إنطلاقاً من كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » حيث يقول : « . . . تعلمنا واقعة النقلة ، شأنها في ذلك شأن حالات الذهان أن [الرغبات اللا واعية] تريد من خلال مرورها بنظام ما قبل الوعي ، الوصول إلى الوعي وإلى السيطرة على الحركة »(3) .

(1) Freud (S.) *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 101 ; S.E., XXIII, 176 ; Fr., 44.

(2) Freud (S.). *Erinnern, Wiederholen und Durcharbeiten*. 1914. G.W., X, 130 ; S.E., XII, 151 ; Fr., 109.

(3) Freud (S.). G.W., II-III, 573 . S.E., V, 567 ; Fr., 465.

فعل نوعي

Action spécifique

Eng. : Specific action

D. : Spezifische aktion

■ هو مصطلح إستخدمه فرويد في بعض كتاباته الأولى للدلالة على مجمل العملية الضرورية لحل التوتر الداخلي المتولد عن الحاجة : أي الإجراء الخارجي الملائم ومجمل إستجابات المتعضي السابقة التكوين والتي تتيح إنجاز الفعل ■ .

يستخدم فرويد فكرة الفعل النوعي بشكل أساسي في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » : يتعقد مبدأ القصور ، الذي يفترض فرويد أنه ينظم عمل الجهاز العصبي ، منذ لحظة تدخل الإثارات الداخلية . ذلك أن المتعضي لا يستطيع الإفلات منها في الواقع ، وهو يستطيع تفريغها بطريقتين :

أ ـ الأولى هي طريقة مباشرة من خلال إستجابات غير نوعية (أي تجليات إنفعالية ، صراخ ، إلخ) ، تشكل جواباً غير ملائم ، وتستمر الإثارات بالتالي في تدفقها ؛

ب ـ الثانية هي الطريقة النوعية ، التي تتيح وحدها حلاً دائماً للتوتر . ولقد قدم فرويد صحيمة لها من خلال اللجوء إلى فكرة العتبة وذلك في مقالته بعنوان : « حول مشروعية فصل مركب معين من

الأعراض بإسم « عصاب القلق » عن العياء عام 1895 »(1a) .

ولكي ينجز الفعل النوعي أو الملائم، لا بد من تواجد موضوع نوعي وسلسلة من الشروط الخارجية (توفر الطعام في حالة الجوع مثلا) تصبح المعونة الخارجية الشرط المسبق الذي لا غنى عنه لإرضاء الحاجة ، في حالة الرضيع ، نظراً لعجزه الأصلي (أنظر : حالة العجز) . وهكذا يتمكن فرويد أن يدل ، بواسطة مصطلح الفعل النوعي ، إما على مجمل الأفعال المنعكسة التي يتم الفعل بواسطتها ، أو على التدخل الخارجي ، أو كذلك على هاتين الخطوتين معاً .

وتفترض تجربة الإشباع مسبقاً هذا الفعل النوعي .

***

بالإمكان تأويل المفهوم الفرويدي حول الفعل النوعي ، كنقطة البداية لنظرية في الغرائز (1) .

فكيف نوفق بينها وبين مفهوم النزوة الجنسية كما تبرز من خلال أعمال فرويد ؟ تطور طرح المشكلة بالنسبة إلى فرويد ما بين السنوات 1895 و1905 :

1 ـ صُنِّفت الجنسية في « مشروع علم نفس علمي » بين « الحاجات الكبرى »(2) ؛ فهي تتطلب ، كالجوع تماماً ، فعلاً نوعياً (أنظر : نزوة حفظ الذات) .

2 ـ تجدر الإشارة إلى أنه في العام 1895 ، لم يكن فرويد قد إكتشف بعد الجنسية الطفلية . فما ينتج عن مصطلح الفعل النوعي في تلك الفترة ، هو إذاً تشابه ما بين الفعل الجنسي عند الراشد ، وإشباع الجوع .

3 ـ يتعلق وصف الفعل النوعي الضروري للإشباع الجنسي ، الوارد في المقالة المذكورة أعلاه ، والمعاصرة « للمشروع » بالحياة الجنسية للراشد . ولكن فرويد يدخل شروطاً « نفسية » ذات أصل تاريخي ، تحت عنوان ما يطلق عليه إسم إرصان الليبيدو النفسي(1b) ، إلى جانب عناصر السلوك التي تشكل نوعاً من البناء العضوي .

4 ـ ويتغير المنظور مع إكتشاف الجنسية الطفلية (أنظر : جنسية) : إذ ينتقد فرويد منذ ذلك الحين المفهوم الذي يعرف الجنسية الإنسانية من خلال الفعل الجنسي عند الراشد ، أي كسلوك ثابت في مساره ، وموضوعه وغايته . « يكون الرأي العام الشعبي أفكاراً جامدة حول طبيعة ، وخصائص النزوة الجنسية . إذ تزعم هذه الآراء أن الحياة الجنسية تكون غائبة في الطفولة ، وأنها تظهر خلال البلوغ ، في صلة وثيقة مع عملية النضج ، وتتجلى على شكل إنجذاب لايقاوم يمارسه أحد الجنسين على الآخر ، ويتلخص هدفها في الإتحاد الجنسي ، أو على الأقل في الأفعال التي تؤدي إلى هذا الهدف »(3) .

يبين فرويد في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » كيف أن الشروط العضوية التي يمكنها أن تمدنا باللذة الجنسية تكون على درجة متدنية من التخصص ، في حالة النشاط الوظيفي للجنسية الطفلية . وإذا أمكن لنا القول بأنها سرعان ما تتخصص ، فإن ذلك رهن بعوامل ذات طبيعة تاريخية . وفي نهاية المطاف ، يمكن أن تكون شروط الإشباع الجنسي عند الراشد جد محتومة عند هذا الفرد أو ذاك ، لكأنّ الإنسان يتوصل من خلال تاريخه إلى سلوك يبدو وكأنه مُجهّز غريزياً .

يشكل هذا المظهر ، بالفعل ، اصل « الرأي العام الشعبي » كما عرضه فرويد في الأسطر المذكورة أعلاه .

(أ) - يمكننا إقامة مقاربة ، في هذا المنظور ، ما بين النظرية الفرويدية حول الفعل النوعي ، وبين تحليل العملية الغريزية الذي قام به علم النفس الحيواني المعاصر (مدرسة دراسة عادات الحيوان) .

(1 *a*) Cf. Freud (S.). G.W., I, 334-5 ; S.E., III, 108. — (*b*) Cf. G.W., I, 333-9 ; S.E., III, 106-12.

(2) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1900. All., 381 ; Ang., 357 ; Fr., 317.

(3) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 33 ; S.E., VII, 135 ; Fr., 17.

ق

Figurabilité (prise en considération de la —) | قابلية التصوير (أحذية قابلية التصوير بعين الاعتبار)

Eng. : Considerations of representability.

D. : Rücksicht auf Darstellbarkeit.

■ إنه المطلب الذي تُخضع له أفكار الحلم : إذ أنها تتعرض لإنتقاء وتحويل يجعلانها قابلة لأن تمثل بالصور ، البصرية منها خصوصاً ■ .

يكوّن الحلم نظاماً تعبيرياً له قوانينه الخاصة. فهو يشترط أن تُعبر كل المعاني، وحتى تلك الأفكار الأكثر تجريداً ، عن نفسها بالصور . وتبعاً لفرويد ، لا تحظى الخطب ولا الكلام بأي إمتياز في هذا المضمار : فهي تندرج في الحلم كعناصر ذات دلالة ، ولا تبدو بمعناها الذي تأخذه في اللغة اللفظية .

ينتج عن هذا الشرط نتيجتان :

أولاً : إنها تؤدي إلى إنتقاء « . . . الأفكار التي تسمح بتصوير بصري، من بين مختلف تفرعات أفكار الحلم الأساسية »(1a) ؛ فالمفاصل المنطقية بين أفكار الحلم ، على وجه الخصوص ، تستبعد أو تستبدل بدرجات متفاوتة من التوفيق بنماذج من التعبير وصفها فرويد في كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » (في القسم الثالث من الفصل الرابع ، تحت عنوان : « عمليات التصوير في الحلم ») .

ثانياً: وهي توجه الإزاحات نحو بدائل مصورة. وهكذا تمدنا إزاحة التعبير، بحلقة ـ أي بكلمة محسوسة ـ ما بين الفكرة المجردة والصورة الحسية (من قبل إنزلاق مصطلح « أرستوقراطي » إلى تعبير « رفيع المكانة » الذي يمكن تصويره بواسطة « برج عال ») .

ويجد هذا الشرط المنظم لعمل الحلم أصله في نهاية المطاف في « النكوص »: نكوص موقعي، وشكلي ، وزماني ، في آن معاً . يؤكد فرويد ، من هذه الناحية الأخيرة ،على الدور المستقطب

الذي تلعبه المشاهد الطفلية التي يغلب عليها الطابع البصري ، في إرصان صور الحلم . » . . . فقد يكون تحويل الأفكار الى صور بصرية كنتيجة لما تمارسه الذكرى البصرية ، التي تحاول العودة إلى الحياة ، من « جذب » على الأفكار المقطوعة عن الوعي والتي تجهد من أجل التعبير عن نفسها . وهكذا قد يصبح الحلم ، تبعاً لهذا المفهوم ، « البديل عن المشهد الطفلي المعدّل من خلال النقلة على الحاضر الراهن » . إذ لا يتمكن المشهد الطفلي من التوصل إلى التحقيق من جديد ؛ ولا بد له من أن يكتفي بالظهور ثانية على شكل حلم »(1b) .

(1) FREUD (S.). *a)* G.W., II-III, 349 ; S.E., V, 344 ; Fr., 266. — *b)* G.W., II-III, 551-2 ; S.E., V, 546 ; Fr., 449.

قابلية توليد الغلمة

Érogénéité
Eng: Erogeneity or Erogenicity
D.: Erogeneität

■ إنها قدرة أي منطقة من مناطق الجسد على أن تكون مصدراً للإثارة الجنسية، أي أن تتصرف كمنطقة مولدة للغلمة■

وضع فرويد هذا المصطلح - القليل الإستعمال - في مقالته بعنوان « من أجل تقديم النرجسية عام1914 »(1) . إذ تعرّف قابلية توليد الغلمة في هذا النص على أنها ذلك النشاط الجنسي الذي يكون جزء من الجسد كفيلاً بالقيام به(2) .

يريد فرويد من خلال الدلالة على هذه « القابلية للإثارة» بمصطلح خاص، أن يبين أنها (أي الإثارة) ليست وقفاً على تلك المنطقة المولدة للغلمة والتي تظهر فيها بأجل صورها ، بل هي خاصية عامة لكل السطح الجلدي - المخاطي ، وحتى للأعضاء الداخلية .

ينظر فرويد إلى قابلية توليد الغلمة كعامل كمي قابل للزيادة أو النقصان ، أو التعرض لتعديل توزيعه في المتعضى من حلال الإزاحات . وتفسر هذه التعديلات ، في رأيه ، الأعراض المكعية .

(1) Cf. FREUD (S.). G.W., X, 150 ; S.E., XIV, 84.
(2) Cf. également FREUD (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*. G.W., V, 85 (n. 1, ajoutée en 1915) ; S.E., VII, 184 (n. 1) ; Fr., 179 (n. 50).

قاعدة أساسية

Règle fondamentale

Eng. : Fundamental rule

D. : Grundregel

■ إنها القاعدة التي تقيم بناء الوضعية التحليلية : حيث يطلب إلى المُحَلَّلْ قول ما يفكر فيه، وما يشعر فيه ، دون أن يختار شيئاً ، ودون أن يُسْقطَ شيئاً مما يرد على ذهنه ، حتى ولو بدى له قول ذلك مزعجاً ، وسخيفاً ، وعديم الأهمية ، أو خارجاً عن الموضوع ■ .

تطرح القاعدة الأساسية طريقة التداعي الحر كمبدأ للعلاج التحليلي النفسي. ولقد بيّن فرويد أكثر من مرة المسار الذي قاده من التنويم المغناطيسي ثم الإيحاء وصولاً إلى إرساء هذه القاعدة . إذ حاول « . . . أن يدفع المرضى ، حتى غير المنومين مغناطيسياً منهم ، إلى الإدلاء ببعض التداعيات كي يجد من خلال هذه المادة سبيله إلى ما نسيه المريض ، أو ما يقاوم الإفصاح عنه . ولقد لاحظ فيما بعد ، أن ضغطاً كهذا لا لزوم له ، إذ يبرز عند المريض بشكل شبه دائم عدد كبير من الأفكار التي يمسك هذا الأخير عن الإفصاح عنها ، حتى أنه يبقيها خارج نطاق الوعي ، إنطلاقاً من بعض الإعتراضات التي يطلقها بينه وبين نفسه . وهكذا يتحتم علينا أن نتوقع أن تكون كل الأفكار التي ترد على ذهن المريض ، حول نقطة إنطلاق ما ، على صلة داخلية مع هذه النقطة ؛ من هنا تبرز تقنية تدريب المريض على التخلي عن كل مواقفه النقدية ، وعلى وضع مادة الأفكار التي برزت هكذا إلى وضح النهار ، في خدمة إكتشاف العلاقات موضوع البحث »(1) .

تجدر الإشارة، بصدد هذا النص، إلى إستخدام فرويد لمصطلح Einfall (ويعني حرفياً كل ما يرد على الخاطر ، أو يبرز في الذهن والذي يترجم هنا بـ « فكرة » نظراً للإفتقار إلى مصطلح أفضل) مما يحسن تمييزه عن مصطلح التداعي . ففي الواقع يشير مصطلح التداعي إلى عناصر مأخوذة ضمن سلسلة ، سواء أكانت سلسلة خطاب منطقي ، أو سلسلة تداعيات يطلق عليها تسمية حرّة ، والتي ليست أقل حتماً من الأولى . أما Einfall = خاطر ، خواطر فهي تشير إلى الأفكار التي تأتي الشخص خلال الجلسات ، حتى ولو لم يكن رباط التداعي الذي تستند إليه ظاهراً ، وحتى ولو بدت ذاتياً وكأن لا صلة لها بسياق الحديث .

ولا تؤدي القاعدة الأساسية إلى إطلاق عنان العمليات الأولية على حالها، أو إلى فتح الباب بالتالي مباشرة للوصول إلى سلاسل التداعيات اللاواعية ؛ إنها تيسّر فقط بروز نمط من الإتصال تكون فيه الحتمية اللاواعية أسهل منالاً من خلال الكشف عن إرتباطات جديدة ، أو من خلال الكشف عن ثغرات ذات دلالة في الخطاب .

ولم تبد قاعدة التداعي الحر « أساسية » بالنسبة لفرويد إلا تدريجياً. وهكذا يقرّ فرويد في كتابه « في التحليل النفسي عام 1909 » بثلاثة منافذ إلى اللاوعي ، يبدو أنه يضعها في نفس المستوى من الأهمية : إرصان أفكار الشخص الذي يخضع للقاعدة الرئيسية (Hauptregel) ، تأويل الأحلام ، وتأويل الهفوات (2) . تبدو القاعدة هنا وكأنها مكرسة لتيسير تفريغ إنتاجات اللاوعي من خلال تقديم مواد ذات دلالة تضاف إلى ما عداها من مواد .

يترتب على القاعدة الأساسية عدد من النتائج :

أولاً : ـ يلتزم ، الشخص المدعو لتطبيقها ، بل هو يخضع للسير في طريق قول كل شيء ، وقوله فقط ؛ فانفعالاته ، وإنطباعاته الجسدية ، وأفكاره ، وذكرياته توجه جميعاً في قناة التعبير اللغوي . يتبع القاعدة إذاً لازمة ضمنية هي إظهار حيز ما من نشاط الشخص على شكل تفعيل ؛

ثانياً : ـ يوضح الإلتزام بالقاعدة أسلوب إشتقاق التداعيات ، و « النقاط العُقَديّة » التي تتقاطع عندها ؛

ثالثاً : ـ والقاعدة كاشفة أيضاً ، كما أشير إلى ذلك غالباً ، من خلال الصعوبات نفسها التي يصادفها الشخص في تطبيقها : ممانعات واعية ، ومقاومات لا واعية للقاعدة ومن خلال القاعدة ، أي من خلال كيفية إستخدامها (فمثلاً يلجأ بعض المحَلّلين بإنتظام إلى الحديث المتهافت ، أو هم يستخدمون القاعدة بشكل رئيسي لتبيان إستحالة أو حتى عبث تطبيقها الصارم » (أ) .

وإذا إستطردنا في هذه الملاحظات ، فاننا نصعّد من حدة الفكرة القائلة بأن القاعدة هي أكثر من تقنية إستقصاء ؛ بل أنها تنظم بنية مجمل العلاقة التحليلية ؛ وبهذا المعنى يمكن إطلاق وصف الأساسية عليها ، مع أنها ليست الوحيدة التي تشكّل الوضعية التحليلية التي تلعب فيها شروط أخرى وعلى الأخص حياد المحلل ، دوراً حاسماً . فلنقتصر إذاً على الإشارة ، إستناداً إلى جاك لاكان ، إلى أن القاعدة الأساسية تسهم في بناء العلاقة ما بين الذاتية بين المحلّل والمُحلَّل على أساس الصلة اللغوية(3) . إذ لا يجب فهم القاعدة التي تفرض قول كل شيء كمجرد طريقة من بين طرق أخرى للنفاذ إلى اللاوعي ، أي مجرد طريقة يمكن حتى الإستغناء عنها (من خلال التنويم المغناطيسي ، والتحليل التخديري ، إلخ) . إنها مكرسة لإظهار البُعْدَ الحاضر بالطلب الموجه إلى الأخر في خطاب المُحلَّل . وهي تؤدي ، من خلال إقترانها بإمتناع المُحلِّل عن الإستجابة ، إلى دفع المُحلَّل لصياغة طلباته بأساليب مختلفة كان لها في بعض مراحل نموه ، قيمة اللغة (أنظر : نكوص) .

(أ) ـ من الواضح أن القاعدة الأساسية لا تدعو إلى الإدلاء بحديث مختلط على طول الخط ، بل هي تدعو إلى عدم الإلتزام بالتماسك كمحك لإختيار مادة التعبير .

(1) Freud (S.). « *Psychoanalyse* » und « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 214 ; S.E., XVIII, 238.

(2) Cf. Freud (S.). G.W., VIII, 31 ; S.E., XI, 33 ; Fr., 147.

(3) Cf. surtout : Lacan (J.). La direction de la cure et les principes de son pouvoir, Communication faite au Colloque international de Royaumont en 1958, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1961, VI, 149-206.

قضيب

Phallus

Eng. : Phallus

D. : Phallus

■ القضيب هو ذاك التصور المجازي لعضو الذكر في الحضارة اليونانية اللاتينية القديمة . ويشير إستخدام هذا المصطلح في التحليل النفسي إلى الوظيفة الرمزية التي يقوم بها عضو الذكر

في الجدلية التي تقوم بين أركان الذات . كما في جدلية العلاقة ما بين الذات والآخر . وأما مصطلح عضو الذكر ليخصص إجمالاً للدلالة على ذلك العضو في واقعيته الشراحية ■ .

لا يصادف مصطلح القضيب إلا في مناسبات محدودة في كتابات فرويد . وأما في صيغته النعتية، فهو يوجد ، على العكس من ذلك ، في تعابير متنوعة ، وبشكل أساسي في تعبير « المرحلة القضيبية » . وبالإمكان التحقق من التمايز التدريجي في إستعمال تعبيري العضو الذكري والقضيب ، في أدبيات التحليل النفسي المعاصرة ، إذ يدل أولهما على العضو الذكر في واقعيته الجسدية ، بينما يدل الثاني على القيمة الرمزية الذي يتمتع بها هذا العضو .

يشغل التنظيم القضيبي، الذي حظي بإعتراف فرويد التدريجي كأحد مراحل تطور الليبدو عند كلا الجنسين ، مكانة مركزية بإعتباره ملازماً لعقدة الخصاء في أوجها ، كما يتحكم في وضعية عقدة الأوديب وحلّها . ويجد الشخص نفسه في هذه المرحلة أمام هذين البديلين : فإما أنه يمتلك القضيب أو يكون مخصياً . وهكذا نرى أن التعارض لا يقوم هنا ما بين حدين يمثلان واقعين شراحيين ، كما هو شأن العضو الذكري والمهبل ، بل يقوم ما بين حضور أو غياب حد واحد (وهو القضيب) . تتلازم صدارة القضيب بالنسبة لكل من الجنسين ، تبعاً لفرويد ، مع واقعة جهل البنت بوجود المهبل . حتى ولو إتخذت عقدة الخصاء أسلوبين مختلفين عند كل من الصبي والبنت ، إلا أنها تبقى مركزة في الحالتين حول القضيب وحده ، الذي يدرك وكأنه قابل للإنفصال عن الجسد . وفي هذا المنظور تبين لنا مقالة من مثل « تنقلات النزوة ، وخصوصاً الغلمية الشرجية ، عام 1917 »(1) كيف يندرج العضو الذكري في سلسلة من المصطلحات القابلة للإبدال فيما بين بعضها البعض ، في « معادلات رمزية » (عضو ذكري = براز = ولد = هدية ، إلخ .) ، وهي مصطلحات تشترك في خاصيته قابليتها للإنفصال عن الشخص وإحتمال التنقل من شخص إلى آخر .

لا يشكل العضو الذكري، بالنسبة لفرويد، مجرد واقع يمكننا العثور عليه بإعتباره المرجع الأخير لسلسلة بأكملها . إذ تتلخص نظرية عقدة الخصاء في إعطاء دور سائد للعضو الذكرى ، بإعتباره رمزاً ، وبمقدار ما يحوّل غيابه أو حضوره ، الفارق الشراحي إلى محك رئيس لتصنيف الكائنات الإنسانية ، وبمقدار ما لا يشكل هذا الوجود أو هذا الغياب أمراً مفروغاً منه ، بالنسبة لكل شخص ، ولا هو يختزل إلى مجرد معطى بسيط ، بل هو يشكل النتيجة المعضلية لعملية تقوم داخل الذات وما بين الذات والآخر (أي تبنّي كل شخص لجنسه الخاص) . ومما لا شك فيه أن فرويد وبشكل أكثر منهجية ، التحليل النفسي المعاصر ، يتحدثون عن القضيب إنطلاقاً من هذه القيمة الرمزية التي يتخذها ؛ . مما يحيلنا بدرجات متفاوتة من الصراحة ، إلى إستعمال هذا المصطلح في العصور القديمة حيث كان يدل على التصور المجازي ، المرسوم أو المنحوت ، للعضو الذكري الذي كان موضع التبجيل ، ويلعب دوراً مركزياً في إحتفالات التعميد (الأسرار) . « كان القضيب المنتصب يرمز ، في ذلك الزمن الغابر ، إلى القوة السيّدة ، إلى الذكورة السامية السحرية أو فوق الطبيعية ، وليس إلى مجرد قوة التناسل الذكرية ، كما يرمز كذلك إلى أمل الإنبعاث وإلى القوة الكفيلة بتحقيقه ، وإلى المبدأ الساطع الذي لا يحتمل لا شكوكاً ولا تعدداً ويحافظ على وحدة الكائن

المتدفقة بشكـل أزلي . ويجسـد الإلاهـان هرمـاس وأوزيريس ذوا القضيب هـذه القوة الخـالقة الأساسية »(2) .

فما المقصود هنا « بالقيمة الرمزية » ؟ إذ ليس بالإمكان إعطاء دلالة مجـازية محـددة للرمـز « قضيـب » بـالشمـول الـذي نبتغـي (أي الخصـب ، القـوة ، السلطـة ، الخ .) . كـما أنه ليـس بالإمكـان في المقابل إختـزال ما يـرمز إليه القضيـب إلى العضو الذكري المحض كواقـع جسـدي . أخيراً ، وفوق كونه رمزاً (بمعنى التصور المجازي والمبسط للعضو الذكري) ، يصادف القضيب كدلالة ، بإعتباره كمرموز إليه في التصورات المتنوعة ؛ حيث أشار فرويد في نظريته عن الرمزية إلى أن القضيب هو واحد من العناصر المرموز إليها عالمياً ؛ ولقد إعتقد أنه توجد من باب المقارنة سمة مشتركة ما بين العضو الذكري وما يمثله وهي كونهما شيئاً صغيراً(3a) . ولكن يمكن التفكير في نفس سياق هذه الملاحظة ، بأن ما يميز القضيب وما يلتقي في مختلف تحولاته المجازية ، هو تكونه موضوعاً قابلاً للإنفصال ، والتحوير أي بهذا المعنى موضوعاً جزئياً . ولا تدحض الواقعة التي لاحظها فرويد منذ « تأويل الأحلام عام1900 (3c ،3b) وأكدتها الإستقصاءات التحليلية إلى حد بعيد ، والتي تبين أن المرء بإعتباره شخصاً كلياً يمكن أن يماهي بالقضيب ، الفكرة التي أوردناها في الجملة السابقة : ففـي هذه الحالـة يقـارن الشـخص بحـد ذاتـه بموضـوع قابـل لأن يُرى ، ويستعرض ، ويتجول ، أو أن يُعطي ويُؤخذ . ولقد بين فرويد في حالة الجنسية الأنثوية على وجه الخصوص ، كيف تتحول الرغبة في تلقي قضيب الأب ، إلى رغبة في إنجاب طفل منـه . ومـن الممكن التساؤل على كل حال ، بصدد هذا المثال ، إذا كان هناك فعلاً ما يبرر إقامة تمييز جذري ما بين العضو الـذكري والقضيب على مستـوى مصطلحـات التحليل النفسي . يتضمّـن مصطلـح « شهوة العضو الذكري » في ثناياه غموضاً قد يغني البحث ، ولا يمكن جلاؤه بمجرد التمييز البسيط ما بين الرغبة في الإستمتاع بالعضو الذكري الحقيقي للرجل خلال الجماع ، والرغبة في إمتلاك القضيب (بإعتباره رمزاً للذكورة) .

ولقد حاول جاك لاكان في فرنسـا إعادة محورة النظرية التحليلية النفسية حول فكرة القضيب بإعتباره « الدال على الرغبة » . وتتمثل عقدة الأوديب كما حاول لاكان إعادة صياغتها في جدلية يتكون بديلاها الرئيسان مما يلي : أن تكـون القضيب أو لا تكونـه ، أن تمتلك القضيب أو لا تمتلكه ، والتي تتمحور مراحلها الثـلاث حول المكـانة التي يشغلهـا القضيب في رغبة كـل من الأطراف الثلاثة(4) .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., X, 402-10 ; S.E., XVII, 127-33.

(2) Laurin (C.). Phallus et sexualité féminine, in *La Psychanalyse*, VII, Paris, P.U.F., 1964, 15.

(3) Cf. Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 366 ; S.E., V, 362-3 ; Fr., 269. — *b)* G.W., II-III, 370-1 ; S.E., V, 366 ; Fr., 272. — *c)* G.W. II.,-III, 399 ; S.E., V, 394 ; Fr., 293.

(4) Cf. Lacan (J.). Les formations de l'inconscient, compte rendu de J.-B. Pontalis, in *Bulletin de Psychologie*, 1958, *passim*.

Phallique (Femme ou Mère —) قضيبيــة (إمرأة أو أم -)
Eng. : Phallic (Woman or mother).
D. : Phallische (Frau oder mutter).

■ إنها هوامياً تلك المرأة المزودة بقضيب . وقد تتخذ هذه الصورة شكلين رئيسين . فإما أن تُصَوَّر المرأة على أنها حاملة لقضيب خارجي أو لخاصيّة قضيبية ، أو أنها تصور على أنها إحتفظت بقضيب ذكري في داخلها ■ .

يشيع العثور خلال التحليل على صورة المرأة المزودة بعضو جنسي ذكري في الأحلام والهوامات .

وأما على الصعيد النظري ، فإن الإثبات التدريجي « لنظرية جنسية طفلية » ومن ثم لمرحلة لبيدية قائمة بذاتها ، لا يوجد تبعاً لها سوى عضو جنسي واحد عند كلا الجنسين ، هو القضيب (أنظر : مرحلة قضيبية) يشكل أساس صورة المرأة القضيبية .

تتكون مثل هذه الصورة الهوامية، تبعا لروث ماك برونشفيك « . . . من اجل تامين العضو الذكري للأم ، ولهذا فمن المحتمل أنها تظهر في اللحظة التي لا يعود فيها الطفل متأكداً من أن الأم تمتلك ذلك القضيب فعلاً . وأما قبل ذلك [. . .] فيظهر على الأرجح أن الثدي هو العضو التنفيذي للأم النشطة ؛ وتسقط فكرة العضو الذكري على هذه الأم النشطة بشكل إستدراكي فيما بعد ، حين يتم الإعتراف بأهمية القضيب »(1) .

ولقد بيّن فرويد ، على الصعيد العيادي، كيف أن التّيمي ، على سبيل المثال، يجده في تيمته بديلاً عن القضيب الأمومي الذي ينكر غيابه(2) .

وفي إتجاه آخر ، كشف المحللون النفسيون ، على أثر ف. بوهم ، وخصوصاً في التحليل النفسي للجنسيين المثليين الذكور ، عن هوام مولد للقلق فحواه أن الأم قد إحتفظت في داخل جسدها بالقضيب الذي تلقته أثناء الجماع(3) . ولقد وسعّت ميلاني كلاين مدى هذا الهوام من خلال فكرة « الوالدين الممتزجين » .

وتجدر الملاحظة على وجه الإجمال إلى أن مصطلح المرأة القضيبية يدلّ على المرأة التي تمتلك قضيباً، وليس على صورة المرأة أو الفتاة التي « تماهى » بالقضيب(4) . ونشير أخيراً إلى أن تعبير المرأة القضيبية غالباً ما يستخدم على وجه التقريب لوصف إمرأة تغلب الذكورة على سمات طبعها ، من مثل المرأة السلطية ، وذلك بدون أن تعرف بالضبط ما هي الهوامات الكامنة وراء هذا الوصف .

(1) Mack Brunswick (R.). The Preœdipal Phase of the Libido Development, 1940, in *Psa. Read.*, 240.

(2) Cf. Freud (S.). *Fetischismus*, 1927. G.W., XIV, 312 ; S.E., XXI, 152-3.

(3) Cf. Boehm (F.). Homosexualität und Ödipuskomplex, 1926, in *Internationale Zeitschrift für Psychoanalyse*, XII, 66-79.

(4) Cf. Fenichel (O.). Die symbolische Gleichung : Mädchen = Phallus, 1936, in *Internationale Zeitschrift für Psychoanalyse*, XXII, 299-314 ; in *Collected Papers*, Londres, Routledge and Kegan, 1955, 3-18.

قلب (النـزوة) إلى الضـد

Renversement (d'une pulsion) dans le contraire

Eng. : Reversal into the opposite

D. : Verkehrung ins gegenteil

■ إنها عملية يتحول فيها هدف نزوة معينة إلى ضده ، بالمرور من النشاط الى الفتور ■ .

خلال نظر فرويد في «مصائر النزوات» ضمن كتابه «النزوات ومصائر النزوات عام1915» أورد من بين هذه المصائر إضافة إلى الكبت والتسامي، القلب إلى الضد والإرتداد على الشخص ذاته . ولقد سارع إلى الإشارة إلى أن هاتين العمليتين ـ اللتين تتعلق أولاهما بالهدف والثانية بالموضوع ـ هما في الواقع وثيقتا الترابط ببعضهما البعض ، كما يظهر من المثلين الرئيسيين عليهما ، أي السادو ـ مازوشية ، والنظار ـ الهتاك اللذين يتعذر وصفهما منفصلين عن بعضهما .

يتضمن إرتداد السادية إلى المازوشية في نفس الوقت المرور من النشاط إلى الفتور، وقلب للأدوار ما بين الذي ينزل الآلام وبين الذي يتلقاها . وقد تتوقف هذه العملية في مرحلة وسيطة حيث يحدث إرتداد على الشخص ذاته (تغيير الموضوع) بينما لا يصبح الهدف فاتراً بل هو يقتصر على مجرد الإنعكاس على الشخص (إنزال الألم بالذات) . تتضمن المازوشية في شكلها الكامل ، حيث يتحقق التحول إلى الفتور ، « . . . البحث عن شخص غريب كموضوع جديد يتعين عليه أن يأخذ دور الفاعل ، إثر التحول الذي طرأ على الهدف »(1a) . لا يمكن تصور هكذا تحول دون اللجوء إلى التنسيق الهوامي حيث يصبح الآخر خيالياً هو الفاعل الذي يرد إليه النشاط النزوي .

وتستطيع العمليتان أن تنشطا بالطبع في الإتجاه المقابل : أي أن يتحول الفتور إلى نشاط ، والإرتداد على الآخر إنطلاقاً من الشخص ذاته : « . . . لا يختلف الأمر من حيث المبدأ فيما لو إرتدت النزوة من الموضوع إلى الأنا ، أو هي إرتدت من الأنا إلى الموضوع [. . .] »(2) .

ويمكن التساؤل ايضاً حول إمكانية الدلالة على إرتداد الليبدو من موضوع خارجي إلى الأنا (ليبدو الأنا ، أو الليبدو النرجسي) باعتباره أيضاً « إرتداد على الشخص ذاته » . تجدر الإشارة إلى أن فرويد فضل في هذه الحالة إستخدام تعابير من مثل « سحب الليبدو إلى الأنا أو فيه » .

يبحث فرويد إضافة إلى قلب النشاط إلى فتور الذي ينصب على الأسلوب ، أي على « شكل » النشاط ، في إمكانية قلب « المحتوى » أو قلب « المادة » : أي قلب الحب إلى حقد . إنما لا يبدو له الحديث عن الإرتداد صالحاً ، في هذا المقام ، إلا على مستوى وصفي محض ؛ ذلك أنه لا يمكن إعتبار الحب والحقد كمصيرين لنفس النزوة . إذ يعترف فرويد بأن لكل منهما أصل مختلف سواء في نظريته الأولى(1b) أم في نظريته الثانية(3) عن النزوات .

ولقد أدرجت آنا فرويد كلاً من القلب الى الضد، والإرتداد على الشخص ذاته بين أواليات الدفاع وتساءلت عما إذا كان يتعين علينا أن نرى فيهما العمليات الدفاعية الأكثر بدائية (4) (أنظر : التماهي بالمعتدي) . وتذهب بعض المقاطع في كتابات فرويد نفس المذهب(1c) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., X, 220 ; S.E., XIV, 127 ; Fr., 44. — *b)* Cf. G.W., X, 225 sq. ; S.E., XIV, 133 sq. ; Fr., 53 sq. — *c)* Cf. G.W., X, 219 ; S.E., XIV, 126-7 ; Fr., 42-3.
(2) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 59 ; S.E., XVIII, 54 ; Fr., 63.
(3) Cf. Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 271 sq. ; S.E., XIX, 42 sq. ; Fr., 198 sq.
(4) Cf. Freud (A.). *Das Ich und die Abwehrmechanismen*, 1936. All., 41 ; Fr., P.U.F., Paris, 1949, 45.

Angoisse devant un Danger réel — قلق إزاء خطر واقعي

Eng. : Realistic anxiety

D. : Realangst

■ إستخدم مصطلح (Realangst = قلق واقعي) من قبل فرويد في إطار نظريته الثانية عن القلق : أي قلق إزاء خطر خارجي يشكل تهديداً واقعياً للشخص ■ .

قدم مصطلح («Realangst» = قلق واقعي) الألماني في كتاب « الصد، العارض، والقلق عام1926 » . وهو قد يكون مدعاة للعديد من الإلتباسات التي يحاول المعادل الفرنسي الذي نقترحه أن يزيلها .

اولاً : كلمة « Real أي واقعي » في مصطلح « Realangst » إسمية؛ فهي لا تصف القلق نفسه بل ما يشكل الدافع له . ويتعارض القلق أمام خطر واقعي مع القلق أمام النزوة . ولا تصبح النزوة مولدة للقلق ، في رأي بعض الكتاب وعلى الأخص آنا فرويد ، إلا بمقدار إحتمال إثارتها لخطر واقعي ؛ بينما يتمسك غالبية المحللين النفسيين بوجود تهديد نزوي مولد للقلق .

ثانياً : لا تناسب الترجمة بتعبير « قلق إزاء الواقع » لأنها توحي بأن الواقع بحد ذاته هو سبب القلق ، بينما أن المسألة تتعلق بوضعيات بعينها فقط من هذا الواقع . ولهذا نقترح تعبير « قلق أمام خطر واقعي » .

ويلاحظ، بدون الدخول في النظرية الفرويدية حول القلق، أن مصطلح القلق Angoisse الفرنسي ، لا يغطي تماماً مصطلح Angst سواء في اللغة الألمانية أو في إستخدام فرويد له . تترجم تعابير شائعة من مثل Ich habe angst vor بـ = أنا خائف من . . . ولا يتطابق التعارض المتعارف عليه غالباً ما بين الخوف ذي الموضوع المحدد ، والقلق الذي يُعرف بغياب الموضوع ، تماماً مع التمييزات الفرويدية .

Angoisse Automatique — قلق آلاني

Eng. : Automatic Anxiety

D. : Automatische angst

■ هي تلك الإستجابة التي يبديها الشخص في كل مرة يجد نفسه فيها في وضعية صدمية . أي

خاضعاً لفيض من الإثارات ، ذات المنشأ الخارجي أو الداخلي ، والتي يعجز عن السيطرة عليها . يتعارض القلق الآلاني ، تبعاً لفرويد مع إشارة القلق ■ .

قدم هذا التعبير في التعديل الذي أجراه فرويد على نظريته في القلق في كتاب « الصد ، العارض ، والقلق عام1926 » ؛ ويمكن فهمه من خلال مقارنته مع فكرة إشارة القلق .

ففي الحالتين « . . . أي كظاهرة آلاتية ، وكإشارة إنذار ، لا بد من إعتبار القلق كنتاج لوضعية العجز النفسي عند الرضيع ، تلك الوضعية التي تشكل بالطبع الوجه الآخر لحالة العجز البيولوجي »(1) . يشكل القلق الآلاني إستجابة تلقائية من قبل المتعضى لهذه الوضعية الصدمية ، أو لتكرارها من جديد .

ونعني بـ « الوضعية الصدمية » ذلك الفيض الخارج عن السيطرة من الإثارات المفرطة في تعددها وفي شدتها : وهي فكرة جد قديمة عند فرويد ؛ إذ تصادف في كتاباته الأولى حول القلق ، حيث يعرفه بإعتباره ناتجاً عن توتر لبيدي متراكم وغير مُفَرَّغ .

يتضمن مصطلح القلق الآلاني نمطاً من الإستجابة ؛ بدون أي تسرع في الحكم حول المنشأ الداخلي أو الخارجي للإثارات المولدة للصدمة .

(1) Freud (S.), G.W., XIV, 168 ; S.E., XX, 138 ; Fr., 62.

قمع

Répression

Eng. : Suppression

D. : Unterdrückung

■ أولاً ـ إنه بالمعنى الواسع ـ : عملية نفسية تنحو إلى إزالة محتوى مزعج أو غير مناسب من الوعي : سواء أكان فكرة أم عاطفة أو سواهما . وبهذا المعنى يكون الكبت أسلوباً خاصاً من القمع .

ثانياً ـ وأما بمعنى أضيق ، فيدل القمع على بعض العمليات من الفئة السابقة التي تختلف عن الكبت كما يلي :

أ ـ إما بأن تكون العملية واعية ، وبأن يقع المحتوى المقموع ببساطة فيما قبل الوعي ولا يصبح لا واعياً ؛

ب ـ أو في حالة قمع العاطفة ، لأن هذه لا تنقل إلى اللاوعي ، بل تظل مصدودة ، أو حتى ملغاة .

حـ ـ كما قد يستخدم القمع في بعض النصوص المترجمة عن الإنجليزية كمعادل خاطىء لـ « Verdrängung » أي الكبت ■ .

يشيع إستخدام مصطلح القمع في التحليل النفسي إلا أن إستعماله يظل عديم التقنين .

ويجدر بنا بادىء ذي بدء إستبعاد المعنى الوارد في (ج) من الإستعمال المعقول . ذلك أن المترجين الإنجليز لفرويد يستعملون Repression للتعبير عن المصطلح الألماني Verdrängung = الكبت ، بينما يستخدمون Suppression = الإلغاء للدلالة على القمع . وليس هناك من مبرر للتعبير عن Repression الإنجليزية بنفس الكلمة في الفرنسية لأن مصطلح الكبت = Refoulement معتمد وملائم ، بينما يحمل مصطلح Repression الفرنسي معنى شائعاً يتطابق تماماً مع مصطلح القمع الألماني .

وهكذا فمن المستحسن حتى في الترجمة الفرنسية للنصوص الإنجليزية تحويل كلمة Repression إلى كلمة Refoulement = كبت .

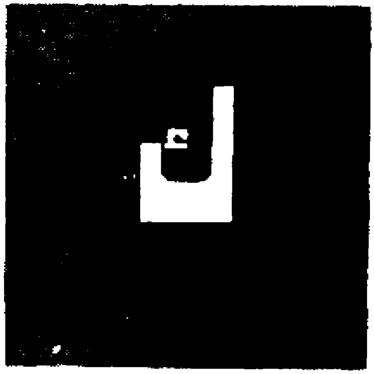
وأما المعنى الوارد في الرقم أولاً فإنه يصادف بعض الأحيان عند فرويد في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية 1905 »(1) على سبيل المثال ، إلا أنه قليل الشيوع على وجه الإجمال . وتجدر الإشارة إلى أن هذا المعنى لا يغطي مجمل « الأواليات الدفاعية » إذ لا يتضمّن عدداً منها (مثل الإلغاء الرجعي) إستبعاد محتوى معين خارج مجال الوعي .

وأما المعنى الأكثر شيوعاً ، والذي يصادف منذ تأويل الأحلام عام 1900 »(2) فهو المعنى الوارد في ثانياً الفقرة . أ . إذ يتعارض القمع هنا مع الكبت ، خصوصاً من وجهة نظر موقعية . ففي الكبت ، يكون كل من الركن الكابت (الأنا) وكذلك العملية ونتائجها لاواعيين . بينما أن القمع على العكس من ذلك هو أوالية واعية تجري على مستوى « الرقابة الثانية » التي يضعها فرويد ما بين الوعي وما قبل الوعي ؛ إذ نكون هنا بصدد طرد للموضوع خارج مجال الوعي الراهن وليس بصدد إنتقال من نظام أول (هو نظام ما قبل الوعي - الوعي) إلى نظام آخر (هـو اللاوعـي) . وتلعـب الدوافـع الخلقية ، من وجهة نظر دينامية ، دوراً غالباً في القمع .

علينا أيضاً ، التمييز ما بين القمع والحكم بالإدانة الذي قد يسبب نبذاً إلى خارج الوعي ، ولكنه لا يتضمن هذا النبذ بالضرورة .

تجدر الملاحظة أخيراً ، أن المعنى الوارد في ثانياً الفقرة (ب) يوجد خصوصاً في النظرية الفرويدية حول الكبت للدلالة على مصير العاطفة . فالواقع ، أن ما يكبت بمعنى الكلمة ، في رأي فرويد ، هو الممثل التصوري للنزوة وحده ، بينما لا يمكن أن تصبح العاطفة بحد ذاتها لا واعية : فهي إما أن تتحول إلى عاطفة أخرى ، أو أن تقمع ، « ... حتى أننا لا نعود نعثر على شيء منها »(3) ، أو حتى أنها « ... لا تعود تعادل [في نظام اللاوعي] إلا جذوراً هزيلة لم تتمكن من النمو »(4) .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., V, 71 et 77 ; S.E., VII, 172 et 176 ; Fr., 61-2 et 69.
(2) Freud (S.). G.W., II-III, 611-2, note : S.E., V, 606, note ; Fr., 494, note.
(3) Freud (S.). *Die Verdrangung*, 1915. G.W., X, 255-6 ; S.E., XIV, 153 ; Fr., 81.
(4) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 277 ; S.E., XIV, 178 ; Fr., 115.



Refoulement كبت

Eng. : Repression
D. : Verdrängung

■ أ ـ بالمعنى الحرفي : إنه عملية يرمي الشخص من خلالها إلى أن يدفع عنه التصورات (من أفكار ، أو صور أو ذكريات) المرتبطة بالنزوة إلى اللاوعي أو أن يبقيها فيه . يحدث الكبت في الحالات التي يهدد فيها إشباع إحدى النزوات ـ القادرة على حمل المتعة للشخص بحد ذاتها ـ بالتسبب بالإزعاج تجاه مطالب أخرى .

يكون الكبت جلياً بشكل خاص في الهستيريا، ولكنه يلعب أيضاً دوراً رئيسياً في الإصابات العقلية الأخرى ، كما في السيكولوجية السوية . وقد يمكن إعتباره كعملية نفسية كونية ، طالما أنه في أساس تشكّل اللاوعي كحيز منفصل عن بقية النفس .

ب ـ وأما بالمعنى الأقل تحديداً : فإن مصطلح الكبت يستخدم من قبل فرويد بمفهوم يقربه من مصطلح « الدفاع » بإعتبار أن عملية الكبت بالمعنى الحرفي (في أ) تتواجد على الأقل كخطوة في العديد من العمليات الدفاعية المعقدة (حيث يعمم الجزء على الكل) ، هذا من ناحية ، وأما من الناحية الأخرى فإن هذا التقارب يقوم على استخدام فرويد للنموذج النظري للكبت كطراز أولي لعمليات دفاعية أخرى ■ .

يبدو أن التمييز بين المعنيين أ وب يفرض نفسه إذا رجعنا إلى التقدير الذي أجراه فرويد في العام 1926 على إستخدامه الخاص لمصطلحي « الكبت » و الدفاع : «أعتقد الآن أن هناك ميزة أكيدة في العودة إلى مفهوم الدفاع القديم ، شريطة أن يدل بشكل عام على كل التقنيات التي يلجأ إليها الأنا في صراعاته ، والتي قد تؤدي أحياناً إلى العصاب ، بينا نخصص مصطلح الكبت لواحدة بالتحديد من هذه الطرائق الدفاعية ، والتي أتاح لنا توجه أبحاثنا في البداية التعرف عليها أكثر من غيرها »(1) .

في الواقع، لا يتطابق تطور آراء فرويد حول مسألة العلاقة ما بين الكبت والدفاع تماماً مع ما يقول

به في النص المذكور أعلاه . فبالإمكان تسجيل الملاحظات التالية ، حول هذا التطور :
أولاً ـ في النصوص السابقة على « تأويل الأحلام 1900 » يتكرر إستخدام مصطلحات الكبت والدفاع بنفس القدر . ولكن ندر جداً أن إستخدمهما فرويد وكأنهما مجرد مصطلحين معادلين لبعضهما بعضاً ، ومن الخطأ إعتبار أن النموذج الوحيد للدفاع المعروف في ذلك الحين ، إستناداً إلى شهادة فرويد اللاحقة ، هو الكبت ، وهو النموذج الدفاعي الخاص بالهستيريا ، وكأن النوع (العام) يتطابق مع الخاص (الصنف) . وفي الواقع ، يخصص فرويد في تلك الحقبة لكل من حالات النفاس المختلفة أسلوباً دفاعياً مختلفاً عن غيره بشكل واضح ، وهو لا يدرج الكبت بين هذه الأساليب الدفاعية هذا من ناحية ؛ وبالتالي نرى في النصوص حول « نفاس الدفاع 1894-1896 » أن « إنقلاب » العاطفة هو أوالية الدفاع في الهستيريا ، ونقل العاطفة أو إزاحتها هو أوالية دفاع العصاب الهجاسي ، بينما هو يطرح بالنسبة للذهان أواليات من مثل النبذ المتلازم لكل من التصور والعاطفة ، في آن معاً ، أو الإسقاط . وأما من الناحية الثانية ، فيستخدم مصطلح الكبت للدلالة على مصير التصورات التي سلخت عن الوعي والتي تشكل نواة طائفة نفسية منفصلة ، وهي عملية تصادف في كل من العصاب الهجاسي وفي الهستيريا على حد سواء(2) .
حتى ولو تجاوز مفهوما الدفاع والكبت إطار إصابة نفسية مرضية خاصة ، فمن الواضح أن هذا التجاوز لا يتخذ نفس المعنى : فالدفاع هو منذ البدء مفهوم شامل ، يدل على نزعة عامة « . . . مرتبطة بأكثر شروط الأوالية النفسية جذرية ، (أي قانون الثبات) »(3a) والتي يمكنها أن تتخذ أشكالاً سوية أو مرضية سواء بسواء ، مع تخصصها في هذه الحالة الأخيرة ، إلى « أواليات » معقدة يلقى فيها كل من العاطفة والتصور مصائر مختلفة . وإذا كان الكبت ، بدوره ، حاضراً كونياً في مختلف الإصابات ولا يقتصر كأوالية دفاعية خاصة ، على الهستيريا ، فذلك لأن مختلف الأعصبة تتضمن جميعاً لا وعياً (أنظر هذه الكلمة) منفصلاً « ينشئه » الكبت على وجه التحديد .

ثانياً ـ تضاءل إستخدام فرويد لمصطلح الدفاع بعد عام 1900، ولكنه لم يبلغ حد الزوال كما إدعى فرويد (« كما بدأت أقول الكبت عوضاً عن الدفاع »)(4) ، بل إحتفظ بنفس المعنى الشمولي . إذ يتحدث فرويد عن « أواليات دفاع » ، وعن « معركة دفاع » إلخ .
وأما مصطلح الكبت ، فهو لم يفقد أبداً « خصوصيته » كي يندمج بكل بساطة في مفهوم أشمل يتضمّن مجمل التقنيات الدفاعية المستخدمة في التعامل مع الصراع النفسي . فنلاحظ مثلاً أن فرويد حين يعالج مسألة « الدفاعات الثانوية » (أي الدفاعات ضد العارض نفسه) فإنه لا يصفها مطلقاً على أنها « كبت » ثانوي(5) . وفي الأساس ، تحتفظ فكرة الكبت ، في النص المخصص لها عام 1915 ، بالمعنى المتعارف عليه المستخلص أعلاه . « يتلخص جوهرها في واقعة الإستبعاد عن الوعي والإحتفاظ بما إستبعد على مسافة منه »(6a) . ويُعتبر الكبت أحياناً من قبل فرويد ، بهذا المعنى « كأوالية دفاعية » خاصة أو بالأحرى « كقدر للنزوة » كفيل بأن يستعمل كدفاع . فهو يلعب دوراً رئيسياً في الهستيريا ، بينما يندرج في العصاب الهجاسي في عملية دفاعية أكثر تعقيداً(6b) . لا يجوز إذاً أن نتخذ حجة من ورود وصف الكبت في العديد من الأعصبة ، كي نستنتج كما فعل

ناشرو « الطبعة المعيارية »(7) ، أن الكبت « يعادل » إذاً « الدفاع » : فهو يصادف في كل إصابة كإحدى خطوات العملية الدفاعية ، إذا أخذناه بمعناه المحدد جداً أي الكبت في اللاوعي .

على أن أوالية الكبت التي درسها فرويد في مراحلها المتباينة ، تشكل بالنسبة إليه نوعاً من النموذج الأولي لعمليات دفاعية أخرى ؛ وهكذا يرجع في حالة شرايبر ، خلال بحثه لاستخلاص أوالية دفاعية خاصة بالذهان ، إلى مراحل الكبت الثلاث مبيناً بالمناسبة النظرية التي تقوم عليها . ولا شك أننا نقترب ، في هذا النص ، إلى أكبر حد من الخلط ما بين الكبت والدفاع ، ولا يقتصر هذا الخلط فقط على المستوى الاصطلاحي المحض ، بل هو يؤدي إلى صعوبات في الأساس (أنظر : إسقاط) .

ثالثاً : أخيراً ، لا يفوتنا أن ننتبه إلى ما كتبه فرويد في تعليقه على كتاب أنا فرويد ، بعد أن كان قد سبق له إدراج الكبت في فئة الأواليات الدفاعية ، قائلاً : « لم يتطرق إليّ الشك مطلقاً في أن الكبت لم يكن الإجراء الوحيد في حوزة الأنا للتعامل مع مراميه . إنما يظل الكبت شيئاً خاصاً تماماً ، يتميز عن بقية الأواليات بشكل أوضح مما تتميز به هذه عن بعضها البعض »(8) .

* * *

« نظرية الكبت هي حجر الزاوية الذي تقوم عليه كل عمارة التحليل النفسي »(9) . فقبل فرويد ، يصادف مصطلح الكبت عند هربارت ، (10) ، ويذهب بعض الكتاب إلى أن فرويد تعرّف على سيكولوجية هربارت(11) من خلال ماينرت . ولكن الكبت قد فرض نفسه حقاً كواقعة عيادية منذ محاولات العلاج الأولى للهستيريا ، حيث يجد فرويد أنه ليس بحوزة المرضى ذكريات تحتفظ مع ذلك بكامل نضارتها حين تسترجع : « يتعلق الأمر بأشياء يريد المريض أن ينساها ، وهو يبقيها عن قصد ، ويدفع بها ، ويكبتها بعيداً عن تفكيره الواعي »(12) .

وهكذا نرى أن فكرة الكبت تظهر ، مباشرة ، حين نضع إصبعنا هنا على أصلها، متلازمة مع فكرة اللاوعي (وسيستمر مصطلح المكبوت زمناً طويلاً مرادفاً بالنسبة لفرويد لمصطلح اللاوعي ، إلى حين إستخلاص فكرة دفاعات الأنا اللاواعية) . وأما تعبير « عن قصد » فإن فرويد لا يستخدمه منذ ذلك الحين (أي عام 1895) إلا بتحفظ : إذ يتم التمهيد فقط لانشطار الوعي من خلال فعل قصدي . ذلك أن المحتويات المكبوتة تفلت من سيطرة الشخص وتكون محكومة ، باعتبارها « طائفة نفسية منفصلة » بقوانين خاصة بها (العمليات الأولية) . فالتصور المكبوت يشكل بحد ذاته « نواة بلْوَرَةٍ » أولى قادرة على إجتذاب تصورات أخرى شديدة الوطأة بدون أي حاجة لتدخل القصد الواعي(3) . وبهذا القدر ، فإن عملية الكبت نفسها تتأثر بالعملية الأولية . وهذا ما يميزه بالتحديد كدفاع مرضي بالمقارنة مع دفاع سوي من نمط التجنب مثلاً(3b) . وأخيراً ، يوصف الكبت منذ البدء كعملية دينامية ، تتضمن الحفاظ على توظيف مضاد ، ومعرضة دوماً للتفشيل من قبل قوة الرغبة اللاواعية التي تجهد للعودة إلى الوعي والحركية (أنظر : عودة المكبوت ، تكوين التسويات) .

إنكب فرويد خلال الأعوام 1911 - 1915 على وضع نظرية متناسقة عن عملية الكبت ، مميزاً فيها مرحلات مختلفة . وتجدر الإشارة بهذا الصدد أن هذه المحاولة لا تشكل في الواقع إرصانه النظري

الأول لهذه المسألة . إذ يتوجب في الواقع ، في نظرنا ، إعتبار « نظريته » في الغواية كمحاولة منهجية أولى لتبيان الكبت ، وتزداد جدارة هذه المحاولة بالإهتمام لأنها لا تعزل وصف الأوالية عن الموضوع الإنتقائي الذي تنصب عليه ، ونعني به الجنسية .

يميز فرويد، في مقالته بعنوان « الكبت عام 1915 » بين كبت بالمعنى الواسع (ويتضمن 3 خطوات) وكبت بالمعنى الضيق ، وهو ليس سوى الخطوة الثانية من الكبت الواسع . الخطوة الأولى هي « الكبت الأصلي » ؛ الذي لا ينصب على النزوة بحد ذاتها بل على إشارتها ، وعلى « تصوراتها » التي لا تنفذ إلى الوعي والتي تظل النزوة مثبتة عليها . وهكذا تنشأ نواة أولى لا واعية تلعب دور القطب الجاذب تجاه العناصر التي ستكبت لاحقاً .

وهكذا يكون الكبت الفعلي (Eigentliche verdrängung) أو « الكبت البعدي » (Nachdrangen) عملية مزدوجة تجمع إلى هذا الجذب الأولي نبذاً (Abstossung) من قبل ركن أعلى .

وأما الخطوة الثالثة فهي « عودة المكبوت » على شكل أعراض ، وأحلام ، وهفوات ، إلخ .

علامَ ينصب الكبت ؟ تجب الإشارة أنه لا ينصب لا على النزوة (14a) التي تفلت، باعتبارها عضوية ، من خيار الوعي - اللاوعي ، ولا على العاطفة . فهذه الأخيرة قد تتعرض لتحولات متنوعة بالتلازم مع الكبت ، ولكنها لا يمكن أن تصبح لا واعية بالمعنى الحصري للكلمة (14b) (أنظر : قمع) . فقط « ممثل - تصور » النزوة (من أفكار وصور) هي التي تكبت . ترتبط هذه العناصر الممثلة بالمكبوت الأولي ، إما لأنها تصدر عنه أصلاً ، أو لدخولها في ترابط طارىء معه . ويفرد الكبت لكل منها مصيراً منفصلاً « فردياً تماماً » تبعاً لدرجة تحويرها ، ولبعدهما عن النواة اللاواعية ، أو لقيمتها العاطفية .

***

يمكن إستعراض عملية الكبت من خلال السجل الثلاثي لما وراء علم النفس :

أ - من وجهة نظر موقعية : إذا كان الكبت قد وصف في النظرية الأولى عن الجهاز النفسي باعتباره إبقاءً خارج الوعي ، فإن فرويد لا يرجع رغم ذلك ، ، الركن الكابت إلى الوعي . فالرقابة هي التي تقدم نموذج السلطة الكابتة . وأما في النظرية الثانية ، فيعتبر الكبت كعمليه دفاعية من قبل الأنا (تكون لا واعية جزئياً) ؛

ب - أما من وجهة نظر إقتصادية ، فيفترض الكبت عمليه معقده من سحب التوظيفات ، وإعادة التوظيفات ، والتوظيفات المضادة ، التي تنصب جميعاً على ممثلي النزوة ؛

جـ - وأما من وجهة نظر دينامية ، فتتركز المسأله الرئيسيه حول أسباب الكبت : فكيف يحدث أن تصل نزوة تحمل اللذة في إشباعها من حيث المبدأ ، إلى حد إثارة إزعاج يؤدي إلى إطلاق عملية الكبت ؟ (أنظر حول هذه النقطة : دفاع) .

(1) Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. G.W., XIV, 195 ; S.E., XX, 163 ; Fr., 92.

(2) Cf. par exemple : Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W. I, 68-9 ; S.E., III, 54-5.

(3) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 157 ; Angl., 146 ; Fr., 130. — *b)* Cf. All., 431-2 ; Angl., 409-10 ; Fr., 363.
(4) Freud (S.). *Meine Ansichten über die Rolle der Sexualität in der Ätiologie der Neurosen*, 1905. G.W., V, 156 ; S.E., VII, 276.
(5) Cf. Freud (S.). *Bemerkungen uber einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. G.W., VII, 441-2 ; S.E., X, 224-5 ; Fr., 281-2.
(6) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. — *a)* G.W., X, 250 ; S.E., XIV, 147 ; Fr., 70. — *b)* Cf. G.W., X, 259-61 ; S.E., XIV, 156-8 ; Fr., 86-90.
(7) Cf. S.E., XIV, 144.
(8) Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. G.W., XVI, 81 ; S.E., XXIII, 236 ; Fr., in *R.F.P.*, 1939, XI, 2.
(9) Freud (S.). *Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung*, 1914. G.W., X, 54 ; S.E., XIV, 16 ; Fr., 273.
(10) Cf. Herbart (J.-F.). *Psychologie als Wissenschaft*, 1824, 341. et *Lehrbuch zur Psychologie* 1806, in *Samlliche Werke*, V, 19.
(11) Cf. Jones (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, Hogarth Press, London, 1953. Angl., I, 309 ; Fr., P.U.F., Paris, I, 311, et Andersson (O.). *Studies in the Prehistory of Psychoanalysis*, Svenska Bokförlaget, Norstedts, 1962, 116-7.
(12) Breuer (J.) et Freud (S.). Über den psychischen Mechanismus hysterischer Phänomene, 1893, in *Studien uber Hysterie* G.W., I, 89 ; S.E., II, 10 ; Fr., 7.
(13) Cf. Freud (S.). *Studien uber Hysterie*, 1895. G.W., I, 182 ; S.E., II, 123 ; Fr., 96.
(14) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915 — *a)* G.W., X, 275-6 ; S.E., XIV, 177 ; Fr., 112. — *b)* G.W., X, 276-7 ; S.E., XIV, 177-8 ; Fr., 113-4

كبت أصلي ، أولي

Refoulement originaire

Eng. : Primal repression

D. : Urverdrängung

■ إنها عملية إفتراضية يصفها فرويد على أنها خطوة أولى في عملية الكبت . ينتج عنها تكوين بعض التصورات اللاواعية أو « المكبوت الأصلي » . وفيما بعد تسهم هذه النوى Noyaux اللاواعية التي تشكلت على هذا الغرار في الكبت الفعلي من خلال الجذب الذي تمارسه على المحتويات التي ستكبت ، بالتآزر مع النبذ الصادر عن المراجع العليا ■ .

يشيع في الترجمات الفرنسية إستعمال مصطلحات الكبت الأولي ، والكبت البدائي ، والكبت الأساسي . ولقد فضلنا من جانبنا أن نستخدم كلمة أصلي للتعبير عن المقدمة الألمانية Ur ؛ التي تجدر الإشارة إلى تواجدها في مصطلحات فرويدية أخرى ، من مثل Urphantasie (هوام أصلي) و URSZENE (مشهداً أصلي) .

مهما بلغ غموض فكرة الكبت الأصلي ، فهي تشكل رغم كل ذلك ركناً أساسياً من نظرية الكبت الفرويدية ، وتتواجد طوال أعمال فرويد إبتداءً من دراسة حالة شرايبر . ولقد إفترض وجود الكبت الأصلي في المقام الأول إنطلاقاً من آثاره : إذ لا يمكن . تبعاً لفرويد أن يكبت تصور ما ، إلا إذا تعرض في نفس الوقت إلى جذب من قبل المحتويات الموجودة مسبقاً في اللاوعي ، إضافة إلى الفعل الصادر عن الهيئة العليا . ولكن بالمقابل ، لا بد من تبيان علة وجود التكوينات اللاواعية التي لم يسبق أن جذبت هي بدورها من قبل تكوينات سابقة عليها : ذلك هو دور « الكبت الأصلي » الذي

يتميز عن الكبت الفعلي أو الكبت البعدي . حتى في العام1926 ، يصرح فرويد بأن معارفنا حول طبيعة الكبت الأصلي ، لا تزال جد محدودة(1a) . إنما يبدو أنه بالإمكان إستخلاص بعض النقاط من الفرضيات الفرويدية (أ) .

أولاً : ـ هناك صلات وثيقة بين الكبت الأصلي والتثبيت . ففي دراسة حالة شرايبر، وصفت الخطوة الأولى في الكبت على أنها حالة من التثبيت(2) . وإذا كان ينظر إلى التثْبيت ، في هذا النص ، على أنه « صد للنمو » ، فإن المصطلح لا يتخذ في مواضع أخرى هذا المعنى التكويني الضيق ، ولا يدل فقط على التثبيت على مرحلة لبيدية ، بل أيضاً على تثبيت النزوة على تصور معين وعلى « تسجيل » هذا التصور في اللاوعي : « نحن إذاً على حق في قولنا بكبت أصلي ، أي بمرحلة أولى من الكبت تتلخص في حرمان الممثل النفسي (الممثل ـ التصور) للنزوة من قبوله في الوعي . ومع هذا يحدث التثبيت ؛ ويستمر بقاء التصور المقابل لذلك بشكل دائم لا تحوّل فيه كما تستمر النزوة مرتبطة فيه »(3) .

ثانياً : ـ وإذا كان الكبت الأصلي هو مصدر التكوينات اللاوعية الأولى ، فإنه ليس بالإمكان تفسير أواليته من خلال توظيف معين من قبل اللاوعي ؛ كما أنه لا ينطلق من سحب التوظيف من نظام ما قبل الوعي ـ الوعي ، بل ينطلق فقط من توظيف مضاد . « فهو [أي التوظيف المضاد] الذي يمثل التغذية الدائمة لعملية الكبت الأصلي ، والذي يضمن إستمراره أيضاً . التوظيف المضاد هو إذاً الأوالية الوحيدة والفريدة للكبت الأصلي ؛ بينما يضاف إليه في الكبت الفعلي (الكبت البَعدي) سحب التوظيف ما قبل الواعي »(4) .

ثالثاً : ـ ويستمر الغموض حول طبيعة هذا التوظيف المضاد . فمن غير المحتمل ، تبعاً لفرويد ، أن يصدر هذا التوظيف المضاد عن الأنا الأعلى الذي لا يتكون إلا بعد الكبت الأصلي . وقد يتعين علينا على الأغلب البحث عن أصله في تجارب أثرية جد قوية . « من المعقول جداً أن تكون عوامل كمية من مثل الإثارات المفرطة في شدتها وما يرافقها من إختراق لصادات ـ الإثارات هي المناسبات الأولى التي تحدث فيها حالات الكبت الأصلي »(1b) .

(أ) يجد القارىء محاولة لتفسير فكرة الكبت الأصلي في مقالة ج . لابلانش و س . لكلير ، بعنوان « اللاوعي » في مجلة الأزمنة الحديثة ، عام1961 المجلد17 العدد183 .

(1) Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. — *a)* Cf. G.W., XIV, 121 ; S.E., XX, 94 ; Fr., 10. — *b)* G.W., XIV, 121 ; S.E., XX, 94 ; Fr., 10.

(2) Cf. Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. G.W., VIII, 303-4 ; S.E., XII, 67 ; Fr., 311.

(3) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. G.W., X, 250 ; S.E., XIV, 148 ; Fr., 71.

(4) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 280 ; S.E., XIV, 181 ; Fr., 120.

كسب أولي وثانوي من المرض

Bénéfice primaire et secondaire de la maladie

Eng. : Primary and secondary gain from illness.

D.: Primarer und sekundarer Krankheitsgewinn

■ يدل الكسب من المرض بشكل عام ، على كل إشباع مباشر أم غير مباشر يحصل عليه الشخص من مرضه .

أما الكسب الأولي فهو ذاك الذي يدخل في الإعتبار في الدافع ذاته إلى العصاب أي : الإشباع الذي يحصل عليه من العارض ، والهروب في المرض ، وتعديل العلاقات مع المحيط لصالح المريض .

ويمكن للكسب الثانوي أن يتميز عن سابقه بما يلي :

- حدوثه بشكل بعدي كمكسب إضافي ، أو إستغلال الشخص لمرض قائم سابقاً .
- طابعه الهامشي بالنسبة لحتمية المرض الأولية ولمعنى الأعراض .
- يتعلق الأمر بإشباعات نرجسية أو مرتبطة بحفظ الذات أكثر من تعلقه بإشباعات ليبدية مباشرة ■ .

لاتنفصل النظرية الفرويدية للعصاب ، منذ بداياتها ، عن فكرة إنطلاق المرض وإستمراره بسبب الإشباع الذي يؤمنه للشخص . حيث تمثل العملية العصابية لمبدأ اللذة وتنزع إلى الحصول على كسب إقتصادي على شكل خفض في التوتر . يوضح هذا المكسب مقاومة الشخص للعلاج التي تُمَثِّل الرغبة الواعية في الشفاء .

على أن التمييز بين الكسب الأولي والكسب الثانوي لم يبرز عند فرويد إلا في مرحلة متأخرة وبشكل جد تقريبي . وهكذا يبدو أن فرويد قد بدأ بالدفاع في « حالة دورا » عن الفكرة التي تذهب إلى أن دواعي المرض تكون دوماً ثانوية بالنسبة إلى تكوين الأعراض . فقد لا يكون لهذه الأعراض وظيفة إقتصادية في البداية ، مما قد يجعلها تظل عابرة إذا لم يتم تثبيتها في مرحلة تالية : « فقد يجد تيار نفسي معين من الملائم له إستغلال العارض ، مما يجعل هذا الأخير يكتسب وظيفة ثانوية مما قد يرسخه في النفس »(1a) .

ولقد أعاد فرويد النظر لاحقاً بهذه المسألة في «محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عام 1916- 1917 »(2a) وكذلك في ملاحظة تصويبية أضيفت إلى دراسة « حالة دورا » في العام(1b) 1923 .

يرتبط «الكسب الأولي » بحتمية الأعراض ذاتها . ويميز فرويد قسمين منه : يتمثل « القسم الداخلي من الكسب الأولي » في خفض التوتر الذي يقدمه العارض؛ إذ أن هدف هذا العارض مهما كان مؤلماً هو تجنيب الشخص صراعات أكثر ألماً في بعض الأحيان : وهذا ما يطلق عليه إسم أوالية « الهروب في المرض » . وأما « القسم الخارجي من الكسب الأولي » فهو أميل إلى الإرتباط بما يجره العارض من تغيرات في علاقات الشخص مع الاخرين . وهكذا يمكن لأمرأة « مقموعة من قبل زوجها » أن تحصل بفضل عصابها ، على مزيد من الرقة والإهتمام ، في نفس الوقت الذي تنتقم فيه

من سوء المعاملة التي تعرضت لها .

ولكن إذا كان فرويد قد أشار إلى هذا الجانب الأخير من الكسب باستخدام تعابير « خارجي » أو عارض » فذلك لأنه من العسير رسم الحدود التي تفصله عن الكسب « الثانوي » .

يرجع فرويد في وصفه لهذا الكسب الثانوي إلى حالة العصاب الصدمي أو حتى إلى حالة العاهة الجسمية الناجمة عن حادث ما . إذ يتجسد الكسب الثانوي هنا بالتعويض المدفوع لصاحب العاهة ، مما يشكل دافعاً قوياً ضد إعادة التأهيل : « إذا ما خلصته من عاهته ، فإنك تحرمه بادىء ذي بدء من وسائل عيشه ، ذلك أنه يجدر التساؤل هنا عما إذا كان لا يزال في مقدوره العودة إلى عمله السابق »(2b) .

من السهل إنطلاقاً من هذا المثال الواضح ، استخلاص الخصائص الثلاث التي تحدد الكسب الثانوي . ولكن حتى في مثل هذه الحالة ، يجدر بنا أن نوضح ضرورة التساؤ ل حول الدوافع اللاواعية للحادث ، كما تفرضه علينا الأبحاث المعاصرة في هذا المضمار . أو لا يكون التمييز (بين كسب أولي وكسب ثانوي) أكثر غموضاً حين نكون بصدد عصاب ، أو من باب أولي عصاب عبر صدمي ؟ في الواقع ، من الجائز أن يكون الكسب الثانوي الذي أتى في مقام تالٍ زمنياً ، وبدا خارجياً في الظاهر ، متوقعاً ومستهدفاً في إنطلاق العارض . أما المظهر الموضوعي للكسب الثانوي فهو غالباً ما يغطي طابعه الليبيدي العميق : فقد يحيلنا المعاش المدفوع لذي العاهة ـ إذا ما رجعنا إلى تلك الحالة ـ رمزياً إلى نوع من الإتكال من نمط طفل ـ أم .

وبالقدر الذي نأخذ فيه بعين الإعتبار ركن الأنا في ميله الذي يكاد يكون « إضطرارياً » نحو التوليف (أنظر : الأنا) فإن وجهة النظر الموقعية هي على الأغلب أفضل ما يتيح لنا فهم المستهدف من وراء مصطلح الكسب الثانوي . يتصدى فرويد لهذه المسألة في الفصل الثالث من « الصد ، العارض والقلق عام 1926 » حيث تتضح فكرة الكسب الثانوي بالمقارنة مع « المعركة الدفاعية الثانوية » التي يخوضها الأنا ، ليس ضد الرغبة مباشرة ، بل ضد العارض الذي تم تكوينه . إذ يبدو كل من الدفاع الثانوي والكسب الثانوي كنموذجين من رد الأنا على هذا « الجسم الغريب » الذي يكونه العارض في البداية « . . . يتصرف الأنا وكأنه يسترشد بفكرة رسوخ العارض وعدم إمكانية إزالته : وبالتالي فليس هناك من بديل سوى التحالف مع هذه الوضعية والحصول على أكبر منفعة ممكنة منها »(3) . يميز فرويد في هذا المكسب الثانوي من المرض الذي يشكل إدماجاً حقيقياً للعارض في الأنا ، ما بين الفوائد التي يتم الحصول عليها من العارض على مستوى حفظ الذات من ناحية ، وبين الإرضاءات النرجسية الفعلية من ناحية ثانية .

وخلاصة القول ، يتعين علينا الإشارة إلى أنه لا يجوز لتسمية الكسب الثانوي أن تقف عائقاً في وجه البحث عن الدوافع المرتبطة مباشرة بدينامية العصاب . وتصح نفس الملاحظة بصدد حالة تلك العلاجات التحليلية النفسية حيث تثار فكرة الكسب الثانوي لتفسير الواقعة التي يبدو فيها أن المريض يجد في تمسكه بوضعية النقلة إشباعاً أكبر من الإشباع الذي ينشده في الشفاء .

(1) FREUD (S.). *Bruchstück einer Hysterie-Analyse*, 1905. — *a)* G.W., V, 203 ; S.E., VII, 43 ; Fr., 30. — *b)* Cf. G.W., V, 202-3, n. 1 ; S.E., VII, 43, n. 1 ; Fr., 30, n. 1.
(2) FREUD (S.). *a)* Cf. G.W., XI, 395 sqq. ; S.E. XVI, 381 sqq. ; Fr., 409 sqq. — *b)* G.W., XI, 399 ; S.E., XVI, 384 ; Fr., 412.
(3) FREUD (S.). G.W., XIV, 126 ; S.E., XX, 99 ; Fr., 15.

Latence (Période de —) كمون (فترة الـ —)

Eng.: Latency period

D.: Latenzperiode , Latenzzeit

■ هي الفترة التي تمتد من أفول الجنسية الطفلية (في العام الخامس أو السادس) حتى بداية البلوغ وتمثل فترة توقف في تطور الجنسية . ويلاحظ فيها ، من وجهة النظر هذه تضاؤل في النشاطات الجنسية ، وسلخ الطابع الجنسي عن علاقات الموضوع والمشاعر (وطغيان الرقة مقارنة بالرغبات الجنسية بشكل مميز)، مع ظهور مشاعر من مثل الحياء والإشمئزاز، وتطلعات أخلاقية وجمالية . تشتق فترة الكمون أصلها ، تبعاً لنظرية التحليل النفسي ، من أفول عقدة الأوديب ؛ حيث تتطابق مع تصعيد حدة الكبت ـ الذي ينتج عنه نسيان ينسحب على السنوات الأولى ـ مع تحول توظيفات الموضوعات إلى تماهيات بالأهل ، ونمو عمليات التسامي ■ .

يمكن بادىء ذي بدء فهم فكرة فترة الكمون الجنسي (ا) ، من وجهة نظر بيولوجية محضة ، باعتبارها فترة إستراحة محددة مسبقاً بين « إندفاعتين » للبيدو (ب) لا تستلزم من ناحية منشئها أي تفسير نفساني . ويمكن عندها أن توصف أساساً إنطلاقاً من آثارها ، كما هو الحال في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » (1a) .

يستعرض فرويد مفهوماً بيولوجياً من هذا القبيل حين يربط ما بين فترة الكمون وبين أفول عقدة الأوديب حيث يقول : « . . . يتحتم أن تختفي عقدة الأوديب لأنه حانت لحظة زوالها ، تماماً كما تتساقط أسنان الحليب حين تنمو الأسنان النهائية » (2a) . ولكن إذا كانت « إندفاعة » البلوغ التي تحدد نهاية فترة الكمون مسألة لا مراء فيها ، فإننا لا نفهم مع أي حتمية بيولوجية مسبقة يتطابق الدخول في فترة الكمون . وهكذا فلا داعٍ « . . . لإشتراط تطابق كامل ما بين التكوين التشريحي وبين النمو النفسي » (1b) .

وهكذا ينقاد فرويد من أجل تبيان أفول الأوديب ، إلى القول « باستحالته الداخلية » (2b) . أي القول بنوع من التضارب ما بين البنية الأوديبية وإنعدام النضج البيولوجي : « . . . فالغياب المستمر للإشباع المأمول ، والإحباط الدائم الذي يصيب الطفل الذي يأمل ذلك الإشباع ، يرغمان العاشق الصغير على التخلي عن شعور لارجاء منه » (2c) .

وفي نهاية المطاف ، لا يتسنى فهم الدخول في فترة الكمون إلا بالرجوع إلى تطور عقدة الأوديب ونماذج حلها لدى كل من الجنسين (أنظر : عقدة الأوديب ، وعقدة الخصاء) .

كما يتضافر فعل التكوينات الإجتماعية ثانوياً مع الأنا الأعلى لتعزيز الكمون الجنسي : فهذا

الكمون » . . . ليس بمقدوره أن يحدث توقفاً تاماً في الحياة الجنسية إلا في التنظيمات الحضارية التي تدرج في مخططاتها قمع الجنسية الطفلية . وليست تلك هي حالة معظم الشعوب البدائية »(3) .

ولا يغيب عن بالنا ملاحظة حديث فرويد عن فترة كمون وليس عن مرحلة ، مما يتوجب فهمه على الشكل التالي : إذا كان بالإمكان ملاحظة تجليات جنسية ، خلال هذه الفترة موضع البحث ، فليس هناك من مجال للكلام الدقيق عن تنظيم جنسي جديد .

(أ) يقول فرويد بأنه إستعار هذا المصطلح من فلهلم فلايس .

(ب) نجد في رسالة إلى فلايس(4) إشارة أولية من قبل فرويد إلى فترات حياتية وإلى عصور إنتقالية « يحدث خلالها الكبت بوجه عام » .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., V, 77-80 ; S.E., VII, 176-9 ; Fr., 69-72. — *b)* G.W., V, 77, n. 2 ajoutée en 1920 ; S.E., VII, 222-3, n. ; Fr., 178, n. 43.

(2) Freud (S.). *Der Untergang des Ödipuskomplexes*, 1924. — *a)* G.W., XIII, 395 ; S.E., XIX, 173 ; Fr., 394. — *b)* G.W., XIII, 395 ; S.E., XIX, 173 ; Fr., 394. — *c)* G.W., XIII, 395 ; S.E., XIX, 173 ; Fr., 394.

(3) Freud (S.). *Selbstdarstellung*, 1925. G.W., XIV, 64, n. 2 ajoutée en 1935 ; S.E., XX, 37, n. 1 ; Fr., note non traduite.

ل

لبيدو **Libido**

Eng.: Libido

D.: Libido

■ إفترض فرويد هذه الطاقة كأساس لتحولات النزوة الجنسية من حيث الموضوع (إزاحة التوظيفات) ، ومن حيث الهدف (كالتسامي مثلاً) ، ومن حيث مصدر الإثارة الجنسية (تنوع المناطق المولدة للغلمة) .

إتسعت فكرة اللبيدو عند يونغ كي تدل على « الطاقة النفسية » عموماً والماثلة في كل ما هو « نزعة نحو » أو شهوة لشيء ما ■ .

يعني مصطلح اللبيدو في اللاتينية ، شهوة أو رغبة . ويصرح فرويد بأنه قد أخذه عن أ . مول . وفي الواقع فإننا نصادفه تكراراً في الرسائل والمخطوطات الموجهة إلى فلايس ، ويصادف لأول مرة في المخطوطة (هـ) (وتاريخها المحتمل هو حزيران من عام1894) .

ومن الصعب تقديم تعريف للبيدو يحوز الرضى تماماً . إذ لا يقتصر الأمر على تطور نظرية اللبيدو مع مختلف مراحل نظرية النزوات ، بل يتعداه وصولاً إلى أن هذا المفهوم بحد ذاته لم يحظ بتعريف قاطع (١) . على كل حال ، أقر له فرويد على الدوام بخاصيتين أصيلتين :

1 ـ لا يقبل اللبيدو الرد من وجهة نظر كيفية إلى طاقة ذهنية غير نوعية كما أراد يونغ ذلك . وإذا كان بالإمكان تجريده من «طابعه الجنسي » ، خصوصاً في التوظيفات النرجسية ، فان ذلك لا يحدث إلا بشكل ثانوي بالضرورة ، ومن خلال التخلي عن الهدف الجنسي النوعي .

ومن ناحية ثانية ، لا يغطي اللبيدو أبداً كل المجال النزوي . فهو ، في مفهوم أول ، يتعارض مع نزوات حفظ الذات . وحين تبدو هذه النزوات ذات طبيعة لبيدية ، كما هو الحال في آخر مفهوم لفرويد بهذا الخصوص ، ينتقل التعارض كي يصبح ما بين اللبيدو وبين نزوات الموت . وهكذا فالواحدية اليونغية (بصدد طبيعة اللبيدو) لم تُقْبَلْ أبداً ، في حين إستمر الحفاظ على طابعه الجنسي .

2 ـ يتأكد اللبيدو كمفهوم كمي بإضطراد : فهو « . . . يتيح قياس العمليات والتحولات في

مجال الإثارة الجنسية »(1a) . « فمن المفروض أن يتيح لنا إنتاجه ، وزيادته ، أو نقصانه ، وتوزعه وإنتقاله الوسائل الكفيلة بتفسير الظواهر النفسية الجنسية »(1b) .

يؤكد التعريف التالي الذي قدمه فرويد للبيدو على هاتين الخاصيتين : « الليبيدو هو تعبير مستعار من نظرية العواطف . نطلق تسمية الليبيدو على طاقة تلك النزوات ذات الصلة بكل ما يمكن أن يدخل تحت إسم الحب ، مأخوذة من ناحية حجمها الكمي - بالرغم من كونها غير قابلة للقياس حالياً »(2) .

وبإعتبار أن النزوة الجنسية تقع على الحدود ما بين الجسدي والنفسي ، يشير الليبيدو إلى الجانب النفسي منها ؛ فهو« التعبير الدينامي عن النزوة الجنسية في الحياة النفسية »(3) . ولقد قدّم فرويد مفهوم الليبيدو في كتاباته الأولى حول عصاب القلق (عام1896) بإعتباره طاقة متميزة تماماً عن الإثارة الجنسية الجسدية : يؤدي قصور « الليبيدو النفسي » إلى الإبقاء على التوتر على الصعيد الجسدي حيث يترجم إلى أعراض ، في غياب الإرصان النفسي . وإذا « . . . غابت بعض الشروط النفسية جزئياً » (4) ، تظل الإثارة الجنسية الداخلية مفلتة من السيطرة ، مما لا يتيح للتوتر أن يستعمل نفسياً ، وهذا ما يؤدي إلى الإنشطار ما بين الجسدي والنفسي ، وبالتالي إلى بروز القلق .

يظل الليبيدو - الذي هو بالنسبة إلى الحب ، كالجوع بالنسبة إلى غريزة التغذية - في الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » قريباً من الرغبة الجنسية الباحثة عن الإشباع كما يتيح لنا العثور على تحولاتها : ذلك أن الأمر كان يتعلق في ذلك الحين بليبيدو الموضوع دون سواه ؛ حيث كنا نرى هذا الليبيدو يتركز على بعض الموضوعات ، ويتثبت عليها أو يهجرها ، تاركاً موضوعاً معيناً من أجل آخر سواه .

وبإعتبار أن النزوة الجنسية تمثل قوة تمارس « إندفاعاً » يُعرّف فرويد الليبيدو على أنه طاقة تلك النزوة . وإنطلاقاً من مفهوم النرجسية وليبيدو الأنا سيطغى هذا المظهر الكمي فيما سيصبح من بعد « نظرية الليبيدو » .

تؤدي فكرة « ليبيدو الأنا » في الواقع ، إلى تعميم الإقتصاد الليبيدي الذي يتضمن كل لعبة التوظيفات والتوظيفات المضادة ، ويلطّف ما كان بإمكان مصطلح الليبيدو أن يشيره من دلالات ذاتية ؛ ومما يجعل النظرية إفتراضية بشكل صريح ، تبعاً لقول فرويد ذاته . وبالإمكان التساؤل حول ما إذا كان إدخال فكرة الإيروس في « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » بإعتباره المبدأ الأساسي لنزوات الحياة ، أي نزعة المتعضيات إلى الحفاظ على تماسك المادة الحية ، وإلى خلق وحدات جديدة ، لم يقصد به فرويد إيجاد البعد الذاتي والكيفي الملازم لفكرة الليبيدو منذ البداية ، إنما على صعيد الأسطورة البيولوجية .

(أ) أوضح النصوص الفرويدية حول تطور نظرية الليبيدو هي المقالة بعنوان «Libido theorie» عام1922 ، والفصل السادس والعشرون من محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عامي1916 -1917 .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* Passage ajouté en 1915, G.W., V, 118 ; S.E., VII, 217 ; Fr., 126. — *b)* G.W., V, 118 ; S.E., VII, 217 ; Fr., 126.

(2) Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 98 ; S.E.,

XVIII, 90 ; Fr., 100.
(3) Freud (S.). « Psychoanalyse » und « Libidotheorie », 1922. G.W., XIII, 220 : S.E., XVIII, 244.
(4) Freud (S.). Aus den Anfängen der Psychoanalyse, 1887-1902. All., 101 ; Angl., 91 ; Fr., 83.

ليبدو الأنا ـ ليبدو الموضوع
Libido du moi — Libido d'objet
Eng. : Ego- Libido — object- libido.
D. : Ichlibido — objektlibido.

■ قدّم فرويد هذين المصطلحين للتمييز بين أسلوبين في توظيف الليبدو : فهو قد يتخذ من الشخص ذاته موضوعاً له (ذلك هو ليبدو الأنا أو النرجسي) ، أو يتخذ موضوعاً خارجياً (وذاك هو ليبدو الموضوع) . وهناك تبعاً لفرويد توازن طاقوي ما بين هذين الأسلوبين في التوظيف ، إذ يتضاءل ليبدو الموضوع حين يزداد ليبدو الأنا والعكس بالعكس ■ .

إن دراسة حالات الذهان هي التي دفعت بفرويد خصوصاً للإعتراف بأن الشخص قد يتخذ من شخصية الذاتي موضوعاً لحبه (أنظر : نرجسية) ، وهو ما يعني بمصطلحات طاقوية أن الليبدو يمكن أن يوظف في الأنا أو في موضوع خارجي سواء بسواء . ذاك هو أصل التمييز الذي طرح ما بين ليبدو الأنا وليبدو الموضوع . ولقد عولجت المشكلات الإقتصادية التي يثيرها هذا التمييز في مقالة « من اجل تقديم النرجسية عام1914 » .

فتبعاً لفرويد ، يبدأ الليبدو بأن يوظف في الأنا (النرجسية الأولية) قبل أن يتوجه ، إنطلاقاً من الأنا ، إلى الموضوعات الخارجية : « وهكذا وضعنا لأنفسنا تصوراً لتوظيف ليبدي أصلي في الأنا ، ويتم فيا بعد التنازل عن جزء من هذا التوظيف للموضوعات ، إنما يستمر توظيف الأنا أساساً ويتصرف تجاه توظيفات الموضوع ، كما يتصرف جسم الحيوان وحيد الخلية تجاه الأطراف الكاذبة التي تصدر عنه »(1a) .

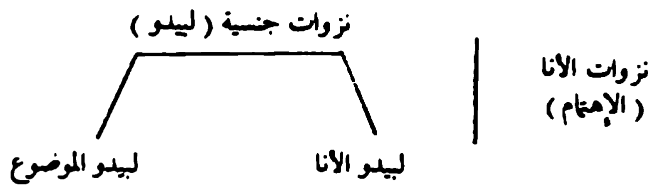
يشكل إنسحاب ليبدو الموضوع إلى الأنا ما يعرف بإسم النرجسية الثانوية ، كما يمكن أن تلاحظ في الحالات الذهانية خصوصاً (كالهكع ، وهذيان العظمة) .

وأما من وجهة نظر مصطلحية فيجدر بنا ملاحظة التالي : 1 ـ أن كلمة موضوع في تعبير « ليبدو الموضوع » تؤخذ هنا بالمعنى الحصري للموضوع الخارجي ، ولا تتضمن الأنا الذي يمكن أن يوصف بدوره ، بمعنى أكثر إتساعاً ، بأنه موضوع للنزوة (أنظر : موضوع) ؛ 2 ـ أن حرف الجر في التعابير الفرنسية ، ليبدو الموضوع ، وليبدو الأنا (الإضافة بالعربية) يدل على علاقة الليبدو بنقطة وصوله وليس بنقطة إنطلاقه .

تفضي هذه الملاحظة الثانية إلى صعوبات ليست مصطلحية محضة .

إذ لم يعترف فرويد بادىء ذي بدء إلا بثنائية نزوية كبرى واحدة : أي النزوات الجنسية ، ونزوات الأنا (أو نزوات حفظ الذات) . ويدل على طاقة الفئة الأولى على أنها ليبدو ، وأما طاقة

الفئة الثانية فيدل عليها على أنها طاقة نزوات الأنا أو الإهتمام . يبدو التمييز الجديد الذي أُدخل بادىء الأمر وكأنه تفريع للنزوات الجنسية إنطلاقاً من موضوع توظيفها :



على أية حال إذا كان التمييز ما بين نزوات الأنا ولبيدو الأنا واضحاً على المستوى المفهومي ، فإنه يفقد هذا الوضوح في الحالات النرجسية (كالنوم ، والمرض الجسدي) : « فاللبيدو وإهتمام الأنا يلقيان هنا نفس المصير ويستحيل من جديد تمييز أحدهما عن الآخر »(1b) . إذ لا يقبل فرويد الواحدية النزوية (أ) التي يقول بها يونغ .

وتكمن إحدى الصعوبات القريبة من السابقة ، في إستخدام فرويد الشائع لتعابير من مثل : « . . . يرسل اللبيدو إلى الموضوعات إنطلاقاً من الأنا » . ألا يحضنا ذلك ساعتئذ على التفكير بأن « لبيدو الأنا » يجد في الأنا ليس فقط موضوعه ، بل مصدره أيضاً مما يؤدي إلى تلاشي التمييز ما بين لبيدو الأنا وبين نزوات الأنا ؟ يضاعف من صعوبة حل هذه المسألة أن الفترة التي قدم فيها فرويد فكرة لبيدو الأنا معاصرة لإرصان المفهوم الموقعي فعلياً للأنا . ويصادف هذا اللبس من جديد في التعابير التي يصف فيها فرويد الأنا بأنه « المستودع الأكبر للبيدو » . إن أكثر التأويلات التي يمكن إقتراحها لفكر فرويد حول هذه النقطة تماسكاً هي التالية : يجد اللبيدو منبعه ، بإعتباره طاقة حيوية ، في مختلف المناطق المولدة للغلمة ؛ ويقوم الأنا ، بإعتباره شخصاً كلياً ، بتخزين هذه الطاقة اللبيدية التي يكون هو نفسه موضوعها الأول ؛ ولكن « الخزان » يتصرف فيما بعد ، تجاه الموضوعات الخارجية كمنبع لتغذيتها ، إذ عنه تصدر كل التوظيفات .

(أ) هذا ما يُستخلص من الفحص الذي يجريه فرويد على أطروحات يونغ عام 1914 (1c) . أعاد فرويد في عرض إسترجاعي قدمه عن تطور نظرية اللبيدو في كتابه « التحليل النفسي » ، وفي مقالته « نظرية اللبيدو » عام 1923(2) ، تأويل تلك الفترة من فكره في إتجاه رد وإختزال نزوات الأنا إلى ليبدو والأنا ، وكأنه قد تقرب في العام 1914 من آراء يونغ . وتجدر الملاحظة أن فرويد سبق له أن أرصن في العام 1922 نظرية جديدة في النزوات يعاد فيها تصنيف هذه الأخيرة ، إنطلاقاً من التعارض بين نزوات الحياة ، ونزوات الموت . وينتج عن ذلك في تقديرنا أنه كان عندها أقل إنتباهاً للتمييزات التي قدمها عام 1914 ، والتي عاد فأكدها عام 1917 في « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي »(3) .

(1) Freud (S.). a) G.W., X, 140-1 ; S.E., XIV, 75. — b) G.W., X, 149 ; S.E., XIV, 82. — c) Cf. G.W., X, 142-7 ; S.E., XIV, 77-81.
(2) Cf. Freud (S.). G.W., XIII, 231-2 ; S.E., XVIII, 257-9.
(3) Cf. Freud (S.). G.W., XI, 435-6 ; S.E., XVI, 420 ; Fr., 449-50.

لبيدو نرجسي

Libido narcissique
Eng. : Narcissistic libido.
D. : Narzisstische libido.

■ أنظر : لبيدو الأنا ـ لبيدو الموضوع ■ .

لذة العضو

Plaisir d'organe
Eng. : Organ- pleasure
D. : Organlust.

■ إنها صيغة من اللذة تميّز الإشباع الغلمي الذاتي للنزوات الجزئية : إذ تلقى إثارة إحدى المناطق المولدة للغلمة تسكيناً لها في نفس الموضع الذي حدثت فيه هذه الإثارة ، بمعزل عن إشباع المناطق الأخرى ، وبدون أي علاقة مباشرة مع إنجاز وظيفة معينة ■ .

إستعمل فرويد مصطلح « لذة العضو » في بعض المناسبات ؛ ولا يبدو أن في ذلك تحديداً إصطلاحياً من جانبه ؛ إذ يوحي هذا المصطلح بنوع من التعارض مع مصطلح لذة الوظيفة أو اللذة الوظيفية الأكثر إستعمالاً والذي يصف الإشباع المرتبط بإنجاز وظيفة حيوية (من مثل لذة التغذية) . يستعمل فرويد مصطلح لذة العضو على وجه الخصوص حين يحاول تعميق فرضياته حول أصل وطبيعة الجنسية بالمعنى الذي أعطاه لها التحليل النفسي حيث وسّع نطاقها إلى ما يتجاوز الوظيفة التناسلية . حيث ترد لحظة بزوغ الجنسية الى المرحلة التي تدعى مرحلة الغلمة الذاتية ، التي تتصف بنشاط كل نزوة جزئية وظيفياً بمعزل عما عداها .

تنفصل اللذة الجنسية الفعلية عند الرضيع عن الوظيفة التي كانت « تستند » إليها في البداية (أنظر : إستناد) ، والتي لم تكن سوى « نتاج هامشي » لها ، كي تصبح مطلوبة لذاتها : إذ ترمي المصمصة على سبيل المثال إلى تسكين توتر المنطقة الفمية الشفوية المولدة للغلمة بمعزل عن أي حاجة للغذاء .

وتتجمّع في مصطلح لذة العضو السمات التي تحدد أساساً الجنسية الطفلية ، تبعاً لفرويد : « . . . فهي تظهر من خلال « الإستناد » إلى وظيفة جسدية ذات أهمية حيوية ، بدون أن يكون لها بَعْدُ موضوعٌ جنسي : فهي إذاً « غلمية ذاتية » ؛ كما تتحكم إحدى المناطق المولدة للغلمة بهدفها الجنسي »(1) .

يتساءل فرويد مطولاً ، في « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عامي1916 -1917 » حول إمكانية تعريف جوهر الجنسية ذاته ، من خلال التجليات التي أثبت التحليل النفسي قرابتها وإستمراريتها مع اللذة التناسلية . يقدم فرويد تحديد هذه التجليات بإعتبارها « لذة العضو » كرد على محاولة محاوريه العلميين تعريف هذه اللذات الطفلية فيسولوجياً ، بينما يعتبرها هو جنسية .

وينتقد فرويد في هذا المقطع ، ذلك التعريف الفسيولوجي بمقدار ما يؤدي إلى إنكار إكتشاف الجنسية الطفلية أو الحد منه . ولكن رغم معارضة فرويد لإستعمال هذه الفكرة بهذا الأسلوب المعرض للجدل ، إلا أنه يتبناها عن طيب خاطر لأنها تبرز أصالة اللذة الجنسية الطفلية بالمقارنة مع اللذة المرتبطة بوظائف حفظ الذات . وهكذا يكتب في « النزوات ومصير النزوات عام1915 » ما يلي : « يمكننا أن نميز النزوات الجنسية ، على وجه العموم كالتالي : فهي متعددة ، وتنشأ من مصادر عضوية متنوعة ، وتنشط مستقلة عن بعضها البعض في البداية ، كي لا تجتمع إلا في مرحلة متأخرة في توليف يتفاوت في درجة إكتماله . إذ تهدف كل منها إلى الحصول على لذة العضو »(2) .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905 (1915). G.W., V, 83 ; S.E., VII, 182-3 ; Fr., 76.

(2) Freud (S.). G.W., X, 218 ; S.E., XIV, 125-6 ; Fr., 41.

Matériel (S.M.) **مادة**

Eng. : Material

D. : Material

■ يشيع استخدام هذا المصطلح في التحليل النفسي للدلالة على مجمل كلام وتصرفات المريض باعتبارها تشكل نوعاً من المادة الأولية التي تطرح للتأويل وإنشاء التراكيب النفسية ■.

يكمّل مصطلح المادة مصطلحي التأويل وإنشاء التراكيب اللذين يدلان على إرصان المعطيات الخام التي يقدمها المريض .

وغالباً ما قارن فرويد العمل التحليلي بعمل عالم الآثار الذي يعيد تركيب بناء دارس إنطلاقاً من الأنقاض التي يعثر عليها في حقل التنقيب . كما أننا نستلهم صورة الطبقات المتدرجة (في مجال الآثار) في الحديث عن المادة التي تتفاوت في « عمقها » تبعاً لمحكات تكوينية وإنبائية .

يقوم فرويد أحياناً بالتمييز القاطع ضمن العمل التحليلي ما بين تقديم المادة وإرصانها ، كما ورد في « التراكيب في التحليل النفسي عام 1937 » على سبيل المثال . إلا أن هذا التمييز يظل سطحياً بالطبع :

1 ـ فليس من المتاح في تاريخ العلاج ، التمييز ما بين فترتين متعاقبتين : أي تقديم المادة ومن ثمّ إرصانها . فما يتجلى لنا هو دوماً التفاعل الثابت بينهما . فمن المعترف به ، على سبيل المثال ، أن يؤدي أحد التأويلات (التي يقدمها المحلل) إلى إثارة مادة جديدة (ذكريات ، أو هوامات) .

2 ـ كما أنه لا يمكننا فوق ذلك تعريف كل من تقديم المادة وإرصانها كوظيفتين يقوم المحَلَّلْ بإحداهما ، بينما يقوم المُحَلِّلْ بالأخرى . إذ يمكن أن يقوم المُحَلَّل فعلياً بدور نشط في تأويل المادة ، حيث يتوجب عليه مكاملتها في ذاته (أنظر عمل الإستيعاب) إلخ .

إنطلاقاً من هذه التحفظات ، يدل مصطلح المادة ، على أحد المظاهر الأساسية للإنتاج النفسي الصادر عن اللاوعي ، ونعني بذلك غربته بالنسبة للشخص الواعي : فإما أن يعتبره المُحَلَّل في الأصل غريباً نسبياً عن شخصيته ويشكل بالتالي « مادة » ، أو أنه يتنبّه ، تحت تأثير العمل

التحليلي وبفضل تطبيق القاعدة الأساسية ، إلى الطابع العارضي الملحّ لأحد أشكال التصرف ، معتبراً إياه عديم الصلة مع دوافعه الواعية ، أي أنه يعتبره كمادة يتعين تحليلها .

وفيما يتعدى إستخدامه الشائع الذي كاد أن يستهلكه ، يتخذ هذا المصطلح معناه الكامل ، بالرجوع إلى واقعية اللاوعي الفرويدية : إذ توجد ، بالنسبة لفرويد ، « محتويات » لا واعية ، ومادة مرضية لا واعية(1) .

(1) Cf. Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*, 1909. G.W., VII, 356 ; S.E., X, 123 ; Fr., 181.

ما دون الوعي

Subconscient ou subconscience
Eng.: Subconscious, subconsciousness
D.: Unterbewusste

■ يستخدم هذا المصطلح في علم النفس إما للدلالة على الوقائع غير الواضحة في الوعي .و إما على الوقائع التي تظل دون عتبة الوعي الحالي ، أو حتى مفلتة من هذا الوعي ؛ وإذا كان فرويد قد استخدم هذا التعبير في كتاباته الأولى كمرادف للاوعي ، فإنه سرعان ما تخلى عنه بسبب ما يثيره من أوجه لبس ■ .

تندر النصوص التي تبنى فيها « فرويد الشاب » مصطلح ما دون الوعي الذي شاع استخدامه نسبياً في علم النفس وعلم النفس المرضي أواخر القرن الماضي ، للدلالة خصوصاً على الظواهر التي أطلق عليها إسم « إزدواج الشخصية » (أ) . يصادف هذا المصطلح عند فرويد في المقالة التي كتبها بالفرنسية بعنوان « بعض الاعتبارات من أجل دراسة مقارنة لحالات الشلل الحركي العضوي والهستيري عام1893 » ، كما نجده في أحد مقاطع « دراسات حول الهستيريا1895 » ((ب)1) . ولا يبدو في ذلك السياق ، أنه كان هناك فرقٌ في تلك الفترة ما بين استخدام فرويد لمصطلح « ما دون الوعي » وبين ما سيبرز فيما بعد تحت إسم اللاوعي .

وما لبث مصطلح « ما دون الوعي » أن ترك وتعرض استخدامه للإنتقاد . « إذ يكتب فرويد في تفسير الأحلام عام1900 ، أنه يتعين علينا تجنب ذلك التمييز بين ما فوق الوعي وما دون الوعي اللذين يؤثران كثيراً على الأدبيات المعاصرة عن حالات النفاس ، لأن تمييزاً كهذا يبدو وكأنه يؤكد تحديداً على مساواة النفس بالوعي »(2) .

عاد فرويد إلى هذا الإنتقاد في مناسبات عدة ، من أبرزها ذلك المقطع من النص حول « مشكلة التحليل من قبل غير الأطباء عام1926 » إذ يقول : « لست أدري إذا تكلم أحدهم عن ما دون الوعي ، هل يقصد بذلك المعنى الموقعي : أي شيء ما موجود في النفس تحت الوعي ، أم هو يقصد المعنى الكيفي : أي وعي آخر خبيء إذا أمكننا القول » ((جـ)3) .

وإذا رفض فرويد مصطلح ما دون الوعي ، فذلك لأن هذا المصطلح يبدو له وكأنه يتضمّن

فكرة « وعي ثانٍ » يبقى كإستمرار كيفي للظواهر الواعية ، مهما لطّفنا منه . مصطلح اللاوعي هو وحده الذي يستطع بما يتضمنه من نفي في نظر فرويد ، أن يبين الإنفصال الموقعي بين مجالين نفسيين وأن يبين الفارق النوعي بين العمليات التي تدور في كل من هذين المجالين (د) « . . . تكمن الحجة الأقوى، ضد فكرة وعي ثانٍ، فيما يعلمنا إياه الإستقصاء التحليلي : لجهة كون قسطً من هذه العمليات الكامنة يمتلك خصائص وصفات غريبة علينا ، حتى أنها لتبدو مستهجنة ، وتتعارض مباشرة مع مميزات الوعي المعروفة جيداً »(4) .

(أ) تشكل فكرة ما دون الوعي ، كما نعلم ، جزءاً لا يتجزأ من الأفكار الأساسية عند بيار جانيه . حتى ولو بدت الإنتقادات التي يوجهها فرويد لمصطلح ما دون الوعي ، موجهة إلى جانيه نفسه ، إلا أنه من العسير إعتبارها كرفض قيّم لمفاهيم هذا المؤلف . إذ لا يقوم التمييز بين « ما دون الوعي » عند جانيه و« اللاوعي » عند فرويد على محك العلاقة مع الوعي ، بقدر ما يقوم على طبيعة العملية التي تسبب « إنشطار » النفس .

(ب) نصادفه على الأغلب بقلم بروير .

(جـ) يصادف الغموض في مصطلح ما دون الوعي ، والذي يرجع جزئياً إلى أداة التصدير (ما دون) ، في « المفردات الفنية والنقدية في الفلسفة للالاند : حيث يشار إلى معنى « الوعي الضعيف » بالتوازي مع فكرة « شخصية متمايزة بدرجات متفاوتة عن الشخصية الواعية » .

(د) تجدر الإشارة إلى أن بعض من يصرحون أنهم من أنصار التحليل النفسي لا يقبلون فكرة اللاوعي إلا بإدخالها ضمن تسمية ما دون الوعي .

(1) Cf. Freud (S.), G.W., I, 54, 122, n. : S.E., I, à par. : II, 69, n. : Fr., 53, n.
(2) Freud (S.), G.W., II-III, 620 : S.E., V, 615 : Fr., 500.
(3) Freud (S.), G.W., XIV, 225 ; S.E., XX, 198 ; Fr., 144.
(4) Freud (S.), *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 269 ; S.E., XIV, 170 ; Fr., 100-1.

مازوشية

Masochisme
Eng.: Masochism
D.: Masochismus

■ إنه شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالعذاب والألم أو بالإذلال الذي يلحق بالشخص .

يوسع فرويد فكرة المازوشية إلى ما يتجاوز الشذوذ الذي وصفه علماء الجنس ، وذلك من خلال وضع يده على عناصر مازوشية في العديد من التصرفات الجنسية وبإكتشاف أصول أولية لها في الجنسية الطفلية . هذا من ناحية . وأما من الناحية الثانية فهو يعرض أشكالاً مشتقة منها . وخصوصاً « المازوشية الخلقية » التي يبحث فيها الشخص ، بدافع من شعور لا واعٍ بالذنب ، عن وضعية الضحية بدون أن يتضمن ذلك مباشرة أي لذة جنسية ■ .

كان كرافت إيبنج هو أول من أعطى وصفاً كاملاً تماماً للشذوذ الجنسي الذي أطلق عليه تسمية مشتقة من إسم ساخر مازوش . « حيث بيّن كل التجليات العيادية من مثل : الألم الجسدي بواسطة الوخز ، والضرب بالعصا ، والجلد بالسوط ؛ وكذلك الإذلال المعنوي من خلال موقف الرضوخ العبودي إزاء المرأة ، وما يرافقه من عقاب جسدي مما يعتبر لا غنى عنه . ولم يغب دور

الهوامات المازوشية عن بال كرافت إيبنج . كما أنه يشير إلى العلاقة ما بين المازوشية وضدها ، أي السادية ، غير متردد في اعتبار مجمل المازوشيه كنوع من النمو المرضي المفرط للعناصر النفسيه الأنثوية ، وكنوع من التعزيز المرضي لبعض سمات النفس الأنثوية »(1a) .

نحيل القارىء إلى مقالتنا حول « السادو - مازوشية » بصدد الإرتباط الحميم ما بين المازوشية والسادية ، وبصدد الوظيفة التي يخص فرويد بها هذا الزوج المتعارض في الحياة النفسية . ونقتصر في هذا المقام على الإشارة إلى بعض التمييزات المفهومية التي إقترحها فرويد وتكررت عودة التحليل النفسي من بعد إليها .

يميز فرويد بين ثلاثة أشكال من المازوشية في مقالته بعنوان « المشكلة الإقتصادية في المازوشية عام1924 » : مازوشية مولدة للغلمة ، ومازوشية أنثوية ، ومازوشية معنوية . وإذا كان من اليسير الإحاطة بفكرة « المازوشية المعنوية » (أنظر بهذا الصدد المقالات حول : الحاجة إلى العقاب ؛ الشعور بالذنب ؛ الأنا الأعلى ؛ عصاب الفشل ؛ والاستجابة العلاجية السلبية) ، فإن الشكلين الآخرين ، قد يكونان مدعاة لسوء الفهم .

1 - فهناك ميل لإستخدام مصطلح « المازوشية المولدة للغلمة » للدلالة على الشذوذ الجنسي المازوشي(1b) . وإذا كانت تسمية كهذه تبدو مشروعة (إذ يبحث المازوشي عن الإثارة الغلمية في الألم) ، فإنها لا تتمشى مع ما يبدو أن فرويد أراد التعبير عنه بهذا المصطلح : فلا يتعلق الأمر بالنسبة إليه بشكل عيادي من المازوشية قابل للفرز ، بل بشرط يشكل أساس الشذوذ المازوشي ، نصادفه أيضاً في المازوشية المعنوية : أي إرتباط اللذة الجنسية بالألم .

2 - وأما المازوشية الأنثوية فقد نجد ما يغرينا بالطبع لكي نقصد بها « مازوشية المرأة » . صحيح أن فرويد دل بهذه المصطلحات على « التعبير عن جوهر الأنوثة » ، إنما تظل المازوشية الأنثوية إحتمالاً قائماً عند كل إنسان ، ضمن إطار نظرية الثنائية الجنسية . وأكثر من هذا فإن فرويد يصف إنطلاقاً من هذه التسمية ما يشكل جوهر الشذوذ المازوشي ذاته عند الرجل حيث يقول : « لو تسنّت لنا الفرصة لدراسة حالات تبلورت فيها الهوامات المازوشية بشكل متميز في غناه ، لاكتشفنا بسهولة أن هذه الهوامات تضع الشخص في الوضعية المميزة للأنوثة . . . »(2) .

***

هناك فكرتان تقليديتان أخريان هما « المازوشية الأولية » و« المازوشيه الثانويه » .

يقصد فرويد بالمازوشية الأولية ، تلك الحالة التي لا تزال فيها نزوة الموت موجهة نحو الشخص ذاته ، ولكنها مربوطة بالليبيدو ومتحدة معه . ويطلق على هذه المازوشية إسم « أولية » لأنها ليست تالية على لحظة تكون فيها العدوانية موجهة نحو موضوع خارجي ، ولأنها بالقدر نفسه تتعارض مع المازوشية الثانوية التي تُعرَفُ على أنها إرتداد للسادية ضد الشخص ذاته وتضاف إلى المازوشية الأولية .

ولم يتقبل فرويد فكرة وجود مازوشية لا تقبل الإختزال إلى ارتداد السادية ضد الشخص ذاته ، إلا بعد وضع فرضية نزوة الموت .

(1) Nacht (S.). Le masochisme, in *R.F.P.*, 1938, X, n° 2. — *a)* 177. — *b)* *Cf.* 193.
(2) Freud (S.). G.W., XIII, 374 ; S.E., XIX, 162 ; Fr., 215.

ما قبل أوديبي

Préœdipien
Eng.: Preœdipal
D.: Präœdipal

■ يصف هذا المصطلح فترة النمو النفسي الجنسي السابقة على قيام عقدة الأوديب ؛ والتي يسود فيها التعلق بالأم عند كلا الجنسين ■ .

لا يظهر هذا المصطلح إلا في فترة متأخرة جداً عند فرويد ، وحين توصل إلى تحديد خصوصية الجنسية الأنثوية وإلى التأكيد بالذات على أهمية وتعقيد ، ومدة العلاقة الأولية ما بين البنت الصغيرة وأمها(1a) . وتوجد هذه المرحلة عند الصبي أيضاً ، ولكنها تكون أقل طولاً وغنى في نتائجها . وأصعب تمييزاً عن الحب الأوديبي حيث يظل الموضوع (عند الصبي) هو نفسه .

يجدر بنا على المستوى المصطلحي ، أن نميز بشكل واضح ما بين مصطلحي ما قبل أوديبي وما قبل تناسلي ، اللذين غالباً ما يخلط بينهما . ففي حين يرجع أولهما إلى الوضعية العلائقية ما بين الشخصية (أي غياب المثلث الأوديبي) ، يتعلق ثانيهما بنمط النشاط الجنسي موضوع البحث . صحيح أن نمو الأوديب يفضي مبدئياً إلى قيام التنظيم التناسلي، ولكن مفهوماً معيارياً يمكنه وحده إدعاء المطابقة ما بين التناسلية وبين الإختيار الناجز للموضوع الذي يلازم الأوديب . بينما تدل التجربة على إمكانية قيام نشاط تناسلي مرضٍ بدون أوديب ناجز ، كما تبين أيضاً إمكانية تحرك الصراع الأوديبي على مستوى سجلات جنسية قبل تناسلية .

هل من الممكن الكلام بكل الصراحة العلمية المبتغاة عن طور ما قبل أوديبي ، أي عن « طور » لا يوجد فيه إلا علاقة ثنائية بشكل قاطع ما بين الأم والطفل ؟ لم تفت فرويد هذه الصعوبة ، وهو الذي يلاحظ وجود الأب « كمنافس مزعج » بالرغم من غلبة العلاقة مع الأم ؛ ومن الممكن أيضاً التعبير عن هذه الوقائع تبعاً له ، من خلال القول بأن « . . . المرأة لا تصل إلى الوضعية الأوديبية الإيجابية والسوية إلا بعد تجاوزها لفترة سابقة عليها تسود فيها العقدة السلبية »(1b) . وتمتاز هذه الصياغة في نظر فرويد بالمحافظة على الفكرة القائلة بأن الأوديب هو العقدة النواتية في الأعصبة .

بالإمكان أن نشير بشكل موجز إلى أن هناك إتجاهين يطرحان علينا إنطلاقاً من أطروحة فرويد غير القاطعة هذه : فإما أن نركز على قطعية العلاقة الثنائية ، أو أن نكتشف في لحظة مبكرة جداً تجليات أوديبية لدرجة يصبح من المتعذر معها تحديد مرحلة ما قبل أوديبية قائمة بذاتها .

يمكن الرجوع ، كمثال على الإتجاه الأول ، إلى أعمال روث ماك برونشفيك(2) التي تشكل محصلة تعاون طويل مع فرويد ، والتي تعتبرها المؤلفة كتعبير عن فكره :

1 ـ فهي ترى أن الأب لا يدرك كمنافس حتى ولو كان حاضراً فعلاً في المجال النفساني (للطفل) ؛

2 ـ كما تقر بكيان مميز للمرحلة ما قبل الأوديبية ، التي تنكب على وصفها ، مؤكدة على وجه الخصوص على سيادة التعارض ما بين النشاط والفتور خلالها .

وفي مقابل ذلك تذهب مدرسة ميلاني كلاين ، من خلال تحليلها لأكثر الهوامات أثرية ، إلى أن الأب يتدخل منذ مرحلة مبكرة في العلاقة مع الأم ، كما يبين ذلك تحديداً هوام إحتفاظ الأم بعضو الأب الجنسي داخل جسدها (أنظر الوالدين الممتزجين) . على أنه من الممكن التساؤ ل حول ما إذا كان تدخل طرف ثالث (أي القضيب) في العلاقة البدائية ما بين الأم وطفلها ، يبرر وصف هذه المرحلة بإعتبارها « مرحلة مبكرة من الأوديب » . فالأب لا يكون ، في الواقع ، حاضراً عندئذٍ كسلطة مانعة (أنظر : عقدة الأوديب) . يتكلم جاك لاكان ، من هذا المنظور ، خلال تفحصه للمفاهيم الكلاينية ، عن « المثلث ما قبل الأوديبي » دالاً بذلك على العلاقة : أم - طفل - قضيب حيث يتدخل هذا الطرف الأخير (القضيب) باعتباره موضوعاً هوامياً لرغبة الأم(3) .

(1) Freud (S.). *Über die weibliche Sexualität*, 1931 — a) Cf. G.W., XIV, 515-37; S.E., XXI, 223-43.

(2) Cf. Mack Brunswick (R.). The Preœdipal Phase of the Libido Development, 1940, in *The Psychoanalytic Reader*, 231-53.

(3) Cf. Lacan (J.). *La relation d'objet et les structures freudiennes* compte rendu de J.-B Pontalis in *Bul. Psycho.*, 1956-7.

ما قبل الوعي ، ما قبل الشعور

Préconscient (S. et adj.)

Eng.: Preconscious

D.: Das vorbewusste, vorbewusst

■ أ - إستخدم فرويد هذا المصطلح في إطار نظريته الموقعية الأولى : وهو يدل بصيغته الإسمية،على نظام نفسي يتميز تماماً عن نظام اللاوعي ؛ وأما كنعت ، فهو يصف عمليات ومحتويات هذا النظام ما قبل الواعي . لا تكون هذه العمليات والمحتويات حاضرة في المجال الواعي الراهن ، وهي بالتالي لا واعية بالمعنى « الوصفي » (أ) للمصطلح (أنظر : لا وعي ، المعنى (ب) إلا أنها تفترق عن محتويات النظام اللاواعي على صعيد حقها في العبور إلى مستوى الوعي (ذلك هو مثلاً حال المعارف والذكريات التي لا تكون نشطة في اللحظة الراهنة) .

وأما على الصعيد ما وراء النفساني ، فيكون نظام ما قبل الوعي محكوماً من قبل العمليات الثانوية . إذ تفصله الرقابة عن النظام اللاوعي ، حيث لا تسمح للمحتويات والعمليات اللاواعية بالمرور إلى نظام ما قبل الوعي إلا بعد الخضوع لبعض التحوير .

ب - يستعمل مصطلح ما قبل الوعي ، ضمن إطار النظرية الموقعية الفرويدية الثانية ، كصفة على وجه الخصوص ، كي يصف كل ما يفلت من الوعي الراهن ، بدون أن يكون لاواعياً بالمعنى الدقيق للكلمة . وأما على صعيد الأنظمة ، فهو يصف المحتويات والعمليات الملحقة بالأنا بشكل رئيسي ، وكذلك بالأنا الأعلى من بعده ■ .

إن التمييز بين ما قبل الوعي واللاوعي أساسي بالنسبة لفرويد . ومما لا شك فيه أنه إستند ، بقصد تبريري ، على الوجود غير المنازع لحياة نفسانية تتجاوز حيز الوعي الراهن دفاعاً عن

إمكانية وجود نفس لا واعية بشكل عام(1a) ؛ ويزول التمييز بين ما قبل الوعي واللاوعي ، إذا ما أخذنا كلمة اللاوعي بالمعنى الذي يسميه فرويد « وصفياً » - أي بمعنى ما يفلت من الوعي . ولذلك لا بد من فهم ذلك التمييز بين ما قبل الوعي واللاوعي على الصعيدين الموقعي (الأنظمة) والدينامي أساساً .

ولقد أقر فرويد هذا المصطلح منذ مرحلة مبكرة جداً خلال إرصانه لآرائه ما وراء النفسانية(2a) . يقع نظام ما قبل الوعي ، ما بين النظام اللاواعي وبين الوعي ، في كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » ، إذ تفصله الرقابة عن اللاوعي حيث تحاول منع السبيل أمام المحتويات اللاواعية من الوصول إلى ما قبل الوعي والوعي ؛ كما يتحكم ما قبل الوعي على الطرف الآخر ، بالعبور إلى الوعي والحركية . ويمكن بهذا المعنى إلحاق الوعي بما قبل الوعي : إذ يتكلم فرويد عن نظام ما قبل الوعي - الوعي ؛ ولكن نجد أن ما قبل الوعي وما يطلق عليه فرويد إسم نظام الإدراك - الوعي ينفصلان عن بعضهما البعض بشكل صريح في مقاطع أخرى من « تأويل الأحلام » : ويرجع هذا الغموض إلى أن الوعي لا يقبل بسهولة ، كما أشار إليه فرويد لاحقاً ، الخضوع لاعتبارات إنبنائية (أنظر : وعي)(1b) .

يخضع فرويد العبور من ما قبل الوعي إلى الوعي إلى فعل « رقابة ثانية » ، ولكن هذه الأخيرة تختلف عن الرقابة الفعلية (ما بين اللاوعي وما قبل الوعي) في أنها تتوجه نحو الإنتقاء أكثر مما تمارس التحوير ، إذ تكمن وظيفتها أساساً في تجنيب الوعي وصول الإنشغالات المربكة إليه . فهي إذاً تيسّر ممارسة الإنتباه .

يتخصص نظام ما قبل الوعي نوعياً بالمقارنة مع نظام اللاوعي ، في شكل طاقته (فهي طاقة « مربوطة ») ، وفي العمليات التي تجري ضمنه (وهي عمليات ثانوية) . إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا التمييز ليس قاطعاً : فكما أن بعض محتويات اللاوعي تتعدل بفعل العمليات الثانوية (كالهوامات مثلاً) ، كما لاحظ فرويد ، كذلك فقد تتحكم العمليات الأولية ببعض العناصر ما قبل الواعية (من مثل البقايا النهارية في الحلم) . وعلى وجه العموم من الممكن وضع الاصبع على سطوة مبدأ اللذة وتأثير العمليات الأولية على العمليات ما قبل الواعية ، في وجهها الدفاعي .

ولقد رد فرويد على الدوام الإختلاف ما بين اللاوعي وما قبل الوعي إلى ارتباط التصور ما قبل الواعي باللغة اللفظية ، أي « بتصورات الكلمات » .

ولا بد من الإضافة إلى ما سبق أن العلاقة بين ما قبل الوعي والأنا وثيقة جداً بطبيعة الحال . فمن الأمور ذات الدلالة أن يرد فرويد ما قبل الوعي في أول مرة قدمه فيها إلى « الأنا الرسمي لكل منا »(2b) . وحين أعيد تعريف الأنا ، في النظرية الموقعية الثانية ، فإن هذا التعريف قد شمل نظام ما قبل الوعي بالرغم من أن هذا النظام ما قبل الواعي لم يدمج تماماً بالأنا الذي هو لا واعٍ في جزء منه . وأخيراً يمكننا أن نبين بجلاء وجود مظاهر ما قبل واعية ، ضمن ركن الأنا الأعلى الذي أبْرز حديثاً .

●●●

ماذا تغطي فكرة ما قبل الوعي ، على مستوى معاش الفرد ، وخصوصاً على مستوى تجربة

العلاج ؟ المثل الذي يضرب غالباً على ذلك هو مثل الذكريات غير الراهنة والتي بمقدور الشخص استحضارها . وبشكل أعم ، يدل ما قبل الوعي على ما هو حاضر « ضمنياً » في النشاط الذهني ، ولكن بدون أن يكون مطروحاً كموضوع للوعي ؛ وهذا ما يقصده فرويد حين يُعرِّف ما قبل الوعي باعتباره لا واع « وصفياً » مع قدرته على النفاذ إلى الوعي ، بينما يظل اللاوعي مفصولاً عن الوعي .

ويصف فرويد في مقالته بعنوان « اللاوعي عام1915 » نظام ما قبل الوعي « بالمعرفة الواعية »(1c) ؛ وهو يستخدم هنا مصطلحات ذات دلالة تؤكد تمييزه عن اللاوعي : إذ تتضمن كلمة « معرفة » ؛ القول بمعرفة من نوع ما ، تتعلق بالشخص وعالمه الخاص ؛ بينما تؤكد كلمة «واعية» على إلتحاق بعض المحتويات والعمليات بالوعي على الصعيد الموقعي ، رغم أنها قد تكون غير واعية .

وتثبت صحة التمييز الموقعي ، من وجهة النظر الدينامية أثناء العلاج من خلال السمة التالية التي شدد عليها دانيال لاجاش حيث يقول : إذا كان الإعتراف بالمحتويات ما قبل الواعية كفيل بإحداث « ممانعات » يرمي تطبيق قاعدة التداعي الحر إلى إزالتها ، فإن التعرّف على اللاوعي يصطدم « بمقاومات » لا واعية بدورها ، يتعين على التحليل تأويلها والتغلب عليها تدريجياً) مع العلم بأن الممانعات تستند في أغلب الأحوال إلى المقاومات) .

(أ) لا يبدو ان اختيار كلمة فرويد هذه قد حالفها التوفيق . ذلك أنه حتى ولو اقتصرنا على المستوى الوصفي وحده ، وبدون الإشارة إلى أي تمييز موقعي ، فبإمكاننا استخلاص بعض الفروق بين ما يمت إلى ما قبل الوعي ، وما يمت إلى اللاوعي . إذ يدل تعبير « لا واع بالمعنى الوصفي » ، وبدون أي تمييز على مجمل المحتويات والعمليات النفسية والتي تشترك فيما بينها بصفة وحيدة وسلبية هي كونها غير واعية .

(1) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* G.W., X, 264-5 ; S.E., XIV, 166-7 ; Fr., 92-3. — *b)* G.W., X, 291 ; S.E., XIV, 192 ; Fr., 139. — *c)* G.W., X, 265 ; S.E., XIV, 167 ; Fr., 94.

(2) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902, lettre du 6-12-96. — *a)* All., 185 ; Angl., 173 ; Fr., 153. — *b)* All., 186 ; Angl., 174 ; Fr., 155.

ما قبل تناسلي

Prégénital
Eng.: Pregenital
D.: Prägenital

■ إنها صفة تستخدم لوصف النزوات ، أو التنظيات ، أو التثبيتات ، إلخ ، التي تمت إلى تلك الفترة من النمو النفسي الجنسي التي لم تكن فيها صدارة المنطقة التناسلية قد ترسخت بعد . (أنظر : تنظيم) ■.

ينطلق تقديم فرويد لهذا المصطلح في مقالته بعنوان « الإستهياء للعصاب المجاسي عام 1913 » مع تقديم فكرة « التنظيم » الليبيدي السابق على التنظيم الذي يتم تحت صدارة الأعضاء

التناسلية . ومن المعلوم أن فرويد قد أقرّ ، قبل ذلك بفترة طويلة ، بوجود حياة جنسية طفلية سابقة على قيام هذه الصدارة. فهو يتكلم عن مناطق جنسية تهجر لاحقاً، منذ رسالته إلى فلايس بتاريخ 14-11-1897 (1) ؛ كما أنه يصف في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » النشاط الوظيفي الفوضوي في الاصل ، للنزوات الجزئية غير التناسلية .

لقد عرفت صفة ما قبل التناسلي إنتشاراً واسعاً . فهي لم تعد تقتصر ، في اللغة التحليلية النفسية المعاصرة ، على مجرد وصف النزوات أو التنظيمات الليبدية ، بل أصبحت تصف أيضاً التثبيتات وحالات النكوص إلى تلك الاساليب المبكرة من النشاط النفسي الجنسي . ويتم الكلام عن الاعصبة ما قبل التناسلية حين تسود أمثال هذه التثبيتات . ولقد وصل الامر بالبعض إلى حد تحويل هذه الصفة إلى إسم والكلام عن « ما قبل تناسلي » كنمط محدد من الشخصية .

(1) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 244-9 ; Angl., 229-34 Fr., 205-8.

ما وراء علم النفس

Métapsychologie

Eng.: Metapsychology
D.: Metapsychologie

■ **وضع فرويد هذا المصطلح للدلالة على علم النفس الذي أسسه مأخوذاً في بعده الأكثر إمعاناً في الطرح النظري .يرصن ما وراء علم النفس مجموعة من النماذج المفهومية المتفاوتة في بعدها عن التجربة ، من مثل تخيّل جهاز نفسي مقسّم إلى أركان ، ومن مثل نظرية النزوات ، وعملية الكبت ، إلخ .**
يأخذ ما وراء علم النفس في الإعتبار وجهات نظر ثلاث : دينامية،وموقعية ،وإقتصادية ■ .

يصادف مصطلح « ما وراء علم النفس » من آن لآخر في رسائل فرويد الموجهة إلى فلايس . ويستعمله فرويد لتعريف أصالة محاولته الخاصة لإقامة علم نفس « . . .إنطلاقاً من الجهة الأخرى من الوعي » بالمقارنة مع علم النفس التقليدي المتركز حول دراسة الوعي(1a) . ولا يفوتنا التنبه إلى التماثل ما بين مصطلحات ما وراء علم النفس ، وما وراء الطبيعة ، وهو على الأغلب تماثل مقصود من قبل فرويد ، نظراً لمعرفتنا بمدى قوة إهتماماته الفلسفية ، بشهادته هو نفسه : حيث يقول « آمل أن تتكرم بإعطاء إهتمامك لبعض المسائل ما وراء النفسانية [. . .] فلم أكن أطمح خلال سنوات شبابي إلا إلى المعرفة الفلسفية ، وأنا الأن على وشك تحقيق هذه الأمنية ، من خلال الإنتقال من الطب إلى علم النفس »(1b) .

ولكن تفكير فرويد حول العلاقات بين ما وراء الطبيعة وما وراء علم النفس يذهب أبعد من مجرد هذا التقريب بينهما ؛ فهو يعرّف ما وراء علم النفس ، في مقطع ذي دلالة ، كمحاولة علمية

لتصويت البنيانات « الميتافيزيقية » ؛ إذ تسقط هذه البنيانات على قوى خارجية ما هو في الواقع من خصائص اللاوعي ، شأنها في ذلك شأن المعتقدات التطيرية ، أو شأن بعض الهذيانات العظامية : « . . . إن قسماً كبيراً من المفهوم الأسطوري للعالم والذي يمتد حتى الأديان الأكثر حداثة ، لا يعدو كونه « علم نفس مسقطاً على العالم الخارجي » . تنعكس المعرفة الغامضة (أو ما يمكن أن ندعوه الإدراك النفسي الداخلي) للعوامل النفسية ، ولما يجري في اللاوعي [. . .] في بناء « واقع فوق محسوس » ، يتعين على العلم تحويله إلى « علم نفس اللاوعي » [. . .] . وقد يمكننا التجرؤ [. . .] على قلب ما وراء الطبيعة إلى ما وراء علم النفس »(2) .

يعود فرويد فيما بعد إلى مصطلح ما وراء علم النفس كي يقدم عنه تعريفاً دقيقاً هو التالي : « اقترح الكلام عن عرض « ما وراء نفساني » لعملية نفسية معينة ، حين نتوصل إلى وصفها في علاقاتها الدينامية ، والموقعية والإقتصادية »(أ)(3) . فهل يتوجب علينا والحالة هذه اعتبار كل الدراسات النظرية التي تستعين بأفكار وفرضيات تنتمي إلى هذه السجلات الثلاثة كتابات ما وراء نفسانية أم أنه من الأجدر بنا أن نقصر هذه التسمية للدلالة على النصوص التي ترصن أو تفسر بشكل أساسي الفرضيات الكامنة وراء علم النفس التحليلي من مثل : « المبادىء » ، و« المفاهيم الأساسية » و« النماذج » النظرية ؟ بهذا المعنى، هناك بعض النصوص ما وراء النفسانية بشكل أكثر تحديداً تشكل محطات في أعمال فرويد ، خصوصاً « مشروع علم نفس علمي عام1895 » و« الفصل السابع من كتاب تأويل الأحلام عام1900 » و« صياغات حول مبدأي النشاط الوظيفي النفسي عام 1911 » ، « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » ؛ « الأنا والهو عام 1923 » ، و« موجز في التحليل النفسي عام 1938 » . وأخيراً خطط فرويد عام 1915 لمشروع كتابة « عناصر من أجل ما وراء علم النفس » ونفذه جزئياً وذلك بقصد « . . . توضيح وتعميق الفرضيات النظرية التي يمكن أن تكون في أساس منظومة تحليلية نفسية »(ب)(4) .

(أ) إضافة إلى وجهات النظر الموقعية ، والدينامية والإقتصادية التي ميز فرويد بينها ، إقترح كل من هارتمان ، وكريس ، ولوفنشتاين إضافة وجهة النظر التكوينية (أنظر مراحل) . كما أضاف دافيد رابابورت إليها وجهة النظر التوافقية .

(ب) نشر خمسة من المقالات التي خطط لها ، بينما كتبت سبعة أخرى منها ثم أتلفت .

(1) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* Lettre du 10-3-98 : All., 262 ; Angl., 246 ; Fr., 218. — *b)* Lettre du 2-4-96 : All., 173 ; Angl., 162 ; Fr., 143-4.

(2) Freud (S.). *Zur Psychopathologie des Alltagslebens*, 1901. G.W., IV, 287-8 ; S.E., VI, 258-9 ; Fr., 298-9.

(3) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 281 ; S.E., XIV, 181 ; Fr., 121.

(4) Freud (S.). *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1915. G.W., X, 412, n. 1 ; S.E., XIV, 222, n. 1 ; Fr., 162, n. 1.

مبدأ الثبات

Principe de constance
Eng.: Principle of constancy
D.: Konstanzprinzip

■ عرض فرويد هذا المبدأ القائل بأن الجهاز النفسي ينزع نحو الإحتفاظ بكمية الإثارة التي يحتويها، في أدنى مستوى ممكن، أو على الأقل يحافظ على ثباتها ما أمكن. يتأتى هذا الثبات من خلال تصريف الطاقة الحاضرة فعلياً من ناحية، ومن خلال تجنب ما يمكن أن يزيد كمية الإثارة، والدفاع ضد هذه الزيادة من ناحية ثانية ■ .

يشكل مبدأ الثبات أساس النظرية الإقتصادية الفرويدية . فلقد كان حاضراً لديه منذ أعماله الأولى، ولم ينفك عن افتراضه ضمنياً بإعتباره يتحكم بالنشاط الوظيفي للجهاز النفسي: إذ يرمي هذا الجهاز دوماً إلى الإحتفاظ بثبات مجموع الإثارات في داخله ، ويتوصل إلى ذلك من خلال تحريك أواليات التجنب في مواجهة الإثارات الخارجية ، وأواليات الدفاع والتفريغ (التصريف) في مواجهة زيادات التوتر ذات المصدر الداخلي . ويتعين علينا فهم مختلف تجليات الحياة النفسية ، حين ترد إلى طابعها الإقتصادي الأخير ، باعتبارها محاولة متفاوتة في نجاحها ، من أجل الإحتفاظ بهذا الثبات أو استعادته من جديد (حين يختل) .

هناك صلة وثيقة ما بين مبدأ الثبات ومبدأ اللذة بمقدار ما يمكن بحث الإنزعاج ، من منظور إقتصادي ، كإدراك ذاتي لزيادة التوتر وبحث اللذة بإعتباره يترجم خفض هذا التوتر . ولكن العلاقة ما بين الأحاسيس الذاتية من نوع اللذة والإنزعاج وبين ما يفترض أن يشكل قاعدة لها من عمليات اقتصادية ، بدت معقدة جداً بالنسبة لفرويد حين أعمل فيها تفكيره؛ وهكذا فقد يصاحب الإحساس باللذة زيادة في التوتر . تجعل أمثال هذه الوقائع من الضروري تحديد صلات ما بين مبدأ الثبات ومبدأ اللذة ، لا تختصر إلى مجرد تعادل بسيط بينهما (أنظر : مبدأ لذة) .

***

لم يفعل كل من فرويد وبروير في إقامة علم النفس على أساس قانون الثبات ، سوى تبني مطلباً كان معترفاً به عموماً من الأوساط العلمية في نهاية القرن التاسع عشر وهو توسيع تطبيق أكثر المبادىء الفيزيائية عمومية إلى مجالي علم النفس وعلم النفس الفسيولوجي ، بمقدار ما تشكل هذه المبادىء الأساس لأي علم . ويمكن العثور على العديد من المحاولات السابقة على محاولات فرويد أو المعاصرة لها ترمي إلى اكتشاف قانون الثبات فاعلاً في علم النفس الفسيولوجي (من مثل محاولة فشنر بشكل رئيسي والذي يعطي « لمبدأ الإستقرار » الذي قال به مدى عالمياً)(1) .

ولكن وراء البساطة الظاهرية لمصطلح الثبات قد نقصد « . . . أكثر الأشياء إختلافاً »(2a) كما أشار إلى ذلك فرويد ذاته .

وحين نستند في علم النفس إلى النموذج الفيزيائي ، ونقول بمبدأ ثبات ، فإننا نقصد من ذلك عدة معانٍ يمكن تصنيفها بشكل مبسط كما يلي :

1 ـ فقد نقتصر على تطبيق مبدأ حفظ الطاقة على علم النفس ، ذلك المبدأ القائل بأن مجموع الطاقات يظل ثابتاً ، داخل نظام مغلق . ويعني إخضاع الوقائع النفسية إلى هذا المبدأ إفتراض وجود طاقة نفسية أو عصبية لا يتغير مقدارها رغم تعرضها لمختلف التحولات والإنتقالات . كما يعني هذا العرض أيضاً ترسيخ إمكانية ترجمة الوقائع النفسانية إلى لغة طاقوية . ولا بد من الإشارة إلى أن مثل هذا المبدأ الذي يشكل أساس النظرية الإقتصادية في التحليل النفسي ، لا يطرح على نفس مستوى المبدأ المنظم الذي أطلق عليه فرويد إسم مبدأ الثبات .

2 ـ يؤخذ مبدأ الثبات أحياناً بمعنى يتيح لنا مقارنته بالمبدأ الثاني من علم ديناميات الحرارة والقائل بأن : فروقات المستوى الطاقوي تميل نحو التساوي ، داخل نظام مغلق ، مما يجعل الحالة النهائية المثالية تتخذ شكل التوازن . ويكتسي « مبدأ الإستقرار » الذي قال به فشنر معنى مشابهاً . على أنه يتوجب علينا تعريف النظام موضع البحث، في مثل هذا التطبيق : فهل نحن بصدد الجهاز النفسي ، وبصدد الطاقة التي تسري داخل هذا الجهاز ؟ أم نحن بصدد نظام يتكون من مجموعة أكبر : أي من الجهاز النفسي والمتعضي ، أو من نظام المتعضى والمحيط ؟ ذلك أن فكرة النزوع نحو التساوي قد تكتسي في الواقع وتبعاً لمختلف الحالات معانٍ متعارضة . وهكذا قد تؤدي ، تبعاً لآخر الفرضيات ، إلى تخفيض الطاقة الداخلية للمتعضى وصولاً إلى رده إلى الحالة اللاعضوية (أنظر : مبدأ النرفانا) .

3 ـ وأخيراً قد يؤخذ مبدأ الثبات بمعنى الضبط الذاتي : إذ ينشط النظام موضع البحث بشكل يحاول معه الإحتفاظ بثبات إختلاف مستواه الطاقوي بالنسبة للمحيط . يتلخص مبدأ الثبات ، في هذا المعنى ، في تأكيد وجود أنظمة مغلقة نسبياً (إما أن تكون الجهاز النفسي ، أو هي تكون المتعضى بمجمله) تميل إلى الإحتفاظ بصيغتها ، وبمستواها الطاقوي الخاصين بها ، أو إستعادتهما من جديد خلال التبادلات التي تقيمها مع المحيط الخارجي ولقد قارب البعض بشكل مفيد ما بين فكرة الثبات ، بهذا المعنى ، وبين فكرة ضبط التوازن الذاتي التي استخلصها العالِم الفيزيائي كانون (1) .

***

إنه لمن العسير أن نحدد من بين جملة هذه المعاني ، ذلك المعنى الذي يتطابق بالتحديد مع ما يقصده فرويد بمبدأ الثبات . ذلك أن الصياغات التي أعطاها في الواقع لهذا المفهوم ، والتي أشار هو نفسه إلى عدم رضائه عنها(3a) ، غالباً ما تظل غامضة ، حتى أنها تصل حد التناقض أحياناً : « . . . ينزع الجهاز النفسي إلى الإبقاء على كمية الإثارة الموجودة فيه عند أدنى حد ممكن ، أو هو ينزع على الأقل إلى الحفاظ على ثباتها »(3b) . يبدو أن فرويد يرد إلى نفس النزعة كل من المفاهيم التالية « . . . التخفيض ، الثبات ، والقضاء على توتر الإثارة الداخلية »(3c) . إنما لا يبدو أنه بالإمكان التوحيد ما بين النزعة الى تخفيض الطاقة الداخلية لنظام معين إلى درجة الصفر وبين النزعة المميزة للمتعضيات الحية ، والتي ترمي إلى الحفاظ على ثبات توازنها مع المحيط ، ولو كان هذا التوازن ذا مستوى مرتفع . إذ قد تترجم هذه النزعة الأخيرة ، في الواقع ، إما إلى بحث عن الإثارة أو إلى تصريفها ، تبعاً لمختلف الحالات .

ولا يمكن جلاء التناقضات ، وأوجه عدم الدقة ، والإنزلاقات من معنى إلى آخر والتي ترتبط جميعاً بالعروض الفرويدية ، إلا إذا قمنا باستخلاص دقيق ، وأكثر وضوحاً مما فعله فرويد نفسه ، لماهية التجربة وماهية المطلب النظري اللذين دفعاه للقيام بمحاولاته التي يتفاوت نصيبها من النجاح لطرح مبدأ الثبات في التحليل النفسي .

●●●

يشكل مبدأ الثبات جزءاً من الجهاز النظري الذي أرصنه بروير وفرويد بشكل مشترك حوالي الأعوام 1892 - 1895 ، وخصوصاً من أجل تبيان بعض الظواهر التي صادفاها في الهستيريا : حيث ردت الأعراض إلى خلل في التصريف ، مما يجعل محرك العلاج عبارة عن تصريف مناسب للإنفعالات . إلا أننا إذا قارنا نصين نظريين بقلم كل من المؤلفين ، لوجدنا بينهما اختلافاً بيّناً في المنظور ، وراء الإتفاق الظاهري .

يستعرض بروير في « إعتبارات نظرية خاصة بالدراسات حول الهستيريا عام 1895 » شروط النشاط الوظيفي لجهاز مستقل نسبياً ضمن المتعضى ، وهو الجهاز العصبي المركزي . وهو يميز نمطين من الطاقة في هذا الجهاز : الطاقة الساكنة أو « مستوى الإثارة الحيوية داخل الدماغ » ، والطاقة الحركية التي تسري في الجهاز . وما يضبطه مبدأ الثبات هو مستوى الإثارة الحيوية : « . . . . فهناك نزوع في المتعضى للاحتفاظ بثبات الإثارة داخل الدماغ »(4) . ولا بد من التأكيد هنا على ثلاث نقاط أساسية :

1 - ينظر إلى قانون الثبات بإعتباره قانون الحالة الفضلى . فهناك مستوى طاقوياً ملائماً يتعين إستعادته مجدداً من خلال التفريغ حين يميل إلى الزيادة ، كما يتعين أيضاً شحنه مجدداً (بواسطة النوم خصوصاً) حين ينخفض كثيراً عن المطلوب ؛

2 - وقد يتعرض الثبات للتهديد ، إما من خلال حالات الإثارة المعممة والموحدة (من مثل حالات التوقع المتوتر) ، أو من خلال التوزيع غير المتساوي للإثارة ضمن النظام (من مثل الإنفعالات) ؛

3 - يشكل وجود واستعادة مستوى الحالة الفضلى الشرط الذي يتيح السريان الحر للطاقة الحركية . فنشاط الفكر الذي لا يصده أي عائق ، والمجرى السوي لترابطات الأفكار يفترضان كلاهما أن لا يضطرب الضبط الذاتي للنظام .

كما يدرس فرويد بدوره شروط النشاط الوظيفي للجهاز العصبي ، في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » . ولكنه لا يطرح منذ البدء مبدأ الثبات الذي يتخذ شكل الحفاظ على مستوى طاقوي معين ، بل يطرح مبدأ القصور العصبي الذي تنزع العصبونات بموجبه إلى أن تفرغ ذاتها من كمية الإثارة ، وإلى أن تخليها تماماً . صحيح أن فرويد يفترض فيما بعد وجود نزوع نحو الثبات إنما يرى فيه « وظيفة ثانوية تفرضها ضرورات الحياة » ، أي أنه يرى فيه مجرد تعديل لمبدأ القصور : « . . . إذ يرغم النظام العصبي على التخلي عن نزوعه الأصلي نحو القصور ، أي نزوعه للوصول إلى المستوى الذي يساوي صفراً . ويتعين عليه القبول بخزين كمي ، لتلبية متطلبات الفعل النوعي . ولكن يبدو من الأسلوب الذي يتبعه في ذلك إستمرار نفس النزوع الذي يحوّر كي

يتخذ شكل جهد للحفاظ على هذه الكمية عند أدنى مستوى ممكن ، والدفاع عن ذاته ضد زيادتها ، أي من خلال الحفاظ على ثباتها »(2b) . يضبط مبدأ القصور في رأي فرويد نمط النشاط الوظيفي الأولي للجهاز ، أي سريان الطاقة الحرة . وأما مبدأ الثبات فيتطابق مع العمليات الثانوية ، حيث تكون الطاقة مربوطة ويتم الحفاظ عليها عند مستوى معين ، حتى ولو لم يعرض هذا المبدأ صراحة كمبدأ مستقل .

وهكذا نرى أن نموذجي كل من بروير وفرويد مختلفان جداً ، حتى ولو بدا الجهاز المفهومي الذي يتبنيانه مشتركاً . فبروير يطور فكره في منظور بيولوجي لا يخلو من معقولية ، ويعلن عن الآراء الحديثة حول ضبط التوازن الذاتي وأنظمة الضبط الذاتي (ب) . وفي المقابل قد يبدو البنيان الفرويدي شاذاً من وجهة نظر علوم الحياة بمقدار ما يدعي « إستخلاص » متعضى بما له من قدرات حيوية ، ووظائف تكيفية ، وثوابت طاقوية ، من مبدأ هو في حد ذاته نفي لكل فرق ثابت في المستوى .

إلا أن هذا التباين ، غير المعلن ، ما بين بروير وفرويد (حـ) يظل غنياً في دلالته . ففي الواقع يخصص فرويد مبدأ القصور لضبط نمط من العمليات التي افترض وجودها ، إنطلاقاً من الإكتشاف الحديث جداً للاوعي : وهي العمليات الأولية . ولقد وصف هذه العمليات الأولية منذ كتابه « المشروع » إنطلاقاً من أمثلة مفضلة كالحلم وتكوين العارض عند الهستيري على وجه الخصوص . إذ تتميز العملية الأولية أساساً بسريان لا يعوقه عائق ، و« إنتقال يسير »(2c) . ونلاحظ على صعيد التحليل النفساني ، أن تصوراً معيناً قد يتمكن من الحلول كلياً مكان تصور آخر ، مستعيراً منه كل خصائصه ، وفعاليته : « . . . إذ يجهل الهستيري الذي يجعله (أ) يبكي أنه إنما يفعل ذلك بسبب الترابط ما بين (أ وب) ، بينما لا يلعب (ب) أي دور في حياته النفسية . فلقد حل الرمز هنا تماماً محل « الشيء » »(2d) . وبالطبع نجد كل من ظاهرة الإنتقال الكامل للمعنى من تصور إلى آخر ، والتثبت العيادي من الشدة والفعالية التي تبديها التصورات البديلة التعبير عنها ، تبعاً لفرويد ، في صياغة مبدأ القصور الإقتصادية . إذ إن السريان الحر للمعنى والسيلان الكلي للطاقة النفسية حتى الإفراغ التام هما بالنسبة إلى فرويد مترادفان . وهكذا نرى أن مثل هذه العملية هي على النقيض من الإحتفاظ بالثبات .

صحيح أن الثبات مذكور في كتاب « المشروع » إلا أنه مذكور باعتباره يأتي تحديداً كي يلطّف ويحد من النزعة البسيطة نحو التفريغ المطلق . لقد أوكلت إلى الأنا مهمة ربط الطاقة النفسية والحفاظ عليها عند مستوى أكثر ارتفاعاً ؛ وهو ينجز هذه الوظيفة لأنه يشكل هو ذاته جملة من التصورات أو من العصبونات حيث يقوم مستوى ثابت من التوظيف (أنظر : أنا) .

لا يجوز إذاً فهم الصلة ما بين العمليات الأولية والعمليات الثانوية كتتابع واقعي ، في النظام الحيوي ، وكأن مبدأ الثبات قد أتى ليخلف مبدأ القصور في تاريخ المتعضيات ؛ فهذه الصلة لا تستقيم إلا على مستوى جهاز نفسي يقرّ فيه فرويد ، منذ البدء ، بوجود نمطين من العمليات ، وبوجود مبدأين للنشاط الوظيفي الذهني (د) .

يستند الفصل السابع من كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » كما هو معلوم على مثل هذا

التعارض . ففي ذلك الفصل يطوّر فرويد الفرضية القائلة بوجود « جهـاز نفسي بدائي تحكم عَمَلَه النزعةُ إلى تجنب تراكم الإثارة ، والبقاء ما أمكن بدون إثارة »(5a) . يطلق فرويد على مثل هذا المبدأ الذي يتصف « . . . بالسيلان الحر لكميات الإثارة » إسم « مبدأ الإنزعاج » . ويحكم هذا المبدأ النشاط الوظيفي لنظام اللاوعي . وأما نظام ما قبل الوعي - الوعي فله أسلوب آخر من النشاط الوظيفي : فهو « . . . يحدث ، من خلال التوظيفات الصادرة عنه ، « صداً » لهذا السيلان [الحر] ، وتحويلاً إلى توظيف ساكن ، مع إرتفاع مستوى (التوتر) بلا شك »(5b) . ولقد غلب على فرويد لاحقاً رد التعارض ما بين أسلوبي هذين النظامين إلى ذلك التعارض ما بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع . ولكن إذا أردنا الحفاظ على هذا التمييز ، إنطلاقاً من الحرص على التوضيح المفهومي ، ما بين النزعة إلى تخفيض كمية الإثارة إلى مستوى الصفر ، وبين النزعة إلى الحفاظ على هذه الكمية عند مستوى ثابت ، فإننا نرى أن مبدأ اللذة يتطابق مع النزعة الأولى ، بينما يتلازم الحفاظ على الثبات مع مبدأ الواقع .

***

ولم يضع فرويد « مبدأ الثبات » صراحة ، إلا في العام 1920 في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة » . إنما لا بد من تسجيل عدة نقاط بهذا الصدد :

1 - قُدّم مبدأ الثبات (هنا) باعتباره الأساس الإقتصادي لمبدأ اللذة ؛ (3d)

2 - تتضمن التعريفات المقترحة لهذا المبدأ دوماً نوعاً من اللبس ؛ إذ اعتبرت كل من النزعة إلى التخفيض المطلق (للإثارة) والنزعة إلى الثبات متعادلتين ؛

3 - إلا أن النزعة إلى (التخفيض) إلى الصفر ، والمعروفة باسم مبدأ النرفانا ، تعتبر أساسية ، بينما لا تعدو بقية المبادىء أن تكون تعديلات لها ؛

4 - وفي نفس الوقت الذي يبدو فيه أن فرويد لا يرى إلا نزعة واحدة ، معدّلة بمقادير متفاوتة ، فاعلة في « . . . الحياة النفسية ، و[في] الحياة العصبية بوجه عام »(3e) ، فإنه يقدم ثنائية أساسية وغير قابلة للإختزال ، على مستوى النزوات ، فهناك نزوات الموت التي تنزع إلى التخفيض المطلق للتوترات ، وهناك بالمقابل نزوات الحياة التي ترمي إلى الحفاظ على الوحدات الحية ، وإلى خلق وحدات جديدة تفترض مستوى عالٍ من التوتر . يمكن أن تتضح هذه الثنائية الأخيرة (والتي أشار أكثر من مؤلف إلى ضرورة فهمها كثنائية في المبادىء) حين تُقرّب من بعض التعارضات الأساسية الموجودة دوماً في الفكر الفرويدي من مثل التعارض ما بين : الطاقة الحرة والطاقة المربوطة ، والتحرر والإرتباط ، والعمليات الأولية والعمليات الثانوية (أنظر كذلك : نزوة الموت) .

وعلى العكس من ذلك ، لم يبرز فرويد أبداً وبشكل تام التعارض الذي يتمشى مع التعارضات السابقة ، على مستوى المبادىء الإقتصادية للنشاط الذهني . وإذا كان هذا التعارض قد طرح في خطوطه العريضة في كتاب « المشروع » مع التمييز ما بين مبدأ قصور ونزعة نحو الثبات ، فإن هذا الطرح لن يشكل أبداً فيما بعد المرجع الصريح الذي قد يتيح لنا تجنب التشويش الذي استمر يحيط بفكرة مبدأ الثبات .

(أ) دلّ ف. ب. كانون ، في كتابه بعنوانه حكمة الجسد عام 1932 ، بإسم « ضبط التوازن الذاتي » على العملية الفسيولوجية التي يتزع الجسد بواسطتها إلى الاحتفاظ بثبات تركيب المحيط الدموي . ولقد وصف هذه العملية بصدد محتوى الدم من الماء ، والملح ، والسكر ، والبروتينات ، والدهن ، والكلسيوم ، والأوكسجين ، والإيونات الهيدروجينية (أي التوازن الحامضي والقاعدي) ، وكذلك بالنسبة للحرارة . وبالطبع يمكن توسيع هذه القائمة لتشمل عناصر أخرى (من معادن ، وهرمونات ، وفيتامينات ، إلخ) .

وهكذا نرى أن فكرة ضبط التوازن الذاتي تنصب على التوازن الدينامي المميز للجسد الحي ، وليست مطلقاً فكرة تنصب على خفض الطاقة إلى المستوى الأدنى .

(ب) من المعروف أن بروير قد شارك في أعمال عالم الفسيولوجيا العصبية هارينغ حول واحد من أهم أنظمة الضبط الذاتي في المتعضي وهو التنفس .

(جـ) بالإمكان أن نجد أثراً لصعوبة إتفاق المؤلفين حول صياغة مبدأ الثبات ، في الإرصانات المتلاحقة التي وصلتنا عن « البيان التمهيدي للدراسات حول الهستيريا » .

إذ يتحدث فرويد في مخطوطة « نظرية النوبة الهستيرية عام 1892 » التي أرسلها إلى بروير للحصول على موافقته عليها ، وكذلك في إحدى رسائله إليه بتاريخ 29-6-1892 (6) ، عن نزعة إلى « ... الإحتفاظ بثبات » ما يمكن أن نطلق عليه إسم « مجموع الإثارة » في النظام العصبي .

وأما في المحاضرة التي ألقاها فرويد بعد عشرة أيام من نشر البيان التمهيدي ، والتي نشرت تحت نفس العنوان في مجلة فيينا الطبية رقم 4 ، عام 1893 ، فإنه لا يتكلم إلا عن نزعة « ... لتخفيض [...] مجموع الإثارة »(7) .

وأخيراً لم يعلن عن مبدأ الثبات في البيان التمهيدي للدراسات حول الهستيريا .

(د) يمكن إدخال بعض الإيضاح على المشكلات التي انخرط فيها كل من بروير وفرويد في ذلك الحين ، إذا ميّزنا ما بين عدة صعد :

1 ـ فهناك مستوى المتعضي الذي تحكمه آواليات ضبط التوازن الذاتي والذي ينشط وظيفياً تبعاً لمبدأ وحيد هو مبدأ الثبات . ولا ينطبق هذا المبدأ على المتعضي بمجمله فقط ، بل هو ينطبق أيضاً على النظام العصبي بإعتباره جهازاً متخصصاً . إذ لا يمكن أن ينشط هذا النظام وظيفياً إلا إذا تأمنت في داخله شروط ثابتة ، واستعيد هذا الثبات كلما تعرض لإختلال ما . ذلك هو ما رمى إليه بروير في كلامه عن مستوى ثابت من الإثارة المنشطة داخل الدماغ .

2 ـ وهناك مستوى « النفس » الإنسانية التي يشكل موضوع الإستقصاءات الفرويدية :

أ ـ فلدينا أولاً العمليات اللاواعية التي تفترض ، في حدودها القصوى ، إنزلاقاً لا نهائياً في المعاني ، أو بلغة الطاقة ، سيلاناً حراً وكلياً لكمية الإثارة ؛

ب ـ ولدينا من ثم العمليات الثانوية ، كما نقع عليها في نظام ما قبل الوعي ـ الوعي ـ، والتي تفترض ربطاً للطاقة الخاضعة لتحكم « شكل » ما ينزع إلى الحفاظ على حدوده وعلى مستواه الطاقوي ، وإلى استعادتها إلى ما كانت عليه : وهو الأنا .

يمكننا القول إذاً ، من خلال التحليل الأولي ، بأن بروير وفرويد لا يستعرضان نفس الوقائع : فبينا يطرح بروير مسألة الشروط الفسيولوجية العصبية للنشاط النفسي السوي ، يتساءل فرويد عن كيفية تحديد وضبط العمليات النفسية الأولية عن الإنسان .

إلا أن هنالك لبساً عند فرويد يظل قائماً سواء في كتابه « المشروع » أم في أعماله المتأخرة من مثل « ما فوق مبدأ اللذة » : يقوم هذا اللبس ما بين إستنتاج العمليات النفسية الثانوية ، إنطلاقاً من العمليات النفسية الأولية ، وبين أصل شبه اسطوري للمتعضي باعتباره شكلاً ثابتاً وينزع نحو الإستمرار في الكائن إنطلاقاً من حالة لا عضوية محضة .

لا يمكن تأويل هذا اللبس الأساسي في الفكر الفرويدي ، في رأينا ، إلا إذا أخذنا الأنا ذاته « كشكل » ، أو « صيغة » مبنية على طراز المتعضي ، أو إذا شئنا ، كمجاز متحقق للمتعضي .

(1) Cf. Fechner (G. T.). *Einige Ideen zur Schöpfungs- und Entwicklungsgeschichte der Organismen*, Leipzig, Breitkopf und Härtel, 1873.
(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 148 ; Angl., 137 ; Fr., 122. — *b)* All., 381 ; Angl., 358 ; Fr., 317. — *c)* All., 425 ; Angl., 404 ; Fr., 358. — *d)* All., 429 ; Angl., 407 ; Fr., 361.
(3) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. — *a)* Cf. G.W., XIII, 68 ; S.E., XVII, 62 ; Fr., 73. — *b)* G.W., XIII, 5 ; S.E., XVIII, 9 ; Fr., 7. — *c)* G.W., XIII, 60 ; S.E., XVIII, 55-6 ; Fr., 64. — *d)* Cf. G.W., XIII, 5 ; S.E., XVIII, 9 ; Fr., 7. — *e)* G.W., XIII, 60 ; S.E., XVIII, 55-6 ; Fr., 64.
(4) Breuer (J.). All., 171 ; S.E., II, 197 ; Fr., 156.
(5) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 604 ; S.E., V, 598 ; Fr., 488. — *b)* G.W., II-III, 605 ; S.E., V, 599 ; Fr., 489.
(6) Cf. Freud (S.). G.W., XVII, 12 ; S.E., I, 147.
(7) Freud (S.). S.E., III, 36.

مبدأ اللذة

Principe de plaisir
Eng.: Pleasure principle
D.: Lustprinzip

■ إنه أحد مبدأين يحكمان ، تبعاً لفرويد ، النشاط العقلي : إذ يهدف مجمل النشاط النفسي إلى تجنب الإنزعاج والحصول على اللذة . وعلى إعتبار أن الإنزعاج يرتبط بزيادة كميات الإثارة ، وأن اللذة ترتبط بتخفيض هذه الكميات ، فإن مبدأ اللذة هو مبدأ إقتصادي ■ .

إن فكرة إقامة مبدأ يحكم النشاط العقلي الوظيفي إنطلاقاً من اللذة بعيدة تماماً عن أن تكون حكراً على فرويد . فلقد طرح فختر نفسه الذي نعلم مدى تأثير أفكاره على فرويد « مبدأ اللذة الخاصة بالفعل »(1a) . فهو على العكس من المذاهب المتعيّة التقليدية ، لا يقصد بذلك أن غائية الفعل الإنساني هي اللذة ، بل أن أفعالنا تتحدد باللذة أو الإنزعاج الآنيين اللذين يؤمنهما تصور الفعل الذي يتعين إنجازه أو تصور نتائجه . وهو يشير أيضاً إلى أن هذه الدوافع قد لا تدرك بشكل واع : « إذ من الطبيعي جداً حين تضيع الدوافع في اللاوعي ، أن تكون تلك هي حالة اللذة والإنزعاج على حد سواء » (1b ، 1) .

يحتل هذا الطابع الآني للدافع أيضاً موقعاً مركزياً في المفهوم الفرويدي : إذ أن الجهاز النفسي محكوم بذلك الميل لتجنب أو تفريغ الطاقة المزعجة . وتجدر الملاحظة بهذا الصدد أن هذا المبدأ قد سمي في البدء « مبدأ الإنزعاج »(2a) : فالدافع هو الإنزعاج الآني وليس توقع اللذة التي سيتم الحصول عليها . فنحن بصدد أوالية ضبط « آلانية »(2b) .

●●●

ظلت فكرة مبدأ اللذة بدون أي تغيير يذكر طوال أعمال فرويد كلها . وعلى العكس من ذلك ، فإن وضعية مبدأ اللذة بالنسبة لبعض المراجع النظرية ، هي التي طرحت على فرويد مشكلة وَضَعَ لها إجابات مختلفة .

تتعلق الصعوبة الأولى التي نحس بها في طرح هذا المبدأ نفسه ، بتعريف كل من اللذة والإنزعاج . تذهب إحدى فرضيات فرويد الثابتة في إطار نموذجه عن الجهاز النفسي ، إلى القول بأن من مبادىء النشاط الوظيفي لنظام الإدراك الوعي ، أن يكون حساساً لطائفة متنوعة من الكيفيات الواردة من العالم الخارجي ، بينما هو لا يدرك من الداخل إلا الزيادات أو النقص في التوتر والتي لا تترجم إلا في طائفة كيفية واحدة هي : سلم اللذة ـ الإنزعاج (ب.2c) . فهل بالإمكان الإقتصار على تعريف إقتصادي محض يعتبر اللذة والإنزعاج مجرد ترجمة كيفية للتعديلات الكمية ؟ ثم ما هو من ناحية ثانية الإرتباط الصحيح ما بين هذين المظهرين الكيفي والكمي ؟ لقد أشار فرويد تدريجياً إلى حجم صعوبة إعطاء إجابة بسيطة على هذه المشكلة . وإذا كان قد اكتفى ، في مرحلة أولى ، بالقول بالتعادل ما بين اللذة وتخفيض التوتر ، وبين الإنزعاج وزيادة هذا التوتر ، فإنه سرعان ما توقف عن اعتبار هذه العلاقة بديهية وبسيطة : « . . . علينا أن لا نهمل الطابع المفرط في عدم تحديده لهذه الفرضية ، طالما أننا لم نوفق بعد إلى اكتشاف طبيعة العلاقة ما بين اللذة وعدم اللذة والتقلبات في كميات الإثارة التي تؤثر على الحياة النفسية . الشيء الوحيد الذي نحن على ثقة منه هو أن هذه العلاقات إذا كانت جد متنوعة ، فهي لا يمكن بأي حال أن تكون جد بسيطة »(3) .

ولا نعثر مطلقاً سوى على بعض المؤشرات الخاصة بنمط الوظيفة موضوع البحث عند فرويد . فهو يشير في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » إلى أنه يجدر بنا التفريق ما بين الإنزعاج وبين الشعور بالتوتر : إذ أن هناك توترات سارة . « أولا يتعين علينا أن نربط الإحساس بالتوتر بالمقدار المطلق للتوظيف ، كما قد يرتبط أيضاً بمستوى هذا التوظيف ، بينما لا يشير تدرج اللذة ـ الإنزعاج إلا إلى تعديل كمية التوظيف خلال وحدة زمنية معينة »(4a) . وفي نص لاحق أُخذ العامل الزمني أو الوتيرة أيضاً بعين الإعتبار ، في نفس الوقت الذي أُعيد فيه تثمين المظهر الكيفي أساساً للذة(5a) .

ورغم الصعوبات التي تعترض سبيل إيجاد معادلات كمية مضبوطة للحالات الكيفية التي تتكون من اللذة والإنزعاج ، إلا أنه مما لا شك فيه أن أهمية الترجمة الإقتصادية لهذه الحالات بالنسبة إلى النظرية التحليلية النفسية تبقى جلية ؛ فهي تتيح لنا طرح مبدأ يصلح لأركان الشخصية اللاواعية ولجوانبها الواعية على حد سواء . فمثلاً قد يثير الكلام عن لذة لا واعية ترتبط بعارض مؤلم ظاهرياً بعض الإعتراضات على مستوى الوصف النفساني . وحين ينطلق من وجهة نظر الجهاز النفسي وما يحدث فيه من تعديلات طاقوية ، يمتلك فرويد نموذجاً يتيح له اعتبار أن كل بنية فرعية يحكمها نفس المبدأ الذي يحكم مجمل الجهاز النفسي ، ولو أنه يترك هكذا بدون حل المسألة الصعبة الخاصة بتحديد الأسلوب واللحظة اللذين تصبح فيهما زيادة التوتر محركة فعلياً كإنزعاج محسوس ، على مستوى كل بنية جزئية . على أن هذه المشكلة لم تهمل مع ذلك في أعمال فرويد . فهي تستعرض بشكل مباشر في كتاب « الصد ، العارض ، والقلق عام 1926 » بصدد الحديث عن الأنا (من مثل مفهوم إشارة القلق كمحرك للدفاع) .

***

وهناك مشكلة أخرى ليست عديمة الصلة مع ما سبق ، تختص بمسألة العلاقة ما بين اللذة والثبات . وبالفعل ، حتى ولو سلمنا بوجود معنى اقتصادي كمي للذة ، إلا أنه تبقى مسألة معرفة إذا كان ما يسميه فرويد بإسم مبدأ اللذة يتطابق مع الإحتفاظ بثبات المستوى الطاقوي ، أو هو يتطابق على العكس ، مع تخفيض جذري للتوترات إلى أدنى مستوى ممكن . تذهب العديد من صياغات فرويد التي تسوي ما بين مبدأ اللذة ومبدأ الثبات في اتجاه الحل الأول . ولكن إذا أخذنا ، على العكس من ذلك مجمل مراجع فرويد النظرية الأساسية (كما تستخلص خصوصاً من نصوص من مثل « مشروع علم نفس علمي عام1895 ، وما فوق مبدأ اللذة ، عام1920 ») فإننا نلاحظ أن مبدأ اللذة يتعارض بالأحرى مع الإحتفاظ بالثبات ، فهو إما أن يتطابق مع السيلان الحر للطاقة بينما يتطابق الثبات مع ربط هذه الطاقة ، وإما أن يصل الأمر بفرويد إلى حد التساؤل حول ما إذا كان مبدأ اللذة « في خدمة نزوة الموت » (4b, 5b) نناقش هذه المشكلة بإستفاضة في المقالة حول « مبدأ الثبات » .

ولا يمكن طرح مسألة وجود نوع من « ما فوق مبدأ اللذة » التي طالما نوقشت في التحليل النفسي ، بشكلها الصحيح إلا بعد الإستخلاص التام للإشكالية التي تعطي دوراً معيناً لمفاهيم اللذة ، والثبات ، والإرتباط ، وخفض التوترات الى درجة الصفر . ففي الواقع ، لم يدافع فرويد عن وجود مبادىء أو قوى نزوية تتجاوز مبدأ اللذة ، إلا حين يختار تفسيراً لهذا المبدأ ينزع إلى دمجه مع مبدأ الثبات . وعلى العكس من ذلك ، فحين يُدمج مبدأ اللذة مع مبدأ الخفض إلى الصفر (أي مبدأ النرفانا) لا يعود طابعه الأساسي والنهائي موضع إعتراض (أنظر خصوصاً : نزوة الموت) .

* * *

تتدخل فكرة مبدأ اللذة بشكل رئيسي في النظرية التحليلية النفسية من خلال مزاوجتها مع فكرة مبدأ الواقع . وهكذا فحين يطرح فرويد بشكل علني ، مبدأي النشاط النفسي الوظيفي ، فإنه يقدم هذا المحور المرجعي الكبير إلى موقع الصدارة . فالنزوات لا ترمي في الأصل ، إلا إلى التفريغ ، وإلى الإشباع بأقصر الطرق الممكنة . ولا تتعلم إلا تدريجياً مراعاة الواقع الذي يتيح لها دون سواه ، الوصول إلى الإشباع المنشود ، من خلال الإلتفافات والتأجيلات الضرورية . ونرى كيف أن الصلة لذة ـ واقع ، تطرح في هذه الأطروحة المبسطة ، مشكلة تتوقف بدورها على الدلالة التي تعطى في التحليل النفسي لمصطلح اللذة . فإذا عنينا باللذة أساساً تهدئة حاجة معينة ، يشكل إرضاء نزوات حفظ الذات نموذجاً لها ، فإن التعارض ما بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع لا يعود يحمل أي مظهر جذري وخصوصاً أنه يسهل القول بوجود تجهيز طبيعي في المتعضي الحي ، أو بوجود استهامات تحمل من اللذة مرشداً حياتياً ، يلحقها بالتصرفات والوظائف التكيفية . ولكن إذا كان التحليل النفسي قد وضع فكرة اللذة في المقام الأول ، فإن ذلك يحدث في سياق آخر تماماً ، حيث تبدو هذه اللذة مرتبطة على العكس من ذلك ببعض العمليات (من مثل تجارب الإشباع) وببعض الظواهر (من مثل الحلم) ذات الطابع اللاواقعي البيّن . يبدو هذان المبدآن ، من هذا المنظور ، متناقضين جذرياً ، إذ يمت إنجاز الرغبة اللاواعية إلى متطلبات أخرى مغايرة تماماً ، وينشط وظيفياً

تبعاً لقوانين مختلفة كلياً عن المتطلبات والقوانين التي تحكم إشباع الحاجات الحيوية (أنظر : نزوة حفظ الذات) .

(أ) من الطريف أن نشير إلى أن فخنر لم يُقِم صلة صريحة ما بين « مبدأ اللذة » و« مبدأ الثبات » اللذين قال بهما . إذ يقتصر فرويد على الرجوع إلى هذا المبدأ الأخير .

(ب) نحن هنا بصدد نموذج مبسط فقط . ذلك أن فرويد مرغم حقاً على محاولة تبيان سلسلة بأكملها من الظواهر « الكيفية » التي لا تصدر عن إدراك خارجي حالي : اللغة الداخلية ، الذكريات ـ الصور ، الأحلام والهلاوس . ففي نهاية التحليل ، تنتج الصفات دوماً ، تبعاً له عن الإثارة الراهنة ، للنظام الإدراكي . تبرز صعوبات مفهوم كهذا لا يترك إلا حيزاً محدوداً لما إصطلح على تسميته منذ أعمال سارتر بإسم « الخيال » مابين اللغة الداخلية والهلاوس ، بشكل ملموس في « ملحق ما وراء نفساني لمذهب الأحلام ـ عام 1915 » . (أنظر أيضاً : أثر ذاكري) .

(1) Fechner. Über das Lustprinzip des Handelns, in : *Zeitschrift für Philosophie und Philosophische Kritik, Halle*, 1848. — *a)* 1-30 et 163-194. — *b)* 11.
(2) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 605 ; S.E., V, 600 ; Fr., 490. — *b)* G.W., II-III, 580 ; S.E., V, 574 ; Fr., 470. — *c)* Cf. G.W., II-III, 621 ; S.E., V, 616 ; Fr., 501.
(3) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 214 ; S.E., XIV, 120-1 ; Fr., 32-3.
(4) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 69 ; S.E., XVIII, 63 ; Fr., 74. — *b)* G.W., XIII, 69 ; S.E., XVIII, 63 ; Fr., 74.
(5) Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. — *a)* G.W., XIII, 372-3 ; S.E., XIX, 160-1 ; Fr., 212. — *b)* G.W., XIII, 372 ; S.E., XIX, 160 ; Fr., 212,

مبدأ القصور (العصبي)

Principe d'inertie (neuronique)
Eng.: Principle of neuronic inertia
D.: Prinzip der neuronenträgheit

■ إفترض فرويد هذا المبدأ للنشاط الوظيفي للجهاز العصبي . في مشروع علم نفس علمي عام1895 : إذ تنزع العصبونات (تبعاً له) إلى الإفراغ الكلي لكميات الطاقة التي تتلقاها ■ .

طرح فرويد في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام1895 » مبدأ القصور بإعتباره المبدأ الذي يحكم النشاط الوظيفي لما أسماه في ذلك الحين بإسم النظام العصبوني . ولكنه لم يعد ثانية إلى هذا التعبير ، في النصوص ما وراء النفسانية اللاحقة . تمتّ هذه الفكرة إلى مرحلة إرصان المفهوم الفرويدي حول الجهاز النفسي . فمن المعلوم أن فرويد يصف في « المشروع » نظاماً عصبياً معيناً من خلال الإستعانة بفكرتين أساسيتين هما : فكرة العصبون وفكرة الكمية . فلقد افترض أن الكمية تسري داخل النظام سالكة هذا المسلك أو ذاك من بين التشعبات العصبونية المتتالية ، إنطلاقاً من المقاومة (التي تلقاها) (« حاجز الإحتكاك ») أو من مسالك العبور الممهدة الموجودة بين عنصر عصبي وآخر . وهناك تشابه بيّن ما بين هذا الوصف بلغة عصبية فسيولوجية والأوصاف اللاحقة التي قدمها عن الجهاز النفسي والتي تستعين ، هي بدورها بعنصرين هما : التصورات للمجمّعة في

سلاسل أو منظومات ، والطاقة النفسية .

تتلخص أهمية فكرة مبدأ القصور القديمة ، في أنها تساعد على توضيح معنى المبادىء الإقتصادية الأساسية التي تنظم نشاط الجهاز النفسي .

***

يتلخص القصور في الفيزياء بما يلي « . . . إذا كانت هناك نقطة متحررة من أي إرتباط ميكانيكي ، ولا تتلقى أي فعل ، فإنها تحتفظ إلى ما لا نهاية بنفس السرعة في القدر والاتجاه (وهو ما يشمل حتى الحالة التي تكون فيها السرعة معدومة ، أي حين يكون الجسم في حالة السكون) »(1) .

1 - يتضمن المبدأ الذي يطرحه فرويد بصدد الجهاز العصبي تماثلاً أكيداً مع مبدأ القصور الفيزيائي . ويصاغ هذا المبدأ كالتالي : « تنزع العصبونات إلى التخلص من الكمية »(2) .

نجد النموذج لمثل هذا النشاط الوظيفي في مفهوم معين عن المنعكس : ففي القوس الإنعكاسي ، يفترض أن تفرّغ كمية الإثارة التي يتلقاها العصبون الحسي ، كلياً عند الطرف الحركي . وبشكل أعم ؛ يتصرف الجهاز العصبي ، تبعاً لفرويد ، وكأنه لا ينزع إلى مجرد تفريغ الإثارات ، بل إلى البقاء ، بالتالي بمنأى عن مصادر الإثارة . إلا أن مبدأ القصور لا يمكنه أن ينشط على صعيد الإثارات الداخلية بدون أن يخضع لتعديلات عميقة ؛ ففي الواقع ، لا بد من فعل نوعي يتطلب نوعاً من تخزين الطاقة بغية الوصول إلى غايته ، ولكي يحدث التفريغ الملائم .

2 - إلا أن الصلة ما بين استعمال فرويد لفكرة مبدأ القصور ، واستخدامه في الفيزياء تظل واهية نسبياً وذلك من عدة أوجه :

أ - فالقصور في الفيزياء هو خاصية للأجسام في حالة الحركة ، بينما أنه ليس ، بالنسبة إلى فرويد ، خاصية « للمتحرك » موضع البحث ، أي الإثارة ، بل هو نزوع نشط في « النظام » حيث تتنقّل الكميات ؛

ب - يشكّل مبدأ القصور قانوناً كونياً في الفيزياء ، حيث يحدد الظواهر موضع البحث كما نجده فاعلاً حتى في تجليات يبدو للملاحظ العادي أنها تناقضه . فمثلاً تنزع حركة قذيفة ما إلى التوقف من تلقاء ذاتها ظاهرياً ، ولكن الفيزياء تبين لنا أن هذا التوقف يرجع إلى مقاومة الهواء ، إنما حتى بصرف النظر عن هذا العامل المحتمل فإن صلاحية قانون القصور لا تتعرض أبداً لأي تشكيك فيها . وعلى العكس من ذلك فإن مبدأ القصور يفقد طابعه التشكيلي للنظام الطبيعي موضع البحث ، حين يقوم فرويد بنقله إلى المجال النفس فسيولوجي ؛ إذ قد يقوم أسلوب آخر من النشاط الوظيفي بإحباطه من خلال الحد من مجال تطبيقه . وهكذا يفترض تكوين مجموعات العصبونات ذات التوظيف الثابت خضوعها لتحكم قانون معين - هو قانون الثبات - الذي يقوم في وجه السيلان الحر للطاقة . ولا يستطيع فرويد الدفاع عن الفكرة القائلة بأن مبدأ القصور يستعمل نوعاً من مراكمة الطاقة لأغراضه الخاصة ، إلا من خلال نوع من الإستنتاج الذي يلجأ إلى الغائية .

جـ - ونعود فنجد أيضاً هذا الإنتقال من الأوالية إلى الغائية في استنتاج فرويد من مبدأ تفريغ الإثارة نزعةً لتجنب أي مصدر للإثارة .

3 ـ وهكذا نفهم كيف أن فرويد يضطر لإدخال تعديلات كبرى على مبدأ القصور ، بمقدار ما يرمي إلى التمسك بمستوى معين من المعقولية الإحيائية . إذ كيف يمكن فعلاً لمتعضى ينشط وظيفياً تبعاً لهذا المبدأ أن يستمر في الحياة ؟ وكيف يمكن حتى أن « يوجد » ـ إذا كان صحيحاً أن فكرة المتعضى ذاتها تفترض الحفاظ على فرق ثابت في المستوى الطاقوي بالنسبة إلى البيئة ؟

●●●

على كل ، لا يجوز في نظرنا أن تُسْقِطَ التناقضات التي يمكن أن نكتشفها في الفكرة الفرويدية القائلة بمبدأ القصور العصبي الحدس الأساسي الذي يكمن وراء استخدامه . إذ يرتبط هذا الحدس باكتشاف اللاوعي ذاته ، إذ لا يعدو أن يكون ما يترجمه فرويد بمصطلحات السريان الحر للطاقة في العصبونات عبارة عن نقل لتجربته العيادية : أي السريان الحر للمعنى الذي يميز العمليات الأولية .

وبهذا القدر يمكن اعتبار مبدأ النرفانا ، كما يظهر في أعمال فرويد فيما بعد ، كإعادة لتأكيد الحدس الأساسي الذي وجه طرح مبدأ القصور ، في لحظة حاسمة من الفكر الفرويدي أي (« تحول » سنوات 1920) .

(1) Lalande (A.). *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*, Paris, P.U.F., 1951.
(2) Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1895. All., 380 Angl., 356 ; Fr., 316.

مبدأ النرفانا

Principe de Nirvana
Eng.: Nirvana principle
D.: Nirwanaprinzip

■ إقترحت بربارة لوف هذا المصطلح ، ومن ثم عاد إليه فرويد للدلالة على نزعة الجهاز النفسي نحو إرجاع أي كمية من الإثارة ذات منشأ خارجي أو داخلي إلى مستوى الصفر أو على الأقل إلى اختصارها إلى أقصى حد ممكن ■ .

إقتُبس مصطلح « النرفانا » ، الذي انتشر في الغرب على يد شوبنهاور من الديانة البوذية ، حيث يدل على « إنطفاء » الرغبة الإنسانية ، والقضاء على الفردية التي تذوب في الروح الجماعية ، وعلى حالة من السكينة والسعادة الكاملة .

ويعرض فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » مبدأ النرفانا الذي أخذه عن التعبير المقترح من قبل المحللة النفسية الإنجليزية ، بربارة لوف ، وهو يقصد به تلك « . . . النزعة نحو تخفيض توتر الإثارة الداخلية ، وثباتها ، والقضاء عليها »(1) . تتطابق هذه الصياغة مع تلك التي أعطاها فرويد لمبدأ الثبات ، في نفس النص ، وهي تحمل بالتالي في ثناياها ذلك الغموض الذي

يعادل ما بين النزعة نحو الحفاظ على ثبات مستوى ما من الإثارة ، وبين النزعة نحو تخفيض أي إثارة إلى مستوى الصفر (أنظر بغية مناقشة هذه النقطة : مبدأ الثبات) .

إلا أنه ليس من العبث أن نشير إلى أن فرويد قد قدّم مصطلح النرفانا ، بكل ما يحمل من صدى فلسفي ، في واحد من تلك النصوص التي ينهب فيها بعيداً جداً في مضمار التأمل الإفتراضي ؛ حيث يجد فرويد تطابقاً ما بين النرفانا الهندوسية أو الشوبنهاورية وبين فكرة نزوة الموت . ولقد أكّد على هذا التطابق في « المشكلة الإقتصادية للمازوشية عام1924 » : حيث يقول « يعبّر مبدأ الزفانا عن نزعة نزوة الموت »(2) . يدل « مبدأ الزفانا » بهذا المعنى على شيء آخر غير قانون الثبات أو ضبط التوازن الذاتي أي أنه يدل على : تلك النزعة الجذرية إلى رد الإثارة إلى مستوى الصفر ، كما سبق لفرويد أن أعلنه من خلال مصطلح « مبدأ القصور » .

ويوحي مصطلح النرفانا من ناحية ثانية بوجود رباط عميق ما بين اللذة والتلاشي ، وهو رباط ظل إشكالياً بالنسبة لفرويد (أنظر : مبدأ اللذة) .

(1) Freud (S.). G.W., XIII, 60 ; S.E., XVIII, 51 ; Fr., 59.
(2) Freud (S.). G.W., XIII, 373 ; S.E., XIX, 160 ; Fr., 213.

مبدأ الواقع

Principe de réalité
Eng.: Principle of reality
D.: Realitätsprinzip

■ إنه أحد المبدأين اللذين يحكمان ، تبعاً لفرويد ، النشاط العقلي الوظيفي. وهو يكوّن ثنائياً مع مبدأ اللذة الذي يُعدّله : فبمقدار ما ينجح في فرض ذاته كمبدأ منظّم ، لا يعود البحث عن الإشباع يتم من خلال أقصر الطرق ، بل يسلك التفافات ويؤجل الحصول على نتيجته تبعاً للشروط التي يفرضها العالم الخارجي .

يتطابق مبدأ الواقع ، حين طرحه من وجهة نظر إقتصادية ، مع تحويل الطاقة الحرة إلى طاقة مربوطة ؛ كما أنه يميز أساساً ، من وجهة النظر الموقعية ، نظام ما قبل الوعي - الوعي ؛ وأما من وجهة النظر الدينامية ، فإن التحليل النفسي يحاول إقامة تدخل مبدأ الواقع على نمط معين من الطاقة النزوية التي تخدم أغراض الأنا على وجه التخصيص (أنظر: نزوات الأنا) ■ .

مع أن مبدأ الواقع يمثّل في أولى إرصانات فرويد ما وراء النفسانية ، إلا أن الإعلان عنه قد تم عام 1911 في « صياغات حول مبدأي النشاط النفسي الوظيفي » ؛ وهو يخلف ، من منظور تكويني مبدأ اللذة الذي وضع على صلة معه . إذ يحاول الرضيع في بداية الأمر أن يجد سبيلاً لتفريغ التوتر النزوي فوراً ، وبأسلوب هوامي ، (أنظر : تجربة الإشباع) إلا : « . . . إن الغياب المستمر للإشباع المنتظر ، وما يرافقه من خيبة أمل ، هو وحده الذي أدى إلى ترك هذه المحاولة للإشباع من خلال الهلوسة . وعوضاً عن هذه المحاولة ، تعيّن على الجهاز النفسي أن يحزم

أمره فيتصور الحالة الواقعية للعالم الخارجي ويبحث عن تعديل فعلي (لهذا التوتر) . وبذلك قُدِّم مبدأ جديد للنشاط النفسي : فلم يعد يُتصور ما هو ممتع ، بل ما هو واقعي حتى ولو كان بغيضاً (إلى النفس) »(1a) . يظهر مبدأ الواقع ، وهو المبدأ المنظم للنشاط النفسي ، ثانوياً كتعديل لمبدأ اللذة الذي يسود وحده في البداية ؛ ويتوافق قيامه مع سلسلة كاملة من التكيفيات التي يتعين على الجهاز النفسي المرور بها من مثل : نمو الوظائف الواعية ، الإنتباه ، الحكم على الأمور ، الذاكرة ؛ وإحلال فعل يرمي إلى تعديل ملائم للواقع ، محل التفريغ الحركي ؛ وولادة الفكر الذي يُعرّف بإعتباره « نشاط إختباري » حيث تزاح كميات صغيرة من التوظيف ، وهو ما يفترض تحولاً للطاقة الحرة التي تنزع إلى السريان من تصور إلى آخر بدون أي عائق ، إلى طاقة مربوطة (أنظر ـ وحدة الإدراك ـ وحدة الفكر) . على أن الإنتقال من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع لا يلغي مع ذلك المبدأ الأول . فمن ناحية ، يؤمن مبدأ الواقع الحصول على الإشباعات في الواقع ، ومن ناحية ثانية ، يستمر مبدأ اللذة في السيادة على قطاع بأكمله من النشاط النفسي ، وهو نوع من الحيز الخاص المكرس للهوام والذي ينشط تبعاً لقوانين العمليات الأولية ونقصد به اللاوعي .

ذاك هو اعم نموذج أرصنه فرويد في إطار ما أطلق عليه هو نفسه إسم « علم النفس التكويني »(1b) . ولقد أشار إلى أن هذه الصميمة تنطبق بشكل مختلف إذا كنا ننظر في تطور النزوات الجنسية أم في تطور نزوات حفظ الذات . وإذا كانت هذه النزوات الأخيرة تتوصل تدريجياً خلال نموها للتسليم الكامل بسطوة مبدأ الواقع ، فإن النزوات الجنسية لا « تُهذَّبْ » إلا مع شيء من التأخير ، وبشكل منقوص دوماً . وينتج عن ذلك ثانوياً ، أن تظل النزوات الجنسية المجال المفضل لمبدأ اللذة ، بينما لا تلبث نزوات حفظ الذات أن تمثل سريعاً متطلبات الواقع ، داخل الجهاز النفسي . وفي نهاية المطاف ، يضرب الصراع النفسي ما بين الأنا والمكبوت جذوره عميقة في الثنائية النزوية ، التي تتطابق بدورها مع ثنائية المبادىء .

يثير هذا المفهوم رغم بساطته الظاهرية ، صعوبات تظهر في العديد من الإشارات في أعمال فرويد نفسه .

أولاً : فيما يختص بالنزوات ، لا تبدو فكرة تطور النزوات الجنسية ونزوات حفظ الذات تبعاً لنفس الصميمة مرضية على الإطلاق . إذ ليس من السهل مطلقاً أن نرى ما يمكن أن تكون عليه تلك الفترة الأولى التي يحكمها مبدأ اللذة وحده ، من بين فترات تطور نزوات حفظ الذات : أولا تتوجه منذ البدء نحو الموضوع الفعلي الذي يحمل الإشباع ، كما أشار إلى ذلك فرويد نفسه في صدد تمييزها عن النزوات الجنسية ؟(2) وبالمقابل ، فإن الصلة ما بين الجنسية والهوام جوهرية لدرجة أن فكرة التعلم التدريجي للواقع تصبح موضع تشكيك شديد ، كما تشهد عليه التجربة التحليلية .

وغالباً ما طرح التساؤ ل حول كيفية تمكّن الطفل من البحث بأي حال من الأحوال عن موضوع واقعيّ ، إذا كان بمقدوره الحصول على ما شاء من إشباع على الصعيد الهوامي . يتيح لنا المفهوم الذي يجعل النزوة الجنسية تنبجس من نزوة حفظ الذات من خلال علاقة مزدوجة من الإستناد والإنفصال ، أن نوضح هذه المشكلة الصعبة . يمكن القول إذا أردنا التبسيط أن وظائف حفظ الذات تحرك تراكيب سلوكية ، وصمائم إدراكية تستهدف منذ البدء موضوعاً واقعياً مناسباً

(من مثل الثدي ، والطعام) ، حتى ولو تم ذلك بشكل متعثر . وتولد النزوة الجنسية بشكل هامشي خلال إنجاز هذه الوظيفة الطبيعية ؛ ولا تصبح مستقلة فعلاً إلا خلال الحركة التي تفصلها عن الوظيفة وعن الموضوع ، وذلك بتكرار اللذة على نمط الغلمة الذاتية ، ومن خلال استهداف تصورات منتقاة تنتظم في هوام معين . وهكذا نرى ، من هذا المنظور ، أن الإرتباط ما بين نمطي النزوات موضع البحث وبين المبدأين ، لا يبدو مطلقاً باعتباره اكتساباً ثانوياً : فالصلة وثيقة منذ البدء ما بين حفظ الذات والواقع ؛ وعلى العكس من ذلك ، تتطابق لحظة بزوغ الجنسية مع لحظة ظهور الهوام ومع الإنجاز الهلاسي للرغبة .

ثانياً : غالباً ما نسبت إلى فرويد بغية نقدها ، الفكرة القائلة بأنه يتعين على الكائن الإنساني الخروج من حالة افتراضية يحقق فيها نوعاً من العالم المغلق المكرّس للذة « النرجسية » دون ما عداها ، كي يعبر (فيا بعد) إلى الواقع ، من خلال مسلك معين لسنا ندري كنهه . هناك أكثر من صياغة فرويدية تفنّد تصور من هذا القبيل : إذ يوجد منذ البدء منفذ إلى الواقع ، في بعض القطاعات ، على الأقل ، وخصوصاً قطاع الإدراك . ألا ينبع هذا التناقض من كون إشكالية الواقع تُطرح ، في مجال الإستقصاء الخاص بالتحليل النفسي ، بصيغ مختلفة تماماً عن تلك الصيغ التي يعتمدها علم النفس الذي يتخذ له من تحليل سلوك الطفل موضوعاً للبحث ؟ إن ما يطرحه فرويد بلا مسوغ (علمي) باعتباره صالحاً لمجمل تكوين الشخص الإنساني ، يجد قيمته على مستوى الرغبة اللاواعية ، التي تتسم باللاواقعية منذ البدء . حيث يبحث فرويد عن شروط العبور إلى ما يسميه باسم « الحب التام للموضوع » من خلال تطور الجنسية الإنسانية في عملية انبنائها بواسطة عقدة الأوديب . ومن العسير الإحاطة بمعنى مبدأ الواقع القادر على تعديل مجرى الرغبة الجنسية خارجاً عن إطار الرجوع إلى جدلية الأوديب والتماهيات التي تلازمها (أنظر : موضوع) .

ثالثاً : يمحّض فرويد دوراً هاماً لفكرة « إختبار الواقع » ولكن بدون أن يقوم أبداً بإرصان نظرية متماسكة عنه ، وبدون أن يبين تماماً علاقته مع مبدأ الواقع . وفي استخدام هذه الفكرة نرى بمزيد من الجلاء كيف أنه بإمكانها أن تغطي المجاهين فكريين جد مختلفين : فهناك من ناحية ، النظرية التكوينية حول تعلّم الواقع ، وحول وضع النزوة على محك الواقع (وكأنها تقوم على أسلوب « المحاولة والخطأ ») ، وهناك من ناحية ثانية نظرية شبه صورية (بالمعنى الكانتي) تعالج تكوين الموضوع من خلال سلسلة بأكملها من التعارضات ما بين : الداخلي والخارجي ، والسار والمزعج ، والإجتياف والاسقاط . (أنظر بغية نقاش هذه المشكلة : إختبار الواقع ، وكذلك أنا ـ لذة ، أنا ـ واقع) .

رابعاً : وبمقدار ما يعرّف فرويد « الأنا » ، في نظريته الموقعية الأخيرة ، باعتباره تمايزاً عن الهو ناتجاً عن الإحتكاك المباشر مع الواقع الخارجي فهو يجعل من هذا الأنا الركن الذي تُوكَل إليه مهمة تأمين سطوة مبدأ الواقع . « . . . إذ يوسّط الأنا نشاط الفكر ما بين المطلب النزوي وبين الفعل الذي يؤمن الإشباع ، ويحاول نشاط الفكر هذا ، من خلال التوجه في الحاضر ، والإستعانة بالتجارب السابقة ، أن يتنبأ بواسطة أفعال اختبارية ، بنتيجة المشاريع المبتغاة . ويتوصل الأنا بهذا الشكل إلى معرفة ما إذا كان يتوجب تنفيذ محاولة الحصول على الإشباع أم تأجيلها ، كما يتوصل إلى معرفة ما إذا

كان يتوجب قمع المطلب النزوي بكل بساطة باعتباره خطراً (مبدأ الواقع) »(3) . تشكل هذه الصياغة أصرح تعبير عن محاولة فرويد لإلحاق وظائف الفرد التكيفية بالأنا (أنظر : الأنا ، التعليق السادس) . يثير هذا المفهوم نوعين من التحفظات : فمن ناحية أولى ، ليس أكيداً أن تعلّم متطلبات الواقع يجب أن تلقى كلياً على عاتق أحد أركان الشخصية النفسية الذي يتأثر في تكوينه ونشاطه الوظيفي إلى هذا القدر ، بالتماهيات والصراعات ، وأما من ناحية ثانية ألم تجدد فكرة الواقع بعمق ، في المجال الخاص بالتحليل النفسي ، من خلال اكتشافات بنفس عمق وأهمية عقدة الأوديب ، والتكوين التدريجي للموضوع الليبيدي ؟ إذ لا يمكن اختزال ما يقصد « بالعبور إلى الواقع » في التحليل النفسي الى مجرد فكرة سلطة التمييز ما بين اللاواقع والواقع ، ولا حتى إلى فكرة وضع الهوامات والرغبات اللاواعية موضع الإختبار من خلال الإحتكاك بعالم خارجي ، يشكل وحده القانون المرجعي ، في نهاية المطاف .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., VIII, 231-2 ; S.E., XII, 219. — *b)* G.W., VIII, 235 ; S.E., XII, 223.
(2) Cf. Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 227, n. ; S.E., XIV, 134-5 ; Fr., 57.
(3) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 129 ; S.E., XXIII, 199 ; Fr., 74.

متجاذب وجدانياً ، سابق على التجاذب ، لاحق للتجاذب

Ambivalent, préambivalent, postambivalent

Eng.: Ambivalent, pre-ambivalent, post-ambivalent

D.: Ambivalent, prä-ambivalent, post-ambivalent

■ قدم كارل إبراهام هذه المصطلحات : التي تصف تطور المراحل الليبيدية من وجهة نظر العلاقة بالموضوع . وهكذا تكون المرحلة الفمية في فترتها الأولى (أي الإمتصاص) سابقة على التجاذب ؛ ويظهر التجاذب الوجداني في الفترة الثانية (أي العض) كي يبلغ ذروته في المرحلة الشرجية . ويستمر في المرحلة القضيبية كي لا يزول إلا بعد مرحلة الكمون ، مع توطّد الحب التناسلي للموضوع .■ .

نحيل القارىء إلى مقالة كارل إبراهام بعنوان : « ملامح تاريخ نمو الليبيدو إستناداً إلى التحليل النفسي للإضطرابات النفسية ، عام1924 » .

كما يمكننا الرجوع إضافة إلى ذلك إلى لانحه التكوين الفردي التي قدمها ر. فلايس(1) .

(أنظر : تجاذب وجداني ، مرحلة ؛ وكذلك المقالات المخصصة لمختلف مراحل الليبيدو) .

(1) Cf. Fliess (R.). *The psycho-analytic reader*, 1950 254-5.

متلائم مع الأنا

Conforme au moi
Eng.: Egosyntonic
D.: Ichgerecht

■ يصف هذا التعبير النزوات والتصورات المقبولة من الأنا ، أي تلك التي تتمشى مع متطلباته وسلامة وحدته ■ .

يصادف هذا المصطلح أحياناً في كتابات فرويد (أنظر مثلاً 1,2) ، حيث يتضمن فكرة كون الصراع النفسي ليس مجابهة بين الأنا (بشكل مجرد) وبين جميع النزوات ، بل هو مجابهة ما بين فئتين من النزوات ، تتمشى الأولى مع الأنا (نزوات الأنا) ، وتتعارض الأخرى مع الأنا أو لا تتلاءم معه وبالتالي فهي مكبوتة . وإذا كانت نزوات الأنا ، متلائمة معه من حيث التعريف ، كما ورد في إطار النظرية الأولى للنزوات ، فإن النزوات الجنسية سيكون مصيرها الكبت حين يتضح أنها غير قابلة للتوفيق مع الأنا .

يتضمن تعبير « متلائم مع الأنا » فكرة عن الأنا باعتباره كلاً ، ووحدة ومثلاً أعلى ، كما ورد تعريفه في كتاب « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » على سبيل المثال (أنظر : الأنا) . يرد هذا المعنى ذاته من جديد في استخدام أرنست جونز لهذا التعبير : حين يعارض ما بين نزعات متلائمة مع الأنا وأخرى متعارضة معه تبعاً « لانسجامها » وتمشيها وتماسكها مع معايير الذات أم لا (3) .

(1) Cf. Freud (S.). « *Psychoanalyse* » *und* « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 222 ; S.E., XVIII, 246.
(2) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 167 ; S.E., XIV, 99.
(3) Jones (E.). *Papers on Psycho-Analysis*, Baillière, Londres, 5e éd., 1950, 497.

مثل أعلى للأنا

Idéal du moi
Eng.: Ego Ideal
D.: Ichideal

■ إستخدم فرويد هذا المصطلح في إطار نظريته الثانية عن الجهاز النفسي وهو يشير إلى ذلك الركن من أركان الشخصية الذي ينتج عن تلاقي النرجسية (مثلنة الأنا) مع التماهيات بالوالدين وببدائلهم وبالمثل العليا الجماعية . ويشكل المثل الأعلى للأنا ، باعتباره ركناً متمايزاً ، نموذجاً يحاول الشخص أن يتمثل به ■ .

من العسير أن نحصر عند فرويد معنى لا لبس فيه لمصطلح « المثل الأعلى للأنا » . تعود تقلبات دلالة هذا المفهوم إلى ارتباطه الوثيق بالإرصان التدريجي لفكرة الأنا الأعلى ، وبشكل أعم بالنظرية الثانية للجهاز النفسي . وهكذا اعتبر المثل الأعلى للأنا ، والأنا الأعلى كمترادفين في « الأنا والهو عام 1923 » بينما ألحقت وظيفة الأنا الأعلى في نصوص أخرى بركن متمايز ، أو على الأقل ببنية فرعية خاصة ضمن الأنا الأعلى (أنظر هذه الكلمة) .

ظهر مصطلح « المثل الأعلى للأنا » في المقالة بعنوان « من أجل تقديم النرجسية عام1914 » للدلالة على تكوين نفسي داخلي مستقل نسبياً يقوم بدور المرجع للأنا في تقديره لإنجازاته الفعلية . وهو ذو أصل نرجسي أساساً : «إن ما يسقطه [المرء] أمامه باعتباره مثله الأعلى ، هو البديل عن نرجسيته الطفلية الضائعة ؛ حيث كان هو نفسه في تلك الفترة يُشكِّل مثله الأعلى الخاص»(1a). ويتم التخلي بحكم الواقع عن هذه الحالة النرجسية، التي يقارنها فرويد بهذيان عظمة حقيقي ، خصوصاً بسبب الإنتقاد الذي يمارسه الأهل تجاه الطفل . وتجدر الإشارة إلى أن هذا النقد الذي يتم تمثله على شكل ركن نفسي خاص هو ركن الرقابة وملاحظة الذات ، يتميز في مجمل النص عن المثل الأعلى للأنا : « . . . إذ لا ينفك هذا الركن عن مراقبة الأنا الراهن ويقيسه بالمثل الأعلى »(1b) .

وأما في « علم النفس الجماعي وتحليل الأنا عام1921 » فإن وظيفة المثل الأعلى للأنا توضع في مكان الصدارة . إذ يرى فرويد فيها تكويناً متمايزاً بشكل جلي عن الأنا يتيح لنا على وجه الخصوص تفسير الإفتتان الغرامي ، والتبعية للمنوم المغناطيسي والخضوع للقائد : وكلها حالات يَحُلّ فيها الشخص إنساناً غريباً محل المثل الأعلى لأناه .

تحتل مثل هذه العملية موقعاً مبدئياً في تكوين الجماعة الإنسانية . إذ يشتق المثل الأعلى الجماعي فعاليته من تلاقي « المثل الأعلى للأنا » لدى الأفراد : « . . . أحلّ عدد معين من الأفراد نفس الموضوع الوحيد محل مثلهم الأعلى للأنا ، ولقد تماهوا فيما بينهم على أثر ذلك في أناهم »(2a) ؛ وعلى العكس من ذلك فإن هذه الأنوات هي مستقر بعض من المثل العليا الجماعية ، على أثر التماهيات بالأهل والمربين ، الخ . . : « إذ ينتمي كل فرد إلى عدة مجموعات ، ويرتبط بواسطة التماهي من عدة جهات ، ويبني مثله الأعلى للأنا إنطلاقاً من نماذج جد متنوعة »(2b) .

إعتبر مصطلح الأنا الأعلى الذي ظهر لأول مرة في « الأنا والهو » كمرادف للمثل الأعلى للأنا ؛ إذ يضم ركن وحيد تكوّن من خلال التماهي بالوالدين بالتلازم مع أفول الأوديب ، وظائف المنع والمثل الأعلى . « ولا تقتصر علاقات [الأنا الأعلى] مع الأنا على التعليم التالي : « عليك أن تكون هكذا » (مثل أبيك) ؛ بل تتضمن أيضاً هذا المنع : « ليس لك الحق أن تكون هكذا » (مثل أبيك)؛ أي أن تقوم بكل ما يقوم به هو؛ إذ أن هناك أشياءً كثيرة تظل حكراً عليه وحده »3 .

وأما في « محاضرات جديدة في التحليل النفسي عام1932 » فلقد حدثت رجعة ثانية إلى نوع من التمييز : حيث يبدو الأنا الأعلى كبنية شاملة تضم ثلاث وظائف : « المراقبة الذاتية ، والضمير الخلقي ، ووظيفة المثل الأعلى »(4) ويتجلى التمييز ما بين هاتين الوظيفتين الأخيرتين خصوصاً في الفروق التي يحاول فرويد إقامتها ما بين الشعور بالذنب ، وبين الشعور بالدونية . ينتج هذان الشعوران عن التوتر ما بين الأنا والأنا الأعلى ، إنما يكون الشعور الأول على علاقة مع الضمير الخلقي ، بينما يكون الشعور الثاني على علاقة مع المثل الأعلى للأنا، بإعتبار أنه محبوب أكثر مما هو مصدر خشية .

***

تشهد أدبيات التحليل النفسي أن مصطلح الأنا الأعلى لم يمح مصطلح المثل الأعلى للأنا . إذ لا يخلط معظم المؤلفين بينهما في الإستعمال .

هناك إتفاق نسبي بصدد ما يسمى « المثل الأعلى للأنا » ؛ وعلى العكس تتفاوت المفاهيم بصدد علاقته مع الأنا الأعلى والضمير الخلقي . ولا زالت المسألة معقدة ، نظراً لأن المؤلفين يطلقون إسم الأنا الأعلى أحياناً على بنية إجمالية تتضمن عدة بنى فرعية متفاوتة ، كما يفعل فرويد في « محاضرات تمهيدية » ، وأحياناً يخصصون هذه التسمية بشكل أكثر تحديداً « لصوت الضمير » في وظيفته المانعة .

إذ ينفصل المثل الأعلى للأنا والسلطة المانعة صراحة بالنسبة لنبرغ على سبيل المثال . فهو يميز بينهما على مستوى الدوافع التي يثيرانها في الأنا : « فبينما يمتثل الأنا للأنا الأعلى خوفاً من العقاب ، فإنه يخضع للمثل الأعلى للأنا بدافع من الحب »(5) ؛ كما يميز بينهما من ناحية أصلهما (إذ يتشكل المثل الأعلى للأنا أساساً على غرار صورة الموضوعات المحبوبة ، بينما يتشكل الأنا الأعلى على غرار صورة الأشخاص موضع الخشية) .

وإذا بدا أن لهذا التمييز ما يبرره على المستوى الوصفي ، فإن ذلك لا يقلل من صعوبة التمسك الصارم به من وجهة النظر ما وراء النفسانية . ولهذا يؤكد العديد من المؤلفين على تشابك مظهري المثل الأعلى والمنع ، سائرين في ذلك على هدى إرشادات فرويد في كتابه « الأنا والهو » (وهو النص الذي اقتبسناه أعلاه) . وهكذا يتحدث دانيال لاجاش عن نظام أنا أعلى - مثل أعلى في الأنا ، ويقيم علاقة إثنائية ضمنه : « . . . فبينما يتطابق الأنا الأعلى مع السلطة يتطابق المثل الأعلى للأنا مع الأسلوب الذي يجب أن يتصرف الشخص تبعاً له كي يتمشى مع توقع السلطة تجاهه »(6) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., X, 161 ; S.E., XVI, 94. — *b)* G.W., X, 162 ; S.E., XVI, 95.
(2) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 128 ; S.E., XVIII, 116 ; Fr., 130. — *b)* G.W., XIII, 144 ; S.E., XVIII, 129 ; Fr., 145.
(3) Freud (S.). G.W., XIII, 262 ; S.E., XIX, 34 ; Fr., 189.
(4) Freud (S.). G.W., XV, 72 ; S.E., XXII, 66 ; Fr., 94.
(5) Nunberg (H.), *Allgemeine Neurosenlehre auf psychoanalytischer Grundlage*, 1932. Trad. fr. *Principes de psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1957, 155.
(6) Lagache (D.). La psychanalyse et la structure de la personnalité, in *La Psychanalyse*, Paris, P.U.F., VI, 39.

Idéalisation — مثلنة

Eng.: Idealization

D.: Idealisierung

■ هي عملية نفسية ترفع بواسطتها صفات وقيمة الموضوع إلى مرتبة الكمال . يسهم التماهي بالموضوع الممثلن في تكوين وإغناء الأركان التي تسمى مثالية عند الشخص من (أنا مثالي . ومثل أعلى للأنا) ■ .

إرتبط توجه فرويد نحو تعريف المثلنة التي سبق له أن بيّنها فاعلة في الحياة الغرامية (أي التقدير الجنسي المفرط) على وجه الخصوص ، باستخلاص فكرة النرجسية . وهو يميز المثلنة عن

التسامي : فهذا الأخير : « . . . هو عملية تخص ليبدو الموضوع وتتلخص في توجه النزوة نحو هدف آخر بعيد عن الإشباع الجنسي [. . .] . أما المثلنة فهي عملية تخص الموضوع الذي يضخم من خلالها ويعظّم نفسياً بدون أن تتغير طبيعته . والمثلنة ممكنة سواء في مجال ليبدو الأنا ، أم في مجال ليبدو الموضوع »(1) .

وتشكل المثلنة ، خصوصاً مثلنة الأهل ، بالضرورة جزءاً من تكوين الأركان المثالية ، عند الشخص (أنظر : أنا مثالي ، والمثل الأعلى للأنا) . ولكنها ليست مرادفة « لتكوين مثل الشخص العليا » ؛ إذ قد تنصب في الواقع ، على موضوع مستقل : كمثلنة موضوع محبوب على سبيل المثال . إنما تجدر الإشارة إلى أنه حتى في هذه الحالة تصطبغ المثلنة بشدة بالنرجسية : « حيث نرى أن الموضوع يعامل كالأنا الخاص ، وأن كمية هامة من الليبدو النرجسي تتحول إلى الموضوع في الوله الغرامي »(2) .

●●●

ولقد أكّد العديد من المؤلفين ، وخصوصاً ميلاني كلاين على الدور الدفاعي للمثلنة . فمثلنة الموضوع ، تبعاً لهذه المؤلفة هو أساساً دفاع ضد النزوات التدميرية ؛ وهي تتلازم ، بهذا المعنى ، مع « إنشطار » مفرط حتى النهاية ما بين الموضوع « الطيب » الذي تعرّض للمثلنة ومُحض بكل الصفات [الإيجابية] (من مثل الثدي الأمومي المتوفر دوماً والذي لا ينضب) والموضوع « السيء » الذي تدفع سماته الإضطهادية بدورها إلى ذروة شدتها(3) .

(1) Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 161 ; S.E., XIV, 94.
(2) Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 124 ; S.E., XVIII, 112 ; Fr. 126.
(3) Cf. par exemple : Klein (M.). Some Theoretical Conclusions regarding the Emotional Life of the Infant, in : *Developments*, 1952, 222.

مجموع الإثارة

Somme d'excitation

Eng.: Sum of excitation
D.: Erregungssumme

■ هو أحد المصطلحات التي يستخدمها فرويد للدلالة على العامل الكمي الذي تشكل تحولاته موضوع الفرضية الإقتصادية التي قال بها . يشدد هذا المصطلح على مصدر هذا العامل : أي الإثارات الخارجية منها والداخلية على وجه الخصوص (أو النزوات) ■ .

يكتب فرويد في نهاية مقالته حول « أعصبة الدفاع عام 1894 » ما يلي : « لا بد أن نميز في الوظائف النفسية شيئاً ما (مقدار العاطفة ، مجموع الإثارة) يمتلك كل خصائص الكم ـ حتى ولو لم يكن بمقدورنا أن نقيسه ـ شيء يمكن زيادته ، أو إنقاصه ، أو إزاحته ، أو تفريغه ، وهو ينتشر

على كل الآثار الذاكرية على غرار إنتشار شحنة كهربائية على سطح الأجسام »(1) .

يتضح في هذا النص ، أن مصطلح مجموع الإثارة يُتخذ كمرادف لمصطلح مقدار العاطفة ؛ إلا أن كل منهما يؤكد على جانب مختلف من العامل الكمي . فيشير مصطلح مجموع الإثارة إلى فكرتين :

1 ـ مصدر الكمية حيث تعتبر الطاقة النفسية صادرة عن المثيرات الداخلية أساساً ، تلك المثيرات التي تمارس فعلاً مستمراً ، والتي لا يمكن تجنبها بواسطة الهروب .

2 ـ يخضع الجهاز النفسي إلى مثيرات تشكل تهديداً مستمراً لغائيته ، أي تهديد لمبدأ الثبات .

يتعين تقريب هذا المصطلح من مصطلح تراكم الإثارة الذي استخدمه فرويد في كتابه « مشروع علم نفس علمي عام1895 » نقلاً عن عالِم الفسيولوجيا سيجموند إكسنر(2) : لا تسري الإثارات النفسية داخل الجهاز إلا حين يحدث تراكم يتيح لها اجتياز عتبة قابلية النفاذ(3) .

(1) FREUD (S.). G.W., I, 74 ; S.E., III, 60.
(2) Cf. JONES (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, 1953-55-57. Angl., Hogarth Press, Londres, vol. I, 417 ; Fr., P.U.F., Paris, vol. I, 417.
(3) Cf. FREUD (S.). All., 400 ; Angl., 377 ; Fr., 334-5.

محتوى ظاهر

Contenu manifeste
Eng.: Manifest content
D.: Manifester Inhalt

■ نشير بهذا التعبير إلى الحلم كما يبدو للحالم الذي يرويه ، وقبل إخضاعه للاستقصاء التحليلي. ونتحدث من باب التعميم عن المحتوى الظاهر في كل انتاج منطوق ـ إنطلاقاً من الهوام ووصولاً إلى الأثر الأدبي ـ يُقترح تأويله تبعاً للمنهج التحليلي ■ .

قدّم فرويد تعبير « محتوى ظاهر » في كتابه « تفسير الأحلام عام1900 » بالتلازم مع تعبير « محتوى كامن » . ويغلب استخدام مصطلح « محتوى » بدون أي صفة إضافية بنفس المعنى في مقابل مصطلح « افكار الحلم (أو الأفكار الكامنة) » . والمحتوى الظاهر هو ، تبعاً لفرويد ، نتاج عمل الحلم ، بينما أن المحتوى الكامن هو نتاج العمل المعاكس ، أي تأويل الحلم .

ولقد تعرض هذا المفهوم للنقد من وجهة نظر ظواهرية : إذ ليس للحلم إذا توخينا الدقة في القول سوى محتوى واحداً في رأي بوليتزر . أما ما يقصده فرويد بالمحتوى الظاهر فهو الرواية الوصفية التي يرويها الشخص عن حلمه حين لا يكون في حوزته بعد كل الدلالات التي يعبّر عنها هذا الحلم(1) .

(1) Cf. POLITZER (G.). *Critique des fondements de la psychologie*, Rieder, Paris, 1928.

محتوى كامن

Contenu latent
Eng.: Latent content
D.: Latenter Inhalt

■ هو مجمل الدلالات التي يتوصل إليها تحليل أحد إنتاجات اللاوعي وخصوصاً الحلم . ولا يعود الحلم يظهر حين تفك رموزه كرواية مصوّرة ، بل يبدو كتنظيم من الأفكار ، أو خطاب يعبر عن رغبة أو عن عدة رغبات ■ .

يمكن أن نقصد بتعبير المحتوى الكامن بمعناه الواسع ، مجمل ما يكشف عنه التحليل تدريجياً (من تداعيات المحَلَّل ، وتأويلات المُحَلِّل) ؛ ويتكون المحتوى الكامن للحلم إذ ذاك ، من بقايا الذكريات النهارية ، وذكريات الطفولة ، والإنطباعات الجسدية ، وبعض التلميحات الى وضعية النقلة ، إلخ .

كما يدل المحتوى الكامن بالمعنى الضيق للكلمة على الترجمة الكاملة والحقيقية لكلام الحالم ، وعلى التعبير الملائم عن رغبته ، في مقابل المحتوى الظاهر - المتصف بالكذب والقصور - . فالمحتوى الظاهر (الذي يستعمل فرويد غالباً للدلالة عليه مصطلح « المحتوى » فقط) هو الرواية المختصرة ، بينما أن المحتوى الكامن (ويسمى أيضاً « الأفكار » أو « الأفكار الكامنة » للحلم ، هو الرواية الصحيحة التي يكشف عنها التحليل : إنهما « يظهران لنا كعرضين بلغتين مختلفتين لنفس المحتوى ، أو إذا توخينا الدقة ، يبدو لنا محتوى الحلم وكأنه نقل لأفكار الحلم بواسطة نموذج آخر للتعبير علينا أن نعرف إشاراته وقوانينه ، تماماً كمقارنة الترجمة بالنص الأصلي . إذ تصبح أفكار الحلم مفهومة رأساً منذ لحظة التعرف عليها »(1a) .

يكون المحتوى الكامن ، في رأي فرويد ، سابقاً على المحتوى الظاهر ، وليس لعمل الحلم الذي يحول الأول إلى الثاني أي طابع « خلّاق »(2) ولا يعني ذلك أن بمقدور المحلل إعادة إكتشاف كل شيء - « فنحن مجبرون غالباً أن نترك نقطة ما في الظل [. . .] حتى في أحسن الأحلام تأويلاً . هناك تكمن نقطة الحلم المركزية »(1b) - كما أنه لا يعني ، بالتالي ، إمكانية وجود تأويل نهائي لحلم ما (أنظر : تأويل مضاعف) .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 283 ; S.E., IV, 277 ; Fr., 207. — *b)* G.W., II-III, 530 ; S.E., V, 525 ; Fr., 433.
(2) Freud (S.). *Über den Traum*, 1901. G.W., II-III, 680 ; S.E., V, 667 ; Fr., 112.

مرحلة المرآة

Stade du miroir
Eng.: Mirror stage
D.: Spiegelstufe

■ إنها ، تبعاً لجاك لاكان ، مرحلة تكوين الكائن الإنساني التي تقع ما بين الشهر السادس

والشهر الثامن عشر من الحياة (أ) ؛ إذ يستبق الطفل ، الذي لا زال في حالة عجز وفقدان للتآزر الحركي ، بشكل خيالي استيعاب وحدته الجسدية والسيطرة عليها . يقوم هذا التوحيد الخيالي على التماهي بصورة الشبيه باعتباره شكلاً كلياً ؛ ويتوضح هذا التوحيد ويتجسد من خلال التجربة المحسوسة التي يدرك الطفل من خلالها صورته الذاتية في المرآة .

تُكَوِّنُ مرحلة المرآة قالب وبوادر ذلك الركن الذي سيشكل الأنا فيما بعد ■ .

مفهوم مرحلة المـرآة هو واحد من أقدم إسهامات جاك لاكان ، حيث قدمه إلى المؤتمر الدولي للتحليل النفسي المنعقد في مريانباد عام 1936 (1a) .

يستند هذا المفهوم إلى بعض المعطيات التجريبية التي يجمعها :

1 ـ فهناك المعطيات الخاصة بسلوك الطفل إزاء صورته في المرآة ، والمستقاة من علم نفس الطفل وعلم النفس المقارن (2) . إذ يشدد لاكان على أهمية « . . . الصعود المظفر للصورة مع ما يرافقها من إيماءات ابتهاجية ، ومسايرة عابثة في ضبط التماهي الذي يحدث أمام المرآة » (3a) .

2 ـ وهناك المعطيات المستقاة من علم عادات الحيوان ، والتي تبين بعض آثار النضج والإنباء الإحيائي الذي يقوم على مجرد الإدراك البصري للمثيل (3b) .

يرتبط تأثير مرحلة المرآة عند الإنسان تبعاً للاكان ، بواقع الولادة قبل إكتمال النضج (ب) الذي يشهد عليه موضوعياً عدم الاكتمال الشراحي للجهاز العصبي الهرمي ، وقصور التآزر الحركي المميز للشهور الأولى (جـ) .

●●●

أولاً : تسجل مرحلة المرآة على مستوى بنية الشخص ، مرحلة تكوينية أساسية : أي تكوين البوادر الأولى للأنا . ذلك أن الطفل يدرك في صورة شبيهة ، أو في صورته الذاتية في المرآة شكلاً (جشطلت) يعينه على استباق حلول وحدة جسدية تنقصه موضوعياً ـ ومن هنا سبب ابتهاجه ـ : إذ يتماهى بهذه الصورة . هذه التجربة الأولية هي في أساس الطابع الخيالي للأنا المُتَشَكِّل مباشرة « كأنا مثالي » ، وهي بالتالي تكوّن « أرومة التماهيات الثانوية » (1b) . وهكذا نرى ، في هذا المنظور ، أن الشخص لا يختزل إلى الأنا ، ذلك الركن الخيالي الذي يميل إلى الإستلاب فيه .

ثانياً : وبالقدر الذي تصطبغ فيه العلاقة بين الأشخاص بآثار مرحلة المرآة ، فانها تصبح تبعاً للاكان علاقة خيالية ، ثنائية ، محكوم عليها بالتوتر العدواني ، حيث يتكون الأنا كآخر ، ويتكون الآخر كأنا ثانية (انظر : خيالي) .

ثالثاً : يمكن تقريب هذا المفهوم من وجهات النظر الفرويدية حول العبور من الغلمة الذاتية ـ السابقة على تكوين الأنا ـ إلى النرجسية الفعلية ، إذ يتطابق ما يسميه لاكان بإسم هوام « الجسد المفتت » مع المرحلة الأولى ، كما تتطابق مرحلة المرآة مع إطلالة النرجسية الأولية . ولكن لا بد من تسجيل فرق طفيف إنما هام : فمرحلة المرآة هي التي تطلق مع أثر رجعي هوام الجسد المفتت تبعاً للاكان . ونلاحظ مثل هذه العلاقة الجدلية في العلاج التحليلي النفسي : حيث نشاهد أحياناً بروز قلق التفتت نتيجة لفقدان التماهي النرجسي وبالعكس .

(أ) قد يكون مصطلح الطور ـ اللحظة ، التحول ـ أكثر ملاءمة بلا شك من مصطلح مرحلة ـ مرحلة نضج إحيائي نفساني ؛ وهذا ما أشار إليه جلك لاكان نفسه عام1957 .

(ب) سبق لفرويد أن أكد على هذه الفكرة الأساسية القائلة بعدم اكتمال نضج الكائن الإنساني عند الولادة . أنظر في هذا الصدد تعليقنا بعنوان « حالة العجز » وخصوصاً ذلك المقطع المذكور فيه والمقتطف من « الصد ، العارض والقلق عام1926 » .

(جـ) يمكن الرجوع بهذا الصدد الى ما كتبه علماء الأجنة ، وخصوصاً لويس بولك(1866 -1926) حول تكوّن الجنين (4) .

(1) Lacan (J.). Le stade du miroir comme formateur de la fonction du Je telle qu'elle nous est révélée dans l'expérience psychanalytique, in *R.F.P.*, 1949, XIII, *a)* 449-55. — *b)* 450.

(2) Cf. surtout : Wallon (H.). Comment se développe chez l'enfant la notion du corps propre, in *Journal de Psychologie*, 1931, 705-48.

(3) Lacan (J.). Propos sur la causalité psychique, in *L'Évolution psychiatrique*, 1947. — *a)* 34. — *b)* Cf. 38-41.

(4) Cf. Bolk (L.). *Das Problem der Menschwerdung*, 1926. Fr., in *Arguments*, 1960, 18, 3-13.

Stade (ou organization) génital (e) — مرحلة (أو تنظيم) تناسلية

Eng.: Genital stage (or organization)

D.: Genitale stufe (oder genitalorganisation)

■ هي مرحلة من مراحل النمو النفسي الجنسي تتميز بانتظام النزوات الجزئية تحت سيادة المناطق التناسلية ؛ وهي تتضمن فترتين تفصل بينهما مرحلة الكمون أي : المرحلة القضيبية (أو التنظيم التناسلي الطفلي) والتنظيم التناسلي الفعلي الذي يقوم عند البلوغ .

يخصص بعض الكتاب مصطلح التنظيم التناسلي لهذه الفترة الثانية،من خلال إدماج المرحلة القضيبية في التنظيمات ما قبل التناسلية ■ .

لم يكن هناك في البداية بالنسبة لفرويد ، كما تشهد على ذلك الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » ، سوى تنظيم جنسي واحد ، وهو التنظيم التناسلي الذي يبرز عند البلوغ متعارضاً مع « الشذوذ المتعدد الأوجه » ، ومع الغلمة ـ الذاتية المميزين للجنسية الطفلية . ولكن فرويد عدّل تدريجياً هذا المفهوم الأول كما يلي :

1 ـ فهو يصف تنظيمات قبل تناسلية (1913 -1915 أنظر : تنظيم) ؛

2 ـ كما أنه يستخلص ، في فصل إضافي وضعه في « ثلاث مقالات ، بعنوان مرحلة التنظيم الجنسي » الفكرة القائلة بأن اختيار الموضوع الجنسي يتم منذ الطفولة : « . . . تتلاقى كل الميول الجنسية في توجهها نحو شخص واحد ، تبحث فيه عن إشباعها . وهكذا يتحقق في سنوات الطفولة شكل الجنسية الأكثر قرباً من شكل الحياة الجنسية النهائية . ويتلخص الفرق بين الإثنين

[. . . .] في عدم تحقيق التوليف بين النزوات الجزئية عند الطفل ، ولا في خضوعها الكامل لسيادة المنطقة التناسلية . إذ أن المرحلة الأخيرة من النمو الجنسي هي التي تؤدي وحدها إلى توكيد هذه السيادة »(1) .

3 ـ وهو أخيراً يشكك في النظرية المطروحة في تلك الجملة الأخيرة ، من خلال الإعتراف بوجود « تنظيم تناسلي » قبل مرحلة الكمون ، يُطلق عليه إسم التنظيم القضيبي ، ويكمن الفرق الوحيد بين هذا التنظيم ، والتنظيم التناسلي الذي يتلو البلوغ في أن القضيب [1923] هو العضو التناسلي الوحيد الذي يدخل في الإعتبار عند كلا الجنسين في المرحلة الأولى (أنظر : مرحلة قضيبية) .

وهكذا نرى أن تطور أفكار فرويد حول النمو النفسي الجنسي قد أدى به إلى تقريب الجنسية الطفلية بشكل متزايد من الجنسية الراشدة . ولكن ذلك لا يقضي على الفكرة الأولى القائلة بأن النزوات الجزئية لا تتوحد ، ولا تتراتب نهائياً ، إلا بحلول التنظيم التناسلي البالغ ، الذي تتحول فيه اللذة المرتبطة بالمناطق المولدة للغلمة غير التناسلية إلى لذة « تمهيدية » تهيء السبيل للنشوة التناسلية إلخ . . .

وهكذا أكد فرويد بشدة على أن التنظيم التناسلي الطفلي يتصف بالتضارب ما بين المتطلبات الأوديبية ودرجة النمو البيولوجي(2) .

(1) Freud (S.). G.W., V, 100 ; S.E., VII, 199 ; Fr., 97.
(2) Cf. Freud (S.). *Der Untergang des Ödipuskomplexes*, 1924. G.W., XIII, 395-402; S.E., XIX, 173-9 ; Fr., 394-9.

مرحلة شرجية ـ سادية

Stade sadique-anal
Eng.: Anal-sadistic stage
D.: Sadistisch - Anale Stufe (oder Phase).

■ إنها ، تبعاً لفرويد ، المرحلة الثانية من التطور الليبيدي ، التي تقع بشكل تقريبي ما بين عمر السنتين والأربع سنوات ؛ تتميز هذه المرحلة بتنظيم الليبيدو تحت صدارة المنطقة الغلمية الشرجية ؛ حيث تصطبغ علاقة الموضوع بالدلالات المرتبطة بوظيفة الإخراج (الطرد ـ الإمساك) وبالقيمة الرمزية للبراز . ويُلاحظ خلالها تدعيم السادو ـ مازوشية بالإرتباط مع نمو الضبط العضلي ■ .

بدأ فرويد برصد سمات من الغلمية الشرجية عند الراشد ، وبوصف نشاطها(1) عند الطفل في عملية التغوّط كما في عملية إمساك المواد البرازية (في الأمعاء) .

وانطلاقاً من الغلمية الشرجية ، بدأت تبرز فكرة تنظيم لبيدي قبل تناسلي . ولقد باشر فرويد بإقامة الصلة ما بين سمات الطبع المستمرة عند الراشد (وخصوصاً ثلاثي : الترتيب ، التقتير ، والعناد) وبين الغلمة الشرجية عند الطفل ، في مقالته بعنوان « الطبع والغلمة الشرجية

عام 1908 »(2) .

وفي مقالته « الإستهياء للعصاب المجاسي عام1913 » تظهر لأول مرة فكرة « تنظيم قبل تناسلي » تسود فيه النزوات السادية والغلمية ـ الشرجية ؛ فهناك صلة بالموضوع الخارجي ، كما هو الحال في المرحلة التناسلية . « إننا نرى ضرورة إدراج مرحلة أخرى قبل الشكل النهائي ـ مرحلة تكون فيها النزوات الجزئية قد تجمعت من أجل اختيار للموضوع ، ويكون فيها الموضوع قد إتخذ طابعه المعارض والغريب عن الشخص ذاته ، ولكن الصدارة لم تكتسب فيها بعد للمناطق التناسلية »(3) .

أما في التعديلات اللاحقة « لثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1915 ، و1924 » فتظهر المرحلة الشرجية كإحدى التنظيمات قبل التناسلية التي تقع ما بين التنظيمين الفمي والقضيبي . إنها المرحلة الأولى التي يتشكل فيها محور النشاط ـ الفتور : حيث يطابق فرويد ما بين النشاط والسادية وبين الفتور والغلمة الشرجية ، كما أنه يمحض كل من النزوتين الجزئيتين الخاصتين بهما مصدراً مستقلاً هو : العضلات بالنسبة لنزوة السطوة ، والغشاء المخاطي الشرجي بالنسبة للغلمة الشرجية .

وفي العام1924 ، إقترح كارل إبراهام فصل طورين ضمن المرحلة السادية الشرجية ، وذلك من خلال تمييز نمطين متعارضين من السلوك تجاه الموضوع في كل من هذين الطورين(4) . ترتبط الغلمة الشرجية بطرد البراز في الطور الأول بينما ترتبط النزوة السادية خلاله بتدمير الموضوع ؛ أما في الطور الثاني ، فترتبط الغلمة الشرجية بالإمساك ، بينما ترتبط النزوة السادية بالسيطرة التملكية . يشكل الإرتقاء من طور إلى آخر ، تبعاً لإبراهام ، تقدماً حاسماً نحو حب الموضوع ، كما تشير إلى ذلك واقعة مرور الخط الفاصل ما بين النكوص العصابي ، والنكوص الذهاني ، بين هذين الطورين .

كيف يمكن تصور الصلة ما بين السادية والغلمة الشرجية ؟ يكمن الجواب في أن السادية الثنائية القطب بطبيعتها ـ لأنها تهدف بشكل متناقض إلى تدمير الموضوع والإحتفاظ به من خلال السيطرة عليه في آن معاً ـ تجد مقابلها المفضل في النشاط الثنائي الأطوار للصارَّة الشرجية (أي التفريغ والإمساك) وفي ضبط هذه الصارَّة .

وترتبط القيم الرمزية للعطاء والمنع ، في المرحلة الشرجية ، بنشاط التغوّط ؛ حيث أثبت فرويد ، في هذا المنظور ، التعادل الرمزي ما بين : البراز = الهدية = النقود(5) .

(1) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 86-8 ; S.E., VII, 185-7 ; Fr., 79-82.

(2) Cf. Freud (S.). G.W., VII, 203-9 ; S.E., IX, 169-75.

(3) Freud (S.). G.W., VIII, 446-7 ; S.E., XII, 321 ; Fr., in *R.F.P.*, 1929, III, 3, 442.

(4) Cf. Abraham (K.). *Versuch einer Entwicklungsgeschichte der Libido auf Grund der Psychoanalyse seelischer Störungen*, 1924, 258-65.

(5) Cf. Freud (S.). *Über Triebumsetzungen, insbesondere der Analerotik*, 1917. G.W., X, 409-10 ; S.E., XVII, 127-33.

مرحلة فمية

Stade oral
Eng.: Oral stage
D.: Orale stufe

■ هي أولى مراحل التطور الليبيدي : ففيها يسود ارتباط اللذة الجنسية بإثارة الفجوة الفمية والشفتين التي تلازم تناول الغذاء . يقدم النشاط الغذائي الدلالات الإنتقائية التي تنتظم من خلالها علاقة الموضوع وتفصح عن نفسها ؛ فمثلاً تُدمغ علاقة الحب مع الأم بدلالات : أَكَلَ ، يُؤْكَلُ .

إقترح إبراهام تفريع هذه المرحلة إنطلاقاً من نشاطين مختلفين : المص (وهي المرحلة الفمية المبكرة) ، والعض (وهي المرحلة الفمية السادية) ■ .

يصف فرويد في الطبعة الأولى من كتابه « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » جنسيةً فمية يبينها عند الراشد . (من خلال النشاطات الشاذة أو التمهيدية) ، ويعود فيصادفها عند الطفل استناداً إلى ملاحظات لندنر طبيب الأطفال (أي الدلالة الإستمنائية لمص الإصبع)(1a) . إلا أنه لا يتكلم رغم ذلك عن « مرحلة » أو تنظيم فمي ، بنفس القدر الذي لا يتحدث فيه عن تنظيم شرجي .

إلا أن نشاط المص يتخذ منذ ذلك الحين قيمة نموذجية تتيح لفرويد أن يبينّ كيف تكتسب النزوة الجنسية استقلاليتها وتشبع من خلال الغلمة الذاتية ، بعد أن كانت تحصل على الإشباع بالإستناد إلى وظيفة حيوية . ومن ناحية ثانية ، فإن تجربة الإشباع التي تقدم النموذج الأوليّ لتثبيت الرغبة على موضوع ما ، هي تجربة فمية ؛ مما يتيح لنا افتراض اصطباغ الرغبة والإشباع كليهما بهذه التجربة الأولى بشكل دائم .

وبعد اعتراف فرويد عام 1915 بوجود التنظيم الشرجي ، نجده يصف المرحلة الفمية أو الإفتراسية كأول مراحل الجنسية . المنطقة الفمية هي المصدر (في هذه المرحلة) ؛ ويكون الموضوع على صلة وثيقة بتناول الطعام ، وأما الهدف فهو الإدماج(1b) . لم يعد التأكيد يقتصر إذاً على منطقة غلمية فقط - أي على إثارة ولذة نوعيين - بل أصبح يتركز على نمط علائقي ، وهو الإدماج ؛ ويبين التحليل النفسي أن هذا الإدماج لا يرتبط في الهوامات الطفلية ، بالنشاط الفمي وحده ، بل هو قد ينتقل إلى وظائف أخرى (من مثل التنفس والنظر) .

لا يوجد في المرحلة الفمية ، تبعاً لفرويد ، تعارض ما بين النشاط والفتور كذلك الذي يَسِم المرحلة الشرجية بطابعه . بينما حاول كارل ابراهام أن يفرّق بين أنماط العلاقة الفاعلة في المرحلة الفمية ، مما أدى به إلى تمييز مرحلة إمتصاص مبكرة وسابقة على التجاذب الوجداني - والتي يبدو أنها أكثر قرباً مما سبق لفرويد أن وصفه تحت إسم المرحلة الفمية - وتمييز مرحلة فمية سادية ترافق ظهور الأسنان ، حيث يتضمن نشاط العض والإفتراس تدميراً للموضوع ؛ ويلازم هذه المرحلة هوام التعرض للإفتراس والتدمير من قبل الأم(2) .

أدى الإهتمام بعلاقات الموضوع ، ببعض المحللين النفسيين (خصوصاً ميلاني كلاين ،

وبرترام لوين) إلى وصف الدلالات المتضمنة في مفهوم المرحلة الفمية ، بشكل أكثر تعقيداً .

(1) Cf. Freud (S.). *a)* G.W., V, 80 ; S.E., VII, 179 ; Fr., 72. — *b)* G.W., V, 98 ; S.E., VII, 198 ; Fr., 95.
(2) Cf. Abraham (K.). *Versuch einer Entwicklungsgeschichte der Libido auf Grund der Psychoanalyse seelischer Störungen*, 1924. Fr., II, 272-8.

مرحلة فمية ـ سادية

Stade Sadique-Oral
Eng.: Oral-sadistic stage
D.: Oral-sadistische Stufe

■ هي الفترة الثانية من المرحلة الفمية ، تبعاً للتقسيم الفرعي الذي قدمه كارل إبراهام ؛ وهي تتميز بظهور الأسنان وظهور نشاط العض . يتخذ فيها الإدماج منحى تدمير الموضوع . كما يتضمن تدخّل التجاذب الوجداني في علاقة الموضوع ■ .

في مقالته التي كتبها عام1924 بعنوان « ملامح تاريخ نمو الليبيدو استناداً إلى التحليل النفسي للإضطرابات النفسية » ميّز كارل إبراهام مرحلتين فرعيتين ضمن المرحلة الفمية ، هما مرحلة المص المبكرة « السابقة على التجاذب الوجداني » ، والمرحلة الفمية السادية التي تتوافق مع ظهور الأسنان؛ حيث يتضمن نشاط العض والإلتهام تدميراً للموضوع ، وحيث يظهر أيضاً التجاذب التزوي (فيتجه كل من الليبيدو والعدوانية نحو نفس الموضوع) .

تتخذ السادية الفمية أهمية متزايدة ، مع ميلاني كلاين . إذ تشكل المرحلة الفمية ، في رأي هذه المؤلفة ، لحظة التصعيد الأقصى للسادية الطفلية . ولكنها (أي كلاين) خلافاً لإبراهام ، تُدخل الميول السادية في العملية منذ البداية : « . . . تشكل العدوانية جزءاً من أكثر علاقات الطفل تبكيراً مع الثدي ، رغم أنها لا تفصح في هذه المرحلة عادة بالعض »(1) . إذ « يرافق الرغبة الليبيدية في الإمتصاص هدف تدميري في التشق والتفريغ والإستنزاف من خلال الإمتصاص »(2) . ورغم إعتراض ميلاني كلاين على تمييز إبراهام ما بين مرحلة إمتصاص فمية ، ومرحلة عض فمية ، إلا أن مجمل المرحلة الفمية بالنسبة إليها هي مرحلة سادية ـ فمية .

(1) Klein (M.). Some theoretical conclusions regarding the emotional life of the infant, 1952, in *Developments*, 206, n. 2.
(2) Heimann (P.) et Isaacs (S.). Regression, 1952, in *Developments*, 185-6.

مرحلة قضيبية

Stade phallique
Eng.: Phallic stage
D.: Phallische Stufe

■ تأتي هذه المرحلة من التنظيم الطفلي لليبدو بعد المراحل الفمية والشرجية ، وتتصف بتوحيد النزوات الجزئية تحت سيادة الأعضاء التناسلية ؛ ولكن خلافاً لحالة التنظيم التناسلي عند البلوغ ، لا يعرف الطفل . في هذه المرحلة ، صبياً كان أم بنتاً ، سوى عضو تناسلي واحد.هو العضو الذكري ، مما يجعل التعارض بين الجنسين معادلاً للتعارض : قضيبي - مخصي . تتوافق المرحلة القضيبية مع ذروة عقدة الأوديب وأفولها ؛ حيث تسود عقدة الخصاء ■ .

برزت فكرة المرحلة القضيبية (1) متأخرة عند فرويد ، حيث أنها لم تظهر صراحة إلا في عام 1923 (التنظيم التناسلي الطفلي) . تم التحضير لها من خلال تطور أفكار فرويد بصدد الأنماط المتعاقبة لتنظيم اللبيدو ، وبوجهات نظره حول صدارة القضيب : وهما خطان فكريان سنميز بينهما بغية وضوح العرض .

أولاً : لا بد من التذكير ، بصدد النقطة الأولى ، أن فرويد رأى ، بادىء ذي بدء (عام 1905) أن التعارض ما بين الجنسية الطفلية والجنسية التالية للبلوغ يكمن في نقص تنظيم الأولى : فلا يخرج الطفل من فوضى النزوات الجزئية ، إلا حين تكتسب الصدارة للمنطقة التناسلية ، في البلوغ . يضع طرح التنظيمات ما قبل التناسلية الشرجية والفمية (خلال الأعوام 1913 -1915) ضمنياً موضع التساؤل ، الأفضلية التي كانت تحظى بها المنطقة التناسلية لحينه في تنظيم اللبيدو ؛ على أن الأمر لم يكن يعدو الحديث عن « عناصر أولية ومراحل تمهيدية »(1a) أكثر مما يعني تنظيماً بمعنى الكلمة . « إذ لا يتحقق تدامج النزوات الجزئية أو تبعيتها لصدارة الأعضاء التناسلية أبداً ، أو هو يتحقق بشكل جد منقوص »(1b) . وحين يدخل فرويد فكرة المرحلة القضيبية ، فإنه يعترف بوجود تنظيم حقيقي للجنسية ، منذ الطفولة ، جد قريب من تنظيمها عند الراشد ، « . . . يستحق (هذا التنظيم الطفلي) إسم التناسلي ، حيث نجد موضوعاً جنسياً ودرجة معينة من تلاقي الميول الجنسية حول هذا الموضوع ، ولكنه يختلف في نقطة أساسية عن التنظيم النهائي مع حلول النضج الجنسي : يتلخص هذا الفرق في الواقع في أن هذا التنظيم (التناسلي الطفلي) لا يعرف سوى نوع واحد من الأعضاء التناسلية ، وهو العضو الذكر »(1c) .

ثانياً : تتراءى فكرة صدارة القضيب هذه في النصوص السابقة على عام 1923 . إذ نجد أطروحتين ، إبتداءً من « ثلاث مقالات في نظرية الجنسية عام 1905 » :

أ - اللبيدو هو « ذو طبيعة ذكرية سواء عند المرأة أم عند الرجل »(1d) ؛

ب - تتموضع المنطقة المولدة للغلمة عند البنت في البظر وهو نظير المنطقة التناسلية الذكرية (الحشفة) (1e, 2) .

يضع تحليل هانز الصغير ، حيث تبرز فكرة عقدة الخصاء ، في مركز الصدارة الخيار التالي الذي يطرح على الصبي : إما إمتلاك القضيب أو الخصاء . وأخيراً إذا كانت مقالة « النظريات

الجنسية الطفلية عام 1908 » تطرح ، ككتاب « ثلاث مقالات » الجنسية من وجهة نظر الصبي ، إلا أنها تشير إلى الأهمية الخاصة التي تعطيها البنت للقضيب ، كما تشير إلى رغبتها في امتلاكه ، وإحساسها بالجرح المعنوي بالمقارنة بالصبي الصغير .

●●●

يرد أهم ما في المفهوم الفرويدي حول المرحلة القضيبية في ثلاث مقالات هي : « التنظيم التناسلي الطفلي عام 1923 » ؛ و« أفول عقدة الاوديب عام 1924 » ؛ و« بعض النتائج النفسية للفروق الشراحية بين الجنسين عام 1925 » . ويمكن تبعاً لفرويد ، تمييز المرحلة القضيبية بشكل مبسط كما يلي :

1 ـ من وجهة نظر تكوينية ، يتحول « زوجا التعارض » : النشاط ـ الفتور الذي يسود في المرحلة الشرجية ، إلى زوجي : القضيبي ـ المخصي ؛ ولا يقوم التعارض : الذكورة ـ الأنوثة إلا عند البلوغ .

2 ـ يلعب وجود مرحلة قضيبية دوراً أساسياً بالنسبة لعقده الاوديب : ذلك أن أفول الأوديب (في حالة الصبي) مشروط بتهديد الخصاء ، وهذا بدوره يستمد فعاليته من الإهتمام النرجسي الذي يبديه الصبي تجاه عضوه الذكري من ناحية ، ومن إكتشاف غياب هذا العضو عند البنت (أنظر : عقدة الخصاء) ، من ناحية ثانية .

3 ـ هناك تنظيم قضيبي عند البنت . يثير التحقق من الفروق بين الجنسين « شهوة العضو الذكري » (عند البنت) ؛ وتؤدي هذه الشهوة ، على مستوى العلاقة مع الأهل ، إلى الغيظ من الأم التي لم تعطها العضو الذكري ، وإلى اختيار الأب كموضوع للحب ، على اعتبار أنه قادر على منح هذا العضو أو معادله الرمزي) أي الطفل . لا يتناظر تطور البنت إذاً مع تطور الصبي (فليس هناك معرفة للمهبل عند البنت الصغيرة ، تبعاً لفرويد) ؛ إذ يتركز التطور عند كليهما على العضو القضيبي .

أدت دلالة المرحلة القضيبية ، عند البنت خصوصاً ، إلى مناقشات هامة في تاريخ التحليل النفسي . وهكذا يتوصل الكتّاب (من مثل كارن هورني ، وميلاني كلاين ، وأرنست جونز) الذين يقرّون بوجود أحاسيس جنسية مميزة منذ البداية عند البنت (وخصوصاً بوجود معرفة أولية حدسية بالتجويف المهبلي) ؛ إلى اعتبار المرحلة القضيبية عند البنت كمجرد تكوين ثانوي ذي طابع دفاعي .

(أ) ويمكن الحديث أيضاً عن طور أو وضعية قضيبية اللذين يؤكدان على أن الأمر يرتبط بيرهة علائقية متداخلة في جدلية الأوديب ، أكثر من الحديث عن مرحلة من تطور اللبيدو بالمعنى الشائع لكلمة مرحلة .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* G.W., V, 98 ; S.E., VII, 197-8 ; Fr., 95 (ajout de 1915). — *b)* G.W., V, 100 ; S.E., VII, 199 ; Fr., 97 (ajout de 1915). — *c)* G.W., V, 100 ; S.E., VII, 199 ; Fr., 182 (note de 1924). — *d)* G.W., V, 120 ; S.E., VII, 219 ; Fr., 129. — *e)* G.W., V, 121 ; S.E., VII, 220 ; Fr., 129.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. Lettre du 14-11-1897 : All., 244-9 ; Angl., 229-35 ; Fr., 203-8.

مرحلة لبيدية

Stade libidinal
Eng.: Libidinal stage
D.: Libidostufe

■ هي مرحلة من نمو الطفل تتميز بتنظيم الليبيدو بشكل متفاوت في بروزه تحت سيادة إحدى المناطق المولدة للغلمة، كما تتميز أيضاً بطغيان نمط محدد من علاقة الموضوع. ولقد وسّع التحليل النفسي كثيراً فكرة المرحلة، ساعياً إلى تحديد مراحل لتطور الأنا ■.

حين يصار إلى الحديث عن المراحل في التحليل النفسي، فإن المقصود بذلك هو على الأعم الأغلب مراحل التطور الليبيدي. إنما تجدر الإشارة إلى ظهور الإهتمام الفرويدي بالتمييز بين «أعمار الحياة»، بين «عهود» و«مراحل» النمو، حتى قبل بداية بروز فكرة تنظيم الليبيدو؛ ويتمشى هذا الإهتمام جنباً إلى جنب مع اكتشاف الأصل الطفلي لمختلف الإصابات النفاسية. وهكذا يجهد فرويد حوالي الأعوام 1896 -1897 في إقامة سلسلة متتابعة من العهود في الطفولة والبلوغ لكل منها تاريخها المتفاوت في دقته، في مراسلاته مع فلهلم فلايس الذي يعرف عنه أنه نفسه صاغ نظرية قائمة بذاتها في المراحل(1)؛ وترتبط محاولة فرويد هذه إرتباطاً وثيقاً مع فكرة الأثر البعدي ومع نظرية الغواية، التي صاغها آنذاك. والواقع أن بعض العهود موضع البحث («عهود الأحداث») هي تلك التي تحدث خلالها «المشاهد الجنسية» بينما أن عهوداً أخرى تشكل «عهود الكبت». يقيم فرويد علاقة بين هذا التسلسل وبين «إختيار العصاب»: «تكمن الشروط الزمنية لمختلف الأعصبة في المشاهد الجنسية [...]. وهكذا فبينما تكون عهود الكبت غير ذات أهمية بالنسبة لاختيار العصاب، فإن عهود الأحداث تكون حاسمة (في ذلك الإختيار)»(2a). وأخيراً فإن العبور من عهد إلى آخر هو ذاته على صلة مع تمايز الجهاز النفسي إلى أنظمة «تسجيل»، حيث يقارن العبور من عهد إلى آخر ومن نظام إلى آخر بنوع من «الترجمة» المؤهلة للنجاح بمقادير متفاوتة(2b).

وسرعان ما تظهر فكرة ربط تتابع هذه المراحل المختلفة بسيادة بعض «المناطق الجنسية»، أو «المناطق المولدة للغلمة» المحددة (من مثل المنطقة الشرجية، ومنطقة الفم والحنجرة، والمنطقة البظرية عند البنت) أو التخلي عن هذه المناطق؛ ويدفع فرويد هذه المحاولة النظرية بعيداً، كما تشهد عليه رسالته بتاريخ 14 -11 -1897: إذ تُربط عملية الكبت السوي ربطاً وثيقاً مع التخلي عن منطقة ما لصالح منطقة أخرى، أو مع «أفول نجم» هذه أو تلك من المناطق.

تهيىء مفاهيم كهذه في نقاط عدة، السبيل إلى ما سيصبح فيما بعد نظرية مراحل الليبيدو، في شكلها الأكثر إكتمالاً. إنما ما يلفت النظر حقاً هو أن نتبين أنها تتلاشى مع أول عرض يقدمه فرويد عن تطور الجنسية، كي لا يعاد اكتشافها وتوضيحها إلا لاحقاً. ففي نسخة 1905 من «ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية» يكمن التعارض الرئيسي بين الجنسية البالغة والراشدة التي تنتظم تحت السيادة التناسلية، من ناحية، وبين الجنسية الطفلية، حيث تتعدد الأهداف الجنسية، كما تتعدد المناطق الغلمية التي تشكل سنداً لها، بدون أن تقوم أي سيادة من أي نوع كان لإحدى هذه

المناطق ، أو لإختيار أي موضوع . ومما لا شك فيه أن فرويد قد بالغ في إبراز هذا التعارض نظراً لطابع العرض التعليمي الذي يكتسبه هذا المؤلف ، وبسبب أصالة الأطروحة التي كان عليه أن يجعل القارىء يتقبلها : أي طابع أصالة الشذوذ والتنوع الشكلي الذي تتصف به الجنسية (أنظر : جنسية ، وكذلك غلمة ـ ذاتية) .

ولقد تعدلت هذه الأطروحة تدريجياً خلال الأعوام 1913 و1923 من خلال إدخال فكرة المراحل ما قبل التناسلية التي تسبق رسوخ المرحلة التناسلية : أي المرحلة الفمية ، والشرجية ، والقضيبية .

تتميز هذه المراحل بدرجة معينة من تنظيم الحياة الجنسية . ولا تكفي فكرة سيادة « المنطقة » الغلمية لتبيان الجانب الإبناني والمعياري في مفهوم المرحله : إذ يكمن أساس المرحلة في نمط معين من النشاط الذي يرتبط بالضرورة بالمنطقة الغلمية ، إنما نتعرف عليه خصوصاً على مختلف مستويات علاقة الموضوع . وهكذا يصادف الإدماج المميز للمرحلة الفمية على شكل صميمة في العديد من الهوامات الكامنة وراء نشاطات أخرى غير نشاط التغذية (من مثل « أكله بعينيه ») .

***

وإذا كانت فكرة المراحل قد وجدت نموذجها ، في التحليل النفسي ، في سجل تطور النشاط اللبيدي ، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن التحليل قد رسم خطوطاً تطورية أخرى :

1 ـ أشار فرويد إلى تتابع زمني في الوصول إلى الموضوع اللبيدي ، حيث يمر الشخص على التوالي بالغلمة ـ الذاتية ، النرجسية ، الإختيار الجنسي المثلي وصولاً إلى الإختيار الجنسي الغيري .

2 ـ ويؤدي إتجاه آخر في البحث إلى تمييز مراحل مختلفة في التطور الذي ينتهي بسيادة مبدأ الواقع على مبدأ اللذة . ولقد قام فرنزي بمحاولة منهجية في هذا المنحى(4) .

3 ـ يقدّر بعض الكتاب أن تكوين الأنا هو وحده الذي يمكن أن يوضح العبور من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع . إذ « . . . يدخل (الأنا) كمتغير مستقل في العملية »(5) . فنمو الأنا هو الذي يسمح بالتمييز ما بين الذات والعالم الخارجي ، وبتأجيل الإشباع ، والسيطرة النسبية على المثيرات النزوية ، إلخ .

ورغم إشارة فرويد إلى أهمية التحديد الدقيق لتطور الأنا ومراحله ، إلا أنه لم ينخرط في هذا الإتجاه . إذ تجدر الإشارة إلى أنه حين يثير المشكلة في « الإستهياء للعصاب الهجاسي عام 1913 » على سبيل المثال ، فإن فكرة الأنا لم تكن قد تحددت بعد بمعناها الموقعي الدقيق الذي ستتخذه في كتاب « الأنا والهو عام 1923 » . يفترض فرويد أنه من اللازم إدخال « . . . تمييز زمني في نمو الأنا بالمقارنة مع نمو اللبيدو ، عند الحديث عن الإستهياء للعصاب الهجاسي » ؛ لكنّه يشير إلى « . . . إستمرار غموض مراحل نمو نزوات الأنا بالنسبة إلينا »(6) .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى عزوف آنا فرويد عن وضع تسلسل زمني لظهور أواليات الأنا الدفاعية ، في كتابها « الأنا وأواليات الدفاع عام 1936 »(7) .

ما هي إذاً النظرة الإجمالية التي يمكن تكوينها عن هذه الخطوط الفكرية المختلفة ؟ تظل محاولة إبراهام في « ملامح تاريخ تطور اللبيدو بناءً على التحليل النفسي للإضطرابات النفسية عام

1923»(8) الأكثر شمولاً لإقامة تطابق بين مختلف أنماط هذه المراحل ؛ ولقد أكمل روبرت فلايس اللائحة التي إقترحها إبراهام(9) .

يحسن أن نشير إلى أن فرويد لم ينخرط ، من جانبه ، على طريق وضع نظرية شاملة للمراحل لا تقتصر فقط على تطور الليبدو بل تشمل أيضاً تطور الدفاعات ، والأنا إلخ . . . ؛ إذ تؤدي نظرية كهذه ، تقوم تحت راية فكرة علاقة الموضوع ، إلى إحتواء تطور مجمل الشخصية ، في خط تكويني واحد . ولا يشكل ذلك ، في تقديرنا ، مجرد نقص في فكرة فرويد ؛ إذ أن التفاوت وإمكانية العلاقة الجدلية بين هذه الخطوط المختلفة للتطور ، هي في الواقع جوهرية بالنسبة إليه ، في تحديد العصاب .

وبهذا المعنى ، لا يبدو أن النظرية الفرويدية حتى ولو كانت من أكثر النظريات التي أسهمت في إعلاء شأن فكرة المراحل في تاريخ علم النفس ، تنضم في طموحها الأساسي ، إلى المنحى الذي استعمل فيه علم النفس التكويني هذه الفكرة (المراحل) ، حيث يفترض بنية إجمالية لها صفة التكامل ، لكل مستوى من مستويات التطور(10) .

(1) Cf. Kris (E.). Préface à Freud (S.) : *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 9-12 ; Angl., 4-8 ; Fr., 2-6.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 175-6 ; Angl., 163-5 ; Fr., 145-6. — *b)* Cf. All , 185-92 ; Angl., 173-81 ; Fr., 153-60.

(3) Cf. Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. G.W., VIII, 296-7 ; S.E., XII , 60-1 ; Fr., 306.

(4) Cf. Ferenczi (S.). Stages in the Development of the Sense of Reality, 1913, in *First Contributions*.

(5) Hartmann (H.), Kris (E.) et Lœwenstein (M.). Comments on the Formation of Psychic Structure, in *Psa. Study of the Child*, II, 1946, 11-38.

(6) Freud (S.). *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 451 ; S.E., XII, 325 ; Fr., in *R.F.P.*, 1929, III, 3, 446.

(7) Cf. Freud (A.). Fr., P.U.F., Paris, 46-7.

(8) Cf. Abraham (K.). Fr., II, 255-313, *passim*.

(9) Cf. Fliess (R.). An ontogenetic Table, in *Ps. Read*, 1942, 254-5.

(10) Cf. Symposium de l'Association de Psychologie scientifique de Langue française, divers auteurs, Genève, 1955, *Le problème des stades en psychologie de l'enfant*, P.U.F., Paris, 1956.

Plasticité de la libido — مرونة الليبدو

Eng.: Plasticity of the libido

D.: Plastizität der libido

■ هي قدرة الليبدو على تغيير موضوعه وأسلوب إشباعه بدرجات متفاوتة من السهولة ■ .

يمكن إعتبار المرونة (أو حرية الحركة) كخاصية مناقضة « للتثبت » . ونحيل القارىء بهذا الصدد ، إلى تعليقنا حول هذا المصطلح الأخير الذي يصادف في كتابات فرويد أكثر من مصطلح المرونة .

يوضح تعبير « مرونة الليبدو » تلك الفكرة الأساسية في التحليل النفسي التي تذهب إلى أن الليبدو يكون في البداية غير محدد نسبياً على مستوى موضوعاته ، ويظل معرضاً على الدوام لأن يستبدلها بغيرها .

كما أن هناك مرونة بالنسبة للهدف أيضاً : إذ قد يُعوض عن عدم إشباع إحدى النزوات الجزئية من خلال إشباع نزوة جزئية غيرها أو من خلال التسامي . « . . . تستطيع (النزوات الجنسية) أن تحل محل بعضها البعض ؛ فتتمكن إحداها من إستقطاب شدة الأخرى ؛ وحين يرفض الواقع إشباع إحداها ، يمكن التعويض من خلال إشباع أخرى غيرها . فهي تمثل ما يشبه شبكة القنوات المملوءة بالسائل والمفتوحة على بعضها البعض [. . .] »(1) .

وتتفاوت المرونة تبعاً لكل فرد، ولسنّه، وتاريخه. وتشكل عاملاً هاماً في التوصية بالعلاج التحليلي النفسي والتنذر بنتائجه ، إذ تستند القدرة على التغيير تبعاً لفرويد ، إلى القدرة على تعديل التوظيفات الليبيدية ، بشكل رئيسي .

(1) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einfuhrung in die Psychoanalyse*, 1915-17. G.W., XI, 358 ; S.E., XVI, 345 ; Fr., 371

Complaisance somatique — مسايرة جسدية ، تواطؤ جسدي

Eng.: Somatic compliance
D.: Somastisches entgegenkommen

■ أدخل فرويد هذا التعبير لتبيان « إختيار العصاب » الهستيري ، واختيار العضو أو الجهاز الجسدي الذي ينصب عليه الإقلاب : حيث يقدم الجسد عند الهستيريين خصوصاً - أو عضو محدد من أعضائه ، مادة مفضلة للتعبير الرمزي عن الصراع اللاواعي ■ .

يتحدث فرويد لأول مرة عن مسايرة جسدية بصدد حالة دورا ، حيث لا تطرح ، في رأيه ، مسأله الإختيار بين الأصل النفسي أو الجسدي للهستيريا ، إذ يقول : « يتطلب العارض الهستيري إسهاماً من جانبين ، ولا يمكن أن يحدث بدون مسايرة جسدية من نوع ما ، مستمد من عملية سوية أو مرضية في أحد أعضاء الجسد ، أو هي على صلة به »(1a) . هذه المسايرة الجسدية هي التي « . . . تعطي للعمليات النفسية اللاواعية منفذاً على مستوى الجسد »(1b) ؛ وهي بالتالي عامل حاسم في « إختيار العصاب » .

وإذا صح أن فكرة المسايرة الجسدية تتجاوز إلى حد بعيد مجال الهستيريا وتقودنا إلى طرح مسألة قدرة الجسد التعبيرية في عموميتها ، وكذلك قدرته الخاصة للدلالة على المكبوت ، فمن المفيد أن لا نخلط منذ البدء ما بين مختلف السجلات (المستويات) التي تطرح عليها المسألة . وعلى سبيل المثال :

1 - يمكن لمرض جسدي أن يستخدم كنقطة جذب للتعبير عن الصراع اللاواعي ؛ وهكذا

يرى فرويد في إصابة بالروماتيزم عند إحدى مريضاته « . . . المرض العضوي الذي يشكل النموذج الأولي لنسخته الهستيرية اللاحقة »(2) .

2 ـ يمكن أن ينتقل التوظيف الليبيدي خلال التاريخ الجنسي للشخص ، من منطقة غلمية إلى منطقة أو جهاز جسدي غير مهيأين وظيفياً لأن يكونا مولدين للغلمة (أنظر منطقة غلمية) ، وبالتالي فإنهما لهذا السبب ذاته أكثر قدرة على الدلالة المقنّعة على رغبة معينة نظراً لطبيعتها المكبوتة .

3 ـ وبقدر ما يرمي تعبير « المسايرة الجسدية » إلى تجاوز تبيان أسباب اختيار أحد أعضاء الجسد وصولاً إلى اختيار الجسد ذاته كوسيلة تعبيرية ، يصبح لزاماً علينا أن نأخذ بعين الإعتبار عثرات التوظيف النرجسي للجسد ذاته .

(1) Freud (S.). *Bruchstuck einer Hysterie-Analyse*, 1905. — *a)* G.W., V, 200 ; S.E., VII, 40 ; Fr., 28. — *b)* G.W., V, 201 ; S.E., VII, 41 ; Fr., 29.
(2) Freud (S.). *Studien uber Hysterie*, 1895. G.W., I, 211 ; S.E., II, 147 ; Fr., 116.

Rejeton de l'inconscient — مشتقات اللاوعي

Eng.: Derivative of the unconscious
D.: Abkömmling des Unbewussten

■ يشيع استعمال هذا المصطلح عند فرويد ضمن إطار مفهومه الدينامي عن اللاوعي ؛ إذ يميل هذا الأخير إلى أن يبعث في الوعي وفي الفعل متجات ترتبط معه بدرجات متفاوتة في بعدها . تخضع مشتقات المكبوت هذه بدورها لإجراءات دفاعية جديدة ■ .

يُصادف هذا التعبير خصوصاً في النصوص ما وراء النفسانية لعام 1915 . وهو لا يدل على إحدى متجات اللاوعي بعينها بل يشمل على سبيل المثال الأعراض ، والتداعيات خلال الجلسة (1a) ، والهوامات (2) .

يرتبط مصطلح « مشتقات الممثل المكبوت » (1b) أو « المكبوت » (1c) بنظرية الكبت على مرحلتين . إذ يميل ما سبق أن كبت في الخطوة الأولى (أي الكبت الأصلي) إلى شق طريقه إلى الوعي من جديد على شكل مشتقات ويخضع عندها لكبت ثانٍ (هو الكبت البَعْدي) .

يوضح مصطلح المشتقات صفة أساسية من صفات اللاوعي : فهو يظل نشطاً على الدوام ، ويمارس ضغطاً في اتجاه البروز الى الوعي . يشدد المصطلح الفرنسي ، المستعار من علم النبات ، على هذه الفكرة ، من خلال صورة الشيء الذي ينبت ثانية بعد محاولة إلغائه .

(1) Freud (S.). *Die Verdrangung*, 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 251-2 ; S.E., XIV, 149-50 ; Fr., 73-4. — *b)* G.W., X, 250 ; S.E., XIV, 148 ; Fr., 71-2. — *c)* G.W., X, 251 ; S.E., XIV, 149 ; Fr., 73.
(2) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 289 ; S.E., XIV, 190-1 ; Fr., 137.

مشهد أصلي أو أولي

Scène originaire
Eng.: Primal scene
D.: Urszene

■ إنه مشهد العلاقة الجنسية بين الوالدين التي يلاحظها الطفل أو يفترضها استناداً إلى بعض المؤشرات ، ومن ثم يتصورها هوامياً . ويؤول الطفل عادة هذه العلاقة على أنها فعل عنف من قبل الأب (على الأم) ■ .

يظهر مصطلح المشاهد الأصلية أو الأولية في إحدى مخطوطات فرويد لعام 1897 (1) ، كي يتضمن بعض التجارب الطفلية الصدمية التي تنتظم في سيناريوهات ، أو مشاهد (أنظر بهذا الصدد : هوام) بدون أن يعني بذلك الجماع بين الوالدين تحديداً .

ورغم أننا لا نجد مصطلح المشهد الأصلي في كتاب « تأويل الأحلام عام 1900 » إلا أن فرويد يشير فيه إلى أهمية ملاحظة النكاح الوالدي كمصدر مولد للقلق : « لقد فسرت هذا القلق بالإشارة إلى أن المسألة تتعلق بإثارة جنسية يعجز (الطفل) عن السيطرة عليها من خلال استيعابها ، وبالتالي فهو يستبعدها بسبب تورط الأهل فيها »(2) .

تقود التجربة التحليلية النفسية فرويد إلى إعطاء أهمية متزايدة للمشهد الذي يجد الطفل فيه نفسه وهو يحضر عملية علاقات جنسية بين والديه : إنه « . . . عنصر ندر أن غاب عن كنز الهوامات اللاواعية التي يمكن إكتشافها عند كل العصابيين ، كما عند كل أبناء الإنسان على الأغلب »(3) . إنه جزء لا يتجزأ مما يطلق عليه فرويد إسم الهوامات الأصلية . ولقد وُصفت ملاحظة نكاح الوالدين باسم « المشهد الأصلي » في مقالة « رجل الذئاب عام 1918 » . يسلط فرويد الضوء في هذه الحالة على عناصر متنوعة : يفهم الطفل النكاح كإعتداء من الأب على الأم في علاقة سادو - مازوشية ، كما أنه يثير الطفل جنسياً في نفس الوقت الذي يشكل فيه سنداً لقلق الخصاء ؛ ويُفسَّر ضمن إطار النظرية الجنسية الطفلية على أنه نكاح شرجي .

ولا بد أن نضيف في هذا الصدد ، تبعاً لروث ماك برونشفيك أن : « . . . إستيعاب الطفل للنكاح الوالدي ، والإهتمام الذي يوليه إياه يستندان إلى تجاربه الجسدية الخاصة ما قبل الأوديبية مع أمه وإلى الرغبات التي تنتج عنها »(4) .

هل يتعين علينا أن نرى في المشهد الأصلي ذكرى حدث عاشه الشخص حقيقة ، أم مجرد هوام محض ؟ يعود فرويد مراراً إلى هذه المسألة التي شكلت مناظرته مع يونغ ومع نفسه ، في مقالته حول « رجل الذئاب » . تقع إجابات فرويد ، مهما بدت متغيرة ، بين حدين : يشدد في أول كتابة له لحالة « رجل الذئاب عام 1914 » والتي يجهد فيها لاثبات حقيقة المشهد الأولي ، على أن الطفل لا يستوعب هذا المشهد ويؤوله إلا بشكل بعدي ؛ وعلى العكس من ذلك فهو حين يشير إلى ما قد يدخل على هذا المشهد من هوامات بعدية ، يتمسك بأن الواقع يقدم على الأقل بعض المؤشرات (من مثل الضجة ، ونكاح الحيوان الخ . . .)(5) .

وفيما يتجاوز كل نقاش حول القسط النسبي لكل من الواقعي والهوامي، يبدو أن فرويد يريد

التمسك في مواجهة يونغ خصوصاً ، بالفكرة القائلة بأن هذا المشهد يمت إلى الماضي - الفردي والجماعي - للشخص ويشكل حدثاً قد يكون ذا طبيعة أسطورية ، إنما هو على كل حال حاضر رغم ذلك ، بشكل سابق على كل معنى يعطى له بعدياً .

(1) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. All., 210 ; Angl., 197 ; Fr., 174.
(2) Freud (S.). G.W., II-III, 591 ; S.E., V, 585 ; Fr., 478.
(3) Freud (S.). *Mitteilung eines der psychoanalytischen Theorie widersprechenden Falles von Paranoia*, 1915. G.W., X, 242 ; S.E., XIV, 269 ; Fr., 8.
(4) Mack Brunswick (R.). The Preœdipal Phase of the Libido Development, 1940, in *The Psycho-Analytic Reader*, 1950, 247.
(5) Cf. Freud (S.). G.W., XII, 137, n. ; S.E., XVII, 103, n. ; Fr., 404, n.

مشهد بدائي

Scène primitive
Eng.: Primal scene
D.: Urszene

■ يعتمد هذا المصطلح عموماً من قبل المحللين النفسيين الناطقين بالفرنسية ، كمعادل لما أسماه فرويد Urszene . إنما نفضل نحن عليه الترجمة بـ : المشهد الأصلي أو الأولي .

انظر : مشهد أصلي أو أولي .

مصدر النزوة

Source de la pulsion
Eng.: Source of the instinct
D.: Triebquelle

■ إنه الأصل الداخلي النوعي لكل من النزوات المحددة، وهو إما أن يكون موضع ظهور الإثارة (منطقة مولدة للغلمة ، عضو ، أو جهاز) أو أن يكون العملية الجسدية التي يمكن أن تحدث في هذا الجزء من الجسد والتي تدرك على شكل إثارة ■ .

يتباير معنى مصطلح المصدر في أعمال فرويد إنطلاقاً من استخدامه المجازي الشائع . يعدد فرويد في كتابه « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » تحت عنوان « مصادر الجنسية الطفلية » ظواهر جد متباينة ، إلا أنها تقسم في النهاية إلى مجموعتين هما : إثارة المناطق المولدة للغلمة من قبل مثيرات مختلفة ، و« مصادر غير مباشرة » من مثل : « الإثارة الميكانيكية » و« النشاط العضلي » و« العمليات العاطفية » ، و« العمل الذهني »(1) . لا تشكل هذه الفئة الثانية منشأ لإحدى النزوات الجزئية المحددة إنما هي تسهم في زيادة « الإثارة الجنسية » بطابعها الإجمالي .
وبالقدر الذي يعدد فيه فرويد في هذا الفصل بشكل شامل العوامل الخارجية والداخلية التي

تطلق الإثارة الجنسية ، يبدو أن فكرة تطابق النزوة مع توتر ذي منشأ داخلي ، تتلاشى . فلقد كانت هذه الفكرة الأخيرة حاضرة منذ « مشروع علم نفس علمي عام 1895 »(2) : إن فيض الإثارات الداخلية المنشأ هو الذي يعرض المتعضى لتوتر لا يستطيع الإفلات منه ، كما يفلت من الإثارات الخارجية ، بواسطة الهروب .

يقوم فرويد في مقالته « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » بتحليل أكثر منهجية لمختلف جوانب النزوة الجزئية من حيث : مصدرها وإندفاعها ، وهدفها وموضوعها . يصدق هذا التميز على كل النزوات ، ولكنه ينطبق خصوصاً على النزوات الجنسية .

يتخذ المصدر هنا معنى دقيقاً يتصل بآراء الكتابة ما وراء النفسانية الأولى عام 1895 . إذ يعني : المصدر النابع من داخل المتعضى ، « المصدر العضوي » ، « المصدر الجسدي »(3a) . وهكذا يدل المصدر أحياناً على العضو ذاته الذي يشكل مقر الإثارة . ولكن فرويد يخصص هذا المصطلح ، بشكل أدق ، للعملية العضوية ، الفيزيقية ـ الكيميائية ، التي هي في أصل هذه الإثارة . المصدر هو إذاً اللحظة الجسدية وليس النفسية « . . . التي تتمثل إثارتها في الحياة النفسية على شكل نزوة »(3b) . تستعصي هذه العملية الجسدية على علم النفس ، وتظل مجهولة على الأغلب ، إلا أنها خاصة بكل نزوة جزئية ، حيث تلعب دوراً حاسماً بالنسبة لتحديد هدفها الخاص .

يرمي فرويد إلى محض مصدر محدد لكل نزوة : فإضافة إلى المناطق المولدة للغلمة التي تشكل مصادر نزوات معروفة جيداً ، هناك العضلات التي تشكل مصدر نزوة السطوة ، والعين ، التي تشكل مصدر « نزوة النظر »(3c) .

* * *

إتضحت فكرة المصدر ، خلال هذا التطور ، إلى حد أصبحت معه خالية من أي لبس : مما يجعل النزوات الجنسية ترتد في نوعيتها في نهاية المطاف إلى خصوصية عملية عضوية . ولا بد أيضاً في هذه المنهجية المتماسكة ، من تحديد مصدر مستقل لكل نزوة من نزوات حفظ ـ الذات . ومن الممكن التساؤل حول ما إذا كان تثبيت المصطلحات بهذا الشكل قد أدى إلى حسم وحيد الجانب للمشكلة النظرية الخاصة بأصل النزوات الجنسية . وهكذا يؤدي تعداد « مصادر الجنسية الطفلية » في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنس » . إلى الفكرة القائلة بأن النزوة الجنسية تبرز كأثر موازٍ ، وكنتاج هامشي(1b) لمختلف النشاطات غير الجنسية : ذلك هو وضع المصادر المسماة « غير مباشرة » ، ولكنه هو عينه أيضاً وضع النشاط الوظيفي للمناطق المولدة للغلمة (بإستثناء المنطقة التناسلية بالطبع) حيث تستند النزوة الجنسية (أنظر استناد) على نشاط وظيفي مرتبط بحفظ ـ الذات . وهكذا تصبح الصفة المشتركة لكل هذه « المصادر » هي كونها لا تولد النزوة الجنسية بإعتبارها نتاجها الطبيعي والنوعي ، على غرار العضو الذي يفرز منتجاته ، إنما كإحدى الأثار الإضافية للوظيفة الحيوية . وما يشكل أصل أي « مصدر » للنزوة الجنسية بمعناه العريض ، هو مجمل تلك الوظيفة الحيوية (التي قد تتضمن بدورها مصدراً ، واندفاعاً ، وهدفاً وموضوعاً) .

وهكذا يتخصص الليبدو إلى فمي وشرجي ، إلخ ، تبعاً لنمط العلاقة التي يفرزها نشاط حيوي كهذا (فمثلاً يتكون الحب في المرحلة الفمية على نمط أكل ـ فهو مأكول) .

(1) FREUD (S.). *a)* G.W., V, 101-7 ; S.E., VII, 201-6 ; Fr., 99-107. — *b)* Cf. G.W., V, 106, 134 ; S.E., VII, 204 ; 233 ; Fr., 105, 148.
(2) Cf. FREUD (S.). All., 402 ; Angl., 379 ; Fr., 336.
(3) FREUD (S.). *a)* G.W., X, 216, 225 ; S.E., XIV, 123, 132 ; Fr., 36, 53. — *b)* G.W., X, 215 ; S.E., XIV, 123 ; Fr., 35-6. — *c)* G.W., X, 225 ; S.E., XIV, 132 ; Fr., 53.

مصدود الهدف

Inhibé (e) quant au but
Eng.: Aim-inhibited
D.: Zielgehemmt

■ يصف هذا التعبير النزوة التي لا تبلغ أسلوب اشباعها المباشر (أو هدفها) بفعل عوائق خارجية أو داخلية ، وتجد عوضاً عن ذلك إشباعاً مخففاً في نشاطات أو علاقات يمكن اعتبارها كمقاربات متفاوتة في بعدها عن الهدف الأول ■ .

يستعمل فرويد مفهوم الصد لجهة الهدف خصوصاً لتبيان أصل مشاعر الرقة (أنظر هذه الكلمة) أو المشاعر الإجتماعية . إذ أشار هو نفسه إلى صعوبة تفسيرها بشكل صارم من وجهة النظر ما وراء النفسانية(1) : فكيف يمكن فهم هذا الصد ؟ هل يفترض كبت الهدف الأول وعودة للمكبوت ؟ وما هي صلاته مع التسامي (أنظر هذه الكلمة) من ناحية ثانية ؟ يبدو أن فرويد يرى ، بصدد هذه النقطة الأخيرة ، في الصد بداية للتسامي ، إلا أنه يبدي حرصه على التمييز ما بين العمليتين . « تمت النزوات الإجتماعية إلى فئة من الحركات النزوية التي لا تستدعي أن نرى فيها نزوات متسامية ، وذلك بالرغم من قرب الأولى من الثانية . فهذه الأولى لم تتخل عن أهدافها الجنسية المباشرة ، إنما تحول مقاومات داخلية دون وصولها إلى هذه الأهداف ؛ إذ تكتفي في الإقتراب المحدود من الإشباع ، مما يفسّر قدرتها على إقامة روابط وثيقة جداً ودائمة بين البشر . ذلك هو على وجه الخصوص حال علاقات الرقة ما بين الأهل والأولاد ، التي كانت في الأصل جنسية تماماً ، وكذلك هو حال مشاعر الصداقة والروابط العاطفية في الزواج التي تنتج عن الجاذبية الجنسية »(2) .

(1) Cf. FREUD (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 155 ; S.E., XVIII, 138-9 ; Fr., 155-6.
(2) FREUD (S.). « *Psychoanalyse* » *und* « *Libidotheorie* ». 1923. G.W., XIII, 232 ; S.E., XVIII, 258.

مطاوعة ذاتية ـ تطويع الغير

Autoplastique- Alloplastique

Eng.: Autoplastic- Alloplastic

D.: Autoplastisch- Alloplastisch

■ يصف هـذان المصطلحان نمطين من الإستجابة أو من التكيف . يتلخص الأول في تغيير المتعضي وحده ، ويتلخص الثاني في تغيير البيئة المحيطة ■ .

يستخْدم مصطلحا المطاوعة الذاتية وتطويع الغير في التحليل النفسي أحياناً في إطار نظرية عن الحقل النفسي تعرّف من خلال تفاعل المتعضي والمحيط ، وذلك للتفريق بين نمطين من العمليات ، تتوجه الأولى إلى الشخص نفسه ، مؤدية إلى تغيرات داخلية ، وتتوجه الثانية إلى الخارج . يرجع دانيال لاجاش(1) إلى هذه الأفكار في إرصانه لمفهوم السلوك (أ) .

وأما فرنزي ، فهو يتحدث عن تكيف المطاوعة الذاتية بمعنى تكويني تحديداً . إذ يتعلق الأمر بالنسبة إليه بطريقة في التكيف جد بدائية ، تتطابق مع مرحلة من النمو الفردي والنمو السلالي (مرحلة « النفس الأولية ») حيث لا يسيطر المتعضي إلا على ذاته ، ولا يقوم إلا بتغييرات جسدية . يربط فرنزي بذلك الإقلاب الهستيري ، وعلى وجه التحديد ما يطلق عليه إسم « ظواهر التجسيد » : « . . . يكمن جوهرها في تحقيق الرغبة ، على غرار السحر ، إنطلاقاً من المادة الجسدية التي يحورنها ، ومن خلال تصوير يتخذ طابع التشكيل الجسدي ، ولو كان بدائياً »(2) . نحن هنا بصدد نكوص أشد عمقاً عما هو الحال في الحلم ، ذلك أن الرغبة اللاواعية لا تتجسد في صورة بصريّة ، بل في حالات وأفعال جسدية .

وبالمقابل ، يتحدث فرنزي أحياناً عن تكيّف من خلال تطويع الغير لكي يصف مجمل الأفعال الموجهة نحو الخارج والتي تتيح للأنا الحفاظ على توازنه(3) .

(أ) يعرض د. لاجاش الجدول التالي ذي البعدين .

العمليات

	مطاوعة ذاتية	تطويع الغير
محسوسة. . . .	عمليات فيزيولوجية	أفعال مادية
رمزية	نشاط ذهني ، واع ولا واع	إتصالات ، لغات

(1) Cf. Lagache (D.). *Éléments de Psychologie médicale*, 1955. In *Encyclopédie médico-chirurgicale. Psychiatrie* 37 030 A[10]

(2) Ferenczi (S.). *The Phenomena of Hysterical Materialization. Thoughts on the Conception of Hysterical Conversion and Symbolism*, 1919. In *Further Contributions*, 96.

(3) Cf. aussi . Freud (S.). *Der Realitätsverlust bei Neurose und Psychose*, 1924, G.W., XIII, 366 ; S.E., XIX, 185. — Et Alexander F. . *Der neurotische Charakter*. In *Internat. Zeit.*, 1928.

مقدار العاطفة Quantum d'affect

Eng. : Quota of affect
D.: Affektbetrag

■ **إفترضَ هذا العامل الكمي كأساس للعاطفة المتشذاتياً، من أجل الدلالة على ما هو ثابت في مختلف التعديلات التي تطرأ عليها من : إزاحة ، وإنفصال عن التصور ، وتحولات كيفية ■ .**

مصطلح « مقدار العاطفة » هو أحد المصطلحات المستخدمة في التعبير عن فرضية فرويد الإقتصادية . ويشار أيضاً إلى نفس الأساس الكمي بمصطلحات من مثل « طاقة التوظيف » و « القوة النزوية » ، و « إندفاع » النزوة ، أو « الليبدو » ، حين نكون بصدد النزوة الجنسية وحدها . يشيع إستخدام فرويد لمصطلح مقدار العاطفة حين يعالج مسألة مصير العاطفة وإستقلاليتها بالنسبة للتصور : « هناك ضرورة لأن نميِّز ، في الوظائف النفسية ، شيئاً ما (مقدار العاطفة ، مجموع الإثارة) يمتلك كل خصائص الكم - حتى ولو لم يكن بمقدورنا قياسه - شيء يمكن زيادته ، أو الإقلال منه ، أو إزاحته ، أو تفريغه ، وينتشر على الآثار الذاكرية للتصورات على غرار إنتشار الشحنة الكهربائية على سطح الأجسام »(1) .

وكما يشير جونز إلى ذلك ، « يختلف مفهوم العاطفة المستقلة والقابلة للإنفصال كثيراً عن الإعتقاد القديم بـ « الصبغة العاطفية »(2) (أ) . مفهوم مقدار العاطفة ليس وصفياً ، بل هو ما وراء نفساني : « يتطابق مقدار العاطفة مع النزوة إلى الحد الذي تنفصل فيه هذه عن التصور وتجد تعبيراً ملائماً عن كميتها في العمليات التي تصبح ملموسة لنا على شكل عواطف »(3) . على أننا نعثر عند فرويد عن أمثلة لإستخدام هذين المصطلحين بشكل أكثر تراخياً (أي العاطفة ، ومقدار العاطفة) حيث يتلاشى التعارض بينهما ، أي التعارض ما بين الكيفية والكمية .

(أ) إلا أنه تجدر الملاحظة أن فرويد يترجم Affektbetrag في مقالته التي كتبها بالفرنسية بعنوان « بعض الإعتبارات من أجل دراسة مقارنة لحالات الشلل الحركية العضوية والهستيرية عام 1893 » بتعبير « القيمة العاطفية » .

(1) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*. 1894. G.W., I, 74 ; S.E., III, 60.
(2) Jones (E.). *Sigmund Freud : Life and Work*, Londres, Hogarth Press, 1953. I, Angl. 435 ; Fr., Paris, P.U.F., 435.
(3) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. G.W., X, 255 ; S.E., XIV, 152 ; Fr., 79.

مقاومة Résistance

Eng. : Resistance
D. : Widerstand

■ **يطلق إسم المقاومة ، خلال العلاج التحليلي النفسي، على كل ما يحول من أفعال المُحَلَّل وأقواله دون نفاذه إلى لا وعيه . ولقد تحدث فرويد ، كإمتداد لهذا عن مقاومة لمذهب التحليل النفسي للدلالة على ذلك للموقف المعارض لاكتشافاته بإعتبارها تكشف الرغبات اللاواعية وتصيب الإنسان « بتكدير نفساني » (أ) ■ .**

أدخل فرويد مفهوم المقاومة منذ فترة مبكرة من اعماله ؛حتى أنه ليمكن القول بأن هذا المفهوم قد لعب دوراً حاسماً في نشأة التحليل النفسي . فلقد تخلى فرويد في الواقع عن التنويم المغناطيسي لأن المقاومة الكاسحة التي أبداها بعض المرضى ضد هذا التنويم بدت لفرويد مشروعه (ب) من ناحية ، وغير قابلة للتجاوز أو التأويل (ج) من ناحية ثانية ، وهو ما تجعله طريقة التحليل النفسي على العكس من ذلك ممكناً ، بالقدر الذي تتيح فيه الجلاء التدريجي للمقاومات التي تترجم خصوصاً في مختلف أشكال خرق المريض للقاعدة الأساسية ؛ ونجد في « دراسات حول الهستيريا عام1895 » تعداداً أولياً لمختلف الظواهر العيادية للمقاومة الصريحة منها أو الخفية(1a) .

ولقد إكتشفت المقاومة بإعتبارها عقبة في وجه جلاء غوامض الأعراض وتقدم العلاج . « تشكل المقاومة في نهاية المطاف عنصر الإعاقة للعمل [العلاجي] » (د)(2a) . حاول فرويد التغلب على هذه العقبة في بادىء الأمر ، من خلال الإلحاح - وهو قوة تذهب في الإتجاه المضاد للمقاومة - والإقناع ، قبل أن يكتشف فيها وسيلة للنفاذ إلى المكبوت ، وإلى سر العصاب ؛ إذ أن القوى نفسها هي الفاعلة ، عملياً ، في كل من المقاومة والكبت . وبهذا المعنى ، يتلخص كل تقدم التقنية التحليلية ، كما يؤكد فرويد على ذلك في كتاباته التقنية ، في مزيد من صوابية تقدير المقاومة ، أي تقدير ذلك الواقع العيادي القائل بعدم كفاية إطلاع المرضى على معنى أعراضهم ، كي يزول الكبت . ومن المعلوم أن فرويد إستمر في إعتبار تأويل كل من المقاومة والنقلة ، على أنهما يشكلان الخصائص النوعية المميزة لتقنيته (في العلاج) . وأكثر من ذلك ، لا بد من إعتبار النقلة ولو جزئياً على أنها مقاومة ، بمقدار ما تستبدل الإستذكار المنطوق بالتكرار المُفعَّل ؛ ولا بد من الإضافة بالطبع أن المقاومة تستعمل النقلة ولكنها لا تكونها .

من العسير إستخلاص وجهات نظر فرويد حول تفسير ظاهرة المقاومة . فهو يصيغ الفرضية التالية في « دراسات حول الهستيريا » : يمكننا أن نعتبر بأن الذكريات تتجمع ، تبعاً لدرجة مقاومتها ، في طبقات متتالية حول نواة مركزية مولدة للمرض ؛ وكل عبور من دائرة إلى أخرى أكثر قرباً من النواة ، خلال العلاج ، سيزيد من شدة المقاومة(1b) . يجعل فرويد ، منذ تلك الفترة ، من المقاومة إحدى التجليات الخاصة بالعلاج ، وما يتطلبه من إستذكار ، وهي تصدر عن نفس القوة التي يمارسها الأنا ضد التصورات المؤلمة . إنما يبدو أنه يرد منشأ المقاومة الأخير إلى النفور الذي ينبع من المكبوت بحد ذاته ، وما يلاقيه من صعوبة في النفاذ إلى الوعي وخصوصاً في أن يكون مقبولاً تماماً من الشخص . نعثر هنا إذاً على عنصرين تفسيريين : يحكم المقاومة بعدها بالنسبة إلى المكبوت ؛ كما أنها تتطابق مع وظيفة دفاعية . وتحافظ الكتابات التقنية على هذا الغموض .

ولكن مع حلول النظرية الموقعية الثانية ، أصبح التوكيد ينصب على الجانب الدفاعي : أي الدفاع الذي يمارسه الأنا ، كما تشير إليه العديد من النصوص . « إذ لا يمارس اللاوعي أي « المكبوت » أي مقاومة ، من أي نوع كان ، في وجه محاولات العلاج ؛ إذ أنه لا يهدف في الواقع إلى أي شيء آخر سوى إلى التغلب على الضغط الذي يرزح تحته ، كي يشق طريقه إلى الوعي ، أو إلى التفريغ من خلال فعل واقعي . تصدر المقاومة في العلاج من نفس الطبقات والأنظمة العليا للحياة

النفسية التي سببت الكبت في حينه »(3) . يتمسك فرويد بهذا الدور السائد لدفاع الأنا حتى آخر كتاباته ، حيث يرد في واحد منها : « تعود أواليات الدفاع ضد الأخطار القديمة ، أثناء العلاج على شكل مقاومات للشفاء ، وذلك لأن الأنا يعتبر الشفاء بحد ذاته كخطر جديد عليه »(4a) . وهكذا لا يتميز تحليل المقاومات ، من هذا المنظور ، عن تحليل دفاعات الأنا الدائمة كما تتخصص في الوضعية التحليلية (أنا فرويد) .

إلا أن فرويد يؤكد صراحة على عدم كفاية مقاومة الأنا الظاهرة ، لتبيان الصعوبات التي تصادف في تقدم وإنجاز العمل التحليلي ؛ إذ يصادف المحلل ، خلال تجربته ، مقاومات لا يمكنه إلحاقها بالتياثات الأنا(4b) .

يميز فرويد في آخر كتابه « الصد ، العارض ، والقلق عام1926 » بين خمسة أشكال من المقاومة ؛ يتعلق ثلاثة منها بالأنا وهي : الكبت ، ومقاومة النقلة ، والكسب الثانوي من المرض «الذي يقوم على مكاملة العارض في الأنا». ولا بد أيضاً من أخذ مقاومة اللاوعي أو الهو، وعلى مقاومة الأنا الأعلى بالحسبان . تجعل أولاهما عمل الإستيعاب ضرورياً من الناحية التقنية (Durcharbeiten) فتلك هي : « . . . قوة إضطرار التكرار ، وقوة الجذب التي تمارسها الأنماط الأولية اللاواعية على العملية النزوية المكبوتة » . وأخيراً فهناك مقاومة الأنا الأعلى التي تشتق من الشعور اللاوعي بالذنب، (5a) ، والحاجة إلى العقاب (أنظر : إستجابة علاجية سلبية) .

لم تكن هذه المحاولة التصنيفية الما وراء نفسانية لترضي فرويد ، ولكن كان لها على الأقل حسنة الإشارة إلى رفضه الدائم لرد ظاهرة المقاومة الذاتية والعلائقية إلى أواليات الدفاع الخاصة ببنية الأنا . وأما مسألة : من يقاوم ؟ فهي تظل مطروحة وإشكالية بالنسبة إليه (هـ) . علينا الإعتراف ، فيما يتجاوز الأنا « . . . الذي يتشبث بتوظيفاته المضادة » بوجود مقاومة جذرية تشكل العقبة القصوى أمام العمل التحليلي ، ولقد تنوعت بشأن طبيعتها الفرضيات الفرويدية ، ولكنها على أي حال لا تقبل الرد إلى العمليات الدفاعية المحضة (أنظر : إضطرار التكرار) .

(أ) نحن هنا بصدد الفكرة التي برزت منذ عام1896 والقائلة بأنه : « قد يدفعني العداء الذي أحاط به وما يرافقه من عزلة إلى الإفتراض بأنني قد إكتشفت أكبر الحقائق على الإطلاق »(2b) . أنظر بصدد « التكدير » المقالة حول « إحدى صعوبات التحليل النفسي عام1917 »(6) .

(ب) حين كنا نصرخ في المريض الذي يقاوم الإيحاء : ماذا أنت فاعل يا هذا ؟ أنت تقوم بإيحاء مضاد ، كنت أقول لنفسي من الجلي أننا نمارس عليه تجنياً وعنفا . فلقد كان من حق المرء بالتأكيد أن يقوم بإيحاء مضاد ، حين كنا نحاول إخضاعه بالإيحاءات »(7) .

(جـ) إن تقنية الإيحاء « . . . لا تسمح لنا على سبيل المثال ، بالتعرف على المقاومة التي تجعل المريض يتشبث بمرضه ، ويناضل بذلك ضد شفائه »(8) .

(د) أنظر تعريف المقاومة في « تأويل الحلم عام1900 » حيث يرد : « إن كل ما يربك متابعة العمل هو مقاومة »(9) .

(هـ) يمكن الرجوع إلى مؤلف أ . جلوفر بعنوان « تقنية التحليل النفسي عام1955 » إذ يقر المؤلف ، بعد قيامه بجردة منهجية للمقاومات باعتبارها تجليات للدفاعات الدائمة للجهاز النفسي ، كما يكشفها التحليل ، بوجود رواسب متبقية : « بعد أن تستنفد القائمة الممكنة للدفاعات التي قد تصدر عن الأنا أو الأنا الأعلى ، نجد أنفسنا أمام هذه الواقعة العارية التي تتجلى في إنسياق لتكرار مجمل التصورات نفسها بلا انقطاع [. . .] . كنا نأمل من خلال

إستبعاد مقاومات الأنا والأنا الأعلى بإحداث شيء ما من نوع التحرر الآلاتي من الضغوطات ، وأن تسارع تحليلات دفاعية أخرى لربط هذه الطاقة المحررة ، تماماً كما يحدث في الأعراض الطارئة . ولكن عوضاً عن ذلك ، يبدو أننا نطلق العنان بعملنا هذا لإضطرار التكرار ، وكأن الهو قد إنتهز فرصة تراخي دفاعات الأنا كي يمارس على التصورات ما قبل الواعية جذباً متزايداً في إتجاهه »(10) .

(1) Cf. Freud (S.). a) G.W., I, 280 ; S.E., II, 278 ; Fr., 225. — b) G.W., I, 284 ; S.E., II, 289 ; Fr., 234.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*. 1887-1902. — a) Lettre du 27-10-1897 : All., 240 ; Angl., 226 ; Fr., 200. — b) Lettre du 13-3-1896 : All., 172 ; Angl., 161 ; Fr., 143.

(3) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. G.W., XIII, 17 ; S.E., XVIII, 19 ; Fr., 19.

(4) Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. — a) G.W., XVI, 84 . S.E., XXIII, 238 ; Fr., 24-5. — b) Cf. G.W., XVI, 86 ; S.E., XXIII, 241 , Fr., 27.

(5) Freud (S.) a) Cf. G.W., XIV, 191-3 ; S.E., XX, 158-60 ; Fr., 87-9. — b) G.W., XIV, 191-3 ; S.E., XX, 158-60 ; Fr., 87-9.

(6) Cf. Freud (S.). G.W., XII, 1-26 ; S.E., XVII, 137-44 ; Fr., 137-47.

(7) Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 97 ; S.E., XVIII, 89 ; Fr., 99.

(8) Freud (S.). *Über Psychotherapie*, 1904. G.W., V, 18 ; S.E., VII, 261 ; Fr., 14.

(9) Freud (S.). G.W., II-III, 521 ; S.E., V, 517 ; Fr., 427.

(10) Glover (Ed.). Angl., Baillière, Londres, 1955, 81 ; Fr., P.U.F., Paris, 1958, 94-5.

مُكوِّن نزوي

Composante pulsionnelle

Eng: Instinctual component

D: - Triebkomponente

■ أنظر : نزوة جزئية **Pulsion partielle** ■ .

ممثل - تصوري (1)

Représentant- représentation

Eng. : Ideational representative

D. : Vorstellungsrepräsentanz , oder (Vorstellungsrepräsentant)

■ إنه تصور أو طائفة من التصورات التي تثبت عليها النزوة خلال تاريخ الشخص ، وتدوّن في النفس بواسطتها ■ .

يتضمّن التعبير الفرنسي Représentant- représentation إلتباساً ، لكونه يترجم كلمة ألمانية مكونة من إسمين جد مختلفين ، بكلمتين جد متقاربتين ؛ ولا نرى مع الأسف كيفية تجنب هذا اللبس مع إعطاء ترجمة مضبوطة للمصطلح الفرويدي . يترجم الممثل Représentant الكلمة الألمانية Reprasentanz (ب) ، وهي تعبير ألماني من أصل لاتيني تقترب تماماً من معنى التفويض (جـ) . وأما مصطلح Vorstellung فهو مصطلح فلسفي يعادل كلمة تصور في الفرنسية

التقليدية . وهكذا فالمصطلح الألماني يدل على ما يمثل : (أي ما يمثل النزوة : في هذا المقام) في مجال التصور (١) ، وهو ما حاولنا الدلالة عليه بتعبير ممثل تصوري .

●●●

تصادف فكرة الممثل التصوري في النصوص التي يعرِّف فيها فرويد علاقة الجسدي بالنفسي باعتبارها علاقة النزوة بما يمثلها . تعرَّف وتستعمل فكرة الممثل التصوري أساساً في أعمال ما فوق علم النفس عام 1915 ، حول « الكبت » و « اللاوعي » ؛ كما أنها تظهر بأوضح معانيها في النظرية الأكثر إكتمالاً التي وضعها فرويد عن الكبت .

ولا بد من التذكير السريع بأن النزوة تظل ، باعتبارها جسدية ، خارج دائرة الفعل المباشر لعملية الكبت النفسية في اللاوعي . إذ لا يمكن أن تنصب هذه العملية إلا على التمثُيلات النفسية للنزوة ؛ وبكلمة أدق على التمثيلات التصورية . .

ويميز فرويد في الواقع ما بين عنصرين في الممثل النفسي للنزوة هما التصور والعاطفة ، كما أنه يبيّن ان كلاً منهما يلقى مصيراً مختلفاً : فالعنصر الأول (أي الممثل التصوري) هو وحده الذي يعبر كما هو إلى نظام اللاوعي (أنظر بصدد هذا التمييز : ممثل نفسي ، عاطفة ، كبت) .

فماذا يجب أن نعني بمصطلح ممثل تصوري ؟ لم يوضح فرويد مطلقاً هذه الفكرة . نحيل القارىء بصدد مصطلح الممثل وما يفترضه من علاقة تفويض ما بين النزوة وبينه ، إلى المقالة حول « الممثل النفسي » . كما نحيله إلى المقالات حول « التصور ، وتصور الشيء وتصور الكلمة بصدد كلمة التصوري التي تتضمن عنصراً ذهنياً في مقابل العنصر العاطفي .

وفي النظرية التي يقدمها فرويد عن نظام اللاوعي في مقالته عام 1915 ، لا يرى في الممثل التصوري « محتويات » اللاوعي وحدها ، بل أيضاً ما يكون هذا اللاوعي . وفي الواقع تثبت النزوة على ممثّل لها ، ويتكون اللاوعي في آن معاً من خلال فعل واحد ووحيد ، هو الكبت الأصلي : « نحن محقون [. . .] في القول « بكبت أصلي » ، أي بمرحلة أولى من الكبت تتلخص باصطدام الممثل النفسي للنزوة برفض قبوله في الوعي . ومع هذا الرفض يحدث « التثبيت » ؛ وإنطلاقاً من ذلك يستمر ممثل هذه النزوة بشكل لا تحول فيه ، كما تستمر النزوة مرتبطة به »(1a) .

يثير مصطلح التثبيت ، في مقطع كهذا ، فكرتين في آن معاً هما : فكرة تثبيت النزوة على مرحلة أو على موضوع ما ، والتي تشكل لب المفهوم التكويني ، وفكرة تدوين النزوة في اللاوعي .

ومما لا شك فيه أن هذه الفكرة الأخيرة ـ أو بالأحرى الصورة الأخيرة ـ قديمة جداً عند فرويد . فهو قد قال بها منذ رسائله إلى فلايس ، في واحدة من أوائل الصيانم التي وضعها عن الجهاز النفسي ـ الذي يبدو وكأنه يتضمن عدة طبقات من تدوين الإشارات(2) ـ ، ثم عاد : إليها في « تأويل الأحلام عام 1900 » وخصوصاً في مقطع يناقش فيه فرضية تغيير التدوين الذي يحل بالتصور خلال مروره من نظام إلى آخر(3) .

وبالأمكان أن نرى في هذه المقارنة لصلة النزوة بممثلها مع عملية تدوين الإشارة (أو على الأصح « الدلالة » تبعاً للمصطلح الألسني) ، وسيلة لتوضيح طبيعة الممثل التصوري .

(ا) أنظر الملحوظة رقم (أ) في مقالة ممثل النزوة .

(ب) المصطلح الشائع في الألمانية هو Der repräsentant ؛ الذي ندر أن صادفناه بقلم فرويد ، إذ يعتمد هو صيغة Die Repräsentanz ، المستنسخ مباشرة عن اللاتينية والذي يتصف بلا شك بدرجة أعلى من التجريد .

(جـ) « بمعنى أن س . من الناس هو ممثلي » .

(د) إن ترجمة تعبير Vorstellungsrepräsentanz بـ « Représentant de la Représentation » = ممثل التمثيل تشكل تناقضاً بالنسبة لفكر فرويد : فالتصور هو ما يمثل النزوة وليس ما يتمثل بدورة بشيء آخر . فنصوص فرويد صريحة حول هذه النقطة (1b,4) .

(1) Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. — *a)* G.W., X, 250 ; S.E., XIV, 148 ; Fr., 71. — *b)* Cf. G.W., X, 255 ; S.E., XIV, 152-3 ; Fr., 80-1.

(2) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. Lettre du 6-12-96 : All., 185-6 ; Angl., 173 ; Fr., 153.

(3) Cf. Freud (S.). G.W., II-III, 615 ; S.E., V, 610 ; Fr., 496.

(4) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 275-6 ; S.E., XIV, 177 ; Fr., 112.

Représentant de la pulsion

مُمثِّل النزوة (1)

Eng. : Instinctual representative

D. : Triebrepräsentanz (oder Triebrepräsentant)

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح للدلالة على العناصر أو العمليات التي تفصح النزوة من خلالها نفسياً . يكون هذا المصطلح أحياناً مرادفاً للممثل التصوري كما يكون أحياناً أخرى أكثر إتساعاً كي يشمل العاطفة أيضاً ■ .

يرد فرويد عموماً ممثل النزوة إلى « الممثل التصوري » ؛ ففي وصف مراحل الكبت ، يظل مصير الممثل التصوري وحده موضع نظر إلى حين أخذ « عنصر آخر من عناصر الممثل النفسي » بعين الإعتبار : وهو مقدار العاطفة « . . . الذي يتطابق مع النزوة بالقدر الذي تنفصل فيه عن التصور ، وتجد تعبيراً ملائماً لخاصيتها في عمليات نحسها على شكل عواطف » (1a) .

فإضافة إلى العنصر التمثيلي لممثل النزوة يمكن الحديث عن عامل كيفي أو عاطفي لهذا الممثل . إنما تجدر الإشارة إلى أن فرويد لا يستخدم على كل حال مصطلح الممثل العاطفي الذي يمكن نحته بالتناظر مع مصطلح ممثل تصوري .

وليس مصير هذا العنصر العاطفي بأقل أهمية بالنسبة للكبت : فليس للكبت في الواقع « . . . من سبب أو من غاية سوى تجنب الإنزعاج : مما ينتج عنه أن مصير مقدار عاطفة الممثل أكثر أهمية بما لا يقاس من مصير التصور » (1b) .

ولا بد من التذكير بأن هذا « المصير » قد يتفاوت : فقد يُحتفظ بالعاطفة التي قد تُزاح عندها إلى تصور آخر ؛ كما قد تتحول إلى عاطفة أخرى ، خصوصاً إلى القلق ؛ أو هي قد تقمع (1c,2a) . إنما لا بد من الإشارة إلى أن هذا القمع ليس كبتاً في اللاوعي بمعنى الكبت الذي يصيب التصور ؛ ذلك أنه يتعذر واقعياً الحديث عن عاطفة لا واعية بالمعنى الدقيق للكلمة . ولا يوازي في نظام اللاوعي في الواقع ما يمكن أن نطلق عليه هذه التسمية (أي العاطفة اللاواعية) « . . . إلا أصول

عاطفية هزيلة لم تتمكن من النمو »(2b) .

لا يمكننا إذاً القول بكل صراحة بأن النزوة تتمثل من خلال العاطفة إلا على مستوى نظام ما قبل الوعي - الوعي - أو على مستوى الأنا - .

(أ) سنخصص بغية الوضوح ثلاث مقالات منفصلة هي : ممثل النزوة ، الممثل النفسي ، والممثل التصوري ، لمصطلحات يتداخل معناها إلى حد كبير حتى أنها تحل محل بعضها بعضاً في معظم النصوص الفرويدية . تستعرض هذه المقالات الثلاث نفس المفهوم ، إنما فضلنا من جانبنا تخصيص كل من تعليقاتنا الثلاثة هذه ، لمناقشة نقطة أكثر خصوصية .
نُذكِّر في هذه المقالة بالوظيفة التي يعطيها فرويد على التوالي لكل من التصور والعاطفة باعتبارهما يمثلان النزوة .
وتُعرِّف المقالة الثانية خصوصاً ما يقصده فرويد بـ « الممثل » أي (ما يمثل الجسدي في النفسي) . بينما تبين مقالة « الممثل التصوري » أن « التصوُّرْ » هو الذي يقع عليه أساساً دور تمثيل النزوة .
تجدر الإشارة إلى أن المقالات حول « التصور » و « تصور الشيء - تصور الكلمة » يشكلان جزءاً من نفس المجمل المفهومي .

(1) Freud (S.). *Die Verdrangung*, 1915. — *a)* G.W., X, 255 ; S.E., XIV, 152 ; Fr., 79-80. — *b)* G.W., X, 256 ; S.E., XIV, 153 ; Fr., 81. — *c)* Cf. G.W., X, 255-6 ; S.E., XIV, 153 ; Fr., 81.
(2) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 276-7 ; S.E., XIV, 178 ; Fr., 114. — *b)* G.W , X, 277 ; S.E., XIV, 178 ; Fr., 115.

ممثل نفسي (1) Représentant psychique

Eng. : Psychical representative.

D. : Psychische repräsentanz oder psychischer repräsentant.

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح ، في إطار نظريته عن النزوة ، للدلالة على التعبير النفسي عن الإثارات ذات المنشأ الجسدي الداخلي ■ .

لا يمكن فهم هذا المصطلح إلا بالرجوع إلى النزوة التي ينظر فرويد إليها كمفهوم حدِّي ما بين الجسدي والنفسي . ففي الواقع ، تجد النزوة ، من الناحية الجسدية ، مصدرها في ظواهر عضوية مولدة للتوترات الداخلية التي لا يمكن للشخص أن يتجنبها ؛ ولكن النزوة تتعرض من خلال الأهداف التي ترمي إليها والموضوعات التي تتعلق بها ، إلى « مصير » نفسي أساساً .

هذه الوضعية الحدودية هي التي تفسر بلا شك لجوء فرويد إلى فكرة الممثل الجسدي في النفسي - التي يقصد بها نوعاً من التفويض -. ولكن فكرة التفويض هذه قد صيغت بأسلوبين مختلفين . فأحياناً تظهر النزوة ذاتها وكأنها « ... الممثل النفسي للإثارات الصادرة عن داخل الجسد والتي تدرك الروح »(1,2) ؛ وفي أحيان أخرى تُرَدّ النزوة إلى عملية الإثارة الجسدية وهي التي تُمَثَّل عندها في النفس بواسطة « ممثلين عن النزوة » يضمان عنصرين : هما الممثل التصوري ، ومقدار الطاقة(3) .

إنما لا يبدو أنه بإمكاننا أن نجد ، كما تدعونا إليه « الطبعة المعيارية » ، تطوراً في فكر فرويد حول هذه المسألة (إذ أن الصياغتين قد قُدمتا في نفس العام1915) ، كما يتعذر علينا تماماً الذهاب إلى أن فرويد قد تبنى هذا المفهوم الثاني في أواخر كتاباته (ذلك أن المفهوم الأول هو الذي نجده في الواقع في « الموجز في التحليل النفسي عام 1938 ») . فهل يتوجب علينا إذاً حل التناقض ، كما تشير إلى ذلك « الطبعة المعيارية » ، من خلال القول بغموض مفهوم النزوة التي تقع عند الحدود ما بين الجسدي والنفسي(4) ؟ فليكن؛ إنما يبدو لنا أن فكر فرويد قابل للتوضيح بصدد هذه النقطة .

1 ـ فاذا تناقضت الصياغات للوهلة الأولى ، إنما تبقى هناك فكرة حاضرة دوماً على أي حال : إذ لا ينظر إلى « علاقة » الجسدي مع النفسي ، لا تبعاً لنموذج التوازي ولا تبعاً لنموذج السببية ؛ بل يجب فهمها من خلال مقارنتها بتلك العلاقة الموجودة ما بين المندوب ومن فوضه (ب) .

ولأن هذه العلاقة تظل ثابتة في صياغات فرويد ، فبالإمكان طرح الفرضية القائلة بأن الخلاف الذي نلاحظه بين هذه الصياغات لا يتعدى المستوى اللفظي : إذ يشار إلى التعديل الجسدي بمصطلح النزوة مرة ، وبمصطلح الإثارة مرة أخرى ، بينما يسمى المثل النفسي ممثل تصوري في الحالة الأولى ، ويسمى نزوة في الحالة الثانية .

2 ـ على أنه يبقى هناك في رأينا إضافة إلى هذه الملاحظات ، إختلاف ما بين الصياغتين . إذ يبدو لنا أن الحل الذي تعتبر فيه النزوة جسدية وتنتدب ممثليها النفسيين أكثر ضبطاً ودقة لأنها لا تقتصر على اللجوء إلى صلة « تعبير » شمولية ما بين الجسدي والنفسي ، كما أنها أكثر إنسجاماً مع فكرة « تسجيل التمثيل » التي لا تنفصل عن التصور الفرويدي للاوعي .

(أ) أنظر الملاحظة رقم (أ) في هامش المقالة حول ممثل النزوة .

(ب) من المعلوم ، في أمثال هذه الحالات ، أن المندوب يدخل ، رغم إستناده على السلطة المخولة له ممن فوضه من حيث المبدأ ، في نظام جديد من العلاقة الذي يهدد بتغيير منظوره مؤثراً بذلك على التوجيهات المعطاة له في الأصل .

(1) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*. 1915. G.W., X, 214 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 33.

(2) Même formulation dans : Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia (Dementia paranoides)*, 1911. G.W., VIII, 311 ; S.E., XII, 73-4 ; Fr., 317-8. — Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905, passage ajouté en 1915. G.W., V, 67 ; S.E., VII, 168 ; Fr., 56. — Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*. 1938. G.W., XVII, 70 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 7.

(3) Cf. Freud (S.). *Die Verdrangung*, 1915. G.W., X, 254-5 ; S.E., XIV, 152 ; Fr., 79.

(4) S.E., XIV, 113

Zone érogène — منطقة مولدة للغلمة

Eng. : Erotogenic zone

D. : Erogene zone

■ إنها أي منطقة ذات كساء جلدي ـ مخاطي قابلة لأن تكون موضع إثارة من نمط جنسي .

ويقصد بذلك على وجه الخصوص بعض المناطق التي تكون وظيفياً موضع إثارة كهذه : منطقة فمية ، شرجية ، بولية ـ تناسلية ، وحلمة الثدي ■ .

لم تتغير نظرية المناطق المولدة للغلمة التي رسم فرويد معالمها في رسائله إلى فلايس بتاريخ 6-12-1896 و14-11-1897، قط منذ نشرها في « ثلاث مقالات حول نظريته الجنسية عام1905 » (1a). فكل منطقة ذات كساء جلدي - مخاطي يمكن أن تنشط وظيفياً كمنطقة مولدة للغلمة، حتى أن فرويد يوسع فيها بعد صفة « توليد الغلمة » كي تشمل كل الأعضاء الداخلية(2) : « إن الجسد بأكمله هو ، إذا تحرينا الدقة في القول ، منطقة مولدة للغلمة »(3) . إنما يبدو أن بعض المناطق « مهيأة » لهذه الوظيفة . وهكذا تكون المنطقة الفمية ، في مثال نشاط المص ، محتومة فسيولوجياً لوظيفتها المولدة للغلمة ؛ ويسهم مص الإصبع في الإثارة الجنسية « كمنطقة ثانية مولدة للغلمة ، حتى ولو كانت أقل قيمة »(1b) . والمناطق المولدة للغلمة هي مصدر مختلف النزوات الجزئية (الغلمة - الذاتية) . وهي تحدد بشكل متفاوت في خصوصيته هذا النمط أو ذاك من الأهداف الجنسية .

وإذا ظل وجود وغلبة بعض مناطق الجسد في الحياة الجنسية الإنسانية يشكل إحدى المعطيات الأساسية في التجربة التحليلية النفسية ، فإنه لا يكفي الإقتصار على تفسير شراحي - فسيولوجي محض لفهمها . إذ يجدر الأخذ بعين الإعتبار واقعية كونها تشكل ، في بدايات النمو النفسي الجنسي ، النقاط المفضلة للتبادلات مع المحيط ، في الوقت الذي تجتذب فيه أكبر قدر من الإنتباه والعناية من جانب الأم وبالتالي أكبر قدر من الإثارة من قبلها(4) .

(1) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., V, 83-5 ; S.E., VII, 183-4 ; Fr., 76-8. — *b)* G.W., V, 83 : S.E., VII, 182 ; Fr., 75.
(2) Cf. Freud (S.). *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 150 ; S.E., XIV, 84.
(3) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 73 ; S.E., XXIII, 151 ; Fr., 11.
(4) Cf. Laplanche (J.) et Pontalis (J.-B.). Fantasme originaire, fantasmes des origines, origine du fantasme, in *Les temps modernes* 1964 n° 215 1833-68.

Zone hystérogène — منطقة مولدة للهستيريا

Eng. : Hysterogenic zone

D. : Hysterogene zone

■ إنها تلك المنطقة من الجسد التي بيّن شاركو ، ثم فرويد من بعده أنها مقر الظواهر الحسية الخاصة التي تصادف في بعض حالات هستيريا الإقلاب ؛ يتضح من خلال الفحص ، أن هذه المنطقة التي يصفها المريض بأنها مؤلمة ، هي مجال توظيف ليبدي تطلق إثارتها ردود فعل من نوع تلك المصاحبة للذة الجنسية ، ويمكن أن تصل (الإثارة) حد النوبة الهستيرية ■ .

يطلق شاركو تسمية المناطق المولدة للهستيريا « [. . .] على مناطق محصورة من الجسد بدرجات متفاوتة ، حيث يُحدث فيها الضغط أو مجرد الإحتكاك ظاهرة الهالة بسرعات متفاوتة ، والتي تتبعها أحياناً النوبة الهستيرية ، إذا ثابرنا على الحك . تتمتع هذه النقاط ، أو المساحات أيضاً

بخاصية كونها مركز حساسية مستمرة [. . .] . ويمكن غالباً إيقاف النوبة ، بعد إثارتها ، بواسطة ضغط نشيط على نفس النقاط »(1) .

يقتبس فرويد مصطلح المنطقة المولدة للهستيريا عن شاركو ويغني معناه في « دراسات حول الهستيريا 1895 » : حيث يقول « . . . يشير المريض إلى بعض مناطق جسده على أنها مؤلمة ؛ وحين يضغط عليها الطبيب أو يقرصها أثناء الفحص ، يسبب أرجاعاً شبيهة بتلك التي تنتج عن دغدغة شهوية »(2a) . يقارب فرويد ما بين هذه الأرجاع وبين النوبة الهستيرية التي هي في رأيه « معادلة للجماع »(3) .

المنطقة المولدة للهستيريا هي إذاً منطقة جسدية أصبحت مولدة للغلمة . يشير فرويد في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية 1905 » إلى « . . . تمتع المناطق المولدة للغلمة ، والمناطق المولدة للهستيريا بنفس الصفات »(4) . ولقد بين فعلاً (أنظر : مناطق مولدة للغلمة) أن كل منطقة من مناطق الجسد يمكنها أن تصبح بدورها مولدة للغلمة ، بواسطة أوالية الإزاحة من المناطق المُعدَّة وظيفياً لإمداد الفرد باللذة الجنسية . تكون عملية تغليم مناطق الجسد هذه ناشطة بشكل خاص عند الهستيري .

تستمد هذه الإزاحة شروطها من تاريخ الشخص . إذ تبين لنا حالة أليزابيت فون ر . . . في « دراسات حول الهستيريا » ، على سبيل المثال ، كيفية تكوّن منطقة مولدة للهستيريا : « بدأت المريضة بمفاجأتي بأعلانها ، أنها تعرف الآن سبب إنطلاق الآلام دوماً من نقطة محددة في الفخذ الأيمن ، حيث كانت (الآلام) على اشدها في تلك النقطة . لقد كانت تلك النقطة هي بالضبط الموضع الذي كان أباها يضع عليه ساقه المتورمة كل صباح أثناء تغييرها لضمادته . ولقد حدث لها ذلك ما يقارب المائة مرة على الأقل ، ولكن ما يلفت الإنتباه أنها لم تفكر أبداً حتى هذا اليوم باقامة الصلة بينهما (الألم ووضع الساق على الفخذ) ؛ وهكذا أفضت لي بتفسير تكوين منطقة لا نموذجية (شاذة) مولدة للهستيريا »(2b) .

وهكذا نرى أن فكرة المنطقة المولدة للهستيريا ، قد تعدلت بإنتقالها من شاركو إلى فرويد على وجهين : 1 ـ يجعل فرويد من المنطقة المولدة للهستيريا ، موضع إثارات جنسية ؛ 2 ـ كما إنه لا يتمسك بالثبات الموقعي الذي أراد شاركو إقامته ، فكل منطقة من الجسد يمكنها أن تصبح مولدة للهستيريا .

(1) Charcot (J.-M.). *Leçons sur les maladies du système nerveux*, Lecrosnier et Babé, Paris, 1890, III, 88.

(2) Freud (S.). *a)* G.W., I, 196 ; S.E., II, 137 ; Fr., 108. — *b)* G.W., I, 211-2 ; S.E., II, 148 ; Fr., 117.

(3) Freud (S.). *Allgemeines über den hysterischen Anfall*, 1909. G.W., VII, 239 ; S.E., IX, 234.

(4) Freud (S.). G.W., V, 83 ; S.E., VII, 184 ; Fr., 78.

موضوع

Objet
Eng. : Object
D. : Objekt

■ تطرح فكرة الموضوع في التحليل النفسي من ثلاثة جوانب رئيسة :
أ ـ باعتباره متلازماً مع النزوة : فيه ومن خلاله تحاول النزوة الوصول إلى هدفها ، أي إلى نمط معيّن من الإشباع . وقد نكون هنا بصدد شخص كامل ، أو بصدد موضوع جزئي ، كما قد نكون بصدد موضوع واقعي أو موضوع هوامي .
ب ـ أو باعتباره متلازماً مع الحب (أو مع الحقد) : تقوم العلاقة موضع البحث عندها ، ما بين شخص كلي أو ركن الأنا، وبين موضوع مستهدف هو ذاته أيضاً باعتباره كلياً (شخص ، كيان ، مثل أعلى أو خلافه) ؛ (وأما الصفة المقابلة لذلك فهي « غيري Objectal») .
جـ ـ وأما بالمعنى التقليدي الذي يتبناه علم نفس وفلسفة المعرفة فيطرح كمتلازم مع الشخص الذي يدرك ويعرف : إنه ما يبدو متصفاً ، بخصائص ثابتة ومستمرة تتمتع بحق الإعتراف العام بها من قبل جميع الأشخاص ، وبصرف النظر عن الرغبات والآراء الفردية (وأما الصفة المقابلة لذلك فهي « موضوعي Objectif) ■ .

يصادف مصطلح الموضوع في الكتابات التحليلية النفسية منفرداً أو في العديد من التعابير من مثل إختيار الموضوع ، حب الموضوع ، فقدان الموضوع ، علاقة الموضوع ، إلخ . ، مما قد يحيّر القارىء غير المختص . ويأتي الموضوع هنا بمعنى مشابهٍ لذلك الذي تعطيه له اللغة التقليدية (من مثل « موضوع تدلّهي ، أو موضوع غيظي ، أو الموضوع المحبوب » ، إلخ) . ولكن لا يجوز أن يوحي بفكرة « الشيء » أو الموضوع الجامد والمسيّر ، في تعارضها عموماً مع أفكار الكائن الحي أو الشخص .
أولاً : ـ تشتق هذه الإستخدامات المتنوعة لمصطلح الموضوع في التحليل النفسي من مفهوم النزوة الفرويدي . إذ يميز فرويد ما بين الموضوع والهدف حين يحلل فكرة النزوة : « فلنقدم مصطلحين : ولنسمي موضوعاً جنسياً ذاك الشخص الذي يمارس جاذبية جنسية ، ولنسمي هدفاً جنسياً ذاك الفعل الذي تدفع النزوة إليه »(1) . ولقد إحتفظ بهذا التعارض طوال كل أعماله وعاد فأكده خصوصاً في أكمل تعريف أعطاه عن النزوة حيث يقول : « . . . موضوع النزوة هو ما يمكن للنزوة أن تصل به ومن خلاله إلى هدفها »(2a) ؛ ويعرّف الموضوع في نفس الوقت كوسيلة محتملة للإشباع : « فهو العنصر الأكثر تقلباً في النزوة ، إذ انه لا يرتبط بها في الأصل ، ولكنه لا ينتظم فيها إلا إنطلاقاً من قدرته على إتاحة الإشباع »(2b) . لا تعني أطروحة فرويد الكبرى والثابتة هذه ، حول إحتمالية الموضوع ، أن أي موضوع يمكنه إشباع النزوة ، بل هي تعني أن الموضوع النزوي ، الذي يتّسم غالباً بسمات فريدة ، يتحدد من خلال تاريخ كل واحد منا ـ وخصوصاً تاريخه الطفلي بشكل رئيسي . فالموضوع هو ذلك العنصر الأقل تحديداً من الناحية الجبلية ، في النزوة .

لم يخل مفهوم كهذا من إثارة بعض الإعتراضات . يمكننا تلخيص طرح المشكلة بالرجوع الى التمييز الذي قال به فيربرن(3) : فهل يبحث الليبدو عن اللذة ، أم أنه يبحث عن الموضوع ؟ لا شك أن الليبدو يتوجه في الأصل ، في رأي فرويد ، كلياً نحو الإشباع وتصفية التوتر بأقصر الطرق الممكنة ، تبعاً للأساليب التي تتلاءم مع نشاط كل منطقة مولدة للغلمة ، حتى ولو تلقى في وقت مبكر جداً تأثير هذا أو ذاك من الموضوعات (أنظر : تجربة الإشباع) . على أن فكرة وجود علاقة وثيقة ما بين طبيعة و « مصير » كل من الهدف والموضوع ، والتي تؤكدها فكرة علاقة الموضوع ، ليست غريبة عن فكر فرويد (أنظر ، من أجل مناقشة هذه النقطة : علاقة الموضوع) .

ومن ناحية ثانية ، تشكّل مفهوم الموضوع النزوي الفرويدي إنطلاقاً من تحليل النزوات الجنسية ، وذلك في كتاب « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » . فما هو إذاً حال موضوع النزوات الأخرى ، وخصوصاً حال موضوع نزوات حفظ الذات ، المطروحة في إطار الثنائية الفرويدية الأولى ؟ أما فيما يتعلق بنزوات حفظ الذات ، فإن الموضوع (الغذاء مثلاً) يتخصص بشكل أكثر وضوحاً من خلال متطلبات الحاجات الحيوية .

على أنه لا يجوز أن يؤدي التمييز ما بين النزوات الجنسية ونزوات حفظ الذات إلى تعارض مفرط في جموده فيما يتعلق بوضعية موضوعات كل منهما : أي أن يكون الموضوع إحتمالياً في أحد الحالتين ، بينما يكون محتوماً بشكل صارم ومخصصاً بيولوجياً في الحالة الأخرى . ولهذا فقد بيّن فرويد أن النزوات الجنسية تنشط وظيفياً من خلال الإستناد إلى نزوات حفظ الذات ، مما يعني على وجه الخصوص أن هذه الأخيرة تبيّن للأولى (أي للنزوات الجنسية) السبيل إلى موضوعها .

يتيح اللجوء إلى فكرة الإستناد هذه حلحلة مشكلة الموضوع النزوي المعقدة . فإذا رجعنا إلى المرحلة الفمية ، على سبيل المثال ، فإن الموضوع ، بلغة نزوة حفظ الذات ، هو ما يغذّي ؛ بينما يصبح ، بلغة النزوة الفمية ، هو ما يمكن إدماجه ، مع كل ما يتضمنه الإدماج من بعد هوامي . يبين تحليل الهوامات الفمية أن نشاط الإدماج هذا قد ينصب على أي موضوعات أخرى غير موضوعات التغذية ، مما يحدد عندها « علاقة الموضوع الفمية » .

ثانياً : لا يجب أن تؤخذ فكرة الموضوع في التحليل النفسي بالرجوع إلى النزوة وحدها - هذا إذا أمكن افتراضاً الإلمام بنشاط هذه النزوة في حالتها الخالصة . إذ تدل فكرة الموضوع أيضاً على ما يشكل بالنسبة للشخص موضوع جاذبية ، أو موضوع حب ، وبشكل عام على ما يدل على شخص كامل .

إن الإستقصاء التحليلي هو وحده الذي يتيح إكتشاف نشاط النزوات الخاص في إختلاف مظاهرها وتقلباتها ، وما يلازمها من هوامات ، فيما يتعدى هذه العلاقة الشاملة ما بين الأنا وموضوعات حبه . في المراحل الأولى التي قام فيها فرويد بتحليل أفكار الجنسية والنزوة ، لم تكن مشكلة التنسيق فيما بين موضوع النزوة وموضوع الحب بادية بشكل صريح ، وما كان لها أن تكون كذلك ؛ ففي الواقع تمحورت الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات عام1905 » حول التعارض الأكبر الموجود ما بين نشاط الجنسية الطفلية ، وبين نشاط الجنسية البالغة . حُددت الأولى بإعتبارها غلمية ذاتية أساساً ، ولم يُركّز في تلك الفترة من فكر فرويد ، على مشكلة علاقة تلك الجنسية الطفلية بموضوع مختلف عن الجسد الخاص ، حتى ولو كان ذلك الموضوع هوامياً . أما النزوة عند الطفل

فتعرَّف بأنها « جزئية » ليس بسبب نمط الموضوع الذي تستهدفه ، بل بسبب أسلوبها في الإشباع (لذة آنية ، ولذة الأعضاء) . ولا يتدخل « إختيار الموضوع » إلا في المراهقة ، مما يتيح للحياة الجنسية أن تتوجه نهائياً نحو الغير ، في نفس الوقت الذي تتوحد فيه ، هذا مع أنه بالإمكان أن نجد لهذا الإختيار « بشائر » و« ملامح » في الطفولة .

ومن المعلوم أن التعارض ما بين الغلمة الذاتية الطفلية وإختيار الموضوع البالغ ستخف حدته تدريجياً ما بين الأعوام 1905 و 1924 . فلقد وصفت سلسلة من مراحل الليبدو ما قبل التناسلية ، التي تتضمن جميعاً أسلوباً أصيلاً من « علاقات الموضوع » . كما تلاشى اللبس الذي قد تجر إليه فكرة الغلمة الذاتية (بالقدر الذي يحتمل أن تفهم فيه وكأنها تتضمن جهل الشخص في البدء لأي موضوع خارجي واقعي أو حتى هوامي) . ويقال عن النزوات الجزئية التي يشكل نشاطها الغلمة الذاتية ، أنها جزئية بإعتبار أن إشباعها لا يرتبط فقط بمنطقة غلمية معينة ، بل يرتبط أيضاً بما سوف تطلق عليه النظرية التحليلية النفسية فيما بعد ، إسم « الموضوعات الجزئية » . وتقوم ما بين هذه الموضوعات معادلات رمزية سلط فرويد عليها الأضواء في مقالته بعنوان « تحولات النزوة والغلمة الشرجية على وجه الخصوص عام 1917 » ، كما تقوم بينها تبادلات تعرض الحياة النزوية لسلسلة من التحولات . تؤدي إشكالية الموضوعات الجزئية إلى تقويض الشمولية التي كانت تتمتع بها فكرة الموضوع الجنسي القليلة التمايز في بداية الفكر الفرويدي . وهكذا نجد أنفسنا عندها مقبلين على الفصل ما بين الموضوع النزوي الفعلي ، وموضوع الحب . ويُعرَّف الأول أساساً بإعتباره كفيل بتأمين الإشباع للنزوة موضع البحث . وقد نكون بصدد شخص كامل ، إنما لا يشكل ذلك شرطاً ضرورياً ، إذ قد يتأمن الإشباع من خلال جزء من الجسد . ينصب التركيز هنا على احتمالية الموضوع ، بإعتباره مرهون بالإشباع . وأما العلاقة بموضوع الحب فتفسح المجال ، شأنها في ذلك شأن الحقد ، أمام زوج آخر من المصطلحات : « إذ لا يجوز إستعمال مصطلحات الحب والحقد في وصف علاقات النزوات بموضوعاتها ، بل يجب تخصيصها لوصف علاقات الأنا الكلي بموضوعاته »(2c) . وتجدر الإشارة في هذا الصدد ، ومن وجهة النظر المصطلحية ، أن فرويد يخصص تعبير إختيار الموضوع للحديث عن علاقة الشخص بموضوعات حبه ، والتي تتكون بدورها من أشخاص كليين بشكل أساسي ، وذلك في نفس الوقت الذي وضّح فيه العلاقات بالموضوع الجزئي .

وإنطلاقاً من هذا التعارض ما بين الموضوع الجزئي ـ أي موضوع النزوة الذي يكون موضوعاً ما قبل تناسلي أساساً ـ وبين الموضوع الكلي ـ أي موضوع الحب الذي يكون أساساً موضوعاً تناسلياً ـ قد نتوصل إلى إستنتاج الفكرة القائلة بأن الشخص يمر ، من منظور تكويني للنمو النفسي الجنسي ، من الحالة الأولى إلى الثانية بفضل مكاملة تدريجية لنزواته الجزئية ضمن التنظيم التناسلي ، الذي يتلازم بدوره مع إعطاء إعتبار متزايد للموضوع على صعيد تنوع وغنى صفاته ، كما على صعيد إستقلاله أيضاً . وهكذا لا يعود موضوع الحب مجرد تابع للنزوة ومكرس لأن تستهلكه .

ومع ان التمييز ما بين الموضوع النزوي الجزئي وبين موضوع الحب هو ذو نتائج لا شك فيها إلا أنه لا يتضمن بالضرورة مفهوماً من هذا القبيل . فمن الناحية الأولى يمكن أن يعد للموضوع

الجزئي كواحد من أقطاب النزوة الجنسية التي لا يمكن تجاوزها أو إختزالها . ومن الناحية الثانية يبيّن الإستقصاء التحليلي أن الموضوع الكلي لا يمكن أن يكون بدون مضامين نرجسية ، وهو أبعد ما يكون عن الظهور - كإنجاز نهائي ؛ إذ يتدخل في أساس تشكيله توليف موفق لمختلف الموضوعات الجزئية ، وليس مجرد نوع من تجميع متسرع لهذه الموضوعات الجزئية في شكل على غرار الأنا (أ) .

إن نصاً من مثل « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » يجعل من العسير إفراد مكانة قائمة بذاتها لموضوع الحب ، ضمن ما يطرحه من تقابل ما بين موضوع الإختيار بالإستناد حيث تتراجع الجنسية لصالح وظائف حفظ الذات ، وبين موضوع الإختيار النرجسي الذي يتمشى مع الأنا ، أو بكلمة أخرى ما بين « الأم التي تغذي ، والأب الذي يحمي » وبين « ما نحن عليه ، وما سبق أن كنا عليه أو ما نود أن نكونه » .

ثالثاً : - وأخيراً ترجع النظرية التحليلية النفسية أيضاً إلى فكرة الموضوع بمعناه الفلسفي التقليدي ، أي إلى الفكرة الملازمة لفكرة الشخص المدرك والعارف . وبالطبع لا بد أن تطرح (في هذا المقام) مشكلة التناسق ما بين الموضوع المدرك على هذا الغرار وبين الموضوع الجنسي . وإذا ما تصورنا تطوراً للموضوع النزوي ومن باب أولى إذا ما رأينا أن هذا التطور يمكن أن يؤدي إلى تكوين موضوع حب تناسلي ، يُعرَّف من خلال غناه - وإستقلاليته ، وطابعه الكلي ، فلا بد أن نربطه بالضرورة مع البناء التدريجي لموضوع الإدراك : « فالغيرية « Objectalité » والموضوعية لا تعدمان الروابط فيما بينهما . فهناك أكثر من مؤلف إنكب على التوفيق ما بين المفاهيم التحليلية النفسية حول تطور علاقات الموضوع وبين معطيات علم النفس التكويني حول المعرفة أو حتى حول رسم معالم « نظرية تحليلية نفسية في المعرفة » . (أنظر بصدد التوجهات التي أعطاها فرويد حول هذه المسألة : أنا - لذة ، أنا - واقع ، وكذلك إختبار الواقع) . .

(أ) يعرّف الأنا نفسه في النرجسية كموضوع حب ، حتى أنه يمكن إتخاذه كنموذج أولي لموضوع الحب ، كما يوضحه الإختيار النرجسي على وجه الخصوص . إلا أن فرويد يقدم ، في نفس النص الذي يطرح فيه هذه النظرية ، التمييز الذي غدا تقليدياً ما بين : ليبدو الأنا وليبدو الموضوع ؛ حيث يطرح « الموضوع » في هذا التعبير بمعناه القصري كموضوع خارجي .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 34 ; S.E., VII, 135-6 ; Fr., 18.

(2) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 215 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 35. — *b)* G.W., X, 215 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 35. — *c)* G.W., X, 229 ; S.E., XIV, 137 ; Fr., 61.

(3) Cf. Fairbairn (W. R. D.). A Revised Psychopathology of the Psychoses and Psychoneuroses, 1941, *I.J.P.*, XXII, 250-279.

موضوع إنتقالي

Objet Transitionnel
Eng. : Transitional object
D. : Ubergangsobjekt

■ قدّم د . ف . وينيكوت هذا المصطلح للدلالة علىموضوع مادي يحظى بقيمة إنتقائية عند الرضيع ، وعند الطفل الصغير ، وخصوصاً في لحظة الإغفاء (من مثل طرف غطاء ، أو منشفة يقوم بإمتصاصها) .
ويشكل اللجوء إلى موضوعات من هذا النمط ، تبعاً لهذا المؤلف ، ظاهرة سوية تتيح للطفل تحقيق الإنتقال من العلاقة الفمية الأولية مع الأم ، إلى « علاقة الموضوع الحقيقية » ■.

نعثر على أفكار وينيكوت الأساسية حول الموضوع الإنتقالي في مقالته بعنوان « الموضوعات الإنتقالية والظواهر الإنتقالية عام1953 » .

1 ـ يبين المؤلف ، على مستوى الوصف العيادي ، سلوكاً تشيع ملاحظته عند الطفل ، ويطلق عليه إسم العلاقة مع الموضوع الإنتقالي .

ومن الشائع رؤية الطفل ما بين عمر أربعة وإثني عشر شهراً يتعلق بموضوع خاص من مثل كرة من صوف ، أو طرف غطاء ، أو طرف غطاء مخملي ، إلخ ، فيمتصه ويضمه إليه ، ويصبح لا غنى عنه خصوصاً في لحظة الإغفاء . يحتفظ هذا « الموضوع الإنتقالي » بقيمته لفترة طويلة قبل أن يفقدها تدريجياً ؛ وقد يعود الطفل إليه لاحقاً ، خصوصاً مع إقتراب مرحلة خورية .

ويضم وينيكوت إلى نفس المجموعة ، بعض الحركات والعديد من النشاطات الفمية المتنوعة (كالمناغاة على سبيل المثال) مطلقاً عليها إسم « الظواهر الإنتقالية » .

2 ـ ويقع الموضوع الإنتقالي ، على الصعيد التكويني ، في مرحلة وسطية « ما بين الأصبع والدب المصنوع من فراء »(1a) . وفي الواقع إذا كان الموضوع الإنتقالي يشكل « جزءاً لا يكاد يتجزأ من الطفل »(1b) مما يميزه عن اللعبة المقبلة ، فهو أيضاً أول « إمتلاك لشيء هو غير الأنا » .

وأما من وجهة النظر الليبيدية فيظل النشاط ذو طابع فمي . وضعية الموضوع هي وحدها التي تتغير . فهناك ، في النشاط الفمي المبكر (خلال العلاقة مع الثدي) ، ما يطلق عليه وينيكوت إسم « الإبتكار الأولي » : « إذ لا ينفك الطفل عن إعادة خلق هذا الثدي ، بفضل قدرته على الحب ، وبفضل حاجته ، إذا جاز القول [. . .] . وتضع الأم الثدي الواقعي في نفس الموضع الذي يكون فيه الطفل مستعداً لخلقه وفي اللحظة المناسبة »(1c) . وبعدها ينشط إختبار الواقع . وتقع العلاقة مع الموضوع الإنتقالي ، ما بين هاتين الفترتين ، إذ هي في منتصف الطريق ما بين الذاتي والموضوعي : « يأتي الموضوع من الخارج ، من وجهة نظرنا نحن : ولكن الطفل لا يدركه على هذا النحو . ولكنه لا يأتي من الداخل أيضاً : ذلك أنه ليس موضوعاً مهلوساً »(1d) .

3 ـ وإذا كان الموضوع الإنتقالي يشكل فترة عبور إلى إدراك موضوع متمايز تماماً عن الشخص ، ونحو « علاقة موضوع فعلية » ، فإنه لا يفقد مع ذلك وظيفته في النمو اللاحق للفرد . « إذ يحمل كل من الموضوع الإنتقالي والظاهرة الإنتقالية منذ البدء ، شيئاً ما يظل مهماً على الدوام

لكل كائن إنساني ، أي أنهما يحملان مجالاً محايداً من التجربة التي لن يطالها الإعتراض » (1e) . وهما ينتميان ، تبعاً لوينيكوت إلى حيز « الوهم » : « يشكل مجال التجربة الوسيط هذا ، والذي لا يتعين عليه تبرير انتمائه لا إلى الواقع الداخلي ، ولا إلى الواقع الخارجي (والمشترك) الشطر الأكثر أهمية من تجربة الطفل . إذ أنه سيستمر ممتداً ، طوال الحياة كلها ، في تلك التجربة الكثيفة والغنية التي تنتمي إلى مجال الفنون ، والدين ، وحياة الخيال ، والإبتكار العلمي » (1f) .

(1) WINNICOTT (D. W.). Angl. in : *I.J.P.*, XXIV, 2 ; Fr. in : *La Psychanalyse*, V, P.U.F., Paris, 1959. — *a)* Angl., 89 ; Fr., 22. — *b)* Angl., 92 ; Fr., 30. — *c)* Angl., 95 ; Fr., 36. — *d)* Angl., 91 ; Fr., 27. — *e)* Angl., 95 ; Fr., 37-8. — *f)* Angl., 97 ; Fr . 41.

موضوع جزئي
Objet partiel

Eng. : Part- object

D. : Partialobjekt

■ إنه نمط من الموضوعات التي تستهدف من قبل النزوات الجزئية ، بدون أن يتضمن ذلك إتخاذ شخص بمجمله كموضوع للحب. ويتعلق الأمر أساساً بأجزاء من الجسد واقعية كانت أو هوامية (من مثل الثدي، أو البراز، أو العضو الذكري) أو بما يعادلها رمزياً. حتى أنه بإمكان شخص ما أن يتماهى أو يُماهى (من قبل الغير) بموضوع جزئي ■.

إن المحللين النفسيين من أتباع ميلاني كلاين هم الذين أدخلوا مصطلح الموضوع الجزئي وأعطوه دوراً من المقام الأول في النظرية التحليلية النفسية حول علاقة الموضوع .

على أن الفكرة التي تذهب إلى أن موضوع النزوة قد لا يكون بالضرورة شخصاً كلياً موجودة صراحة عند فرويد مسبقاً . ومما لا شك فيه أن فرويد حين يتحدث عن إختيار الموضوع وحب الموضوع ، فهو يدل بذلك عموماً على شخص كلي ، بينما أنه يقصد موضوعاً جزئياً (ثدي ، غذاء ، براز ، إلخ .)(1) حين يدرس الموضوع المستهدف من قبل النزوات الجزئية . وأكثر من ذلك ، فلقد بيّن فرويد بجلاء المعادلات والعلاقات التي تقوم ما بين مختلف الموضوعات الجزئية (طفل = عضو ذكري = براز = نقود = هدية) ، وذلك في مقالته بعنوان « تحولات النزوة ، وخصوصاً ، الغلمة الشرجية عام 1917 » . وهو يشير أيضاً إلى كيفية إنتقال المرأة من الرغبة في العضو الذكري إلى الرغبة بالرجل ، مع إمكانية « نكوص عارض من الرجل إلى العضو الذكري كموضوع لرغبتها »(2) . وأخيراً وعلى مستوى التصنيف العارضي ، تشهد التيمية على تثبيت النزوة الجنسية الممكن على موضوع جزئي : فمن المعروف أن فرويد يعرّف الغرض التيمي بإعتباره بديلاً لعضو الأم الذكري(3) .

وأما فكرة مماهاة شخص كلي بموضوع جزئي ، وخصوصاً القضيب(4, 5) ، والتي أضحت تقليدية ، فإننا نستطيع العثور على إشارات متفرقة إليها من قبل فرويد (أنظر : قضيب) .

ويتقدم التعارض ما بين الجزئي والكلي في تطور علاقات الموضوع إلى مكان الصدارة في أعمال

كارل إبراهام . إذ يوجد تطابق في المنظور التكويني أساساً الذي ينطلق منه هذا المؤلف ، ما بين تطور الموضوع وتطور الأهداف اللبيدية كما تميز مختلف المراحل النفسية الجنسية(6) . وهكذا يشكل الحب الجزئي للموضوع واحدة من مراحل « نمو حب الموضوع » .

تندرج أعمال ميلاني كلاين في المسار الذي شقه إبراهام . إذ تحتل فكرة الموضوع الجزئي موقع القلب من عملية إعادة بنيان عالم الطفل الهوامي التي قامت بها . وبدون أن ندعي تلخيص هذه النظرية هنا ، نقتصر على الإشارة إلى أزواج التعارضات التي تقوم عليها جدلية الهوامات ، فلدينا جدلية : الموضوع الطيب / الموضوع السيء ؛ والإجتياف / الإسقاط ؛ والجزئي / الكلي (أنظر هذه المصطلحات ، وكذلك الوضعية شبه العظامية ، والوضعية الخورية) .

ولا بد من الإشارة على أية حال ، إلى أن تطور علاقة الموضوع ، لا يجب أن تفهم تبعاً لإبراهام في إتجاه تقدم من الجزئي إلى الكلي فقط ؛ إذ أنه يطرحها بشكل أكثر تعقيداً بما لا يقاس . وهكذا يسبق مرحلة الحب الجزئي ذاته ، على سبيل المثال ، نمط من العلاقات التي تتضمّن إدماجاً كلياً للموضوع .

يشكل الموضوع الجزئي خصوصاً ، محور عملية الإدماج (رغم أن هذا المصطلح بحد ذاته ، لا يبدو أنه وارد في كتابات أبراهام) .

يأخذ مصطلح الموضوع عند ميلاني كلاين قيمته الكاملة التي أعطاه إياها التحليل النفسي ، من خلال تعبير الموضوع الجزئي : فمع أنه جزئي ، يتمتع الموضوع (سواء أكان الثدي ، أم أي جزء آخر من الجسد) هوامياً بالصمات المشابهة لصفات الشخص الكلي (فهو قد يكون على سبيل المثال ، مضطَهِداً ، أو مطمئناً ، أو مرحباً ، إلخ .) .

ولا بد من الإشارة أخيراً ، إلى أن العلاقة مع الموضوعات الجزئية لا تقتصر ، تبعاً للكلاينيين على تمييز إحدى مراحل التطور النفسي الجنسي (أي الوضعية شبه العظامية) ؛ بل تستمر هذه العلاقة في لعب دور كبير حتى بعد إقامه العلاقة مع الموضوعات الكلية . كما يؤكد جاك لاكان على هذه النقطة بدوره . إلا أن المظهر التكويني المحض للموضوع الجزئي ، يتراجع ، عند هذا المؤلف ، إلى المقام الثاني . فلقد حاول هذا المؤلف إعطاء الموضوع الجزئي مكانة مفضلة في نظرية « موقعية » حول الرغبة(7) .

(1) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 98-101; S.E., VII, 197-206; Fr., 94-107.

(2) Freud (S.). G.W., X, 406; S.E., XVII, 130.

(3) Cf. Freud (S.). *Fetischismus*, 1927. G.W., XIV, 310-17; S.E., XXI, 152-7.

(4) Cf. Fenichel (O.). *Die symbolische Gleichung: Mädchen = Phallus*, 1936. All., in *Internat. Zeit. für Psychoanalyse*, XXII, 299-314. Angl., in *Collected Papers*, Routledge and Kegan, Londres, 1955, 3-18.

(5) Cf. Lewin (B.). The body as phallus, 1933, in *The Psychoanalytic Quarterly*, 1933, II, 24-47.

(6) Cf. Abraham (K.). *Versuch einer Entwicklungsgeschichte der Libido auf Grund der Psychoanalyse seelischer Störungen*, II. Teil : *Anfänge und Entwicklung der Objektliebe*, 1924. Fr., II, 298-313.

(7) Cf. notamment : Lacan (J.). *Le désir et son interprétation*, 1960, compte rendu de J.-B. Pontalis, in *Bul. Psycho.*, XIII.

موضوع « طيب » ، موضوع « سيء »

«Bon» objet, «mauvais» objet
Eng. : «Good» object, «bad» object
D. : «Gutes» objekt, «böses» objekt

■ أدخلت ميلاني كلاين هذه المصطلحات للدلالة على الموضوعات النزوية الأولى الجزئية منها أو الكلية ،كما تتبدى في حياة الطفل الهوامية . ولا تنعت الموضوعات بصفات « طيب » أو «سيء » إنطلاقاً من خصائصها المشبعة أو المحبطة فقط ، وإنما على وجه الخصوص بسبب إسقاط نزوات الشخص الليبدية أو العدوانية عليها . ينشطر الموضوع الجزئي (الثدي ، أو العضو الذكري) تبعاً لميلاني كلاين إلى موضوع «طيب» وموضوع «سيء»، ويشكل هذا الإنشطار النموذج الدفاعي الأول ضد القلق . كذلك ينشطر الموضوع الكلي أيضاً إلى (أم « طيبة » ، وأم « سيئة ») .

وتخضع الموضوعات « الطيبة » و« السيئة » لعمليات الإجتياف والإسقاط ■.

تحتل جدلية الموضوعات « الطيبة » و « السيئة » موقع القلب من نظرية ميلاني كلاين التحليلية النفسية كما تبلورت من خلال تحليل الهوامات الأكثر بدائية .

ولا ننوي في هذا المقام إستعراض كل هذه الجدلية المعقدة ، بل نقتصر على الإشارة إلى بعض السمات الرئيسية لأفكار الموضوع « الطيب » والموضوع « السيء» وعلى إستجلاء بعض الغوامض .

1 ـ يشير القوسان اللذان يتكرر مصادفتهما في نصوص ميلاني كلاين إلى الطابع الهوامي لصفات الموضوع « الطيب » والموضوع « السيء » .

يتعلق الأمر « بالصور اللاواعية » أو « . . . بصور الموضوعات الفعلية التي أصابها التحوير الهوامي ، والتي تستند إليها تلك الصور اللاواعية »(1) . ينتج هذا التحوير عن عاملين إثنين : فمن ناحية يجعل الإشباع الذي يحمله الثدي منه ثدياً « طيباً » ، وعلى العكس من ذلك تتكون صورة الثدي «السيء » بالتلازم مع سحبه أو رفض إعطائه (للطفل) . ومن ناحية أخرى ، يسقط الطفل حبه على الثدي الذي يمده بالإشباع ، ويسقط خصوصاً عدوانيته على الثدي السيء . وعلى الرغم من تكوين هذين العاملين لحلقة مفرغة أي (« يحرمني الثدي ويحقد عليّ لأنني أحقد عليه وبالعكس ») (2) ، فإن ميلاني كلاين تؤكد خصوصاً على العامل الإسقاطي .

2 ـ تكمن ثنائية نزوات الحياة والموت ، كما تراها ميلاني كلاين فاعلة في خاصيتها الأساسية ومنذ بداية وجود الفرد ، في أساس لعبة الموضوعات الطيبة والسيئة . وتكون السادية ، تبعاً لميلاني كلاين ، في أوجها في بداية الحياة ، مما يجعل الميزان ما بين الليبدو وميول التدمير يرجح لصالح هذه الأخيرة .

3 ـ ويمكننا الحديث عن تجاذب وجداني بالقدر الذي يكون فيه كلا النوعين من النزوات حاضراً منذ البداية ومتوجهاً نحو نفس الموضوع الواقعي (أي الثدي) . ولكن بالنظر إلى طبيعته المولدة للقلق عند الطفل ، فإن التجاذب الوجداني يُفشّل رأساً من خلال أوالية « إنشطار الموضوع » وإنشطار الإنفعالات الخاصة به .

4 ـ لا يجوز لطابع هذه الموضوعات الهوامي أن يَغيبْ عن أنظارنا حقيقة التعامل معها وكأنها ذات صلابة واقعية (بالمعنى الذي يتحدث فيه فرويد عن الواقع النفسي) . تصف ميلاني كلاين هذه الموضوعات وكأنها محتواة في « داخل » الأم « وهي تحدد إجتيافها (أي الموضوعات) وإسقاطها كعمليات تنصب ليس فقط على صفات طيبة أو سيئة ، بل على موضوعات لا تنفصل هذه الصفات عنها . وأكثر من ذلك ، يتمتع الموضوع ، الطيب أو السيء، هوامياً بقوى مماثلة لقوى شخص حقيقي (« الثدي السّيء المضطهد » ، و « الثدي الطيب المطمئن » مهاجمة جسد الأم بواسطة الموضوعات السيئة ، وكذلك صراع الموضوعات الطيبة والسيئة داخل الجسد ، إلخ . .) .

الثدي هو أول الموضوعات التي تتعرض للإنشطار على هذا الغرار . وتتعرض كل الموضوعات الجزئية لإنشطار مماثل (العضو الذكري ، البراز ، الطفل إلخ . . .) . وينسحب نفس المصير أي (الإنشطار) على الموضوعات الكلية حين يصبح الطفل قادراً على إستيعابها . « وهكذا يصبح الثدي الطيب ـ الخارجي والداخلي ـ النموذج لكل الموضوعات المسعفة والمشبعة ، كما يصبح الثدي السيء نموذجاً لكل الموضوعات المضطهدة الخارجية والداخلية »(3) .

وأخيراً تجدر الملاحظة بأن المفهوم الكلايني حول إنشطار الموضوع إلى « طيب » و« سيء» يجب أن يربط ببعض الإشارات التي أوردها فرويد في مقالة بعنوان « النزوات ومصير النزوات عام1915 » وفي مقالة حول « الإنكار Dénegation عام1925 » (أنظر : أنا ـ لذة ، أنا ـ واقع) .

(1) KLEIN (M.). *A Contribution to the Psychogenesis of Manic-Depressive States*, 1934. In *Contributions*, 282

(2) RIVIERE (J.) *On the Genesis of Psychical Conflict in Earliest Infancy*, 1936. In *Developments*, 47.

(3) KLEIN (M.). *Some Theoretical Conclusions regarding the Emotional Life of the Infant*, 1952. In *Developments*, 200.

موقعي (إسم ، وصفة) — Topique (S.F. et adj.)

Eng. : Topography, topographical

D. : Topik, topisch

■ تفترض هذه النظرية ، أو وجهة النظر تمايزاً في الجهاز النفسي إلى عدد من الأنظمة التي تتحلى بخصائص أو وظائف مختلفة وتتوزع تبعاً لنظام خاص بالنسبة لبعضها البعض الآخر ، مما يسمح بإعتبارها مجازياً كمواضع نفسية من الممكن إعطاء تصور مكاني تشبيهي عنها .

يشيع الحديث عن نظريتين موقعتين فرويديتين . يُصار في الأولى إلى التميز الرئيسي ما بين اللاوعي وما قبل الوعي والوعي . أما الثانية فتميز ما بين الأركان الثلاثة : الهو ، الأنا والأنا الأعلى■

يمت مصطلح « الموقعي » الذي يعني نظرية « المواضع » إلى اللغة الفلسفية منذ عهود اليونان القديمة . تكوّن المواضع بالنسبة للقدماء ولأرسطو على وجه الخصوص ، عناوين ذات قيمة منطقية

أو بيانية تشتق منها مقدمات إقامة البرهان . وتجدر الإشارة إلى أن كنت إستخدم مصطلح « موقعي » في الفلسفة الألمانية . وهو يقصد بالموقع الصُوري (السابق على التجربة) Transcendantale « . . . تحديد المكان المناسب لكل مفهوم من خلال الحكم [. . .] ؛ ويميز هذا التحديد دوماً إنتماء المفاهيم الخاص إلى هذه أو تلك من الملكات المعرفية »(1) .

***

أولاً : ـ نشأت الفرضية الفرويدية القائلة بموقعية نفسية ، ضمن سياق علمي واسع (علم الأعصاب علم النفس الفزيولوجي ، وعلم النفس المرضي) ونقتصر هنا على الإشارة إلى عناصرها ذات التأثير الأكثر حسماً .

1 ـ ترمي النظرية الشراحية ـ الفيسيولوجية التي سادت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والقائلة بالمناطق الدماغية المتخصصة ، إلى إسناد وظائف متخصصة جداً ، أو أنماط خاصة من التصورات أو الصور ؛ إلى قطاعات عصبية محددة بدقة من القشرة الدماغية ، وتشكل مستودعاً لتخزين هذه التصورات أو الصور . يخضع فرويد للنقد هذه النظرية التي يطلق عليها تسميته « موقعيه » في الكتيب الذي كرسه في العام 1891 لمسألة العيّ Aphasie التي كانت موضع إهتمام العلماء وقتها ؛ فهو يبين حدود وتناقضات الصيانم الشراحية المعقدة التي إقترحها في حينه مؤلفون من أمثال فيرنيك وليشتهايم ويذهب إلى القول بضرورة إستكمال طروحات المعطيات الموقعيه المكانيه بتفسير من النمط الوظيفي .

2 ـ أما في مجال علم النفس المرضي ، فهناك سلسلة كبيرة من الملاحظات التي تفرض بشكل شبه واقعي فكرة رد بعض التصرفات والتصورات والذكريات التي لا تكون دوماً في مجملها في متناول الشخص ولكنها تظهر على كل حال فعاليتها وتفرض ردها إلى مجموعات نفسية مختلفة : منها على سبيل المثال ظواهر التنويم المغناطيسي ، وحالات « إزدواج الشخصية » ، إلخ . (أنظر . إنشطار الأنا) .

وإذا كانت تلك هي الأرضية التي ولد عليها الإكتشاف الفرويدي للاوعي ، فإن هذا الإكتشاف لا يقتصر على الإعتراف بوجود أمكنة نفسية متمايزة ، بل هو أيضاً يوكل إلى كل منها طبيعة خاصة ونموذجاً مختلفاً من النشاط الوظيفي . يتضمن مفهوم اللاوعي ، منذ « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » تمايزاً موقعياً للجهاز النفسي : حيث يتضمن اللاوعي نفسه تنظيماً متعدد الطبقات ، كما يتم الإستقصاء التحليلي بالضرورة من خلال مسالك تفترض نظاماً معيناً بين مجموعات التصورات . لا يقتصر تنظيم الذكريات التي تترتب « كسجل » حقيقي للمحفوظات حول « نواة مولدة للمرض » ، على البعد الزماني وحده ؛ إنها تمتلك معنى منطقياً أيضاً ، مما يجعل التداعيات بين مختلف التصورات تتم تبعاً لنماذج مختلفة . ومن ناحية أخرى ، توصف عملية الوعي ، ومكاملة الذكريات اللاوعية في الأنا بناء لطراز مُصوِّر مكانياً ، حيث يعْرف الوعي على غرار « مسيرة » لا تدع سوى ذكرى واحدة تمر في وقت واحد في « حيز الأنا »(2) .

3 ـ من المعروف أن فرويد عبّر دوماً عن تقديره لبروير على فرضيته التي تكتسب أهمية

أساسية في أي نظرية موقعية عن النفس ، فبالقدر الذي يتكون فيه الجهاز النفسي من أنظمة مختلفة ، لا بد أن يكون لهذا التمايز دلالة وظيفية . وهكذا لا يستطيع نفس الجزء من الجهاز أن يقوم على وجه الخصوص بوظائف إستقبال المثيرات والإحتفاظ بآثارها وهي وظائف تتناقض فيما بينها .

4 ـ أخيراً تعزّز دراسة الحلم فرضية الإنفصال بين الأنظمة النفسية ، من خلال فرض بداهة فكرة حيز لا واعٍ بما له من قوانين خاصة تحكم نشاطه الوظيفي . ولقد أشار فرويد ، في هذا الصدد ، إلى قيمة حدس فيشنر حين أقر هذا الأخير بأن مشهد فعل الحلم ليس مجرد استمرار مخفف للنشاط التصوري خلال اليقظة ، بل هو فعلاً « مشهد آخر »(4a) .

ثانياً ـ عُرض أول مفهوم موقعي للجهاز النفسي في الفصل السابع من كتاب تأويل الأحلام عام1900 » ، إنما يمكن متابعة تطوره منذ « مشروع علم نفس علمي عام1895 » حيث عرض في ذلك الحين على شكل جهاز ذي طبيعة عصبية ضمن إطار علم الأعصاب ومن بعدها في الرسائل إلى فلايس ، خصوصاً الرسائل المؤرخة في 1 -1- 1896 و 6 -12- 1896 (ب). ومن المعروف أن هذه النظرية الموقعية الأولى (التي سيصار إلى توسيعها في نصوص ما وراء علم النفس عام1915) تميز ما بين ثلاثة أنظمة هي اللاوعي ، ما قبل الوعي ، والوعي ، والتي يتمتع كل منها بوظيفته الخاصة ، ونمط عملياته وطاقة التوظيف المحددة له ، كما يتخصص بمحتوياته التصورية . يضع فرويد بين كل من هذه الأنظمة وما عداه رقابة تصد وتضبط العبور من الواحد إلى الآخر . يبين مصطلح الرقابة ، شأنه في ذلك شأن بقية الصور التي يستخدمها فرويد (« غرفة الإنتظار » ، « الحدود » بين الأنظمة) الوجه المكاني لنظرية الجهاز النفسي .

تتجاوز وجهة النظر الموقعية هذا التمايز الأساسي . إذ يفترض فرويد ، من ناحية أولى ، في الصياغة التي يقدمها في الفصل السابع من « تأويل الأحلام » وكذلك في رسالته إلى فلايس بتاريخ 6 -12- 1896 وجود أنظمة ذكروية متتابعة مكونة من مجموعات من التصورات التي تميزها قوانين تداعي مستقلة عن بعضها البعض . كذلك يتلازم الإختلاف بين الأنظمة ، من ناحية ثانية ، مع ترتيب من نوع ما بحيث يُفرض على عبور الطاقة من نقطة إلى أخرى إتباع نظام محدد من التوالي : يمكن أن يتم العبور في الأنظمة في إتجاه سوي « تطوري » ، أو في إتجاه نكوصي ؛ ويمكن توضيح ما يطلق عليه فرويد مصطلح « النكوص الموقعي » من خلال ظاهرة الحلم ، حيث يمكن أن تأخذ الأفكار طابعاً بصرياً قد يصل حد الهلوسة ، ناكصة بذلك إلى أنماط الصور الأكثر قرباً من الإدراك الذي يقع عند منشأ مسار الإثارة .

كيف يمكن فهم فكرة المواضع النفسية التي تتضمنها النظرية الفرويدية ؟ لقد أكدّ فرويد على أنه من الخطأ أن نرى في هذه النظرية مجرد محاولة جديدة لموضعة المواقع الشراحية للوظائف : « إنني أضع تماماً جانباً واقعة كون الجهاز النفسي الذي نحن بصدده هنا ، معروفاً أيضاً على شكل تحضير شراحي ، كما أننا نحرص كل الحرص على تجنب إغراء تحديد الموضع النفسي شراحياً بأي شكل من الأشكال »(4b) . وتجدر الملاحظة على كل حال أن المرجع التشريحي (في هذه النظرية) ليس غائباً تماماً ؛ إذ تقع كل العمليات النفسية تبعاً « لتأويل الأحلام » ما بين الطرف الإدراكي للجهاز وطرفه الحركي : تحتفظ صيغة المنعكس الشرطي التي يستعين بها فرويد هنا ،

بقيمتها المظهرية (actuelle) في نفس الوقت الذي تقوم فيه بوظيفة « النموذج » (ج) . وإن لم يبحث فرويد عن تطابق دقيق ما بين نظريته الموقعية وبين البنية المكانية للجهاز العصبي ، فإنه استمر فيما بعد وفي أكثر من مناسبة في البحث عن تماثلات ، أو حتى عن تشبيهات بينهما . فهو يتمسك مثلاً بوجود علاقة ما بين كون جهاز الإدراك ـ الوعي يتلقى المثيرات الخارجية وبين الوضعية الخارجيه للقشرة الدماغية .

إلا أن فرويد يتمسك بشدة بما يعتبره أصالة محاولته : « . . . جلاء تعقيد النشاط الوظيفي النفسي من خلال تفكيك هذا النشاط الوظيفي وإلحاق كل وظيفة خاصة بمختلف أجزاء الجهاز »(4c) تتضمن فكرة « الموقع النفسي Localité psychique » ، كما نرى ، برانية الأجزاء عن بعضها البعض مع تخصص كل جزء منها . وهي تتيح أيضاً لكل عملية تجري زمنياً إمكانية تحديد نظام توالٍ محدد (د) .

أخيراً توضح المقارنة التي يجريها فرويد ما بين الجهاز النفسي والجهاز البصري (كمجهر معقد على سبيل المثال) ما يقصده بتعبير « الموضع النفسي Lieu psychique » : يغلب أن تتطابق الأنظمة النفسية مع نقاط الجهاز (4d) الإحتمالية الواقعة بين عدستين ، أكثر من تطابقها مع قطعه المادية (4d) .

ثالثاً ـ لا يمكن سلخ الأطروحة الكبرى القائلة بالتمييز بين الأنظمة خصوصاً بالفصل ما بين اللاوعي وما قبل الوعي ـ الوعي ، عن المفهوم الدينامي الأساسي بدوره في التحليل النفسي ، والقائل بالصراع ما بين الأنظمة وبعضها البعض (أنظر : دينامي ، وصراع نفسي) . يطرح التنسيق بين وجهتي النظر هاتين مسألة أصل التميز الموقعي . يمكن أن نقع ، بشكل عام ، على نوعين مختلفين من الإجابات في أعمال فرويد : أما النوع الأول من الإجابة فيصطبغ بصبغة نشوئية ويجد تدعيماً له في النظرية الثانية للجهاز النفسي (أنظر خصوصاً : الهو) ، وهو يذهب إلى إفتراض بروز وتمايز تدريجيين لأركان الشخصية إنطلاقاً من نظام اللاوعي الذي يغرس جذوره عميقه في الإحيائي (البيولوجي) (« فكل ما هو واعٍ كان لا واعياً في الأصل ») ؛ وأما النوع الثاني فينكب على تبيان تكوّن اللاوعي من خلال عملية الكبت ، ولقد أدى هذا الحل بفرويد إلى إفتراض كبت أصلي في مرحلة أولى من العملية .

رابعاً ـ صاغ فرويد إنطلاقاً من العام 1920 مفهوماً آخر عن الشخصية (غالباً ما يشار إليه بشكل موجز بمصطلح « الموقعية الثانية ») . أما السبب الأكبر الذي يعطى تقليدياً لتبرير هذا التغيير فهو ضرورة الأخذ المتزايد للدفاعات اللاواعية بعين الأعتبار ، مما يمنع المطابقة بين أقطاب الصراع الدفاعي وبين الأنظمة التي سبق تحديدها : أي المطابقة ما بين الكبت واللاوعي وبين الأنا ونظام ما قبل الوعي ـ الوعي .

إنما، ليس بالإمكان حصر معنى التعديل موضع البحث (التعديل في النظرية الموقعية) في هذه الفكرة فقط (عدم المطابقة المشار إليها أعلاه) لأنها كانت حاضرة منذ زمن بعيد عند فرويد بدرجات متفاوتة من الصراحة (أنظر : أنا) . فواحد من الإكتشافات الرئيسية التي جعلته (التعديل) ضرورياً يكمن في الدور الذي تلعبه مختلف التماهيات في تكوين الشخصية ، وتكوين البنى الدائمة التي تقوم فيها (المثل العليا ، الأركان الناقدة ، صور الذات) . تطرح هذه النظرية

الثانية في ، شكلها المبسّط ثلاثة « أركان » ، « الهو » ويشكّل القطب النزوي في الشخصية ، « الأنا » وهو الركن الذي يطرح نفسه كممثل لمصالح الشخصية الكلية ، وهو بصفته هذه موضوع توظيف اللبيدو النرجسي ، وأخيراً « الأنا الأعلى » وهو ركن الحكم والنقد ، ويتكون إنطلاقاً من تمثّل المتطلبات والنواهي الوالدية . لا يقتصر هذا المفهوم فقط على إبراز العلاقات بين هذه الأركان الثلاثة ؛ فهو يميز من ناحية داخل كل منها تكوينات أكثر خصوصية (من قبل الأنا المثالي ، والمثل الأعلى للأنا) ، ويطرح بالتالي العلاقات « داخل النظام الواحد » إضافة إلى العلاقات « بين الأنظمة » ؛ كما أنه يؤدي ، من ناحية ثانية ، إلى إعطاء أهمية خاصة « لعلاقات التبعية » الموجودة بين مختلف الانظمه ويؤدي إلى العثور على إشباع المطالب النزوية ، في الأنا خصوصاً ، وحتى في نشاطاته المسماة متكيفة .

ما هو مصير فكرة الموقع النفسي في هذه النظرية « الموقعية » الجديدة ؟ نرى حتى في إختيار المصطلحات التي تدل على الأركان ، أن هذا النموذج لم يعد مقتبساً من علوم الفيزياء ، بل هو مصطبغ تماماً بصبغة إنسانية(Anthropomorphisme) : فهناك ميل لتصور المجال النفسي الداخلي على غرار العلاقات بين الأشخاص ، حيث تعرض الأنظمة وكأنها أشخاص مستقلون نسبياً داخل الشخص (إذ يقال مثلاً أن الأنا الأعلى يتصرف بأسلوب سادي تجاه الأنا) . تميل النظرية العلمية للجهاز النفسي ، بهذا المعنى ، إلى الإقتراب من الصيغة الهوامية التي يدرك الشخص ذاته من خلالها ، وحتى أنه قد يبني هذه الذات على غرارها .

لم يتراجع فرويد عن التوفيق بين نظريتيه الموقعيتين . فهو يقدم في مناسبات عدة تصوراً يتخذ طابع التشبيه المكاني عن مجمل الجهاز النفسي ، حيث تتواجد تقسيمات الأنا ـ الهو ـ الأنا الأعلى مع تقسيمات اللاوعي ـ ما قبل الوعي ـ الوعي في آن معاً(5,6) . نجد أدق عرض لمثل هذه المحاولة في الفصل الرابع من كتاب « الموجز في التحليل النفسي 1938 » .

(أ) يمكن محاولة إدراج إستخدام كانط لفكرة الموقعية بين المفهوم المنطقي أو البياني الذي شاع عند القدماء ، وبين مفهوم المواضع النفسية الذي قال به فرويد . يتوقف حسن الإستخدام المنطقي للمفاهيم ، بالنسبة لكانط على قدرتنا على رد تصورات الأشياء رداً صحيحاً إلى إحدى ملكاتنا (الحساسية والفهم) .

(ب) تبقى كلمة « موقعي » مصطبغة بشكل واضح بدلالات شراحية ، في هذه الرسالة الأخيرة ، التي كتبت في الفترة التي كان فرويد يصيغ فيها نظرية الجهاز النفسي المستخدمة في « تأويل الأحلام » ، مما دفع بفرويد إلى إعطاء التوضيح القائل بأن التمييز بين الأنظمة النفسية ليس « . . . بالضرورة موقعياً » .

(ج) تجدر الإشارة إلى أن ما يسمى بصميمة القوس المنعكس التي ترد على شكل طاقة حركية نفس الطاقة التي تلقاها على الطرف الحسي ، لا تأخذ بعين الإعتبار المعطيات التي أرست أسسها جيداً فيسيولوجيا عصبية كان فرويد على أتم العلم بها ، باعتباره عالم أعصاب مؤهل . وقد يتأتى « إهمال » كهذا عن سعي فرويد لتبيان سريان الطاقة النزوية التي أطلق عليها إسم « الإثارة الداخلية » وتلك التي سميت باسم « الإثارات الخارجية » كليهما باستخدام صميمة وحيدة . في هذا المنظور ، لا بد من فهم النموذج المقترح أساساً كنموذج للرغبة حاول فرويد تعميمه على مجمل النظام النفسي فيسيولوجي من خلال إدعاء رؤية طاقة الإثارات الخارجية تسري في ذلك النظام . ولكن قد يكون هناك حقيقة أعمق وراء هذه الفيسيولوجيا الزائفة وما تحمله من تشبيهات ، وذلك بالقدر الذي تؤدي به إلى تصوير الرغبة « كجسم غريب » يأتي لمهاجمة الشخص من الداخل .

(د) يعطي فرويد لهذا الطابع العريض للجهاز النفسي أهمية أساسية لدرجة أنه يذهب إلى حد قلب المنظور الكانطي

معتبراً هكذا طابع مصدراً للشكل القبلي «A priori» للمكان : « يحتمل أن يكون الحيز المكاني مجرد إسقاط للطابع العريض للجهاز النفسي . وليس هناك من إستنتاج آخر معقولاً . تمتد النفس بشكل تلقائي ، بدلاً من إعتبار المكان شرطاً قبلياً للجهاز النفسي ، كما يذهب إليه كانط ، فإن النفس ممتدة بحد ذاتها وبدون إعتبار آخر »(7) .

(هـ) ولا بد من التذكير بأن فرويد يلحق عموماً الوعي بما قبل الوعي مطلقاً عليهما إسم نظام ما قبل الوعي ـ الوعي (أنظر : وعي) .

(1) Kant (E.). *Critique de la raison pure*, trad. franç., Presses Universitaires de France, 1944, p. 236

(2) Freud (S.). *Studien uber Hysterie*, 1895. G.W., I, 295-6 ; S.E., II, 291 ; Fr., 235-6.

(3) Breuer (J.). Theoretisches, in *Studien uber Hysterie*, 1895. All., 164, n. ; S.E., II, 188-9, n. ; Fr., 149-50, n

(4) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 51 et 541 ; S.E., IV, 4? et V, 536 ; Fr., 37 et 440. — *b)* G.W., II-III, 541 ; S.E., V, 536 ; Fr., 440. — *c)* G.W., II-III, 541 ; S.E., V, 536 ; Fr., 441. — *d)* Cf. G.W., II-III, 541 ; S.E., V, 541 ; Fr., 441.

(5) Cf. Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. G.W., XIII, 252 ; S.E., XIX, 24 ; Fr., 178.

(6) Cf. Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einfuhrung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, 85 ; S.E., XXII, 78 ; Fr., 111.

(7) Freud (S.). Note manuscrite. G.W., XVII, 132.

Érogène — مُولِّدٌ للغلمة

Eng. : Erogenic or erotogenic

D. : Erogen

■ هو كل ما يمت إلى توليد الإثارة الجنسية ■ .

غالباً ما تستخدم هذه الصفة في مصطلح المنطقة المولدة للغلمة ، ولكننا نجدها كذلك في تعابير من مثل المازوشية المولدة للغلمة ، والنشاط المولد للغلمة ، إلخ .

نرجسية

Narcissisme

Eng. : Narcissism

D. : Narzissmus

■ إنها الحب الموجه إلى صورة الذات ، إستناداً إلى أسطورة نرسيس ؛ (اليونانية) ■ .

1 - يظهر مصطلح النرجسية (1) لأول مرة عند فرويد عام 1910 حيث استخدم لبيان إختيار الموضوع عند الجنسيين المثليين ؛ فهؤلاء « . . . يتخذون من أنفسهم موضوعاً جنسياً ؛ ينطلقون من النرجسية ويبحثون عن غلمان يشبهونهم كي يتمكنوا من حبهم كما سبق لأمهاتهم أن أحبتهم هم أنفسهم » (1a) .

ولقد أدى إكتشاف النرجسية بفرويد إلى طرح وجود « مرحلة » وسيطة من التطور الجنسي ، ما بين الغلمة الذاتية وبين محبة الموضوع - كما ورد في حالة شرايبر عام 1911 - . « يبدأ الشخص بأن يتخذ من ذاته نفسه ، ومن جسده الخاص ، موضوعاً لحبه » (2) ، مما يتيح توحيداً أول للنزوات الجنسية . وتبرز نفس وجهات النظر هذه في كتاب « الطوطم والمقدس عام 1913 » .

2 - وهكذا نرى أن فرويد قد استعان بمفهوم النرجسية حتى قبل أن « يقدمه » في دراسة خاصة هي (من أجل تقديم النرجسية عام 1914) . ولكنه في هذا النص الأخير ، يدخل هذا المفهوم في مجمل النظرية التحليلية النفسية من خلال إستعراض التوظيفات اللبيدية على وجه الخصوص .

وهكذا يوضح لنا الذهان (« العصاب النرجسي ») إمكانية عودة اللبيدو إلى توظيف الأنا من خلال سحب التوظيف من الموضوع ؛ وهذا ما يتضمن أن « . . . توظيف الأنا يستمر أساساً ويتصرف تجاه توظيفات الموضوع على غرار تصرف جسم حوين جبلي تجاه الأذرع الكاذبة التي يطلقها » (3a) .

يقيم فرويد ، إنطلاقاً من نوع من مبدأ حفظ الطاقة اللبيدية ، توازناً ما بين « لبيدو الأنا » (الموظف في الأنا) و « لبيدو الموضوع » : « فكلما إمتص أحدهما المزيد ، أدى ذلك إلى إفقار الآخر » (3b) . « يجب إعتبار الأنا كخزان كبير للبيدو ، منه ينطلق هذا الأخير نحو الموضوعات ، وهو خزان مستعد لأن يمتص ثانية اللبيدو الذي يرتد ثانية إليه إنطلاقاً من الموضوعات » (4) .

إذا طرحنا الأمر في إطار مفهوم طاقوي يعترف بإستمرارية التوظيف اللبيدي للأنا ، فإننا

نتوصل إلى تعريف « إنبناتي » للنرجسية : حيث لا تبدو هذه النرجسية كمرحلة تطورية ، بل كحالة إنحباس لليبدو لا يمكن لأي توظيف في الموضوع أن يتجاوزها أو يفرغها تماماً .

3 ـ لقد سبق لكارل إبراهام أن إستخلص إنطلاقاً من مثال العته المبكر ، عام 1908 ، مثل هذه العملية من سحب التوظيف الليبيدي من الموضوع وتراجع الليبدو إلى الشخص : « تتلخص الخاصية الجنسية النفسية للعته المبكر ، في رجوع المريض إلى الغلمة الذاتية [. . .] . إذ يحول المريض العقلي إلى ذاته وحده ، وكموضوع جنسي وحيد لنفسه ، كامل الليبدو الذي يوجهه الشخص السوي نحو كل الموضوعات الحية وغير الحية في محيطه »(5) . ولقد تبنى فرويد مفاهيم إبراهام هذه : « . . . لقد حافظت (هذه المفاهيم) على ذاتها في التحليل النفسي ، وأصبحت تشكل أساس موقفنا من حالات الذهان »(6) . ولكنه يضيف إليها الفكرة ـ التي ستتيح لنا تخصيص النرجسية بالنسبة إلى الغلمة الذاتية ـ والقائلة بأن الأنا لا يوجد رأساً كوحدة وأنه يتطلب « فعلاً نفسياً جديدا » كي يتكون (3c) .

وإذا أردنا الحفاظ على التمييز ما بين حالة تُشبع فيها النزوات الجنسية بشكل فوضوي ، ومستقلة عن بعضها البعض الآخر ، وبين النرجسية حيث يصبح الأنا بكليته موضوعاً للحب ، فإننا نتوصل بذلك إلى القول بتطابق غلبة النرجسية الطفلية مع اللحظات المكوِّنة للأنا .

إن النظرية التحليلية النفسية ليست قاطعة حول هذه النقطة . يمكننا تصور تكوين الأنا كوحدة نفسية ، في منظور تكويني ، بالتلازم مع تكوين صميمة الجسد . كما أنه بالإمكان التفكير بأن تكوين هكذا وحدة يعجل في ظهوره إمتلاك الشخص لصورة عن ذاته على غرار الآخر الذي هو الأنا تحديداً . وهكذا تصبح النرجسية عبارة عن إمتلاك هذه الصورة للشخص غرامياً . ولقد أقام جاك لاكان الصلة ما بين هذه اللحظة الأولى من تكوين الأنا وبين تلك التجربة النرجسية الأساسية التي يطلق عليها إسم مرحلة المرآة(7) . في منظور كهذا ، حيث يعرِّف الأنا من خلال التماهي بصورة الآخر ، لا تكون النرجسية ـ حتى تلك « الأولية » منها ـ حالة تغيب عنها كل علاقة ما بين الذات والآخر ، بل هي تشكل إستدخالاً (intériorisation) لعلاقة معينة . ذلك هو تحديداً المفهوم الذي يبرز من نص مثل « الحداد والسوداوية عام 1916 » حيث يبدو أن فرويد لا يرى في النرجسية سوى مجرد « تماهٍ نرجسي » بالموضوع (8) .

ولكن مفهوماً كهذا يتلاشى مع إرصان النظرية الثانية عن الجهاز النفسي . حيث يتوصل فرويد إلى إقامة التعارض الإجمالي ما بين الحالة النرجسية الأولى (حالة اللاموضوع) وبين العلاقات مع الموضوع . تتصف هذه الحالة البدائية ، التي يطلق عليها عندها إسم النرجسية الأولية ، بالغياب الكلي للعلاقة مع المحيط ، وبحالة من اللاتمايز التام ما بين الأنا والهو ، وتجد هذه الحالة نموذجها الأول في الحياة الرحمية والتي يمثل النوم إستعادة لها تتفاوت في درجة كمالها(9) .

على أن فكرة النرجسية التي تعاصر تكوين الأنا من خلال التماهي مع الآخر ، لم تهمل كلياً ، بل أصبح يطلق عليها إسم « النرجسية الثانوية » ، وليس إسم « النرجسية الأولية » : « يمتز الليبدو الذي يندفق على الأنا من خلال التماهيات [. . .] « نرجسيته الثانوية »(10a) . « فنرجسية الأنا هي

نرجسية ثانوية ، مسحوبة من الموضوعات »(10b) .

يتلازم هذا التعديل العميق في وجهات نظر فرويد مع إدخال فكرة الهو ، باعتباره ركناً منفصلاً تصدر عنه الأركان الأخرى من خلال التمايز ، كما يتلازم مع تطور فكرة الأنا الذي يركز على التماهيات التي ينتج عنها بقدر تركيزه على وظيفته التكيفية كجهاز متمايز ، وتتلازم أخيراً مع تلاشي التمييز ما بين الغلمة الذاتية وبين النرجسية . بعرضنا مفهوم كهذا ، إذا ما أخذ بحرفيته ، في آن معاً لمناقضة التجربة العملية ، من خلال الزعم بأنه لن يكون بحوزة المولود الجديد أي إنفتاح إدراكي على العالم الخارجي ، كما بعرضنا ، إلى تكرار المأزق المثالي بتعابير ساذجة ، وهو مأزق يضاعف من خطورته هنا الإستناد إلى صياغة « بيولوجية » ويمكن تلخيصه كالتالي : كيف يمكن الإنتقال من الجوهر الفرد المنغلق على ذاته إلى الإعتراف التدريجي بالموضوع ؟

(أ) يصرح فرويد في السطور الأولى من مقالته « من أجل تقديم النرجسية عام1914 » بأنه إستعار هذا المصطلح من ب . ناكيّه (.عام1899) الذي يستعمله في وصف لأحد أشكال الشذوذ . ولكنه يعود عن هذا التوكيد في ملحوظة أضيفت عام1920 إلى « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية » قائلاً : بأن هافيلوك إللّيس هو واضع هذا المصطلح(1b) . والواقع أن ناكيّه هو الذي نحت كلمة نرجسية ، ولكنه فعل ذلك بغية التعليق على آراء أللّيس الذي كان أول من وصف عام1898 سلوكاً شاذاً جنسياً على صلة بأسطورة نرسيس .

(1) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* G.W., V, 44, n. 1 ; S.E., VII, 145, n. 1 ; Fr., 167-8, n. 13 — *b)* Cf. G.W., V, 119, n. 3 ; S.E., VII, 218, n. 3 ; Fr., 184, n. 75.

(2) Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia*, 1911. G.W., VIII, 296-7 ; S.E., XII, 60-1 ; Fr., 349-50.

(3) Freud (S.). *a)* G.W., X, 141 ; S.E., XIV, 75-6. — *b)* G.W., X, 141 ; S.E., XIV, 75-6. — *c)* G.W., X, 142 ; S.E., XIV, 77.

(4) Freud (S.). « *Psychoanalyse* » und « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 231 ; S.E., XVIII, 257.

(5) Abraham (K.). *Les différences psychosexuelles entre l'hystérie et la démence précoce*, 1908. Fr., I, 36-47.

(6) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 430 ; S.E., XVI, 415 ; Fr., 444.

(7) Cf. Lacan (J.). Le stade du miroir comme formateur de la fonction du Je, *R.F.P.*, 1949, XIII, 4, 449-55.

(8) Cf. Freud (S.). G.W., X, 435-7 ; S.E., XIV, 249-51 ; Fr., 202-5.

(9) Cf. Freud (S.). *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, 1921. G.W., XIII, 146 ; S.E., XVIII, 130-1 ; Fr., 146-7.

(10) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. — *a)* G.W., XIII, 258, n. ; S.E., XIX, 30 ; Fr., 185, n. 1 — *b)* G.W., XIII, 275 ; S.E., XIX, 46 ; Fr., 203.

Narcissisme primaire, Narcissisme secondaire — نرجسية أولية ، نرجسية ثانوية

Eng. : Primary narcissism, secondary narcissism

D. : Primärer narzissmus, Sekundärer Narzissmus

■ تشير النرجسية الأولية إلى الحالة المبكرة التي يقوم الطفل خلالها بتوظيف كل الليبدو

الخاص به في ذاته هو . وتشير النرجسية الثانوية إلى إرتداد الليبدو المنسحب من توظيفاته الموضوعية إلى الأنا ■ .

يحمل هذان المصطلحان في أدبيات التحليل النفسي وحتى في أعمال فرويد وحدها معانٍ متنوعة جداً ، مما يحول دون إعطاء تعريف لا لبس فيه وأكثر دقة من التعريف الذي إقترحناه هنا لهما .

1 - يطرح علينا تعبير النرجسية الثانوية صعوبة أقل من تلك التي يطرحها تعبير النرجسية الأولية . إذ يستخدمه فرويد إنطلاقاً من مقالته « من أجل تقديم النرجسية عام 1914 » للدلالة على حالات من مثل النرجسية الفصامية : « . . . تدفعنا تلك النرجسية التي ظهرت من خلال إستعادة توظيفات الموضوع ، إذاً إلى تصورها كحالة ثانوية تبنى على قاعدة نرجسية أولية أدت مؤثرات متعددة إلى طمسها »(1) . ولا تدل النرجسية الثانوية ، تبعاً لفرويد ، على بعض حالات النكوص المتطرفة فقط ؛ بل تشكل أيضاً بنية دائمة للشخص : أ) فلا تلغي توظيفات الموضوع ، على الصعيد الإقتصادي ، توظيفات الأنا ، بل يوجد هناك توازن طاقوي حقيقي بين هذين النوعين من التوظيفات ؛ ب) وأما على الصعيد الموقعي فيمثل المثل الأعلى للأنا تكويناً نرجسياً لا يُترك بأي حال من الأحوال .

2 - تتعرض فكرة النرجسية الأولية لتقلبات قصوى ما بين مؤلف وآخر . نحن هنا بصدد تحديد مرحلة إفتراضية من الليبدو الطفلي ، وهنا تنصب الخلافات بشكل معقد على وصف هذه الحالة ، وعلى وضعيتها الزمنية ، وحتى على وجودها ذاته ، بالنسبة لبعض هؤلاء المؤلفين .

تدل النرجسية الأولية عند فرويد على أول نرجسية بشكل عام أي تلك التي يتخذ فيها الطفل من ذاته موضوعاً لحبه ، قبل أن يختار موضوعات خارجية . تتطابق هذه الحالة مع إعتقاد الطفل بالقوة المطلقة لأفكاره(2) .

وإذا ما حاولنا أن نحدد بدقة لحظة تشكيل حالة كهذه ، فسنصادف حتى عند فرويد نفسه بعض التقلبات في الرأي . تقع هذه المرحلة ، في نصوص الفترة 1910 ، 1915 (3) ما بين مرحلة الغلمة الذاتية البدائية وبين محبة الموضوع ويبدو أنها تعاصر ظهور أول توحيد للشخص ، أو أول توحيد للأنا . أما في الكتابات التي تلت ذلك ، ومع إرصان النظرية الثانية للجهاز النفسي ، فلقد أصبح فرويد أميل إلى أن يقصد بمصطلح النرجسية الأولية ، حالة أولى من الحياة ، سابقة على تشكيل الأنا ، وتجد في الحياة الرحمية نموذجها الأثري (4) . ولقد ألغي عندها التمييز ما بين الغلمة الذاتية وبين النرجسية . ولكننا لا ندري حقاً ، من وجهة نظر موقعية ، ماهية ما يوظف في نرجسية أولية من هذا النوع .

يسود هذا المعنى الأخير للنرجسية الأولية بشكل شائع في أيامنا ، في الفكر التحليلي النفسي ، مما يؤدي إلى تحديد معنى ومدى النقاش حول الموضوع : سواء أقبلنا هذه الفكرة أم رفضناها ، فإنها تدل دوماً على حالة « لا موضوع » بشكل حصري ، أو هي تدل على الأقل على حالة « لا متمايزة »، وبدون إنشطار ما بين الشخص والعالم الخارجي .

يمكن إثارة نمطين من الإعتراضات على مفهوم كهذا للنرجسية :

- يسقط هذا المعنى ، على المستوى المصطلحي ، من إعتباره الرجوع إلى صورة الذات ، وإلى تلك العلاقة المرآوية مع الذات ، الذي يتضمنه الأصل اللغوي لمصطلح النرجسية . ولهذا فنحن نعتقد أن مصطلح « النرجسية الأولية » لا يوفي بالغرض للدلالة على مرحلة توصف بأنها خالية من الموضوع .

- وأما على مستوى الوقائع : فإن وجود مرحلة كهذه يطرح إشكالية كبرى ، حتى أن بعض الكتاب يقدرون أنه توجد عند الرضيع علاقات موضوع منذ البدء ، أو نوع من « محبة الموضوع الأولية »(5) ، مما يجعل فكرة النرجسية الأولية المطروحة كمرحلة أولى لا موضوع لها من مراحل حياة ما بعد الميلاد ، مرفوضة من قبلهم بإعتبارها فكرة أسطورية . وهكذا فبالنسبة لميلاني كلاين لا يمكننا الكلام عن مرحلة نرجسية ، إذ تقوم علاقات موضوع منذ البداية (ما بين الطفل وأمه) ، وجلّ ما يمكننا الكلام عنه هو « حالات » نرجسية تعرّف بعودة الليبيدو إلى موضوعات مستدخلة (intériorisés) .

يبدو لنا ممكناً ، إنطلاقاً من هذه الإنتقادات ، أن نحدد المعنى الذي قصده فرويد ، حين إستعار فكرة النرجسية التي قدمها هافيلوك أليس في علم الأمراض ، وقام بتوسيعها حتى جعل منها مرحلة ضرورية في التطور الذي يتم إنطلاقاً من النشاط الوظيفي الفوضوي والغلمي الذاتي ، المميز للنزوات الجزئية ، وصولاً إلى إختيار الموضوع . ولا يبدو أن هناك ما يحول دون إستعمال مصطلح النرجسية الأولية للدلالة على مرحلة مبكرة ، أو حتى على لحظات تأسيسية (من الحياة) ، تتصف بظهور التباشير الأولى للأنا وتوظيفها من قبل الليبيدو حال ظهورها ، وهو ما لا يتضمن لا أن تشكل هذه النرجسية الأولى ، الحالة الأولى التي يكون عليها الكائن البشري ، ولا أن تلغي غلبة محبة الذات هذه ، من وجهة نظر إقتصادية ، كل توظيف موضوعي ممكن (أنظر : نرجسية) .

(1) Freud (S.). G.W., X, 140 ; S.E., XIV, 75.

(2) Cf. Freud (S.). *Totem und Tabu*, 1912. *Passim*.

(3) Cf. Freud (S.). *Psychoanalytische Bemerkungen uber einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia — Dementia paranoides*, 1911. *Totem und Tabu*, 1912. *Zur Einfuhrung des Narzissmus*, 1914.

(4) Cf. Freud (S.). *Vorlesungen zur Einfuhrung in die Psychoanalyse*, 1916-17. G.W., XI, 431-2 ; S.E., XVI, 415-6 ; Fr., 441-5.

(5) Cf. Balint (M.). Early developmental states of the Ego. Primary object love 937, in *Primary love and Psychoanalytic technique*, Hogarth Press, Londres, 1952, 103-8.

نزوات الأنا

Pulsions du moi

Eng. : Ego instincts

D. : Ichtriebe

■ تدل نزوات الأنا ، في إطار نظرية النزوات الأولى (كما صاغها فرويد ما بين الأعوام 1910

و1915)، على نمط نوعي من النزوات التي توضع طاقتها في خدمة الأنا خلال الصراع الدفاعي ؛ وهي تندرج ضمن نزوات حفظ الذات وتتعارض مع النزوات الجنسية ■ .

يطلق إسم نزوات الأنا أيضاً ، على نزوات حفظ الذات التي تتعارض مع النزوات الجنسية في النظرية الفرويدية الأولى حول النزوات .

فمن المعلوم أن فرويد وصف الصراع الدفاعي منذ البدء بإعتباره يضع الجنسية في مواجهة ركن كابت ، ودفاعي ، هو الأنا . إنما لم يكن قد أعطي بعد في ذلك الحين أي سند نزوي محدد للأنا .

ومن ناحية ثانية عارض فرويد فعلياً ومنذ « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » ما بين النزوات الجنسية ، وما أطلق عليه إسم « حاجات » (أو « وظائف ذات أهمية حيوية ») مبيّناً كيف تنشأ الأولى إستناداً إلى الثانية ، ثم تتباعد عنها في الغلمة الذاتية على وجه الخصوص . يحاول فرويد من خلال طرحه « لنظريته الأولى حول النزوات » أن يطابق ما بين هذين التعارضين : أي التعارض العيادي ما بين الأنا والنزوات الجنسية في الصراع الدفاعي ؛ والتعارض التكويني ما بين وظائف حفظ الذات والنزوة الجنسية ، في نشأة الجنسية الإنسانية .

وكان لا بد من إنتظار عام1910 ، وظهور مقالة « الإضطراب نفسي المنشأ للبصر في المفهوم التحليلي النفسي » كي يقوم فرويد بتجميع مجمل هذه « الحاجات الكبرى » غير الجنسية تحت إسم « نزوات حفظ الذات » من ناحية ، وأن يشير إليها باسم « نزوات الأنا » بإعتبارها طرفاً فاعلاً في الصراع النفسي من ناحية ثانية ، إذ يتعين في التحليل الأخير ، تعريف قطبي هذا الصراع على حد سواء ، إنطلاقاً من منظور القوى المتجابهة حيث يقول : « إنه لمن الأهمية بمكان لمحاولتنا التفسيرية ، وجود ذلك التعارض الذي لا ريب فيه ما بين النزوات التي تخدم أغراض الجنسية ، وأغراض الحصول على اللذة الجنسية ، وبين النزوات الأخرى ، أي نزوات الأنا التي تتخذ من حفظ ذات الفرد هدفاً لها . إذ يمكن تصنيف كل النزوات العضوية الفاعلة في روحنا تبعاً لتعابير الشاعر إلى « جوع » أو « حب »(1a) » .

***

ماذا يعني هذا الترادف الذي طرحه فرويد ما بين نزوات حفظ الذات ونزوات الأنا ؟ وما الذي يجعل مجموعة محددة من النزوات تعتبر ملحقة بالأنا ؟

1 ـ أما على الصعيد البيولوجي ، فيستند فرويد إلى التعارض ما بين النزوات التي تنزع إلى الحفاظ على الفرد ، وبين تلك التي تنتهي بأن تخدم غايات النوع حيث : « يعيش الفرد ، في الواقع ، وجوداً مزدوجاً ؛ كهدف بحد ذاته ، وكعضو من سلسلة يخضع لها ضد إرادته الخاصة ، أو على كل حال بمعزل عنها [. . .] . ويعكس التمييز ما بين النزوات الجنسيه ونزوات الأنا هذه الوظيفة المزدوجة للفرد »(2a) . وتعني « نزوات الأنا » في هذا المنظور « نزوات حفظ الذات » بإعتبار أن الأنا هو الركن الذي توكل إليه نفسياً مهمة حفظ الفرد .

2 ـ ويبين فرويد ، ضمن إطار نشاط الجهاز النفسي ، كيف أن نزوات حفظ الذات مؤهلة

بشكل خاص لأن تنشط تبعاً لمبدأ الواقع ، متعارضة في ذلك مع النزوات الجنسية . وأكثر من ذلك ، فهو يعرّف « أنا ـ واقع » إنطلاقاً من خصائص نزوات الأنا ذاتها : « . . . فليس هناك من عمل آخر للأنا ـ الواقع سوى النزوع نحو « المفيد » وتأمين ذاته ضد الأضرار »(3) .

3 ـ وأخيراً لا يفوتنا التنبيه إلى أن فرويد يشير منذ تقديمه لفكرة نزوات الأنا ، إلى إرتباط هذه النزوات بمجموعة محددة من « التصورات » ، وهي مجموعة « نستخدم بصددها مفهوماً جماعياً هو الأنا الذي يتركب بأشكال مختلفة تبعاً لكل حالة » ، (وذلك بشكل متناظر مع النزوات الجنسية التي تدخل نزوات الأنا في صراع معها) »(1b) .

وإذا أعطينا هذا التوضيح الأخير كامل معناه ، فلا بد أن نفكر بأن نزوات الأنا توظف هذا « الأنا » بإعتباره « مجموعة من التصورات » ، أي أنها « تستهدف الأنا » . يبرز هنا غموض في معنى حرف الوصل (الـ .) في (نزوات الأنا) : فمن ناحية ينظر الى نزوات الأنا كنزعات « صادرة » عن المتعضي (أو الأنا بإعتباره الركن النفسي المكلف بتأمين حفظ هذا المتعضي) وتستهدف موضوعات خارجية نوعية نسبياً (من مثل الغذاء) . إلا انها من ناحية ثانية تتعلق بالأنا كتعلقها « بموضوعها » .

* * *

ولا يفوت فرويد إلا نادراً ، حين يبيّن التعارض ما بين النزوات الجنسية ونزوات الأنا خلال الأعوام 19101 -1915 ، التصريح عن أن ذلك التعارض لا يعدو كونه فرضية « . . . إضطر إلى القول بها ، إنطلاقاً من تحليل أعصبة النقلة المحضة (أي الهستيريا والعصاب الهجاسي) »(2b) . وبالإمكان الملاحظة بهذا الصدد بأننا لا نرى أبداً تقريباً نزوات حفظ الذات تقوم بدور قوة دافعة للكبت ، في التأويلات التي يعطيها فرويد عن الصراع :

1 ـ فغالباً ما تؤكد مكانة الأنا في الصراع في الدراسات العيادية المنشورة قبل عام 1910 ، إلا أنه لا يشار إلى علاقتها مع الوظائف الضرورية للحفاظ البيولوجي على الفرد (أنظر : أنا) . إلا أنه ندر أن ذكرت نزوة حفظ الذات كقوة كابتة ، بعد أن طرحت صراحة في النظرية بإعتبارها نزوة أنا : إذ يبحث عن القوة المولّدة للكبت في مقالة « مقتطفات من تاريخ عصاب طفلي » التي كتبت ما بين عامي 1914 و1915 ، في « الليبدو التناسلي النرجسي »(4) .

2 ـ وأما في الأعمال ما وراء النفسانية خلال العامين 1914 -1915 والتي تحمل عناوين (« اللاوعي » ، و« الكبت » ، و« النزوات ومصير النزوات ») فإن الكبت في أنماط عصاب النقلة الثلاثة الكبرى يرد إلى عملية ليبدية محضة من توظيف للتصورات وسحب لتوظيفها ، وتوظيفها المضاد : « يمكننا هنا إستبدال كلمة « توظيف » بكلمة « ليبدو » لأننا كما نعلم ، بصدد طرح مصير النزوات الجنسية »(5) .

3 ـ ويترك لدينا النص الذي يقدم فكرة نزوة الأنا ، وهو واحد من النصوص القليلة التي يحاول فيها فرويد إعطاءها ، دوراً فاعلاً في الصراع ، الإنطباع بأن « حفظ الذات » (وهو البصر هنا) هو موضوع الصراع الدفاعي وأرضيته أكثر من كونه طرفاً ديناميا من أطراف هذا الصراع .

4 ـ وحين يرمي فرويد إلى تبرير تقديم هذه الثنائية النزوية ، فإنه لا يرى فيها « فرضية

ضرورية » بل مجرد « بنيان مساعد » يذهب إلى ما وراء معطيات التحليل النفسي . إذ تقتصر هذه المعطيات على مجرد فرض فكرة « الصراع ما بين متطلبات الجنسية ، ومتطلبات الأنا »(6) . وأما الثنائية الجنسية فإنها تستند في نهاية المطاف على إعتبارات « بيولوجية » : « . . . أود هنا الإعتراف صراحة بأن فرضية إنفصال نزوات الأنا والنزوات الجنسية عن بعضها [. . .] لا تستند إلا في شطر صغير منها على أساس نفساني ، بل هي تجد سندها بشكل رئيسي في علم الأحياء »(2c) .

•••

لم يبطل تقديم فكرة النرجسية مباشرة التعارض ما بين النزوات الجنسية ونزوات الأنا (2d، 6b) بالنسبة لفرويد ، بل أدخلت عليها تمييزاً إضافياً : وهو أنه بمقدور النزوات الجنسية أن تصب طاقتها على موضوع خارجي (ليبدو الموضوع) أو على الأنا (ليبدو الأنا أو الليبيدو النرجسي) . بينما أن طاقة نزوات الأنا ليست ليبدو بل هي « إهتمامات » . وهكذا نرى أن عملية إعادة التجميع الجديدة تحاول أن تزيل الغموض المشار إليه أعلاه ، بصدد مصطلح نزوات الأنا ، إذ تصدر نزوات الأنا عن هذا الأنا نفسه وتُحمل على موضوعات مستقلة (من مثل الغذاء) ؛ إلا أنه بإمكان الأنا أن يكون موضوعاً للنزوة الجنسية (ليبدو الأنا) .

على أنه سرعان ما سيأتي التعارض ما بين ليبدو الأنا وليبدو الموضوع ، كي يزيل ، أهمية التعارض ما بين نزوات الأنا والنزوات الجنسية ، في فكر فرويد .

ففي الواقع ، بدا لفرويد أنه بالإمكان رد الحفاظ على الذات إلى محبة الذات ، أي إلى ليبدو الأنا . ويؤ ول فرويد التحول الذي أدخل من خلاله فكرة الليبيدو النرجسي ، أثناء كتابة لاحقة لتاريخ نظريته حول النزوات ، بإعتباره كإقتراب من نظرية أحادية الطاقة النزوية ، « . . . وكأن التقدم البطيء في البحث التحليلي النفسي قد سار على خطى تخمينات يونغ حول الليبيدو الأصلي ، وخصوصاً أن تحول ليبدو الموضوع إلى نرجسية قد إرتبط بشكل لا مناص منه بنوع من سحب طابعه الجنسي »(7) .

إنما تجدر الملاحظة على كل حال أن فرويد لم يكتشف هذه المرحلة « الأحادية » من تفكيره إلا في اللحظة عينها التي أكّد فيها القول بوجود « ثنائية جديدة » أساسية ، وهي ثنائية نزوات الحياة ونزوات الموت .

•••

وبعد تقديم هذه الثنائية ، مال مصطلح نزوة الأنا إلى الزوال من المصطلحات الفرويدية ، إنما حدث ذلك بعد أن حاول فرويد ، في البدء ، أن يدرج ما أطلق عليه سابقاً إسم نزوات الأنا ، ضمن هذا الإطار الجديد ، وذلك في كتابه بعنوان « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » . ولقد تمت هذه المحاولة في إتجاهين متناقضين :

1 ـ فبمقدار ما تُردّ نزوات الحياة إلى النزوات الجنسية ، يسعى فرويد بالمقابل إلى مطابقة نزوات الأنا مع نزوات الموت . وحين يدفع بالأطروحة التخمينية القائلة بأن النزوة تنزع في أساسها إلى إستعادة الحالة اللاعضوية ، إلى أقصى مداها ، فهو يرى في نزوات حفظ الذات عبارة عن :

« نزوات جزئية مكرسة كي تؤمن للمتعضي سبيله الخاص نحو الموت »(8a) . وهي لا تفترق عن النزعة المباشرة للعودة إلى الحالة اللاعضوية إلا بمقدار ما « . . لا يصرّ المتعضي على الموت ، على طريقته الخاصة ، ذلك أن حرّاس الحياة كانوا أنفسهم في الأصل خدماً للموت »(8b) .

2 ـ ولكن فرويد عاد ، في سياق نفس النص ، فصوّب آرائه بالرجوع إلى الأطروحة القائلة بأن نزوات حفظ الذات هي ذات طبيعة ليبيدية(8c) .

وأخيراً ، لا يعود فرويد يطابق ، في إطار نظريته الثانية عن الجهاز النفسي ، هذا أو ذاك من أنماط النزوة مع ركن معين (كما حاول أن يفعل حين ماثل ما بين نزوة «حفظ الذات»ونزوة «الأنا ») . فإذا كانت النزوات تشتق مصدرها من الهو ، إلا أنه بالإمكان العثور عليها جميعاً فاعلة في كل واحد من الأركان . وهنا تظل مشكلة نوع الطاقة النزوية التي يستخدمها الأنا بشكل أخص مطروحة ، (أنظر : أنا) ، ولكن دون أن يتكلم فرويد عندها عن نزوة الأنا .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., VIII, 97-8 ; S.E., XI, 214-5. — *b)* G.W., VIII, 97 ; S.E., XI, 213.
(2) Freud (S.), *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. — *a)* G.W., X, 143 ; S.E., XIV, 78. — *b)* G.W., X, 143 ; S.E., XIV, 77. — *c)* G.W., X, 144 ; S.E., XIV, 79. — *d)* Cf. *passim*.
(3) Freud (S.), *Formulierungen über die zwei Prinzipien des psychischen Geschehens*, 1911. G.W., VIII, 235 ; S.E., XII, 223.
(4) Freud (S.). G.W., XII, 73 ; S.E., XVII, 46 ; Fr., 357
(5) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 281 ; S.E., XIV, 181-2 ; Fr., 122.
(6) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 217 ; S.E., XIV, 124 ; Fr., 38. — *b)* Cf. G.W., X, 216 sqq. ; S.E., XIV, 123 sqq. ; Fr., 37 sqq.
(7) Freud (S.), « *Psychoanalyse* » und « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 231-2 ; S.E., XVIII, 257.
(8) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 41 ; S.E., XVII, 39 ; Fr., 45. — *b)* G.W., XIII, 41 ; S.E., XVII, 39 ; Fr., 45. — *c)* Cf. G.W., XIII, 56 ; S.E., XVII, 52 ; Fr., 60.

نزوات الحياة

Pulsions de vie
Eng. : Life instincts
D. : Lebenstriebe

■ إنها فئة كبرى من النزوات التي يضعها فرويد في نظريته الأخيرة ، في مقابل نزوات الموت . وهي تنزع إلى تكوين وحدات متزايدة في كبرها على الدوام وإلى الحفاظ عليها . ولا تقتصر نزوات الحياة التي يُدل عليها أيضاً بمصطلح الإيروس على تغطية النزوات الجنسية الفعلية وحدها ، بل هي تشمل أيضاً نزوات حفظ الذات ■ .

قدّم فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » التعارض الكبير ما بين نزوات الموت ونزوات الحياة ، ودافع عنه حتى نهاية أعماله . تنزع أولى هذه النزوات إلى تدمير الوحدات الحية ، وإلى التسوية الجذرية للتوترات وإلى الرجوع إلى الحالة اللاعضوية التي يُفترض أنها حالة السكينة

المطلقة . وأما الثانية فلا تنزع إلى مجرد الحفاظ على الوحدات الحية الموجودة ، بل أيضاً إلى تكوين وحدات أشمل إنطلاقاً من الأولى . وهكذا توجد حتى على المستوى الخلوي ، نزعة « . . . تسعى إلى إحداث تماسك ما بين أجزاء المادة الحية ، وإلى الحفاظ عليه»(1a) . وتصادف هذه النزعة من جديد في المتعضي الفرد بإعتباره يسعى إلى الحفاظ على وحدته ووجوده (نزوات حفظ الذات ، والليبدو النرجسي) . وتُعرّف الجنسية ذاتها في أشكالها البيّنة كمبدأ وحدة (وحدة الأفراد في التزاوج ، ووحدة الأمشاج في الاخصاب) .

إن تعارض نزوات الحياة مع نزوات الموت هو الذي يتيح لنا أفضل فهم لما يقصده فرويد بها (أي نزوات الحياة) : إنها تتعارض مع بعضها البعض كمبدأين كبيرين نراهما فاعلين في العالم الفيزيقي (جذب - نبذ) ، والتي تشكل خصوصاً أساس الظواهر الحيوية (أي الإبتناء والهدم في عمليات الأيض) .

ولا تخلو هذه الثنائية النزوية الجديدة من بعض الصعوبات :

1 - إذ يتلازم تقديم فرويد لفكرة نزوة الموت مع التفكير حول ما يشكل الأساس الأعمق لأي نزوة : أي العودة إلى حالة سابقة . ولا يمكن أن ترمي هذه النزعة النكوصية في المنظور التطوري الذي إختاره فرويد علانية ، إلا إلى إستعادة أشكال أقل تمايزاً ، وأقل تنظيماً وتكاد في حدها الأقصى لا تتضمن أي تمايز في المستوى الطاقوي . وإذا كانت هذه النزعة الأخيرة تجد أفصح تعبير لها في نزوة الموت ، فإن نزوة الحياة تعرّف على العكس من ذلك بحركة تذهب في إتجاه مضاد ، أي في إتجاه إقامة أشكال أكثر تمايزاً وأكثر تنظيماً والحفاظ عليها ، كما تذهب في إتجاه « ثبات » وحتى « زيادة تمايز المستوى » الطاقوي ما بين المتعضي والمحيط . ولقد أقر فرويد بعجزه عن تبيان كيفية إمتثال نزوات الحياة لما عرّفه على أنه الصيغة العامة لأي نزوة ، أي طابعها المحافظ ، أو حتى النكوصي . « لا يمكننا تطبيق نفس الصيغة على الإيروس (نزوة الحب) لأن ذلك يوازي إفتراض أن المادة الحية كونت وحدة بادىء الأمر ، ثم تفتتت من بعد وتنزع إلى الإتحاد ثانية ، من جديد »(2a) . يجد فرويد نفسه مضطراً عندها إلى الرجوع إلى أسطورة أريسطوفان في « المأدبة » لأفلاطون ، والتي يسعى التزاوج الجنسي تبعاً لها إلى إستعادة الوحدة المفقودة لكائن خنثى في الأصل سابق على إنفصال الجنسين(1b) .

2 - كما يصادف نفس التعارض ، ونفس الصعوبة على مستوى مبادىء النشاط النفسي المتطابق مع كل من الفئتين الكبيرتين من النزوات : فمبدأ النرفانا الذي يتطابق مع نزوات الموت معرّف بوضوح ؛ بينما لا يمكن إلا بصعوبة إدراك مبدأ اللذة (وتعديله إلى مبدأ الواقع) والذي يفترض فيه تمثيل مطلب نزوات الحياة ، في مفهومه الإقتصادي ، ولذلك أعاد فرويد صياغته بتعابير « كيفيه » (أنظر : مبدأ اللذة ؛ ومبدأ الثبات) .

تدل آخر صياغات فرويد في « الموجز في التحليل النفسي عام1938 » أن المبدأ الكامن وراء نزوات الحياة هو مبدأ « الإرتباط » . « إن هدف الإيروس هو إقامة وحدات متزايدة في كبرها ، أي أن هدفه هو المحافظة : ذلك هو الإرتباط . بينما أن هدف النزوة الأخرى ، هو على العكس من ذلك ، كسر الصلات ، أي تدمير الأشياء »(2b) .

وهكذا نرى ، على الصعيد الإقتصادي كذلك ، أن نزوة الحياة لا تتمشى جيداً مع النموذج

الطاقوي للنزوة كنزوع إلى خفض الطاقات . حتى أن فرويد يتوصل في بعض المقاطع(3) إلى وضع الإيروس في تعارض مع الطابع العام المحافظ للنزوة .

3 ـ وأخيراً ، إذا كان فرويد يزعم الإقرار في نزوات الحياة بما سبق أن دل عليه بإعتباره النزوة الجنسية ، فإنه يجوز لنا التساؤل حول ما إذا كان رد الثانية إلى الأولى لا يتلازم مع تغيير في موقع الجنسية ضمن بنية الثنائية الفرويدية . لقد كانت الجنسية تتطابق إلى ذلك الحين في أزواج التعارض الكبرى التي إستخلصها فرويد وهي : الطاقة الحرة ، والطاقة المربوطة ، العمليات الأولية والعمليات الثانوية ، مبدأ اللذة ومبدأ الواقع ، وكذلك في « مشروع علم نفس علمي عام1895 » مبدأ القصور ومبدأ الثبات ، مع الحدود الأولى لكل واحد من هذه الأزواج المتعارضة حيث تبدو كقوة تفريغية أساساً . وأما مع بروز الثنائية النزوية الجديدة فلقد أصبحت نزوة الموت هي التي تشكل هذه القوة « الأولية » ، و« الشيطانية » والنزوية الفعلية ، بينما تحولت الجنسية ، بشكل ملغز إلى جانب الإرتباط .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 66, n. ; S.E., XVIII, 60, n. ; Fr., 70, n. — *b)* Cf. G.W., XIII, 62-3 ; S.E., XVIII, 57-8 ; Fr., 66-7.

(2) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 149 ; Fr., 8. — *b)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 8.

(3) Cf. Freud (S.). *Das Unbehagen in der Kultur*, 1930. G.W., XIV, 477, n. ; S.E., XXII, 118, n. 2 ; Fr., 54, n. 2.

نزوات الموت

Pulsions de mort

Eng. : Death instincts

D. : Todestriebe

■ تدل ، في إطار آخر نظرية فرويدية حول النزوات، على فئة أساسية من النزوات التي تتعارض مع نزوات الحياة ، والتي تنزع إلى الإختزال الكامل للتوترات ، أي إلى رد الكائن الحي إلى الحالة اللاعضوية .

تتوجه نزوات الموت بادىء الأمر نحو الداخل وتنزع نحو التدمير الذاتي ، ثم تتوجه فيما بعد ثانوياً نحو الخارج ، وتتجلى عندها على شكل نزوة العدوان أو نزوة التدمير ■ .

لم تفلح فكرة نزوة الموت ، التي قدمها فرويد في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » وإستمر في تأكيدها حتى نهاية أعماله ، أن تفرض نفسها على مريديه وعلى من أتوا بعده ، على قدم المساواة مع معظم إسهاماته المفهومية ؛ إذ أنها تبقى واحدة من الأفكار الأكثر عرضة للجدل . ولا يكفي تبعاً لنا ، من أجل إستيعاب معناها أن ترجع إلى أطروحات فرويد المتعلقة بها ، أو أن نجد في الممارسة العيادية التجليات التي يبدو أنها الأكثر قدرة على تبرير هذه الفرضية التخمينية ؛ إذ من الضروري كذلك ردها إلى تطور الفكر الفرويدي وتلمّس كنه الضرورة البنيوية التي أُدْخِلَتْ كي تلبيها ضمن إطار التعديل الأكثر عمومية لأفكاره (أي تحوّل عام1920) . إن تقويماً كهذا هو

وحده الكفيل بأن يتح لنا أن نعثر على المطلب الذي تشهد عليه هذه الفكرة ، وهو مطلب سبق له أن وجد مكانته ، بأشكال أخرى ، في نماذج سابقة وذلك فيما يتعدى بيانات فرويد الصريحة بصددها ، وحتى فيما يتعدى شعوره بأنه يجدد جذرياً في هذا المضمار .

***

فلنبدأ بتلخيص أطروحات فرويد المتعلقة بنزوة الموت . فهي تمثل النزعة الأساسية عند كل كائن حي للعودة إلى الحالة اللاعضوية . وبهذا القدر « إذا كنا نقرّ بأن الكائن الحي قد أتى بعد اللاحي وإنبثق منه ، فإن نزوة الموت تتوافق جيداً مع الصيغة [. . .] التي تذهب إلى أن النزوة تنزع إلى العودة إلى حالة سابقة »(1a) . وبهذا المنظور « بموت كل كائن حي بالضرورة بفعل أسباب داخلية »(2a) . وهكذا ففي الكائنات المتعددة الخلايا « . . . يصادف الليبيدو نزوة الموت أو التدمير التي تسود فيها ، والتي تنزع إلى إندثار هذا المتعضى الخلوي ، وتؤدي بكل متعضى أولي (أي كل خلية) إلى حالة الإستقرار اللاعضوية [. . .] . ويقوم الليبيدو بمهمة تحييد هذه النزوة التدميرية ، ويتخلص منها بتحويلها في جزئها الأعظم إلى الخارج ، وبتوجيهها ضد موضوعات العالم الخارجي ، وذلك بمساعدة نظام عضوي خاص ، هو الجهاز العضلي . وتسمى هذه النزوة ساعتئذ نزوة التدمير ، ونزوة السطوة ، أو إرادة القوة . يوضع جزء من هذه النزوة مباشرة في خدمة الوظيفة الجنسية حيث يلعب دوراً هاماً . تلك هي السادية الفعلية . بينما لا يتبع جزء آخر هذا الإنتقال إلى الخارج ، بل يظل ضمن المتعضى حيث يربط لبيدياً [. . .] . وفيه يتعين علينا التعرّف على المازوشية الأصلية ، المولدة للغلمة »(3a) .

ولقد تمكن فرويد من وصف لعبة إمتزاج نزوة الحياة مع نزوة الموت ، سواء في شكلها السادي(2c) ، أم في شكلها المازوشي(3b) ، خلال النمو الليبيدي للفرد .

وهكذا أصبحت نزوات الموت تندرج في ثنائية جديدة ، حيث تتعارض مع نزوات الحياة (أو الإيروس) التي أصبحت تستوعب منذ ذلك الحين مجمل النزوات التي سبق لفرويد أن ميزّها (أنظر : نزوات الحياة ؛ النزوة الجنسيه ؛ نزوات حفظ الذات ؛ ونزوات الأنا) . وهكذا تبدو نزوات الموت إذاً ، في المفهوم الفرويدي ، كنمط جديد تماماً من النزوات ، لم يكن لها مكانٌ ضمن التصنيفات السابقه (ذلك أن السادية والمازوشية كانتا على سبيل المثال تفسّران من خلال تفاعل معقد لنزوات ذات مرمى إيجابي تماماً (4d) . إلا أنّ فرويد يرى فيها النزوات بإمتياز بمقدار ما يتحقق فيها الطابع التكراري للنزوة بجلاء .

***

ما هي إذاً الأسباب الأكثر بروزاً والتي حدتْ بفرويد إلى القول بوجود نزوة موت ؟

1 ـ أول هذه الأسباب هي ضرورة الأخذ بعين الإعتبار ظواهر التكرار ، التي تظهر في أكثر المجالات تنوعاً ، (أنظر : إضطرار التكرار) ، والتي لا تقبل الرد بسهولة إلى البحث عن إشباع لبيدي ، أو إلى مجرد محاولة السيطرة على التجارب المزعجة ؛ إذ يرى فيها فرويد علامة على « ما هو شيطاني » ، وتعبيراً عن قوة لا يمكن كبح جماحها ، مستقلة عن مبدأ اللذة وقابلة للتعارض معه . وإنطلاقاً من هذه الفكرة ، توصل فرويد إلى القول بفكرة الطابع النكوصي للنزوة ، وهي الفكرة

التي أدت به ، من خلال متابعتها بشكل منهجي ، إلى أن يرى في نزوة الموت نموذجاً للنزوة بامتياز .

2 ـ ثم هناك الأهمية التي تحتلها في التجربة التحليلية النفسية أفكار التجاذب الوجداني ، والعدوانية ، والسادية والمازوشية ، كما تبرز مثلاً من اللائحة العيادية لكل من الهجاس والسوداوية .

3 ـ وأما الحقد فلقد بدا لفرويد رأساً أنه يستحيل رده إلى النزوات الجنسية ، من وجهة نظر ما وراء نفسانية . فهو لم يتبنّى مطلقاً الأطروحة القائلة بأن « . . . كل ما هو خطير وعدائي في الحب يجب إرجاعه إلى ثنائية قطبية أصيلة لكياننا الخاص » (5a) . وفي « النزوات ومصير النزوات عام1915 ، ربط كل من السادية والحقد بنزوات الأنا حيث يقول : « . . . لا تصدر النماذج الأصلية الحقيقية لعلاقة الحقد عن الحياة الجنسية ، بل هي تنبع من نضال الأنا من أجل بقائه وتوكيد ذاته » (4b) ، إذ يرى فرويد في الحقد علاقة بالموضوعات « أقدم من الحب » (4c) . وحين مال إلى إزالة التمييز ما بين نوعي النزوات (أي النزوات الجنسية ونزوات الأنا) ، من خلال ردهما إلى مجرد كيفيات ليبيدية ، وذلك أثر تقديمه للنرجسية ، فقد نتصور أن إستخلاص الحقد من ضمن إطار أحادية نزوية ، بدا وكأنه يطرح عليه صعوبة خاصة . وبدت مسألة « المازوشية الاولية » التي أثارها منذ العام1915 (4c) كأنها المؤشر الذي يشير إلى أحد قطبي ثنائية نزوية جديدة كبرى مقبلة .

إن مطلب الثنائية يظل كما هو معلوم ، أساسياً في الفكر الفرويدي ؛ فهو يتبدى في العديد من المظاهر الإنبنائية للنظرية ، كما يترجم مثلاً في فكرة الأزواج المتعارضة . ويصبح هذا المطلب ملحاً وحتمياً بشكل خاص حين نكون بصدد النزوات إذ أنها تشكل القوى التي تتجابه في الصراع النفسي (2d) في نهاية المطاف .

●●●

ما هو الدور الذي يعطيه فرويد لفكرة نزوة الموت ؟ تجدر الملاحظة بادىء ذي بدء بأنه يشير هو نفسه إلى أنها تقوم على إعتبارات تخمينية قبل كل شيء ، وأنها فرضت نفسها عليه تدريجياً : « لقد قدمت هذه المفاهيم في البداية بقصد معرفة إلى أين يمكن أن توصلنا ، ولكن ومع تقدم الأعوام ، إكتسبت سطوة عليّ لدرجة لم يعد بإمكاني معها التفكير بشكل مغاير» (5b) . ويبدو أن القيمة النظرية للفكرة وتطابقها مع مفهوم معين عن النزوة هما اللذان جعلا فرويد مهتماً خصوصاً بالدفاع عن أطروحة نزوة الموت ، وذلك بالرغم من « المقاومات » التي لقيتها في الوسط التحليلي النفسي ، ورغم صعوبة دعمها بأسانيد من التجربة المحسوسة . ففي الحقيقة ، تبين الوقائع ، كما أشار فرويد إلى ذلك في العديد من المناسبات ، أنه حتى في الحالات التي تتجلى فيها النزعة إلى تدمير الآخر ، أو الذات بأبلغ صورها ، وحيث يبلغ غضب التدمير ذروته ، يمكن أن نلمس دوماً وجود إشباع ليبيدي ، وهو إشباع جنسي موجه نحو الموضوع أو هو يتخذ شكل إستمتاع نرجسي(5c) . « فما نحن بصدده في هذا المقام ليس أبداً حركات نزوية صافية ، بل مزيج متفاوت في مقاديره من النزوتين »(6d) . ذلك هو المعنى المقصود حين يقول فرويد أحياناً عن نزوة الموت أنها « . . . تفلت من إدراكنا لها حين لا تصطبغ بالغلمة »(5d) .

ويترجم هذا أيضاً في الصعوبات التي يعاني منها فرويد للإستفادة من هذه الثنائية النزوية الجديدة في نظرية الأعصبة أو في نماذج الصراع : « إننا نمر دائماً وأبداً بتجربة إكتشاف كون الحركات النزوية هي وليدة الإيروس ، في كل مرة نتمكن فيها من إعادة رسم مسارها . إنه لمن الصعب علينا الحفاظ على مفهومنا الثنائي الأساسي ، لولا الإعتبارات التي أبرزناها في « ما فوق مبدأ اللذة » وفي نهاية المطاف لولا إسهامات السادية في الإيروس »(7a) . ونفاجأ فعلاً أن نرى ، في نص من مثل « الصد ، العارض والقلق عام 1926 » والذي يعالج مجمل مشكلة الصراع العصابي وكيفياته المختلفة ، المكانة الضئيلة التي يخصصها فرويد للتعارض ما بين النمطين النزويين الكبيرين ، وهو تعارض لا يعطيه أي دور دينامي من أي نوع كان . وحين يطرح فرويد صراحة مسألة(7b) العلاقة ما بين أركان الشخصية التي ميزها لتوه ـ أي الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى ـ وبين فئتي النزوات ، يلاحظ أن الصراع ما بين الأركان لا يتطابق مع الثنائية النزوية ؛ وإذا كان فرويد يجهد فعلاً في تحديد نصيب كل من النزوتين في تشكيل كل ركن ، فإننا على العكس من ذلك لا نرى التعارض المفترض ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت فاعلاً ، حين يتعلق الأمر بوصف كيفيات الصراع : « ليس مطروحاً أبداً قصر أي من النزوتين الأساسيتين على حيز نفسي واحد فقط بل يتعين علينا أن نجدهما كلتيهما في كل مكان »(1b) . وغالباً ما تصبح الهوة ما بين نظرية النزوات الجديدة وبين النظرية الموقعية الجديدة أكثر وضوحاً : إذ يصبح الصراع صراعاً ما بين الأركان وحيث ينتهي الهو بتمثيل مجمل المتطلبات النزوية في مقابل الأنا . فبهذا المعنى قيض لفرويد القول بأن التمييز ما بين نزوات الأنا ونزوات الموضوع يحتفظ بقيمته ، على المستوى التجريبي ؛ إذ إن « . . . التخمين النظري (وحده) [هو] الذي يجعلنا نحدس بوجود نزوتين أساسيتين [الإيروس ونزوة التدمير] تستتران وراء النزوات الصريحة ، أي نزوات الأنا ونزوات الموضوع »(8) . وهكذا نرى أن فرويد يعود هنا ، حتى على الصعيد النزوي ، إلى نموذج الصراع السابق على نشر كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » (أنظر : ليبدو الأنا ، ليبدو الموضوع) ، من خلال الإفتراض البسيط بأن كل واحدة من القوتين المتواجدتين ، اللتين نراهما تتجابهان (« نزوات الأنا » و« نزوات الموضوع ») تغطي بدورها إتحاداً ما بين نزوات الحياة والموت .

وأخيراً ، نفاجأ بضآلة التغيير الصريح الذي تحمله معها نظرية النزوات الجديدة ، سواء على صعيد وصف الصراع الدفاعي ، أم على صعيد تطور المراحل النزوية(6b) .

وإذا كان فرويد يؤكد على فكرة نزوة الموت ويتمسك بها حتى نهاية أعماله ، فهو لا يفعل ذلك باعتبارها فرضية تفرضها نظرية الأعصبة . بل هو يفعل ذلك لأنها نتاج مطلب تخميني يعتبره فرويد أساسياً ، هذا من ناحية ، ولأنه يبدو أن لا مندوحة من إقتراحها من خلال إلحاح وقائع محددة تماماً ، ولا تقبل الإختزال ، وهي وقائع تكتسب في نظره أهمية متزايدة في الممارسة العيادية وفي العلاج من ناحية ثانية : « إذا أحطنا بمجمل اللائحة التي تكونها تجليات المازوشية المتأصلة في العديد من الأشخاص ، وفي الإستجابة العلاجية السلبية ، وفي مشاعر الذنب عند العصابيين ، لا يعود بمقدورنا التمسك بالإعتقاد القائل بأن النشاط النفسي الوظيفي محكوم بالنزعة نحو اللذة دون ما

عداها . تدل هذه الظواهر بشكل لا يمكن تجاهله على وجود قوة في الحياة النفسية نسميها تبعاً لأهدافها، نزوة العدوان أو التدمير، والتي نجعلها تتفرع عن نزوة الموت الأصلية في المادة الحية» (9) .

وبالإمكان تلمّس فعل نزوة الموت حتى في حالتها الصافية حين تنزع إلى الإنفصال عن نزوة الحياة ، كما هو الحال في حالة السوداوي الذي يبدو وكأن الأنا الأعلى عنده عبارة عن « . . . منبت لنزوة الموت » (7c) .

***

ويشير فرويد نفسه إلى أن فرضيته التي « . . . تستند بشكل رئيسي إلى أسس نظرية ، ليست بدورها بمنأى عن الإعتراضات النظرية » (5c) . وهذا هو بالفعل المسلك الذي سار عليه العديد من المحللين القائلين بأن فكرة نزوة الموت لم تكن مقبولة ، من ناحية ، وبأنه يتعين تأويل الوقائع العيادية التي أثارها فرويد دون اللجوء إليها من ناحية ثانية . ويمكن تصنيف هذه الإنتقادات باختصار ، تبعاً لمستويات مختلفة :

1 ـ فمن وجهة النظر ما فوق النفسانية ، هناك رفض لجعل خفض التوترات وقفاً على مجموعة محددة من النزوات ؛

2 ـ وهناك محاولات لوصف تكوين العدوانية : إما بجعلها عنصراً ملازماً في الأصل ، لكل نزوة ، باعتبار أنها تتحقق من خلال نشاط يفرضه الشخص على الموضوع ، أو حتى باعتبارها كرد فعل ثانوي على الإحباط الصادر عن الموضوع ؛

3 ـ ثم هناك الإعتراف بأهمية وإستقلالية النزوات العدوانية ، ولكن بدون إمكانية ردها إلى نزعة عدوانية ذاتية ؛ أي رفض تكريس أقنومية زوجا التعارض ما بين : نزوات الحياة ونزوة تدمير الذات في كل كائن حي . صحيح أنه بالإمكان تأكيد وجود مباشر للتجاذب النزوي ، إلا أن التعارض ما بين الحب والحقد ، كما يتجلى منذ البدء في الإدماج الفمي ، لا يجوز فهمه إلا من خلال العلاقة مع موضوع خارجي .

وعلى نقيض ذلك ، تعود مدرسة من مثل مدرسة ميلاني كلاين إلى التأكيد بكل قوتها على ثنائية نزوات الموت ونزوات الحياة ، حتى أنها تُعطي لنزوات الموت دوراً رئيسياً منذ بداية الوجود الإنساني ليس فقط باعتبارها متوجهة إلى الموضوع الخارجي ، بل أيضاً باعتبارها تفعل في المتعضي ، وتثير قلق الإندثار والفناء فيه . إلا أنه يمكن التساؤل حول ما إذا كانت المانوية (أي الصراع بين قوتي النور والظلام) الكلاينية تتبنى لحسابها كل المعاني التي أعطاها فرويد لهذه الثنائية . ذلك أن نمطي النزوات اللتين قالت بهما كلاين يتعارضان فعلياً على مستوى هدفهما ، إلا أنه لا يوجد بينهما فرق أساسي على مستوى مبدأ نشاطهما الوظيفي .

***

تدعونا الصعوبات التي صادفها من أتوا بعد فرويد في مكاملة فكرة نزوة الموت إلى التساؤل حول ما يقصده فرويد تحت إسم نزوة (10) ، في نظريته الأخيرة . إذ أنه لمن المحرج حقاً إطلاق

نفس تسمية النزوة وفي نفس الوقت على ما وصفه فرويد وبيّن فعله في تفاصيل النشاط الجنسي الإنساني (كما ورد في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 ») وعلى تلك « الكائنات الاسطورية » التي يراها تتجابه ليس على مستوى الصراع الذي يمكن ملاحظته عيادياً ، بل في معركة تتجاوز الفرد الإنساني ، حيث أنها تصادف بشكل مقنع عند كل الكائنات الحية ، وحتى عند أكثرها بدائية حين يقول : « . . . يمكن لتلك القوى النزوية التي تنزع الى رد الحياة الى الموت أن تعمل فعلها عندها أيضاً منذ البدء ؛ إلا أنه من العسير إثبات وجودها مباشرة ، إذ أن القوى التي تحفظ الحياة تقنع آثارها »(2e) .

يمكن التقريب ما بين تعارض النزوتين الأساسيتين ، وبين عمليتي التمثّل والتفكيك الحيويتين الكبريين؛ حتى أنه يمكن ردها من باب المبالغة إلى « . . . زوجي التعارض اللذين يسودان في المجال غير العضوي أي : الجذب والطرد »(1c) . وهكذا أكد فرويد بالعديد من الأساليب على هذا المظهر الأساسي ، وحتى الكوني ، لنزوة الموت . ويتأكد هذا المظهر خصوصاً في الرجوع إلى مفاهيم فلسفية ، من مثل مفاهيم أمبيدوقل وشوبنهاور .

ولقد أحس بعض مترجمي فرويد الفرنسيين فعلاً بأن نظريته الأخيرة في « النزوات » تقع على صعيد آخر غير نظرياته السابقة ، كما تدل عليه واقعة تفضيلهم للكلام عن « غريزة الحياة » و « غريزة الموت » بينما أنهم اعتمدوا سابقاً كلمة نزوة في مقابل كلمة Trieb الفرويدية . إلا أن مصطلحاً كهذا معرض للنقد، لأن تعبير الغريزة مخصص بالأحرى في الإستعمال (حتى عند فرويد نفسه) كي يتضمّن تصرفات مسبقة التكوين وثابتة ، يمكن ملاحظتها وتحليلها ، كما أنها نوعية تبعاً لكل فصيلة حية .

وفي الواقع إن ما يحاول فرويد إستخلاصه صراحة من خلال مصطلح نزوة الموت ، هو ما يشكل الأساس الأكثر عمقاً في فكرة النزوة ، أي العودة إلى حالة سابقة ، وفي نهاية المطاف ، العودة إلى السكينة المطلقة التي تميز المادة اللاعضوية . هذا هو ما يشكل « مبدأ » أيّ نزوة يشير إليها هنا ، فيما يتجاوز أي نمط خاص من النزوات المحددة .

وبهذا الصدد ، فإنه لمن المفيد أن نتحقق من الصعوبات التي يشعر بها فرويد في موضعة نزوة الموت ، بالنسبة « لمبادىء النشاط النفسي الوظيفي » التي وضعها منذ فترة بعيدة ، وخصوصاً بالنسبة لمبدأ اللذة في المقام الأول . وهكذا فهو يفترض نزوة الموت في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة » كما يدل على ذلك عنوان الكتاب بحد ذاته ، إنطلاقاً من وقائع يفترض فيها أن تحبط ذلك المبدأ ، ولكنه يخلص في نفس الوقت إلى القول بالتوكيد التالي : « يبدو أن مبدأ اللذة هو في الواقع في خدمة نزوات الموت »(2f) .

على أنه كان متنبهاً لهذا التناقض مما حدا به فيما بعد إلى تمييز مبدأ النرفانا عن مبدأ اللذة ؛ بإعتبار أن مبدأ النرفانا هذا هو مبدأ إقتصادي لخفض التوترات إلى درجة الصفر ، فإنه « . . . يخدم كلياً أغراض نزوات الموت »(3c) . بينما أن مبدأ اللذة ، الذي أصبح تعريفه عندها كيفياً أكثر منه إقتصادياً ، فهو « يمثل مطلب الليبدو »(3d) .

يمكن التساؤل حول ما إذا كان إدخال مبدأ النرفانا « المعبر عن نزعة نزوة الموت » بشكل تجديداً جذرياً . من اليسير تبيان كيف تختلط صياغات مبدأ اللذة التي قدمها فرويد خلال أعماله كلها

ما بين نزعتين : أي النزعة نحو التفريغ الكامل للإثارة والنزعة نحو الإحتفاظ بمستوى ثابت (ضبط التوازن الذاتي) . كما تجدر الإشارة على أي حال إلى أن فرويد فرّق في الفترة الأولى من بنيانه ما فوق النفساني (أي في « مشروع علم نفس علمي » عام1895) بين هاتين النزعتين بالحديث عن مبدأ القصور ، ومن خلال تبيان كيفية تعديله إلى نزعة « للإحتفاظ بثبات مستوى التوتر »(10) .

ولقد إستمر التمييز ما بين هاتين النزعتين على كل حال ، بمقدار ما تتطابقان مع نمطين من الطاقة ، الحرة والمربوطة ، ومع أسلوبين في النشاط النفسي أي (العمليات الأولية والعمليات الثانويه) . ويمكن أن نرى من هذا المنظور في أطروحه نزوة الموت توكيداً جديداً لما أقره فرويد على الدوام من أنه يشكل جوهر اللاوعي فيما يحمله من خاصية أبدية ولا واقعية لا تقبل التحول . يتلازم هذا التوكيد الجديد لما هو أكثر جذريه في الرغبة اللاواعية مع طفرة في الوظيفة النهائية التي ينسبها فرويد إلى الجنسيه . وهكذا أصبحت الجنسية تعرّف فعلياً ، تحت إسم الإيروس ، ليس كقوة تمزيق تحمل الإضطراب في ثناياها ، بل كمبدأ تماسك : « إن هدف [الإيروس] هو إرساء وحدات متزايده في كبرها على الدوام ، وهكذا فهدفه هو الإحتفاظ : وهذا هو الإرتباط ؛ بينما أن هدف [نزوة التدمير] هو على العكس من ذلك حل هذه التجميعات ، وهكذا فهدفها هو تدمير الأشياء »(11) . (أنظر : نزوات الحياة) .

***

على كل حال ، حتى ولو أمكننا أن نكتشف أن فكرة نزوة الموت تمثل تحولاً جديداً لمطلب أساسي وثابت في الفكر الفرويدي ، فلا يمكن أن تفوتنا الإشارة إلى أنها تحمل معها مفهوماً جديداً : فهي تجعل من النزعة إلى التدمير ، كما تتبدى في السادومازوشية على سبيل المثال ، معطى غير قابل للإختزال إلى ما عداه ، وهي إلى ذلك تشكل التعبير المفضل عن المبدأ الأكثر جذرية للنشاط النفسي كما أنها تربط أخيراً وبشكل لا فكاك له كل رغبة سواء أكانت عدوانية أم جنسية ، برغبة الموت ، بإعتبارها تكوّن « أقصى ما هو نزوي » .

(1) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 148-9 ; Fr., 8. — *b)* G.W., XVII, 71-2 ; S.E., XXIII, 149 ; Fr., 9. — *c)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 149 ; Fr., 8-9. — *d)* G.W., XVII, 71 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 8.

(2) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. — *a)* G.W., XIII, 47 ; S.E., XVIII, 44 ; Fr., 51. — *b)* G.W., XIII, 55 ; S.E., XVIII, 49 ; Fr., 57. — *c)* G.W., XIII, 58 ; S.E., XVIII, 54 ; Fr., 62. — *d)* G.W., XIII, 57 ; S.E., XVIII, 54 ; Fr., 61. — *e)* G.W., XIII, 52 ; S.E., XVIII, 49 ; Fr., 56-7. — *f)* G.W., XIII, 69 ; S.E., XVIII, 63 ; Fr., 74.

(3) Freud (S.). *Das ökonomische Problem des Masochismus*, 1924. — *a)* G.W., XIII, 376 ; S.E., XX, 163 ; Fr., 216. — *b)* G.W., XIII, 377 ; S.E., XX, 164 ; Fr., 217. — *c)* G.W., XIII, 372 ; S.E., XX, 160 ; Fr., 212. — *d)* G.W., XIII, 273 ; S.E., XX, 160 ; Fr., 213.

(4) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 220 sq. ; S.E., XIV, 127 sq. ; Fr., 44 sq. — *b)* G.W., X, 230 ; S.E., XIV, 138 ; Fr., 63. — *c)* G.W., X, 231 ; S.E., XIV, 139 ; Fr., 64. — *d)* G.W., X, 220-1 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 45.

(5) Freud (S.). *Das Unbehagen in der Kultur*, 1930. — *a)* G.W., XIV, 478 ; S.E., XXI, 119 ; Fr., 55. — *b)* G.W., XIV, 478-9 ; S.E., XXI, 119 ; Fr., 55. — *c)* G.W., XIV, 480 ; S.E., XXI, 121 ; Fr., 56. — *d)* G.W., XIV, 479 ; S.E., XXI, 120 ; Fr., 55. — *e)* G.W., XIV, 480-1 ; S.E., XXI, 121-2 ; Fr., 56.

(6) Freud (S.). *Hemmung, Symptom und Angst*, 1926. — *a)* G.W., XIV, 155 ; S.E., XX, 125 ; Fr., 48. — *b)* Cf. G.W., XIV, 155 ; S.E., XX, 124-5 ; Fr., 47-8.
(7) Freud (S.). *Das Ich und das Es*, 1923. — *a)* G.W., XIII, 275 ; S.E., XIX, 46 ; Fr., 203. — *b)* Chap. IV, *passim*. — *c)* G.W., XIII, 283 ; S.E., XIX, 53 ; Fr., 211.
(8) Freud (S.). *Psycho-Analysis*. 1926. G.W., XIV, 302 ; S.E., XX, 265.
(9) Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. G.W., XVI, 88 ; S.E., XXIII, 243 ; Fr., 28-9.
(10) Freud (S.). All., 380-1 ; Angl., 356-8 ; Fr., 316-7.

نزوات حفظ الذات

Pulsions d'auto- conservation
Eng. : Instincts of self- preservation
D. : Selbsterhaltungstriebe

■ يدل فرويد بهذا المصطلح على مجمل الحاجات المرتبطة بالوظائف الجسدية الضرورية لحفظ حياة الفرد ؛ ويشكل الجوع نموذجها الأول .
تتعارض نزوات حفظ الذات ، تبعاً لفرويد وضمن إطار نظريته الأولى عن النزوات ، مع النزوات الجنسية ■ .

مع أن مصطلح نزوة حفظ الذات لم يظهر عند فرويد إلا في العام 1910 ، إلا أن فكرة إقامة نمط آخر من النزوات في مقابل النزوات الجنسية ، سابقة على هذا التاريخ . فهي في الواقع موجودة ضمنياً فيما يتحدث عنه فرويد ، إنطلاقاً من « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » من إستناد الجنسية إلى وظائف جسدية أخرى (أنظر : إستناد) إذ تستند اللذة الجنسية على المستوى الفمي على سبيل المثال ، إلى نشاط التغذية : « حيث كان يرتبط إشباع المنطقة المولدة للغلمة في البداية ، بإشباع الحاجة إلى الغذاء »(1a) ؛ كما يتحدث فرويد في نفس السياق عن « نزوة التغذية » (1b) .

وفي العام 1910 ، أعلن فرويد عن التعارض الذي سيظل يشغل مكانة مركزية في نظريته الأولى عن النزوات : « فمن الأهمية بمكان [. . .] ذلك التعارض الذي لا مجال لإنكاره ما بين النزوات المستخدمة في الجنسية ، أي في الحصول على اللذة الجنسية ، وبين تلك الأخرى التي تهدف إلى المحافظة على ذات الفرد ، أي نزوات الأنا : إذ يمكن تصنيف كل النزوات العضوية الفاعلة في نفسيتنا تبعاً لتعبيري الشاعر ، إما إلى نزوات « جوع » أو إلى نزوات « حب » (2) . تتضمن هذه الثنائية مظهرين بيّنهما فرويد معاً في بعض نصوص تلك المرحلة (من أعماله) وهما : إستناد النزوات الجنسية إلى نزوات حفظ الذات ، والدور الحاسم الذي يلعبه تعارضهما في الصراع النفسي . ويوضح لنا مثل من نوع الإضطرابات الهستيرية في البصر هذا المظهر المزدوج : إذ يشكل نفس العضو ، وهو هنا العين ، السند لنمطي النشاط النزوي ؛ كما يمكن أن يصبح موضع العارض ، فيما لو قام صراع بينهما .

يمكن للقارىء أن يرجع ، فيما يتعلق بمسألة الإستناد إلى تعليقنا حول هذا المصطلح . وأما فيما

يتعلق بأسلوب وصول هذين النوعين الكبيرين من النزوات إلى التعارض في الصراع الدفاعي ، فإننا نجد أوضح المقاطع حوله في مقالة « صياغات حول مبدأي النشاط النفسي الوظيفي عام1911 » .
وبما أن نزوات الأنا لا يمكن أن تحصل على الإشباع إلا من خلال موضوع واقعي ، فإنها سرعان ما تحقق العبور من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع ، لدرجة تصبح معها الممثلة الفعلية لهذا الواقع متعارضة في ذلك مع النزوات الجنسية التي يمكنها الحصول على الإشباع على الصعيد الهوامي ، مما يبقيها زمناً أطول تحت سيطرة مبدأ اللذة وحده : « ويرجع قسط أساسي من الإستهياء النفسي للعصاب إلى تأخر النزوة الجنسية في أخذ الواقع بعين الإعتبار »(3) .

يتركز مثل هذا المفهوم في الفكرة التي يعرضها فرويد أحياناً : إذ يقدم لنا الصراع ما بين النزوات الجنسية ونزوات حفظ الذات مفتاحاً لفهم أعصبة النقلة (أنظر بصدد هذه النقطة تعليقنا حول : نزوات الأنا) .

***

لم يهتم فرويد أبداً بتقديم عرض متكامل حول مختلف أنواع نزوات حفظ الذات ؛ وهو حين يتكلم عنها ، فإنه يفعل ذلك على الأغلب بشكل إجمالي ، أو إنطلاقاً من النموذج المفضل لديه والمتمثل بالجوع . وعلى كل حال ، يبدو أنه يقر بوجود العديد من نزوات حفظ الذات ، بعدد الوظائف العضوية الكبرى (أي التغذية ، التغوط ، التبول ، النشاط العضلي ، البصر ، إلخ .) .

وقد يؤدي بنا التعارض الفرويدي ما بين النزوات الجنسية ونزوات حفظ الذات إلى التساؤل حول مشروعية إستعمال مصطلح النزوة ذاته للدلالة على هاتين الطائفتين من النزوات . تجدر الملاحظة بادىء ذي بدء إلى أن فرويد حين يعالج موضوع النزوات بشكل عام ، فإنه يرجع بشكل متفاوت في صراحته إلى النزوة الجنسية ، وهو يسبغ على النزوة سمات من مثل تقلب الهدف وعدم رسوخ الموضوع . وعلى العكس من ذلك فإن المنافذ تكون مشكّلة سلفاً بالنسبة لـ « نزوات » حفظ الذات ، كما يكون الموضوع الذي يحقق لها الإشباع محدداً رأساً ؛ ويمكن الإستعانة في هذا الصدد بصيغة لماكس شيلر تقول بأن الجوع يتضمّن بالنسبة للرضيع « حدساً بالقيمة المسماة غذاءً »(4) .
وكما يبينه المفهوم الفرويدي لإختيار الموضوع بالإستناد فإن نزوات حفظ الذات هي التي ترشد الجنسية إلى سبيل الموضوع . ومما لا شك فيه أن هذا الفرق هو الذي قاد فرويد إلى إستخدام مصطلح الحاجة في العديد من المرات للدلالة على نزوات حفظ الذات(5a) . ولا مندوحة من الإشارة ، من وجهة النظر هذه ، إلى الطابع المصطنع لمحاولة إقامة توازٍ دقيق ما بين وظائف حفظ الذات والنزوات الجنسية ، من منظور تكويني ، وجعلها تخضع كلها بادىء الأمر لمبدأ اللذة وحده قبل أن تتبع تدريجياً مبدأ الواقع . ففي الحقيقة لا بد من وضع وظائف حفظ الذات رأساً في صف مبدأ الواقع ، وإدراج النزوات الجنسية في صف مبدأ اللذة .

وستؤدي التعديلات المتتاليه التي أدخلها فرويد على نظرية النزوات الى إجباره على طرح وظائف حفظ بشكل مختلف . ويلاحظ بادىء ذي بدء أن مفاهيم نزوات الانا ونزوات حفظ الذات التي كانت تتطابق سابقاً ستتعرض في محاولاته لإعادة التصنيف ، الى تحولات تتفاوت من الواحدة

إلى الأخرى . أما فيما يخص نزوات الأنا ، أي طبيعة الطاقة النزوية التي هي بتصرف ركن الانا ، فإننا نحيل للقارىء الى تعليقاتنا حول : نزوات الأنا ، ليبدو الأنا وليبدو الموضوع ، والأنا . وأما فيما يخصّ وظائف حفظ الذات ، فإننا سنستطيع تبسيط الأمور على الوجه التالي :

1 ـ تستمر نزوات حفظ الذات في تعارضها مع النزوات الجنسيه ، مع تقديم النرجسيه عام 1915 ، رغم أن هذه النزوات الجنسيه أصبحت تتفرع هنا تبعاً لما إذا كانت تستهدف الموضوع الخارجي (ليبدو الموضوع) أو تستهدف الانا (ليبدو الأنا) .

2 ـ وحين قام فرويد « بتقارب ظاهر مع وجهات نظر يونغ »(5) ما بين الاعوام 1915 و1920 ، وحاول تبني فكرة الواحدية النزويه ، مالت نزوات حفظ الذات لان تعتبر كحالة خاصه من حب الذات ، أو ليبدو الانا .

3 ـ وأما بعد عام 1920 فقد أدخلت ثنائيه جديدة ، هي ثنائيه نزوات الموت ونزوات الحياه . ولقد تردد فرويد بادىء الامر(6) حول موقع نزوات حفظ الذات ، إذ صنفها أولاً ضمن نزوات الموت لأنها لا تشكل سوى مداورات تعبر عن واقعه « عدم رغبة المتعضي في الموتّ إلا على طريقته الخاصه »(7) ، ولكنه سرعان ما لبث أن صوّب هذه الفكره في إتجاه رؤ يه حفظ الفرد كحالة خاصه من نزوات الحياه .

ولقد تمسك فيما بعد بوجهه النظر الأخيرة هذه حيث يقول : « لا بد ايضاً من إدراج التعارض ما بين نزوه حفظ الذات ، ونزوه حفظ النوع ، وكذلك التعارض ما بين محبه الانا ، ومحبه الموضوع ، ضمن الإيروس »(8) .

(1) Freud (S.) a) G.W., V, 82 ; S.E., VII, 181-2, Fr., 74. — b) G.W., V, 83 ; S.E., VII, 182. Fr., 76.

(2) Freud (S.). *Die psychogene Sehstorung in psychoanalytischer Auffassung*. 1910. G.W., VIII, 97-8, S.E., XI, 214.

(3) Freud (S.) G.W., VIII, 235 ; S.E., XII, 223

(4) Scheler (M.). *Wesen und Formen der Sympathie*, 1913. Fr., 295.

(5) Cf. Freud (S.). « *Psychoanalyse* » und « *Libidotheorie* », 1923. a) G.W., XIII, 221 ; S.E., XVIII, 245. — b) G.W., XIII, 231-2 ; S.E., XVIII, 257.

(6) Cf. Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. *Passim*.

(7) Freud (S.). G.W., XIII, 41 ; S.E., XVIII, 39 ; Fr., 45.

(8) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 71, S.E., XXIII, 148 ; Fr., 8.

Pulsion — نزوة

Eng. : Instinct or Drive

D. : Trieb

■ إنها عملية دينامية تتمثل في إندفاعة (شحنة طاقوية ، وعامل حركية) تنزع بالمتعضي نحو هدف معين . تنبع النزوة ، تبعاً لفرويد ، من إثارة جسدية (حالة توتر) ؛ ويتمثل هدفها في

القضاء على حالة التوتر التي تسود على مستوى المصدر النزوي ؛ ويمكن للنزوة أن تدرك هدفها هذا في الموضوع ذاته ، أو بفضله ■ .

أولاً ـ أدخل مصطلح « النزوة » على الصعيد المصطلحي ، في الترجمات الفرنسية لفرويد كمعادل للمصطلح الألماني Trieb ، وذلك بغية تجنب مضاعفات إستخدام المصطلحات الأقدم منه مثل غريزة ، ونزعة . وهناك ما يبرر الإتفاق على هذا الإصطلاح الذي لم يحترم دوماً .

1 ـ يوجد في اللغة الألمانية مصطلحان هما الغريزة Instinkt ، والنزوة Trieb . أما مصطلح النزوة فهو ذو جذر جرماني ، ولقد إستخدم منذ القدم ولا زال يحتفظ دوماً بمعنى الإندفاعة (فعل Trieben = إندفاع) ؛ ولا ينصب التركيز هنا على غائية محددة بقدر إنصبابه على توجه عام مشيراً بذلك إلى الطابع القاهر للنزوة أكثر من الإشارة إلى ثبات الهدف والموضوع .

يبدو أن بعض المؤلفين يستخدمون المصطلحين غريزة ونزوة (أ) على قدم المساواة ؛ بينما يبدو أن البعض الآخر يقيمون تمييزاً ضمنياً ، مخصصين الغريزة للدلالة على سلوك مثبت وراثياً ، يظهر بشكل موحد تقريباً عند كل أفراد النوع ، كما هو الحال في علم الحيوان على سبيل المثال (1) .

2 ـ أما عند فرويد فنجد المصطلحين بمعنيين متميزين بوضوح . فحين يتكلم فرويد عن الغريزة فإنه يفعل ذلك كي يصف سلوكاً حيوانياً مثبتاً بالوراثة ، ومميزاً للنوع الحيواني ، ويكون مجراه مشكلاً مسبقاً ومتكيفاً مع موضوعه (أنظر : غريزة) .

يحمل مصطلح الغريزة في الفرنسية نفس مضامين الكلمة الألمانية عند فرويد ، وبالتالي يجب تخصيصه في رأينا لترجمتها ؛ أما إذا إستعمل لترجمة النزوة ، فإنه سيؤدي إلى إدخال الخلل على إستعمال هذه الفكرة عند فرويد .

وإذا لم يكن مصطلح النزوة يشكل جزءاً من اللغة الفرنسية كما هو حال النزوة في الألمانية ، فإن له على كل حال ميزة تبيان معنى الإندفاعة .

تجدر الملاحظة أن « الطبعة المعيارية » الإنجليزية ، فضلت ترجمة Trieb بكلمة غريزة مستبعدة بذلك إمكانات أخرى من مثل الدافع ، والحافز (ب) . ولقد نوقشت هذه المسألة في المقدمة العامة للمجلد الأول من « الطبعة المعيارية » .

ثانياً ـ وإذا لم يظهر مصطلح النزوة في النصوص الفرويدية ، إلا في العام 1905 ، فإن أصله ، بإعتباره فكرة طاقوية ، يرجع الى التمييز الذي قام به فرويد منذ فترة مبكرة جداً ما بين نمطين من الإثارة يخضع لهما المتعضى ويتعين عليه تفريغهما تبعاً لمبدأ الثبات . فإلى جانب الإثارات الخارجية التي يستطيع الشخص تجنبها أو الإحتماء منها ، هناك مصادر داخلية تحمل بشكل ثابت دفقة من الإثارة التي لا يستطيع المتعضى الإفلات منها ، والتي تشكل القوة المحركة لنشاط الجهاز النفسي .

وتقدم « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » مصطلح النزوة ، كما تقدم التمييزات التي ما إنفك فرويد يستعملها منذ ذلك الحين ما بين المصدر ، والموضوع ، والهدف .

برزت فكرة النزوة الفرويدية من خلال وصف الجنسية الإنسانية . فلقد هاجم فرويد بعنف المفهوم الشعبي الذي يحدد للنزوة الجنسية هدفاً وموضوعاً نوعيين ويركزها في الإثارات والنشاط

الوظيفي للجهاز التناسلي ، ولقد استند في هجومه هذا على دراسة حالات الشذوذ وأوضاع الجنسية الطفلية ، على وجه الخصوص . وهو يبين على العكس من ذلك كيف أن الموضوع متقلب وخاضع للإحتمالات ، ولا يختار في شكله النهائي إلا إنطلاقاً من صروف وأحوال تاريخ الشخص . كما يبين أيضاً كيف تتعدد الأهداف وتتجزأ (أنظر : نزوة جزئية) ، وتتوقف بشكل وثيق على المصادر الجسدية ؛ كما تتعدد هذه بدورها أيضاً ويحتمل أن تتخذ بالنسبة للشخص وظيفة سائدة وتحتفظ بها (المناطق المولدة للغلمة) ، إذ لا تخضع النزوات الجزئية لسيادة المنطقة التناسلية ولا تتكامل في إنجاز الجماع إلا في نهاية تطور معقد لا يكفي النضج البيولوجي وحده لتأمين حصوله .

وأما آخر عنصر يدخله فرويد بصدد فكرة النزوة فهو عنصر الإندفاعة التي تعتبر كعامل كمي إقتصادي ، أو « كضرورة عمل مفروضة على الجهاز النفسي »(2a) . وفي كتابه « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » يجمع فرويد هذه العناصر الأربعة معاً - أي الإندفاعة ، والمصدر ، والموضوع ، والهدف - ويقدم تعريفاً شاملاً للنزوة(2b) .

ثالثاً - كيف يمكن موضعة هذه القوة التي تهاجم المتعضى من الداخل وتدفع به إلى إنجاز بعض الأعمال الكفيلة بإحداث تفريغ للإثارة ؟ فهل نحن بصدد قوة جسدية ، أم بصدد طاقة نفسية ؟ يتلقى هذا السؤال المطروح من قبل فرويد ، إجابات متنوعة بمقدار ما تُعرّف النزوة ذاتها بإعتبارها « مفهوماً - حدياً ما بين النفسي والجسدي »(3) . وهي ترتبط بالنسبة لفرويد بفكرة « الممثل » التي يقصد بها نوعاً من المفوضية التي يبعث بها الجسدي إلى النفسي . يجد القارىء فحصاً كاملاً لهذه المسألة في تعليقنا على المقالة الخاصة بالممثل النفسي .

رابعاً - نحلل فكرة النزوة ، كما أشرنا إلى ذلك ، على غرار نموذج الجنسية ، إلا أن نظرية النزوة الجنسية الفرويدية تقابلها رأساً نزوات أخرى . إذ من المعلوم أن نظرية النزوات عند فرويد تظل دوماً ثنائية ؛ أول ثنائي قال به هو ثنائي النزوات الجنسية ، ونزوات الأنا أو حفظ الذات ؛ ويقصد فرويد بهذه الأخيرة الحاجات الكبرى ، أو الوظائف الكبرى التي لا غنى عنها للمحافظة على الفرد ، ويؤخذ النموذج لها من الجوع ووظيفة التغذية .

تكون هذه الثنائية فاعلة ، تبعاً لفرويد ، منذ أصول الجنسية ، إذ تنفصل النزوة الجنسية عن وظائف حفظ الذات التي كانت تستند إليها في البداية (أنظر : إستناد) ؛ وتحاول هذه الثنائية أن توضح الصراع النفسي ، حيث يجد الأنا في نزوة حفظ الذات الطاقة الأساسية الضرورية للدفاع ضد الجنسية .

وأما الثنائية التي قدمها في « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » فهي تقابل ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت ، كما تعدّل وظيفة ووضعية النزوات في الصراع .

1 - إذ لم يعد الصراع الموقعي (ما بين الركن الدفاعي والركن المكبوت) يتطابق مع الصراع النزوي ، حيث أصبح الهو يعتبر كخزان نزوي يتضمن نمطي النزوات . وتستعار الطاقة التي يستعملها الأنا من هذا الرصيد المشترك ، وخصوصاً على شكل طاقة « مجردة من طابعها الجنسي ومتسامية » .

2 - لم يعد هذان النمطان الكبيران من النزوات في هذه النظرية الأخيرة ، يُفترضان بإعتبارهما دوافع محسوسة لنشاط المتعضى نفسه ، بل هما يعتبران كمبدأين أساسيين يضبطان في نهاية

المطاف نشاط هذا المتمضي : « نطلق إسم النزوات على القوى التي نفترضها قائمة وراء التوترات المولدة لحاجات الهو »(4) . يتضح هذا التغير في التركيز بشكل بارز من خلال النص الشهير : « نظرية النزوات هي تراثنا الأسطوري ، إذا جاز القول . فالنزوات هي كائنات أسطورية تتجلى عظمتها في عدم تحديدها »(5) .

***

يؤدي المفهوم الفرويدي للنزوة ـ كما لاحظنا في هذه الجولة الخاطفة ـ إلى تحطيم فكرة الغريزة التقليدية ، وذلك في إتجاهين متعارضين . فمن ناحية يؤكد مفهوم « النزوة الجزئية » على فكرة كون النزوة الجنسية توجد بادىء ذي بدء في حالة « متعددة الأشكال » ، وترمي أساساً إلى القضاء على التوتر على مستوى مصدره الجسدي. ، كما أنها ترتبط خلال تاريخ الشخص بممثلين يخصصون موضوعها وأسلوب إشباعها : فبينما تكون الإندفاعة الداخلية عديمة التحديد في البداية ، فإنها تخضع لمصير يطبعها بسمات على درجة عالية من التفرّد . ولكنّ فرويد ، من ناحية ثانية ، عوضاً عن إفتراضه لقوة بيولوجية وراء كل نمط من النشاط ومتطابقة معه ـ كما إنجرفَ إلى ذلك بسهولة منظرو الغريزة ـ نجده يدرج مجمل التجليات النزوية تحت تعارض أساسي أكبر ، مستعار بدوره من التقليد الأسطوري أي : التعارض ما بين الجوع والحب ، ثم التعارض ما بين الحب والخصام من بعده .

(أ) أنظر على سبيل المثال « فكرة الغريزة قديماً وحالياً » ، عام 1920 ، حيث يتحدث زيلر عن Geschlechtstrieb أحياناً وعن Geschlechtsinstinkt أحياناً أخرى .

(ب) يفضل بعض المؤلفين الأنجلو سكسون ترجمة كلمة Trieb بدافع Drive (6) .

(1) Cf. Hempelmann (F.). *Tierpsychologie*, Akademische Verlagsgesellschaft, Leipzig, 1926. *Passim*.

(2) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 214 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 33. — *b)* Cf. G.W., X, 214-5 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 33-4.

(3) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 67 ; S.E., VII, 168 ; Fr., 56.

(4) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 70 ; S.E., XXIII, 148 ; Fr., 130.

(5) Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, 101 ; S.E., XXII, 95 ; Fr., 130.

(6) Cf. par exemple : Kris (E.), Hartmann (H.), Loewenstein (R.). Notes on the Theory of Aggression, in *Psychoanalytic Study of the Child*, 1946, III-IV, 12-3.

نزوة التدمير
Pulsion de destruction

Eng. : Destructive instinct

D. : Destruktionstrieb

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح للدلالة على نزوات الموت من منظور هو أكثر قرباً من التجربة البيولوجية والنفسانية . يبلغ مدى إستعماله أحياناً ، نفس مدى مصطلح نزوة الموت ، ولكنه يصف ، على الأغلب نزوة الموت بإعتبارها موجهة نحو العالم الخارجي . ويستخدم فرويد أيضاً ، بهذا المعنى الأكثر تخصيصاً ، مصطلح : نزوة العدوان ■.

أدخلت فكرة نزوة الموت عام1920 في كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » ، ضمن إطار تخميني بشكل صريح ؛ ولكن فرويد بدأ يهتم منذ ذلك النص بالتعرف على آثارها في التجربة . ولهذا فهو غالباً ما يتحدث في نصوص لاحقة عن نزوة التدمير ، مما يتيح له إبراز هدف نزوات الموت بمزيد من الدقة .

وبما أن هذه النزوات (الموت) تفعل فعلها « بصمت أساساً » ، تبعاً لأقوال فرويد ، وبالتالي لا يمكن التعرّف عليها إلا حين تعمل في الخارج ، فإننا نفهم عندها أن مصطلح نزوة التدمير يصف آثارها الأكثر جلاء والأكثر قابلية للوصول إليها . تتحول نزوة الموت عن شخصنا الخاص ، بسبب توظيفه بالليبدو النرجسي ، وتتوجه نحو العالم الخارجي من خلال الجهاز العضلي ؛ وهي « . . . تتجلى عندها - بشكل جزئي فقط بدون شك - كنزوة تدمير موجهة ضد العالم وضد بعض الكائنات الحية الأخرى »(1) .

ولكن هذا المعنى الحصري لنزوة التدمير بالمقارنة مع نزوة الموت ، لا يظهر بنفس الوضوح في نصوص أخرى ، إذ يضمن فرويد نزوة التدمير تدمير الذات أيضاً(2) . وأما مصطلح نزوة العدوان فهو يخصص للتدمير الموجه نحو الخارج .

(1) Freud (S.). *Das Ich und das Es*. 1923. G.W., XIII, 269 ; S.E., XIX, 41 ; Fr., 197.
(2) Cf. Freud (S.). *Neue Folge der Vorlesungen zur Einfuhrung in die Psychoanalyse*, 1932. G.W., XV, 112 ; S.E., XXII, 106 ; Fr., 144.

نزوة السطوة
Pulsion d'emprise

Eng. : Instinct to master or (for mastery)

D. : Bemächtigungstrieb

■ إستعمل فرويد هذا المصطلح في بعض المناسبات ، بدون إمكانية تقنين إستعماله بدقة . يقصد فرويد بهذا المصطلح نزوة غير جنسية ، لا تتحد مع الجنسية إلا ثانوياً ، وتتخذ من السيطرة على الموضوع بالقوة هدفاً لها ■ .

تصعب ترجمة مصطلح Bemächtigungstrieb الألماني (أ) . إذ يبدو أن مصطلحات « نزوة التحكم أو غريزة الإمتلاك » التي إستُعين بها لا تفي تماماً بالغرض : فالتحكم يثير معنى السيطرة المضبوطة ، بينما يثير الإمتلاك فكرة ملكية يتعين الإحتفاظ بها ، بينما يعني الفعل الألماني الإستحواذ أو السيطرة بالقوة. ولهذا فلقد بدا لنا أننا نحترم بشكل افضل دقة المعنى بالحديث عن نزوة السطوة (ب).

ما هو كنه هذه النزوة بالنسبة لفرويد ؟ يتيح لنا الإستقصاء المصطلحي إستخلاص مفهومين بشكل مبسط :

1 - توصف نزوة السطوة في النصوص السابقة على « ما فوق مبدأ اللذة عام 1920 » كنزوة غير جنسية ، لا تتحد مع الجنسية إلا ثانوياً ؛ وهي تتوجه رأساً نحو الموضوع الخارجي ، وتشكل العنصر الوحيد المتواجد في قسوة الطفل الأصلية .

يشير فرويد إلى مثل هذه النزوة لأول مرة في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » :

: حيث يرد أصل القسوة الطفلية إلى نزوة سطوة لا تهدف في الأصل إلى إيلام الآخر ، إنما هي بكل بساطة لا تدخله في الحسبان (وهي مرحلة سابقة على كل من الشفقة والسادية)(1a) ؛ ويبدو أنها مستقلة عن الجنسية « . . . مع إمكانية الإتحاد معها في مرحلة مبكرة بفضل تلاقيهما بالقرب من نقاط منشأهما »(1b) .

تطرح نزوة السطوة في « الإستهياء للعصاب الهجاسي عام 1913 » بصدد علاقة المزاوجة ما بين النشاط والفتور التي تسود في المرحلة السادية الشرجية : فبينما تدعم الغلمة الشرجية الفتور ، « . . . يعود النشاط إلى نزوة السطوة بالمعنى الواسع ، وهي نزوة نطلق عليها إسم السادية حين نجدها في خدمة النزوة الجنسية »(2) .

وحين يعود فرويد ، في طبعة عام 1915 من « ثلاث مقالات » إلى مسألة النشاط والفتور في المرحلة الشرجية - السادية فإنه يحدد الجهاز العضلي كسند لنزوة السطوة .

وأخيراً حين توسع الأطروحة الفرويدية حول السادومازوشية بوضوح لأول مرة في « النزوات ومصير النزوات عام 1915 » يعرّف هدف « السادية » الأول على أنه الحط من قدر الموضوع والتسلط عليه بالعنف . ولا يمت صب العذاب إلى الهدف الأصلي ؛ إذ لا يظهر كل من هدف إحداث الألم والإتحاد مع الجنسية إلا في التحول إلى المازوشية : حيث تصدر السادية بالمعنى الغلمي عن تحول ثان ، هو تحول المازوشية إلى الموضوع .

2 - ومع نشر كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » وإدخال فكرة نزوة الموت ، أصبحت مسألة نزوة السطوة تطرح بشكل مغاير .

يوصف منشأ السادية كتحويل لنزوة الموت التي ترمي في الأصل إلى تدمير الشخص ذاته ، على الموضوع : « أوليس هناك ما يدعونا إلى الإفتراض بأن هذه السادية إن هي ، بالمعنى الصحيح ، إلا نزوة الموت التي أبعدت عن الأنا تحت تأثير الليبيدو النرجسي ، حتى أنها لا تصبح جلية إلا بعد إرتدادها على الموضوع ؟ وهي تدخل عندها في خدمة الوظيفة الجنسية »(3a) .

وأما فيما خصّ هدف كل من المازوشية والسادية - اللتين أصبحتا تأخذان منذ ذلك الحين على أنهما تحولات طرأت على نزوة الموت ، فلم يعد ينصب التركيز على السطوة ، بل على التدمير .

ماذا يحل إذاً بالسطوة التي لا بد من فرضها على الموضوع ؟ إنها لم تعد ملحقة بنزوة نوعية ؛ بل هي تظهر كشكل يمكن أن تتخذه نزوة الموت حين « تدخل في خدمة » النزوة الجنسية : « لا زالت السطوة في الحب تتطابق في مرحلة التنظيم الفمي لليبدو ، مع القضاء على الموضوع ، وتنفصل النزوة السادية فيا بعد ، كي تقوم أخيرا بوظيفة السيطرة على الموضوع الجنسي بمقدار ما يتطلبه إنجاز الفعل الجنسي ، بغية التناسل وذلك في المرحلة التي ترسخ فيها الصدارة التناسلية »(3b) .

* * *

وتجدر الملاحظة ، من ناحية ثانية ، أنه إلى جانب مصطلح السطوة غالباً ما نجد المصطلح الآخر ، القريب نسبياً في معناه وهو Bewaltigung . يستعمل فرويد هذه الكلمة الأخيرة ، التي نقترح ترجمتها « بالسيطرة » في الأعم الأغلب من الحالات للدلالة على واقعة السيطرة على الإثارة وربطها سواء أكانت ذات مصدر نزوي ، أم مصدر خارجي ، (أنظر : إرتباط) (حـ) . على أن التمييز المصطلحي ليس صارما قطعياً ، وخصوصاً من وجهة نظر النظرية التحليلية ، إذ يوجد أكثر من نقطة عبور ما بين السطوة التي تمارس على الموضوع ، والسيطرة على الإثارة . وهكذا فلكي يشرح التكرار سواء في لعب الطفل أم في العصاب الصدمي ، كان بمقدور فرويد أن يقدم في « ما فوق مبدأ اللذة » من ضمن عدة فرضيات ممكنة ، تلك الفرضية القائلة بإمكانية « . . . إلحاق هذه النزعة ، بنزوة السطوة . . »(3c) . تتمشى السطوة على الموضوع في هذا المقام (بإعتباره في شكله الرمزي بتصرف الشخص كلياً) جنباً إلى جنب مع ربط الذكرى الصدمية والطاقة التي تتوظف فيها

* * *

يُعد إيف هندريك واحداً من المؤلفين القلائل الذي حاول في سلسلة من المقالات إستعمال البيانات التي قدمها فرويد حول نزوة السطوة ، بغية تحديد المسألة في إطار علم نفس تكويني للأنا مستوحى من الأبحاث حول التعلم . ويمكن تلخيص أطروحاته بشكل مبسط كالتالي :

1 ـ هناك غريزة سيطرة ، أو حاجة للسيطرة على البيئة أهملها المحللون النفسيون لصالح أواليات البحث عن اللذة . حيث يتعلق الأمر « بنزوة فطرية للفعل ولتعلم كيفية الفعل »(4a) ؛

2 ـ هذه النزوة هي لا جنسية في أصلها ؛ إنما يمكن أن تتشرب باللبيدو ثانوياً ، من خلال إرتباطها مع السادية ؛

3 ـ وهي تتضمن لذة نوعية ، هي لذة تنفيذ وظيفة ما بنجاح : « . . . فهناك بحث عن لذة أولية في الإستعمال الفعّال للجهاز العصبي المركزي بغية إنجاز بعض وظائف الأنا المتكاملة ، مما يتيح الفرد أن يتحكم بمحيطه أو أن يغيره »(5a) .

4 ـ ثم لماذا الحديث عن « غريزة » سيطرة ، وعدم إعتبار الأنا كتنظيم يوفر أشكالاً من اللذة التي ليست بالضرورة إرضاءات غريزية ؟ ذلك لأن المؤلف يرمي « . . . لإقامة مفهوم يشرح ماهية القوى المحركة للأنا وظيفياً »(6) وأن « . . . يعرف الأنا إنطلاقاً من الغريزة »(4b) ومن ناحية ثانية ، يتعلق الأمر فعلياً بالنسبة إليه بـ « . . . غريزة مُعرّفة تحليلياً نفسياً ، كمصدر بيولوجي للتوترات الدافعة إلى إنماط نوعية من العمل »(5b) .

لا يفتقد مفهوم كهذا الصلة مع معنى نزوة السطوة كما حاولنا إستخلاصها من النصوص الفرويدية ؛ ولكن ما نحن بصدده هنا هو سيطرة من الدرجة الثانية تتلخص في ضبط متكيف تدريجياً للعمل نفسه .

ولم يفت فرويد على كل حال أن يصادف فكرة السيطرة على الجسد الخاص هذه ، أو فكرة وجود نزعة أولية للسيادة على الذات وهو يستند كي يبررها على « . . . مجهودات الطفل الذي يريد أن يصبح سيد أعضاء جسده »(7) .

(أ) إنه لمن الصعب حتى عزل المفهوم ، في الترجمات الفرنسية ، إذ أن نفس المصطلح يترجم بشكل متفاوت من حالة إلى أخرى .

(ب) وهي ترجمة سبق لـ : ب . غرونبرجر أن إعتمدها(8) .

(جـ) أنظر بصدد أمثال هذه الإستخدامات لكلمة Bewaltigung (سيطرة) عدداً من نصوص فرويد على سبيل المثال(9) . كما نجد أيضاً مصطلحات من مثل Bandigen (ترويض) Triebbeherrschung (السيادة على النزوة)(10) .

(1) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., V, 93-4 ; S.E., VII, 192-3 ; Fr., 89. — *b)* G.W., V, 94 ; S.E., VII, 193, n. 1 ; Fr., 89.

(2) Freud (S.). G.W., VIII, 448 ; S.E., XII, 322 ; Fr., 443.

(3) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 58 ; S.E., XVIII, 54 ; Fr., 62. — *b)* G.W., XIII, 58 ; S.E., XVII, 54 ; Fr., 62. — *c)* G.W., XIII, 14 ; S.E., XVIII, 16 ; Fr., 15.

(4) Hendrick (I.). Instinct and the ego during infancy, 1942, in *Psychoanalytic Quarterly*, XI, 40.

(5) Hendrick (I.). Work and the pleasure principle, 1943, in *Psychoanalytic Quarterly*, XII. — *a)* 311. — *b)* 314.

(6) Hendrick (I.). The Discussion of the « instinct to master », 1943, in *Psychoanalytic Quarterly*, XII, 563.

(7) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. G.W., X, 223 ; S.E., XIV, 130 ; Fr., 49.

(8) Grunberger (B.). In *R.F.P.*, 1960, 24, n° 2, 143.

(9) Cf. par exemple : Freud (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1895. G.W., I, 336 et 338 ; S.E., III, 110 et 112. *Zur Einführung des Narzissmus*, 1914. G.W., X, 152 ; S.E., IV, 85-6. *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W., XII, 83-4 ; S.E., XVII, 54-5 ; Fr., 364.

(10) Cf. Freud (S.). *Die endliche und die unendliche Analyse*, 1937. G.W., XVI, 69 et 74 ; S.E., XXIII, 225 et 229-30 ; Fr., 12.

Pulsion d'agression — نزوة العدوان

Eng. : Aggressive instinct

D. : Aggressionstrieb

■ تدل بالنسبة إلى فرويد على نزوات الموت بإعتبارها متوجهة نحو الخارج . يتلخص هدف نزوة العدوان في تدمير الموضوع ■ .

ألفرد أدلر هو الذي أدخل فكرة نزوة العدوان عام 1908 (1) ، في نفس الوقت مع فكرة « تقاطع النزوات » (أنظر : إتحاد ـ إنفصال) . ومع أن تحليل هانز الصغير قد بين بجلاء أهمية

ومدى النزعات والتصرفات العدوانية ، إلا أن فرويد رفض إتباعها « بنزوة عدوان » نوعية : « لا يمكنني حزم أمري والقبول بنزوة عدوان خاصة ، إلى جانب نزوات حفظ الذات والنزوات الجنسية التي نعرفها جيداً ، ونتعامل معها بقدم راسخة »(2) . إذ تصادر فكرة نزوة العدوان بدون وجه حق لصالحها ما يشكل الطابع العام لأي نزوة - (أنظر : عدوانية) .

وحين يعود فرويد فيما بعد إلى مصطلح نزوة العدوان في كتابه « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » فإنه يقوم بذلك في إطار النظرية الثنائية لنزوات الحياة ونزوات الموت .

وإذا كانت النصوص لا تسمح بإعتماد إستعمال للمصطلح يخلو من أي لبس إطلاقاً ، أو هي لا تسمح بإقامة توزيع دقيق للتأثير ما بين نزوة الموت ، ونزوة التدمير ونزوة العدوان ، إلا أننا نخلص على كل حال إلى أن هذا المصطلح الأخير نادراً ما يستعمل بمعناه الواسع جداً ، وإلى أنه يشير على الأغلب إلى نزوة الموت المتوجهة نحو الخارج .

(1) Cf. Adler (A.). Der Aggressionstrieb im Leben und in der Neurose (La pulsion d'agression dans la vie et dans la névrose), in *Fortschritte der Medizin*, 1908.

(2) Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*. G.W., VII, 371 ; S.E., X, 140 ; Fr., 193.

Pulsion partielle نزوة جزئية

Eng. : Component or (partial) instinct
D. : Partialtrieb

■ ندل بهذا المصطلح على العناصر الأخيرة التي يتوصل إليها التحليل النفسي ، في تحليله للجنسية . حيث يتخصص كل من هذه العناصر بمصدر معين (من مثل النزوة الفمية ، والنزوة الشرجية) ، وبهدف معين (من مثل نزوة النظر ، ونزوة السطوة) .

ولا يعني مصطلح « الجزئي » فقط أن النزوات الجزئية هي أنواع تنتمي إلى فئة النزوة الجنسية في عموميتها ؛ بل لا بد من تناوله خصوصاً بمعنى تكويني وإنبنائي : إذ تنشط النزوات الجزئية ، بادىء ذي بدء ، مستقلة عن بعضها البعض ، وتنزع من ثمّ إلى الإتحاد في مختلف التنظيمات اللبيدية ■ .

وقف فرويد دوماً موقفاً إنتقادياً إزاء أي نظرية للغرائز أو النزوات تؤدي إلى وضع قائمة لها من خلال إفتراض نزوة لكل نمط من أنماط النشاط المعروف ، كالقول « بغريزة القطيع » على سبيل المثال لتفسير الحياة الجماعية . فهو شخصياً لا يميز إلا نوعين كبيرين من النزوات : النزوات الجنسية ونزوات حفظ الذات ، أو كما ورد في مفهوم ثانٍ ، نزوات الحياة ونزوات الموت .

إلا أنه قدم فكرة النزوة الجزئية منذ الطبعة الأولى لـ « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » . ولقد كان شاغله عندها فيما أجراه من تمايز في النشاط الجنسي ، هو إستخلاص « مكونات » جهد لربطها بمصادر عضوية متنوعة وتعريفها إنطلاقاً من أهداف نوعية .

يمكن تحليل النزوة الجنسية في مجملها إلى عدد معين من النزوات الجزئية : يقبل معظمها

الارتباط بسهولة بمنطقة محددة مولدة للغلمة ؛ (ا) بينما يُعرَّف بعضها الآخر من خلال هدفه (من مثل نزوة السطوة) مع أنه بالإمكان تخصيص مصدر جسدي لها (هو الجهاز العضلي في المثال الذي نحن بصدده) .

يمكن ملاحظة تدخل النزوات الجزئية عند الطفل في نشاطاته الجنسية المفتتة أي (« الشذوذ المتعدد الأوجه ») ، كما يمكن ملاحظتها عند الراشد على شكل لذات ممهدة للفعل الجنسي وفي حالات الشذوذ .

يتلازم مفهوم النزوة الجزئية مع مفاهيم الكلي، والتنظيم . إذ يُبيِّن لنا تحليل أي تنظيم جنسي النزوات التي تتكامل فيه . كما أن لهذا التعارض وجهاً تكوينياً ، إذ تفترض النظرية الفرويدية أن النزوات تنشط بادىء ذي بدء بشكل فوضوي كي تنتظم ثانوياً فيما بعد (ب) .

يذهب فرويد في الطبعة الأولى من « ثلاث مقالات » إلى أن الجنسية لا تبلغ تنظيمها إلا في فترة البلوغ ، مما يؤدي بالنتيجة إلى تعريف مجمل النشاط الجنسي الطفلي إنطلاقاً من النشاط غير المنظم للنزوات الجزئية .

وتؤدي فكرة التنظيم الطفلي ما قبل التناسلي إلى مزيد من رد مرحلة النشاط الحر للنزوات الجزئية إلى الوراء في الزمن وصولاً إلى مرحلة الغلمة الذاتية : « . . . حيث تبحث فيها كل نزوة جزئية ، ولحسابها الخاص ، عن إشباع لذتها من خلال الجسد الشخصي »(1) (أنظر : غلمة ذاتية) .

(أ) « ألا ترى أن تعدد النزوات يحيل إلى تعدد الأعضاء المولدة للغلمة ؟ » . ورد ذلك في رسالة من فرويد إلى أوسكار بفستر ، بتاريخ 9-10-1918 (2) .

(ب) أنظر على سبيل المثال هذا المقطع من فرويد في « التحليل النفسي ، ونظريات الليبدو ، عام 1923 » : « تتكون النزوة الجنسية، التي يمكن تسمية تجليها الدينامي في الحياة النفسية بإسم الليبدو ، من نزوات جزئية يمكن للنزوة الجنسية أن تعود فتتفكك إليها من جديد ، ولا تتحد هذه النزوات الجزئية في تنظيمات محددة إلا تدريجياً [. . .] . تنزع مختلف النزوات الجزئية في البداية نحو الإشباع بمعزل عن بعضها البعض الآخر ، ولكنها تتجمع خلال النمو وتتمركز باضطراد . يمكن التعرف على التنظيم الفمي، كمرحلة أولى من مراحل التنظيم (ما قبل التناسلي) » .

(1) Freud (S.). *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 446 ; S.E., XII, 321 ; Fr., in *R.F.P.*, 1929, III, 3, 441.

(2) Cité *in* Jones (E.). *Sigmund Freud, Life and work*, Hogarth Press, Londres, 1955. Angl., II, 506 ; Fr., P.U.F., Paris, II, 479.

(3) Freud (S.). G.W., XIII, 220 ; S.E., XVIII, 244.

Pulsion sexuelle — نزوة جنسية

Eng. : Sexual instinct

D. : Sexualtrieb

■ إنها إندفاعة داخلية يراها التحليل النفسي فاعلة في مجال أوسع بكثير من مجال النشاطات الجنسية بالمعنى الشائع للكلمة . وتتحقق فيها بأجلى الصور وأكملها بعض خصائص النزوة التي

تميزها عن الغريزة : فموضوعها غير محدد بيولوجياً بشكل مسبق ، وكيفيات إشباعها (أي إهدافها)متغيرة،ومرتبطة على وجه الخصوص بالنشاط الوظيفي لمناطق جسدية محددة (وهي المناطق المولدة للغلمة) ، إلا إنها قابلة لأن تصاحب أكثر النشاطات التي تستند إليها تنوعاً . يتضمن هذا التنوع في المصادر الجسدية للإثارة الجنسية أن لا تكون النزوة موحدة منذ البداية ، بل تكون مفتتة أولاً إلى نزوات جزئية يتم إشباعها موضعياً (وتلك هي لذة العضو) .

ويبين التحليل النفسي أن النزوة الجنسية عند الإنسان وثيقة الإرتباط بلعبة من التصورات أو الهوامات التي تعمل على تخصيصها. وهي لا تنتظم تحت صدارة النشاط التناسلي إلا في نهاية تطور معقد ومعرض لشتى الإحتمالات ، وعندها تكتسب ثبات وغائية الغريزة الظاهرتين .

يفترض فرويد ، من وجهة نظر إقتصادية ، وجود طاقة وحيدة في تقلبات النزوة الجنسية هي : الليبدو .

وأما من وجهة نظر دينامية ، فيرى فرويد في النزوة الجنسية قطباً ماثلاً بالضرورة في الصراع النفسي : إذ أنها الموضوع المفضل للكبت في اللاوعي ■ .

يبرز التعريف الذي قدمناه الإنقلاب الذي أحدثه التحليل النفسي في فكرة « الغريزة الجنسية » وذلك في الإتساع وفي الشمول على حد سواء (أنظر : جنسية) . يصيب هذا الإنقلاب كل من فكرة الجنسية ، وفكرة النزوة في آن معاً . حتى أنه ليمكن التفكير بأن نقد المفهوم « الشعبي » أو « البيولوجي » للجنسية(1) الذي يجعل فرويد يجد نفس الطاقة ، أي اللبيدو ، فاعلة في ظواهر جد متنوعة وغالباً ما تكون بعيدة كل البعد عن الفعل الجنسي يتطابق مع إستخلاص ما يميز النزوة عن الغريزة جذرياً عند الإنسان . ومن هذا المنظور يمكننا القول بأن المفهوم الفرويدي للنزوة ، الذي تمت صياغته إنطلاقاً من دراسة الجنسية الإنسانية ، لا تتأكد صحته تماماً إلا في حالة النزوة الجنسية (أنظر : نزوة ، غريزة ، إستناد ، ونزوات ~~حفظ الذات~~) .

ولقد دافع فرويد خلال أعماله كلها عن وجهة النظر القائلة بأن فعل الكبت يمارس على النزوة الجنسية بشكل إنتقائي ؛ وهو بالتالي يعطيها دوراً رئيسياً في الصراع النفسي ، مع ترك مسألة السند الذي يقوم عليه هذا الإنتقاء في نهاية المطاف مفتوحة . « ليس هناك ما يمنع نظرياً من التفكير بأن أي مطلب نزوي ، مهما كان نوعه ، يمكنه إحداث نفس عمليات الكبت وما يترتب عليها من نتائج ، إلا أن الملاحظة تكشف لنا على الدوام ، وبمقدار ما يمكننا أن نحكم على ذلك ، أن الإثارات التي تلعب هذا الدور المولد للمرض ، تصدر عن النزوات الجنسية الجزئية »(2) . (أنظر : غواية ، عقدة الأوديب ، وبعدي) .

يرد فرويد النزوة الجنسية والتي عارض في نظريته الأولى حول النزوات ، بينها وبين نزوات حفظ الذات ، يردها في ثنائيته الأخيرة ، إلى نزوات الحياة أو الإيروس . وبينما كانت تشكل في الثنائية الأولى القوة التي تخضع لمبدأ اللذة دون سواه ، تلك القوة التي « لا تقبل التدريب » إلا بصعوبة ، والتي تنشط تبعاً لقوانين العمليات الأولية ، وتشكل دوماً تهديداً من الداخل لتوازن الجهاز النفسي ، فإنها أصبحت بعد أن أطلقت عليها تسمية نزوة الحياة ، قوة تنزع إلى « الإرتباط »

وإلى تكوين الوحدات الحيوية والمحافظة عليها ؛ بينما أصبحت على العكس من ذلك ، نزوة الموت التي تمثل نقيضها هي التي تنشط تبعاً لمبدأ التفريغ الكامل .

ويتعذر فهم تغير من هذا القبيل بدون أن نأخذ بعين الإعتبار مجمل التعديلات المفهومية التي قام بها فرويد بعد العام 1920 (أنظر : نزوات الموت ، الأنا ، الإرتباط) .

(1) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 33 ; S.E., VII, 135 ; Fr., 17.

(2) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 112 ; S.E., XXIII, 186 ; Fr., 55-6.

Amnésie infantile — نسيان طفلي

Eng. : Infantile amnesia

D. : Infantile amnesie

■ هو ذلك النسيان الذي يشمل عادة وقائع السنوات الأولى من الحياة . ويرى فيه فرويد شيئاً آخر غير مجرد تأثير العجز الوظيفي الذي يعاني منه الطفل عن تسجيل إنطباعاته ؛ فهو ينتج عن الكبت الذي يصيب الجنسية الطفلية ، وينسحب على كل أحداث الطفولة تقريباً . تمتد الحدود الزمنية للمجال الذي يشمله النسيان الطفلي إلى فترة أفول عقدة الأوديب ، والدخول في مرحلة الكمون ■ .

لا يشكل النسيان الطفلي أحد مكتشفات التحليل النفسي . إنما لم يكتف فرويد أمام الحقيقة الجلية لهذه الظاهرة ، بالتفسير القائل بإنعدام النضج الوظيفي ؛ بل قدم لها تأويلاً نوعياً . وكما هو حال النسيان الهستيري ، يمكن عن حق ، إزالة النسيان الطفلي : ذلك أنه ليس . إلغاء أو غياباً لتثبيت الذكريات ، بل هو من آثار الكبت(1) . زد على ذلك ، أن فرويد يرى في النسيان الطفلي شرط حالات الكبت اللاحقة ، وخصوصاً حالة النسيان الهستيري . (إرجع بصدد النسيان الطفلي خصوصاً إلى « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية 1905 ») .

(1) Cf. Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 175-7 ; S.E., VII, 174-6 ; Fr., 66-9.

نشاط ـ فتور

Activité- passivité

Eng. : Activity- passivity

D. : Aktivität- passivität

■ هو واحد من الأزواج المتعارضة الأساسية في الحياة النفسية . وهو يخصص نوعاً أنماطاً محددة من الأهداف النزوية . وإذا طرح من وجهة نظر تكوينية ، فإن التعارض النشط ـ الفاتر يكون أولياً بالنسبة إلى التعارضات اللاحقة التي سيتكامل فيها فيما بعد : من أمثال قضيبي ـ خصي ، ومذكر ـ مؤنث ■ .

إذا كان النشاط والفتور يصفان ، بالنسبة لفرويد ، نماذج من الحياة النزوية أساساً ، فإن ذلك لا يتضمّن إمكانية إقامة تعارض ما بين نزوات نشطة ، ونزوات فاترة . فلقد بيّن فرويد ، على العكس من ذلك تماماً، وخصوصاً في سجالة مع أدلر (أنظر: نزوة العدوان)، أن النشاط يدخل في صلب تعريف النزوة : « . . . كل نزوة هي قبس من نشاط؛ وحين نتكلم بتراخ عن نزوات فاترة ، فإن ذلك لا يعني شيئاً آخر سوى أن هذه النزوات ذات هدف فاتر »(1a) .

يلاحظ المحللون النفسيون فتور الهدف هذا ، في الأمثلة المفضلة حيث يود الشخص أن يتعرض لسوء المعاملة (مازوشية) أو أن يُشاهد (هناك) . فما المقصود هنا من كلمة فتور ؟ يتعين التمييز ما بين مستويين ، السلوك الصريح ، من ناحية ، والهوامات الكامنة وراءه من ناحية ثانية . فمن الأكيد على مستوى السلوك ، أن المازوشي مثلاً يستجيب للمطالبة النزوية بالنشاط كي يضع نفسه في الوضعية التي تتيح له الإشباع . ولكنه لا يبلغ المرحلة الأخيرة من سلوكه إلا إذا وجد نفسه في وضعية تجعله تحت رحمة الآخر . أما على مستوى الهوامات فإنه يمكن أن نبيّن كيف أن أي وضعية فاترة لا تنفصل عن نقيضها ؛ وهكذا ففي المازوشية ، « . . . يضع الأنا الفاتر نفسه هوامياً في المكان [. . .] الذي يؤول الآن إلى الشخص الغريب »(1b) . وبهذا المعنى فبالامكان أن نصادف دوماً ، على مستوى الهوام ، وجود الطرفين : النشاط والفتور ، بشكل متزامن ، أو متواتر . إلا أن هذا التكامل بين الطرفين ، سواء في طبيعة الإشباع المبتغى أو في الوضعية الهوامية ، لا يجوز له أن يحجب عنا رؤية ذاك العنصر الذي لا يقبل الإختزال والذي قد يتضمنه التثبيت على دور جنسي نشط أو فاتر .

يعطي فرويد دوراً كبيراً ، على مستوى نمو الشخص ، للتعارض ما بين النشاط والفتور ، والذي يسبق الأزواج المتعارضة الأخرى من مثل : قضيبي ـ خصي ، وذكورة ـ أنوثة . وتبعاً لفرويد « . . . يظهر التعارض الموجود في كل نواحي الحياة الجنسية بأجلى صورة خلال المرحلة الشرجية ؛ حيث يتكون العنصر النشط من نزوة السطوة ، المرتبطة بدورها بالعضلات ، وأما العضو ذو الهدف الجنسي الفاتر فيمثله الغشاء المخاطي المعوي المولد للغلمة »(2) . ولكن ذلك لا يعني عدم تواجد النشاط والفتور خلال المرحلة الفمية ، إنما لا يكونا قد وصلا بعد إلى المستوى الذي يطرحان فيه كطرفين متناقضين .

تقول روث ماك برونشفيك في وصفها « للمرحلة ما قبل الاوديبية من نمو الليبيدو1940 » أنه

« توجد هناك ثلاثة أزواج متضادة طوال فترة نمو الليبدو ؛ تتداخل هذه الازواج . وتتشابك وتتمازج ، دون أن تتطابق كلياً ، وتنتهي بأن يحل الواحد منها محل الاخر ؛ تتميز حياة الرضيع والطفل بالزوجين الاولين ، وتتميز المراهقة بالزوج الثالث »(1أ) . وهي تبين كيف يبدأ الطفل بوضعيه الفنور الكامل في علاقته مع أمه التي تشبع حاجاته، كما أنها تبين كيف أن « ... كل قسط من النشاط يستند تدريجيا ، وإلى حد معين على التماهي مع الام النشطة »(3ب) .

(1) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*, 1915. — *a)* G.W., X, 214-5 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 34. — *b)* G.W., X, 220 ; S.E., XIV, 128 ; Fr., 45.

(2) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 99 ; S.E., VII, 198 ; Fr., 96.

(3) Mack Brunswick (R.) in : *Psa. Read. a)* 234. — *b)* 234-5.

Système

نظام ، منظومة

Eng. : System

D. : System

■ أنظر : ركن ■ .

Cloacale (Théorie –)

نظرية حَشْية

Eng. : Cloacal (or cloaca) theory

D. : Kloakentheorie

■ إنها نظرية الطفل الجنسية التي لا يعترف فيها بالتمييز ما بين المهبل والشرج : وكأن المرأة (تبعاً له) لا تمتلك سوى فجوة واحدة . وثقب واحد يخلط بينه وبين الشرج ؛ منه يولد الأطفال ومن خلاله يمارس الجماع ■ .

وصف فرويد ما أسماه النظرية الحشّية في مقالته حول « النظريات الجنسية الطفلية عام1908 » باعتبارها النظرية النموذجية عند الطفل ؛ وهي ترتبط في رأيه (فرويد) بتنكر الأطفال من الجنسين للإعتراف بالمهبل . يقود هذا التنكر إلى القناعة بأن « ... الطفل يوضع ، كما يطرد البراز [...] . فالنظرية الحشية ، التي تجد البرهان عليها عند العديد من الحيوانات ، هي الوحيدة القادرة على فرض معقوليتها على الطفل »(1) وتتضمن فكرة عدم وجود أكثر من ثقب واحدٍ تصوراً « حشياً » للجماع(2) .

تظهر هذه النظرية ، تبعاً لفرويد في سن مبكرة جداً . ومما يجدر ذكره ، أنها تتوافق مع بعض المعطيات التي إستخلصها التحليل النفسي ، خصوصاً فيما يتعلق بتطور الجنسية الأنثوية : « حيث

يتنافى الفصل القاطع المطلوب بين الوظائف الشرجية والتناسلية مع العلاقات الوثيقة وأوجه التماثل بينها ، سواء على المستوى الشرجي أو الوظيفي . إذ يظل الجهاز التناسلي هكذا قريب الشبه بالحشر ؛ « . . . وهو (أي الجهاز التناسلي) ليس عند المرأة سوى مجرد تابع للحشر » (أ)(3) . وفي رأي فرويد أن « المهبل المشتق من الحشر ، يجب أن يرفع إلى مرتبة المنطقة الغلمية السائدة»(4) إنطلاقاً من حالة عدم التمايز هذه .

(أ) الكلمات الأخيرة بين مزدوجين ، مأخوذة من مقالة لو أندرياس سالومي : (« الشرجي » « والجنسي » عام1916) .

(1) Freud (S.). G.W., VII, 161 ; S.E., IX, 219.
(2) Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W., XII, 111 ; S.E., XVII, 79 ; Fr., 384-5.
(3) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 88, n. ; S.E., VII, 187, n. ; Fr., 180, n. 54.
(4) Freud (S.). *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 452 ; S.E., XII, 325-6 ; Fr., in *R.F.P.*, 1929, III, 3, 447.

نُفاس Psychonévrose

Eng. : Psychoneurosis or Neuro- Psychosis

D. : Neuropsychose.

■ يستخدم فرويد هذا المصطلح لتمييز الإصابات النفسية التي تكون فيها الأعراض تعبيراً رمزياً عن الصراعات الطفلية ، وهي أعصبة النقلة ، والأعصبة النرجسية ، في تعارضها مع الأعصبة الراهنة ■ .

ظهر مصطلح النفاس في فترة جد مبكرة من أعمال فرويد ، من مثل المقالة بعنوان « حالات نفاس الدفاع عام1894 » التي تحاول ، كما يبين لنا عنوانها الفرعي ، أن تقدم « نظرية نفسانية عن الهستيريا المكتسبة ، وعن العديد من حالات الخواف والهجاسات ، وعن بعض حالات الذهان الهلاسية » .

وحين يتحدث فرويد عن النفاس ، فإنه يركز على المنشأ النفسي للإصابات التي يتضمنها حديثه . وهو يستعمل هذا المصطلح أساساً في تعارضه مع مصطلح الأعصبة الراهنة ، كما هو الحال مثلاً في « الوراثة وأسباب الأعصبة ، عام1896 » ، وكذلك في « الجنسية ودورها في أسباب الأعصبة ، عام1898 » . ونعود فنجد هذا التعارض ثانية في « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي عامي1916 -1917» .

وهكذا نرى أن مصطلح النفاس ليس مرادفاً للعصاب ؛ فهو من ناحية أولى لا يشمل الأعصبة الراهنة ، ولكنه على العكس من ذلك يشمل الأعصبة النرجسية التي يطلق عليها فرويد أيضاً إسم الذهان ، من خلال تبنيه لإستعمال طبي عقلي تعزز بإستمرار منذ ذلك الحين .

كما نلاحظ أيضاً أن هناك أحياناً غموض يحيط بمصطلح النفاس ، في الإستعمال الطبي العقلي الشائع ، وكأن الجذر «Psycho» يوحي بمصلح الذهان بالنسبة للبعض : إذ قد يحدث أن نتكلم عن النفاس بقصد مغلوط لإضفاء نوع إضافي من الخطورة ، وحتى من العليّة العضوية على مصطلح العصاب .

نفاس الدفاع

Psychonévrose de défense
Eng. : Defence neuro-psychosis
D. : Abwehr- Neuropsychose.

■ إستخدم فرويد هذا المصطلح في السنوات1894 -1896 للدلالة على عدد من الإصابات النفاسية (هستيريا ، خواف ، هجاس ، وبعض حالات الذهان) من خلال إبراز دور الصراع الدفاعي الذي إكتشف في الهستيريا .

ولكن حين ترسخت الفكرة القائلة بأن الدفاع هو وظيفة أساسية ، في أي نفاس كان ، تراجع مصطلح نفاس الدفاع الذي كان يجد تبريره في قيمته الإستكشافية ، لصالح مصطلح النفاس المحض ■

قُدّم هذا المصطلح عام1894 في مقالة بعنوان « حالات نفاس الدفاع » ، حاول فرويد فيها إستخلاص دور الدفاع في مجال الهستيريا ، ثم حاول العثور على دور هذا الدفاع ذاته بأشكال أخرى في كل من الخوافات والهجاسات وبعض حالات الذهان الهلاسي . ولم يدع فرويد في هذه المرحلة من تفكيره تعميم فكرة الدفاع لا على مجمل الهستيريا (أنظر : هستيريا الدفاع) ولا على مجمل حالات النفاس كما حدث له أن فعل بعد ذلك بفترة وجيزة . ففي الواقع ، أصبحت المسألة محسومة بالنسبة إليه في مقالته بعنوان « ملاحظات جديدة حول حالات نفاس الدفاع عام1896 » في أن الدفاع يشكل « نواة الأوالية النفسية في الأعصبة موضوع البحث »(1) .

(1) Freud (S.). G.W., I, 379-80 S.E., III, 162.

نفي

Négation

■ أنظر إنكار **(Dé) négation** ■ .

نُقلَة ، تحويل ، طرح

Transfert
Eng. : Transference
D. : Ubertragung

■ يشير مصطلح النقلة في التحليل النفسي إلى العملية التي تتجسد بواسطتها الرغبات اللاواعية من خلال إنصبابها على بعض الموضوعات ضمن إطار نمط من العلاقة التي تقوم مع هذه الموضوعات وأبرزها العلاقة التحليلية .

يتعلق الأمر هنا بتكرار نماذج أولية طفلية معاشة مع شعور مفرط بواقعيتها الراهنة .

ويغلب أن يطلق المحللون النفسيون هذه التسمية على النقلة الخاصة بوضعية العلاج ، بدون إضفاء أي صفة أخرى عليها .

تعرّف النقلة تقليدياً بأنها الأرضية التي تقوم عليها مشكلية العلاج التحليلي النفسي ، من حيث إقامته ، وأساليبه ، وتأويله والحل النهائي المميز له ■ .

لا يمتّ مصطلح النقلة الفرنسي تحديداً إلى مفردات التحليل النفسي . ذلك أن له معنى جد عام ، يقرب من معنى النقل ، مع ما يتضمنه من معنى انتقال القيم ، والحقوق ، والكيانات ، أكثر من الإنتقال المادي للأشياء (من مثل : تحويل الأموال ، وتحويل الملكية ، إلخ . . .) . ويستخدم في علم النفس بمعانٍ متعددة : التحويل الحسي (أي ترجمة إدراك ما ، من مجال حسي إلى آخر) ؛ تحويل المشاعر(1) ؛ وخصوصاً إنتقال أثر التدريب والعادات في علم النفس التجريبي المعاصر (حيث يؤدي التقدم في تعلم أحد أشكال النشاط إلى تحسن في ممارسة نشاط مختلف) . ويسمى إنتقال أثر التدريب هذا إيجابياً أحياناً ، على عكس الإنتقال المسمى سلبياً والذي يشير إلى التدخل السلبي لتعلم أول على تعلم ثانٍ (1) .

●●●

إذا كان هناك من صعوبة خاصة في إقتراح تعريف للنقلة ، فذلك عائد إلى أن هذه الفكرة قد عرفت بالنسبة للعديد من المؤلفين مدى عريضاً يصل إلى حد الدلالة على مجمل الظواهر التي تميز علاقة المريض بالمحلل النفسي ، وهي بالتالي تحمل بهذا المعنى ، أكثر من أي فكرة أخرى ، مجمل مفاهيم كل محلل عن العلاج ، موضوعه ، ديناميته ، تكتيكاته وغاياته ، إلخ . وهكذا تندرج تحتها سلسلة من المشكلات التي تشكّل موضوع المناظرات الكلاسيكية :

أ ـ ففيما يتعلق بخصوصية النقلة في العلاج : أولا تقدم الوضعية التحليلية ، بفضل صرامتها وثبات محاورها ، فرصة متميزة لطرح وملاحظة ظواهر نصادفها في مواقع أخرى ؟

ب ـ أما فيما يختص بالعلاقة ما بين النقلة والواقع : فأي سند يمكن العثور عليه من خلال فكرة تبلغ ذلك الحد من الإشكال ، كفكرة « اللاواقع » ومن صعوبة التحديد كفكرة واقعية الوضعية التحليلية ، كي نتمكن من تقدير الطبيعة اللاتكيفية مع هذا الواقع أو المتكيفة معه ، أي الطبيعة التحويلية أو غير التحويلية ، لتلك التجليات التي تظهر في العلاج ؟

جـ ـ أما فيما يتعلق بوظيفة النقلة في العلاج : فما هي الأهمية العلاجية النسبية لكل من

إسترجاع الذكريات والتكرار المعاش ؟ .

د ـ وأما فيما يختص بطبيعة محتوى النقلة : فهل نحن بصدد أنماط من السلوك ، أو أنماط من علاقات الموضوع ، أو المشاعر الموجبة أو السالبة ، أو العواطف ، أو الشحنات الليبيدية ، أو الهوامات ، وهل نحن بصدد مجمل الصورة الهوامية أم بصدد سمات خاصة منها ، أم أن الأمر يصل حد إركان الشخصية في منظور آخر نظرية للجهاز النفسي ؟

***

إن الوقوع على تجليات النقلة في التحليل النفسي وهو ما يشكل ظاهرة ما فتىء فرويد يؤكد على غرابة حدوثها(2) ، هو الذي أتاح لنا التعرف على فعل النقلة في وضعيات أخرى ، ذلك أن هذه النقلة إما أن تكون في أساس العلاقة موضع البحث (كالحال في التنويم المغناطيسي ، والإيحاء) ، أو أنها تلعب في تلك العلاقة دوراً هاماً لا بد من تحديد مداه (كما هو الحال في علاقة الطبيب مع المريض وكذلك علاقة الأستاذ مع التلميذ ،وعلاقة رجل الدين مع الإنسان التائب عن خطاياه ، الخ .) . كما أن النقلة أظهرت مدى آثارها في المراحل التي سبقت التحليل مباشرة ، في حالة آنا أو . . . التي عالجها بروير « بطريقة التفريج » وذلك قبل أن يتمكن المعالج من تحديد هويتها وإستخدامها (ب) كما أن هناك تفاوتاً ، في تاريخ هذه الفكرة عند فرويد ، ما بين المفاهيم الصريحة والتجربة الفعلية ، ولقد عانى فرويد نفسه من هذا التفاوت كما بينه بصدد « حالة دورا » . مما يحتم على من يبتغي استعراض تاريخ تطور النقلة في الفكر الفرويدي أن يتجاوز الطروحات وصولاً إلى إكتشاف النقلة فاعلة في العلاجات التي نقلت إلينا في عروض مكتوبة .

***

وحين يتكلم فرويد عن « التحويل » وعن « أفكار التحويل » بصدد الحلم ، فإنه يشير بذلك إلى طراز من « الإزاحة » حيث تعبر الرغبة اللاواعية وتتقنع في آن معاً من خلال المادة التي تقدمها بقايا الأمس ما قبل الواعية(3a) .. ولكن من الخطأ أن نرى في هذا التحويل أوالية مختلفة عن النقلة حين نحاول تبيان ما صادفه فرويد خلال العلاج : « . . . يعجز التصور اللاواعي بحد ذاته كلياً عن النفاذ إلى ما قبل الوعي ، ولا يمكنه ممارسة أي تأثير على هذا المستوى إلا بإرتباطه بتصور تافه ينتمي في الاصل إلى ما قبل الوعي ، وذلك من خلال تحويل طاقته إلى هذا التصور ما قبل الواعي وبالحصول على تغطية من قبله . تلك هي واقعة النقلة التي تقدم التفسير للعديد من الظواهر الملفتة للنظر في حياة العصابيين العقلية »(3b) . ويوضح فرويد في « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » على نفس النسق ، الحالات التي تنقل فيها إحدى المريضات التصورات اللاواعية على شخص الطبيب : « ظهر محتوى الرغبة بادىء الأمر في وعي المريضة بدون أدنى ذكرى لظروفه المحيطة التي تتيح إعادة إدراجه في الماضي . وهكذا فإنطلاقاً من قهر الترابط المسيطر على الوعي ترتبط الرغبة الحاضرة ساعتئذٍ بشخص يستحوذ على أفكار المريضة بشكل مشروع ، وتكون نتيجة خلل الترابط هذا الذي اطلق عليه تسمية الإرتباط الخاطىء ، أن تستيقظ نفس الإنفعالات التي أدت بالمريض في حينها إلى نبذ هذه الرغبة المحرمة »(4a) .

لم تكن النقلة في الأصل بالنسبة لفرويد ، على الأقل نظرياً ، إلا حالة خاصة من إزاحة العاطفة من تصوز إلى تصور آخر . وإذا وقع الإختيار بشكل مفضل على التصور الذي يمثله المحلل عند المريض فذلك لأنه يُكَوِن نوعاً من البقايا « النهارية » التي تظل دوماً بتصرف المريض ، ولأن هذا النمط من النقلة يسهِّل ، من ناحية ثانية ، المقاومة ، مما يجعل الإفصاح عن الرغبة المكبوتة في غاية الصعوبة ، طالما أنها تنصب الآن على الشخص الذي تستهدفه (وهو الطبيب)(4b, 5a) . كما نرى أن النقلة في تلك المرحلة (من فكر فرويد) كانت تعتبر كظاهرة محددة جداً في موضعها . وهكذا كانت تعامل كل نقلة كأي عارض آخر(4c)، بشكل يحفظ أو يستعيد العلاقة العلاجية القائمة على التعاون المستند إلى الثقة ، حيث يوسط فرويد التأثير الشخصي للطبيب(4d) من بين العوامل الأخرى ، بدون أن يرجع البتة هذا التأثير إلى النقلة .

وهكذا يبدو أن فرويد لم يكن يعتبر النقلة في البداية على أنها جزء من جوهر العلاقة العلاجية . تصادف هذه الفكرة ، حتى في حالة دورا حيث يبدو دور النقلة حاسماً ، لدرجة دعت فرويد إلى رد سبب الإنقطاع المبكر للعلاج إلى سوء تأويل النقلة ، في التعليق النقدي الذي أضافه إلى عرض الحالة . وتُبيِّن العديد من التعابير أن فرويد لا يرد مجمل العلاج في بنيته وديناميانه إلى علاقة النقلة : « ما هي هذه النقلات ؟ إنها طبعات جديدة ، نسخ عن الحركات والهوامات التي يتعين إيقاظها وجعلها واعية خلال تقدم التحليل ؛ وما يميزها نوعياً هو إحلال شخص الطبيب محل شخص آخر سبقت معرفته »(6) . ويشير فرويد بصدد هذه النقلات (لاحظ صيغة الجمع) إلى أنها لا تختلف بطبيعتها سواء توجهت إلى المحلل أو إلى أي شخص آخر ، وأنها لا تشكل من ناحية ثانية ، عناصر حليفة للتحليل إلا بشرط تفسيرها و « تصفيتها » الواحدة تلو الأخرى .

لا تلبث المكاملة التدريجية لإكتشاف عقدة الاوديب أن تعكس آثارها على النحو الذي يفهم فرويد النقلة تبعاً له . ولقد بين فرنزي منذ العام 1909 (7) كيف أن المريض يعطي للطبيب بشكل لا واعٍ دور الصور الوالدية المحبوبة أو المرهوبة الجانب ، سواء في التحليل أو حتى في تقنيات الإيحاء والتنويم المغناطيسي التي سبقته . ويشير فرويد في أول عرض شمولي كرسه للنقلة عام 1912 إلى إرتباطها « بنماذج أولية » ، وبالصور الهوامية (صورة الأب الهوامية أساساً وكذلك صورة الأم الهوامية والأخ إلخ . . .) : « . . . يندرج الطبيب في إحدى « السلاسل » النفسية التي سبق أن كونها المريض »(5b) .

يكتشف فرويد كيف أن علاقة الشخص بالصور الوالدية هي التي تعاش من جديد في النقلة بما يميزها خصوصاً من تجاذب نزوي : « كان على [رجل الفئران] أن يقتنع ، من خلال طريق النقلة المؤلم ، بأن علاقته بأبيه تتضمن فعلاً ذلك العنصر المكمل اللاواعي »(8) . يميز فرويد بهذا المعنى نقلتين : الأولى موجبة ، والأخرى سالبة ، نقلة لمشاعر رقيقة ، ونقلة لمشاعر عدائية (جـ) . ولا يغيب عن البال تسجيل القرابة بين هذين الحدين وبين المكونات الإيجابية والسلبية لعقدة الأوديب .

يتنهي توسيع فكرة النقلة هذا ، والذي يجعل منها عملية تبني مجمل العلاج على النموذج الأولي للصراعات الطفلية ، إلى إستخلاص فرويد لفكرة جديدة ، هي فكرة عصاب النقلة :

« . . . نتوصل بإستمرار إلى إعطاء كل أعراض المرض معنى تحويلياً جديداً ، وإلى إبدال عصاب المريض الشائع ، بعصاب النقلة الذي يمكن شفاؤه منه بواسطة العمل العلاجي »(9) .

●●●

يدرج فرويد النقلة بادىء ذي بدء وبمنتهى الوضوح ، من حيث « وظيفتها في العلاج » بين « العقبات » الكبرى التي تحول دون إستذكار المادة المكبوتة(4e) . إنما يشار إلى ظهورها رأساً باعتباره شائعاً ويصل حد العمومية : « . . . يمكننا الجزم بمصادفتها في كل تحليل يتصف ببعض الجدية »(4F) . وهكذا يتحقق فرويد ، خلال هذه المرحلة من مسيرته الفكرية ، من إنطلاق أوالية النقلة على شخص الطبيب في نفس اللحظة التي يحتمل فيها كشف محتويات كامنة بالغة الأهمية . تبدو النقلة بهذا المعنى كشكل من أشكال المقاومة ، في نفس الوقت الذي تشير فيه إلى إقتراب ظهور الصراع اللاواعي . وهكذا يصادف فرويد منذ البداية عنصر التناقض الذي يلف النقلة ، ذلك التناقض الذي يبرر الصياغات المتباعدة جداً التي أمكنه تقديمها عن وظيفتها : فهي ، بمعنى من المعاني ، « مقاومة النقلة» على مستوى الإستعادة اللفظية للذكريات ؛ وبمقدار ما تشكل لكل من الشخص والمحلل الطريقة المفضلة للإلتقاط الآني لعناصر الصراع الطفلي في حالته الوليدة ، فإنها بمعنى آخر ، تكوّن الأرضية التي تقوم عليها إشكالية المريض بتفردها ، في واقع راهن لا مجال لدحضه ، حيث يكون عليه مجابهة وجود وإستمرارية وقوة رغباته وهواماته اللاواعية : « إنها الأرضية التي يجب إحراز النصر عليها [. . .] . فمما لا مجال للشك فيه ، أن مهمة ترويض ظواهر النقلة تحمل أكبر الصعوبات للمحلل النفسي ؛ إنما لا يجوز أن ننسىّ أن هذه الصعوبات عينها هي التي تسدي لنا خدمة لا تقدر بتجسيدها وإبرازها للحركات الغرامية ، المطمورة والمنسية ؛ ذلك أنه ، لا يمكن في نهاية الأمر القضاء على أي شيء غيابياً أو من خلال القضاء على صورته »(5c) .

وبما أنه لا يرقى إليه الجدل ، يأخذ هذا البعد الثاني أهمية متزايدة في نظر فرويد حيث يقول : « تخدم النقلة في شكلها الإيجابي والسلبي على حد سواء ، أغراض المقاومة ؛ ولكنها تصبح بين يدي الطبيب أقوى أدوات العلاج ، حيث تلعب دوراً في دينامية عملية الشفاء ، يمكن بالكاد تجاوزه »(10) .

ولكن حتى حين يذهب فرويد إلى أقصى المدى في الإعتراف بالخاصية المفضلة للتكرار في النقلة ـ يهدر الإلتفات ، على العكس من ذلك إلى واقعة « تعذر تذكر المريض لكل ما هو مكبوت لديه، إذ قد لا يتذكر تحديداً أهم ما هو مكبوت [. . .]. بل قد يكون مجبراً على تكرار المكبوت، كتجربة معاشة في الحاضر »(11a)ـ ولكنه سرعان ما يشير إلى حاجة المحلل « . . . للحد ما أمكن من مجال عصاب النقلة هذا ، وإلى دفع أكبر قدر ممكن من المحتوى (التحليلي) في إتجاه الاستذكار ، وترك أقل قدر ممكن للتكرار »(11b) .

وهكذا تمسك فرويد دوماً بالإسترجاع الكامل للذكريات كمثل أعلى للعلاج ، وحين يتعذر ذلك ، فإنه يلجأ إلى « تشييد البنيانات » لسد ثغرات الماضي الطفلي . وبالمقابل ، فإنه لم يثمن أبداً

علاقة النقلة كغاية في حد ذاتها سواء في منظور تصريف التجارب الطفلية أو في منظور تصحيح النموذج اللاواقعي لعلاقة الموضوع .

●●●

يكتب فرويد في « دراسات حول الهستيريا » متحدثاً عن تجليات النقلة : « . . . [يجب أن يعالج] هذا العارض الجديد الذي تكون على غرار النموذج القديم ، بنفس طريقة علاج الأعراض القديمة »(4f) . أولا يفترض كذلك ، تعادلاً إقتصادياً وإنبنائياً في آن معاً ما بين الأرجاع التحويلية والأعراض الفعلية ، حين يصف لاحقاً عصاب النقلة « كمرض إصطناعي » حل محل العصاب العيادي ؟

في الواقع يبين فرويد أحياناً بروز النقلة « . . . كتسوية ما بين متطلبات [المقاومة] ومتطلبات العمل الإستقصائي »(5d) . ولكنه يظهر منذ البداية إهتمامه بكون تجليات النقلة أكثر طغياناً بمقدار إقتراب « العقدة المرضية » من الوعي ، وهو حين يرد هذه التجليات إلى إضطرار التكرار ، فإنه يشير إلى أن هذا الإضطرار لا يمكن أن يتفصح في النقلة « . . . قبل أن يلاقيه العمل العلاجي حين يؤدي إلى تراخي الكبت »(11c) . فما بين « حالة دورا » حيث يقارن النقلات « بإعادة طبعات » حقيقية لا تتضمن غالباً أي تحوير بالنسبة للهوامات اللاواعية ، إلى « ما فوق مبدأ اللذة عام1920 » حيث يقول عن إعادة الإنتاج في النقلة « بأنه يفاجئنا بحدوثه بأمانة غير مرغوب فيها ، وبأن محتواه هو دوماً قطاع من الحياة الجنسية الطفلية ، أي من عقدة الاوديب ونعرعاتها . . . »(11d) ، ما بين هذا وذاك تبرز وتترسخ فكرة تجسيد أساس الصراع الطفلي في النقلة .

من المعلوم أن التكرار في النقلة ، كما ورد ذكره في كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » هو من المعطيات التي أثارها فرويد لتبرير وضع إضطرار التكرار في مركز الصدارة : تتكرر في العلاج وضعيات وإنفعالات يتجلى من خلالها في النهاية إستعصاء الهوام اللاواعي على التدمير .

يمكننا إذاً التساؤل حول المعنى الذي يتوجب إعطاؤه لما يسميه فرويد « مقاومة النقلة » . إنه يربطها في كتابه « الصد ، العارض ، والقلق عام1926 » بمقاومات الأنا بإعتبارها تعارض الإستذكار ، وبالتالي فهي تجدد في الواقع الراهن عمل الكبت . إنما تجدر الأشارة إلى أن إضطرار التكرار يطرح ، في جوهره في نفس النص ، بإعتباره مقاومة صادرة عن الهو . (أنظر : إضطرار التكرار) .

وحين يتحدث فرويد أخيراً عن التكرار في نقلة تجارب الماضي ، ونقلة المواقف من الأهل ، إلخ . . . لا يجوز أن يؤخذ هذا التكرار بمعنى واقعي يؤدي إلى إقتصار التجسيد على العلاقات المعاشة فعلياً ؛ فما يتعرض للنقلة هو أساساً الواقع النفسي أي ، على أعمق مستوى من الشخصية ، هو الرغبة اللاواعية وما يرتبط بها من هوامات من ناحية ، أما من الناحية الثانية ، فإن تجليات النقلة ليست تكرارات حرفية ، بل هي مُعادِلات رمزية ، لما يتم تحويله .

●●●

من الإنتقادات التقليدية التي توجه إلى التحليل الذاتي لجهة فعاليته العلاجية ، كونه يستبعد من حيث المبدأ وجود وتدخل علاقة التفاعل ما بين الشخصية .

ولقد سبق لفرويد أن أشار إلى الطابع المحدود للتحليل الذاتي ؛ حين أكد في موضع آخر إلى أن التأويل لا يقبل غالباً إلا بمقدار ما تسبغ النقلة التي تفعل فعل الإيحاء ، سلطة مفضلة على المحلل . إنما يمكن القول أن الإبراز الكامل لدور المحلل « كآخر » في العلاج ، يعود إلى من خلفوا فرويد ، وذلك في إتجاهات عدة :

أولاً : يمكن فهم العلاج التحليلي النفسي ، في نفس خط النظرية الفرويدية الثانية للجهاز النفسي ، بإعتباره الموضع الذي تتجلى فيه المآزم الذاتية الداخلية والتي بدورها لا تعدو كونها مخلفات للعلاقات الطفلية مع الأخرين ، سواء كانت حقيقية أم هوامية ، تتجلى في علاقة منفتحة على التواصل . وكما أشار إلى ذلك فرويد ذاته ، يمكن أن يجد المحلل نفسه مثلاً وقد إحتل مكانة الأنا الأعلى ؛ إنما يشيع أن تجد كل عملية تفاعل التماهيات فرصتها هنا كي تنتشر و « تنحل » .

ثانياً : أما في الخط الفكري الذي أدى إلى تثمين فكرة علاقة الموضوع ، فيتم التأكيد على نشاط نماذج العلاقات المفضلة عند الشخص مع مختلف أنماط موضوعاته (الجزئية أو الكلية) في علاقة النقلة (د) . وهكذا صار عندها إلى « تفسير كل تفصيل من نقلة المريض إنطلاقاً من علاقة الموضوع(12) » كما بينه بالنت . ويمكن أن يؤدي بنا هذا المنظور إلى محاولة إيجاد تتابع المراحل التكوينية في تطور العلاج .

ثالثاً : كما يمكن التركيز ، في منظور آخر ، على القيمة الخاصة التي يتخذها الكلام في العلاج ، وبالتالي في علاقة النقلة . يوجد هذا البعد حتى في منشأ التحليل النفسي ، حيث أن التركيز في التفريغ ينصب بنفس القدر على قول الذكريات المكبوته (العلاج الكلامي) ، كما على تصريف الإنفعالات . ورغم ذلك ، يفاجئنا فرويد في وصفه لتجليات النقلة الأبرز ؛ بإدراجها في خانة « التفعيل » وبما يقول به من تعارض ما بين الإستذكار وبين التكرار كتجربة معاشة . وقد نتساءل فيما إذا كان هذا التعارض ينير حقيقة السبيل للتعرف على النقلة في بعدها المزدوج ، أي تجسيد الماضي والإزاحة على شخص المحلل .

في الواقع ، لا نفهم لماذا يمكن أن يكون المحلل معنياً بقدر أقل حين يروي له الشخص إحدى أحداث ماضية ، أو يقص عليه أحد أحلامه (هـ) ، مما لو تصدى له بالتصرف .

فقول المريض هو « كفعله » أسلوب في العلاقة قد يهدف مثلاً إلى الإستحواذ على إعجاب المحلل ، أو إبقائه بعيداً ، إلخ . . . ؛ كما أن الفعل هو كالقول طريقة في إقامة الإتصال (من مثل الهفوات) .

رابعاً : أخيراً ، وكرد فعل ضد الاطروحة المتطرفة التي ترى في النقلة ظاهرة عضوية محضة ، ومجرد إسقاط على الستارة التي يمثلها المحلل ، حاول بعض الكتّاب أن يكملوا النظرية التي تلحق النقلة أساساً بعنصر خاص بالشخص وهو « الإستهياء للنقلة » من خلال إستجلاء دور وضعية التحليل في تسهيل بروز النقلة .

وهكذا أكد البعض إما على العوامل الواقعية للمحيط التحليلي (ثبات الشروط ، الإحباط ، الوضعية الطفلية للمريض) كما ذهبت إليه إيدا ماكالبين(13) ، وإما على علاقة « الطلب » التي يرسيها التحليل مباشرة والتي « . . . يفتتح الماضي (بواسطتها) وصولاً إلى أقصى أعماق الطفولة

الأولى . فالشخص في تلك المرحلة لم يفعل سوى أن يطلب ، ولم يتمكن من العيش إلا من خلال هذا الطلب ، ونأتي كي نتابع العملية [. . .] . إذ لا يظهر النكوص شيئاً آخر سوى عودة بعض الدلالات المألوفة في الطلبات الخاضعة للقيود إلى الحاضر »(14) .

ولم يفت فرويد إدراك وجود ترابط ما بين وضعية التحليل بحد ذاتها والنقلة . حتى أنه أشار إلى أنه إذا أمكن مصادفة أنماط مختلفة من النقلة الأمومية أو الأخوية ، إلخ . . . ، « . . . فإن العلاقات الفعلية مع الأطباء تؤدي إلى أن تكون صورة الأب الهوامية [. . .] هي الحاكمة . . . »(5e) .

(أ) تجدر الملاحظة إلى أن علماء النفس الإنجليز بحوزتهم كلمتين في هذا الصدد Transfer وTransference وهم يخصصون الثانية للدلالة على النقلة بالمعنى التحليلي النفسي (أنظر بهذا الصدد مقالة إنجلش وإنجلش بعنوان تحويل ونقلة .

(ب) أنظر حول ما ترتب على هذه المرحلة من آثار ، آرنست جونز ، « حياة سيجموند فرويد وأعماله »(1953-55-57) (المجلد الأول) .

(جـ) لا بد من الإشارة هنا إلى أن الإيجابي والسلبي يصفان هنا طبيعة العواطف التي تعرضت للنقلة ، وليس إنعكاسات النقلة على تسهيل العلاج أو عرقلته . ويذهب دانيال لاجاش إلى أن « . . . مصطلحات التأثير الإيجابي أو السلبي للنقلة أكثر شمولاً ودقة . إذ نعرف أن نقلة المشاعر الإيجابية قد يكون لها آثار سلبية ؛ وعلى العكس من ذلك قد يشكل التعبير عن مشاعر سلبية تقدماً حاسماً في العلاج . . . »(15) .

(د) تجدر ملاحظة وجود هذا المصطلح عند فرويد(16) .

(هـ) أنظر ما يسمى « أحلام المسايرة » التي يقصد بها تلك الأحلام التي يظهر التحليل أنها تحقق الرغبة في إرضاء المحلل ، وإثبات تأويلاته ، إلخ .

(1) Cf. Ribot (Th.-A.). *La psychologie des sentiments*, Alcan, Paris, 1896, 1re partie, XII, § 1.
(2) Cf. Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. G.W., XVII, 100 ; S.E., XXIII, 174-5 ; Fr., 42.
(3) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* Cf. G.W., II-III, 568 ; S.E., V, 562 ; Fr., 461. — *b)* G.W., II-III, 568 ; S.E., V, 562 ; Fr., 461.
(4) Freud (S.). *Zur Psychotherapie der Hysterie*, 1895. — *a)* G.W., I, 309 ; S.E., II, 303 ; Fr., 245-6. — *b)* Cf. G.W., I, 308-9 ; S.E., II, 303 ; Fr., 245. — *c)* Cf. G.W., I, 308-9 ; S.E., II, 303 ; Fr., 245. — *d)* Cf. G.W., I, 285-6 ; S.E., II, 282-3 ; Fr., 228-9. — *e)* Cf. G.W., I, 308-9 ; S.E., II, 303 ; Fr., 245. — *f)* G.W., I, 307 ; S.E., II, 301 ; Fr., 244. — *g)* G.W., I, 309 ; S.E., II, 303 ; Fr., 246.
(5) Freud (S.). *Zur Dynamik der Übertragung*, 1912. — *a)* Cf. G.W., VIII, 370 ; S.E., XII, 104 ; Fr., 56. — *b)* G.W., VIII, 365 ; S.E., XII, 100 ; Fr., 51. — *c)* G.W., VIII, 374 ; S.E., XII, 108 ; Fr., 60. — *d)* G.W., VIII, 369 ; S.E., XII, 103 ; Fr., 55. — *e)* G.W., VIII, 365-6 ; S.E., XII, 100 ; Fr., 51-2.
(6) Freud (S.). *Bruchstück einer Hysterie-Analyse*, 1905. G.W., V, 279 ; S.E., VII, 116 ; Fr., 86-7.
(7) Cf. Ferenczi (S.). Introjection and transference, 1909, in *First Contr.*, 35-93.
(8) Freud (S.). *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. G.W., VII, 429 ; S.E., X, 209 ; Fr., 235.
(9) Freud (S.). *Erinnern, Wiederholen und Durcharbeiten*, 1914. G.W., X, 134-5 ; S.E., XII, 154 ; Fr., 113.
(10) Freud (S.). « *Psychoanalyse* » *und* « *Libidotheorie* », 1923. G.W., XIII, 223 ; S.E., XVIII, 247.
(11) Freud (S.). *Jenseits des Lustprinzips*, 1920. — *a)* G.W., XIII, 16 ; S.E., XVIII, 18 ; Fr., 18. — *b)* G.W., XIII, 17 ; S.E., XVIII, 19 ; Fr., 19. — *c)* G.W., XIII, 18 ; S.E., XVIII, 20 ; Fr., 20. — *d)* G.W., XIII, 16-7 ; S.E., XVIII, 18 ; Fr., 19.
(12) Balint (M.). *Primary love and Psycho-Analytic Technique*, Hogarth Press, Londres, 1952, 225.

(13) Cf. Macalpine (I.). The Development of the Transference, *Psa. Quarterly*, XIX, 4, 1950.
(14) Lacan (J.). La direction de la cure et les principes de son pouvoir, 1958, in *La Psychanalyse*, P.U.F., Paris, 1961, 6, 180.
(15) Lagache (D.). Le problème du transfert, 1952, in *R.F.P.*, XVI, 102.
(16) Cf. par exemple : Freud (S.). *Konstruktionen in der Analyse*, 1937. G.W., XVI, 44 S.E., XXIII, 258.

نُقْلَةُ مضادة، طرح مضاد، تحويل مضاد — Contre Transfert

Eng. : Counter- transference

D. : Gegenübertragung

■ إنها مجمل ردود فعل المحَلّلْ اللاواعية على شخص المحَلَّلْ وبالتخصيص على نُقْلَتِهِ ■ .

لم يلمح فرويد إلا في فقرات نادرة إلى ما أسماه النقلة المضادة . وهو يرى فيها نتيجة « تأثير المريض على مشاعر الطبيب اللاواعية »(1a) . حيث يشير « إلى أنه لا يمكن لأي محلل أن يذهب إلى أبعد مما تسمح له به عقده الخاصة ومقاوماته الداخلية »(1b) ، وهذا ما يستتبع بالنتيجة ضرورة خضوع المحَلِّلْ لتحليل شخصي .

حظيت النقلة المضادة ، منذ فرويد ، بإهتمام المحللين المتزايد ، خصوصاً بالقدر الذي أصبح فيه العلاج يفهم ويوصف كعلاقة ، وكذلك بسبب إمتداد التحليل النفسي إلى مجالات جديدة (أي تحليل الاطفال والذهانيين) حيث يمكن أن يزداد تحرك ردود فعل المحلل النفساني اللاواعية . نقتصر بحثنا على نقطتين فقط :

1 ـ يصادف تنوع كبير في الراي ، على مستوى تحديد المصطلح ، إذ يقصد بعض الكتاب بالنقلة المضادة كل ما يمكن أن يتدخل من شخصية المحلل في العلاج ، بينما يحصر البعض الأخر النقلة المضادة في العمليات اللاواعية التي تثيرها نَقْلَةْ المحَلَّلْ عند المحَلِلْ .

يتبنى دانيال لاجاش هذا التحديد الأخير ويوضحه ملاحظاً أن النقلة المضادة بهذا المعنى (أي رد الفعل على نقلة الأخر) لا تصادف فقط عند المحِلّلْ بل وعند المحَلَّلَ أيضاً . وهكذا لا تتطابق كل من النقلة والنقلة المضادة مع عمليات خاصة بالمحلّل من ناحية ، وبالمحلل من ناحية ثانية . وإذا أخذنا مجمل المجال التحليلي بعين الإعتبار يجدر بنا التمييز بين ما هو نقلة وما هو نقلة مضادة ، عند كل من الشخصين (أي المُحَلِّلْ والمُحَلَّلْ)(2) .

2 ـ يمكن التمييز إجمالاً ، من وجهة نظر تقنية ، بين إتجاهات ثلاثة :

أ : الحد ما أمكن من تجليات النقلة المضادة بواسطة التحليل الشخصي (للمُحلِلْ) كي تقوم بنية الوضعية التحليلية على نقلة المريض وحدها كحد أقصى ، أي كي تصبح كسطح إسقاطي ؛

ب : إستخدام تجليات النقلة المضادة في العمل التحليلي ، مع ضبطها بالطبع تبعاً لتوجيهات فرويد القائلة بأن « . . . كل منا يملك في لاوعيه الخاص أداة يمكنه بواسطتها تحليل تعبيرات لاوعي الاخرين »(3) (أنظر : الإنتباه العائم) ؛

ج : الإسترشاد في التحليل بردود الفعل الناجمة عن النقلة المضادة التي تأخذ في هذا المنظور شكل الإنفعالات المعاشة . ويفترض ميل كهذا أن التجاوب « على المستوى اللاواعي (بين المعالج والمريض) » يشكل التواصل التحليلي الأصيل الوحيد .

(1) Freud (S.). *Die zukunftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie*, 1910. — *a)* G.W., VIII, 108 ; S.E., XI, 144-5 ; Fr., 27. — *b)* G.W., VIII, 108 ; S.E., XI, 144-5 ; Fr., 27.

(2) Cf. Lagache (D.). La méthode psychanalytique, in : Michaux (L.) et coll.. *Psychiatrie*, 1036-66, Paris, 1964.

(3) Freud (S.). *Die Disposition zur Zwangsneurose*, 1913. G.W., VIII, 445 S.E., XII, 320 ; Fr., 441.

نكوص

Régression

Eng. : Regression

D. : Regression

■ نعني بالنكوص ، في عملية نفسية تتضمن معنى المسار أو النمو ، عودة في إتجاه معاكس من نقطة تم الوصول إليها إلى نقطة تقع قبلها .

إذا أخذ النكوص بالمعنى الموقعي ، فإنه يحدث ، تبعاً لفرويد، على امتداد تتابع أنظمة نفسية ، تجتازها الإثارة عادة تبعاً لإتجاه معين .

وأما بالمعنى الزماني فيفترض النكوص تتابعاً تكوينياً ويدل على عودة الشخص إلى مراحل سبق له أن تجاوزها في نموه (من مثل المراحل الليبيدية ، وعلاقات الموضوع ، والتماهيات إلخ .) .

وأما بالمعنى الشكلي فيعني النكوص التراجع إلى أساليب من التعبير والتصرف ذات مستوى أدنى من ناحية التعقيد ، والإنبناء والتمايز ■ .

يشيع إستخدام فكرة النكوص كثيراً في التحليل النفسي ، وفي علم النفس المعاصر ، وهو يعتبر في أغلب الأحيان كعودة إلى أشكال سابقة من النمو والتفكير وعلاقات الموضوع ، وإنبناء السلوك .

لم يصف فرويد النكوص بادىء الأمر من منظور تكويني محض . إذ تجدر الإشارة ، من وجهة نظر مصطلحية ، أن نكص يعني مشى عائداً إلى الوراء ، وهذا ما يمكن تصوره بمعنى منطقي أو مكاني ، أو زماني على حد سواء .

وفي كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » ، يقدم فرويد فكرة النكوص لتبيان إحدى الصفات الأساسية للحلم : إذ تظهر أفكار الحلم أساساً على شكل صور حسية تفرض نفسها على الشخص

بصيغة شبه هلاسية . يتطلب تفسير هذه الصفة مفهوماً موقعياً للجهاز النفسي ، كجهاز متكون من أنظمة ذات تتابع موجه . ففي حالة اليقظة ، تجتاز الإثارات هذه الأنظمة في إتجاه متصاعد (من الإدراك إلى الحركية) ؛ وأما في حالة النوم ، فإن الأفكار التي يمنع عليها العبور إلى الحركة ، تنكص حتى نظام : الإدراك(1a) . وهكذا يكون فرويد قد قدّم النكوص بمعنى موقعي على وجه التحديد (1) .

وأما معناه الزماني الضمني في الأساس فسوف يتخذ أهمية متزايدة باضطراد في إسهامات فرويد المتلاحقة المتعلقة بالنمو النفسي الجنسي للفرد .

وإذا لم يظهر مصطلح النكوص في « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام1905 » إلا أننا نصادف منذ ذلك الحين مؤشرات تهتم بإمكانية عودة الليبدو إلى مسالك إشباع جانبية ،(2a) وإلى موضوعات سابقة(2b) . وتجدر الملاحظة بهذا الصدد أن المقاطع التي تطرح صراحة مسألة النكوص قد أضيفت في عام1915 . كما أن فرويد نفسه قد أشار إلى أنه لم يكتشف فكرة نكوص الليبدو إلى نمط سابق من التنظيم إلا متأخراً(3a) . والواقع أنه كان لا بد من الإكتشاف التدريجي لمراحل النمو النفسي الجنسي الطفلي التي تتوالى وفقاً لترتيب معين ، (ما بين الأعوام1910 ,1912) كي يصبح بالإمكان إستخلاص فكرة النكوص الزماني تماماً . إذ يقابل فرويد في « الإستهياء للعصاب الهجاسي عام1913 » على سبيل المثال ما بين الحالات التي « . . . لم يتم فيها تجاوز التنظيم الجنسي الذي يكمن فيه الاستهياء للعصاب الهجاسي تماماً بعد أن يترسخ . . [وبين الحالات التي] . . . يستبدل فيها هذا التنظيم أولاً بمرحلة أعلى من التنظيم ، ومن ثم يحرك من جديد من خلال النكوص إنطلاقاً من هذه المرحلة الأعلى »(4) .

ولقد وجد فرويد عندها أن عليه إدخال التمايز على مفهوم النكوص ، كما يؤكده المقطع التالي الذي أضيف عام1914 إلى كتاب « تأويل الاحلام » : « نحن نميز ما بين ثلاثة أنواع من النكوص : ا) نكوصاً موقعياً بمعنى صميمة [الجهاز النفسي] ؛ ب) نكوصاً زمنياً ، حيث تحدث عودة إلى تكوينات نفسية أكثر قدماً ؛ جـ) ونكوصاً شكلياً ، حين تستبدل أساليب التعبير والتصوير المعتادة ، بأساليب بدائية . وليست هذه الاشكال الثلاثة في حقيقتها سوى شكلاً واحداً ، فهي تلتقي فيما بينها ، في أغلب الحالات ، لان ما هو أقدم زمنياً هو أيضاً أكثر بدائية في شكله ، كما انه يقع في نقطة أقرب إلى طرف الإدراك على مستوى للموقعيه النفسية »(1b) .

يتجلى النكوص الموقعي بوضوح في الحلم ، حيث يستمر إلى نهايته . كما يصادف من جديد في عمليات أخرى مرضية ، حيث لا يتخذ نفس الطابع الشمولي (من مثل الهلاوس) أو حتى في العمليات السوية ، دون أن يصل إلى نفس الحد (كما في الذاكرة) .

وأما فكرة النكوص الشكلي فلقد كانت أندر إستخداماً من قبل فرويد ، رغم إمكانية إدراج العديد من الظواهر ، التي تتضمن عودة من العمليات الثانوية إلى العمليات الأولية ، ضمن هذه التسمية (أي الإنتقال من النشاط الوظيفي تبعاً لوحدة الفكر ، إلى النشاط الوظيفي تبعاً لوحدة الإدراك) . يمكن تقريب ما يطلق عليه فرويد إسم النكوص الشكلي مما يسميه « علم نفس

الشكل » والفسيولوجيا العصبية ذات المنحى الجاكسوني تفكك بنية (السلوك أو الوعي ، إلخ .) . لا يتلخص النظام المفترض في هذا المقام ، في تتابع للمراحل التي يجتازها الشخص فعلياً ، بل هو يختص بتراتب في الوظائف أو البنى .

وأما في إطار النكوص الزماني ، فيميز فرويد ما بين عدة أشكال من النكوص ، تبعاً لمسارات تكوينية مختلفة ؛ فهناك نكوص على مستوى الموضوع ، ونكوص على مستوى المرحلة الليبيدية ، ونكوص على مستوى تطور الأنا(3b) .

لا ترتد أشكال التمييز هذه إلى مجرد إهتمام تصنيفي . إذ يوجد في الواقع في بعض البنى السوية أو المرضية بون ما بين مختلف أنماط النكوص ، حيث يلاحظ فرويد مثلاً أن « . . . هناك بالفعل نكوصاً لبيدياً في الهستيريا إلى الموضوعات الجنسية المحرمة الأولية بشكل منتظم ، بينما لا يوجد نكوص إلى مرحلة سابقة من التنظيم الجنسي »(3c) .

***

غالباً ما أصرّ فرويد على واقعة بقاء الماضي الطفلي ـ للفرد ، كما للإنسانية ـ فينا على الدوام : « فبالإمكان دوماً إستعادة قيام الحالات الطفلية من جديد . فالنفسي البدائي غير قابل للفناء بكل معنى الكلمة »(5) . وهو يقع على فكرة العودة إلى الوراء هذه في أكثر المجالات تنوعاً : علم النفس المرضي ، الاحلام ، تاريخ الحضارات ، علم الأحياء ، إلخ . . . ويتضح إنبثاق الماضي في الحاضر تماماً في فكرة إضطرار التكرار . إذ لا يعبر عن هذه الفكرة في لغة فرويد بمصطلح النكوص فقط ، بل أيضاً بمصطلحات مجاورة من مثل Rückbildung ، Rückwendung و Rückgreifen ، إلخ . .

إن مفهوم النكوص هو بشكل أدق مفهوماً وصفياً ، كما أشار فرويد نفسه إلى ذلك . فلا يكفي إذاً القول به كي نفهم الشكل الذي تتخذه عودة الشخص إلى الماضي . تدفعنا بعض الحالات النفسية المرضية الصارخة إلى أخذ النكوص بأسلوب واقعي : إذ يقال أحياناً أن الفصامي يرتد إلى حالة الرضيع ، كما يرتد الجمدي إلى حالة الجنين . وبالطبع لا يقال عن الهجاسي بهذا المعنى بأنه قد نكص إلى المرحلة الشرجية . كذلك لا شك أنه لا يمكن الكلام عن النكوص في النقلة ، بالنسبة لمجمل السلوك إلا بمعنى أكثر حصراً .

تجدر الملاحظة بأن ما أدخله فرويد من تمييز على فكرة النكوص إذا لم يصل حد إقامة السند النظري الصارم لها ، فإن له على الأقل الفضل في حيلولة فهم النكوص كظاهرة كاسحة . ولا بد من التنبه في هذا الإتجاه نفسه إلى واقعة مزاوجة فكرة النكوص مع فكرة التثبيت ، وإلى تعذر إختزال هذه الأخيرة إلى مجرد بناء نمط من السلوك . وبالقدر الذي يمكن فيه إعتبار التثبيت « كتسجيل » (أنظر : تثبيت ، ممثل ـ تمثيلي) ، يمكن ترجمة النكوص وكأنه إعادة تحريك لما سبق أن « سُجّل » . وحين الحديث عن « نكوص فمي » خلال العلاج خصوصاً يتحتم علينا أن نفهم من ذلك ، في هذا المنظور ، إستعادة الشخص في أقواله ، ومواقفه ، لما أطلق عليه فرويد إسم « لغة النزوة الفمية »(6) .

(أ) تبدو الفكرة القائلة بالإثارة « التراجعية » للجهاز الإدراكي في كل من الهلاوس والأحلام ، والتي نجدها عند بروير

منذ « دراسات حول الهستيريا عام 1895 »(7) وعند فرويد منذ « مشروع علم نفس علمي عام 1895 »(8) شائعة الإنتشار عند الكتاب الذين عالجوا موضوع الهلاوس في القرن التاسع عشر .

(1) Freud (S.). *a)* Cf. G.W., II-III, 538-55 ; S.E., V, 533-49 ; Fr., 438-52. — *b)* G.W., II-III, 554 ; S.E., V, 548 ; Fr., 451.

(2) Cf. Freud (S.). *a)* G.W., V, 69-70 ; S.E., VII, 70-1 ; Fr., 58-60. — *b)* G.W., V, 129 ; S.E., VII, 228 ; Fr., 139.

(3) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1915-17. — *a)* Cf. G.W., XI, 355-7 ; S.E., XVI, 343-4 ; Fr., 369-70. — *b)* Cf. G.W., XI, 353-7 et 370-1 ; S.E., XVI, 340-4 et 357 ; Fr., 367-70 et 384. — *c)* G.W., XI, 355 ; S.E., XVI, 343 ; Fr., 369.

(4) Freud (S.). G.W., VIII, 448 ; S.E., XII, 322 ; Fr., 443.

(5) Freud (S.). *Zeitgemässes über Krieg und Tod*, 1915. G.W., X, 337 ; S.E., XIV, 286 ; Fr., 232.

(6) Freud (S.). *Die Verneinung*, 1925. G.W., XIV, 13 ; S.E., XIX, 237 ; Fr., 175.

(7) Cf. Breuer (J.) et Freud (S.). All., 164-5 ; S.E., II, 188-9 ; Fr., 150.

(8) Cf. Freud (S.). All., 423 ; Angl., 401 Fr., 355.

هدف (- نزوي)

But (— Pulsionnel
Eng.: Aim (instinctual aim)
D.: Ziel (Triebziel)

■ إنه نشاط تدفع إليه النزوة ، ويؤدي إلى حل التوتر الداخلي؛ كما تدعم الهوامات هذا النشاط وتوجهه ■ .

ترتبط فكرة الهدف النزوي بالتحليل الفرويدي لمفهوم النزوة في مختلف عناصرها أي الإندفاع، المصدر ، الهدف والموضوع(1a, 2a) .

يمكننا القول بالمعنى الواسع للكلمة أن الهدف النزوي وحيد الاتجاه : إذ يتمثل في كل الحالات بالحصول على الإشباع أي بالمفهوم الإقتصادي لفرويد ، تفريغ غير كيفي للطاقة يحكمه « مبدأ الثبات » . وحتى حين يتكلم فرويد عن « هدف نهائي » للنزوة فإنه يقصد بذلك هدفاً نوعياً مرتبطاً بنزوة محددة(2b) . ويمكن الوصول إلى هذا الهدف النهائي نفسه بفضل وسائل أو « أهداف وسيطة » قابلة للإبدال فيما بينها بدرجات متفاوتة ؛ إنما تتأكد فكرة نوعية هدف كل نزوة جزئية منذ كتاب « ثلاث مقالات حول نظرية الجنسية عام 1905 » إذ يَردْ : « يتلخص الهدف الجنسي للنزوة الطفلية في الحصول على الإشباع من خلال الإثارة الملائمة لهذه أو تلك من المناطق المولدة للغلمة »(1b) . يبدو أن أصل هذه الفكرة يرجع إلى « مشروع علم نفس علمي عام 1895 » على شكل « فعل نوعي » قادر وحده على إزالة التوتر الداخلي . ويُعاد توكيد هذه الفكرة بشكل أكثر وضوحاً في طبعة عام 1915 من « ثلاث مقالات » : إذ يرد : « إن ما يميز النزوات عن بعضها البعض ويمحضها خصائصها النوعية ، هو علاقتها بمصدرها الجنسي وبأهدافها »(1c) .

وهكذا تؤكد هذه النصوص على وجود رباط وثيق ما بين الهدف وبين المصدر الذي يتمثل على الأغلب في منطقة مولدة للغلمة : « . . . يكون الهدف الجنسي [في الجنسية الطفلية] تحت سيطرة منطقة مولدة للغلمة » . وكذلك : « . . . إن الهدف الذي تصبو إليه كل من [النزوات الجنسية] هو الوصول إلى اللذة العضوية »(2c) . وهكذا يصبح الهدف المطابق للنزوة الفمية هو

الإشباع المرتبط بنشاط الإمتصاص . وعلى العكس من ذلك ، فمن خلال الهدف النزوي يمكن التعرف على المصدر النزوي مأخوذاً بمعنى العملية العضوية التي تتم في العضو المولد للغلمة : « . . . مع أن اللحظة الحاسمة في تحديد النزوة تكمن في أصلها ذو المصدر الجسدي ، فإنه لا يمكننا التعرف عليها في النفس إلا من خلال أهدافها [. . .] إذ يمكن في الغالب التيقن من إستنتاج أصول النزوة إنطلاقاً من أهدافها »(2d) .

وهكذا يكون المصدر علة وجود Ratio essendi الهدف ، بينما يشكل هذا الأخير واسطة معرفة المصدر . فكيف يمكن إذاً التوفيق ما بين هذا التحديد المتبادل والمضبوط مع وجود تلك « الإنحرافات في الهدف الجنسي » والتي تشكل موضوع فصل قائم بذاته من« ثلاث مقالات » ؟ قصد فرويد من هذا النص تبيان أن الجنسية تتضمن مجالاً أوسع بكثير من الفعل الجنسي الراشد المعتبر سوياً ـ وذلك على عكس الرأي الشائع ـ ذلك الفعل الذي يقتصر على مصدر واحد هو الجهاز التناسلي ، وعلى هدف واحد . أي « الإتحاد الجنسي أو على الأقل الأفعال التي تؤدي اليه »(1e) . ليست « الإنحرافات » التي يشير إليها تعديلات في هدف نفس النزوة الجزئية ، ولكنها تشكل التنوعات الممكنة للأهداف الجنسية . فإما أن تكون هذه التنوعات عبارة عن أهداف مرتبطة بمصادرها ، أي بمناطق مولّدة للغلمة ، ومختلفة عن المنطقة التناسلية (من مثل القبلة المرتبطة بالمنطقة الفمية) ، أو قد تكون تعديلات في الفعل الجنسي ترجع إلى إزاحة الموضوع . (وهكذا يصف فرويد التيميُّة في « إنحرافات الهدف » ، ولكنه يعترف بأن المسألة تتعلق أساساً « بإنحراف » يتعلق بالموضوع)(1f) .

تختلف وجهة النظر كثيراً في مقالة « النزوات ومصير النزوات عام1915 » . إذ لا تتعلق المسألة بالقيام بجردة لتنوعات الهدف الجنسي بشكل عام ، إنما بتبيان كيفية التحول الممكن في هدف « نزوة جزئية محددة » . وكان على فرويد ، في هذا المنظور أن يقيم تمييزاً ما بين نزوات الغلمة ـ الذاتية ، وبين النزوات التي تتوجه مباشرة نحو الموضوع (السادية و« نزوة التطلع ») . « . . . . . دور المصدر العضوي حاسم ، بالنسبة للأولى ، لدرجة دفعت بكل من ب. فدرن ول. جيكل إلى تقديم الفرضية المغرية القائلة بأن شكل ووظيفة العضو يحددان نشاط أو فتور الهدف النزوي »(2e) . ويقتصر ذلك التغيير في الهدف « أي « القلب إلى الضد » (بمعنى قلب السادية إلى مازوشية ، وقلب النظار Voyeurisme إلى هتاك Exhibitionnisme) على الفئة الثانية من النزوات . إنما تجدر الإشارة إلى أن هذا التغيير في الهدف يرتبط بشكل وثيق ، من جديد ، بتغيير في الموضوع : أي « الإرتداد على الشخص ذاته »(2f) .

يتلخص تعديل النزوة في حالة التسامي بتغيير الهدف أساساً . ولكن هنا أيضاً يكون هذا التغيير مشروطاً بتعديل في العناصر الأخرى للنزوة : أي مقايضة الموضوع ، وإحلال نزوة محل أخرى (أي استبدال نزوة جنسية ، بنزوة حفظ ـ الذات التي تنشط النزوة الجنسية من خلالها بالإستناد)(1g, 2g) .

وهكذا نرى أن الإقتصار على الفئات التي يطرحها المفهوم الفرويدي صراحة ، سيجعل فكرة الهدف موزعة الأوصال ما بين فكرتي مصدر النزوة وموضوعها . إذ يؤدي تعريف الهدف النزوي

من خلال ارتباطه الوثيق بالمصدر العضوي ، إلى تخصيصه بشكل دقيق جداً ، إنما يشكو من فقر نسبي : حيث تقتصر المسألة على الإمتصاص بالنسبة للفم ، والنظر بالنسبة للعين ، و« السطوة » بالنسبة للجهاز العضلي ، إلخ . . . أما إذا أخذنا كل نمط من النشاط الجنسي ، كما يحثنا عليه تطور النظرية التحليلية النفسية ، في علاقته مع نمط الموضوع المستهدف ، فإن فكرة الهدف النزوي تتلاشى عندها لصالح فكرة « علاقة الموضوع » .

***

ومما لا شك فيه أنه بالإمكان جلاء الصعوبات التي تقع مسألة الهدف النزوي حبيسة لها ، عند فرويد ، حين نبينّ ما تتضمنه فكرة النزوة ذاتها من لُبْس عنده ؛ فالواقع أنه يضع كلاً من نزوة الجنس ونزوة حفظ ـ الذات في الفئة النزوية عينها ، مع أن كل نظريته الخاصة بالجنسية تبين ما يفرقهما بعمق عن بعضهما البعض في نشاطهما الوظيفي ،وفي هدفهما ، على وجه التحديد ، أي فيما يؤدي بكل منهما إلى الإشباع .

وإذا لم يكن بمقدورنا فهم هدف نزوة حفظ الذات إلا من خلال فعل نوعي يقوم بوضع حد لحالة من التوتر ناتجة عن الحاجة ، ومتموضعة في أحد الأجهزة الجسدية ، كما تتطلب تحقيقاً فعلياً بطبيعة الحال (كالحصول على الغذاء مثلاً) ، فإن هدف النزوة الجنسية أصعب تحديداً بما لا يقاس . فبمقدار ما تندمج هذه الأخيرة في البداية مع وظيفة حفظ الذات بالإستناد ، ولا تبلغ لحظة بروزها إلا بالإنفصال عن هذه الوظيفة ، فإنها تجد إشباعها الفعلي في نشاط يحمل بصمات تلك الوظيفة الحيوية التي كانت تشكل سنداً لها فيما سبق ، ولكنه إشباع يتباين عن هذه الوظيفة الحيوية حتى أنه ليبدو وقد أصيب بشذوذ عميق بالنسبة إليها . ويأتي النشاط الهوامي من خلال هذا التباين ، كي يندرج في النزوة الجنسية ، مع ما يتضمنه من عناصر ممثلة غالباً ما تكون مفرطة في بعدها عن النموذج الجسدي الأول (أنظر : غلمة ذاتية ، وإستناد ، ونزوة ، وجنسية) .

(1) Freud (S.) *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. — *a)* Cf. G.W., V, 34 ; S.E., VII, 135-6 ; Fr., 17-8. — *b)* G.W., V, 85 ; S.E., VII, 184 ; Fr., 78. — *c)* G.W., V, 67 ; S.E., VII, 168 ; Fr., 56-7. — *d)* G.W., V, 83 ; S.E., VII, 182-3 ; Fr., 76. — *e)* G.W., V, 33 ; S.E., VII, 135 ; Fr., 17. — *f)* Cf. G.W., V, 52 ; S.E., VII, 153 ; Fr., 38. — *g)* Cf. G.W., V, 107 ; S.E., VII, 205-6 ; Fr., 105-7.

(2) Freud (S.). *Triebe und Triebschicksale*. 1915. — *a)* Cf. G.W., X, 214 ; S.E., XIV, 121 ; Fr., 33. — *b)* Cf. G.W., X, 215 ; S.E., XIV, 122 ; Fr., 34-5. — *c)* G.W., X 218 ; S.E., XIV, 125-6 ; Fr., 41. — *d)* G.W., X, 216 ; S.E., XIV, 123 ; Fr., 36. — *e)* G.W., X, 225 ; S.E., XIV, 132-3 ; Fr., 53. — *f)* G.W., X, 220 ; S.E., XIV, 127 ; Fr., 43-4. — *g)* Cf. G.W., X, 219 ; S.E., XIV, 125-6 ; Fr., 41-2.

هروب في المرض

Fuite dans la maladie
Eng.: Flight into illness
D.: Flucht in die Krankheit

■ يدل هذا التعبير التشبيهي على محاولة الشخص الإحتماء في العصاب كوسيلة للهروب من

صراعاته النفسية .

لاقى هذا التعبير حظوة كبيرة مع انتشار التحليل النفسي ؛ إذ لم يقتصر إنتشاره في أيامنا هذه على مجال الأعصبة وحدها ، بل تعداه إلى مجال الأمراض العضوية التي يمكن اكتشاف عنصر نفسي فيها ■.

نجد عند فرويد بادىء الأمر تعابير من مثل « الهروب في الذهان »(1) ؛ و« الهروب في المرض النفسي »(2) ؛ ومن ثم تعبير « الهروب في المرض »(3,4) .

تُعبر فكرة « الهروب في المرض » الدينامية ، عن نفس فكرة مفهوم الكسب الإقتصادي من المرض . فهل يتضمّنان كلاهما نفس المدى ؟ يصعب الجزم في هذه النقطة ، وخصوصاً أن التمييز ما بين جزء أولي وجزء ثانوي ، ضمن الكسب من المرض ، ليس من السهل القيام به (أنظر : كسب) . ويبدو أن فرويد يضع الهروب في المرض في صف الكسب الأولي ؛ إنما يحدث أن يستخدم هذا التعبير نفسه بمعنى أكثر إتساعاً . ومهما يكن من أمر ، فهو يبين كيف أن الشخص يحاول بذلك تجنب وضعية صراعية مولدة للتوتر ، وإيجاد وسيلة لخفض هذا التوتر من خلال تكوين الأعراض .

(1) Freud (S.). *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. G.W., I, 75 ; S.E., III, 59.
(2) Freud (S.). *Die kulturelle Sexualmoral und die moderne Nervosität*, 1908. G.W., VII, 155 ; S.E., IX, 192.
(3) Freud (S.). *Allgemeines über den hysterischen Anfall*, 1909. G.W., VII, 237 ; S.E., IX, 231.
(4) Freud (S.). *Bruchstück einer Hysterie-Analyse*, 1905. G.W., V, 202, n. 1 ajoutée en 1923 ; S.E., VII, n. 43 ; Fr., 30, n.

هستيريا

Hystérie
Eng.: Hysteria
D.: Hysterie

■ إنها طائفة من الأعصبة التي تتخذ لوائح عيادية جد متنوعة . أبرز شكلين عارضين أمكن تمييزهما ، هما هستيريا الإقلاب ، حيث يرمز إلى الصراع النفسي في أعراض جسدية جد متفاوتة ، إما أن تتخذ شكل نوبة (نوبة إنفعالية مصحوبة بشيء من المسرحية على سبيل المثال) أو تتخذ شكلاً أكثر دواماً (من مثل حالات التخدير ، والشلل الهستيري ، والإحساس « بالكرة » الحلقومية ، إلخ) . وأما الشكل العارضي الثاني فهو هستيريا القلق ، حيث يتثبت القلق بطريقة متفاوتة في استقرارها على أحد الموضوعات الخارجية (حالات الخواف) .

وبالقدر الذي اكتشف فيه فرويد في حالة هستيريا الإقلاب سمات سببية مرضية رئيسية ، استطاع التحليل النفسي رد لوائح عيادية متنوعة تتجلى في تنظيم الشخصية وأسلوب الوجود ، حتى في غياب أعراض خوافية أو إقلابية صريحة ، إلى نفس البنية الهستيرية .

تكمن خصوصية الهستيريا في سيادة نمط معين من التماهي ، وأواليات معينة (خصوصاً الكبت

الذي غالباً ما يكون جلياً) ، كما تكمن في ملامسة الصراع الأوديبي الذي يقوم أساساً على المستويات الليبيدية القضيبية والفمية ■ .

فكرة المرض الهستيري قديمة جداً ، إذ ترجع إلى أبوقراط . ولقد رافق تحديدها مسار تقلبات التاريخ الطبي . وليس من مجال هنا إلا إحالة القارىء إلى الأدبيات الغزيرة حول هذه المسألة(1,2a) .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، وبتأثير من شاركو خصوصاً ، أصبحت المشكلة التي تطرحها الهستيريا على الفكر الطبي وعلى الطريقة التشريحية العيادية السائدة في ذلك الزمان ، موضوع الساعة . وبالإمكان التبسيط والقول أن البحث عن حل لهذه المشكلة ذهب في إتجاهين : إما برد الأعراض الهستيرية ، في غياب أي كلم عضوي ، إلى الإيحاء والإيحاء الذاتي ، وحتى إلى التصنع (وهو الخط الفكري الذي إتخذه بابنسكي ونظّمه) ، وإما بإعطاء الهستيريا التقدير المرضي الكافي ، كأي مرض آخر ، والذي يصل في درجة تحديد أعراضه ودقتها إلى مستوى الإصابة العصبية مثلاً (وتلك هي أعمال شاركو) . أما السبل التي اتبعها بروير وفرويد (وجانيه في منظور آخر) فلقد قادتهم إلى تجاوز هكذا تعارض . يعتبر فرويد الهستيريا على غرار شاركو الذي كان له عليه أكبر التأثير من خلال تعليمه ، كمرض نفسي جد محدد يستلزم سببية نوعية . ومن ناحية أخرى ، فهو يتعلق خلال محاولته إقامة « الأوالية النفسية » الخاصة بالهستيريا ، بتيار كامل يجعل منها « مرضاً بالتصور »(2b) . ومن المعلوم أن جلاء السببية النفسية للهستيريا رافق الاكتشافات الأساسية للتحليل النفسي (اللاوعي ، الهوام ، الصراع الدفاعي والكبت ، التماهي ، والنقلة ، إلخ) .

ولقد استمر المحللون النفسيون ، على أثر فرويد ، على اعتبار العصاب الهستيري ، والعصاب الهجاسي الوجهين الرئيسيين لمجال الأعصبة (أ) ، مع أن ذلك لا يلغي إمكانية تداخلهما في هذه اللوحة العيادية أو تلك ، على مستوى بنيتيهما .

ولقد ألحق فرويد بالبنية الهستيرية ، نمطاً من العصاب الذي أعطاه إسم هستيريا القلق ، والذي تتلخص أعراضه الأكثر بروزاً في حالات الخواف (أنظر : هستيريا القلق) .

(أ) هل يجب القبول بالذهان الهستيري كوحدة نوعية ، تبدو خصوصاً على شكل هلاوس بصرية غالباً ما نعاش بشكل مأساوي ؟ لقد جعل فرويد من ذلك إطاراً مستقلاً(3) في البداية على الأقل ، إذ تطرح حالات عديدة من « دراسات حول الهستيريا عام 1895 » هذه المشكلة التصنيفية على القارىء .

(1) Cf. in : Ey (H.), *Encyclopédie médico-chirurgicale : Psychiatrie*, 1955 : Rosolato (G.), *Introduction à l'étude de l'hystérie*, 37335, A[10]. — Zilboorg (G.). *A History of Medical Psychology*, Norton, New York, 1941.

(2) Cf. Janet (P.). *L'état mental des hystériques*, Alcan, Paris, 1894. — a) *Passim*. — b) Première partie, chap. VI, 40-7.

(3) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, 1887-1902. *Manuscrit H*. All., 118-24 ; Angl., 109-15 ; Fr., 98-102.

هستيريا تنويمية

Hystérie hypnoïde
Eng.: Hypnoid hysteria
D.: Hypnoidhysterie

■ إستخدم بروير وفرويد هذا المصطلح خلال عامي 1894 -1895 للدلالة على شكل من أشكال الهستيريا الذي يرجع أصله إلى الحالات التنويمية ؛ إذ لا يتمكن الشخص من مكاملة التصورات التي حدثت خلال هذه الحالات في شخصه أو في تاريخه . وتشكل هذه التصورات عندئذٍ مجموعة نفسية منفصلة ولاواعية ، كفيلة بإحداث آثار مولدة للمرض ■ .

نحيل القارىء إلى المقالة حول « الحالة التنويمية » فيما يختص بالمرتكز النظري لهذه الفكرة . وتجدر الملاحظة إلى أن مصطلح الهستيريا التنويمية لا يصادف في النصوص التي وردت بقلم بروير وحده ؛ مما يبدو معه منطقياً التفكير بأن هذه التسمية تعود إلى فرويد . ذلك أن أي هستيريا ، بالنسبة لبروير ، هي « تنويمية » لأنها تجد شرطها الملزم في الحالة التنويمية ؛ أما بالنسبة لفرويد ، فإن الهستيريا التنويمية ليست سوى أحد أشكال الهستيريا جنباً إلى جنب مع هستيريا الإمساك وخصوصاً هستيريا الدفاع : وسيتيح له هذا التمييز أن يحدد في البداية دور الحالة التنويمية ثم يرفضه من بعد بالنسبة لدور الدفاع .

هستيريا الدفاع

Hystérie de défense
Eng.: Defence hysteria
D.: Abwehrhysterie

■ إنها أحد أشكال الهستيريا التي ميّزها فرويد خلال عامي 1894 و1895 عن الشكلين الآخرين للهستيريا أي : الهستيريا التنويمية ، وهستيريا الإمساك .
وهي تتخصص نوعياً في النشاط الدفاعي الذي يمارسه الشخص ضد التصورات الكفيلة بتوليد الإنفعالات المزعجة .
ومنذ أن إعترف فرويد بتدخل الدفاع في كل حالات الهستيريا توقف عن الإستعانة بمصطلح هستيريا الدفاع وما يفترضه من تمايز عن الأشكال الأخرى .

عرض فرويد في كتابه « حالات نفاس الدفاع عام 1894 » التمييز من زاوية سببية مرضية ، ما بين ثلاثة أشكال من الهستيريا أي ـ التنويمية ، والإمساك ، والدفاعية ـ ولقد أشار على وجه الخصوص إلى هستيريا الدفاع التي جعل منها النموذج الأولي لحالات نفاس الدفاع ، بإعتبارها تشكل إسهامه الشخصي في الموضوع(1) .
وتجدر الملاحظة إلى أن استحالة التصريف ـ التي تميز الهستيريا ـ قد ارتبطت منذ نشر « البيان الأولي عام 1893 » لبروير وفرويد بسلسلتين من الشروط : فهناك من ناحية حالة خاصة يجد

الشخص نفسه فيها في لحظة الصدمة (وهي الحالة التنويمية) ، وهناك من ناحية ثانية شروط ترتبط بطبيعة الصدمة نفسها : إما أن تكون شروطاً خارجية أو فعلاً قصدياً من قبل الشخص الذي يدافع عن نفسه ضد محتويات « مؤلمة »(2a) . في تلك المرحلة من صياغة النظرية، كان الدفاع والإمساك والحالة التنويمية تبدو كعوامل سببية تتعاون على إنتاج الهستيريا . وبالقدر الذي كان أحد هذه العوامل يعتبر مفضلاً عن ما عداه ، فإن هذه الحظوة كانت من نصيب الحالة التنويمية التي كانت تعتبر ، بتأثير من بروير ، على أنها « . . . الظاهرة الأساس في هذا العصاب »(2b) .

ولقد خصص فرويد في « حالات نفاس الدفاع » بجمل هذه الشروط إلى الحد الذي حدا به إلى تمييز ثلاثة أنماط من الهستيريا ؛ إلا أنه لم يهتم في الواقع إلا بهستيريا الدفاع .

ولقد احتفظ فرويد في مرحلة ثالثة - أي في دراسات حول الهستيريا عام 1895 - بهذا التمييز ، إنما يبدو أنه فعل ذلك خصوصاً لترويج فكرة الدفاع على حساب رجحان الحالة التنويمية . وهكذا يشير فرويد إلى : « انه لمن المستغرب أنني لم أصادف خلال تجربتي الخاصة هستيريا تنويمية حقيقية ؛ إذ تحولت كل الحالات التي باشرت في علاجها إلى هستيريا دفاعية(2c) » . كما أنه يشكك بوجود هستيريا إمساك مستقلة من خلال طرح الفرضية القائلة بأنه « . . . يكمن في أساس هستيريا الامساك عنصر دفاعي يحوّل كل العملية إلى ظاهرة هستيرية »(2d) .

ولا بد من الملاحظة أخيراً أن مصطلح هستيريا الدفاع قد زال بعد « دراسات حول الهستيريا » وكأنه لم يطرح إلا من أجل تغليب فكرة الدفاع على فكرة الحالة التنويمية . وبالطبع فقد مصطلح هستيريا الدفاع مبرر وجوده حين تحققت هذه النتيجة - أي إعتبار الدفاع على أنه العملية الأساس في الهستيريا ، وبسط نموذج الصراع الدفاعي على الأعصبة الأخرى - .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., I, 60-1 ; S.E., III, 45-7.

(2) Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* Cf. G.W., I, 89 ; S.E., II, 10-11 ; Fr., 7. — *b)* Cf. G.W., I, 91 ; S.E., II, 12 ; Fr., 8. — *c)* G.W., I, 289 ; S.E., II, 286 ; Fr., 231. — *d)* G.W., I, 290 ; S.E., II, 286 ; Fr., 231.

Hystérie traumatique — هستيريا صدمية

Eng.: Traumatic hysteria

D.: Traumatische hysterie

■ وصف شاركو هذا النمط من الهستيريا : حيث تظهر الأعراض الجسدية وخصوصاً أعراض الشلل ، غالباً بعد فترة كمون تلي الصدمة الفيزيقية ، ولكن بدون أن يكون بإمكان هذه الصدمة أن تفسر ميكانيكياً الأعراض موضع البحث ■ .

درس شاركو في أعماله حول الهستيريا ما بين الاعوام 1880-1890 بعض حالات الشلل الهستيري التي تلي الصدمات الفيزيقية الهامة نسبياً لدرجة تجعل الشخص يحس بتهديد يطال حياته ، ولكن بدون أن تسبب له فقداناً للوعي . ولا يمكن لأمثال هذه الصدمات أن تفسر الشلل

على المستوى العصبي . ويلاحظ شاركو كذلك أن هذا الشلل يظهر بعد فترة متفاوتة في طولها من « الحضانة » و« الإرصان » النفسي .

ولقد فكّر شاركو في إحداث حالات شلل من نفس النمط ، بشكل تجريبي ، تحت تأثير التنويم ، إما باستخدام صدمة خفيفة أو بمجرد الإيحاء . وبذلك قدم البرهان على أن الأعراض موضع البحث لم تنتج عن الصدمة الفيزيقية ، بل عن التصورات التي كانت ترتبط بها والتي تحدث خلال حالة نفسية خاصة .

ولقد لاحظ فرويد أن هناك إستمرارية ما بين تفسير من هذا القبيل والتفسيرات الأولى التي أعطياها هو وبروير عن الهستيريا : « هناك تماثل كامل ما بين الشلل الصدمي والهستيريا الشائعة ، غير الصدمية . ويكمن الفرق الوحيد بينهما في أن هناك صدمة رئيسية فاعلة في الحالة الأولى ، بينما يندر ملاحظة حدث رئيسي فريد في الحالة الثانية ، بل يلاحظ سلسلة من الإنطباعات العاطفية [. . .] . حتى في حالة الصدمة الميكانيكية الرئيسية الخاصة بالهستيريا الصدمية ، لا تحدث هذه النتيجة بسبب العامل الميكانيكي ، بل بسبب انفعال الرعب ، والصدمة النفسية »(1) .

ومن المعلوم أن صميمة الهستيريا التنويمية تستند إلى العنصرين السببيين اللذين اكتشفهما شاركو أي : الصدمة الفيزيقية والحالة النفسية الخاصة (أي الحالة التنويمية ، أو انفعال الرعب) التي تحدث الصدمة أثناءها .

(1) Freud (S.). *Über den psychischen Mechanismus hysterischer Phänomene*, 1893 All., in *Wien. med. Presse*, 34 (4), 121-6 ; S.E., III, 30-1.

هستيريا القلق

Hystérie d'angoisse
Eng.: Anxiety hysteira
D.: Angsthysterie

■ قدم فرويد هذا المصطلح كي يعزل من خلاله عصاباً يشكل الخواف عارضه المركزي ، وليؤكد على تشابهه الإنبنائي مع هستيريا الإقلاب ■ .

ادخل ف. شتيكل مصطلح هستيريا القلق في أدبيات التحليل النفسي في مؤلفه بعنوان « حالات القلق العصابي وعلاجها عام1908 » بناء لإقتراح من فرويد(1) .

وهاكم مبررات هذا التجديد المصطلحي :

أ ـ تصادف أعراض خوافية في مختلف الإصابات العصابية والذهانية . إذ نلاحظ أعراض من هذا القبيل في العصاب الهجاسي وفي الفصام ؛ وحتى في عصاب القلق ، يمكن تبعاً لفرويد ، مصادفة بعض الأعراض ذات المنحى الخوافي .

ولهذا يعتبر فرويد ، في حالة هانز الصغير ، من غير الممكن إعتبار الخواف « كعملية مرضية مستقلة »(2a) .

ب ـ إلا أنه يوجد عصاب يشكل فيه الخواف العارض المركزي . ولم يميزه فرويد رأساً عن غيره : إذ كانت تلحق حالات الخواف ، في محاولاته الفكرية الأولى ، إما بالعصاب الهجاسي وإما بعصاب القلق باعتباره عصاباً راهناً(3) . ولقد أتاح له تحليل هانز الصغير ، الفرصة لتخصيص عصاب الخواف وتأكيد تشابهه البنيوي مع هستيريا الإقلاب . ذلك أنه في الحالتين يميل فعل الكبت في الواقع أساساً إلى فصل العاطفة عن التصور . إلا أن فرويد يشير إلى فارق جوهري بينهما : ففي هستيريا القلق « . . . لا يُقلب الليبدو الذي فصله الكبت عن المادة المولدة للمرض [. . .] بل هو يتحرر على شكل قلق »(2b) . يستمد تكوين الأعراض الخوافية أصله « . . . من الشغل النفسي الذي ينشط رأساً بغية ربط القلق الذي أصبح حراً ، من جديد »(2c) « وتتطور هستيريا القلق بشكل متزايد دوماً في اتجاه « الخواف » »(2d) .

يشهد هذا النص على تعذر الجزم باعتبار هستيريا القلق والعصاب الخوافي كمجرد مصطلحين مترادفين . إذ يوجه مصطلح هستيريا القلق ، الذي يتسم بدرجة أقل من الصبغة الوصفية ، الإنتباه إلى الأوالية المكونة للعصاب موضع البحث ، ويشدد على كون الإزاحة على الموضوع الخوافي هي تالية على بروز القلق الحر ، وغير المرتبط بموضوع محدد .

(1) Cf. Freud (S.). G.W., VII, 467 ; S.E., IX, 250-1.
(2) Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*, 1909. — *a)* G.W., VII, 349 ; S.E., X, 115 ; Fr., 175. — *b)* G.W., VII, 349 ; S.E., X, 115 ; Fr., 175. — *c)* G.W., VII, 350 ; S.E., X, 117 ; Fr., 176. — *c)* G.W., VII, 350 ; S.E., X, 116 ; Fr., 176.
(3) Cf. Freud (S.). *Über die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als « Angstneurose » abzutrennen*, 1895. *Die Abwehr-Neuropsychosen*, 1894. *Obsessions et phobies. Leur mécanisme psychique et leur étiologie*, 1895.

هستيريا الإقلاب

Hystérie de conversion
Eng.: Conversion hysteira
D.: Konversionshysterie

■ إنها شكل من الهستيريا التي تتصف بغلبة أعراض الإقلاب ■ .

لم يكن مصطلح هستيريا الإقلاب مستعملاً في أعمال فرويد الأولى ، إذ أن أوالية الإقلاب كانت تميز عندها الهستيريا على وجه العموم . وحين ألحق فرويد في تحليل « هانز الصغير » بالهستيريا ، تكويناً مرضياً خوافياً ، باسم هستيريا القلق ، برز مصطلح هستيريا الإقلاب للدلالة على أحد أشكالها : « فهناك هستيريا إقلاب صافية بدون أي قلق ، تماماً كما أن هناك هستيريا قلق بسيط يتجلى على شكل أحاسيس قلق وحالات خواف دون أن يضاف إليها أي إقلاب »(1) .

(1) Freud (S.). *Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben*, 1909. G.W., VII, 349 ; S.E., X, 116 Fr., 175.

Hystérie de rétention | هستيريا الإمساك

Eng.: Retention hysteria
D.: Retentionshysterie

■ ميّز كل من بروير وفرويد هذا الشكل من الهستيريا بين عامي 1894 -1895 عن الشكلين الآخرين أي : الهستيريا التنويمية وهستيريا الدفاع .
وتتصف سببيته المرضية في كون الإنفعالات قد تعذر تصريفها ، خصوصاً بفعل الظروف الخارجية غير الملائمة ■ .

قام فرويد بعزل هستيريا الامساك كشكل مستقل من الهستيريا في كتابه « حالات نفاس الدفاع عام1894 » .

ولقد وردت فكرة الإمساك على الأقل ، في « البيان الأولي عام1893 » للدلالة على سلسلة من الشروط السببية حيث تجعل طبيعة الصدمة التصريف مستحيلاً ، وذلك في مقابل الحالة التنويمية : إذ تصطدم الصدمة إما بشروط إجتماعية تمنع تصريفها ، أو بدفاع من قبل الشخص ذاته(1a) .

وبما أن فكرة الإمساك وصفية أكثر مما هي تفسيرية ، فإنها ما لبثت أن اختفت ؛ ذلك أن فرويد قد وجد نفسه أمام الدفاع حين أراد تبيان ظاهرة الإمساك . وهو ما يوضحه في التجربة العلاجية ، متابعة فرويد لإحدى الحالات ـ حالة روزالي ـ (1b) التي كان يلمح إليها بلا شك حين كتب : « لقد توقعت الظفر السهل والأكيد في حالة كنت أعتبرها كحالة هستيريا إمساك نموذجية ، ولكن هذا الظفر لم يقيض لي رغم عظم سهولة العمل (العلاجي) . ولذلك أفترض ؛ مع كل التحفظ الذي يحتمه الجهل ، أن عنصراً دفاعياً يكمن في أساس هستيريا الإمساك ، هذا العنصر حوّل كل العملية إلى مجرد ظاهرة هستيرية »(1c) .

(1) Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. — *a)* Cf. G.W., I, 89 ; S.E., II, 10 ; Fr., 7. — *b)* Cf. G.W., I, 237-41 ; S.E., II, 169-73 ; Fr., 135-38. — *c)* G.W., I, 289-90 ; S.E., II, 286 ; Fr., 231.

Acte manqué | هفوة

Eng.: Parapraxis
D.: Fehlleistung

■ إنه فعل لا تتحقق فيه النتيجة المتوخاة صراحة ، بل تستبدل بغيرها . ولا يقتصر الكلام عن الهفوات للدلالة على مجمل سقطات الكلام ، والذاكرة ، والأفعال ، بل يشمل أيضاً التصرفات التي يستطيع الشخص أن ينجح في تأديتها عادة والتي يميل إلى إلصاق فشله فيها إلى مجرد السهو أو الصدفة .

ولقد بيّن فرويد أن الهفوات هي ، كالأعراض ، عبارة عن تكوينات تسوية بين القصد الواعي عند الشخص وبين المكبوت ■ .

نحيل القارىء حول نظرية الهفوات إلى « سيكوباتولوجية الحياة اليومية عام 1901 » لفرويد ، حيث يتضح أن الفعل الذي يُزعَمْ أنه هفوة ، هو في الواقع فعل ناجح : إذ غالباً ما تتحقق فيه الرغبة بشكل جد صريح .

يترجم المصطلح الفرنسي المستخدم هنا الكلمة الألمانية Fehlleistung التي تشمل تبعاً لفرويد ليس فقط الأفعال حصرياً ، بل أيضاً كل أنواع الأخطاء ، و« مجانبة الهدف » في الكلام وفي النشاط النفسي .

توضح اللغة الألمانية العنصر المشترك بين كل حالات السقطات هذه من خلال حرف التصدير ـ Ver الذي يصادف في كل من : Das vergessen (النسيان) أو Das Versprechen (زلة اللسان) و Das verlesen (هفوة قراءة) و Das Verschreiben (زلة كتابة) و Das vergreifen (الإستهتار في الأفعال) و Das verlieren (ضياع الأشياء) .

تجدر الملاحظة إلى أن مجمل هذه الظواهر الهامشية من الحياة اليومية ، لم تُجمع أو تستوعب قبل فرويد في مفهوم واحد ؛ فنظريته هي التي أطلقت هذه الفكرة . ولقد أشار ناشرو الطبعة الإنجليزية « الطبعة المعيارية » ، إلى أنهم اضطروا لوضع مصطلح انجليزي للدلالة على هذه الفكرة ، وهو مصطلح Parapraxis (أي مجانبة الممارسة) . أما في الفرنسية ، فلقد استخدم مترجم كتاب « سيكوباتولوجية الحياة اليومية » مصطلح Acte manqué (الهفوة) الذي اكتسب مشروعيته ، إنما يبدو أن هذا المصطلح الفرنسي لا يغطي في الاستخدام التحليلي النفسي الشائع في فرنسا ، إلا قسماً من المجال الذي يغطيه مصطلح Fehlleistung الألماني ، أي أنه لا يغطي إلا سقطات الفعل بالمعنى الحصري للكلمة .

هو (الـــ) (إسم)

Ça (subst).
Eng.: ID
D.: ES

■ إنه أحد الأركان الثلاثة التي ميّزها فرويد في نظريته الثانية عن الجهاز النفسي . يكوّن الهو قطب الشخصية النزوي . وتكون محتوياته التي تشكّل التعبير النفسي للنزوات لا واعية ، وهي وراثية فطرية في جزء منها ، ومكبوتة مكتسبة في الجزء الآخر .

إنه بالنسبة لفرويد المستودع الأول للطاقة من وجهة نظر اقتصادية ، كما يدخل على المستوى الديناني في صراع مع الأنا والأنا الأعلى اللذين يُشتقّان منه على الصعيد التكويني ■ .

قُدّم مصطلح الهو(١) في (الأنا والهو عام 1923) . ولقد إقتبسه فرويد عن جورج

جروديك (ب) نقلاً عن سلفه نيتشه الذي يشير بذلك إلى « . . . ما ليس شخصياً في كياننا وبالتالي ما هو ضروري بالطبيعة لهذا الكيان إذا جاز القول »(1a) .

يستحوذ مصطلح الهو على اهتمام فرويد من حيث توضيحه للفكرة التي وسّعها جروديك في أن « . . . ما نطلق عليه إسم الأنا الخاص بنا يتصرف في الحياة بطريقة غاية في الفتور وأن [. . .] قوى مجهولة وخارجة عن كل سيطرة تعيش فينا»(حـ) (1b)؛ وهو مما يتطابق أيضاً مع كلام المرضى التلقائي في صيغ من مثل « لقد كان ذلك أقوى مني ، لقد إعتراني فجأة ، إلخ . . »(2) .

أدخل مصطلح الهو خلال التعديل الذي أجراه فرويد على نظريته الموقعية في الأعوام 1920 -1923 . وتعادل المكانة التي يحتلها الهو في النظرية الموقعية الثانية نفس المكانة تقريباً التي كانت لنظام اللاوعي في النظرية الموقعية الأولى ؛ مع بعض الفروق التي يمكن توضيحها كالتالي :

1 ـ يتطابق اللاوعي في النظرية الموقعية الأولى مع المكبوت ، بإستثناء بعض المحتويات أو الصيائم Schemes المكتسبة نشوئياً .

وعلى العكس من هذا يضع فرويد في كتابه (الأنا والهو ، الفصل الأول) في مكان الصدارة واقعية كون الركن الكابت ـ أي الأنا ـ وعملياته الدفاعية هو لا واعٍ في القسم الأعظم منه . مما ينتج عنه إنطلاقاً من ذلك أن الهو يغطي نفس المحتويات التي كان يغطيها اللاوعي سابقاً ، بدون أن تشمل هذه التغطية مجمل النفس اللاواعية .

2 ـ يؤدي تعديل نظرية النزوات وتطور فكرة الأنا إلى اختلاف آخر . كان الصراع العصابي يحدد بادىء ذي بدء بالتعارض ما بين نزوات الجنس وبين نزوات الأنا ، حيث تلعب هذه الأخيرة دوراً رئيسياً في تحريك الدفاعات (أنظر صراع) . ولكن مجموعة نزوات الأنا تفقد إستقلاليتها ابتداءً من الأعوام 1920 -1923 وتُدمج في التعارض الكبير ما بين نزوات الحياة ونزوات الموت . ولم يعد الأنا يُحدد إذاً بنمط من الطاقة النزوية النوعية ، حيث أصبح الهو باعتباره الركن الجديد ، يضم في الأصل كلا النمطين النزويين :

وباختصار لم يعد الدفاع ينصب على القطب اللاواعي من الشخصية بل أصبح ينصب ضد قطبها النزوي .

وبهذا المعنى أصبح الهو يعتبر « الخزّان الأكبر » للبيدو (د) ، وللطاقة النزوية بشكل عام (1c، 1d) . ويستمد الأنا الطاقة التي يستخدمها من هذا الرصيد المشترك ، خصوصاً على شكل طاقة « متسامية ومجردة من طابعها الجنسي » .

3 ـ تطرح حدود الركن الجديد بالنسبة للأركان الأخرى ، وبالنسبة إلى الحيز البيولوجي بشكل مغاير وأقل وضوحاً على العموم مما كان عليه الحال في النظرية الموقعية الأولى :

أ ـ فالفاصل أصبح أقل صراحة بين الأنا والهو مما كانت عليه حدود الرقابة ما بين اللاوعي وما قبل الوعي ـ الوعي : « إذ لا ينفصل الأنا عن الهو بشكل قاطع ؛ بل يختلط به في جزئه السفلي . كذلك يمتزج المكبوت بالهو باعتبار كونه (أي المكبوت) جزءاً منه . ولا ينفصل المكبوت عن الأنا بشكل قاطع إلا من خلال مقاومات الكبت ، ويمكنه التواصل معه (أي مع الأنا) من خلال الهو »(1e) .

يرجع هذا التلاقي ما بين الهو وبين الركن الكابت إلى التعريف التكويني الذي أعطى لهذا الأخير، حيث أن الانا هو «... ذلك الجزء من الهو الذي تغيّر بتأثير مباشر من العالم الخارجي، من خلال توسط نظام الإدراك ـ الوعي »(1i).

ب ـ وكذلك فالأنا الأعلى ليس ركناً مستقلاً صراحة؛ فهو « يغوص في الهو »(3c)، لأنه لا واعٍ في القسم الأكبر منه.

جـ ـ وأخيراً، فالتميز ما بين الهو وبين الأساس البيولوجي للنزوة أقل قطعية مما كان عليه حال التميز ما بين اللاوعي وبين منبع النزوة: إذ أن الهو « مفتوح في طرفه الأقصى على ناحية الجسد »(3b). وهكذا فإذا لم ترفض فكرة « تدوين » النزوة التي كانت تجد الدليل عليها في مصطلح « الممثل » صراحة فإنها لم تتأكد من جديد.

4 ـ هل يمتلك الهو « نموذجاً تنظيمياً »، وبنية داخلية نوعية؟ لقد أكد فرويد نفسه أن الهو عبارة عن « فوضى كاملة »: « إنه يفيض بالطاقة الصادرة عن النزوات، ولكن ليس له تنظيم، ولا هو مصدر أي إرادة عامة... »(3c). ولا تكاد تعرّف خصائص الهو إلا بشكل سالب في مقابل نموذج تنظيم الأنا.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن فرويد يعتمد، بصدد الهو، معظم الخصائص التي كانت تحدد اللاوعي، في النظرية الموقعية الأولى، والتي تكوّن نموذجاً تنظيمياً إيجابياً وأصيلاً أي: العمل تبعاً للعمليات الأولية، وتنظيم عقدي، وتدرج تكويني للنزوات، إلخ. وكذلك تتضمن ثنائية نزوات الحياة، ونزوات الموت المطروحة حديثاً مسألة انتظام هذه النزوات في تعارض جدلي. وهكذا فغياب تنظيم الهو نسبي إذاً، ويجد معناه في غياب العلاقات المميزة لتنظيم الانا. يتبين هذا الغياب، قبل كل شيء، في واقعة تواجد « محركات [نزوية] متعارضة جنباً إلى جنب بدون أن تلغي بعضها البعض الاخر، أو تختزن إحداها إلى الأخرى »(3d). أفضل ما يميز تنظيم الهو، كما أشار إليه دانيال لاجاش هو غياب الموضوع المتماسك الذي يتضمنه اختيار فرويد لضمير محايد للدلالة عليه(2).

5 ـ وأخيراً فإن أفضل ما يسمح بفهم الإنتقال من « لاوعي » النظرية الموقعية الأولى إلى « هو » النظرية الموقعية الثانية، هو إختلاف المنظورات التكوينية التي يندرجان فيها.

إذ كان اللاوعي يستمد مصدره من الكبت الذي أحدث، من خلال مظهره المزدوج التاريخي والأسطوري، إنفصالاً جذرياً في النفس ما بين نظامي اللاوعي وبين ما قبل الوعي ـ الوعي.

ومع النظرية الموقعية الثانية، تفقد لحظة الإنفصال هذه بين الاركان طابعها الأساسي. فلقد أصبحت نشأة مختلف الأركان تعتبر كتمايز تدريجي، وبرور لمختلف الأنظمة. ومن هنا إهتمام فرويد في التوكيد على الإستمرارية في النشوء التي تنطلق من الحاجة البيولوجية لتؤدي إلى الهو، ومن هذا الأخير إلى الأنا والأنا الأعلى في آن معاً. وبهذا المعنى يصبح هذا المفهوم الفرويدي الجديد للجهاز النفسي أكثر قابلية مما سبقه للتأويل الذي يسبغ على الموضوع « طابعاً بيولوجياً » أو « طابعاً طبيعياً ».

(أ) ترجم الهو في الترجمات الفرنسية الأولى بكلمة « الذات »(Soi) ولا زلنا نصادف هذه الترجمة إما بشكل متزايد في

ندرته عند بعض الكتاب الفرنسيين ، إذ أن مصطلح « الذات » مخصص على الأغلب للدلالة على المصطلح الإنجليزي «Self» أو الألماني (Selbst) .

(ب) كان جروديك طبيباً عقلياً ألمانياً قريباً من أوساط التحليل النفسي ؛ ولقد كتب عدة مؤلفات مستوحاة من أفكار فرويد ، وخصوصاً كتاب « الهو » الذي ترجم إلى الفرنسية عام 1963 بعنوان : « في أعماق الإنسان ، الهو » دار جاليمار ، باريس .

(جـ) يصف جروديك ما يعنيه بالـ « هو » كالتالي . « أنا أتمسك بالرأي القائل بأن الإنسان مسير بالمجهول ، فهناك قوة مذهلة تسير في آن معاً ما يعمله وما يصيبه . فعبارة « أنا أحيا » ليست صحيحة إلا بشكل مشروط، إذ أنها لا تعبّر إلا عن قسم ضيق وسطحي من المبدأ الأساسي وهو أن : « الإنسان يحركه الهو » . . . »(5) .

(د) يستطيع القارىء أن يرجع لفائدته إلى التعليق الذي قدمه حول هذه النقطة ناشرو الطبعة المعيارية لأعمال فرويد (S.E., XIX, 63-6) .

(1) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 251, n. 2 ; S.E., XIX, 23, n. 3 ; Fr., 177, n. 2. — *b)* G.W., XIII, 251 ; S.E., XIX, 23 ; Fr., 177. — *c)* Cf. G.W., XIII, 258, n. ; S.E., XIX, 30, n. 1 ; Fr., 185, n. 1. — *d)* Cf. G.W., XIII, 275 ; S.E., XIX, 46 ; Fr., 202. — *e)* G.W., XIII, 251-2 ; S.E., XIX, 24 ; Fr., 178. — *f)* G.W., XIII, 252 ; S.E., XIX, 25 ; Fr., 179.

(2) Freud (S.). *Die Frage der Laienanalyse*, 1926. G.W., XIV, 222 ; S.E., XX, 195 ; Fr., 140.

(3) Freud (S.) *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1932. — *a)* G.W., XV, 85 ; S.E., XXII, 79 ; Fr., 109. — *b)* G.W., XV, 80 ; S.E., XXII, 73-4 ; Fr., 103. — *c)* G.W., XV, 80 ; S.E., XXII, 73-4 ; Fr., 103. — *d)* G.W., XV, 80 ; S.E., XXII, 73-4 ; Fr., 103.

(4) Cf. Lagache (D.). *La psychanalyse et la structure de la personnalité*. In *La psychanalyse*, P.U.F., 1961, VI, 21.

(5) Groddeck (G.). *Das Buch vom Es*, 1923. All., 10-11 ; Fr., 20.

هوام

Fantasme
Eng.: Fantasy or phantasy
D.: Phantasie

■ إنه سيناريو خيالي يكون الشخص حاضراً فيه ، وهو يصور ، بطريقة تتفاوت في درجة تحويرها بفعل العمليات الدفاعية ، تحقيق رغبة ما ، وتكون هذه الرغبة لا واعية في نهاية المطاف .

يظهر الهوام بوجوه مختلفة : فقد يكون هوامات واعية ، أو أحلام يقظة ، أو هو يكون هوامات لا واعية يكشف عنها التحليل كبنى كامنة خلف محتوى ظاهر ، أو قد يكون هوامات أصلية ■ .

أولاً : يدل المصطلح الألماني Phantasie على الخيال . ولا يقصد بذلك ملكة التخيل بالمعنى الفلسفي للكلمة ، بقدر ما يعني العالم الخيالي بمحتوياته ، والنشاط الخلاق الذي يحركه . ولقد أخذ فرويد مختلف هذه الاستعمالات عن اللغة الألمانية .

وأما في الفرنسية فقد وضع مصطلح الهوام في الاستعمال من قبل التحليل النفسي ، وهو لذلك أكثر تشبعاً بالأصداء التحليلية النفسية من مثيله الألماني . ولكنه لا يتطابق ، من ناحية ثانية تماماً مع المصطلح الألماني نظراً لضيق شقة امتداده . فهو يقتصر في دلالته على تكوين خيالي خاص من نوع

ما ، ولا يدل على عالم التخيلات ، والنشاط التخيلي بوجه عام .

إقترح دانيال لاجاش العودة إلى مصطلح Fantaisie أي التخيّل المنطلق بمعناه القديم ، والذي يمتاز بدلالته على النشاط الإبتكاري وعلى الإنتاج في آن معاً ، ولكنه يعاني ، من وجهة نظر الألسنية المعاصرة ، من قابليته للإيحاء بالأهواء ، والطرافة وانعدام الجدية ، إلخ .

ثانياً : لا يفوت تعابير الهوامات والهوامي إثارة التعارض ما بين الخيال والواقع (الإدراك) . وإذا جعلنا هذا التعارض المرجع الرئيسي في التحليل النفسي ، فإننا سنجر إلى تعريف الهوام كنتاج وهمي محض لا يصمد أمام المقاربة الصحيحة للواقع . وبالفعل يبدو أن بعض نصوص فرويد تبرر توجهاً من هذا القبيل . إذ يضع فرويد في « صياغات حول مبدئي النشاط الوظيفي النفسي عام 1911 » مقابل العالم الداخلي الذي ينحو نحو الإشباع الوهمي عالماً خارجياً يفرض تدريجياً على الشخص مبدأ الواقع ، من خلال توسط النظام الإدراكي .

وغالباً ما تثار أيضاً بهذا الإتجاه نفسه طريقة اكتشاف فرويد لأهمية الهوامات في نشأة الأعصبة : فلقد تخلى فرويد ، الذي أقرّ بادىء ذي بدء بواقعية المشاهد الطفلية المولدة للمرض والتي تصادف أثناء التحليل ، نهائياً عن قناعته الأولى ؛ مديناً « خطأه » : إذ لم يكن الواقع المادي ظاهرياً لهذه المشاهد سوى « واقع نفسي » (1) .

إنما تجدر الإشارة هنا إلى أن تعبير « الواقع النفسي » ذاته ليس مجرد مرادف للعالم الداخلي ، أو للحقل النفسي ، إلخ . فهو يشير إذا أخذ بمعناه الأكثر عمقاً عند فرويد إلى تلك النواة الصلبة ، والمغايرة في هذا الحقل ، تلك النواة التي تتمتع وحدها « بالواقعية » فعلاً ، بالنسبة إلى معظم الظواهر النفسية . « هل يجب الإقرار « بواقعية » ما للرغبات اللا واعية ؟ لست أدري . بالطبع لا بد من إنكار هذه الواقعية على كل أفكار الإنتقال والإرتباط . فحين نجد أنفسنا إزاء رغبات لا واعية وقد رُدّت إلى تعبيرها الأخير والأكثر حقيقية ، لا مناص لنا من القول بأن « الواقع النفسي » هو شكل من الوجود الخاص الذي لا يمكن دمجه بالواقع « المادي » »(1a) .

يتمثل مجهود فرويد وكل التفكير التحليلي النفسي تحديداً في محاولة تبيان استقرار ، وفعالية الحياة الهوامية للشخص وطابعها المنظم نسبياً . وفي هذا المنظور ، إستخلص فرويد منذ أن تركز إهتمامه على الهوامات ، أساليب نمطية من السيناريوهات الهوامية من مثل « الرواية الأسرية » . ولقد رفض أن ينجرف إلى حبس نفسه في التعارض ما بين مفهوم يجعل من الهوام أحد المشتقات المحورة لذكرى أحداث فعلية وعارضية ، وبين مفهوم آخر لا يعطي الهوام أي واقعية خاصة ، ولا يرى فيه سوى تعبير خيالي يرمي إلى حجب واقعية الدينامية النزوية . فلقد أدت الهوامات النمطية التي اكتشفها التحليل النفسي بفرويد إلى افتراض وجود صيامات لا واعية تتجاوز المعاش الفردي وتنتقل وراثياً وهي : « الهوامات الأصلية » .

ثالثاً : لمصطلح الهوام استخدام جد واسع في التحليل النفسي . ويعاني هذا الاستخدام في رأي بعض الكتاب من عيب ترك الوضعية الموقعية للتكوين موضع البحث - أي واعٍ ، ما قبل واعٍ أو لا واعٍ - عائمة وتفتقر إلى التحديد .

ولا بد من التمييز بين مستويات عدة ، لكي نفهم فكرة الـPhantasie الفرويدية :

1 - إن ما يدل عليه فرويد بإسم الخيال المنطلق ، هي قبل أي شيء آخر أحلام اليقظة والمشاهد ، والروايات ، والخرافات والوقائع التي يبنيها الشخص ويرويها في حالة اليقظة . ولقد بيّن بروير وفرويد في « دراسات حول الهستيريا عام1895 » مدى تكرار وأهمية هذا النشاط الهوامي عند الهستيري ، ووصفاه بأنه « لا واع » على الأغلب ، أي أنه يحدث خلال حالات الغيبوبة أو الحالات التنويمية .

وأما في كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » فيستمر فرويد أيضاً في وصف الهوامات على غرار نموذج أحلام اليقظة . فهو يحللها كتكوينات تسوية مبيناً أن بنيتها مشابهة لبنية الحلم . وهنا تستخدم هذه الهوامات أو أحلام اليقظة من قبل الإرصان الثانوي ، الذي يشكل عامل شغل الحلم ؛ والذي يبلغ أقصى درجات الإقتراب من النشاط اليقظ .

2 - يستخدم فرويد بكثرة تعبير « الهوام اللاواعي » دون أن يتضمن ذلك دوماً موقعاً ما وراء نفسانياً محدداً بشكل جيد . ويبدو أنه يشير بذلك أحياناً إلى أطياف ضبابية ، ما قبل واعية ينساق الشخص إليها دون أن يعيها بالضرورة فيما بعد(2) . فهو يصف في مقالته « الهوامات الهستيرية وعلاقتها بالثنائية الجنسية عام1908 » الهوامات « اللاواعية » التي تعتبر مقدمة للأعراض الهستيرية ، بأنها على ارتباط وثيق مع الاحلام النهارية .

3 - يبدو الهوام ، تبعاً لمنحى فكري آخر ، على علاقة أوثق بكثير باللاوعي . وهكذا يضع فرويد فعلاً ، في الفصل السابع من « تأويل الأحلام » بعض الهوامات على مستوى لا واع بالمعنى الموقعي لهذا المصطلح ، تلك الهوامات المرتبطة بالرغبة اللاواعية والتي تشكل منطلق عملية تكوين الحلم الما وراء نفسانية : يذهب الشطر الأول من « المسار » الذي يؤدي إلى الحلم « . . . بشكل صاعد من المشاهد أو الهوامات اللاواعية وصولاً إلى ما قبل الوعي »(1b) .

4 - يمكننا إذاً أن نميز في أعمال فرويد ، وبدون أن يشير هو نفسه إلى ذلك صراحة ، عدة مستويات للهوام : الواعي ، والضبابي ، واللاواعي(ب) . ولكن فرويد يبدو مهتماً بالتأكيد على الصلات ما بين مختلف هذه الأوجه ، أكثر من اهتمامه بإقامة هذا النوع من التمييز :

أ - ففي الحلم ، قد تكون أحلام اليقظة المستعملة في الإرصان الثانوي على صلة مباشرة مع الهوام اللاواعي الذي يشكل « نواة الحلم » : « إذ غالباً ما يتضح أن هوامات الرغبة التي يكشف عنها التحليل في الأحلام الليلية ، ما هي إلا تكرارات وتعديلات لمشاهد طفلية ؛ وهكذا تدلنا واجهة العديد من الأحلام بشكل مباشر على النواة الحقيقية للحلم التي تتعرض للتحوير نظراً لاختلاطها بمادة أخرى »(3) . وهكذا يتواجد الهوام في عمل الحلم ، عند طرفي العملية : فهو مرتبط من ناحية مع الرغبة اللاواعية الأكثر عمقاً ، أي مع « ممول » الحلم ، وهو من ناحية ثانية موجود على الطرف الآخر في الإرصان الثانوي . وإن لم يلتق طرفا الحلم ، والأسلوبان الهواميان اللذان يتواجدان فيه ، إلا أنه يبدو على الأقل أنهما يتواصلان من الداخل ، وكأنهما يرمزان إلى بعضهما البعض ؛

ب - يجد فرويد في الهوام « نقطة مفضلة » حيث يمكن الإستيعاب الآني لعملية « العبور » ما

بين مختلف الأنظمة النفسية : أي الكبت أو عودة المكبوت . « . . . حيث تقترب الهوامات جداً من الوعي ، وتظل هناك دون أن تتعرض لأي إزعاج طالما لم تحظ بتوظيف مفرط ، ولكنها تُبعد منذ أن تتجاوز مستوى معيناً من التوظيف » .

جـ - يربط فرويد في أكمل تعريف ما وراء نفساني أعطاه للهوام ما بين مختلف أوجهه الأكثر بعداً عن بعضها البعض ظاهرياً : « فهي [أي الهوامات] من ناحية على درجة عالية من التنظيم والبعد عن التناقض ، إذ أنها تستغل كل مميزات نظام الوعي مما يجعل حكمنا على الأمور يميزها بصعوبة عن تكوينات هذا النظام ؛ وهي من ناحية أخرى ، لا واعية وعاجزة عن النفاذ إلى الوعي . إن منشأها (اللاواعي) هو الذي يشكل العنصر الحاسم في تقرير مصيرها . وقد تصح مقارنتها بأولئك الرجال ذوي الدم الهجين الذين يشبهون البيض بشكل إجمالي ، ولكنّ بعض المؤشرات البارزة تكشف لونهم الأصلي ، وبالتالي فهم يظلون نتيجة لذلك مبعدين إجتماعياً ، ولا يتمتعون بأي من الإمتيازات المخصصة للبيض »(4b) .

يبدو إذاً أن مشكلية الهوام الفرويدية لا تقتصر فقط على عدم السماح بإجراء تمييز « نوعي » ما بين الهوام اللاواعي والهوام الواعي ، بل هي ترمي على الأغلب إلى تأكيد التماثلات والعلاقات الوثيقة بين أنواعها ، وتأكيد التبادلات فيما بينها : « فهوامات الشاذين الصريحة - التي يمكن أن تتحول في ظروف ملائمة إلى سلوك مترابط - ، ومخاوف العظاميين الهذيانية - التي تسقط على الغير بشكل عدائي - ، وهوامات الهستيري اللاواعية - والتي نكتشفها خلف أعراضه بواسطة التحليل النفسي - تتطابق محتوياتها حتى في أدق التفاصيل »(5) . ففي تكوينات خيالية ، وبنى نفسية مرضية تبلغ نفس الدرجة من اختلاف التكوينات التي يشير إليها فرويد هنا ، قد يتلاقى نفس المحتوى ونفس التنسيق ، سواء أكانا واعيين أم لا واعيين ، وسواء أكانا مجسدين عملياً أم متصورين ، وكذلك سواء اعترف بهما الشخص وتبناهما أم هو أسقطهما على الغير .

وهكذا ينكب المحلل النفسي ، أثناء العلاج ، على استخلاص الهوام الكامن وراء إنتاجات اللاوعي من مثل الحلم ، والعارض ، والتفعيل ، حتى أن تقدم الإستقصاء التحليلي يظهر أن تلك الأوجه من السلوك المفرطة في بعدها عن النشاط التخيلي ، والتي تبدو للوهلة الأولى محكومة بمتطلبات الواقع وحدها ما هي في الحقيقة إلا نتاج ، أو مشتقات من الهوامات اللاواعية . وفي هذا المنظور يبدو أن ما يمكن تسميته بالبعد الهوامي ، إشارة إلى طابعه الإنبنائي يلعب دور المكوّن والمنسق لمجمل حياة الشخص . ولا يجب الإقتصار على فهم هذه الهوامات كموضوعات ، مهما بلغت درجة إتصافها بسمات متفردة عند كل شخص ؛ بل هي تتضمن ديناميتها الخاصة ، إذ تحاول البنى الهوامية أن تفصح عن نفسها ، وأن تجد لها منفذاً إلى الوعي والفعل ، مما يجعلها تجذب نحوها دوماً مادة جديدة .

رابعاً : تقوم بين الهوام والرغبة أوثق الصلات ، كما يشهد عليه مصطلح فرويدي هو : Wunschphantasie أي هوام الرغبة(6) . فكيف يتعين علينا أن نفهم هذه الصلة إذاً ؟ من المعلوم تبعاً لفرويد أن الرغبة تجد مصدرها وغوذجها في « تجربة الإشباع » : « إذ يبدو أن أول المرغوبات كانت عبارة عن توظيف هلاسي لذكرى الإشباع »(1c) . فهل يعني هذا القول أن أكثر الهوامات

بدائية هي تلك التي تنزع إلى استعادة الموضوعات الهلاسية المرتبطة بأول تجارب صعود التوتر الداخلي ومن ثم تصريفه ؟ وهل بالإمكان القول بأن أولى الهوامات هي هوامات موضوع ، أو موضوعات هوامية تستهدفها الرغبة كما تستهدف الحاجة موضوعها الطبيعي ؟

تبدو لنا العلاقة ما بين الهوام والرغبة أكثر تعقيداً . وحتى في أكثر أشكاله بدائية ، يبدو الهوام غير قابل للاختزال إلى مجرد غاية مقصودة من قبل الشخص الراغب :

1 ـ ذلك أننا بصدد سيناريوهات لمشاهد منظمة ، قابلة لأن تمثل على شكل بصري على الأغلب ، حتى ولو عرضت في جملة واحدة ؛

2 ـ يكون الشخص حاضراً دوماً في هذه المشاهد؛ حتى في « المشهد الأولي » ، حيث يمكن أن يبدو مستبعداً، حيث يظهر في الواقع ، ليس كشاهد فقط ، بل كمشارك بطرأ ليدخل الإضطراب على الجماع بين الوالدين على سبيل المثال ؛

3 ـ لا تتعلق المسألة بموضوع يبدو وكأنه مستهدف من قبل الشخص، بل هي تتعلق بتسلسل يشكل الشخص جزءاً لا يتجزأ منه ، كما أنه يحتمل إنقلابات في الأدوار والمزايا (يمكن الرجوع في هذا الصدد خصوصاً للتحليل الذي قام به فرويد لهوام « طفلٌ يُضرب » عام1919 ، ولمختلف تغيرات الصياغة التي دخلت على هذه الجملة ؛ كما يمكن الرجوع أيضاً إلى تحولات الهوام الجنسي المثلي في « حالة شريبر ») ؛

4 ـ وبقدر ما تتمفصل الرغبة في الهوام على هذا الغرار، فإنه (أي الهوام) يكون أيضاً مسرحاً للعمليات الدفاعية ؛ إذ أنه يفسح المجال لأكثر العمليات الدفاعية بدائية من مثل الإرتداد على الشخص ذاته ، والقلب إلى الضد ، والإنكار ، والإسقاط ؛

5 ـ ترتبط أمثال هذه الدفاعات برباط لا إنفكاك منه بالوظيفة الأولى للهوام ـ أي إخراج الرغبة ـ وهو إخراج يَمْثُلُ فيه « الممنوع » دوماً في موقع الرغبة نفسها .

(أ) لقد وصف فرويد ، في مناسبات عدة ، هذا التحول في فكره(7) بتعابير تزكّي هذا الأسلوب في الطرح. إنما تبين لنا الدراسة المتأنية للمفاهيم الفرويدية وتطوّرها ما بين عامي 1895 و1900 ، أن شهادة فرويد نفسه ، بما فيها من تبسيط مفرط ، لا تبين كل تعقيد وغنى طروحاته بخصوص مكانة الهوام (أنظر من أجل تبيان هذه الفترة كل من لابلانش وبونتاليس في مقالتهما بعنوان : الهوام الأصلي ، هوامات المنشأ ، ومنشأ الهوام عام1964)(8) .

(ب) تقترح سوزان إيزاك في مقالتها بعنوان « طبيعة ووظيفة الهوام عام1948 »(9) إعتماد كلا الكتابتين (Fantasy وPhantasy) للدلالة بواسطة الأولى على « أحلام اليقظة الواعية ، والتخريفات ، إلخ » ، وبواسطة الثانية على « . . . المحتوى الأولي للعمليات العقلية اللاواعية » . تعتقد هذه الكاتبة أنها تغير بذلك مصطلحات التحليل النفسي مع البقاء أمينة لفكر فرويد . وأما نحن فـ نجد على العكس من ذلك أن هذا التمييز المقترح لا يتمشى مع تعقيد طروحات فرويد. وعلى كل حال فإن هذا التمييز سيؤدي ، خلال ترجمة نصوص فرويد ، إلى أكثر التأويلات إعتباطاً ، فيما لو أردنا الاختيار ما بين هاتين الكتابتين ، في هذا المقطع أو ذاك .

(1) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. – *a)* G.W., II-III, 625 ; S.E., V, 620 ; Fr., 504. — *b)* G.W., II-III, 579 ; S.E., V, 574 ; Fr , 469. — *c)* G.W , II-III, 604 ; S.E., V, 599 ; Fr., 488-9.

(2) Cf. Freud (S.). *Hysterische Phantasien und ihre Beziehung zur Bisexualität*, 1908. G.W., VII, 192-3 ; S.E., IX, 160.

(3) Freud (S.). *Über den Traum*. 1901. G.W., II-III, 680 ; S.E., V, 667 ; Fr., 111.

(4) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* G.W., X, 290 ; S.E., XIV, 191 ; Fr., 137-8. — *b)* G.W., X, 289 ; S.E., XIV, 190-1 ; Fr., 137.
(5) Freud (S.). *Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie*, 1905. G.W., V, 65, n. 1 ; S.E., VII, 165, n. 2 ; Fr., 174, n. 33.
(6) Cf. Freud (S.). *Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre*, 1917. *Passim*.
(7) Cf. par exemple : Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1916-17.
(8) Cf. Laplanche (J.) et Pontalis (J.-B.). In *Les Temps modernes*, n° 215, pp. 1833-68.
(9) Isaacs (S.). In *I.J.P.*, 1948, XXIX, 73-97. Fr., in *La Psychanalyse*, vol. 5, P.U.F., Paris, 125-182.

هوام لا واع

Phantasme
Eng.: Phantasy
D.: Phantasie

■ إقترحت سوزان إيزاك هذه التهجئة لكلمة هوام والتي تبناها من بعدها مختلف المؤلفين والمترجين للدلالة على الهوام اللاواعي ، وتمييزه عن الهوام الواعي ■ .

أنظر التعليق حول مصطلح : هوام .

هوامات أصليّة

Fantasmes originaires
Eng.: Primal phantasies
D.: Urphantasien

■ إنها البنى الهوامية النمطية (من مثل الحياة الرحمية ، المشهد الأولي ، الخصاء ، والغواية) التي يجدها التحليل النفسي في أساس تنظيم الحياة الهوامية ، وذلك مهما كانت طبيعة تجارب الشخص الذاتية ؛ ويُفسر الطابع الكوني لهذه الهوامات ، تبعاً لفرويد ، في كونها تشكل تراثاً ينتقل عبر الأجيال ■ .

يظهر مصطلح Urphantasien في كتابات فرويد ، عام 1915 إذ يقول : « أطلق تسمية الهوامات الأصلية على هذه التشكيلات الهوامية من مثل ـ ملاحظات العلاقة الجنسية بين الوالدين ، الغواية ، الخصاء ، إلخ »(1) . تصادف الهوامات المسماة أصلية بشكل عام جداً عند الكائنات البشرية ، وبدون إمكانية ردها في كل حالة إلى مشاهد عاشها الشخص فعلياً ؛ وهي لذلك تستوجب ، تبعاً لفرويد ، تفسيراً نشوئياً يسترد فيه الواقع حقه : إذ من المحتمل أن الخصاء على سبيل المثال كان يمارس فعلياً من قبل الأب في ماضي الإنسانية السحيق . «من المحتمل أن كل الهوامات التي تروى لنا حالياً في التحليل ، كانت في بدايات نشأة العائلة البشرية ، حقيقة واقعة ، وأن الطفل يسد من خلال إختلاق الهوامات ، ثغرات حقيقته الفردية ، مستعيناً على ذلك بالحقيقة ما قبل التاريخية »(2) . أي بتعابير أخرى ، إن ما كان يشكل واقعاً فعلياً فيما قبل التاريخ أصبح الآن واقعاً نفسياً .

ليس من اليسير فهم ما يقصده فرويد بالهوام الأصلي إذا أخذ بمعزل عما عداه ؛ إذ يأتي تقديم هذه الفكرة في الحقيقة ، في نهاية مطاف جدل طويل حول العناصر النهائية التي يمكن أن يبيّنها التحليل النفسي في أصول العصاب ، وبشكل عام ، وراء الحياة الهوامية لكل فرد .

فلقد جهد فرويد منذ مرحلة مبكرة لاكتشاف أحداث أثرية فعلية كفيلة بأن تمدنا بالأساس الأول للأعراض العصابية . فهو يطلق تسمية « المشاهد الأولية » على هذه الأحداث الفعلية ، والصدمية التي ترصن الهوامات ذكراها وتحجبها عنا أحياناً . يحتفظ واحد من بينها في اللغة التحليلية النفسية باسم Urszene : أي مشهد الجماع بين الوالدين الذي يكون الطفل قد حضره (أنظر : مشهد أولي) . ولا بد من التنويه بواقعة الدلالة على هذه الأحداث الأولى باسم « المشاهد » والتي يجهد فرويد منذ البداية باستخلاص عدد محدود من السيناريوهات النمطية من بينها(3) .

وليس بالإمكان هنا استعراض التطور الذي قلد فرويد من هذا المفهوم الواقعي « للمشاهد الأولية » إلى فكرة « الهوام الأصلي » ؛ ذلك أن هذا التطور على ما فيه من تعقيد يتلازم مع استخلاص فكرة الهوام التحليلية النفسية . وإنه لمن تبسيط الأمور الإعتقاد بأن فرويد تخلى بكل بساطة عن مفهومه الأول الذي يرجع أسباب العصاب الى الصدمات الطفلية العارضة ، لصالح نظرية ترى في الهوام نذيراً بالعارض ، ولا تعترف لهذا العارض بأي واقع آخر ما عدا تعبيره بأسلوب خيالي عن حياة نزوية تتحدد خطوطها الكبرى بيولوجياً . ففي الواقع ، يظهر العالم الهوامي في التحليل النفسي مباشرة بمظهر له متانة وتنظيم وفعالية يتضمنها جيداً مصطلح « الواقع النفسي » .

وخلال الأعوام 1907 -1909 حيث أثار مصطلح الهوام العديد من الأعمال ، وارتقى الى مرتبة الاعتراف الكامل بفعاليته اللاواعية ، باعتباره يكمن خلف النوبة الهستيرية التي ترمز إليه على سبيل المثال ، نرى فرويد وقد إنكب على الكشف عن متتاليات نمطية ، وسيناريوهات خيالية (الرواية الأسرية) ، أو بنيانات نظرية (النظريات الجنسية الطفلية) يحاول العصابي ، كما هو حال « كل ابن آدم » على الأغلب ، البحث من خلالها عن إجابات على ألغاز وجوده الكبرى .

ولكن مما يلفت النظر أن التعرف الكامل على الهوام كمجال قائم بذاته ، قابل للإستكشاف ، ويمتلك صلابته الذاتية ، كل ذلك لا يلغي بالنسبة لفرويد مسألة مصدر هذا الهوام . إذ يقدم لنا تحليل « رجل الذئاب » المثل الأفصح عن ذلك : حيث يحاول فرويد إرساء واقعية مشهد ملاحظة الجماع بين الوالدين ، من خلال إعادة بنائه في أدق تفاصيله ، وحين تأتي أطروحة يونغ لتزعزع محاولته ، تلك الأطروحة القائلة بأن مشهداً كهذا ليس سوى هوام يقيمه الشخص الراشد بشكل رجعي ، فإنه (فرويد) لا يتراجع عن إصراره على أن الإدراك قد أمدّ الطفل ببعض المؤشرات ، إلا أنه يقدم إضافة إلى ذلك فكرة الهوام الأصلي . تتلاقى في هذه الفكرة ضرورة العثور عما يمكن تسميته ركيزة الحدث (وإذا كانت هذه الركيزة قد امحت من تاريخ الشخص ، بفعل التفتت والتبعثر ، فإننا نصعد في الزمن وصولاً إلى تاريخ النوع البشري) مع الاهتمام بإرساء بنية الهوام نفسها على شيء آخر غير ذلك الحدث . وقد أوشك هذا الاهتمام أن يوصل فرويد إلى حد توكيد صدارة البنية السابقة على الفرد ، على تجربته الفردية : « وحين لا تتكيف الأحداث مع الصميمة الوراثية ، فإنها تتعرض

إلى تعديلٍ في الهوام [. . .] . وهذه الحالات هي بالتحديد المؤهلة لأن تبين لنا الوجود المستقل للصميمة . وبمقدورنا غالباً أن نلاحظ انتصار الصميمة (الوراثية) على التجربة الفردية ؛ ففي الحالة التي نحن بصددها على سبيل المثال [أي حالة رجل الذئاب] يصبح الأب هو الذي يخصي وهو الذي يهدد الجنسية الطفلية ، بالرغم من وجود عقدة أوديب معكوسة [. . .] . ويبدو أن التناقضات التي تعرض ما بين التجربة (الفردية) والصميمة (الوراثية) هي التي تقدم مادة وافرة للصراعات الطفلية »(4) .

فإذا نظرنا الآن في الموضوعات التي نعثر عليها في الهوامات الأصلية ، (أي المشهد الأولي ، والخصاء ، والغواية) فستشدّ انتباهنا صفة مشتركة بينها : إذ تنصب جميعها على مسألة الأصول . فهي تزعم ، على غرار الأساطير الجماعية ، أنها تحمل تصوراً و« حلاً » لما يشكل لغزاً كبيراً بالنسبة للطفل ؛ فهذه الهوامات تجسد لحظة بزوغ ومصدر تاريخ ما يبدو للشخص كواقع تتطلب معرفة طبيعته تفسيراً ، و« نظرية » . فما يتجلى في « المشهد الأولي » هو منشأ الشخص ؛ وما يتجلى في هوامات الغواية ، هو منشأ الجنسية وانبعاثها ؛ وما يتجلى في هوامات الخصاء ، هو مصدر الفروق بين الجنسين .

وفي الختام ، تجدر الإشارة إلى أن فكرة الهوام الأصلي تمثل أهمية مركزية بالنسبة للتجربة والنظرية التحليلية . وإذا كان هناك من تحفظات تستدعيها نظرية الإنتقال التكويني الوراثي ، فإن ذلك لا يجب أن يسقط في نظرنا (أ) فكرة وجود بنى غير قابلة لأن ترد إلى أحداث المعاش الفردي ، باعتبارها فكرة بائدة بدورها .

(أ) لقد اقترحنا في مقالتنا بعنوان « الهوام الأصلي هوامات المنشأ ، ومصدر الهوام »(5) تأويلاً لفكرة الهوام الأصلي الفرويدية . ولا بد من ربط عالمية هذه البنى مع العالمية التي يعترف بها فرويد لعقدة الأوديب (أنظر هذا المصطلح) ، باعتبارها عقدة محورية ما انفك فرويد عن تأكيد طابعها البنّاء والمتقدم على ما عداه : « إذ يتكون محتوى الحياة الجنسية الطفلي من النشاط الغلمي الذاتي للمكونات الجنسية السائدة ، ومن آثار محبة الموضوع ، ومن تكوين هذه العقدة التي يمكن أن نطلق عليها إسم العقدة النواتية للأعصبة (. . .) . ويُفسر كوننا نكوّن عموماً نفس الهوامات عن طفولتنا ، مهما تنوعت وتعددت إسهامات الحياة الفعلية ، بوحدة هذا المحتوى ، وبثبات المؤثرات التغييرية اللاحقة . ومن المستلزمات القاطعة لهذه العقدة الطفلية النواتية أن يقوم الأب بدور العدو الجنسي ، أي ذاك الذي يربك النشاط الجنسي الغلمي ، ويسهم الواقع في معظم الأحيان إلى حد كبير في إضفاء هذا الدور على الأب »(6) .

(1) Freud (S.). *Mitteilung eines der psychoanalytischen Theorie widersprechenden Falles von Paranoia*, 1915. G.W., X, 242 ; S.E., XIV, 269 ; Fr., 8.

(2) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, 1915-17. G.W., XI, 386 ; S.E., XVI, 371 ; Fr., 399.

(3) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse, Manuskript M*, 1897. All., 215-9 ; Angl., 202-5 ; Fr., 179-82.

(4) Freud (S.). *Aus der Geschichte einer infantilen Neurose*, 1918. G.W. XII, 155 ; S.E., XVII, 119-20 ; Fr., 418-9.

(5) Cf. Laplanche (J.) et Pontalis (J.-B.). In *Les Temps modernes*, 1964, n° 215, p. 1833-68.

(6) Freud (S.). *Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose*, 1909. G.W., VII, 428, n. ; S.E., X, 207-8, n. ; Fr., 234, n.

واقع نفسي

Réalité psychique

Eng. : Psychical reality

D. : Psychische Realität

■ يستعمل فرويد هذا المصطلح غالباً للدلالة على ما يُمثّل ،في نفسية الشخص ، تماسكا وصلابة تشبهان تماسك وصلابة الواقع المادي ؛ يتعلق الأمر هنا أساساً بالرغبة اللاواعية وما يتصل بها من هوامات ■ .

حين يتحدث فرويد عن الواقع النفسي ، فإنه لا يعني بذلك مجرد الدلالة على الحقل النفسي باعتبار أن له نظامه كواقع خاص وقابل للإستقصاء العلمي ، وإنما للدلالة على ذلك الجانب من نفسية الشخص الذي يتخذ قيمة الواقع بالنسبة إليه .

تبرز فكرة الواقع النفسي ، في تاريخ التحليل النفسي ، بالتلازم مع التخلي عن نظرية الغواية أو على الأقل مع الحد من أهميتها وبالتخلي كذلك عن الدور المولد للمرض الذي تلعبه الصدمات الطفلية الواقعية . تحتل الهوامات ، بالنسبة للشخص ، حتى ولو لم تستند إلى أحداث واقعية نفس قيمة توليد المرض التي كان فرويد يعطيها في البداية « للآثار الذاكرية » : « تمتلك الهوامات واقعاً نفسياً يتعارض مع الواقع المادي [. . .] ؛ فالواقع النفسي هو الذي يلعب الدور الغالب في عالم الأعصبة »(1a) .

هناك بالطبع مشكلة نظرية بصدد الصلة ما بين الهوام والأحداث التي قد تكون قدمت إليه سنداً من الواقع (أنظر : هوام) ، ولكن فرويد يشير إلى « . . . أنه لم يتسنَّ لنا بعد التحقق من أن هناك فرقاً على مستوى الآثار ، بين أن تكون أحداث الحياة الطفلية وليدة الهوام أو الواقع »(1b) . وبالتالي ينطلق العلاج التحليلي النفسي من الفرضية المسبقة القائلة بأن الأعراض العصابية تستند جزئياً على الأقل إلى واقع نفسي ، وأن العصابي بهذا المعنى « . . . لا بد أن يكون على حق بشكل من الأشكال »(2) . ولقد أكد فرويد ، في مناسبات عدة ، على الفكرة القائلة بأن العواطف حتى تلك العديمة الأسباب منها ظاهرياً ، من مثل الشعور بالذنب في العصاب الهجاسي ، لها ما يبررها

تماماً ، بإعتبارها تستند إلى وقائع نفسية .

وعلى وجه العموم ، يتصف العصاب ، ومن باب أولى الذهان ، بطغيان الواقع النفسي على حياة الشخص .

ترتبط فكرة الواقع النفسي بالفرضية الفرويدية حول العمليات اللاواعية ؛ إذ لا تقتصر هذه العمليات فقط على تجاهل الواقع الخارجي ، بل هي تستبدله بواقع نفسي(3) . يدل تعبير « الواقع النفسي » إذا إستخدم في أكثر معانيه المتعارف عليها دقة وضبطاً ، على الرغبة اللاواعية والهوام المرتبط بها . ويتساءل فرويد ، بصدد تأويل الأحلام ، حول ما إذا كان يتعين علينا الإعتراف بواقع ما للرغبات اللاواعية ؟ « لا مراء أنه لا يمكننا قبول ذلك فيما يختص بكل أفكار الإنتقال والإرتباط . وأما حين نجد أنفسنا أمام الرغبات اللاواعية بعد ردها إلى تعبيرها الأخير والأكثر حقيقية ، فإننا سنضطر لا محالة إلى القول بأن الواقع النفسي هو شكل من الوجود الخاص الذي لا يجب الخلط بينه وبين الواقع المادي » (4، أ) .

(أ) نسمح لأنفسنا بأن نحيل القارىء ، بصدد تاريخ وإشكالية مفهوم « الواقع النفسي » إلى مقالة لابلانش وبونتاليس حول : الهوام الأصلي ، هوامات المنشأ ، ومصدر الهوام ، في مجلة الأزمنة الحديثة ، أبريل / نيسان 1964 ، العدد 215 .

(1) Freud (S.). *Vorlesungen zur Einfuhrung in die Psychoanalyse*, 1916-17. — *a)* G.W., XI, 383 ; S.E., XVI, 368 ; Fr., 396. — *b)* G.W., XI, 385 ; S.E., XVI, 370 ; Fr., 398.

(2) Freud (S.). *Trauer und Melancholie*, 1915. G.W., X, 432 ; S.E., XIV, 246 ; Fr., 196.

(3) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. G.W., X, 286 ; S.E., XIV, 187 ; Fr., 131.

(4) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. G.W., II-III, 625 ; S.E., V, 620 ; Fr., 504.

والد مزيج - والدين ممتزجين (صورة الـ -) Parent (S) Combiné (S)

Eng. : Combined parents, combined parent- figure

D. : Vereinigte eltern, vereinigte eltern- Imago

■ قدمت ميلاني كلاين هذا المصطلح للدلالة على نظريةجنسية طفلية تفصح في هوامات متنوعة تمثل الوالدين وكأنهما متحدان في علاقة جنسية لا تنقطع : حيث تحتوي الأم عضو الأب الذكري ، أو الأب بأكمله ؛ ويحتوي الأب ثدي الأم أو الأم بأكملها ، ويبدو الوالدان ممتزجين بشكل لا فكاك له في الجماع .

نحن هنا بصدد هوامات أثرية جداً ومولدة لقلق شديد ■ .

لا تنفصل فكرة «الوالدين الممتزجين» عن المفهوم الكلايني لعقدة الأوديب(1) : «إذ يتعلق الأمر بنظرية جنسية تتشكل في مرحلة تكوينية جد مبكرة ، تدمج الأم تبعاً لها العضو الذكري للأب

خلال الجماع، مما يجعل المرأة التي تمتلك عضواً ذكرياً تمثل في نهاية المطاف الوالدين متزاوجين »(2a) .

ولا يشكل هوام « المرأة ذات العضو الذكري » إكتشافاً قامت به ميلاني كلاين ؛ فلقد أورده فرويد منذ العام 1908 في « النظريات الجنسية الطفلية »(3) . ولكن هذا الهوام، يندرج بالنسبة لفرويد، ضمن النظرية الجنسية الطفلية التي تتنكر للإختلاف بين الجنسين ولخصاء المرأة . بينما ترجعه ميلاني كلاين في كتابها « التحليل النفسي للأطفال عام 1932 » إلى أصل مختلف تماماً : إذ تجعله يتفرع عن هوامات جد مبكرة أي عن : المشهد الأولي ذي الصيغة المفرطة في ساديتها، والذي يدور حول إستدخال العضو الذكري للأب، وتصوير جسد الأم كوعاء يحتوي الموضوعات « الطيبة » أو الموضوعات « السيئة » على وجه الخصوص : « يجد هوام العضو الذكري الأبوي المستوعب داخل الأم هواماً آخر عند الطفل، وهو هوام « المرأة ذات العضو الذكري » . وترجع النظرية الجنسية حول الأم القضيبية، المزودة بعضو ذكري أنثوي، إلى مشاعر قلق أكثر بدائية، تتعدل من خلال الإزاحة، ومستوحاة من الأخطار التي يمثلها العضو الذكري الذي أدمجته الأم (في جوفها) ، وكذلك من العلاقات الجنسية بين الوالدين . وتمثل « المرأة ذات العضو الذكري » دوماً، تبعاً لملاحظاتي، المرأة ذات العضو الذكري الأبوي »(2b) . ويتصف هوام « الوالدين المتزجين » والمرتبط بالسادية الطفلية الأثرية، بقدرة كبرى على توليد القلق .

وتربط ميلاني كلاين في مقالة تالية، فكرة « الوالدين المتزجين » بموقف أساسي عند الطفل إذ : « إن من خصائص نشاط الطفل الصغير وإنفعالاته المفرطة أن يسند بالضرورة إلى الوالدين حالة من الإشباع المتبادل ذات طبيعة فمية، وشرجية، وتناسلية »(4) .

(1) Cf. KLEIN (M.). Early Stages of the Œdipus Conflict, 1928, in *Contributions*, 202-14.
(2) KLEIN (M.). *Die Psychoanalyse des Kindes*, 1932. Fr : *La psychanalyse des enfants*, Paris, P.U.F., 1959. — *a)* 77-8. — *b)* 256-7.
(3) Cf. FREUD (S.). G.W., VII, 171-88 ; S.E., IX, 209-26 ; *passim*.
(4) KLEIN (M.). The Emotional Life of the Infant 1952, in *Developments*, 219.

Identité de perception-Identité de pensée — وحدة الإدراك ـ وحدة الفكر

Eng. : Perceptual identity- thought identity

D. : Wahrnehmungsidentität - Denkidentität

■ يستخدم فرويد هذين المصطلحين للدلالة على : ما تنحو العمليات الأولية والعمليات الثانوية نحوه على التوالي . إذ ترمي العمليات الأولية إلى إستعادة إدراك مطابق لصورة الموضوع الناتجة عن تجربة الإشباع. أما التطابق المبتغى في العمليات الثانوية ،فينصب على الأفكار فيما بينها ■ .

لا يظهر هذان المصطلحان إلا في الفصل السابع من « تأويل الأحلام عام 1900 » . وهما يرجعان إلى المفهوم الفرويدي حول تجربة الإشباع . فبالإمكان تعريف العمليات الأولية والعمليات

الثانوية بمصطلحات إقتصادية محضة : على شكل تفريغ مباشر في الحالة الأولى ، وصد ، وتأجيل للإشباع والتفاف في الحالة الثانية . ومع فكرة وحدة الفكر ، نخرج من الحيز الإقتصادي : إذ نكون هنا بصدد تعادلات تقوم ما بين التصورات .

تشكل تجربة الإشباع أصل البحث عن وحدة الإدراك . فهي تربط تصور موضوع إنتقائي بتفريغ يحمل الإشباع الجلي . ويحاول الشخص إنطلاقاً من ذلك « تكرار الإدراك المرتبط بإشباع الحاجة »(1a) . وتشكل الهلوسة البدائية أقصر الطرق للحصول على وحدة الإدراك . ويمكن القول ، بشكل عام أن العمليات الأولية تنشط وظيفياً تبعاً لهذا النموذج ؛ ولقد بيّن فرويد في فصل آخر من « تأويل الأحلام » أن علاقة الوحدة (أو التطابق) بين صورتين (« أي التماهي ») هي من بين كل العلاقات المنطقية تلك التي تتمشى على أفضل وجه مع النشاط الذهني الخاص بالحلم (1b) .

وتقوم علاقة مزدوجة ما بين وحدة الفكر ووحدة الإدراك :

1 ـ تشكل وحدة الفكر تعديلاً لوحدة الإدراك ، لأنها تنشد تحرير العمليات النفسية من ضبط مبدأ اللذة القاطع لها : « إذ يتعين على الفكر أن يهتم بمسالك الإرتباط ما بين التصورات بدون أن يجُرّ للإنخداع بشدتها »(1c) . وبهذا المعنى يشكل هذا التعديل إستخلاص ما يطلق عليه المنطق إسم مبدأ التطابق .

2 ـ تظل وحدة الفكر في خدمة وحدة الإدراك « . . . فكل نشاط الفكر المعقد الذي يمتد من الصورة الذاكرية إلى إقامة وحدة الإدراك من خلال العالم الخارجي ليس سوى عبارة عن « إلتفاف » تجعله التجربة ضرورياً ، في المسار الذي يؤدي إلى تحقيق الرغبة »(1a) .

وإذا لم ترد المصطلحات التي قمنا هنا بتعريفها في الكتابات الفرويدية الأخرى ، فإن فكرة إقامة التعارض ما بين العمليات الأولية والثانوية تظل مركزية في النظرية ، على مستوى الفكر والحكم . ومن الممكن العثور عليها في مواضع عديدة من ضمنها التعارض ما بين تصورات الشيء وتصورات الكلمة .

●●●

وفي فرنسا ، أكد دانيال لاجاش في مناسبات عديدة على كامل أهمية التعارض الذي أقامه فرويد ما بين وحدة الإدراك ووحدة الفكر ؛ إذ يرى في ذلك خصوصاً وسيلة للتفريق ما بين الإضطرارات الدفاعية ، التي يظل الأنا فيها تحت سطوة وحدة الإدراك ، وبين أواليات التخلص التي تحرّك وعياً يقظاً ، مميزاً ، قادراً على مقاومة تدخلات الأفكار والإنفعالات المزعجة : « . . يتعين على التماهي المولد للموضوعية الذي يحفظ الهوية الخاصة لكل من موضوعات الفكر ، أن يصد التماهي الإجمالي اللاامتمايز(2) . . . » .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن التمييز ما بين هذين الأسلوبين من « الوحدة » غير قابل للإختزال إلى مجرد التعارض التقليدي ما بين العاطفة والعقل ، أو حتى ما بين « منطق العاطفة » ومنطق العقل . أولم يكرس كل كتاب « تأويل الأحلام » لتأكيد خضوع الحلم لقوانين تشكل أسلوباً أولياً من النشاط الوظيفي « للعقل » ، وذلك ضد الأحكام المسبقة « العلمية » ؟

(1) Freud (S.). *a)* G.W., II-III, 571 ; S.E., V, 565 ; Fr., 463. — *b)* Cf. G.W., II-III, 324 sqq. ; S.E., IV, 319 sqq. ; Fr., 238 sqq. — *c)* G.W., II-III, 607-8 ; S.E., V, 602 ; Fr., 491. — *d)* G.W., II-III, 572 ; S.E., V, 566-7 ; Fr., 464.

(2) Lagache (D.). La psychanalyse et la structure de la personnalité, 1958, in *La psychanalyse*, Paris, P.U.F., 6, 51.

وضعية خورية

Position dépressive

Eng. : Depressive position

D. : Depressive einstellung

■ إنها تبعاً لميلاني كلاين، نمط من علاقات الموضوع تلي الوضعية شبه العظامية، تنشأ في حوالي الشهر الرابع من العمر ويتم تجاوزها تدريجياً خلال السنة الأولى، رغم إمكانية العثور عليها ثانية خلال الطفولة، وإمكانية إعادة تحريكها عند الراشد، وخصوصاً أثناء الحداد والحالات الخورية.

وهي تتميز بالسمات التالية: يصبح الطفل قادراً منذ ذلك الحين على مقاربة الأم باعتبارها موضوعاً كلياً؛ كما تخف حدة الإنشطار ما بين الموضوع «الطيب» والموضوع «السيء» حيث تميل النزوات الليبيدية والعدوانية إلى التركز على نفس الموضوع، وينصب القلق المسمى خورياً على الخطر الهوامي المتمثل بتدمير وبفقدان الأم بسبب سادية الشخص؛ ويجابه هذا القلق بوسائل دفاعية متنوعة (إما أن تكون دفاعات إهتياجية، أو تكون دفاعات أكثر ملاءمة من مثل: إصلاح الضرر وصد العدوانية)، كما يتم تجاوزه بعد إجتياف الموضوع المحبوب بشكل مستقر ومُطَمْئِنْ ■.

نحيل القارىء بصدد إختيار ميلاني كلاين لمصطلح «الوضعية» إلى تعليقنا حول «الوضعية شبه العظامية».

تندرج النظرية الكلاينية حول الوضعية الخورية في نفس خط أعمال فرويد بعنوان «الحداد والسوداوية عام1915»، وأعمال إبراهام بعنوان «ملامح تاريخ نمو الليبدو؛ إستناداً إلى التحليل النفسي للإضطرابات النفسية، عام1924، الجزء الأول المسمى بإسم: الحالات الإهتياجية السوداوية، ومراحل تنظيم الليبدو ما قبل التناسلية». فلقد وضع هذان المؤلفان افكار فقدان الموضوع المحبوب والإجتياف في المقام الأول من حالة الخور السوداوي، كما بحثا عن نقاط تثبيت هذا الخور السوداوي في النمو النفسي الجنسي (في المرحلة الفمية الثانية تبعاً لأبراهام)، ثم أنهما أكدا أخيراً على القرابة القائمة ما بين الخور وبين العمليات السوية من مثل الحداد.

تكمن الأصالة الأولى لإسهام كلاين هنا، في أنها وصفت إحدى مراحل النمو الطفلي باعتبارها تمثل تناظراً عميقاً مع اللائحة العيادية للخور.

قدمت ميلاني كلاين فكرة الوضعية الخورية عام1934 في مقالتها بعنوان «إسهام في فهم المنشأ النفسي للحالات الإهتياجية الخورية»(1). ولقد سبق لميلاني كلاين أن لفتت الإنتباه إلى كثرة تكرار الأعراض الخورية عند الطفل «... نصادف عند الأطفال بشكل منتظم هذا الإنتقال ما بين الحيوية المفرطة وبين الغرق في الهموم المميز لحالات الخور»(2). ولا بد من إنتظار مقالتها بعنوان

« إستنتاجات نظرية خاصة بالحياة الإنفعالية في الطفولة الأولى ، عام1952 »(3a) كي نجد العرض الأكثر منهجية وشمولاً الذي قدمته عن الوضعية الخورية .

تنشأ هذه الوضعية الخورية في حوالي منتصف السنة الأولى ، بعد الوضعية شبه العظامية . وهي تتلازم مع سلسلة من التغييرات التي تمس الموضوع والأنا من ناحية ، والنزوات من ناحية ثانية .

1 ـ يصبح بالإمكان إدراك الشخص الكامل للأم ، وإتخاذه موضوعاً نزوياً وإجتيافة . لا تظل المظاهر « الطيبة » و « السيئة » موزعة جذرياً بين موضوعات يفصلها الإنشطار عن بعضها ، بل تنصب على نفس الموضوع . كما ينحسر الفارق ما بين الموضوع الهوامي الداخلي وبين الموضوع الخارجي .

2 ـ كما تتحد النزوات العدوانية والليبيدية في إستهداف نفس الموضوع ، مما يولّد التجاذب الوجداني بالمعنى الكامل لهذا المصطلح (أنظر : تجاذب) : « وهكذا فقد تقارب الحب والحقد كثيراً مما يجعل من المتعذر الإبقاء على الفصل الكبير ما بين الثدي « الطيب » والثدي «السيء » وما بين الأم « الطيبة » والأم « السيئة » كما كان عليه الحال في المرحلة السابقة »(3b) .

كما يغير القلق من خصائصه ، بالتلازم مع هذه التعديلات : فهو ينصب منذ ذلك الحين على فقدان الموضوع الكلي الداخلي أو الخارجي ، كما يجد سببه في السادية الطفلية ؛ ومع أن هذه السادية تصبح أقل شدة منها في المرحلة السابقة ، في رأي ميلاني كلاين ، إلا أنها قد تدمر ، وتؤذي ، وتجلب الهجر ، على مستوى عالم الطفل الهوامي . وقد يحاول الطفل الرد على هذا القلق بواسطة الدفاع الإهتياجي الذي يستعمل أواليات المرحلة شبه العظامية معدّلة بمقادير متفاوتة (من مثل الإنكار ، المثلنة ، الإنشطار ، والسيطرة الجبروتية على الموضوع) . إلا أنه يتجاوز فعلياً القلق الخوري ويسيطر عليه من خلال عمليتي صد العدوانية وإصلاح الأضرار اللاحقة بالموضوع .

ويضاف إلى ما سبق ، أن العلاقة مع الأم لا تظل قطعية حين تسود الوضعية الخورية ، إذ يدخل الطفل فيما تسميه ميلاني كلاين بإسم المراحل المبكرة من الأوديب حيث : « يتحول كل من الليبيدو والقلق الخوري إلى حد ما عن الأم ، كما تنشط عملية التوزيع هذه ، علاقات الموضوع في نفس الوقت الذي تقلل فيه من شدة المشاعر الخورية »(3c) .

(1) Cf. Klein (M.). In *Contributions*, 1934, 282 sq.
(2) Klein (M.). *Die Psychoanalyse des Kindes*, 1932. Trad. fr., P.U.F., Paris, 1959, 170.
(3) Klein (M.). In *Developments*, 1952. — *a)* Cf. 198-236. — *b)* 212. — *c)* 220.

Posotion Paranoïde — وضعية شبه عظامية

Eng. : Paranoid position

D. : Paranoide einstellung

■ إنها ، تبعاً لميلاني كلاين نمط من علاقات الموضوع خاص بالأشهر الأربعة الأولى من

الوجود ، مع إنه بالإمكان مصادفتها لاحقاً خلال الطفولة ، وعند الراشد وخصوصاً في حالات العظام والفصام .

وتتميز هذه الوضعية بالسمات التالية : تتواجد النزوات العدوانية التي تكون مفرطة في قوتها ، رأساً جنباً إلى جنب مع النزوات الليبيدية ؛ كما يكون الموضوع (وهو أساساً ثدي الأم) جزئياً ومنشطراً إلى شطرين هما الموضوع « الطيب » والموضوع « السيء » ؛ وأما العمليات النفسية الغالبة فهي الإجتياف والإسقاط ؛ ويتخذ القلق ، الشديد ، طابعاً إضطهادياً (أي التدمير من قبل الموضوع « السيء ») ■ .

فلنبدأ حديثنا ببعض الملاحظات المصطلحية : إذ تخصَّصْ صفة شبه العظامي التي وضعها كرايبلن في الإصطلاح الطبي العقلي لنوع من الفصام الذي يشبه العظام من حيث هذيانه ، ولكنه يختلف عنه أساساً من ناحية التفكك(1) . على أن التمييز في اللغة الإنجليزية ما بين العظامي وشبه العظامي ليس قاطعاً ، إذ قد يمتان كلاهما إلى العظام أو إلى الفصام شبه العظامي سواء بسواء(2) .

ومع أن ميلاني كلاين لا تعترض على التمييز التصنيفي المرضي ما بين العظام والفصام شبه العظامي ، إلا أن مصطلح شبه العظامي يدل بالنسبة إليها على المظهر الإضطهادي من الهذيان الذي نصادفه في هاتين الإصابتين ؛ ولهذا تحدثت ميلاني كلاين بادىء ذي بدء عن مرحلة إضطهادية . وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أنها إعتمدت في كتاباتها الأخيرة تعبير « الوضعية شبه العظامية ـ شبه الفصامية » ، حيث يؤكد المصطلح الأول على الطابع الإضطهادي للقلق ، بينما ينصب الثاني على الطابع شبه الفصامي للأواليات الفاعلة في هذه الحالة .

وأما مصطلح « وضعية » فإن ميلاني كلاين تصرح عن تفضيلها له على مصطلح المرحلة : « ... فمع أن هذه المجموعات من حالات القلق والدفاعات ، تظهر في البداية خلال أكثر المراحل تبكيراً ، فإنها لا تقتصر على هذه الفترة ، بل تعاود الظهور خلال السنوات الأولى من الطفولة كذلك وتحت بعض الظروف في المراحل اللاحقة »(3a) .

ولقد بينت ميلاني كلاين منذ بداية أعمالها أن هناك مخاوف إضطهادية هوامية ، تصادف في تحليل الأطفال ، والذهانيين منهم على وجه الخصوص . ولم تتحدث إلا لاحقاً عن « حالة شبه عظامية بدائية » جعلت منها مرحلة مبكرة من مراحل النمو(4) ؛ وتقع هذه المرحلة تبعاً لها في ذلك الحين ، في المرحلة الشرجية الأولى التي قال بها أبراهام ؛ ولكنها عادت فجعلت منها لاحقاً النمط الأول من علاقة الموضوع في المرحلة الفمية وأطلقت عليها إسم الوضعية شبه العظامية . ونجد أفضل عرض منهجي لها في مقالتها بعنوان « إستنتاجات نظرية خاصة بالحياة الإنفعالية في الطفولة الأولى عام 1952 »(3b) .

يمكن وصف الوضعية شبه العظامية ـ شبه الفصامية بشكل مبسط كالتالي :

1 ـ على الصعيد النزوي ، يكون كل من الليبيدو والعدوانية (النزوات السادية الفمية : أي الإفتراس والتمزيق) حاضرين ومتحدين منذ البدء ؛ فهناك بالنسبة لميلاني كلاين ، بهذا المعنى ، تجاذب وجداني منذ المرحلة الفمية الأولى من الإمتصاص(3c) . كما تكون الإنفعالات المقترنة

بالحياة النزوة في غاية الشدة (نهم ، قلق ، إلخ) ؛

2 ـ ويكون الموضوع جزئياً ، حيث يمثل ثدي الأم نموذجه الأولي ؛

3 ـ وينشطر هذا الموضوع الجزئي رأساً إلى موضوع « طيب » وإلى موضوع «سيىء »، ولا يعود ذلك لأن الثدي الأمومي يرضي أو يحبط، بل يعود أساساً إلى إن الطفل يسقط عليه حبه أو حقده ؛

4 ـ يكتسب كل من الموضوع الطيب والموضوع السيىء الناتجين عن الإنشطار إستقلالاً نسبياً عن بعضها البعض الآخر كما يخضعان كلاهما لعمليات الإجتياف والإسقاط ؛

5 ـ فأما الموضوع الطيب فإنه « يُمَثْلَنْ » : كفيل بتأمين « إرضاء لا محدود ، ومباشر ، وبدون نهاية »(3d) . يحمي إجتيافه الطفل ضد القلق الإضطهادي (الطمأنة) . وأما الموضوع السيء فهو إضطهادي مرعب ؛ ويعرض إجتيافه الطفل إلى أخطار التدمير الداخلي ؛

6 ـ ولا يتمتع الأنا « ذو التكامل القاصر » إلا بقدرة محدودة على تحمل القلق . ولذلك فهو يستعمل إضافة إلى الإنشطار والمثلنة ، كأواليات دفاعية ، كل من « الإنكار » الذي يرمي إلى رفض أي طابع واقعي للموضوع المضْطَهِدْ ، و « الضبط » الجبروتي لذلك الموضوع ؛

7 ـ « تشكل هذه الموضوعات الأولى المجتافة نواة الأنا الأعلى »(3e) (أنظر : أنا أعلى) .

***

تجدر الإشارة أخيراً إلى أن كل فرد يمر ، في المنظور الكلايني ، بأطوار يسود فيها القلق والأواليات الذهانية : الوضعية شبه العظامية ، ثم الوضعية الخورية . ويتوقف تجاوز الوضعية شبه العظامية ، خصوصاً على القوة النسبية للنزوات الليبيدية ، بالمقارنة مع النزوات العدوانية .

(1) Cf. par exemple : Porot (A.) *Manuel alphabétique de psychiatrie*, P.U.F , Paris, 1960.

(2) Cf. English (H. B.) and English (A. C.). *A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms*, 1958.

(3) Cf Klein (M.). Some Theoritical Conclusions regarding the Emotional Life of the Infant, 1952, in *Developments*. — *a)* 236. — *b)* 198. — *c)* 206, n. — *d)* 202. — *e)* 200, n.

(4) Cf. Klein (M.). *Die Psychoanalyse des Kindes*, 1932. Fr : *La psychanalyse des enfants*, P.U.F., Paris, 1959, 232-3.

وعي (نفساني) — Conscience (Psychologique)

Eng. : Being conscious

D. : Bewusstheit

■ أ ـ من الناحية الوصفية : هو صفة آنية تميّز الإدراكات الخارجية والداخلية من بين مجمل الظواهر النفسية .

ب ـ والوعي هو من وظائف نظام الإدراك ـ الوعي تبعاً لنظرية فرويد ما وراء النفسانية . يقع نظام الإدراك ـ الوعي ، من وجهة نظر موقعية ،على تخوم الجهاز النفسي ، حيث يتلقى في

آن معاً المعلومات من العالم الخارجي ، والمعلومات النابعة من الداخل ، وهي الأحـاسيس التي تتدرج في فئة الإنزعاج ـ اللذة ، وكذلك إنبعـاث الـذكريات . وغالبـاً ما يربط فرويد وظيفة الإدراك ـ الوعي بنظام ما قبل الوعي الذي يُدل عليه عندها بإعتباره نظام ما قبل الوعي ـ الوعي .

ويتعارض نظام الإدراك ـ الوعي ، من وجهة النظر الوظيفية ، مع أنظمة الآثار الذاكرية وهي اللاوعي وما قبل الوعي : حيث لا تتكون فيه أي آثار دائمة للإثارات . كما يتميز ، من وجهة نظر إقتصادية ، بإمتلاكه لطاقة تتمتع بحرية الحـركة ، وقابلة لزيادة توظيف هذا العنصر أو ذاك (أوالية الإنتباه) .

ويلعب الوعي دوراً هاماً في دينامية الصراع (لجهة التجنب الواعي للمزعجات ، والضبط الأكثر تمييزاً لمبدأ اللذة) وفي العلاج (لجهة وظائف وحدود الوعي النفسي) ولكنه لا يمكن أن يُعرَف كأحد الأقطاب الفاعلة في لعبة الصراع الدفاعي(1) ■ .

مع أن النظرية التحليلية النفسية قد بُنيت على أساس رفض تحديد الحقل النفسي إنطلاقاً من الوعي ، فإنها لم تعتبره ، رغم ذلك ظاهرة غير هامة . لقد سخر فرويد ، بهذا المعنى ، من إدعاء بعض النزعات في علم النفس حيث قال : « تزعم نـزعة متطرفة كالسلوكية التي ولدت في أميركا مثلاً ، أن بإمكانها إقامة علم نفس لا يأخذ هذه الواقعة الأساسية (أي الوعي) بعين الإعتبار »(1a) .

يعتبر فرويد الوعي كإحدى معطيات التجربة الفردية التي تطرح نفسها على الحدس المباشر ، وهو لا يعود من ثمة إلى وصفه . نحن بصدد « . . . واقعة بدون أي مكافيء لها ، لا يمكن لا تفسيرها ولا وصفها [. . .] . وعلى الرغم من ذلك فكل منا يعرف مباشرة من خلال التجربة ما هو المقصود حين يجري الحديث عن الوعي »(1b) .

تحتاج هذه الأطروحة المزدوجة والقائلة ـ بأن الوعي لا يقدم لنا سوى نظرة مجتزأة عن عملياتنا النفسية التي تظل لا واعية في القسم الأعظم منها ، والقائلة كذلك : بأنه لا يجوز تجاهل كون ظاهرة ما واعية أم لا ـ إلى نظرية في الوعي تحدد وظيفته ومكانته .

إبتداءً من نموذج فرويد ما وراء النفساني الأول نقع على توكيدين جوهريين : فهو من ناحية يرد الوعي إلى الإدراك ، ويرى أن جوهر هذا الأخير يكمن في القدرة على إستقبال الخصائص المحسوسة . وهو من ناحية أخرى يعهد بوظيفة الإدراك ـ الوعي هذه إلى نظام مستقل بالنسبة إلى مجمل الحيلة النفسية تحكم عمله مبادىء كمية محضة : « يقدم لنا الوعي ما نطلق عليه إسم الصفات ، أي أحاسيس جد متنوعة من الفروق التي يتوقف إختلافها على العلاقات مع العالم الخارجي . توجد في هذه الفروق سلاسل ، ومتشابهات إلخ : ، ولكننا لا نعثر فيها البتة على أي شيء كمي حقاً »(2a) .

إحتفظ فرويد بالأطروحة الأولى خلال أعماله كلها والتي تقول بأن : الوعي هو بالنسبة إلينا الوجه الذاتي لجزء من العمليات الفيزيقية التي تحدث في الجهاز العصبي ، وبالتحديد العمليات الإدراكية . . . »(2b) . تعطي هذه الأطروحة الأولوية للإدراك ، ولإدراك العالم الخارجي

أساساً ، في ظاهرة الوعي : « يرتبط العبور إلى الوعي قبل أي شيء آخر بالمدركات التي تتلقاها أعضاؤنا الحسية من العالم الخارجي »(1c) . حيث نلمس في نظرية إختبار الواقع ، ترادفاً ذا دلالة بين مصطلحات : مؤشر الصفة ، ومؤشر الإدراك ، ومؤشر الواقع(2c) . وهناك ، بادىء ذي بدء ، « معادلة : إدراك ـ واقع (أي عالم خارجي) »(1d) . ولا ينفصل « الوعي بالظواهر النفسية » بدوره عن إدراك الصفات : فالوعي ليس سوى « . . . العضو الحسي لإدراك الصفات النفسية »(3a) . فهو يدرك حالات التوتر النزوي وتفريغ الإثارة على شكل صفات مزعجة أو سارة . ولكن أصعب المسائل يطرحها الوعي بما يطلق عليه فرويد إسم « العمليات الفكرية » قاصداً بذلك إحياء الذكريات والتفكير في آن معاً ، وكل العمليات التي تؤدي إلى تدخل «التصورات» بشكل عام. ولقد تمسك فرويد ، خلال أعماله كلها بنظرية ترهن الوعي بعمليات التفكير بترابطها مع « البقايا اللفظية » (أنظر : تصور الشيء والكلمات) . (ونظراً لطابع الإدراك المتجدد الذي يرتبط بإعادة تنشيط هذه البقايا اللفظية بإعتبار أن الكلمات المستذكرة منطوقة ثانية في مرحلة ولادتها على الأقل)(2d) فإنها تتيح للوعي العثور على مرتكز يمكّن طاقة التوظيف المفرط الخاصة به من الإنتشار : « ذلك أن [عمليات التفكير] عند الإنسان ، تُربط ، بغية إضفاء صفة عليها ، بالذكريات اللفظية التي تكفي بقاياها الكيفية لجذب إنتباه الوعي إليها ، مما يشكّل منطلقاً لتوظيف جديد يتوجه نحو الفكر »(3b) .

يدفع إرتباط الوعي بالإدراك بفرويد إلى جمعهما غالباً في نظام واحد يطلق عليه في مقالته « من أجل مشروع علم نفس علمي عام1895 » إسم نظام ڤ(W) ويسميه منْ بعد في أعماله ما وراء النفسانية عام1915 باسم « الإدراك ـ الوعي » . يستند فصل هذا النظام عن كل الأنظمة التي تشكل موضع تسجيل الآثار الذاكرية (أي ما قبل الوعي واللاوعي) ، إلى نوع من الإستنتاج المنطقي أي على فكرة سبق لبرويير أن طورها في « إعتبارات نظرية عام1895 » حيث يقول : « . . . لا يمكن لعضو واحد أن يستوفي هذين الشرطين المتضادين » أي : أسرع إستعادة ممكنة للوضع السابق بغية إستقبال إدراكات جديدة ، وتخزين الإنطباعات بغية إمكانية إنتاجها من جديد(4) . ويستكمل فرويد فيما بعد هذه الفكرة بمعادلة تهدف إلى تبيان ظهور الوعي « غير القابل للتفسير » كالتالي : « . . . يظهر الوعي في النظام الإدراكي عوضاً عن آثار الذكريات الدائمة »(5a) .

***

تغاني الوضعية الموقعية للوعي من بعض الصعوبة : فإذا كان موقعه في « المشروع » يضعه على « المستويات العليا » كنظام ، فإن فرويد سرعان ما يضعه ، من خلال إرتباطه الحميم مع الإدراك ، على التخوم ما بين العالم الخارجي وبين المنظومات الذاكرية : « يتضمن الجهاز الإدراكي النفسي طبقتين : إحداها خارجية ، صادة للإثارات تهدف إلى الحد من عظم الإثارات الآتية من الخارج ، والأخرى هي نظام الادراك ـ الوعي ، الذي يقع خلف الأولى ويشكل السطح الذي يتلقى الإثارات »(5b) ، (أنظر : صاد الإثارات) . تهيىء وضعية الوقوع على التخوم هذه الوضعية المخصصة للأنا ؛ حيث يرى فرويد في مقالته بعنوان « الأنا والهو عام1923 » في نظام الإدراك ـ الوعي « نواة الأنا »(3a) : « . . . فالأنا هو ذلك الجزء من الهو الذي تعدّل تحت التأثير

المباشر للعالم الخارجي من خلال الإدراك ـ الوعي ، إنه ، بشكل ما ، إستمرار للتمايز السطحي » (6b) (أنظر : الأنا) .

لم يخل الوعي من طرح مشكلة خاصة على فرويد ، من وجهة نظر إقتصادية . ذلك أن الوعي ظاهرة كيفية يوقظها إدراك الخواص الحسية ؛ ولا تصبح ظواهر الضغط والإرتياح واعية إلا بلباس كيفي . ورغم هذا فإن وظيفة من أبرز وظائف الوعي ، كالإنتباه مع ما يتضمنه من مقادير متفاوتة من الشدة ، أو عملية من مثل العبور إلى الوعي بما يلعبه من دور هام في العلاج ، يتطلبان فعلاً تفسيراً قائماً على أسس إقتصادية . يقدم فرويد الفرضية القائلة بأن الطاقة التي تغذي الإنتباه والتي « ترفع مستوى توظيف » الإدراك مثلاً ، تصدر عن الأنا ، أو عن نظام ما قبل الوعي ، وتخضع لتوجيه المؤشرات الكيفية التي يقدمها الوعي : « أنا أطرح القاعدة البيولوجية للإنتباه كالتالي : حين يبرز مؤشر عن الواقع ، لا بد أن يزداد توظيف الإنتباه المتلازم معه »(2c) .

كذلك يتيح الإنتباه المتعلق بعمليات التفكير تنظيم عملها بشكل أكثر دقة مما يفعله مبدأ اللذة وحده : « وهكذا نرى أن الإدراك بواسطة أعضائنا الحسية يؤدي إلى تركيز الإنتباه على طول الطرق التي تنتشر عليها الإثارة الحسية الواردة ؛ وتقوم إثارة نظام ما قبل الوعي الكيفية بضبط سيلان كمية الإثارة المتحركة في الجهاز النفسي . ويمكننا أن نعتبر أن عضو الأحاسيس العليا هذا ، أي نظام الوعي يعمل بنفس الطريقة . فهو يسهم في توجيه وتوزيع كميات التوظيف المتحركة ، بشكل ملائم من خلال إدراكه لكيفيات جديدة من الإثارة »(3c) (أنظر : طاقة حرة ـ طاقة مربوطة ، وكذلك توظيف مفرط) .

وأخيراً ، يمكن ملاحظة بعض التطو ، على الصعيد الدينامي ، في مقدار الأهمية التي يمحضها فرويد لعامل الوعي في العملية الدفعية ، كما في فعالية العلاج سواء بسواء . يمكن بدون رسم مسيرة هذا التطور ، الإشارة إلى بعض من عناصره :

1 ـ في بدايات التحليل النفسي ، كانت بعض الأواليات ، من مثل الكبت ، تعتبر نبذاً واعياً قريب الصلة بأوالية الإنتباه حيث يرد : « إن إنشطار الوعي في حالات الهستيريا المكتسبة هذه [. . .] هو إنشطار إرادي مقصود، أو على الأقل نابع في الكثير من الأحيان من فعل إرادة حرة(7) . . . » .

ومن المعروف أن ما أدى بفرويد إلى تعديل فكرة الأنا وأوصله إلى نظريته الثانية حول الجهاز النفسي ، كان التأكيد المتزايد على الطابع اللاواعي ، على الأقل جزئياً ، للدفاعات والمقاومة التي تتجلى في العلاج .

2 ـ تمثل كتابات فرويد ما وراء النفسانية عام 1915 مرحلة هامة من هذا التطور حيث يعلن أنه « لا يمكن بأي حال لخاصية الوعي المميزة للعمليات النفسية ، وهي الخاصية الوحيدة التي نلمسها بشكل مباشر ، أن تقدم محكاً للتمييز بين الأنظمة »(8a) . ولا يقصد فرويد من رأيه هذا العدول عن فكرة ضرورة إلحاق الوعي بنظام ما ، « بعضو » حقيقي متخصص ؛ بل هو يشير إلى أن القدرة على النفاذ إلى الوعي لا تكفي لتمييز الوضعية الموقعية لمحتوى كهذا (أي المحتوى الذي ينفذ إلى الوعي) في نظام ما قبل الوعي أو في نظام اللاوعي : « فبالقدر الذي نريد منه أن نشق طريقنا نحو

مفهوم ما وراء نفساني للحياة النفسية يكون علينا أن نتعلم تجاوز الأهمية المعطاة لعارض « كينونة الوعي (ب)(1b) .

(3) ـ ظلت مشكلة الوصول إلى الوعي وفعاليته موضوعاً رئيسياً للتفكير في إطار نظرية العلاج . يحسن في هذا الصدد تقدير الأهمية النسبية لمختلف العوامل التي تتدخل في العلاج وتفاعلها فيما بينها أي : الإستذكار وبناء المادة (العيادية)، التكرار خلال النقلة وعمل الإستيعاب ، وأخيراً التأويل الذي لا يقتصر تأثيره فقط على التوصيل الواعي بالقدر الذي يطلق فيه تعديلات إنبنائية : « يبنى العلاج التحليلي النفسي على تأثير الوعي على اللاوعي ، ويبين لنا على كل حال أن هذه المهمة ليست مستحيلة ، رغم ما يحيط بها من عناء »(1c) . ولكن لم ينفك فرويد عن التأكيد المتزايد من ناحية أخرى على أن توصيل تأويل هوام لا واعٍ مهما كانت درجة ملاءمته للمريض، لا يكفي لإطلاق تعديلات إنبنائية : « إن توصيل تصور ما تمكّنا من تخمينه لمريض سبق له أن كبته لا يغير شيئاً بادىء الأمر من حالته النفسية . خصوصاً أن هذا التوصيل لا يرفع الكبت ولا يلغي آثاره »(1d) .

لا يتضمن عبور المكبوت بمفرده إلى الوعي مكاملة حقيقية له في نظام ما قبل الوعي ؛ بل لا بد أن يُستكمل بعمل كبير قادر على رفع المقاومات التي تعرقل الإتصال ما بين نظامي اللاوعي وما قبل الوعي ، وقادر أيضاً على إقامة صلة أكثر فأكثر وثوقاً بين الآثار الذاكرية اللاواعية وبين النطق بها . فقط حين يصل هذا العمل إلى غايته ، يمكن أن تتلاقى « . . . واقعة الإستماع مع واقعة عيش (تجربة كبتت فيما بعد) نظراً للإختلاف القاطع في طبيعتها النفسية ، حتى ولو كان محتواهما هو عينه »(1e) . إن زمن الإستيعاب (أثناء العلاج) هو الذي يسمح بهذه المكاملة التدريجية في ما قبل الوعي .

(ا) تعني صفة Bewusst الوعي بمعناه النشط (واع لشيء ما) والفاتر (صفة لما هو موضوع الوعي) . وتمتلك اللغة الألمانية عدة إشتقاقات من Bewusst . فهناك Bewusstheit وتعني كون الشيء موضوعاً للوعي ، مما يقترح ترجمته بتعبير « أن يكون واعياً » . وهناك Bewusstsein وتعني الوعي كوافع نفساني وتشير على الأغلب إلى النشاط ، أو الوظيفية (بينما يستخدم تعبير مختلف تماماً هو Das Gewissen على الضمير الخلقي) . أما Das Bewusste أي الوعي فتدل على نمط من المحتويات النفسية بالتمايز عن محتويات ما قبل الوعي واللاوعي . وأما Das Bewusstwerden أي « أن يصبح واعياً » فيعني تلك التصورات التي نترجمها بـ « العبور إلى الوعي» . وكذلك Das Bewusstmachen أي واقعة جعل محتوى ما واعياً .

(ب) يجدر أن نلاحظ بهذا الصدد ان تسمية الأنظمة في النظرية الأولى للجهاز النفسي تتمحور حول الوعي كمرجع : أي اللاوعي ، ما قبل الوعي ، الوعي .

(1) Freud (S.). *Abriss der Psychoanalyse*, 1938. — *a)* G.W., XVII, 79, n : S.E., XXIII, 157, n. ; Fr., 18, n. — *b)* G.W., XVII, 79 ; S.E., XXIII, 157 ; Fr., 18. — *c)* G.W., XVII, 83 ; S.E., XXIII, 161 ; Fr., 24. — *d)* G.W., XVII, 84 ; S.E., XXIII, 162 ; Fr., 25.

(2) Freud (S.). *Aus den Anfangen der Psychoanalyse*, 1887-1902. — *a)* All., 393 ; Angl., 369 ; Fr., 328. — *b)* All., 396 ; Angl., 373 ; Fr., 331. — *c)* Cf. All., 373-466 ; Angl., 348-445 ; Fr., 307-96. — *d)* Cf. All., 443-4 ; Angl., 421-2 ; Fr., 375-6. — *e)* All., 451 ; Angl., 428-9 ; Fr., 382.

(3) Freud (S.). *Die Traumdeutung*, 1900. — *a)* G.W., II-III, 620 ; S.E., V, 615 ; Fr., 500. — *b)* G.W., II-III, 622 : S.E., V, 617 ; Fr., 502. — *c)* G.W., II-III, 621 ; S.E., V, 616 ; Fr., 501.

(4) Cf. Breuer (J.). *Theoretisches*, in *Studien über Hysterie*, 1895. All., 164 ; S.E., II, 188-9, n. ; Fr., 149-50, n.

(5) Freud (S.). *Notiz über den « Wunderblock »*, 1925. — *a)* G.W., XIV, 4-5 ; S.E., XIX, 228. — *b)* G.W., XIV, 6 ; S.E., XIX, 230.

(6) Freud (S.). *a)* G.W., XIII, 251 ; S.E., XIX, 24 ; Fr., 178. — *b)* G.W., XIII, 252 ; S.E., XIX, 25 ; Fr., 179.

(7) Freud (S.). *Studien über Hysterie*, 1895. G.W., I, 182 ; S.E., II, 123 ; Fr., 96.

(8) Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* G.W., X, 291 ; S.E., XIV, 192 ; Fr., 139. — *b)* G.W., X, 291 ; S.E., XIV, 192 ; Fr., 139. — *c)* G.W., X, 293 ; S.E., XIV, 193 ; Fr., 141. — *d)* G.W., X, 274 ; S.E., XIV, 175 ; Fr., 109-10. — *e)* G.W., X, 275 S.E., XIV, 175-6 ; Fr. 110.

ل

لا وعْيٌ (لاواعي)، لا شعوري (إسم وصفة) **Inconscient (S.M. et adj.)**
Eng. : Unconscious
D. : Das unbewusste, unbewusst

أولاً : تستخدم صفة اللاواعي أحياناً كي تتضمن مجمل المحتويات غير الحاضرة في المجال الواعي الراهن . وذلك بمعنى « وصفي » وليس « موقعياً » أي بدون إجراء أي تمييز ما بين محتويات أنظمة ما قبل الوعي واللاوعي :

ثانياً : يدل اللاوعي بالمعنى « الموقعي » على أحد الأنظمة التي حددها فرويد في إطار نظريته الأولى عن الجهاز النفسي : وهو يتكون من المحتويات المكبوتة التي حظّر عليها العبور الى نظام ما قبل الوعي ـ الوعي . بفعل الكبت (أي الكبت الأصلي والكبت البعدي) .

وبالإمكان تلخيص الخصائص الأساسية لنظام اللاوعي كالتالي :

أ) تتكوّن « محتوياته » من « ممثلات » النزوات ؛

ب) تحكم هذه المحتويات الأواليات النوعية للعمليات الأولية وخصوصاً التكثيف والإزاحة ؛

جـ) وبما أنها موظفة بالطاقة النزوية بشكل مفرط ، فهي تجهد في العودة إلى الوعي وإلى الفعل (عودة المكبوت) ؛ ولكنها لا تستطيع النفاذ إلى نظام ما قبل الوعي ـ الوعي إلا في تكوينات تسوية وذلك بعد خضوعها لتحويرات الرقابة .

د) إن رغبات الطفولة هي التي تتثبت على وجه الخصوص في اللاوعي .

يدل التعبير المختزل ل‍ع‍ا على اللاوعي في صيغته الإسمية كنظام قائم بذاته؛ وأما التعبير المختزل ل‍ع‍ا (بالحرف الصغير) فهو يدل على الصفة اللاواعية، التي تصف حصراً محتويات ذلك النظام .

ثالثاً : وأما في إطار النظرية الموقعية الفرويدية الثانية ، فيستعمل تعبير اللاواعي خصوصاً على شكل صفة ؛ ذلك أن اللاواعي لم يعد وقفاً على ركن خاص،لأنه يصف الهو ، كما يصف جزئياً كل من الأنا والأنا الأعلى . إنما تجدر الإشارة إلى النقاط التالية :

أ) إن الخصائص المعطاة لنظام اللاوعي في النظرية الموقعية الأولى ، أصبحت تعطى بشكل

علم في النظرية الثانية للهو ؛

ب) وإذا لم يعد الفارق بين ما قبل الوعي واللاوعي قائماً على التمييز ما بين الأنظمة،إلا أنه لا زال قائماً كتمييز ضمن نفس النظام (فالأنا والأنا الأعلى كلاهما هما جزئياً ما قبل واعيان وجزئياً لا واعيان) ■ .

إذا أردنا إيجاز الإكتشاف الذي حققه فرويد في كلمة واحدة ، فلا جدال في أنها ستكون كلمة اللاوعي . ولهذا لا نرمي هنا ، وضمن حدود المؤلف الحالي ، إلى إعادة رسم معالم هذا الإكتشاف من حيث سوابقه ما قبل الفرويدية ، ومن حيث نشأته وإرصاناته المتلاحقة عند فرويد . إنما إنطلاقاً من الرغبة في التوضيح ، سنقتصر في حديثنا على الإشارة إلى بعض السمات الأساسية التي غالباً ما أغفلها إنتشار هذا المصطلح .

1 ـ إن اللاوعي الفرويدي هو في المقام الأول فكرة موقعية ودينامية لا مراء فيها، برزت من خلال تجربة العلاج . لقد بينت لنا هذهالتجربةأن النفس لا تقبل الإختزال إلى الوعي المحض ، وأن بعض « محتوياتها » لا تصبح في متناول الوعي إلا بعد التغلب على بعض المقاومات ؛ فلقد كشفت عن أن الحياة النفسية « . . . مليئة تماماً بأفكار فاعلة ولو أنها لاواعية ، وعن هذه الأفكار تصدر الأعراض »(1) ، كما أنها أدت إلى إفتراض وجود « مجموعات نفسية مستقلة » ، وكذلك إلى القبول بأن اللاوعي يشكل « حيّزاً نفسياً » خاصاً يتعين علينا تصوره ، ليس كمجرد وعي ثانٍ ، بل كنظام له محتوياته ، وأوالياته ، وحتى أنه قد يكون له « طاقة » خاصة به .

2 ـ فما هي هذه المحتويات ؟

أ) يطلق فرويد عليها تسمية « ممثلات النزوة » في مقالته عن اللاوعي (عام1915) . ففي الحقيقة تظل النزوة ، نظراً لوقوعها عند حدود الجسدي والنفسي ، دون مستوى التعارض ما بين الوعي واللاوعي ؛ فهي من ناحية لا تستطيع أبداً أن تصبح موضوعاً للوعي ، وهي من الناحية الثانية لا توجد في اللاوعي إلا من خلال ممثلاتها ، أي من خلال«الممثّل ـالتصوري»بشكل أساسي . ويتعين علينا أن نضيف إلى ذلك أن أحد أوائل النماذج النظرية الفرويدية يعرّف الجهاز النفسي على شكل تتابع تدوينات الإشارات(2) ، وهي فكرة أعيد طرحها ونقاشها في النصوص التالية . إذ تنتظم التصورات اللاواعية في هوامات ، وسيناريوهات خيالية تثبت عليها النزوة ، مما يسمح لنا بإعتبارها وكأنها إخراج مسرحي حقيقي للرغبة . (أنظر : هوام) .

ب) ترد معظم النصوص الفرويدية السابقة على النظرية الموقعية الثانية اللاوعي إلى « المكبوت » . على أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا الرد لا يتم بدون قيود ؛ فهناك أكثر من نص يخصص مكاناً لمحتويات غير فردية ، أي لمحتويات تعود إلى نشأة الجنس البشري،وتشكل «نواة اللاوعي » (3a) .

نجد أمثال هذه الأفكار تكريساً لها في فكرة الهوامات الأصلية ، بإعتبارها صمائم سابقة على الفرد تقوم بتوجيه تجارب الشخص الجنسية الطفلية (1) .

جـ) كذلك فإن رد اللاوعي إلى ما هو « طفلي » في وجودنا، معروف تقليدياً، إنما هنا أيضاً

نجد أنفسنا أمام تحفظ بطرح نفسه . فمع أن التجارب الطفلية تعاش طبيعياً تبعاً للأسلوب الذي تطلق عليه الظواهرية إسم الوعي غير المنعكس ، إلا أنها ليست مؤهلة جميعها للإندماج مع لا وعي الفرد . حيث يتم أول إنشطار ما بين اللاوعي ونظام الوعي ـ ما قبل الوعي ، من وجهة نظر فرويد بفعل « الكبت » الطفلي . إن اللاوعي الفرويدي هو ذو تكوين متماسك ، وليس عبارة عن مجرد معاش لا متمايز ـ حتى ولو جاز إعتبار لحظة الكبت الأصلي الأولى أسطورية .

3 ـ من المعلوم أن الحلم كان بالنسبة لفرويد « الطريق الملكية »لاكتشاف اللاوعي . إذ عثر على أواليات (الإزاحة ، والتكثيف ، والترميز) التي تم إستخلاصها من الحلم في كتاب « تأويل الأحلام عام1900 » ، والتي تشكل « العمليات الأولية » ، في تكوينات اللاوعي الأخرى (من مثل الهفوات ، وزلات اللسان ، إلخ .) ، والتي تتعادل مع الأعراض في بنية التسوية ووظيفة « إنجاز الرغبة » التي تميزها .

وحين يحاول فرويد تحديد اللاوعي كنظام ، فإنه يلخص خصائصه النوعية على النحو التالي(3b) : العمليات الأولية (أي حركية التوظيفات التي تميز الطاقة الحرة) ؛ غياب النفي ، والشك ، والتفاوت في درجة اليقين ؛ عدم الإكتراث للواقع والخضوع لضبط مبدأ اللذة ـ والإنزعاج دون سواه (وهو المبدأ الذي يهدف إلى إقامة وحدة الإدراك من جديد بأقصر الطرق على الإطلاق) .

4 ـ وفي المقام الأخير ، حاول فرويد أن يقيم التماسك الخاص لنظام اللاوعي وتمييزه الجذري عن نظام ما قبل الوعي على الفكرة الإقتصادية القائلة بـ « طاقة توظيف » خاصة بكل نظام . تنطبق الطاقة اللاواعية على تصورات تصب عليها توظيفها ، أو يسحب منها هذا التوظيف ، ويتم العبور من عنصر إلى آخر من النظام من خلال سحب التوظيف من الأول وإعادة توظيفه في الثاني .

تكمن إحدى صعوبات المفهوم الفرويدي ، في أن هذه الطاقة اللاواعية تظهر أحياناً كقوة جذب تمارس على التصورات وتقاوم الوعي بها (كما هو الحال في نظرية الكبت ، حيث يعمل الجذب من قبل العناصر التي سبق كبتها متعاوناً مع ضغط النظام الأرقى)(4) ، كما تظهر في أحيان أخرى كقوة تميل إلى ابراز «مشتقاتها» إلى الوعي ولا يمسكها عن ذلك سوى اليقظة الدائمة من قبل الرقابة(3c) .

5 ـ لا يجوز أن تؤدي الإعتبارات الموقعية إلى تغييب القيمة الدينامية للاوعي الفرويدي التي أكدها فرويد مرات عديدة : يتعين علينا على العكس من ذلك ، أن نرى في التمييز الموقعي وسيلة لتبيان الصراع ، والتكرار والمقاومات .

●●●

من المعلوم أن النظرية الفرويدية للجهاز النفسي قد عدلت بالعمق منذ العام1920 ، وأدخل عليها تمييزات موقعية جديدة لم تعد تتطابق مع التمييز السابق ما بين اللاوعي وما قبل الوعي والوعي . وإذا كنا نصادف ، في الواقع ، في ركن الهو الخصائص الأساسية لنظام اللاوعي ، فإن للأركان الأخرى ـ أي الأنا والأنا الأعلى ـ أيضاً أصلٌ وشطرٌ لاواعيان (أنظر : هو ؛ أنا ؛ أنا أعلى ؛ وموقعي) .

(أ) وبدون أن يقيم فرويد نفسه علاقة ما بين الهوامات الأصلية وبين فرضية الكبت الأصلي ، فإنه لن يفوتنا أن نلاحظ أنهما يقومان تقريباً بنفس الوظيفة بخصوص نشأة اللاوعي الأولى .

(1) Freud (S.). *A note on the Unconscious in Psycho-Analysis*, 1912. G.W., VIII, 433 ; S.E., XII, 262 ; Fr., 13.

(2) Cf. Freud (S.). *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, lettre à Fliess du 6-12-96. All., 185-6 ; Angl., 173 ; Fr., 155.

(3) Cf. Freud (S.). *Das Unbewusste*, 1915. — *a)* G.W., X, 294 ; S.E., XIV, 195 ; Fr., 144. — *b)* G.W., X, 285-8 ; S.E., XIV, 186-9 ; Fr., 129-35. — *c)* G.W., X, 280 ; S.E., XIV, 181 ; Fr., 120.

(4) Cf. Freud (S.). *Die Verdrängung*, 1915. G.W., X, 250-1 ; S.E., XIV, 148 ; Fr., 71-2.

ثبت المصطلحات

عربي	فرنسي	إنجليزي	
	أ		
المصطلح			الصفحة
1 ـ إتحاد ـ إنفصال (النزوات)	Union - désunion (des pulsions)	Fusion-defusion (of instincts)	هر
2 ـ إتكالي (صفة)	Anaclitique	Anaclitic, attachment	41
3 ـ أثر ذاكري	Trace mnésique	Mnemic trace	42
4 ـ إجتياف	Introjection	Introjection	44
5 ـ إحباط	Frustration	Frustration	46
6 ـ إختبار الواقع	Epreuve de réalité	Reality-testing	47
7 ـ إختيار العصاب	Choix de la névrose	Choice of neurosis	51
8 ـ إختيار الموضوع	Choix d'objet	Object - choice	52
9 ـ إختيار الموضوع بالاستناد	Choix d'objet par étayage	Anaclitic type of object-choice	53
10 ـ إختيار الموضوع النرجسي	Choix d'objet narcissique	Narcissistic object-choice	54
11 ـ إدراك ـ وعي	Perception-conscience	Perception-consciousness	55
12 ـ إدماج	Incorporation	Incorporation	55
13 ـ إرتباط	Liaison	Binding	57
14 ـ إرتداد على الشخص ذاته	Retournement sur la personne propre	Turning round upon The subject's own self	59
15 ـ إرصان نفسي	Elaboration psychique	Psychical working out (over)	60.
16 ـ إرصان ثانوي	Elaboration secondaire	Secondary revision	61
17 ـ إزاحة	Déplacement	Displacement	62
18 ـ إستجابة علاجية سلبية	Réaction thérapeutique négative	Negative therapeutic reaction	65
19 ـ استدخال	Intériorisation	Internalization	67
20 ـ إستناد	Etayage	Anaclisis	67
21 ـ إسقاط	Projection	Projection	70

76	Signal of anxiety	Signal d'angoisse	22 ـ إشارة القلق
77	Reparation	Réparation	23 ـ إصلاح
78	Compulsion, compulsive	Compulsion, compulsionnel	24 ـ إضطرار، إضطراري، قهري
80	Repetition compulsion	Compulsion de répétition	25 ـ إضطرار التكرار
83	Repudiation, forclosure	Forclusion	26 ـ إغفال، نبذ، طمس
86	Cannibalistic	Cannibalique	27 ـ إفتراسي
87	(Latent) dream- thoughts	Pensées (latentes) du rêve	28 ـ أفكار الحلم (الكامنة)
87	Economic	Economique	29 ـ إقتصادي
91	Conversion	Conversion	30 ـ إقلاب
92	Alteration of the ego	Altération du moi	31 ـ التياث الأنا
94	Undoing (what has been done)	Annulation (— rétroactive)	32 ـ إلغاء رجعي
96	Abstinence (rule of —)	Abstinence (règle d —)	33 ـ إمتناع (قاعدة الـ ـــ)
97	Ego (the —)	Moi (le-)	34 ـ أنا (الأنا)
110	Superego	Surmoi	35 ـ أنا أعلى
114	Pleasure- ego— Reality - ego	Moi -plaisir — moi - réalité	36 ـ أنا لذة ـ أنا واقع
116	Ideal ego	Moi idéal	37 ـ أنا مثالي
117	Egoism	Egoisme	38 ـ أنانية
118	Attention (suspended —)	Attention (flottante)	39 ـ إنتباه (عائم)
120	Wish - fulfilment	Accomplissement de désir	40 ـ إنجاز الرغبة
122	Damming up of libido	Stase libidinale	41 ـ إنحباس لبيدي
123	Pressure (instinct —)	Poussée (de la pulsion)	42 ـ إندفاع، ضغط، (النزوة)
124	Splitting of the ego	Clivage du moi	43 ـ إنشطار الأنا
126	Splitting of the object	Clivage de l'objet	44 ـ إنشطار الموضوع
127	Introversion	Introversion	45 ـ إنطواء
128	Negation	(Dé) (négation)	46 ـ إنكار
130	Interest, ego interest	Intérêt, intérêt du moi	47 ـ إهتمام ، إهتمام الأنا
131	Working - off mechanisms	Mécanismes de dégagement	48 ـ أواليات التخلص (أواليةـ)
132	Defence mechanisms	Mécanismes de défense	49 ـ أواليات الدفاع ، (أواليةـ)
135	Eros	Eros	50 ـ إيروس

ب

138	Substitute	Substitut	51 ـ بديل
138	Differed action	Après-coup	52 ـ بعدي، مؤجل، لاحق
141	Day's residues	Restes diurnes	53 ـ بقايا نهارية
143	Construction	Construction	54 ـ بنيان، تركيب

ت

146	Interpretation	Interprétation	55 ـ تأويل ، تفسير
148	Anagogic interpretation	Interprétation anagogique	56 ـ تأويل روحاني
149	Over - interpretation	Surintérpretation	57 ـ تأويل مضاعف
151	Thanatos	Thanatos	58 ـ تاناتوس (نزوة الموت)
151	Rationalization	Rationalisation	59 ـ تبرير
153	Fixation	Fixation	60 ـ تثبيت
156	Ambivalence	Ambivalence	61 ـ تجاذب وجداني
158	Experience of satisfaction	Expérience de satisfaction	62 ـ تجربة الإشباع ، إرضاء
160	Symbolic realization	Réalisation symbolique	63 ـ تحقيق رمزي
161	Training analysis	Analyse didactique	64 ـ تحليل تعليمي
162	Self-analysis	auto-analyse	65 ـ تحليل ذاتي
164	Direct analysis	Analyse directe	66 ـ تحليل مباشر
165	Psycho-analysis	Psychanalyse	67 ـ تحليل نفسي
167	Supervised analysis	Psychanalyse sous Controle, ou controlée	68 ـ تحليل نفسي خاضع للاشراف
168	Wild analysis	Psychanalyse sauvage	69 ـ تحليل نفسي وحشي
169	Distortion	Déformation	70 ـ تحوير ، تشويه
170	Association	Association	71 ـ تداعي ، ترابط
172	Free association	Libre association (Méthode ou règle de —)	72 ـ تداعي حر
173	Sublimation	Sublimation	73 ـ تسامي

176	Intricacy-disjunction	Intrication-désintrication	74 ـ تشابك ـ إنفكاك
176	Libido adhesiveness	Viscosité de la libido	75 ـ تشبث الليبدو
177	Abreaction	Abréaction	76 ـ تصريف
179	Generation of anxiety	Développement d'angoisse	77 ـ تصعيد القلق، توليد
180	Idea, presentation	Représentation	78 ـ تصور
181	Thing presentation, Word presentation	Représentation de chose, Représentation de mot	79 ـ تصور الشيء وتصور الكلمة
183	Purposive idea	Représentation-but	80 ـ تصور ـ هدف
184	Innervation	Innervation	81 ـ تعصيب
185	cathartic method	Cathartique (méthode-)	82 ـ تفريج (طريقة تفريجية)
186	Discharge	Décharge	83 ـ تفريغ
187	Acting out	Acting out	84 ـ تفعيل
189	Active technique	Technique active	85 ـ تقنية نشطة
191	Condensation	Condensation	86 ـ تكثيف
193	Repetition	Répétition	87 ـ تكرار
193	Symptom-formation	Formation de symptome	88 ـ تكوين العارض
193	Substitutive formation	Formation substitutive	89 ـ تكوين بديل
194	Compromise-formation	Formation de compromis	90 ـ تكوين تسوية
195	Reaction-formation	Formation réactionnelle	91 ـ تكوين عكسي
198	Identification	Identification	92 ـ تماهي، تعيين
201	Projective identification	Identification projective	93 ـ تماهي إسقاطي
202	Primary identification	Identification primaire	94 ـ تماهي أولي
203	Identification with the Aggressor	Identification à l'agresseur	95 ـ تماهي بالمعتدي
204	Facilitation	Frayage	96 ـ تمهيد عصبي
205	Genital love	Génital (amour —)	97 ـ تناسلي (حب ـ)
207	Organization of the libido	Organisation de la libido	98 ـ تنظيم الليبدو
208	Cathexis	Investissement	99 ـ توظيف
212	Anticatexis	Contre-investissement	100 ـ توظيف مضاد
213	Hypercathexis	Surinvestissement	101 ـ توظيف مفرط

ث

ج

ح

خ

د

251	Masculinity - feminity	Masculinité- féminité	119 ـ ذكورة ـ أنوثة
252	Psychosis	Psychose	120 ـ ذهان

ر

258	Mothering	Maternage	121 ـ رعاية أمومية
259	Fright	Effroi	122 ـ رعب ، رهبة
260	Wish	Désir	123 ـ رغبة
262	Reality denial	Déni (— de la réalité)	124 ـ رفض (ـ الواقع)
264	Censorship	Censure	125 ـ رقابة
265	Agency	Instance	126 ـ ركن ، سلطة
266	Symbolic	Symbolique	127 ـ رمزي
268	Symbolism	Symbolisme	128 ـ رمزية
272	Mnemic symbol	Symbole mnésique	129 ـ رمز ذاكري
272	Family romance	Roman familial	130 ـ رواية أسرية

ز

276	Aphanisis	Aphanisis	131 ـ زوال الشهوة ، إصفاء
277	Pair of opposites	Couple d'opposés	132 ـ زوج المتعارضات

س

280	Sadism	Sadisme	133 ـ سادية
281	Sado-Masochism	Sado-Masochisme	134 ـ سادو مازوشية
284	Dream screen	Ecran du reve	135 ـ ستارة الحلم
284	Withdrawal of cathexis	Désinvestissement	136 ـ سحب التوظيف
285	Complemental series	Série complémentaire	137 ـ سلسلة مكملة

ش

288	Paranoid	Paranoïde	138 ـ شبه عظامي

288	Perversion	Perversion	139 ـ شذوذ
291	Inferiority feeling	Sentiment d'infériorité	140 ـ شعور بالدونية
293	Guilt feeling	Sentiment de culpabilité	141 ـ شعور بالذنب
294	Penis envey	Envie du pénis	142 ـ شهوة العضو الذكري

ص

298	Protective shield	Pare-excitations	143 ـ صاد الإثارات
300	Trauma	Trauma ou traumatisme (psychique)	144 ـ صدمة (نفسية)، هلع
304	Psychical conflict	Conflit psychique	145 ـ صراع نفسي، مأزم
307	Imago	Imago	146 ـ صورة هوامية

ط

310	Cathectic energy	Energie d'investissement	147 ـ طاقة التوظيف
310	Free energy- Bound energy	Energie libre — Energie liée	148 ـ طاقة حرة ـ طاقة مربوطة

ظ

316	Functional phenomenon	Phénomène fonctionnel	149 ـ ظاهرة وظيفية

ع

320	Affect	Affect	150 ـ عاطفة
321	Helplesness	Détresse (état de —)	151 ـ عجز (حالة الـ ـ)
322	Aggressivity	Agressivité	152 ـ عدوانية
327	Isolation	Isolation	153 ـ عزل
329	Neurosis	Névrose	154 ـ عصاب
332	Family neurosis	Névrose familiale	155 ـ عصاب أسري

غ

[illegible]	Instinct	Instinct	183 ـ غريزة
384	Urethral erotism	Erotisme urétral ou urinaire	184 ـ غلمة بولية
384	Auto-erotism	Auto-érotisme	185 ـ غلمة ذاتية
387	Allo-erotism	Allo-érotisme	186 ـ غلمة غيرية
388	Seduction (scene of theory of —)	Séduction (scène de — Théorie de —)	187 ـ غواية (مشهد، نظرية ـ)

ف

394	Hospitalism	Hospitalisme	188 ـ فصال
395	Schizophrenia	Schizophrénie	189 ـ فصام
397	Paraphrenia	Paraphrénie	190 ـ فصام هذياني
398	Actualization	Mise en acte	191 ـ فعلنة
399	Specific action	Action spécifique	192 ـ فعل نوعي

ق

404	Considerations of representability	Figurabilité, (Prise en considération de la figurabilité)	193 ـ قابلية التصوير، أخذ قابلية التصوير بعين الاعتبار
405	Erogeneity	Erogénéité	194 ـ قابلية توليد الغلمة
406	Fundamental rule	Règle fondamentale	195 ـ قاعدة أساسيه
407	Phallus	Phallus	196 ـ قضيب
410	Phallic (woman or mother)	Phallique (femme ou mère —)	197 ـ قضيبية (إمرأة، أو أم ـ)
411	Reversal into the opposite	Renversement (d'une pulsion) dans le contraire	198 ـ قلب (النزوة) إلى الضد
412	Realistic anxiety	Angoisse devant un danger réel	199 ـ قلق إزاء خطر واقعي
412	Automatic anxiety	Angoisse automatique	200 ـ قلق آلاني
415	Suppression	Répression	201 ـ قمع

ك

416	Repression	Refoulement	202 ـ كبت
420	Primal repression	Refoulement originaire	203 ـ كبت أصلي ، أولي
422	Primary and secondary gain from illness	Bénéfice primaire et secondaire de la maladie	204 ـ كسب أولي وثانوي من المرض
424	Latency period	Latence (période de —)	205 ـ كمون (فترة ـ)

ل

428	Libido	Libido	206 ـ ليبدو
430	Ego-Libido — Object-libido	Libido du moi — Libido d'objet	207 ـ ليبدو الأنا ـ ليبدو الموضوع
432	Narcissistic libido	Libido narcissique	208 ـ ليبدو نرجسي
432	Organ-Pleasure	Plaisir d'organe	209 ـ لذة العضو

م

436	Materiel	Matériel	210 ـ مادة
437	Subconscious	Subconscient	211 ـ ما دون الوعي ، ما دون الشعور
438	Masochism	Masochisme	212 ـ مازوشية
440	Preœdipal	Préœdipien	213 ـ ما قبل أوديبي
441	Preconscient	Préconscient	214 ـ ما قبل الوعي ، ما قبل الشعور
443	Pregenital	Prégénital	215 ـ ما قبل تناسلي
444	Metapsychology	Métapsychologie	216 ـ ما وراء علم النفس
446	Principle of constancy	Principe de constance	217 ـ مبدأ الثبات
452	Pleasure principle	Principe de plaisir	218 ـ مبدأ اللذة
455	Principle of neuronic inertia	Principe d'inertie (neuronique)	219 ـ مبدأ القصور (العصبي)
457	Nirvana principle	Principe de nirvana	220 ـ مبدأ النرفانا
458	Reality principle	Principe de réalité	221 ـ مبدأ الواقع

491	Instinctual representative	Représentant de la pulsion	248 ـ ممثل النزوة
492	Psychical representative	Représentant psychique	249 ـ ممثل نفسي
493	Erotogenic zone	Zone érogène	250 ـ منطقة مولدة للغلمة
494	Hysterogenic zone	Zone hystérogène	251 ـ منطقة مولدة للهستيريا
496	Object	Objet	252 ـ موضوع
500	Transitional object	Objet transitionnel	253 ـ موضوع إنتقالي
501	Part-object	Objet partiel	254 ـ موضوع جزئي
503	«good» object,	«Bon» objet,	255 ـ موضوع « طيب » ،
	«Bad» object	«mauvais» objet	موضوع « سيء »
504	Topography, Topographical	Topique	256 ـ موقعي
509	Erogenic	Erogène	257 ـ مولِّد للغلمة

ن

512	Narcissism	Narcissisme	258 ـ نرجسية
514	Primary narcissism,	Narcissisme primaire,	259 ـ نرجسية أولية ،
	Secondary narcissism	Narcissisme secondaire	نرجسية ثانوية
516	Ego instincts	Pulsions du moi	260 ـ نزوات الأنا
520	Life instincts	Pulsions de vie	261 ـ نزوات الحياة
522	Death instincts	Pulsions de mort	262 ـ نزوات الموت
529	Instincts of self preservation	Pulsions d'auto- conservation	263 ـ نزوات حفظ الذات
531	Instinct	Pulsion	264 ـ نزوة
535	Destructive instinct	Pulsion de destruction	265 ـ نزوة التدمير
535	Instinct to master	Pulsion d'emprise	266 ـ نزوة السطوة
536	Aggressive instinct	Pulsion d'agression	267 ـ نزوة العدوان
539	Partial instinct	Pulsion partielle	268 ـ نزوة جزئية
540	Sexual instinct	Pulsion sexuelle	269 ـ نزوة جنسية
542	Infantile amnesia	Amnésie infantile	270 ـ نسيان طفلي
	Activity --passivity	Activité -passivité	271 ـ نشاط ـ فتور
544	System	Système	272 ـ نظام ، منظومة

	Thought identity	Identité de pensée	وحدة الفكر
586	Depressive position	Position dépressive	297 ـ وضعية خورية
587	Paranoid position	Position paranoide	298 ـ وضعية شبه عظامية
589	Being conscious	Conscience (psychologique)	299 ـ وعي (نفساني)

لا

596	Unconscious	Inconscient	300 ـ لاوعي، لاواعي لا شعور

ثبت المصطلحات

فرنسي - عربي

D

E

F

J

L

M

N

O

496	Objet	موضوع
501	Objet partiel	موضوع جزئي
500	Objet transitionnel	موضوع إنتقالي
207	Organisation de la libido	تنظيم الليبدو

P

351	Paranoïa	عُظام
288	Paranoïde	شبه عظامي
397	Paraphrénie	فصام هذياني
298	Pare-excitations	صاد الإثارات
583	Parent (s) Combiné (s)	والد مزيج ، والدين ممتزجين
87	Pensées (latentes) du rêve	أفكار الحلم (الكامنة)
55	Perception-conscience	إدراك - وعي
367	Perlaboration	عمل الاستيعاب
288	Perversion	شذوذ
410	Phallique (femme ou mère —)	قضيبية (إمرأة أو أم -)
407	Phallus	قضيب
578	Phantasme	هوام لا واعٍ
316	Phénomène fonctionnel	ظاهرة وظيفية
432	Plaisir d'organe	لذة العضو
478	Plasticité de la libido	مرونة الليبدو
586	Position dépressive	وضعية خورية
587	Position paranoïde	وضعية شبه عظامية
123	Poussée (de la pulsion)	إندفاع ، ضغط (النزوة)
441	Préconscient	ما قبل الوعي ، ما قبل الشعور
443	Prégénital	ما قبل تناسلي
440	Préœdipien	ما قبل أوديبي
446	Principe de constance	مبدأ الثبات
457	Principe de nirvana	مبدأ النرفانا
452	principe de plaisir	مبدأ اللذة
458	Principe de réalité	مبدأ الواقع

Q

R

S

T

U

V

Z

ثبت المصطلحات

إنجليزي - عربي

A

470	Anal-sadistic stage	مرحلة شرجية سادية
212	Anticathexis	توظيف مضاد
567	Anxiety hysteria	هستيريا القلق
342	Anxiety neurosis	عصاب القلق
276	Aphanisis	زوال الشهوة ، إصفاء
170	Association	ترابط
118	Attention (evenly) suspended	إنتباه (عائم)
384	Auto-erotism	غلمة ذاتية
412	Automatic anxiety	قلق آلاتي
485	Autoplastic — Alloplastic	مطاوعة ذاتية - تطويع الغير

B

589	Being Conscious	وعي نفساني
57	Binding	إرتباط
216	Bisexuality	ثنائية جنسية
227	Borderline case	حالة بينية
374	Break through of the repressed	عودة المكبوت

C

86	Cannibalistic	إفتراسي
361	Castration complex	عقدة الخصاء
185	Cathartic (therapy or method)	تفريج (طريقة أو علاج -)
310	Cathectic energy	طاقة التوظيف
208	Cathexis	توظيف
264	Censorship	رقابة
338	Character neurosis	عصاب الطبع
51	Choice of neurosis	إختيار العصاب
544	Cloacal theory	نظرية حشية
583	Combined parents	والد مزيج ، والدين ممتزجين (صورة الـ -)

F

G

H

I

J

L

M

N

O

P

445	Pregenital	ما قبل تناسلي
440	Preœdipal	ما قبل أوديبي
125	Pressure (instinct)	إندفاع ، ضغط (النزوة)
578	Primal phantasies	هوامات أصلية ، أولية
420	Primal repression	كبت أصلي ، أولي
421	Primal scene	مشهد أولي ، مشهد بدائي
422	Primary and secondary Gain from illness	كسب أولي وثانوي من المرض
202	Primary identification	تماهي أولي
514	Primary narcissism, Secondary narcissism	نرجسية أولية ونرجسية ثانوية
371	Primary process, Secondary process	عملية أولية وعملية ثانوية
446	Principle of constancy	مبدأ الثبات
455	Principle of neuronic inertia	مبدأ القصور العصبي
458	Principle of reality	مبدأ الواقع
70	Projection	إسقاط
201	Projective identification	تماهي ، إسقاطي
298	Protective schield	صاد الإثارات
224	Psychic apparatus	جهاز نفسي
308	Psychical conflict	صراع نفسي ، مأزم
582	Psychical reality	واقع نفسي
492	Psychical representative	ممثل نفسي
567	Psychical working over	عمل الاستيعاب
165	Psycho-analysis	تحليل نفسي
545	Psychoneurosis	نفاس
252	Psychosis	ذهان
375	Psychotherapy	علاج نفساني
185	Purposive idea	تصور - هدف

Q

486	Quota of affect	مقدار العاطفة

R

151	Rationalization	تبرير
195	Reaction formation	تكوين عكسي
412	Realistic anxiety	قلق واقعي
262	Reality denial	رفض الواقع
47	Reality testing	إختبار الواقع
555	Regression	نكوص
77	Reparation	إصلاح
193	Repetition	تكرار
80	Repetition compulsion	إضطرار التكرار
416	Repression	كبت
83	Repudiation, foreclosure	إغفال ، نبذ ، طمس
486	Resistance	مقاومة
569	Retention hysteria	هستيريا الإمساك
411	Reversal into the opposite	قلب (النزوة) الى ضدها

S

280	Sadism	سادية
281	Sado-Masochism	سادو - مازوشية
395	Schizophrenia	فصام
250	Screen memory	ذكرى ساترة
308	Seduction theory of- Scene of-	غواية مشهد - نظرية الـ -
162	Self analysis	تحليل ذاتي
540	Sexual instinct	نزوة جنسية
220	Sexuality	جنسية
76	Signal of anxiety	إشارة القلق
479	Somatic compliance	مسايرة جسدية ، تواطؤ
482	Source of instinct	مصدر النزوة
399	Specific action	فعل نوعي

124	Splitting of the ego	إنشطار الأنا
126	Splitting of the object	إنشطار الموضوع
437	Subconscious	ما دون الوعي
173	Sublimation	تسامي
138	Substitut	بديل
193	Substitutive formation	تكوين بديل
465	Sum of excitation	مجموع الإثارة
110	Superego	أنا أعلى
167	Supervised analysis	تحليل نفسي خاضع للاشراف
413	Suppression	قمع
266	Symbolic	رمزي
160	Symblolic realization	تحقيق رمزي
268	Symbolism	رمزية
195	Symtom formation	تكوين العارض
544	System	نظام ، منظومة

T

235	Tenderness	حنان
151	Thanatos	تاناتوس
181	Thing presentation. Word presentation	تصور الشيء ، وتصور الكلمة
508	Topography, topographical	موقعي
161	Training analysis	تحليل تعليمي
547	Transference	نقلة ، تحويل ، طرح
546	Transference neurosis	عصاب النقلة
500	Transitional object	موضوع إنتقالي
500	Trauma	صدمة ، هلع
566	Traumatic hysteria	هستيريا صدميه ، هلعيه
535	Traumatic neurosis	عصاب صدمي ، هلعي
59	Turning round upon The subject's own self	إرتداد على الشخص ذاته

U

W

فهرست عام

الموضوع **الصفحة**

من منشوراتنا
موسوعات ومعاجم
قيد الطبع

- معجم الفيزياء

تحت إشراف فرنسوا لو ليونيه

ترجمة موريس شربل

- معجم الرياضيات

آلان بوفييه وميشال جورج

تحت إشراف فرنسوا لو ليونيه

ترجمة هيثم اللمع

- معجم المصطلحات القانونية

تحت إشراف جيرار كورنو

ترجمة منصور القاضي

- موسوعة تاريخ الزواج (في 3 مجلدات)

إدوار وسترمارك

ترجمة د. مصباح الصمد

هذا المعجم...

هو ترجمة حرفية امينة للمعجم الفرنسي بعنوان VOCABULAIRE PSYCHANALYSE . إنه يعرض المصطلحات الثلاثماية الأساسية للتحليل النفسي التي وضعها فرويد وتابعوه . لا يتخذ العرض منحى تعليمياً تقريرياً ، بل هو يتوسل المنهج النقدي التاريخي ، فيعرّف المصطلح في معناه واستخداماته ، ثم يعالج في مقالة تتفاوت في حجمها ، ولادته وتطور معانيه واستخداماته ، ومدى إسهامه في المعرفة العملية والنظرية التحليليين ، وما يحيط بذلك كله من إشكاليات فنية ونظرية . وهو مما يدفع القارئ الى دقة الإحاطة بالموضوع ، وإعمال الفكر فيه ، وصولاً الى اتخاذ موقف موضوعي بعيداً عن التبعية أو الهوى ، فيتزود بما يشاء عن يقين ، ويعرض عما يشاء عن دراية . مثل هذا الموقف هو ما يحتاجه الفكر العربي في عملية إنمائه وسيطرته على مقدراته .

كلنا ثقة ، بأن وضع هذا المعجم بين يدي القارئ العربي باحثاً وعالماً ومفكراً وطالباً ، مع العيد المئوي الاول لولادة التحليل النفسي ، يسهم في اغناء المكتبة العربية بواحدة من ادوات الفكر والبحث الأساسية في مضمار العلوم الانسانية .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع